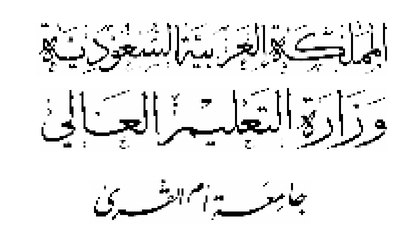
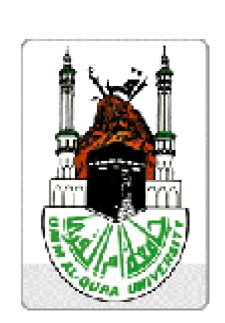




كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ

الترجمة من العربية إلى اللاتينية

نشأتها وتطورها وأثرها في أوروبا

من منتصف القرن (٥هـ / ١١م) حتى نهاية (ق١١هـ/١٧م)

(دراسة تحليلية)

إعداد الطالبة :

هدى بنت جبير السفيا

إشراف الأستاذ الدكتور :

مريزن بن سعيد عسيري

١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد..

فهذه الرسالة بعنوان [**الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، نشأتها وتطورها وأثرها في أوروبا ، من منتصف القرن (٥هـ/١١م) حتى نهاية (ق١١هـ/١٧م) ، دراسة تحليلية**] ، وجاءت في ثلاثة أبواب ، تسبقها مقدمة ، وتنتهي بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها .

فأما الباب الأول فقد تناول : نشأة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ومفهومها ، مع التركيز على العوامل المساعدة على هذه النشأة ، ومن ثم نشاطها ، مع تقسيم هذه الحقبة الزمنية إلى ثلاثة مراحل رئيسية .

وعالج الباب الثاني : مقومات الترجمة من العربية إلى اللاتينية والعلوم المترجمة ، مع الاستطراد في الحديث عن مراكز الترجمة ومدارسها ، والمترجمون وتوجهاتهم ، ومناهج الترجمة .

وأتى الباب الثالث بعنوان : أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية وأبرز نتائجها ، حيث اتسعت هذه الآثار لتشمل الجوانب الدينية والأدبية والعلوم التطبيقية والطبيعية والاجتماعية ، بالإضافة إلى التعليم والجامعات والاقتصاد .

وأخيراً نختم البحث بخاتمة تضمنت أبرز نتائجه ومنها :

- أن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية نشأت بالدرجة الأولى بدافع ديني محض ، وكانت من أبرز وسائل التنصير لحرب المسلمين .
- ساعدت هذه الحركة على تطور أوروبا وخروجها من غياهب الجهل إلى العلم والتحضر .
- نشطت هذه الحركة إثر الضعف المادي للعالم الإسلامي ، ومن ثم ساعدت على زعزعة كيانهم السياسي وسلب علومهم ، ونسبتها لغيرهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ترجمة الملخص

Abstract

This research is entitled [*The Translation from Arabic to Latin, its Early Years, Development and Effect on Europe, from the Middle of ٥th H/١١th AD Century up to the End of ١١th/ ١٧th AD Century "Analytical Study"]*. It includes an introduction, three sections and a conclusion that has the most important results of the study.

As for the first section, it deals with the early years of translation from Arabic Language to Latin and its conception. This is accompanied by focusing on these early years, and then its activity. This era has been divided into three main stages.

As for the second party, it discusses the elements of translation from Arabic Language to Latin, and the translated sciences. It focuses on centers and schools of translation, translators and their attitudes and approaches of translation.

The third chapter is entitled "the effect of translation from Arabic to Latin, and its significant results". These effects include the religious and literary aspects. Moreover, it includes the social, natural and applied sciences, as well as education, universities and economics.

Finally, the research is ended with a conclusion that has the most important results, from which;

- The main motivate of promoting translation from Arabic to Latin was pure religious motivation. It was one of the most prominent methods of Christianization in fighting Muslims.
- This movement helped Europe in its development, and to get out from dark and ignorance to science and civilization.

This movement has been activated due to the material weakness of the Islamic world, and then it helped in shaking their political entity, rob their sciences and attributing it to the others.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى والديَّ رحمهما الله متمثلة بقوله تعالى :

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيَاني صَغِيرًا﴾ [سورة الإسراء : ٢٤] .



شكر وتقدير

وأخيراً من منطلق قوله ﷺ : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» . أودُّ أن أتقدم بشكر كل من ساندني ، وأعانني على إخراج هذه الرسالة وإتمامها .

فالحمد لله والشكر له سبحانه على ما أولاني من نعم كثيرة لا أحصي عدها ، ولا أبلغ شكرها ، ومن أعظمها نعمة الإسلام ، ثم نعمة طريق العلم وتيسيره لي ، ومن ذلك إنجاز هذا البحث من غير حول مني ولا قوة ، بل بتوفيقه ، وفضله ، وكرمه .

كما أحمده سبحانه على أن منَّ عليَّ بوالدين كريمين ، بذلا جهدهما في تربيتي وتوجيهي ، مساندين ذلك بالدعاء لي ، مما كان له الأثر الأكبر في تيسير أموري ومصالحي ، فرحمهما الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر لهما ، وأسكنهما الفردوس الأعلى ، وحفظ الله إخوتي وأخواتي ، وبارك في أخي سعادة الدكتور/فهد ، وكيل معهد الحرم المكي الشريف للؤون التعليمية وأمين مركز البحث العلمي ، الذي كان لي نعم الأخ والأب ، فتحملني طيلة سنوات بحثي ، ووقف إلى جانبي في كثير من الصعاب ، وساندني بعطفه وتوجيهه ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأصلح له ذريته ، وبارك في علمه وعمله .

والشكر كل الشكر لأخي جابر الذي لم يتوان لحظة في خدمتي ، مع تحمله مشاق السفر ، والبحث عن المراجع ، وترجمة الكثير منها ، فجزاه الله ألف خير ، ووفقه وسدَّده .

ثم الشكر للأخ الفاضل الأستاذ/عبدالباري بن سعيد العبدالله ، الذي تكفَّل بطباعة هذه الرسالة ، وتنسيقها ، وترتيبها ، ومن ثم إخراجها على الوجه المطلوب ، فجزاه الله خيراً ، وزاده فضلاً . والشكر موصول لسعادة الدكتور : علي السنوسي ، أستاذ اللغة العربية بجامعة أم القرى سابقاً والمدرس بالحرم المكي الشريف ، الذي تحمل قراءة هذه الرسالة وتصحيحها ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وبارك في علمه وعمله .

والشكر موصول أيضاً إلى سعادة المؤرخ القدير الأستاذ الدكتور/عبدالهادي

التازي ، الذي أمدني بعدد من المراجع الأجنبية ، ودلني على مترجمي اللغة الإسبانية ، عن طريق ابنه أحمد ، فجزاهم الله خير الجزاء ، ورفع لهم الأجر والمثوبة . كما اتقدم بوافر الشكر والتقدير لسعادة الأستاذ الدكتور/أحمد شحلان ، أستاذ اللغة العبرية والفكر اليهودي بجامعة محمد الخامس بالرباط ، إذ دلني على عدد من مصادر الفكر اليهودي ، ومترجمي اليهود . والشكر موصول للأستاذ/رشيد جايلي الذي تكفل بترجمة المراجع الإسبانية ، فله كل الشكر والتقدير .

كما أقدم شكري وعرفاني لصاحب الفضل أستاذي المشرف ، سعادة الأستاذ الدكتور/مريزن بن سعيد عسيري ، الذي اغترفت من علمه الزاخر ، وتوجيهاته القيمة ، طيلة عشر سنوات مضت من مسيرتي التعليمية ، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء ، وأمد وبارك في علمه وعمله .

ولا أنسى أن أتوج شكري للقائمين على كثير من المؤسسات التعليمية والعلمية ، في مقدمتها : دارة الملك عبدالعزيز ، ومكتبة الملك عبدالعزيز ، ومكتبة الملك فهد الوطنية ، وجامعة الملك سعود ، ومركز الملك فيصل للبحث العلمي بالرياض ، ومركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق ، ومكتبة الملك عبدالله بجامعة أم القرى ، ومكتبة الحرم المكي الشريف .

ولا يفوتني تقديم الشكر إلى جامعتي العريقة ، جامعة أم القرى ، متمثلة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ممثلة في عميدها سعادة د/غازي بن مرشد العتيبي ، ووكيل الكلية السابق للدراسات العليا د/عبدالله بن حسين الشنبري ، ووكيلها الحالي د/عبدالله حيدر ، ورئيس قسم التاريخ د/طلال بن شرف البركاتي .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لعضوي لجنة المناقشة ، سعادة الأستاذ الدكتور/ سعد بن عبدالله البشري ، وسعادة الدكتور/سعد بن حسين بن عثمان ، اللذين تفضلا بقراءة الرسالة وتقويمها .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المقدمة

الحمد لله العلي العظيم ، السميع البصير ، ذي الفضل الواسع ، والنعم السوابغ ، أحمده على تمام الإحسان ، وأشكره على كمال الامتنان ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى ، ونبيه المرتضى ، اختاره الله تعالى لرسالته ، ومستودع أمانته ، فجعله خاتم النبيين ، وخير خلقه أجمعين ، ودينه هو الحق المبين ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وبعد :

فإن خير أمة أخرجت للناس هي أمة محمد ﷺ مصداقاً لقوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾[1] فكان من لوازم خيريتها نشر دين ربها في مشارق الأرض ومغاربها ، ديناً قيماً هزَّ بقوَّته الأخلاقية والفكرية الآسرة عروش كسرى وقيصر ، ودق بعقيدته الصحيحة نواقيس الحرب على الوثنية ، فانتشر في أقل من قرن انتشاراً لا نظير له ، وحكم بعدله ونوره وأمنه وحضارته أكثر من ثلثي المسكونة من عرب وعجم وأبيض وأسود .

وهذه القدرة الهائلة للإسلام هي التي أذهلت القوى المناوئة له من أهل الكتاب ، فأخذوا يبحثون عن سر قوته ، ومكنون جاذبيته ، وقدرته على قيادة البشرية ، والارتقاء بها حضارياً وأخلاقياً ، فكانت المواجهة الساخنة بين العالم الإسلامي والنصراني منذ وقت مبكر من ظهور الإسلام ودعوته ، في محاولات مستميتة لإلغائه وعدم الوقوع تحت سيطرته ، ومن ثم فرض سيطرة الغرب وهيمنته على العالم بما يدعي من حق إلهي مقدس ، فكان الصراع ضد الإسلام هو السبيل لتحقيق ذلك .

وحين فشلوا في تحقيق أهدافهم عن طريق معركة التحدي الحربية ، أخذوا يبحثون عن طريق آخر يستهدف إقصاء هذا الدين وتبديد قوته ، فترسخت لدى

---

(١) سورة آل عمران ، آية (١١٠) .

هؤلاء مجموعة من الدوافع الدينية التي تمليها عليهم العقيدة النصرانية ؛ للنيل من عقيدة المسلمين ونبيهم ، وتراثهم وحضارتهم ، والتي لا يتأتى تحقيقها إلا بعد الاطلاع على مصادر هذا الدين وعلومه ، ومحاربته بالقلم والبنان لا بالسيف والسنان ، عن طريق تعلم لغته وثقافته .

وتكريساً لهذا التحول في حرب المسلمين ، ولطبيعة الاستيعاب في الحضارة الإسلامية ، فقد أضحت مراكز العلم في العالم الإسلامي أماكن تغلغل واستقطاب لكثير من الأوروبيين على اختلاف دوافعهم وأهدافهم ما بين دينية تؤججها الكنيسة والبابوات ، وسياسية واقتصادية تلبي حاجة الكثير من الأفراد والدول والمؤسسات ، إضافة إلى الدوافع العلمية التي كانت تخالج نفوس كثير من أبناء الغرب بسبب إعجابهم بالحضارة الإسلامية ، والرغبة في محاكاتها والاستفادة منها .

بل لقد بنيت جسور تواصل ، ووسائل تمازج بين العالمين : الإسلامي والنصراني ، فكانت تنتقل عبرها الحضارة الإسلامية بكافة مجالاتها إلى أوروبا ؛ لتحط رحالها في عالم تسوده الجهالة ، ويغلب عليه الجمود والتخلف ، ولطبيعة اختلاف اللغات بين العالمين : الإسلامي والنصراني ، فقد وجدت الترجمة وسيلة من أنجع الوسائل التي ساعدت على اطلاع الغرب على حضارة المسلمين وعلومهم ، وبواسطتها انتقل كم هائل من التراث إلى أوروبا .

ولأهمية هذه الوسيلة من بين كل الوسائل الأخرى ، فقد أصبحت حركة منظمة ترعاها المؤسسات الدينية والعلمية ، وتباركها الدول النصرانية ، ويدعمها الأباطرة وساسة الغرب ، وانبرى لها عدد كبير من النقلة والمترجمين على اختلاف طوائفهم وتوجهاتهم ، ينقلون كل ما يخص المسلمين من تراث فكري إلى لغاتهم .

ولم يقف الاهتمام بهذه الحركة عند هذا الحد ، بل ما لبثت أن نمت وتطورت بتناغم أساسي مع تحقيق دوافعها المختلفة ، فكانت لها مدارس في مراكز دون أخرى ، ثم جاء نقل العلوم شاملاً انتقائياً وفق هذه الدوافع .

وقد تشعبت أبعاد هذه الدوافع ؛ لتصبح خلاف ما هو متعارف عليه في تاريخ

هذه الحركة ، من أنها نشأت مدفوعة بالدرجة الأولى على إثر فضول فكري لبعض مثقفي الغرب ، أو أنها كانت نتيجة لجهود فردية أحبت العلم ، وأعجبت بالحضارة الإسلامية ، فاندفعت بلهفة متقدة لترجمة علومها لا سيما ما يخص العلوم التطبيقية والطبيعية .

بيد أن الدوافع العلمية في عملية نقل علوم المسلمين لا تنكر ، فهي واردة ومؤكدة ، ولكن هل كانت هذه الدوافع العلمية في مقدمة دوافع الغرب نحو المؤلفات العربية؟ أم أن هناك دوافع أخرى سبقتها وطغت عليها في هذا المجال؟

وهل كانت هذه الدوافع بجهود شخصية فردية بعيدة عن الانتماءات الدينية والسياسية وما شابهها؟ أم أن هذه الدوافع كانت تحركها وتديرها مؤسسات وحكومات ، وظفتها لخدمتها من أجل تحقيق مكاسب دينية ، وسياسية ، واقتصادية على حد سواء؟

وتداخلاً مع تحقيق هذه الدوافع ، يأتي السؤال الذي يطرح نفسه : ما الذي بُدِئَ به من تخصصات في النقل والترجمة؟ ولمَ رُكِّزَ على ترجمة علوم دون أخرى؟ بينما تُرجمت علوم منذ بداية هذه الحركة ولكنها أغفلت من تاريخها لأسباب مجهولة .

وفي جانب المترجمين والنقلة ، تتردد تساؤلات كثيرة ، فكيف كان التباين في أعداد المترجمين بين كل طائفة وأخرى؟ ولمَ هُمِّش دور المترجمين المسلمين فقد كان هناك نقلة منهم ، وما هي توجهاتهم في النقل والترجمة؟ وهل أثر هؤلاء النقلة في الكتب المنقولة عن طريق الأساليب المتبعة في مترجماتهم؟ وكيف كانت تتم عملية النقل ، وما هي مناهجها؟

ولا ننسى أن نورد الأثر الذي أحدثته الترجمة في العالم الغربي ، هل كان أثراً إيجابياً أم سلبياً؟ وإلى أي مدى كان هذا التأثير ، وما هي مجالاته؟

كل هذه التساؤلات ألّفت موضوعاً لهذه الرسالة بعنوان :

(الترجمة من العربية إلى اللاتينية نشأتها وتطورها وأثرها في أوروبا من منتصف (ق٥هـ/١١م) حتى نهاية (ق١١هـ/١٧م) دراسة تحليلية) ، ووقع الاختيار عليه تحديداً لعدة أسباب :

أولاً : ضرورة تبيان الأسباب والدوافع الرئيسة لالتفات الغرب إلى عملية الترجمة والنقل للعلوم العربية في مختلف تخصصاتها ؛ إذ إن جل الدراسات والأبحاث ركزت في حديثها على الناحية السردية عن هذه العلوم ورحلتها إلى أوروبا ، ولم تتطرق إلى الأسباب التي تكمن من ورائها .

ثانياً : أن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية كانت من أهم وسائل انتقال التراث الإسلامي في كافة علومه ومعارفه إلى أوروبا ، فعن طريقها وصل هذا التراث إلى الغرب ، واستفاد منه ، وأصبح متقدماً في كافة العلوم الاجتماعية ، والطبيعية ، والتطبيقية ، بل حتى في الصناعة والعمارة والاقتصاد .

ثالثاً : أن هذه الحركة استغلت من جانب المؤسسات التنصيرية والاستشراقية ، التي كانت تمثل أقوى المؤسسات لتقويض الإسلام وهدمه ، فوظفت لتحقيق دوافعها وأهدافها ، وعايشت تاريخ هذه المؤسسات ، واستمرت متفانية في خدمتها حتى هذا العصر ؛ إذ إنها تعتبر وسيلة مهمة في السطو على تراث المسلمين من قبل المؤسسات الاستشراقية خاصة ، ونسبته إلى غيرهم ، كما أنها كانت منفذاً سهلاً لتشويه العلوم الإسلامية بالزيادة والتحريف عبر الترجمة ، أو التقليل من شأن علمائها بنسبة أفكارهم إلى اليونان والرومان ، متخطين بذلك دور المسلمين في تصحيح هذا التراث وتصويبه ونقده ، قبل أن يقدموه إلى أوروبا شراباً سائغاً لا يكدر صفوه .

وبذا يتبين لنا أن الحقد الدفين ضد المسلمين وحضارتهم قديم موغل في القدم ، تكوَّن طوال أكثر من ألف عام من الصراعات بين الإسلام والغرب ، يغذيه باستمرار التراث الثقافي المكتنز بصور الاستعداء ومشاعر الكراهية لهذا الدين .

رابعاً : وبالرغم من هذا الاستغلال في عملية النقل والترجمة ، إلا أنها حافظت على مؤلفات كثيرة للمسلمين من عوامل الضياع المختلفة ، لا سيما في الأندلس وبعد ظهور محاكم التفتيش التي كانت تقوم بإتلاف كل ما يمت للمسلمين بصلة ، فكانت هذه النقول خير معين على بقاء تراث إسلامي قيم حفظ من الضياع .

خامساً : أردت أن أؤكد أن مجال العلم والفكر ، هو أهم ما جادت به الحضارة الإسلامية على العالم الحديث عن طريق الترجمة ، فليس ثمت ميدان من ميادين الخبرة الإنسانية اليوم لم تضرب الحضارة الإسلامية فيه بسهم ، ولم تزد ثروة الحضارة الغربية فيه غنىً ، بل إن احتكاك أوروبا بهذه الحضارة هو السبب الرئيس لنهضتها ، وسعيها الحثيث للخروج من الظلمات .

وما عدا ذلك من آثار سلبية فسببه المؤلفات العربية المترجمة والتي كانت تحمل علوماً نسبت للمسلمين ، وكانت في أكثرها تحمل حيثيات الحضارات الوثنية القديمة ، وما ألف عليها أو شرح منها بيد الفلاسفة المنتسبين للإسلام الذين ألبسوها ثوب الدين بحجة التوفيق بينه وبين الفلسفة ، فنقلت إلى أوروبا ، وتلقفتها عقول أبنائها ، وأخذت تطبق مبادئها على حياتها الخاصة والعامة ، باعتبارها إرث اليونان القديم الذي يجب إحياؤه والعمل به ، فأثرت فيهم تأثيراً بالغاً ، وبدأ الصراع بين الكنيسة -التي كانت سبباً في التخلف العلمي- والعلم من هذا الوقت .

وقد حاولت أن أتناول دراسة هذا الموضوع وفق منهج علمي معين على النحو التالي :

١ - جمع المادة العلمية من مختلف المصادر ، والمراجع العربية ، والأجنبية قدر المستطاع ؛ لمعرفة وجهات النظر المختلفة حول دراسة هذه الحركة وتاريخها .

٢ - اتباع المنهج التحليلي في أغلب فصول مباحث الرسالة ؛ إذ إن الدراسة مبنية على أساسه ، وليس معنى هذا أنني لم أتطرق للمنهج التاريخي والوصفي في ثنايا البحث متى احتاج الأمر لذلك .

٣ - نظراً لسعة الموضوع وشموله ، فقد آثرت تقسيمه إلى أبواب ، ثم فصول ، فمباحث تتخللها عناوين رئيسة ، حتى يسهل تناول كل جانب من جوانب البحث ، واستيفاء معلوماته بشكل مرتب ودقيق .

٤ - في ذكر المدن والأعلام -لا سيما الأعلام الأجنبية كالمترجمين ونحوهم- أقوم بإيراد الاسم العربي وبجانبه اللاتيني عند أول ذكر للمدينة أو العلم ، وما عدا

ذلك أكتفي بذكرهما باللغة العربية ، إلا فيما يخص فصل تراجم النقلة فأورد ذكر العلم باللغتين معاً ثم أذكر ترجمته .

٥ - تباينت فصول الرسالة ومباحثها في الحجم ، بحسب توفر المادة العلمية ، والأسلوب المتبع في كتابتها ما بين تحليلي ، وتاريخي ، ووصفي ، ونحوه .

٦ - اقتصرت في فصل العلوم المترجمة على ما تم نقله في فترة الدراسة فقط ، وإلا فالترجمة استمرت وما زالت مستمرة إلى اليوم فيما يخص أمهات العلوم الإسلامية والعربية .

٧ - بالرغم من أن الدراسة تتناول الحديث عن ترجمة العلوم من العربية إلى اللاتينية ، إلا أننا أدخلنا اللغتين : العبرية والقشتالية في إطارها ؛ لأنها في أغلب الأحيان كانت بمثابة لغة وسيطة بين العربية واللاتينية . وفي نفس الوقت أدرج النقلة من هاتين اللغتين وإليهما ضمن مترجمي العلوم في هذا البحث .

٨ - في مجال أثر الترجمة في أوروبا ، نجد أنه كان بعيد المدى ؛ لذا فلا غرابة أن تناولنا هذا التأثير إلى العصر الحديث ، أي ما بعد النطاق الزمني المحدد لدراستنا ، وفي نفس الوقت فقد قَصَرْنا هذا التأثير على كل ما جاء عن طريق المؤلفات ، وليس تأثير الحضارة الإسلامية في أوروبا عامة ، فهذا باب يصعب استيفاؤه هنا .

٩ - ترجمة الأعلام والأماكن في أول موضع يرد ذكرهم فيه .

١٠ - ختمت الرسالة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها بشكل مختصر .

ولا أنكر أنني -كأي باحث- قد واجهت صعوبات في مراحل البحث المختلفة ، تمثلت في ما يلي :

أولاً : طول هذه الدراسة في زمانها ومساحة مكانها ؛ إذ امتدت ما يقارب ستة قرون ، شملت بلداناً إسلامية وأوروبية كثيرة ، مما تطلب بحثاً مضنياً وعملاً متواصلاً لإنهاء جمع المادة العلمية ، واستيفاء مصادرها المختلفة ، والرجوع إلى كل ما يخص الموضوع من مراجع ودوريات وموسوعات ونحوها ، إضافة إلى الرجوع إلى المراجع الأجنبية والتي تعددت لغاتها ما بين إنجليزية وفرنسية وإسبانية وألمانية

وإيطالية ، والتنقيب عنها لا سيما النادر والبعيد منها ، ومن ثم ترجمتها عن لغتها الأم .

ثانياً : كان يتطلب مني في تسطير هذه الرسالة ، أن أكتب بكل موضوعية في جميع المباحث والفصول ، مع الاستنتاج والتحليل وفق واقع تاريخ الترجمة ، وما توفر لي من معطيات ، خاصة في جانب الحديث عن دوافع الترجمة ، ومدارسها التي لا تسعفنا المصادر والمراجع بتاريخ موسع عنها .

ثالثاً : عند الحديث عن المترجمين والنقلة ، كان تشابه الأسماء وتعددها للمترجم الواحد في أكثر من مرجع أمراً في غاية الصعوبة ، لا سيما وأغلب هذه المراجع متعددة اللغات ، مما تطلب مني توخي الدقة والحذر في الحديث عن سيرته ، ناهيك عن عصره وتاريخ وفاته ؛ إذ إن أفراداً منهم أغفلت سني ولادتهم ، أو تواريخ وفياتهم .

وقد استخرت الله عز جلاله ، وتقدست أسماؤه ، ودعوته عند بيته العتيق مراراً وتكراراً فذلل لي كثيراً مما كنت أهابه بمنه وتوفيقه سبحانه ، ثم بمعونة أهل الاختصاص في كل فن ولغة وعلم ، وشرعت في عملي وأنا أنشده العون والسداد حتى أنهيته بعد سنين طويلة ، وبحث مضن ، فجاء في مقدمة وتمهيد وخاتمة تتوسطها ثلاثة أبواب على النحو التالي :

الباب الأول : نشأة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، بدايتها ومراحل تطورها

الفصل الأول : مفهوم الترجمة من العربية إلى اللاتينية ونشأتها .

المبحث الأول : مفهوم الترجمة .

المبحث الثاني : الفرق بين الترجمة والنقل والتعريب .

المبحث الثالث : البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية .

الفصل الثاني : العوامل المساعدة على ظهور الترجمة ونشاطها من العربية إلى اللاتينية .

المبحث الأول : الدوافع الدينية .

المبحث الثاني : الدوافع السياسية .

المبحث الثالث : الداوفع العلمية .

المبحث الرابع : الدوافع الاقتصادية .

المبحث الخامس : البعثات والسفارات والرحلات ودورها .

المبحث السادس : الطباعة ودورها .

الفصل الثالث : مراحل تطور الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

المبحث الأول : المرحلة الأولى : من (منتصف ق٥هـ -١١م)إلى نهاية (ق٦هـ-١٢م) .

المبحث الثاني : المرحلة الثانية من منتصف (ق٦هـ/١٢م) إلى منتصف (ق٧هـ/١٣م) .

المبحث الثالث : المرحلة الثالثة من منتصف (ق٧هـ/١٣م) إلى نهاية (ق١١هـ/١٧م) .

الباب الثاني : مقومات الترجمة من العربية إلى اللاتينية والعلوم المترجمة .

الفصل الأول : مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية ومدارسها .

المبحث الأول : الأندلس ومدارسها .

المبحث الثاني : صقلية ومدارسها .

المبحث الثالث : المشرق الإسلامي ومدارسه .

المبحث الرابع : بقية الدول الأوروبية .

المبحث الخامس : الشمال الإفريقي .

الفصل الثاني : المترجمون من العربية إلى اللاتينية وتوجهاتهم .

المبحث الأول : المسلمون وتوجهاتهم .

المبحث الثاني : النصارى وتوجهاتهم .

المبحث الثالث : اليهود وتوجهاتهم .

الفصل الثالث : مناهج الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

المبحث الأول : أساليب الترجمة .

المبحث الثاني : لغة الترجمة .

الفصل الرابع : أبرز العلوم المترجمة من العربية إلى اللاتينية .

المبحث الأول : القرآن الكريم والعلوم الشرعية .

المبحث الثاني : العلوم الإنسانية .

المبحث الثالث : العلوم العلمية والتطبيقية .

الباب الثالث : أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية وأبرز نتائجها .

الفصل الأول : أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية في أوروبا .

المبحث الأول : أثر الترجمة في الكنيسة .

المبحث الثاني : أثر الترجمة في اللغة والأدب الأوروبي .

المبحث الثالث : أثر الترجمة في العلوم الاجتماعية .

المبحث الرابع : أثر الترجمة في العلوم التطبيقية والطبيعية .

المبحث الخامس : أثر الترجمة في التعليم والجامعات .

الفصل الثاني : نتائج الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

المبحث الأول : نتائج الترجمة في مجال الدين والحكم .

المبحث الثاني : نتائج الترجمة في مجال العلم والفكر .

المبحث الثالث : نتائج الترجمة في مجال الاقتصاد .

واختتم البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة ، وأهم التوصيات .

كما ذيلت الدراسة بملاحق توضيحية ، وفهرس للمصادر والمراجع ، وأخيراً الفهرس التفصيلي لموضوعات الدراسة .

والحمد لله من قبل ومن بعد

الباحثة

ظهر الاثنين ٨/١١/١٤٣٣هـ

عرض لأهم مصادر البحث ومراجعه

استفاد هذا البحث من عدد كبير من المصادر ، والمراجع العربية ، والأجنبية التي كونت مادته العلمية في جميع فصوله ومباحثه ، ونظراً لكثرة هذه المصادر والمراجع ، فقد اقتصر الحديث على المهم منها ، كالتالي :

أولاً : المصادر :

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، وهو سفر جليل تناول فيه مؤلفه بلاد الأندلس وتاريخها ، بصورة أدبية شيقة ، واستطرادات تصف الحياة السياسية والأدبية والاجتماعية والعلمية لعصره . وقد أفاد البحث فيما يخص مبحث دوافع الترجمة ، لاسيما عند الحديث عن ملوك النصارى في فترة الاسترداد الإسباني ، وسقوط المدن الأندلسية بأيديهم ، وعن طبيعة العلاقة بينهم وبين المسلمين .

- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، لأبي عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، وهو كتاب جليل في بابه ؛ إذ إن مؤلفه يعد من أعظم علماء الأندلس في علوم عدة ، منها الجغرافيا التي ألف فيها عدة كتب ، منها هذا الكتاب الذي يعتبر جزءاً من كتاب المسالك والممالك ، وقد تناول فيه البلدان والممالك الأندلسية والأوروبية في زمانه معتمداً على ما جاء قبله من البلدانيين المسلمين ، إضافة إلى خبرته في هذا المجال .

وقد استفاد منه البحث فيما يخص مراكز الترجمة ومدارسها لاسيما في الأندلس وأوروبا .

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، لأبي عبدالله محمد الحسني ، المشهور بالإدريسي (ت حوالي ٥٦٠هـ/١١٦٤م) الذي يعتبر أشهر الآثار الجغرافية للبلدانيين المسلمين ، وقد ألفه بناء على طلب الملك النورماني روجر الثاني ، بعد أن حل عليه بصقلية ، وذكر فيه كل ما تناوله الأقدمون من معلومات سليمة ، بالإضافة إلى ما اكتسبه هو من رحلاته ومشاهداته ، ويتميز الكتاب بخرائطه التي

كانت تربو على السبعين خريطة ، وقد استفاد منه البحث في جانب الدوافع السياسية ، وما يخص جانب مراكز الترجمة لاسيما صقلية ، وعند الحديث عن ملوك النورمان وعلاقتهم بالمسلمين في هذه الجزيرة إضافة إلى مبحث الرحلات ، والحديث عنها .

- معجم البلدان ، لمؤلفه ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، الذي يعد من أهم المؤلفات الجغرافية ، وقد أودع فيه معلومات ثمينة عن البلدان والمدن والأقاليم ، الأمر الذي أفاد البحث في المبحث الخاص بمراكز الترجمة ومدارسها وأهميتها المكانية والزمانية أيضاً .

- الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، وهو تاريخ عام أرَّخه مؤلفه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وتناول فيه أخبار ملوك الشرق والغرب ، وأفاد منه البحث فيما يخص مبحث مراكز الترجمة وتحديداً بلاد المشرق زمن الحروب الصليبية ، إضافة إلى مبحث السفارات والبعثات ودورها .

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأبي العباس أحمد بن القاسم ، المعروف بابن أبي أصيبعة (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) ، تحدث فيه عن عدد كبير من علماء الطب في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، وأفاد منه البحث فيما يخص فصل العلوم المترجمة ، إضافة إلى طوائف المترجمين لاسيما اليهود منهم .

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، لمؤلفه جمال الدين محمد بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) ، الذي تناول فيه تاريخ الأسر الحاكمة زمن الحروب الصليبية ، لاسيما أسرة بني أيوب والأسرة الزنكية ، وقد أفاد منه البحث فيما يخص البعثات والسفارات ودورها ؛ إذ تفرد ابن واصل بذكر العلاقات الإسلامية النصرانية مع الإمبراطور فردريك الثاني بصقلية ، وما أسفر عنه من نتائج تخص الترجمة .

- الإحاطة في أخبار غرناطة ، لمؤلفه : لسان الدين محمد السلماني ، المعروف بابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ، ويعد أشهر كتب ابن الخطيب وأضخمها ،

حيث تناول فيه كل ما يخص مدينة غرناطة ، وتراجم رجالها ، وأفاد البحث فائدة كبيرة فيما يخص فصل دوافع الترجمة ، وفي جانب فصل المترجمين لاسيما المسلمين ، أو من عرف بالموريسكيين في فترة سقوط الحواضر الأندلسية بيد النصارى ؛ إذ أورد معلومات عن أحوالهم ، شحت بها بقية المصادر العربية الأخرى .

- إعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، لمؤلفه لسان الدين بن الخطيب أيضاً ، وقد ألفه في فترة عصيبة من تاريخ الأندلس الإسلامية ؛ إذ كانت تعاني من الضعف السياسي ، وهو في ثلاثة أقسام كبرى ، وقد أفاد منه البحث كسابقه فيما يخص جانب الدوافع ومراكز الترجمة ، لاسيما الأندلس وملوك النصارى بها ، ومن ثم فترة الموريسكيين ومترجميهم .

- المعيار المعرب ، والجامع المغرب ، عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب ، للإمام العلامة الفقيه أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) ، وهو من أوعب كتب النوازل الفقهية ، وإلى غزارة محتواه الفقهي يضم إشارات عن أحوال المجتمع المسلم في الغرب الإسلامي والنصراني ؛ حيث أورد الونشريسي نموذجاً معبراً عن طبيعة الحوار بين المسلمين والنصارى ، والاستفادة من الترجمة كوسيلة في ذلك الحوار .

- الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد بن عبدالمنعم الحميري (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) ، الذي ضم بين ثناياه عدداً كبيراً من المدن والبلدان ، أفاد البحث فيما يخص مراكز الترجمة ومدارسها والتعريف بجغرافيتها .

- وصف أفريقيا ، لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت بعد٩٥٧هـ/١٥٥٠م) ، وكتابه هذا هو القسم الثالث والوحيد المتبقي من كتاب ضخم باللغة العربية ، ترجمه مؤلفه إلى الإيطالية واعتمد عليه في إنشاء وصف أفريقيا ، ويفيدنا هذا الكتاب الجغرافي في أن مؤلفه يعتبر أحد المترجمين المسلمين الذين حفظ لنا اسمه من بين الكم الهائل من النقلة المسلمين الذين أغفلت أسماؤهم ، إضافة إلى أنه يعتبر من الرحالة المسلمين الذين كانت رحلاتهم ذات دور فعال في تنشيط حركة الترجمة ، كما أن مؤلفه يعتبر من بين المؤلفات الجغرافية التي نقلت إلى الغرب ،

واستفاد منها أيما فائدة .

- ناصر الدين على القوم الكافرين ، لأحمد بن قاسم الحجري (ت بعد ١٠٥٠هـ /١٦٤٠م) ، وهو مؤلف يتحدث فيه صاحبه عن حياته ، ورحلاته في بلاد المشرق والمغرب وأوروبا ، وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن صاحبه يعد أحد المترجمين المسلمين فترة الدراسة ، حيث ذكر ذلك في سيرته التي زودنا بها من خلال رحلاته هذه ، كما أنه سلط الضوء على أحوال المسلمين في الأندلس بعد سقوط حكم المسلمين بها ، حتى الطرد النهائي لهم ، وتحدث عن بعض مراكز الترجمة والمؤلفات التي ترجمها هو إلى اللغات الأخرى .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، لأحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م) وكتابه هذا قيم الفائدة ، لاسيما ومؤلفه عاش فترة الحكم النصراني للأندلس ، وبالتالي أعطى معلومات قيمة عن فترة تاريخ الترجمة في هذا المركز ، وعن رعاة الترجمة من الملوك النصارى ، كما أنه من المؤلفات النادرة التي تحدثت عن المسلمين المنصرين ، وبالتالي أفاد في المبحث الخاص بالمترجمين المسلمين .

ثانياً : المراجع :

- نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، لمؤلفه : ر.و.سذرن ، وقد تناول فيه أهم الأحداث والمجادلات التي تخص الجانب الديني ، وألقى نظرة عامة عن العلاقات الإسلامية النصرانية في القرون الوسطى خاصة ، وبالرغم من أن مؤلفه متعصب لبني ملته ، إلا أنه أفاد البحث في الإدلاء بمعلومات مهمة عن دوافع الترجمة ، وتوجهات المترجمين ، والبدايات الأولى لنشأة هذه الحركة .

- تاريخ مسلمي صقلية ، لميكيلي أماري ، وهو سفر ضخم في ثلاث مجلدات تحدث فيه عن جزيرة صقلية منذ تاريخها القديم حتى العصر الإسلامي ، وعصر النورمان ، وقد أفاد البحث فيما يخص حكم النورمان النصارى لصقلية ، وسياستهم بالنسبة للمسلمين ، وعن البعثات والسفارات ، وفي جانب دوافع الترجمة ، كما أدلى بمعلومات عن مدارس الترجمة في هذه الجزيرة ، وبعض المؤلفات

التي ترجمت بها .

- تاريخ الفكر الأندلسي ، لآنخل بالنثيا ؛ حيث تحدث عن الحركة الفكرية في الأندلس عامة ، وأفاد البحث في جانب مراكز الترجمة لاسيما الأندلس نفسها ، وعن المترجمين والعلوم المترجمة في هذا المركز .

- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، لألدوميلي ؛ حيث تحدث في أكثر فصوله عن المترجمين ومراكز الترجمة التي التحقوا بها ، وأبرز العلوم المترجمة ، وقد أفاد منه البحث فائدة كبيرة في أكثر فصوله .

- الفكر العربي والعالم الغربي ، ليوجين مايرز ، الذي ذكر معلومات مفيدة جداً عن المترجمين وأسمائهم كاملة ، مع ترجماتهم ، ومدارس الترجمة التي عملوا بها.

- شمس العرب تسطع على الغرب ، لزيغريد هونكة ، وبالرغم من أن الكتاب مرجع متداول كثيراً ، إلا أنه أفاد في مراكز الترجمة ، مع إعطاء صورة عامة عنها ، وعن تأثير الحضارة الإسلامية في أوروبا عن طريق المؤلفات المنقولة .

- تاريخ العلم ، لجورج سارتون ، وهو موسوعة اختصت بتاريخ العلوم منذ فجر التاريخ ، وتناول بين أجزائه العلوم ، سواء اليونانية أو العلوم عند المسلمين ، وانتقالها إلى اوروبا عن طريق الترجمة . واستفاد منه البحث في الفصل الخاص بترجمة العلوم إضافة إلى ترجمة بعض النقلة .

- الحضارة العربية في إسبانيا ، لمؤلفه : ليفي بروفنسال ، وكما هو واضح من عنوانه ، أفاد في الحديث عن مراكز الأندلس ومدارسها ومترجميها .

- تاريخ حركة الاستشراق أو الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهاية القرن العشرين ، ليوهان فوك ، أفاد البحث في الفصل الخاص بدوافع الترجمة ، والمترجمين وتوجهاتهم ، وعن أبرز العلوم المترجمة .

- في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، لمونتجمري وات ، الذي أفاد البحث في الفصل المتحدث عن البدايات الأولى عن نشأة الترجمة ، ومن ثم العلوم المترجمة وأبرز النقلة .

- الإسلام والمسيحية ، لأليسكي جورافسكي ، تناول فيه طبيعة العلاقات

الإسلامية النصرانية حتى العصر الحديث ، وذكر دوافع الغرب تجاه المسلمين في كل تحركاته ، فاستفاد منه البحث في هذا الجانب ، لاسيما الدوافع الدينية ، والفصل الخاص بمراحل الترجمة .

- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، لمؤلفه رودي بارت ، الذي أفاد البحث في فصلي مراكز الترجمة ، والمترجمين أيضاً .

- تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، لمؤلفه : لبرنارد لويس ، الذي أفاد أيضاً فيما يخص مراكز الترجمة لاسيما بريطانيا ، وبداية الاستشراق بها ، وفي الفصل الخاص بالمترجمين .

- المستشرقون لنجيب العقيقي ، ويقع كتابه في ثلاثة أجزاء تناول فيها طبقات المستشرقين ، وسيرهم في كل صقع منذ بداية الاستشراق ، وقد أفاد البحث في معظم أبوابه وفصوله .

- موسوعة المستشرقين ، لعبدالرحمن بدوي ، وهو كسابقه يتناول تراجم المستشرقين منذ بدء هذه الحركة ، وأفاد البحث أيضاً في معظم أبوابه ، ولم تقتصر الفائدة لهذا المؤلف فقط بالنسبة لعبدالرحمن بدوي ، إنما طالت أغلب مؤلفاته كدور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ودفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ودفاع عن محمد ﷺ ضد منتقديه ، والأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، وغيرها من مؤلفاته التي خدمت مجتمعة هذا البحث في جميع أبوابه وفصوله .

- المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر ، لمانويلامانثاناريس ، وهو بالرغم من حديثه عن الاستشراق في العصر الحديث إلا أنه تناول في فصله الأول معلومات قيمة عن بداية الترجمة ومراكزها لاسيما في الأندلس ؛ إذ زودنا بمدارس الترجمة بها كطليطلة وإشبيلية ، مما أثرى البحث في الفصول المختصة بالحديث عنها.

- الأندلسيون المواركة ، لعادل بشتاوي ، وأفاد البحث كثيراً فيما يخص المترجمين المسلمين لاسيما في مراكز الأندلس .

- فلسفة الاستشراق ، لأحمد سمايلوفيتش ، الذي كان له نظرته المتميزة في

الدوافع المؤدية إلى نشأة الاستشراق ، وهي بدورها خدمت البحث في فصل دوافع الترجمة .

- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، لقاسم السامرائي ، فقد ضم معلومات مهمة أفادت في الباب الثالث المخصص للحديث عن أثر الترجمة في أوروبا .

- الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، لمحمد العسري ، وهو بدوره أيضاً أفاد فيما يتعلق بدوافع الترجمة والمترجمين لاسيما المسلمين منهم .

- التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي ، وكتاب : ابن رشد في الفكر العبري الوسيط ، ودور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية ، وثلاثتها لأحمد شحلان ، التي أفادت البحث فائدة كبيرة ، لاسيما ومؤلفها أحد المتخصصين في اللغة العبرية ، وتأثير العلوم الإسلامية في اليهود على وجه الخصوص باعتبارهم نقلة للحضارة الإسلامية ، وكل معلومات هذه الكتب خدمت البحث فيما يتعلق بالمترجمين لاسيما النقلة اليهود ، وفيما يخص مناهج وأساليب الترجمة .

- رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكراً ومادة لمحمد حمادة ، وهو في جزءين ، تحدث من خلالهما عن مراكز الترجمة والعلوم المنقولة وأبرز النقلة ، ثم تناول في الجزء الثاني المترجمات التي طبعت في أوروبا ، وهو بلا شك كان مورداً لا يستهان به في أبواب هذه الرسالة .

وبالإضافة إلى هذه المصادر والمراجع فقد أفادت مجموعة من أبحاث المجلات والدوريات والندوات والمؤتمرات بمعلوماتها القيمة البحث في كثير من أبوابه وفصوله منها : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، لجمعة شيخة ، وتأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى ، لدانيال جاكار ، وطليطلة ومدرسة المترجمين ، المدرسة الأولى للاستعراب الإسباني لمحمد القاضي ، وحول مدرسة المترجمين بطليطلة ، لعبداللطيف الخطيب ، وأثر الدراسات الطبية في الأندلس على أوروبا ، لسعد البشري ، ومدرسة طليطلة

العربية وأثرها في النهضة الأوروبية لمحمد العنتابي ، وغيرها كثير مما ذكر في فهرس المصادر والمراجع .

أما بالنسبة للمراجع الأجنبية التي استفاد منها البحث ، وحوت معلومات قيمة أسهمت في بناء الهيكل العام له فهي كالتالي :

Charles Jourdain: Recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines d aristote et sur des commentaires grecs ou Arabes employes par les docteurs scolastiques.

الذي تناول فيه البحوث النقدية عن زمان ومكان الترجمات اللاتينية لأرسطو وشروح اليونانيين عليه ، ومن ثم شروحات العلماء المسلمين ، وقد أفاد البحث فيما يخص المترجمات العربية إلى اللاتينية ، وأعمال المترجمين الذين قاموا بهذه الترجمة ، كما أنه فصل في أماكن المترجمات ومراكزها ما بين صقلية والأندلس ؛ وذلك بتفصيله لبعض المترجمات التي اختصت بالملك ألفونسو ، والأخرى التي نقلت لأجل فردريك الثاني ، ومن ثم أثر هذه المترجمات في الغرب لاسيما جامعة باريس .

L.leclerc:Histore de la medecine arabe.

وقد أطنب مؤلفه في الحديث عن تاريخ الطب العربي في جزءين معتمداً على مصادر تاريخ الطب الإسلامي كابن أبي أصيبعة ، وتاريخ الحكماء للقفطي ، بالإضافة إلى أعمال ابن البيطار فيما يخص الصيدلة ، وما ضمته كتب الفهارس ومخطوطاتها ككتاب الفهرست للنديم ، وفهرس مكتبة الأسكوريال ، والمكتبة الوطنية بباريس ، واقتصرت الفائدة على هذا المرجع فيما يخص الجزء الثاني وتحديداً فصل المترجمين وأعمالهم والذي تحدث فيه عن عدد كبير من المترجمين على اختلاف طوائفهم ، مع تحديد تاريخ ولادة كل منهم ووفاته إن تيسر ذلك ، مع ذكر مركز الترجمة الذي ينتمي إليه .

F.wustenfeld:die ubersetzungen arabischer werke in das lateinische.

وهذا المرجع لمؤلفه فرديناند ويستنفلد يتناول بصورة مباشرة «المترجمات العربية إلى اللغة اللاتينية» بمعنى أنه قدم فائدة كبيرة للبحث في كافة أبوابه

وفصوله ، ولكنه لم يأت بذكر كل المترجمين أو جميع الكتب المترجمة ؛ حيث اقتصر على البعض منهم ، وبالرغم من ذلك فكان من المراجع التي استفاد منها البحث فائدة جليلة .

Moritez steinSchneider: die europaischen ubersetzungen aus dem arabishen bis mittedes ١٧.

وقد ضم بين دفتيه عدداً كبيراً من المترجمات وأسماء المترجمين الذين اضطلعوا بالنقل من العربية إلى اللاتينية ، لكنه كان يفتقد إلى الترتيب والتنظيم ، وبالرغم من ذلك فقد استفاد منه البحث فيما يخص الفصل الخاص بالمترجمين والعلوم المترجمة .

C.H.haskins: studies in the history of mediaval science.

ويعد من المراجع الأساسية في دراسة تاريخ العلوم ، ومؤلفه هاسكنز من كبار المؤرخين المهتمين بدراستها ، وقد أفاد كتابه البحث كثيراً ، لاسيما في بداية نشأة تاريخ الترجمة ، وأوائل المترجمين ، ناهيك عن المترجمين أنفسهم مع ذكر ما نقلوه من علوم .

وبالإضافة إلى هذا المؤلف للمستشرق هاسكنز ، فقد أفاد البحث من كتابه :

Renaissance of the ١٢ thcentury.

عن عصر النهضة في القرن الثاني عشر ؛ حيث أفرد فيه فصلاً بعنوان (المترجمون من اليونانية والعربية) .

وبالإضافة إلى هذه المراجع استفاد البحث من عدد من المجلات الأجنبية يأتي في مقدمتها مجلة : (AL-andalus) التي حوت عدداً من الأبحاث تعالج مواضيع تخص فصول ومباحث الرسالة . ومجلة (AL-andalus Magreb) وغيرها من المصادر والمراجع المثبتة في الفهرس الخاص بنهاية الرسالة .

التمهيد : الحالة العلمية في أوروبا إبان فترة الترجمة



التمهيد :

الحالة العلمية في أوروبا[١] إبان فترة الترجمة :

قبل أن نتحدث عن الأحوال العامة والعلمية في أوروبا فترة الترجمة ، نود أن ننوه إلى أن أوروبا مرت في عصورها الوسطى[٢] بمراحل عدة منذ النشأة إلى النمو والتطور ، ومن ثم الانتقال إلى العصر الحديث ، وقد سميت هذه الفترة الانتقالية بـ«عصر النهضة»[٣] ، الذي يعد بحق الحد الفاصل بين العصور الوسطى والعصور الحديثة .

ومع اختلاف المؤرخين في تقسيم هذه العصور ، ووضع حد فاصل لكل

---

(١) أوروبا : هي إحدى قارات العالم السبع ، وجغرافيا تُعدُّ شبه قارة أو شبه جزيرة كبيرة ، تكوَّن الجزء الغربي الممتد من أوراسيا بين جبال الأورال وجبال القوقاز وبحر قزوين من الشرق والمحيط الأطلسي من الغرب ، والبحار : البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود ومنطقة القوقاز من الجنوب ، والمحيط المتجمد الشمالي من شمال القارة . وقد عرف الجغرافيون المسلمون أوروبا باسم «أورفي» وهي تسمية يونانية محرفة ؛ وذلك لعدم وجود (V) في اللغة العربية ، كما أطلقوا عليها أيضًا اسم الأرض الكبيرة ، ربما لأنها في نظرهم أرض لا حدود لها .
انظر : ياقوت : ياقوت بن عبدالله الحموي ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : معجم البلدان ، (د.ط) ، تحقيق : فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٥ أجزاء ، ١/ ٣٣١ ؛ عبدالمنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ص١١ .

(٢) العصور الوسطى : تعرف العصور الوسطى بأنها المرحلة الزمنية الممتدة من انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام ٤٧٦م إلى سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين سنة(٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ، بمعنى أنها استمرت ألف سنة تقريبًا . انظر : سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ط١٠ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ١/ ٣٥ ؛ حسين مؤنس : الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتدهورها ، (د.ط) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ٢٠١ .

(٣) عصر النهضة : مصطلح يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة ، وتمتد من القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، عبدالحميد البطريق وعبدالعزيز نوار : التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ت) ، ٣١ .

عصر منها ، يجب التمييز بين العصور الوسطى الأولى الممتدة من القرن الخامس إلى العاشر الميلاديين ، وبين العصور الوسطى المتأخرة التي امتدت من القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلاديين أيضاً . إذ إن البدايات الأولى للتفاعل الحضاري والفكري بين العالم الغربي والإسلامي بدأت منذ القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، ثم بلغ هذا التفاعل أوجه إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، واستمر إلى مشارف العصر الحديث إبان القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي[١] .

إذن فالعصور الأكثر ظلامًا وقتامةً هي تلك التي امتدت من القرن الخامس الميلادي وحتى القرن العاشر أو الحادي عشر الميلاديين ، بعدئذٍ ابتدأت المؤثرات الفكرية والحضارية تدخل أوروبا عن طريق المسلمين[٢] .

كانت أوروبا بأرضها الشاسعة ، وأممها المختلفة تحمل سمة غالبة في ناحية الدين والعلم ؛ فبعد الصراع المرير الذي كان حاصلاً بين المسيحية والإمبراطورية الرومانية ، والذي استمر عدة قرون ، خرجت منه المسيحية في النهاية منتصرة لتصبح دين الإمبراطورية الرسمي[٣] . فمنذ سنة (٣٢٥م) دانت أوروبا بالديانة المسيحية ولكنها ليست الوحي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على عبده المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، إنما كانت ديانة نصرانية[٤] محرفة جمعت داخلها كل أنواع

---

(١) يوهان هويزنجان : اضمحلال العصور الوسطى ، دراسة لنماذج الحياة والفكر والفن بفرنسا والأراضي المنخفضة ، (د.ط) ، ترجمة : عبدالعزيز نوفيق جاويد ، المكتبة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ٢٦٧ ؛ هاشم صالح : مدخل إلى التنوير الأوروبي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م ، ٢٩ .

(٢) صالح : مدخل إلى التنوير الأوروبي ، ٢٩ ، كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ط١ ، سينا للنشر ، ٥٥ .

(٣) جلال مظهر : الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث ، (ط.د) ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ٣٨ ؛ محمود محمد مزروعة : مذاهب فكرية معاصرة ، عرض ونقد ، ط١ ، دار الرضا ، بني سويف ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٤٢ .

(٤) النصرانية : هي الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام ، مكملة لرسالة موسى عليه السلام ، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل ، داعية إلى التوحيد والفضيلة

الشرك والخرافات التي لفقتها عقول البشر ، وما كسبته من وثنيات الأمم[١] السابقة[٢] يقول برنتن : «إن المسيحية الظافرة في مجلس نيقيه[٣] -العقيدة الرسمية- في أعظم إمبراطورية في العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل[٤] ، ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد[٥] التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من =

والتسامح ، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً ، فسرعان ما فقدت أصولها مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها ، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية . الشهرستاني : أبي الفتح محمد بن عبدالكريم (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م) : الملل والنحل ، ط١ ، تحقيق : عبدالأمير مهنا ، علي فاعور ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ١/٢٦٢ ؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط٣ ، إشراف : مانع الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ٢/٥٧٤ .

(١) ورثت أوروبا في ديانتها الجديدة (النصرانية) ما كان سائداً من وثنيات في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط على وجه الخصوص كالديانة اليهودية ، والعقيدة المترائية وهي عقيدة وثنية قديمة قوامها الكاهن والمذبح ، والأفلاطونية الحديثة وهي عقيدة فلسفية تتلخص في أن العالم يتكون من ثلاث عناصر : المنشئ الأزلي الأول ، والعقل ، والروح ، إضافة إلى أخذها من الوثنية المصرية التي كانت تعبد عدة آلهات ، ومن الوثنية الرومانية التي من أهم مبادئها التثليث وعبادة الإمبراطور وتقديس الصور والتماثيل وعبادتها . انظر : سفر بن عبدالرحمن الحوالي : العلمانية نشاتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ط١ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (د.ت) ٢٩-٣٠ ؛ أبكار السقاف : الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين ، ط١ ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ٢٥٤ .

(٢) محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ط٨ ، ترجمة : عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص٤١ ، عبدالرحمن بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، دراسات لكبار المستشرقين ، ألف بينها وترجمها : عبدالرحمن بدوي ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦م ، ١٨-١٩ .

(٣) نيقية : مدينة نيقية من أعمال اسطنبول على البر الشرقي ، وهي المدينة التي عقد بها أول مجمع مسكوني للنصارى حول مذاهبهم ، وهي اليوم مدينة تركية على بحيرة إيزنيق . ياقوت : معجم البلدان ، ٥/٣٨٤ .

(٤) الجليل : مدينة في ساحل الشام إلى القرب من حمص ، وتكون منطقتها مرتفعات شمال فلسطين حتى جبل عامل في جنوب لبنان . ياقوت : معجم البلدان ، ٢/١٨٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٤/٢٠٦ .

(٥) العهد الجديد : هو أناجيل النصارى التي تعد مفسرة لما جاء في التوراة على حد زعمهم ، وتتكون هذه =

ذلك قطعاً بأن مسيحية القرن الرابع لا تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل إن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً»[١] .

أما عن أسباب ذلك الصراع الرهيب الذي كان بين المسيحية والدولة الرومانية فهو أن الدولة الرومانية كانت تعتبر أنها صاحبة الحق الأعلى الذي لا ينازعها فيه منازع -في تنظيم شئون الفرد الخاضع لسلطانها سواء شئونه الداخلية أم الخارجية ، وكانت فوق ذلك تعتبر الخير الأسمى والموئل الأعلى ، وأن كل الفضائل إنما تتمثل في خدمتها والولاء لها ، وأن واجب الفرد ينحصر في الدفاع عنها وعن مبادئها ، وأن حياته ينبغي أن تكون أولاً وأخيراً مكرسة لها . وهذه الفكرة كانت -ولا شك- سبباً كبيراً من الأسباب التي جعلت الرومان يتخذون من أباطرتهم آلهة يعبدونها ، وذلك أن فكرة الدولة عند هذا الشعب كانت قد تجسدت في الإمبراطور ذاته[٢] .

وهذه الفكرة أيضاً كانت على تناقض مع الفكرة التي بشرت بها المسيحية ، وهي أن المملكة الوحيدة الخالدة ليست روما ، ولا الإمبراطورية الرومانية ، وإنما هي مملكة المسيح[٣] ، ويصف دريبر هذه الحالة بقوله : «في خضم ذلك العالم الذي طغت عليه لاهوتية غامضة غير مفهومة للعوام ، حيث كان كبار رجال الإكليروس[٤] في روما والقسطنطينية والإسكندرية يكافحون ويناضلون في سبيل

=

الأناجيل من سبعة وعشرين سفراً يمكن وضعها في ثلاثة أقسام ، هي : الأسفار التاريخية ، والأسفار التعليمية ، ورؤيا يوحنا اللاهوتي . أحمد شلبي : المسيحية ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ٢٠٦-٢٠٨ .

(١) الحوالي : العلمانية ، ٣١ .

(٢) رأفت عبدالحميد : الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى ، (د.ط) ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ١٤ ؛ مظهر : الحضارة الإسلامية ، ٣٨-٣٩ .

(٣) توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م ، ٤٧ .

(٤) كليروس : هو النظام الكهنوتي الخاص بالكنائس النصرانية ، ولم يظهر هذا النظام إلا في القرن الثالث الميلادي متأثراً بالرتب الكهنوتية عند الجماعات الوثنية . سعد رستم : الفرق والمذاهب المسيحية منذ
=

السيادة على رأس جيش جرار من المحاربين ، وحيث كان القساوسة يرتكبون أفظع جرائم القتل والتعذيب والتنكيل والخيانات ، ويشعلون نار الحروب الأهلية في سبيل منافعهم الدنيوية ، وحيث كان البطاركة[1] يحرم بعضهم البعض من الكنيسة ويلعن الواحد منهم الآخر في غمرة منافساتهم من أجل السلطة والسلطان ، وحيث أحدث الرهبان الرعب والفزع وأثاروا الشغب في المدن الكبرى ، وحيث كان الجهل رأس العبادة وأسلوب المجتمع في الحياة ، بينما كان العلماء يلاقون اللعنة والاحتقار -عندئذ ماذا تكون النتيجة في مثل هذه الدنيا ، وبمثل هؤلاء الذين وصفنا معلمين أخلاقيين ، غير السآمة واللامبالاة ، لهذا لم يكن من المتوقع إذا دعت الضرورة ، أن يهب الرجال مدافعين عن نظام فقد كل مقوماته في قلوبهم»[2] .

والحق أن المسيحية اتخذت في أول عهدها صورة المجتمع الذي ظهرت فيه ، ولم يستطع الرجال في ذلك الوقت وفي خلال زمان طويل بعد ذلك أن يكونوا شيئاً آخر غير ما فطروا عليه ، فطبعوا هذاالدين التسامحي التعاوني بكل ضروب القسوة والشقاء والجهل الكامن في نفوسهم ، وجردوه من كل معاني الإنسانية الجمالية . لقد عجزوا عن أن يدركوا تعاليم الأخوة والمحبة والتعاون ، تلك المعاني التي كانت فوق طاقاتهم وفوق مفاهيمهم ، وقوف ذلك أداروا ظهورهم للعلم والعلماء ، وتناولوا بعض الآيات من الكتاب المقدس ، وفسروها تفسيراً حرفياً وتمسكوا بهذا التفسير باعتباره المعتقد العلمي الصحيح ، وراحوا يهدمون في أصول العلم هدماً

=

ظهور الإسلام حتى اليوم ، ط١ ، الأوائل للنشر ، دمشق ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٥٢ ؛ الموسوعة الميسرة ، ٢/٩٨٠ .

(١) البطاركة : البطريك : كلمة معربة عن اليونانية معناها الأب الرئيس ، ويطلقه النصارى على بعض الرؤساء الدينيين من القساوسة والكهان . ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ثلاثون جزءاً ، ١٢/١٤٩ ؛ الموسوعة الميسرة ، ٢/٩٩٩ .

(٢) مظهر : الحضارة الإسلامية ، ٤٣-٤٤ .

لا هوادة فيه[١] .

أضف إلى ذلك أن روما ذاتها كانت قد بدأت من قبلهم في هدم العلم القديم وتقويض الحضارة العلمية التي خلفها اليونان ، فالرومان بغطرستهم الوطنية وصلفهم ونظام استعبادهم البغيض وتفرقتهم العنصرية وقسوتهم وظلمهم وكبحهم للشعوب التي حكموها والتي كانت موئل الحضارة ، حطموا فيها روح الخلق والابتكار والشعور بالاستعلاء ، وقضوا بهذا على شعوب البحر المتوسط وعلى رغبتها في التطلع إلى ما هو أحسن ، وبذلك حطمت روما حضارة العصور القديمة ، ولم تعوض عالم الحضارة عنها شيئاً ، وإنها لحقيقة ذات بال أن روما لم تكن في أي من عصورها مركزاً من مراكز الثقافة مثل عين شمس[٢] في عصر ازدهار حضارة مصر القديمة ، أو أثينا[٣] والاسكندرية في عصر ازدهار الحضارة اليونانية[٤] .

وهكذا بدأ العلم اليوناني الذي تركزت فيه جميع جهود الحضارات السابقة كالمصرية والبابلية يضمحل بنهاية القرن الثاني الميلادي ، ويسير نحو الانهيار ، حتى إذا ما أتى القرن الثالث الميلادي لم يكن قد بقي من مدارس العلم غير مدراس الفلسفة كالأكاديمية التي أسسها أفلاطون[٥] في أثينا ، ولكنها بالرغم من ذلك

---

(١) نفس المرجع ، ٤٤ .

(٢) عين شمس : اسم مدينة فرعون موسى بمصر ، بينها وبين الفسطاط ثلاث فراسخ ، وكانت مدينة كبيرة ، ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٢٠٢ .

(٣) أثينا : هي عاصمة اليونان وأكبر مدنها ، ويعود اسم المدينة لأثينا إلهة الحكمة الإغريقية ، وهي تقع جنوب اليونان ، ويبلغ تاريخ المدينة حوالي خمسة آلاف سنة . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢/٥٦٩ .

(٤) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ٣٥٩ ؛ دي لاسي أوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، (د.ط) ، ترجمة : وهيب كامل ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ٢٣ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٤٥ .

(٥) أفلاطون : من أبرز فلاسفة اليونان ، له كتب لم يسبق إليها ، توفي وله من العمر ثمانون سنة ، النديم : محمد بن إسحاق (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) : الفهرست : ط٢ ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ،

كانت قد فقدت نضارتها وقوتها[١] .

وبعد فإن أسباب ركود العلم في أوروبا في تلك الفترة تركزت على ثلاثة عناصر : الرومان أنفسهم الذين تمسكوا بعنصريتهم وفظاظتهم ، ورجال الكنيسة ، والدين النصراني ذاته كما فسره هؤلاء الرجال ، ومن ثم جرَّت الكنيسة التي كانت تمثل رمز الدين والعلم معاً على نفسها الويلات بسبب هرطقتها وانحرافها ، حيث استأثرت بتفسير النص الديني ، وزعمت أنه يحتوي على أسرار ، وأنها وحدها هي

من يعلم حقيقة هذه الأسرار ، وأن الناس لا ينبغي لهم التفكير فيها والتفتيش عنها ، لأنهم عاجزون عن إدراكها ، ومهمتهم التسليم المطلق بمقولات الكنيسة ، وبذلك تم الحجر على العقل البشري الذي استمر عدة قرون حتى جاءت النهضة وجاء عصر الإصلاح[٢] .

نرجو أن لا نكون قد بالغنا في وصف التأخر العلمي في هذا العصر ، ولعل قائلا يقول : أين نهضة الإمبراطور الفرنجي شارلمان (charlemagne)[٣] ، التي كانت بمثابة إرهاصات للنهضة العلمية الكبرى؟ وما اتسمت به من ظهور علماء مثل : ألكوين (Alcuin)[٤] وثيودلف (Theodlv)[٥] ، وغيرهما ، وما تميزت به من

=

بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، ٣٠٤ ؛ ابي أبي أصيبعة : أبوالعباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار حنا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م ، ٨١ .

(١) مظهر : حضارة الإسلام ، ٤٦ .

(٢) محمد قطب : مغالطات : ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ١٢ .

(٣) شارلمان : ولد سنة (١٢٥هـ/٧٤٢م) ، في مكان غير معروف ، وكان يجري في عروقه الدم الألماني ، وينطق باللسان الألماني ، ثم تولى الحكم وعمره تسعة وعشرون سنة ، وفي سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) توج إمبراطورًا للإمبراطورية الرومانية . إينهارد : سيرة شارلمان ، ط١ ، ترجمة : عادل زيتون ، دار حسان ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ٥٠-٥٢ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٤/٢٢٩-٢٥٥ .

(٤) ألكوين : ولد في يورك حوالي سنة (١١٧هـ/٧٣٥م) ، كان له باع طويل في النهضة الكارولنجية ، وأحد رجال بلاط الإمبراطور شارلمان ، وتوفي سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م) ، ديورانت : قصة الحضارة ، ١٤/٢٣٧ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٤٣-٥٥ .

(٥) ثيودلف : كان من المبرزين في بلاط شارلمان ، ومن أشهر سفراء عصره ، وقد شغل منصب أسقف =

إنشاء مراكز علميَّة في طول أوروبا وعرضها ، وما دُرِّس في هذه المراكز من مختلف العلوم كالقانون ، والأدب ، واللغة ، والفنون[١] .

أين بقيَّة النهضات العلمية ، التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى ، والتي ظهر لها علماء في العلوم الاجتماعية ، والطبيعية ، والتطبيقية وغيرها؟

فللإجابة على الشق الأول من هذا السؤال ، وهو النهضة «الكارولنجية»[٢] ، التي ظهرت في عهد الإمبراطور شارلمان ، نجد أنها لم تكن ذات تأثير كبير على الحياة العلمية في العصور الوسطى ، لأسبابٍ[٣] عدة :

١ - أن هذه النهضة نهضة مصطنعة ، حدثت بفعل فاعل ، فهي ليست نهضة تلقائية شاملة منبعثة من عوامل ومؤثرات حضارية كامنة ، وإنما ولدت في بلاط الملك ، ونمت وترعرعت فيه ، وظلت ربيبة شارلمان وخلفائه المباشرين ، إلى أن ماتت وخمدت جذوتها بالسرعة التي ظهرت بها ، فهي نهضة ضعيفة الأفق قصيرة العمر ، يقول ديورانت : «يجب ألا نغالي في تقصير القيمة الفعلية لذلك العهد ، فلقد كان هذا البعث المدرسي أشبه بيقظة الأطفال منه بالنضوج الثقافي الذي كان قائمًا بالقسطنطينية ، وبغداد ، وقرطبة ، فلم يثمر هذا البعث كُتَّابًا كبارًا من أي نوع كان»[٤] .

=

أورليان ما بين سنتي (٧٨٦-٧٩٤م) . عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ٢/ ٥٧ .

(١) الفنون جمع فن وهو كل إنتاج بشري يحقق الراحة للإنسان ويحدث في النفس طرباً وفي العواطف الإنسانية سموا مع الشعور بالجمال والإبداع . محمود وصفي محمد : دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ، (ط.د) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ٢٠ .

(٢) النهضة الكارولنجية : نسبة إلى شارل أو كارل العظيم «شارلمان» أشهر حكام تلك الأسرة ، وهي أسرة حكمت أوروبا الغربية ، وقد جاءت التسمية من أن عددًا من أبنائها كانوا يدعون كارل أو شارل «sharles» ، وقد تسمى ثمانية منهم بهذا الاسم من بداية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي إلى نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/ ٢٧ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ١٤/ ٢٢٧ .

(٣) انظر جميع هذه العوامل : عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ٢/ ٤٠-٤١ .

(٤) قصة الحضارة ١٤/ ٢٣٨ .

٢ - لم يكن شارلمان في اهتمامه بنشر العلم والثقافة مهتمًّا بخدمة العلم لذاته ، وإنما كانت له أهداف دينية وسياسية[١] وراء هذا الاهتمام .

٣ - كذلك نلاحظ أنَّ هذه النهضة كانت حركة إحياء أكثر منها حركة ابتكار وتجديد ؛ فإن الدور الأساسي لها انحصر في المحافظة على التراث اللاتيني القديم .

٤ - اتجهت هذه النهضة اتجاهًا دينيا بحتًا ، حيث كان شارلمان معنيا بالجدل الديني اللاهوتي بصفة خاصَّة ، وتحت رعاية الكنيسة ومراقبتها .

٥ - لم يكن مؤسس هذه النهضة –شارلمان- رجل علم ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، بل إنَّ إينهارد «Einhard»[٢] كاتب سيرته يقول إنه لم يحاول أن يتعلم الكتابة إلا بعد تقدمه في السن ، وإنه لم يتقنها أبدًا بالرغم من اجتهاده ومثابرته[٣] .

إذن ، فلا غرو أن تتلاشى هذه النهضة بسرعة ، وتكون عديمة الأثر فيما بعد ؛ لأنها لم تكن عميقة الجذور فتنمو وتكبر ، وإنما كانت سطحية وتحت سيطرة الكنيسة المحرك الرسمي للعلم آنذاك .

أما بالنسبة لبقية مناحي الحياة العلمية ومناشطها وأعلامها في هذا العصر ، فنلاحظ أنه لم يخلُ من علماء مشهورين ، كما أنه لم يكن خاليًا من مراكز العلم ما بين أديرة ومدارس ومكتبات متفرقة في مختلف المدن الأوروبية ، إضافة إلى وجود عدد

---

(١) كانت رعاية شارلمان للتعليم في حقيقة أمرها ، ذات أهداف سياسية ودينية مرسومة ، هي العمل على رفع مستوى رجال الدين من ناحية ، والاستفادة من المتعلمين في إدراة جهاز الحكم من ناحية أخرى ، فشارلمان كان -بوصفه راعيًا للكنيسة الفرنجية- في حاجة إلى من يعينه في الإشراف على تلك الكنيسة وحل مشاكلها ، فضلا عن المشاكل الدينية الأخرى المعاصرة داخل دولته وخارجها ، وبوصفه حاكماً للدولة كان في حاجة أيضًا إلى من يساعده في النهوض بمطالبها السياسية والإدارية ، عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٦١ .

(٢) إينهارد : كان من أعظم المقربين إلى الإمبراطور شارلمان ، حتى إنه استطاع تأليف كتاب عن سيرته ، وقد تزوج إينهارد ابنة شارلمان ، وظل يترقى في البلاط الإمبراطوري ، ثم آثر حياة الرهبنة بعد وفاة الإمبراطور ، توفي سنة (٢٢٥هـ/٨٣٩م) . نفس المرجع والجزء والصفحة ؛ إينهارد : سيرة شارلمان ، ٩-١٠ .

(٣) إينهارد : سيرة شارلمان ، ١٣٧ .

من الكتب والمخطوطات التي زخرت بها هذه المكتبات والمراكز ؛ لكن لا يمكن الحكم على تلك الحركة الفكرية إلا بالرجوع إلى مراكز العلم فيها وما تبنته من مناهج للتعليم في مختلف التخصصات .

فمن جانب المراكز ، فكما سبق ذكره ، نجد أن الهيئة التنظيمية للعلم هي الكنيسة بكافة أقسامها وفروعها ، سواءً الأديرة[١] ، أو المدارس الدينية ، أو الكاتدرائيات[٢] ، أو المكتبات التي أنشئت داخل هذه الأقسام .

ومعروفٌ أن الكنيسة قد أعلنت صراحة سيادة الجانب الديني في التعليم ، والقضاء على ما سواه ، حتى إنها قضت على ما كانت هي نفسها قد اقتبسته من الحضارات السابقة[٣] .

وقد أعلن رجال الدين : «أن الفكر الإغريقي لعنة على البشرية»[٤] ، وأن استخدام العقل للبحث في الطبيعة وعجائبها بدلًا من الاهتمام بتعاليم الديانة الجديدة وأبحاثها ينظر إليه على أنه إساءة لاستخدام القوى التي منحها الله لعباده[٥] .

فلا عجب -والحالة كهذه- أن يكون الهدف العلمي هدفاً دينياً بحتاً ، وأن تنشأ المدارس التي تضارع في ضخامتها قباب تلك الكنائس لخدمة مبادئ الدين ، وأن تقتصر المكتبات لخدمة الأديرة ، وأن تكون الكتب حكرًا لا يطلع عليها إلا الرهبان ، حاملة بين دفتيها علوم اللاهوت والدين فقط .

(١) الأديرة : جمع دير ، وهو مكان خاص عند النصارى ينعزل فيه الرهبان والراهبات ، وكانت في البداية أماكن للعبادة ، ثم ما لبثت أن أصبحت مراكز للتعليم ، الموسوعة العربية العالمية ، ١٠/٥٥٥ .

(٢) الكاتدرائيات : جمع كاتدرائية ، وتعني تحديدًا الكنيسة الرئيسية بمعنى أنها تحوي تقليديا كرسي الأسقف المحلي ، أو مطران الأبرشية لكونها الكنيسة التي يقيم فيها خدم الكنيسة ، موسوعة الأديان الميسرة ، ط٢ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ٤١١ .

(٣) لقد اختفت مراكز الثقافة الإغريقية واحدًا إثر واحد ، وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة في أثينا عام ٥٢٩م ، وأحرقت في روما عام ٦٠٠م مكتبة البلاتين . هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٣٦٢-٣٦٦ .

(٤) نفس المرجع ، ٣٦١ .

(٥) نفسه .

والنصوص الدينية المحرفة حرية في إحباط العلم وتجميده ، يقول أحد الباحثين : «لما كان العهد القديم[١] كتاب إصلاح لجماعة محدودة من البشر في فترة مدة من الزمن ، فإن قضايا العلم وموضوعاته لا تحتمل أي مكان يعتد به في أسفاره وإصلاحاته ؛ لأن العلم يتطلب استقرارًا روحيا واجتماعيا ، ودافعا إيمانيًا لخدمة بني الإنسان ، وكلها عوامل افتقدها شعب العهد القديم ؛ لذلك لا يمكننا – بحال - الحديث عن أثر العهد القديم في إسهام علمي أو معرفي عبر التاريخ ، بل يمكن الحديث عن معلومات وعراقيل وضعها العهد القديم أمام التطور العلمي ، ...يقول بولس[٢] الرسول : «حكمة هذا العالم حماقة عند الله إن الرب عليمٌ بأفكار الحكماء ويعلم أنها باطلة» . ولذلك استأسدت الكنيسة في حربها ضد العلم والعلماء»[٣] .

ومما يعزز هذا الأمر وجود العديد من الشواهد التي تدل على محاربة الكنيسة للعلوم بأنواعها : ففي سنة (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد في باريس رجال الدين بشدة إلى عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية ، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر ، فقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة ، وعاق كل بحث علمي ، وأجبر كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقداتِ الكنيسة هذه على إنكار ما قالوه من النظريات العلميَّة ، وإلا كان مصيرهم الحرق العلني بالنار

---

(١) العهد القديم : هو التسمية العلمية لأسفار اليهود ، وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم ، وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل ، وقد تنوعت الآراء والمواقف حول كتابة العهد القديم ، وعدد أسفاره بين طوائف اليهود والنصارى . أحمد شلبي : اليهودية ، ط١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ٢٣٨ ؛ موسوعة الأديان ، ص٣٧٢ .

(٢) بولس : هوشاول الطرطوسي اليهودي الفريسي ، صاحب الثقافات الواسعة بالمدارس الفلسفية والحضارات في عصره ، وتلميذ أشهر علماء اليهود في زمانه عمالائيل ، كان عدوا للمسيحية ، ثم تنصَّر ، وقد عدته الكنيسة من الرسل ، وبات اسمه بولس الرسول ، ورسائله التي كتبها أربع عشرة رسالة . ديورانت ، قصة الحضارة ، ١١/٢٤٩ ؛ موسوعة الديان ، ١٥٠ .

(٣) عبدالراضي محمد عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ط١ ، البيان ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ص١٧٧-١٧٨ .

لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الإلهية[١] .

أما عن المكتبات[٢] في هذا العصر فقد كانت مقصورة على الأديرة ، وكانت أغلب الكتب تبحث في اللاهوت ، وهي مكتوبة باللغة اللاتينية ، ولا يطلع عليها إلا الرهبان ، فقد حوت اكبر مكتبة في أوروبا آنذاك ، وهي مكتبة كاتدرائية مدينة كونستانس(konstanz)[٣] ثلاثمائة وأربعة وخمسين كتابًا فقط ، أغلبها كتب دينية[٤] .

وقد فرضت الكنيسة رقابة صارمة على الكتب ، فحرمت ما شاءت منها على الناس ، وأباحت لهم ما شاءت ، وأصدرت لهم قائمة الكتب التي حرمتها ، مما أدى إلى ندرة الكتب وقلة انتشارها ، فأصبحت لا تنتقل إلا في حدودٍ ضيقة . كما أنها كانت غالية الثمن دائمًا[٥] .

إنها لمناقضة واضحة لدى «ول ديورانت» في حديثه عن الكتاب في هذا العصر ، فهو يقول : «كان ينتقل من قطر إلى قطر بسرعة وحرية غير معروفين في هذه الأيام»[٦] ، ثم يعود ليقول : «لقد أدى ارتفاع أثمان الكتب ، وقلة الأموال

---

(١) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٣٧٢ .

(٢) لم يكن عالم العصور الوسطى يعرف المكتبات المنظمة التي وجدت عند المسلمين ، فعندما يذكر لفظة مكتبة فلا يقصدون بهذا اللفظ بناءًا مستقلًا أو حتى غرفة قائمة بذاتها مخصصة لحفظ الكتب ؛ لأن اللفظ الشائع الذي استخدم عندئذٍ للتعبير عن المكتبة كان لفظ «Armorium» ومعناه غرفة نسخ الكتب . عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ١٠٣/٢ .

(٣) مدينة كونستانس الألمانية ، أشتهرت في العصور الوسطى بالتجارة ، بسبب موقعها الاستراتيجي الملائم الذي يربطها تجاريًا بشمال إيطاليا وفرنسا . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٩٥/٢ .

(٤) ر.و.سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، ط١ ، ترجمة : علي فهمي خشيم ، وصلاح الدين حسن ، مراجعة : عمر الدسوقي ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، ٢٦-٢٧ ؛ محمد ماهر حمادة ، المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، ط٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ص٢١٠ .

(٥) توفيق الطويل : الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية ، (د.ط) ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٠ ؛ قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ط١ ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ٢٧ .

(٦) قصة الحضارة ، ٢/١٧ .

اللازمة لإنشاء المدارس إلى انتشار الأمية»[١] .

ومعروف أن ارتفاع أثمان الكتب لا يأتي إلا بسبب ندرتها ، وبما أنَّ الأميَّة منتشرة فأي سرعة ينتقل بها الكتاب إذا لم يجد من يحسن قراءته؟ .

يقول أحد الباحثين : «كان جهل العصور الوسطى يرجع في الكثير الغالب إلى ندرة الكتب وقلة انتشارها ، فالأسباب مختلفة لم تكن الكتب تنتقل إلا في حدود ضيقة جدًا ، ومن ثم كانت الكتب غالية الثمن دائمًا»[٢] .

ومن أكثر ما يدلُّ على الإهمال التام للكتب ، أن إزالة المخطوطات ومحوها كان يتخذ في أحد الأديرة مهنة مألوفة ، فقد كانوا يمحون الكتابة القديمة ليكتبوا مكانها شيئًا جديدًا ، وفي العصور الحديثة كُشف كثيرٌ من أفضل النصوص وأقدمها مكتوبة تحت نصٍّ أحدث منها[٣] .

يقول لوبون (lebon) : «إن أكثر رجال النصرانية معرفة كانوا من الرهبان المساكين الجاهلين ، الذين يقضون أوقاتهم في أديارهم ليكشطوا كتب الأقدمين النفيسة بخشوع ، ذلك عندما يكون عندهم من الرقوق ما هو ضروري لنسخ كتب العبادة»[٤] .

وكان الشخص الذي يريد الحصول على كتابٍ ما يقوم بنسخه بنفسه أو يستأجر ناسخًا محترفًا ، وبصفة عامة كانت الكتب بكافة أنواعها وتخصصاتها نادرة الوجود[٥] .

---

(١) نفس المرجع ، ١٧/ ٢٣ .

(٢) كلتون : عقل العصور الوسطى ، ضمن موسوعة تاريخ العالم ، (د.ط) ، نشره : السير جون هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ، (د.ت) ستة أجزاء ، ٥/ ٤٤٢ .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ،١٧/ ٩ .

(٤) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة(د.ت) ، ٥٦٦ .

(٥) شعبان خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، جزءان ٢/ ٤٤ ، وشتان ما بين الكتب في الغرب الأوروبي والعالم الإسلامي في تلك الفترة ، ففي الوقت الذي كانت فيه الكتب نادرة الوجود في أوروبا ، كان العالم الإسلامي تنسخ فيه الكتب ، ويتداولها طلاب العلم والعلماء بسرعة عجيبة ، فقد ذكر عن مقامات الحريري

ولا يفوتنا في هذه العجالة أن نلقي نظرة على بعض العلوم وتدريسها في هذا العصر ، فبالنسبة للعلوم الاجتماعية ، نجد أن علم التاريخ مثلًا ، كان لا يعدو تدوينه حوليات موجزة في بعض الأديرة ، تتناول أحداث السنوات في إيجازٍ شديد بحيث لا يتجاوز التاريخ للسنة الواحدة سطرًا واحدًا[١] .

وكان سبب جهل العصور الوسطى بهذا العلم ، هو احتكار الرهبان له حيث فرضت عليهم الحياة الديرية الانعزال عن ألوان الحياة المختلفة ، مما جعل كتاباتهم ضعيفة ، ضيقة الأفق ، شديدة الاقتضاب ، وهذا ينم عن ضعف الحاسة التاريخية ، وتدني المستوى الفكري لمؤرخي العصور الوسطى عامة[٢] .

أما علم الجغرافيا فلم يحرز تقدمًا آنذاك ، وكانت المعلومات الجغرافية المعروفة لا تتجاوز ما كتبه القدماء أمثال : بطليموس[٣] ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى النصف الأخير من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي[٤] .

وعلى العكس من ذلك ، فقد شهدت دراسة القانون تقدمًا ملحوظًا في

=

(ت٥١٦هـ/١١٢٢م) أنها لم تكد تظهر في بغداد النسخة الأولى منها ، حتى باشر النساخون نسخها ، والعلماء قراءتها ، فيذكر ياقوت الحموي أن الحريري وقع بخطه في شهور سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م على سبعمائة نسخة ، بل قد وصلت شهرتها إلى الأندلس في وقت مبكر . ياقوت : أبوعبدالله ياقوت الحموي ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم الأدباء ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، خمسة أجزاء ، ٤/٦٠٠ .

(١) سعيد عاشور ، سعد عبدالحميد ، أحمد العبادي : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، (د.ط) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص٦٦ .

(٢) محمد عبدالشافي المغربي ، العصور الوسطى الأوروبية ، رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط١ ، دار الوفاء للطباعة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ٦٦ .

(٣) بطليموس : هو بطليموس الثاني الملقب بفيلادلفوس «أي محب أخيه» ، ولد في سنة ٣٠٩ق.م ، وحكم من سنة ٢٨٥-٢٤٦ ق.م ، وكان بارعًا في الفلسفة والطب والتنجيم ، وله كتاب المجسطي ؛ ابن جلجل : سليمان بن حسان الأندلسي ، (ت بعد ٣٨٤هـ/٩٩٤م) ؛ طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، ص٣٥ ؛ النديم : الفهرست ، ص٣٢٩ .

(٤) عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ٢/١٥٧ .

العصور الوسطى ، لا سيما القانون الكنسي ، وهو القانون الـذي ترجـع مبادئـه إلى عصر الإمبراطورية ، والمقصود بالقانون الكنسي ، القانون الديني الذي أخـذت بـه الكنيسة صاحبة السلطة العليـا ، ولهـا أراضـيها الواسـعة ، ورعاياهـا مـن جمهـور النصارى في مختلف البلدان الغربية ، كما كانت لها أحكامها وقوانينها ومحاكمها بـل سجونها ، وهكذا تمتع رجال الكنيسة بسلطة قضائية واسعة وصـارت دور القـضاء الكنسية تباشر نفوذًا واسعًا في غرب أوروبا ، والمعروف أن القانون الكنسي يـستمد أحكامه من الكتاب المقدس وأقوال القديسين ، زيادة على قرارات المجـامع الدينيـة والمراسم البابوية[1] ، وقد اعتبرت قوانين جستنيان[2] المدنية المعروفة باسم « corpus juris civilis» هي أساس التعليم كلـه ؛ وذلـك أن القـانون المـألوف في أوروبـا في العصور الوسطى لم يكن على الإطلاق موضوعاً للدراسة . وكان الكتـاب الرئيـسي في هذا الصدد «شرح القوانين» أو «الديجست - Digest» الذي يلخص ذروة ما بلغه علم القانون الروماني . وبالإضافة إلى ذلك فقد اهتم الفلاسفة بمؤلفات أرسطو في دراستهم للقانون[3] .

وعلى كلٍّ ، فقد شغل القانون الكنسي ميداناً واسعاً في هذا العـصر ، ولم يكـن يقتصر على تكوين الكنيسة ، وعقائدها ، وأعمالها ، بل يبحث فوق ذلك في القواعد التي تعامل بمقتـضاها غـير النـصارى في الـبلاد النـصرانية ؛ وفي الأحـوال المدنيـة كالزواج والطلاق ، والوصايا وغيرها . كما بحث عن قواعد تنظيم المدارس ، ومـا

---

(١) ج.ج.كولوستون : عالم العصور الوسـطى في الـنظم والحـضارة ، ط١ ، ترجمـة وتعليـق : جوزيـف نـسيم ، مؤسـسة شـباب الجامعـة ، الاسـكندرية ، ١٩٨٣م ، ٢٤٧ . عاشـور ، أوروبـا العـصور الوسطى ، ٢/٤٠٥-٤٠٦ .

(٢) جستنيان : أشهر أباطرة الدولة البيزنطية ، حكم مـن (٥٢٧-٥٦٥م)وبلغـت الدولـة في عهـده أوج عظمتها . هـ.ج.ولز : معالم تـاريخ الإنـسانية ، ط٣ ، ترجمـة : عبـدالعزيز جاويـد ، لجنـة التـأليف والترجمـة للنـشر ، القـاهرة ، ١٩٧٢ ، أربعـة اجـزاء ، ٣/٧٣٧ . ديورانـت : قـصة الحـضارة ، ١٢/٢٢٤ .

(٣) ش.هـ. هاسكنز ، نشأة الجامعات في العـصور الوسـطى ، ط١ ، ترجمـة : جوزيـف نـسيم ، منـشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧١م ، ٣٠٥-٣٠٦ .

يجب أن تكون عليه المحاكم الكنسية والبابوية[١] .

مرة أخرى ولحديثنا عن الفلسفة[٢] وعلومها في العصور الوسطى نجد أن النصرانية امتزجت بالفلسفة اليونانية الوثنية ، ومن ثم لم تعد المسيحية دينًا سماويًا خالصًا يقوم على التوحيد ، بل أصبح يقوم على التثليث[٣] وتعدد الآلهة والأرباب ، وبعد هذا التحريف الذي شاركت فيه وصبغته الفلسفة اليونانية ، كان من الطبيعي أن تعتنق الكنيسة المنطق[٤] اليوناني والعلوم اليونانية الأخرى وتعرضها للناس ، بل وتعتبر ذلك كله جزءًا لا يتجزَّأ من العقيدة والدين[٥] .

---

(١) ديورانت ، قصة الحضارة ، ١٦/٤٦-٤٧ .

(٢) الفلسفة : كلمة يونانية مركبة من كلمتين «فيلا» بمعنى الإيثار وجعلها فيثاغورس بمعنى محبة ، «وسوفيا» بمعنى : الحكمة ، فلما عربت قيل فيلسوف ، ثم اشتقت الفلسفة منه ، ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح . الخوارزمي : أبي عبدالله محمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) : مفاتيح العلوم ، ط١ ، تحقيق : نهى النجار ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ١٦١ ؛ مجموعة مؤلفين : المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ص١٣٨ .

(٣) التثليث : كلمة التثليث مشتقة من الثلاث ، وهي من العقائد المستحدثة عند النصارى وتعني أن الله واحد ، وهو ثلاث أقانيم متساوية في الجوهر : الله الأبد ، الله الإبن ، الله روح القدس ، وأول من أدخلها في النصرانية بولس اليهودي ، الذي استعارها من الوثنيات القديمة لاسيما المدرسة الفلسفية المسماة «الفلاطونية الحديثة» وعنها نقل بولس هذه العقيدة ، والتعديل الذي أدخله على الأفلاطونية شكلي فقط ، فالمنشئ الأزلي الأول فيها يقابله عنده الله الأب ، والعقل المتولد عن المنشئ الأول يقابله الله الابن ، والروح الكلي يقابله روح القدس ، شلبي : المسيحية ، ١٣٥-١٣٧ ؛ السقاف : الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين ، ٣٥١-٣٥٢ ، الموسوعة الميسرة ، ٢/١٠١٠ .

(٤) المنطق : يسمى المنطق باليونانية لوغيا ، وبالسريانية مليلوثا ، وبالعربية المنطق ، وهو علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية ، والتصديقية من معلوماتها ، وموضوعه المعقولات الثانية من حيث الإيصال إلى المجهول . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ١٧١ ؛ الجرجاني : علي بن محمد (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) كتاب التعريفات ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ٢٣٢ ؛ حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ-١٦٥٦م) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، ٢/١٨٦٢ .

(٥) فاروق الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ص٥٠ .

لكن هذا لم يمنع من ظهور اتجاهات فكرية في المعرفة خلال العصور الوسطى يهمنا منها هنا اتجاهي الاعتقاد والشك .

أمَّا الأوَّلُ وهو «اتجاه الاعتقاد» : فهو مذهب الاعتقاد أو الإيقان أو القطع ، ويقصد به التقبل الساذج بدون تمحيص أو نقد للآراء والأفكار والنتائج ، والجزم والقطع بصحتها دون اختيار ودون دليل[1] .

أمَّا الاتجاه الثاني «اتجاه الشك» أو اللاإرادية : وهو مذهب يذكر إمكان قيام معرفة حقيقية ، ومن هؤلاء الاعتقاديين تلاميذ سقراط[2] الذين كانوا بمثابة رد فعل للسوفسطائيين والشكاك .

لقد ظلت أوروبا بعد أرسطو[3] أكثر من عشرين قرنًا تعيش على تراث اليونان الفلسفي ومنطق أرسطو العقيم[4] .

وظلت القضية الرئيسة في الفكر الغربي قبل وبعد النصرانية بقرون طويلة تدور حول مدى إمكانية المعرفة عند الإنسان ، ويكفي هذا تكبيلًا للحضارة والتقدم العلمي .

لقد كان الاتجاه الاعتقادي يجزم بصحة النتائج التي يمكن أن يصل إليها الإنسان ، ولكن أصحاب هذا الاتجاه اعتقدوا اعتقادًا جازمًا في صحة كل ما ورثوه عن المعلم الأول أرسطو ، وفي جدوى مذهبهم وكانوا على وهمٍ كبير[5] .

أما أهل الشكوك فلم يكن لهم من دورٍ سوى التشكيك والتثبيط لجهود الاعتقاديين

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) سقراط : كان من ابرز تلاميذ فيثاغورس ، ومن أعظم فلاسفة اليونان ، ولد ونشأ بأثينا ، وقتل مسموماً في سجنه ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٧٠ .

(٣) أرسطو طاليس : فيلسوف رومي ، كما أنه كان طبيب الروم ، ألف عدة كتب في الفلسفة حيث غلبت عليه ، انظر : ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، ص٢٥ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٨٦ .

(٤) الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ص٥١ .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

المقتصرين على اجتراء وترديد تراث أفلاطون[١] وأرسطو بخاصة ، واليونان بعامة[٢] .

فلا عجب -إذن والحال هكذا- أن تتجمد أوروبا عشرين قرنًا من الزمن بدون تحصيل علمي ، وتتجمد تبعًا لذلك الحضارة الأوروبية طيلة هذه الحقبة الطويلة من الزمن[٣] .

أما بخصوص العلوم الطبيعية والتطبيقية[٤] ، فلم تكن بأحسن حالًا من سواها من العلوم ، فقد نظر إلى هذه العلوم كالكيمياء مثلًا على أنها من عمل الدجالين ، فحيكت حولها الخرافات والأساطير المتمثلة في إمكانية تحويل المعدن إلى ذهب ، فظل الغموض يحيط بهذا العلم طيلة العصور الوسطى[٥] .

أما علم الفلك فالمخطوطات التي وجدت عنه في العصور الوسطى لم تتعد معلومات «بدي ، Bede»[٦] ، والرياضي الكارولنجي «هلبرك ، Helperic» ،

(١) أفلاطون : من أبرز فلاسفة اليونان ، له كتب لم يسبق إليها ، توفي وله من العمر ثمانون سنة ، النديم : الفهرست ، ص٣٠٤ ؛ ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، ص٢٣ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٨١ .

(٢) الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ص٥١ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) إن الدور الذي أسهم به اليونانيون في مجال العلوم الطبيعية يكاد يقتصر على العلوم الرياضية وحدها ، وعلى الرغم من تقدم الهندسة على وجه الخصوص تقدماً عظيماً ، حيث كان من أبرز الكشوف الهندسية التي توصل إليها اليونانيون ، تلك النظرية التي تحمل اسم فيثاغورس ، وهي كشف لا يعادله إلا بحثهم للقطاعات المخروطية ، والمنحنيات التي تعرف باسم البيضاوي ، أما علم الحساب فلم يكن يتميز عندهم بذلك الأسلوب العددي الذي نطبقه اليوم بمثل هذا النجاح ، فلم يكن اليونان يكتبون الأرقام بالنظام العشري ، الذي هو اكتشاف إسلامي ، ولقد كان نجاح اليونانيين في ميدان العلوم التجريبية مقتصراً على نظريات أقليدس وبطليموس الفلكي . هانز ريتشبناخ : نشأة الفلسفة العلمية ، ترجمة : فؤاد زكريا ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤م ، ١٠٠ .

(٥) فرديناند شيفل : الحضارة الأوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة ، ط١ ، ترجمة : منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٢م ، ص٨٢ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ١٥٦/٢ .

(٦) بدي : كان متمكنًا من دراسة الكتاب المقدس ، وقد عاش بواكير القرون الوسطى ، سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، ص٣٣ .

وذلك أن العصور الوسطى لم تكن تعير معرفة الطبيعة أو رصد السماء اهتمامًا ، وإنما كانت تتلفت إلى هدف آخر يتجلى برمته في معرفة الله ، والنفس النقية الورعة المؤمنة .

وأمَّا ما يمتُّ إلى الشمس وبقية الكواكب فأمرٌ محفوفٌ بأخطار تكون نتيجتها الوقوع في تعقيدات ملحدة كافرة(١) .

وقد كان علم الطب في هذه الآونة ، إلى حدٍّ ما فرعاً من اللاهوت والشعائر الدينية ، فقد كان أوغسطين(augustin)(ت٤٣٠م)(٢) يظن أن أمراض الآدميين تسببها العفاريت ، وبدا من ثم أنَّ علاج الأمراض بالصلوات ، وعلاج الأوبئة بالمواكب الدينية ، وإقامة الكنائس أمرٌ يتفق مع المنطق السليم(٣) .

كما اعتبرت الكنيسة ممارسة مهنة الطب ، وإجراء العمليات الجراحية بالآلات عملًا مشينًا ، وكانت دراسة الطب محرمة على الرهبان ورجال الدين ، وإنه لمن الخطأ التوهم بأن رجال الدين المعتكفين داخل أديرتهم كانوا أطباء القرون الوسطى . وعندما نجد حالة مثل هذه -وهي نادرة الوجود- فإنما يدل ذلك على أن هذا الشخص كان في الغالب طبيبًا في الدنيا قبل أن يهب نفسه للرهبنة(٤) .

أما عن المستشفيات التي كانت بمثابة دور خيرية ، فقد كان مديروها في أخريات القرون الوسطى هم عادة مجموعة من الرهبان والراهبات الذين نذروا أنفسهم للخدمة .

وفي الحالات التي كان فيها رئيس الدير أو مجموعة من الرهبان معتكفين داخل أديرتهم فقلما نجدهم يهتمون بالمرضى ، وإنما كان هذا الأمر موكلاً

---

(١) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص١٦٤ .

(٢) أوغسطين : القديس الشهير ، وأعظم آباء الكنيسة ، وقد كان من أهم الشخصيات المؤثرة في الكنيسة النصرانية الغربية ، وهو فيلسوف تلقى تعليمه في روما ، وتعمد في ميلانو ، له مؤلفات اعتمدت عليها النصرانية المحرفة . ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ٧٠٦/٣ ، ديورانت : قصة الحضارة ، ١٣٢/١٢ .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/١٧ .

(٤) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٢٢٠ .

للممرضات أو الإخوة العلمانيين[١] .

أما في إيطاليا فقد كانت المستشفيات منذ أزمنة بعيدة تخضع لإدارة مدنية ، وكانت العناية بالمرضى في الدول الأخرى تتولاها السلطات العلمانية ، أمَّا في انجلترا فقد قرر مؤسس إحدى المدارس أنَّ الناظر لا يجوز دخوله في سلك الكهنوت[٢] .

وقد يبرر بعض الباحثين صدور مثل هذه القرارات البابوية في منع الرهبان من مزاولة الطب ، إلى أن الاشتغال بهذه الدراسة قد يؤثر في عمل الرهبان الديني ، كما أنه يدفع من ناحية أخرى إلى تقاضي الراهب الأجر على مهنته ، واقتناء أملاك خاصة ، وهذا يهدم أساسًا من أسس الرهبنة[٣] .

إلا أن هذا يعطي دليلًا قاطعًا على جهل السلك الكنسي بالطب ومهنته ، وبالمداواة وفنونها ؛ إذ لو كانت لهم أدنى معرفة به لما خرج الطب عن السلك الكنسي شيئًا فشيئًا حتى استقل بذاته ، ولم يكن ذلك إلا بعد التأثر بالطب الإسلامي وعلومه ، عن طريق ترجمة هذه العلوم ، فرأى الغرب حينئذٍ الفارق الكبير بين هذا الطب الجديد القائم على قواعد ومناهج سليمة ، وبين ما كانت تمليه عليهم شطحات العصور الوسطى .

يقول العالم الفرنسي ليتري : «كان من اشتغل بتاريخ العلوم لاحظ من غير بدٍ ، أن علم الطب كان في زاوية الإهمال من عهد سقوط المدنية الرومانية إلى حد القرن الحادي عشر ، بحيث لم يعتن أحدٌ بدراسته»[٤] .

أما عن الفنون ودراستها في العصور الوسطى[٥] ، فنجد أنها بلغت شأوًا

---

(١) كولوستون : عالم العصور الوسطى ، ص٢٥٣ ، ٢٥٥ .

(٢) كولتون : عالم العصور الوسطى ، ص٢٥٥ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) أحمد رضا بك : الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق ، ط٢ ، ترجمة : محمد بورقيبة ، محمد الرمزلي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٧٧م ، ١٢٥ .

(٥) عرفت أوروبا في العصور الوسطى دراسة أنواع من الفنون ، منها الفنون النظرية وهي التي أطلق عليها الفنون السبعة ، وكانت تشمل : النحو ، والبلاغة ، والمنطق ، والحساب ، والهندسة =

عظيمًا ، إذ يرى كثير من الدارسين المعاصرين أن الفن بحد ذاته تعبير صادق عن الدين في أي عصر ، فهو رسالة مقدسة تحمل ملامح الدين الذي نشأ فيه وترعرع[١] .

فلا غرابة إذن ، أن تكون الفنون بكافة أنواعها في قائمة العلوم المزدهرة في الفترة المتأخرة من العصور الوسطى ، ففي الوقت الذي كانت فيه محاكم التفتيش منصوبة ، وتعذيب العلماء على أشده ، كانت الفنون تلقى ترحيبا أبويًا من الكنائس في جميع أنحاء أوروبا[٢] .

وقد كان الفن في هذه الفترة فنًا دينيًا ، بمعنى أنه موجه لخدمة الدين ، وكان يحمل كل ما في العقيدة الكنسية من انحراف ، إذ كان كله موجهاً لتمجيد الرب الذي ألهته الكنيسة وهو المسيح عيسى ابن مريم ، أو تمجيد الأقانيم[٣] الثلاثة عامة : الأب والابن وروح القدس مع مريم البتول ، ومجموعة من القديسين ، سواء بالشعر أو النثر أو الرسم أو التصوير «بمعنى إقامة التماثيل»[٤] .

ويلاحظ أن الفن الأوروبي في جميع أدواره التاريخية كان مشغولًا بالمعبود ، فحين كان المعبود في الجاهلية الإغريقية مجموعة من الآلهة المختلفة توجه الفن الإغريقي إلى تلك الآلهة سواء في الأساطير أو المسرحيَّات أو التماثيل ، وحين انتقلت أوروبا إلى المسيحية عني الفن بالإله كما صورته الكنيسة ، وحين كفرت أوروبا بإله الكنيسة وألهت الطبيعة اتجه الفن إلى المعبود الجديد وخاصة في الفترة

=

والفلك ، والموسيقى . شيفل : الحضارة الأوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة ، ص٥٦ .

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٤٥٣/٢ ؛ علي عزت بيجوفيتش : الإسلام بين الشرق والغرب ، ط١ ، ترجمة : محمد عدس ، مؤسسة العلم الحديث ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٢) بيجوفيتش : الإسلام بين الشرق والغرب ، ص١٥١ .

(٣) الأقانيم : جمع أقنوم ، وهي كلمة سريانية معناها شخصٌ أساسي ، أو شخص رئيسي ، أو كيان ذاتي ، أو في الذات ، أو مبدأ الأشياء ، وهي قريبة من الكلمة اليونانية norms . السقاف : الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين ، ٣٨٤ ؛ الموسوعة الميسرة ، ٩٧٦/٢ .

(٤) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، (د.ط) ، دار الشروق ، القاهرة ، (د.ت) ، ٤٨٧ .

الرومانسية[١] ، وحين صار المعبود هو الإنسان اتجه الفن كله إلى دراسة الإنسان في جميع أوضاعه[٢] .

إضافة إلى ذلك كله نجد أن اللغة التي كانت تدرس بها هذه المناهج هي اللغة اللاتينية[٣] ، التي لم يستوعبها جميع الدارسين ، ولم تفِ بحاجات المناهج ، بخلاف ما قيل عنها إنها كانت اللغة السائدة في تلك الفترة ، فنتيجة احتكار فئة رجال الدين لهذه اللغة –لغة الكتاب المقدس- بدأت تأخذ في الانقراض ، فالعلماء أنفسهم ، كانوا يفكرون بلغتهم الأولى حين يعالجون الأفكار الوثيقة الاتصال بنفوسهم ، فتجد أن قلة من القسس أنفسهم كانت تتقن اللاتينية ، وكانت قلة من الناس تستطيع أن تتحدث بها دون عناء ، وكان هذا أحد الأسباب في تأخر العلوم آنذاك[٤] ، وقد كان لأفول نجم الحضارة الرومانية التي كانت ترتبط ارتباطاً مباشراً بالثقافة اللاتينية ، أثر في تدهور هذه اللغة ، مما أدى إلى انعدام الأصالة في اللغة والعلم والأدب ، ودخول ألفاظ وكلمات وتعبيرات لم تكن معروفة من قبل نتيجة الغزوات الجرمانية[٥] والسيطرة الكنسية ، فضلًا عن الألفاظ العامية الدارجة التي

(١) الرومانسية : مذهب أدبي قديم يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة أيًا كانت طبيعة صاحبها مؤمنًا أو ملحدًا ، مع فصل الأدب عن الأخلاق ، وقد بدأت في فرنسا ثم انتشرت منها إلى باقي أنحاء أوروبا . قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ٤٨٧ ؛ الموسوعة الميسرة ، ٢/٨٦٩ .

(٢) قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ص٤٨٧ .

(٣) في الواقع أن اللغة اللاتينية تعرَّضت لتغييرات ضخمة في العصور الوسطى ، فانسابت الكلمات إلى هذه اللغة ، مما أدى إلى صعوبة فهمها ، فمنذ عام١٨٤هـ-٨٠٠م ، لم يعد الشعب يفهم المواعظ الملقاة باللاتينية ، حتى إن مجلس رؤساء الكنائس المنعقد في مدينة تور ، أوصى بوعظ الناس باللغة التي يتكلمون بها . هونكة . شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٣٩٤ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ٢/٤٢٤ .

(٤) ديورانت ، قصة الحضارة ، ١٧/١ ؛

(Henri. Pirenne:mohammad and charlemagne,barnes noble,١٩٩٢,.٢٣٨-٢٣٩) .

(٥) الجرمانيون : (Germani) أو التيتونيون (Teutonix) ، هم بشكل عام الشعوب والقبائل التي تتحدث باللغات الجرمانية ، واستوطنوا المناطق المحاذية للإمبراطورية الرومانية ، وكانوا مصدر إزعاج دائم لها ، ثم لاحقاً أصبحوا أحد اسباب سقوطها . ديورانت : قصة الحضارة ، ١٢/٧٦-٧٧ .

دخلت على اللغة الفصحى . فلم يعد الكاتب في هذا العصر يعنى بقواعد النحو في كتاباته كنتيجة للأوضاع التي أسلفنا ، والذي أثر بدوره في تدهور مستوى الخط والكتابة تدهورًا واضحًا بسبب تفشي الجهل ، وكثرت الأخطاء النحوية واللغوية حتى غدا من المتعذر قراءة المخطوطات التي وضعت في العصر المسيحي المبكر أو فك طلاسمها ورموزها . والخلاصة أن اللغة اللاتينية التي كانت في وقتٍ ما هي لغة العلم والتعليم لدى كافة الشعوب الغربية المثقفة قد دب فيها الخلل بسبب الظروف الجديدة التي استجدت على العالم الأوروبي وقتذاك[١] .

ولازم ذلك ظهور أدب لاتيني جديد يختلف عما كان سائدًا من قبل . ولقد كان لهذا الأدب الجديد الذي أرسى قواعده آباء الكنيسة الأوائل أثره الواضح في تفكير العصر الوسيط المبكر . فبالنسبة للشعر نجد أنه وجد منه نوعان يختلفان تمامًا أحدهما عن الآخر ، وهما : الشعر المسيحي الديني ، والشعر المسيحي الدنيوي ، ولكن هذا لا يعني أن الشعر الذي نظمه شعراء المسيحية الأوائل وقت انهيار الإمبراطورية القديمة وبداية العصر الوسيط ، كان كله دينيًا بحتًا ، فقد وجد كثير من الشعراء المسيحيين وبخاصة خلال القرن الرابع والخامس والسادس الميلادية ظلوا وثنيين في تفكيرهم بالرغم من اعتناقهم الدين الجديد[٢] .

استنادًا إلى ما سبق نجد أنَّ أبرز مظاهر الحالة العلمية في أوروبا كانت تدور حول أمورٍ عدةٍ هي :

١ - هيمنة الكنيسة بكافة مؤسساتها على العقول ، وذلك باحتكار مراكز العلم ومناهجه ، تلك المناهج التي اصطبغت بالصبغة الدينية القائمة على التحريف والوثنيات اليونانية السابقة التي لم تستطع أن تحل محل الدين ، لخلوها من العاطفة والقوة الروحية ، مما أدى إلى سيطرة الخيال على نفوس الناس وعقولهم والتصديق بالقصص الخيالية واللجوء إلى السحر والشعوذة والاهتمام بالفنون ، ومن ثم محاربة

---

(١) جوزيف نسيم : نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ط١ ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧١م ، ٢٤ ، ٣٤ .

(٢) نفس المرجع ، ٣٠ .

العلم القائم على العقل والتجربة[١] .

٢ - ما ظهر من نهضات علميَّةٍ مبكرة في أجزاء من الغرب الأوروبي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين ، وما أثمرته من خلق أجيال متتابعة من العلماء والأدباء والمؤرخين والكتَّاب الذين كانوا في معظمهم ينتمون إلى هيمنة رجال الدين ، الأمر الذي اقتصر على تعلم هذه الفئة دون غيرها ، مما خلق جوا من الجهل والتأخر عمَّ العصور الوسطى[٢] .

إزاء هذا الأمر لم يكن أمام الغرب الأوروبي سوى أن يسلك واحداً من طريقين لا ثالث لهما :

١ - إما الاستمرار في طريق الجهل والتأخر والتخبط في ظلمات العصور الوسطى .

٢ - وإما الخروج من هذه الظلمات ، وذلك بالبحث عن منهج صحيح للعلم والمعرفة ، ولم يكن ذلك إلا عن طريق الحضارة الإسلامية التي اقتبست منها أوروبا أسس نهضتها عن طريق ترجمة علومها .

---

(١) محمد تقي الأميني : الإسلام تشكيل جديد للحضارة ، ط١ ، ترجمة : مقتدي ياسين ، مراجعة : عبدالحليم عويس ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ١٧ ؛ جفري بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة : إمام عبدالفتاح إمام ، عبدالغفار مكاوي ،عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ١٠٦ .

(٢) نسيم : نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ص٨٣ .

الباب الأول :

نشأة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ومراحل تطورها

ويشتمل على ثلاثة فصول

- **الفصل الأول : مفهوم الترجمة من العربية إلى اللاتينية ونشأتها .**
- **الفصل الثاني : العوامل المساعدة على ظهور الترجمة ونشاطها من العربية إلى اللاتينية .**
- **الفصل الثالث : مراحل تطور الترجمة من العربية إلى اللاتينية .**

الباب الأول :
نشأة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ومراحل تطورها

في هذا الباب بدأنا حديثنا عن تعريف الترجمة وتاريخها الطويل مع التركيز على الترجمة من العربية إلى اللاتينية التي نشأت منذ وقت مبكر ، وقسمت إلى مراحل عدة كانت كل مرحلة تزخر بأحداث وتطورات جديدة في تاريخ هذه الحركة ، وقبل ذلك سوف نتطرق إلى الحديث عن دوافع الترجمة المختلفة ، واستقراء أهم هذه الدوافع من خلال النتائج المتوصل إليها .



الفصل الأول : مفهوم الترجمة من العربية إلى اللاتينية ونشأتها :

المبحث الأول : مفهوم الترجمة .

المبحث الثاني : الفرق بين الترجمة والنقل والتعريب .

المبحث الثالث : البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية .



الفصل الأول :

مفهوم الترجمة من العربية إلى اللاتينية ونشأتها :

تعد الترجمة حلقة وصل بين الحضارات ، ووسيلة تحاور للثقافات ، ومن هنا كانت الترجمة نشاطاً مهماً في حياة الأمم قديما وحديثًا .

بدأت الترجمة منذ وقت مبكر ، وهي عريقة موغلة في القدم ، قدم الأمم التي نشأت فيها ، فقد استخدمتها الشعوب المختلفة كأداة للتحاور والتفاهم فيما بينها ، واستمرت تؤدي دورها من أمة لأخرى ، وأسهمت بنصيب وافر في انتقال العلوم والمعارف ، ومن ثم ازدهارها .

في هذا الفصل نتناول مفهوم الترجمة من حيث : تعريفها ، أنواعها ، الشروط الواجب توفرها فيمن يقوم بهذه المهمة ، إضافة إلى إبراز الفروق بين كل من مصطلح الترجمة ، والنقل ، والتعريب ، كما سيتطرق الحديث إلى بداية نشأة الترجمة ، وبالأخص الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

المبحث الأول :
مـــفـــهـوم الـــترجمـــة

الترجمة لغة : يطلق لفظ الترجمة في اللغة على معانٍ عدةٍ :

١ - تأتي بمعنى التبيين والتوضيح[١] ، ومن هنا سُـمِّي ابـن عبـاس -رضي الله عنهما- ترجمان القرآن ، قال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه : «نِعمَ ترجمان القـرآن ابن عبَّاس»[٢] ، وذلك لبراعته وقدرته على فهم الكتاب الحكيم ، وإدراك ما فيه من حقـائق ومعـان وأسرار[٣] ، وفي المعجـم الوسـيط : «تَـرْجَمَ الكـلامَ : بيَّنـه ووضَّحه»[٤] .

٢ - تطلق على بيان سيرة الشخص وحياته ، فيقال : «ترجمةُ فلان ، أي : بيان سيرته وتاريخه ، وترْجَمَ لحياته أي بيَّن ما كان فيها»[٥] .

(١) ابن منظور : أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م) : لسان العـرب ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، تسعة أجـزاء ، ٦٠١/١ ؛ الفيروزآبـادي : محمـد بـن يعقـوب الـشيرازي (٨١٧هــ/١٤١٥م) : القـاموس المحـيط ، ط١ ، دار إحيـاء الـتراث العـربي ، بـيروت ، ١٤١٢هــ-١٩٩٣م ، أربعـة أجـزاء ، ١١٤/٤ ؛ الزبيـدي : محمـد مرتـضى الحـسيني (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيـق : عـلي شـيري ، دار الفكـر ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، عشرون جزء ، ٧٣/١٦ .

(٢) ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) : فتح الباري بشرح صـحيح البخـاري ، ط١ ، تحقيق : محمد عبدالباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القـاهرة ، ١٤٠٧هــ-١٩٨٦م ، ١٥٨/١ .

(٣) علي بن سليمان العبيد : ترجمة القرآن الكريم حقيقتها وحكمها ، ضمن : «بحوث ندوة ترجمـة معـاني القرآن الكريم ، تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل ، مجمع الملك فهد لطباعـة المـصحف الـشريف» ، المدينة المنورة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص٤ .

(٤) المعجم الوسيط ، إصدار مجمع اللغة العربية بمصر ، ط٢ ، إخراج : إبراهيم مصطفى ، أحمـد حـسن الزيات ، حامد عبدالقادر ، محمد علي النجار ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٩م ، جزءان ، ٨٣/١ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب٧٠٠/١ ؛ المعجم الوسيط ، ٨٣/١ .

٣ - تأتي بمعنى تبليغ الكلام لمن لم يبلغه أو خفي عليه[١] ، ومنه قول أبي جمرة[٢] : «كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس»[٣] . قال أبوعمرو بن الصلاح[٤] : «كان يبلغ كلام ابن عباس إلى من خفي عليه من الناس ، إما لزحام منع من سماعه فأسمعهم ، وإما لاختصار منع من فهمه فأفهمهم»[٥] .

وأيَّد ذلك ابن حجر بقوله : «والظاهر أن معناه أنه يفهمهم عنه ويفهمه عنهم»[٦] ، ويدل على هذا المعنى قول الشاعر :

إنَّ الثمانين وبُلِّغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[٧]

٤ - وتأتي بمعنى تفسير الكلام بلغة غير لغته ، قال الرازي في مختار الصحاح : «ترجم كلامه إذا فسَّره بلسانٍ آخر ، ومنه «الترجمان» وجمعه تراجم ، وضم الجيم لغة ، وضم التاء والجيم لغة»[٨] .

ويقول ابن منظور في اللسان : «الترجمان : هو المفسِّر ، وقد ترجمه وترجم

---

(١) العبيد : ترجمة القرآن الكريم ، ص٤ .

(٢) أبي جمرة : هو نصر بن عمران الضبعي البصري أحد الأئمة الثقات ، حدث عن ابن عباس وابن عمر وطائفة ، (ت ١٢٧هـ/٧٤٤م) . ابن سعد : محمد بن سعد الهاشمي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) : الطبقات الكبرى ، ط٢ ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ثمانية أجزاء ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، ١٧٦/٧ ؛ الذهبي : شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : سير أعلام النبلاء ، ط١١ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ثلاثة وعشرون جزءاً ، ٢٤٣/٥ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري ، ١٥٨/١ .

(٤) ابن الصلاح : عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، عالم بالتفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال . ابن خلكان : أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ط١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩م ، ستة أجزاء ، ٤٠٨/٣ .

(٥) ابن حجر : فتح الباري ، ١٥٨/١ .

(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٧) العبيد : ترجمة القرآن الكريم ، ٤ .

(٨) الرازي : محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) : مختار الصحاح ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ٢٣٦ .

عنه»[١] ، وقد ذكر الزبيدي «تَرْجُمَان» أي بفتح الأول وضم الثالث . وهذه المشهورة على الألسنة ، المفسر للسان ، وقد ترجمه وترجم عنه إذا فسَّر كلامه بلسانٍ آخر»[٢] .

٥ - تأتي بمعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى ، ذكره ابن الأثير بقوله : «الترجمان بالضم والفتح : هو الذي يترجم الكلام ، أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى ، والجمع التراجم»[٣] .

ومنه حديث هرقل[٤] : «ثم دعا بترجمانه»[٥] ، قال النووي : «هو بضم التاء وفتحها ، والفتح أفصح ، وهو المعبر عن لغة بلغة أخرى ، والتاء فيه أصلية ، وأنكروا على الجوهري كونه جعلها زائدة»[٦] ، وذكره ابن حجر بقوله : «الترجمان : المعبر عن لغة بلغة»[٧] .

وفي المعجم الوسيط : ترجم كلام غيره ، وعنه : نقله من لغة إلى أخرى[٨] .

من هنا يتبين لنا أن من معاني الترجمة تبيين الكلام وتوضيحه ونقله من لغة إلى لغة ، أو تفسيره بنفس اللغة ، كما أنه جاز على سبيل التوسع إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان ، فقيل : ترجم لهذا الباب بكذا أي عنون له ، وترجم لفلان أي : بيَّن

(١) لسان العرب ، ١٤٣/٢ .

(٢) تاج العروس ، ٧٣/١٦ .

(٣) ابن الأثير : أبوالسعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ/١٢١٠م) : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ١٨٦/١ .

(٤) هرقل : إمبراطور بيزنطي حكم من ٦١٠ إلى ٢١هـ/٦٤١م ، وهو الإمبراطور البيزنطي الذي عاصر الرسول ﷺ ، وخسرت الإمبراطورية في عهده بلاد الشام ومصر والشمال الأفريقي بعد أن فتحها المسلمون . ابن حجر : فتح الباري ، ٣٢/١ ؛ السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، (د.ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص١١٥ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الجهاد ، انظر : مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ/٨٧٥م) : صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي ، المسمى المنهاج ، ط١ ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ٣٢٣/١٢ .

(٦) مسلم : صحيح مسلم : ٤٦/١٠ .

(٧) فتح الباري ، ٤٦/١ .

(٨) ٨٣/١ .

تاريخه ، وترجم حياته أي : بيَّن ما كان فيها ، وترجمة هذا الباب كذا أي : بيان المقصود منه[١] .

كما أنه يطلق على من يقوم بهذه المهمة ، الترجمان[٢] ، أو المترجم ، وجمعه تراجم[٣] ، وتراجمة . والفعل يدلُّ على أصالة التاء مما يؤكِّدُ على أنَّ الكلمة عربية ، وليست من أصلٍ عجمي ، ولا محولة عن معنى آخر على الأرجح[٤] .

وقد عرَّف «بيل» المترجم بقوله : «عامل وساطة ثنائي اللغة بين متواصلين أحادي اللغة في تجمعين لغويين مختلفين ، أي يقوم المترجم بفك رموز الرسائل المرسلة في لغة ويعيد تركيبها في لغة أخرى»[٥] .

- الترجمة اصطلاحاً :

يمكننا تعريف الترجمة في الاصطلاح بأنها : نقل نصٍّ أو كلامٍ من لغة إلى أخرى ، بمعناه لا بلفظه ، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده ، والمحافظة على روح النص المنقول[٦] .

---

(١) محمد عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ،(د.ط)، دار الفكر، جزءين ٢/ ١١٠ .

(٢) الرزاي : مختار الصحاح ، ص٢٣٦ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ٢/ ١٤٣ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ١٦/ ٧٣ ؛ ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، ١/ ١٨٦ ؛ مسلم : صحيح مسلم ، ١٢/ ٣٢٣ ؛ ابن حجر : فتح الباري ، ١/ ٤٦ .

(٣) المعجم الوسيط ١/ ٨٣ .

(٤) عبدالله الخطيب : نظرات نقدية لمقدمة وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، مجلة التجديد ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، ع١١ ، ص٥٠ ، وقد ذكرت دائرة المعارف تحت مادة «ترجمان» ما يلي : «صيغة تركية للكلمة العربية ترجمان ، وهي من أصل آرامي دخلت إلى العربية منذ عهد متقدم» . موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، بإشراف : محمد سهير سرحان ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، اثنان وثلاثون جزءاً ، ٧/ ٢١٩٥ ، وهذا يخالف ما ذكر في معاجم اللغة العربية من أن الكلمة عربية الأصل ، كما أن المراجع تجمع على أن هذه الكلمة مفردة عريقة من مفردات اللغة العربية وليست اصطلاحاً . انظر : إبراهيم الجيلاني : علم الترجمة وفضل العربية على اللغات ، ط١ ، المكتب العربي للمعارف ، ٣٣ .

(٥) روجر بيل : الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيقية ، ط١ ، ترجمة : محيي الدين حميدي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، ٦٠ .

(٦) الزرقاني : مناهل العرفان ، ٢/ ١١٠ ؛ بيل : الترجمة وعملياتها ،٢٥ ؛ محمد الأشقر : معجم علوم

وهي تختلف عن التفسير[1] ، ولو أنهما متقاربان في المعنى ، فإن التفسير لا يشترط فيه الوفاء بكل معاني المفسر ومقاصده ، بل يكفي فيه البيان ولو من وجه .

ومن هنا يمكن أن نبرز الفروق بين الترجمة والتفسير[2] :

١ - أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يستغنى بها عن أصلها ، لتحل محله ،

بخلاف التفسير ، فإنه قائمٌ أبدًا على الارتباط بأصله ، فيشرح مفرده ومركبه شرحًا متصلًا بأصله .

٢ - أن الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد ، أما التفسير فيجوز بل قد يجب فيه الاستطراد ، وذلك لأن الترجمة مفروضٌ فيها أنها صورة مطابقة لأصلها حاكية له ، فمن الأمانة أن تساويه بدقة من دون زيادة أو نقص ، حتى لو كان في الأصل خطأ لوجب أن يكون الخطأ عينه في الترجمة .

٣ - أن الترجمة تتضمن الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده ، بخلاف التفسير ، فإنه قائمٌ على كمال الإيضاح ، سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي ، متناولًا كافة المعاني والمقاصد أو مقتصرًا على بعضها دون بعض ، طوعًا للظروف التي يخضع لها المفسر ومن يفسر لهم .

٤ - تتضمن الترجمة الاطمئنان إلى أنَّ جميع المعاني والمقاصد التي نقلها المترجم ، هي مدلول كلام الأصل وأنها مرادة لصاحب الأصل منه ، بخلاف التفسير ، فتارة يدعي المفسر الاطمئنان ، وذلك إذا توفرت لديه أدلته ، وتارة لا يدعيه ، وذلك عندما تعوزه تلك الأدلة .

= اللغة عن الأئمة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، ١٢٠ ؛ فهمي شما : الترجمة علم وفن واختصاص ، عمان ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، شحاذة الخوري : الترجمة والثقافة ، مجلة التعريب ، المركز العربي للتعريب والترجمة ، ع١٠ ، ٦٣ .

(١) التفسير : في الأصل هو الكشف والإظهار ، وفي الشرع : توضيح معنى الآية ، وشأنها وقصتها ، والسبب الذي نزلت فيه ، بلفظٍ يدل عليه دلالة ظاهرة . الجرجاني : التعريفات ، ص٦٣ .

(٢) الزرقاني : مناهل العرفان ، ص١١٤-١١٦ .

أما بالنسبة لطرائق الترجمة ، فنجد أن الصلاح الصفدي[١] قد ذكر للنقل بشكلٍ عام طريقين[٢] :

الأولى : أن ينظر المترجم إلى كل مفردة من الكلمات الأجنبية ، وما تدل عليه من المعنى ، فيأتي بكلمة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيبينها ، ثم ينتقل إلى الكلمة الأخرى ، وهكذا حتى يأتي على جميع ما يريد تعريبه[٣] .

وهذه الطريقة رديئة لوجهين :

أحدهما : أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابلها في جميع الكلمات الأجنبية ، ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الألفاظ الأجنبية على حالها .

والثاني : أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائمًا ، وأيضًا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثير في جميع اللغات[٤] .

ويلاحظ على هذه الطريقة في النقل أنها تختص بمسألة التعريب[٥] ، أما الترجمة والتي تختص بنقل المعاني دون الألفاظ ، فلا تناسبها هذه الطريقة ؛ لأن الترجمة بهذه

---

(١) الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الشافعي (ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م) ، خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ثمانية أجزاء ، ٢/٣١٥ ، وقد ذكر هاتين الطريقتين في كتابه : «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» . انظر : السيوطي : جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، تعليق : سامي النشار ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، (د.ت) ، ص٩ .

(٢) الطريقتان اللتان يشير إليهما الصفدي هما الأسلوبان المعروفان منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا ، وقد أطلقت عليهما أسماء مختلفة منها : الترجمة الحرفية ، وترجمة المعنى ، والترجمة الشكلية ، وترجمة الأثر . انظر : يوسف عزيز ، سلمان الواسطي ، عبدالوهاب النجم ، الترجمة الأدبية ، جامعة الموصل ، وزارة التعليم العالي ، الموصل ، ١٩٨١م ، ص٣١ .

(٣) السيوطي : صون المنطق ، ص٩-١٠ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) سيأتي التعريف به .

الطريقة ، أو ما يطلق عليها «الترجمة الحرفية» لا يمكن حصولها مع المحافظة على سياق الأصل والإحاطة بجميع معناه[١] ، وهي وإن حصلت تعدُّ عيبًا واضحًا ومأخذًا قويًا لنقدها وإثبات عدم صحتها .

الطريقة الثانية : هي أن يأتي الناقل إلى الجملة فيجعل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظَ أم خالفتها وهذه الطريقة أجود[٢] .

والفارق الرئيس بين هذا الأسلوب وبين سابقه ، هو أن الترجمة هنا تقوم على الجملة مجتمعة لا على الكلمة منفصلة عن أختها الكلمة التالية لها ، والواقع أن الترجمة التفسيرية أو المعنوية أثبت قدمًا ، وأعرق وجودًا ، وأقرب إلى الأذهان على الإطلاق ليسرها ووضوحها ، كما أنها هي المتداولة بين المترجمين والقراء جميعًا . أما الحرفية فتكاد تكون نظرية بحتة ؛ وذلك لتعسرها أو تعذرها ، وغموضها وخفائها أحيانًا ، وندرة الإقبال عليها[٣] .

وقد زاد رشيد الجميلي على هذين الأسلوبين أسلوباً ثالثاً ، عدَّه لا يقل أهميَّة عن سابقيه ، حيث يقول : «هنالك أسلوب ثالث قد شاع أمره بين المترجمين والنقلة ، ودرجوا عليه في كثيرٍ من الأحيان في تعاملهم مع المصنفات غير العربية ، وأعني به أسلوب التلخيص والاختصار[٤] ، وعندي أنَّ هذا الأسلوب لا يقلُّ أهميَّةً

---

(١) مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، ط٨ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ص٣١٣ .

(٢) السيوطي : صون المنطق ، ص١٠ .

(٣) الزرقاني : مناهل العرفان ، ٢/ ١١٩ ؛ رشيد الجميلي : حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة ، منشورات جامعة قاريونس ، ص٢٧ .

(٤) التلخيص : هو أن يعمد الباحث إلى تلخيص موضوع كامل ، أو فكرة بأكملها ، شغلت حيزًا كبيرًا من الصفحات ، فيصوغها بأسلوبه الخاص ، دون التأثر بالمؤلف حين وضعها في الإطار والصياغة ، وكل ما يهتم به هو الاحتفاظ بالفكرة ، والموضوع الرئيس . أما الاختصار : فقد عرفه ابن فارس في اللغة بأنه : «أخذ أوساط الكلام وترك شعبه ، وقصد معانيه» ، ومعنى هذا أن يقلص الباحث عبارات النص إلى مقدار الثلث ، أو الربع بطريقة مركزة جدًا ، مع الاحتفاظ بأسلوب المؤلف ، ووجهة نظره ، واستعمال عباراته غالبًا ، مع حذف التوضيحات ، والتفاصيل..» .

=

عن الأسلوبين السابقين ، وتكمن هذه الأهمية فيما يلي :

أَنَّه يدلُّ دلالة واضحةً على قوة المترجم والناقل في لغة ذلك الكتاب الذي قام بتلخيصه ، وبعكسه لما استطاع من نيل بغيته من وراء ذلك ، ومن جهة أخرى فإنني أرى أن هذا الأسلوب هو أكثر صعوبة من مجرد الترجمة والنقل ، وذلك لما يتطلبه من صياغة جديدة دون المساس بمعنى المادة الملخصة .

أنه يعبر أصدق تعبير عن ثقافة المترجم والناقل في كل مجال بطريقة حسب هذا الأسلوب ، وبخلاف ذلك يتعسَّر أمر هذا السبيل . إن إجادة لغة ذلك الكتاب المراد تلخيصه ، والإلمام التام بمادته ، هما من أهم مقومات هذا الأسلوب»[1] .

ولكن على الرغم من فائدة هذا النوع ، وأهميته يجب توخي الحذر عند تطبيقه كأسلوب للترجمة لعدة أمور :

أ - أنَّ هذا الأسلوب قد يُستغل من قبل بعض المترجمين ، فيلجأ البعض منهم إلى تلخيص الكتاب تلخيصًا مخلًا بالمادة المترجمة ، فتحذف المقدمة مثلًا -من باب الاختصار- أو تحذف فصول من الكتاب لا يرى لها مترجمه كبير فائدة ، وهي في الواقع من صلب موضوع الكتاب المترجم ، ولهذا أمثلة كثيرةٌ في الترجمات الغربية للكتب الإسلامية -كما سيأتي بيانه .

وقد يلجأ بعض المترجمين إلى حذف عبارات بل صفحات لأهداف عدة ، يقول الأشقر : «وبعض كبار التراجمة لجأوا إلى البتر والحذف وإهمال بعض العبارات المذكورة في الأصل لاعتبارات خاصة ، كأن لا يؤذي شعور قومه بترجمة مطاعن ومثالب وجهها المؤلف الأجنبي إليهم ، أو إلى عقائدهم أو عوائدهم ، وكأن تكون عبارة المؤلف مما يُستحيا من التصريح به»[2] .

=

انظر : ابن فارس : أحمد بن فارس الرازي ، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ؛ حلية الفقهاء ، ط١ ، تحقيق : عبدالله التركي ، الشركة المتحدة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ٢٩٠ ؛ عبدالوهاب أبوسليمان : كتابة البحث العلمي صياغة جديدة ، ط٤ ، دار الشروق ، جدة ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ١١٤ .

(١) الترجمة في المشرق الإسلامي ، ص٢٩ .

(٢) معجم علوم اللغة العربية «عن الأئمة» ، ص١٢١ .

عندئذٍ يخرج هذا النوع من مهمته الأساسية التي هي التلخيص أو الاختصار - مع الاحتفاظ بالفكرة والموضوع الرئيس ، ووجهة نظر المؤلف ، واستعمال عباراته - إلى البتر والتحريف في الترجمة التي توقع صاحبها في المزالق والمآخذ من الزيادة والنقص في النص المترجم ، وهي بدورها مخلة بالأمانة العلمية في الترجمة .

ب - يجب ألا يطرق هذا الموضوع إلا أصحاب الاختصاص في كل علم مترجم ، حتى يعرف مترجم هذا العلم ما هو مهم فيأخذه ، ويرى ما هو خارج عن صلب الموضوع فيستغني عنه .

إنه من المؤكد على المترجم في جميع طرائق الترجمة أن يكون ملمًا بموضوع ترجمته ، عالمًا بما يذكر في النص المترجم ، إلا أنه في هذه الطريقة آكد وأولى أن يكون من أصحاب الاختصاص في العلم الذي يقوم بترجمة نصه . فالمؤلف في فرع الطب مثلًا يجب أن يضطلع بترجمته طبيبٌ ذو باعٍ طويل في هذا العلم ، حتى يعرف ما هو من صميم الكلام فيأخذه ، وما هو فرعي فيستغني عنه وهكذا[1] .

وعلى كلٍ ففي جميع طرائق الترجمة يجب أن يتوفر في المترجم عدة شروط منها :

- إجادة اللغة التي ينقل منها وإليها : لا يكون المترجم ناجحًا إلا إذا أمسك بتلابيب ونواصي اللغة التي يبتغي الترجمة عنها أو إليها ، فهو إن لم يدرك ما هو مذكورٌ في النص ، ويتذوق ما فيه من رونق وجمال ، لم يصل إلى الترجمة المنشودة من الجودة والإبداع[2] .

---

(١) وقد لوحظ هذا الأمر على الترجمات التي قام بها حنين بن إسحاق (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) في المشرق يقول الصفدي : «لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والإلهي فإن ما عربه منها لم يحتج إلى إصلاح» . السيوطي : صون المنطق ، ص١٠ .

(٢) شما : الترجمة علم وفن واختصاص ، ص١٠ ؛ عبدالعليم منسي وعبدالله إبراهيم : الترجمة أصولها ومبادئها وتطبيقاتها ، ط١ ، دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، ص١١-١٢ ؛ رضا ناظميان : الترجمة ومناهجها التطبيقية بين العربية والفارسية ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص٣٧ ؛ محمد الديداوي : الترجمة والتواصل دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠م ، ص١٠١ .

إذن لابد للمترجم -لإجادة اللغة- ، أن يكون ملمًا بالقواعد اللغوية ومفرداتها في كل من اللغة التي ينقل منها واللغة التي ينقل إليها[١] ، وقد نبه الجاحظ في كتابه الحيوان على هذه المسألة بقوله : «لا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة ، في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية»[٢] .

٢ - لا بد من اعتبار الأسلوب ، وطريقة الأداء والتعبير ، وذلك بإظهار النص المترجم بنفس روح النص الأصلي ، مع تحري الأمانة في نقل الأفكار الواردة في النص الأصلي ، ونقلها بلغة واضحة وسلسة إلى اللغة المترجم إليها[٣] .

إن الأمانة شرطٌ مهم في الترجمة لأنها تضفي على المترجم مصداقية ومشروعية ، وإن كان بعض الباحثين يذهب غير هذا المذهب ، حيث يرى أن الأمانة في الترجمة ادِّعاءٌ لا يسلم من القوادح ، ما دامت تقوم على مقاييس خيانتها وانزياحها عن مستوى المماثلة إلى المعايرة ، ولعل المقصود هنا : «الترجمة الأدبية» التي هي عسيرة للغاية ، وإذا كانت هذه الصعوبة في التزام الأمانة التامة تخص النص الأدبي ، فإن التزامها في المصطلح العلمي والتقني أمر سهل ومتاح جدًا[٤] .

لقد أوضح أحمد الزيات كيفية ترجمة النص الأدبي بقوله : «يترجم النص الأدبي إلى العربية نقلًا حرفيًا على حسب نظمه في لغته ، ثم يعود فيجربه على الأسلوب العربي الأصيل ، فيقدم ويؤخر دون أن يزيد أو ينقص ، ثم يعود مرة ثالثة فيفرغ في النص روح المؤلف وشعوره باللفظ الملائم ، والمجاز المطابق ،

---

(١) شما : الترجمة علم وفن واختصاص ، ص١٠ ؛ عبدالغني عبدالرحمن : دراسة في فن التعريب والترجمة ، ص٦٦ .

(٢) الجاحظ : أبوعثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، كتاب الحيوان ، ط٢ ، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م ، سبعة أجزاء ، ٧٦/١ .

(٣) شما : الترجمة علم وفن واختصاص ، ص٩ ؛ منسي : الترجمة أصولها ومبادئها ، ص١١-١٢ ؛ ناظيمان : الترجمة ومناهجها ، ص٣٧ ؛ الأشقر : معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة ، ص١٢١ .

(٤) عزيز وآخرون : الترجمة الأدبية ، ص٣٤ .

والنسق المنتظم ، بحيث يتيقن أن المؤلف لو كان عربيًا لما كتبه على غير تلك الصورة . ومن هنا كانت الترجمة أشق من التأليف»[١] .

٣ – الإلمام الكامل بجميع الفروع المختلفة التي يقوم بالنقل منها وإليها ، مع الإلمام بمصطلحات كل علم والقدر الأكبر من مفرداته[٢] .



(١) محمد عبدالغني حسن : فن الترجمة في الأدب العربي ، مكتبة المعارف ، ص١٥-٢٠ ، وما ذكره الدكتور الزيات في كلامه يخص ترجمة النص الأدبي من اللغة الأجنبية إلى العربية ، وهو كلام ينطبق على جميع الأعمال الأدبية في كافة اللغات ، إذ أن المقصود بإيراده هو كيفية ترجمة النص الأدبي أيًا كان .

(٢) الخوري : دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب ، ص٥٧ ؛ شما : الترجمة علم وفن واختصاص ، ص٢٨ .

المبحث الثاني :
الفرق بين الترجمة والنقل والتعريب

لا بدَّ أولًا قبل البدء بإيجاد الفرق بين كلٍّ من الترجمة والنقل والتعريب من تعريف سريع للنقل والتعريب :

- تعريف النقل :

يطلق النقل في اللغة على معانٍ عدَّةٍ :

١ - يطلق على ما ينقل من مكانٍ إلى مكان ويحول من هيئة إلى هيئة[١] ، قال ابن فارس : «النون والقاف واللام أصل صحيح يدلُّ على تحويل الشيء من مكانٍ إلى مكان ، يقال : نقلته أنقله نقلًا»[٢] .

٢ - كما يطلق على الإتيان بقول الغير على ما هو عليه بحسب المعنى ، مظهراً أنه قول الغير ، والآتي به يسمى ناقلًا ، وذلك القول يسمى منقولًا[٣] ، جاء في المعجم الوسيط : «نقل الخبر أو الكلام : بلَّغه عن صاحبه»[٤] .

٣ - يطلق لفظ النقل في العربية على اللفظ الذي وضع لمعنى أخص من معناه الأصلي ، ثم يغلب استعماله في هذا المعنى الأخص[٥] .

---

(١) الرزاي : مختار الصحاح ، ص٦٧٧ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ١٥/ ٧٥٠ ؛ التهانوي : محمد علي الفارقي (ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م) : كشاف اصطلاحات الفنون ، دار صادر ، بيروت ، ثلاثة أجزاء ، ١٣٢٦/٣ .

(٢) ابن فارس : أحمد بن فارس الرازي ، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة ، ط١ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، ستة أجزاء ، ٥/ ٤٦٣ .

(٣) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ١٣٢٦/٣ .

(٤) ص٩٤٩ .

(٥) ومثاله لفظ الدابة فهو بحسب الأصل يتناول كل ما يدب على وجه الأرض ، ثم غلب استعماله في ذوات الأربع . التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ١٣٢٦/٣ ؛ الأشقر : معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة ، ص٤٣٠ .

٤ - يطلق النقل على الترجمة ، يقال : نقل الكتاب إلى لغة كذا ترجمه بها[١] .

أما في الاصطلاح فيمكن تعريف النقل بأنه : تحويل الكلام من لغة إلى لغة أخرى ، أو تحويل الكلام في نفس اللغة الواحدة ، تحويلًا يشمل لفظ الكلام ومعناه معًا[٢] .

- **تعريف التعريب :**

التعريب لغة يدلُّ على معانٍ كثيرةٍ منها :

١ - يطلق التعريب على تهذيب المنطق من اللحن ، يقال : عرَّبت له الكلام تعريبًا ، وأعربت له إعرابًا إذا بيَّنته له حتى لا يكون فيه حضرمة[٣] .

٢ - يأتي بمعنى التبيين والإيضاح[٤] ، قال الأزهري : الإعراب والتعريب معناهما واحد ، وهو الإبانة ، يقال : أعرب عنه لسانه وعرَّب أي أبان وأفصح ، وكلا القولين لغتان متساويتان بمعنى الإبانة والإيضاح[٥] .

٣ - يأتي بمعنى تعريب الاسم الأعجمي ، جاء في المعجم الوسيط : «التعريب : صبغ الكلمة بصيغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية»[٦] .

٤ - يأتي بمعنى نقل الكلام من لسانٍ إلى لسان[٧] .

أما مصطلح التعريب في حديثنا فهو يعني : نقل الكلام من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية خاصة بلفظه أو معناه .

- **الفرق بين الترجمة والنقل والتعريب :**

لم نجد فيما توفر لدينا من مصادر ومراجع مَن أوجد الفرق بين كلٍّ من الترجمة

---

(١) المعجم الوسيط ، ٩٤٩/٢ .

(٢) المعجم الوسيط ، ٩٤٩/٢ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس ، ٢١٧/٢ .

(٤) ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ، ٢٠٠/٣ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ، ٢١٧/٢ .

(٦) ٥٩١/٢ .

(٧) الزبيدي : تاج العروس ، ٢٢١/٢ .

والنقـل والتعريـب ، إلا أنَّ رشـيد الجمـيلي في كتابـه «حركـة الترجمـة في المـشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة» تحدث عن الفرق بين كلٍّ مـن الترجمـة والنقل في هامش مقدمته لهذا الكتاب فقال : «الفـرق بـين الترجمـة والنقـل هـو أنَّ الترجمة تشمل المصنفات التي ترجمت مباشرة من لغتها الأصلية التي كُتبت وعُرفت بها إلى لغة ثانية ، أما إذا عرفت لغة ثالثة ذات المصنَّفات وعـن طريـق اللغـة الثانيـة التي ترجمت إليها مباشرة هذه المصنفات من لغتها الأصلية التي كتبت وعُرفـت بهـا فهذا هو النقل . وعلى هذا الأساس يطلق على من يقوم بتحويل مادة أي كتاب مـن لغته الأصلية التي كتب وعرف بها إلى ثانية بالمترجم ، وعلى من يقوم بتحويـل مـادة ذات الكتاب من لغته الثانية التي تُرجم إليها إلى أية لغة أخرى بالناقل»[1] .

ومفاد كلامه أن الفرق الأساس بين الترجمة والنقل هـو : أن الترجمـة تحويـل مادة الكتاب من لغته الأصلية التي كتب بها إلى لغة ثانية ، بيـنما النقـل تحويـل مـادة الكتاب من اللغة الثانية التي ترجم إليها إلى لغة ثالثة ، فهو يجعل النقل مرحلـة تـلي مرحلة الترجمة وهو تحويل الكتاب من اللغة الفرعية إلى أي لغة أخرى .

إن هذا الفرق وإن كان يميز الترجمة عن النقل ، إلا أنـه لا يعـدُّ فرقًـا أساسـيًا بينهما ، إذ كلا المصطلحين «النقل والترجمة» في نظره تحويل مادة الكتاب من لغـة إلى لغة أخرى ، بغض النظـر عـن اللغـة الأصـلية واللغـة الفرعيـة التـي حُـوِّل منهـا الكتاب .

لذا -لإيجاد الفرق الواضح بين الترجمة والنقـل والتعريـب أيـضًا- ، يجـب أن نعود للتعاريف السابقة التي ذُكرت لكل مصطلح ، فمن شأنها أن تقـدم لنـا فروقًـا واضحةً يمكن إيرادها كالتالي :

١ - تبين من تعريف كلٍّ مـن الترجمـة والنقـل والتعريـب ، أن النقـل أوسـع المصطلحات السابقة تعريفًا ، فهو يتناول كل ما هو حسيٌّ ومعنوي ، ويشمل اللفظ والمعنى ، فيقال لمن ينقل ألفاظ كتـابٍ مـن نـسخةٍ إلى نـسخة ثانيـة في نفـس اللغـة ناقلًا ، ولا يقال له مترجم ، لأن الترجمة تختص بالمعاني دون الألفاظ ، وتكـون مـن

---

(١) ص٩ ، هامش ١ .

لغة إلى لغة ثانية . كما أنه لا يقال له معرب لأن التعريب يختص بنقل الكلام من لغة أجنبية إلى اللغة العربية .

٢ - كل ترجمة نقل وليس كل نقل ترجمة ، بمعنى : أنه يطلق على من يقوم بتحويل معنى لغة كتاب من لغة إلى أخرى «مترجم» ، ويمكن إطلاق لفظ «ناقل» عليه لأن النقل يشمل المعاني والألفاظ ، ويتسع لتحويل الكلام من لغة إلى لغةٍ ثانية . بخلاف الترجمة التي تنحصر في المعاني دون الألفاظ ، ولا تختص إلا بتحويل الكلام من لغة إلى أخرى ، وبالتالي فكل تعريب نقل وليس كل نقلٍ تعريباً ؛ لأن النقل يتسع لتحويل الكلام داخل اللغة وخارجها ، بينما التعريب ينحصر في تحويل الكلام من اللغة الأجنبية -أيًا كانت- إلى اللغة العربية فقط .

٣ - يتفق التعريب مع الترجمة في نقل معنى الكلام من لغة إلى لغة ، إلا أن التعريب يختصُّ بنقل الكلام إلى اللغة العربية ، ومن هنا : فكل تعريب ترجمة ، وليس كل ترجمة تعريباً .

٤ - ترتيبًا يأتي النقل في مقدمة المصطلحات السابقة اتساعًا وشمولًا ليستوعب الترجمة والتعريب داخل إطاره ، بينما نجد الترجمة تتميز بالدقة والوضوح أكثر لأنها تختص بالمعاني ، وهي تتساوى تقريبًا مع التعريب ، غير أن التعريب يقتصر على النقل إلى اللغة العربية ليسمى تعريبًا .

٥ - ما تم في المشرق الإسلامي إبان القرنين : الأول والثاني الهجريين وما تلاهما من نقل علوم الأوائل إلى اللغة العربية ، يسمى تعريبًا على وجه الخصوص ، ويصح أن يطلق عليه ترجمة أو نقلٌ ، أما ما تم من نقل علوم المسلمين إلى اللغات الأخرى الأوروبية وتحديدًا اللاتينية فلا يطلق عليه إلا ترجمة أو نقل فقط ، ولا يصح أن يطلق عليه ما سواهما .

المبحث الثالث :
البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية

عُرفت الترجمة -منذ وقت مبكر- في تاريخ الأمم كوسيلة للتواصل والحوار ، فهي قديمة بقدم الحضارات التي نشأت بها ، فقد عرفها المصريون والآشوريون[١] والحيثيون[٢] ، واستخدموا عددًا من المترجمين ، الذين كانت أهميتهم العلمية مقرونة بالأهمية الدينية ، فوظفوا في المعابد والقصور[٣] .

ثم ازدهرت الترجمة بعد ذلك في العصر اليوناني ، ثم في عصر اللغة اللاتينية التي انتشرت في جميع أنحاء الدولة الرومانية . وأخيرًا برزت اللغة العربية ، كلغة عالمية متداولة تكتب وتدرس في أنحاء واسعة ، وعلى أثر ذلك نمت الترجمة وترعرعت ، وانتشرت في جميع المجالات العلمية والأدبية والاجتماعية ، وكان اهتمام المسلمين بالترجمة[٤] يفوق اهتمام أي أمة

(١) نشأت الإمبراطورية الآشورية سنة (١١٠٠ق م) تقريبًا ، في أعالي دجلة في عدة مواقع أهمها : آشور ، ونينوى ، بقيادة ملكهم «تغلث فلاسر الأول» . انظر : ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ١/١٦١ ؛ لين سابل وفيليب ستيل : ألف حدث عظيم ، ط٣ ، ترجمة : مازن طليمات ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ص٣٢ .

(٢) الحيثيون : شعب قديم برز في آسيا الصغرى في الألف الثاني قبل الميلاد ، وهم إحدى القوى التي هيمنت على الشرق الأدنى القديم . ثم ضعفت إمبراطوريتهم بعد أن دامت نحو قرنين ونصف ، وذلك سنة ١٢٠٠ق م فاستقلت إلى إمارات . محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم«بلاد الشام» ، (د.ط) ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ص٤٥٣ .

(٣) شما : الترجمة علم وفن ، ص١٧ ؛ فؤاد عبدالمطلب : الترجمة والبحث العلمي ، مجلة التعريب ، ع١٥ ، ص٤٦ ، ٤٧ .

(٤) بدأت الترجمة عند المسلمين في منتصف القرن الأول الهجري كما ذكر ذلك السيوطي بقوله : «إن علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين في القرن الأول الهجري لما فتحوا بلاد الأعاجم» . وكانت هذه الترجمة على يد خالد بن يزيد الأموي ، الذي عني بالعلم فأمر بنقل كتب الطب والكيمياء ، ويذكر النديم : «أن هذا يعد أول نقلٍ في الإسلام» ، ثم استمرت حركة الترجمة بعد ذلك إلى منتصف القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، مارة بمراحل عدة ، وقد بلغت أوج ازدهارها في العصر العباسي لا سيما

أخرى[١] .

وفي مطلع حديثنا عن البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، نود أن نبين أن أيَّ تواصلٍ بين أمة وأخرى ، لا بدَّ أن ينتج عنه تأثير في الحضارات ، إذ إن الأمة صاحبة الحضارة الغالبة هي التي تؤثر في الحضارة الأخرى[٢] ، وبالتالي تأتي الترجمة لتمثل الوسيلة المستخدمة لهذا التواصل الحضاري ، يقول فؤاد سزكين : «إنه أمرٌ طبيعي أن انتقال الثقافة والمعارف من بيئة إلى أخرى لا يبتدئ بترجمة الكتب بل بالاتصال البشري الذي يهيئ الجو والظروف والوسائط ، فوفقًا لهذا الواقع المعروف ابتدأ انتقال الفكر والعلوم من العالم الإسلامي إلى أوروبا اللاتينية»[٣] .

=

عصر المنصور ، والرشيد الذي يعتبر عصره أزهى عصور الترجمة ، فقد وصلت حدًا من التطور الكمي والنوعي لم تصل إليه من قبل ، ثم استمرت في ازدهارها إلى عصر المأمون (١٩٨هـ-٢١٨هـ) ، الذي يعد العصر الذهبي للترجمة ، وقد تنوعت الترجمات عند المسلمين في شتى العلوم في الطب والهندسة والرياضيات والبصريات والفلك ، كما ترجمت كتب كثيرة تعرّف بالمعتقدات المختلفة من يهودية ونصرانية ومانوية وغيرها . ولم يقف العلماء المسلمين عند حد الترجمة فحسب ، بل إنهم أخذوا يطورون هذه العلوم ويتناولونها بالنقد والتحليل فصاغوا بذلك حضارة إسلامية مميزة ، وابتكروا أساليب جديدة في العلوم الإنسانية والطبيعية وغيرها ، لمعلومات مفصلة عن الترجمة في المشرق الإسلامي . انظر : رشيد الجميلي : حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي ؛ عصام الدين محمد علي : بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القرن ١هـ حتى منتصف القرن ٤هـ ، (د.ط) ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٦م ؛ أوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، ٢١٢-٢٣٥ ؛ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ٢٧٠-٢٨٧ .

(١) عبدالمطلب : الترجمة والبحث العلمي ، ص٤٦-٤٧ .

(٢) ذكر ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة ، في الفصل الثالث والعشرين ، الذي عنونه بـ«في أن المغلوب مولعٌ أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره ، وزيه ، ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده» . ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : المقدمة ، تحقيق : أبوعبدالله السعيد المندوه ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، جزأين ، ١/١٥٦ .

(٣) فؤاد سزكين : نقل الفكر العربي إلى أوروبا اللاتينية ، ضمن ندوة «حلقة وصل بين الشرق والغرب» ، أكاديمية المملكة المغربية ، أكادير ، ١٩٨٥م ، ٢٩٠ .

وعليه فإن الاتصال بين المسلمين والأوروبيين بدأ منذ وقت مبكر ، لا سيما في المناطق التي فتحها المسلمون وشهدت وجود فئات مختلفة من اليهود والنصارى الذين عاشوا في ظل الحكم الإسلامي بكل حرية وسلام ، وتعلموا اللغة العربية ، ومنها استطاعوا الاطلاع على علوم المسلمين ، بل إنهم آثروا هذه اللغة وتلك العلوم على ما ورثوه من حضارات سابقة ، الأمر الذي جعل أحد أساقفة النصارى -ألفارو القرطبي- (Alvaro al cordoba)[1] ، وذلك عام (٢٤٠هـ-٨٥٤م) يطلق أنَّة الأسى على بني قومه الذين هجروا لغتهم ، واتجهوا إلى لغة المسلمين وعلومهم ، فهو يقول : «إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويدرسون مذاهب الفقهاء والفلاسفة المسلمين في عمق ، لا ليردوا عليها وينقضوها ، وإنما ليكتسبوا من ذلك أسلوبًا عربيًا جميلًا صحيحًا ، وأين تجد الآن واحدًا من غير رجال الدين يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة . ومن سوى رجال الدين يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل يا للحسرة!!

إن كل الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم ، وهم ينفقون أموالًا طائلة في جمع كتبها ، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالإعجاب ، فإذا حدثتهم عن كتب النصرانية أجابوا في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم ، يا للألم!! لقد أنسي النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد حتى واحدًا منهم بين الألف يستطيع أن يكتب إلى صاحبٍ له كتابًا سليمًا من الخطأ . فأما عن الكتابة في اللغة العربية فإنك واجدٌ فيهم عددًا عظيمًا يجيدونها في أسلوب منمق ، بل هم

---

(١) الفارو القرطبي : ويسمى بـ«بول الفازوس» (paulus Albarus) ، واشتهر عند الإسبان بألفارو (Alvaro) ؛ وكان رجلاً نبيلاً ، قيل إنه من أصل يهودي ، ثم أصبح راهباً ، وقد ألف كتاباً جدلياً ضد الإسلام أسماه (Indiculus luminosus) ، أي : نقد المحمدية ، احتوى على فهم مغلوط لشعائر الإسلام ، عبادة كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، ط١ ، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ٢٠٣ ؛ طارق منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ط١ ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م ، ٤٠ .

ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالًا»[١] .

فهذا النص الذي جاء على لسان الفارو القرطبي الذي عاصر النهضة العلمية الشاملة في الأندلس إبان القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي ، والذي يوضح مدى تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية ، على يد أبنائه النصارى الذين تعلموا لغة المسلمين وعلومهم ، وفي المقابل أنسوا لغتهم وعلومهم ، وهجروها عمدًا ، إن هذا النص دليلٌ قاطعٌ على عمق هذا التأثر الذي لا بدَّ أنه قد بدأ منذ وقت مبكر من اتصال المسلمين بغيرهم في المناطق التي فتحوها ، لا سيما إذا عرفنا أن المسلمين كانوا يهرعون إلى تأسيس المدارس والجامعات ومراكز الثقافة المختلفة لنشر العلم في أي مكانٍ حلوا به[٢] .

فلا غرابة إذن أن تكون التأثيرات العلمية للمسلمين في أوروبا قد بدأت قبل القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، وذلك بحكم التعايش مع سكان البلاد المفتوحة في الشام وصقلية والأندلس وغيرها من أطراف أوروبا ، كما كان للسفارات والمبادلات التجارية دور لا يستهان به في نشأة الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

إلا أن كل ما يهمنا هنا هو الحديث عن البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية ككتاب علمي نقل إلى اللغة الأخرى ، ومن هو الذي قام بنقله ، وفي أي علمٍ كان يبحث موضوع هذا الكتاب ؛ وفي أي مكانٍ تم نقله؟

لقد ورد في كثيرٍ من المصادر والمراجع إشارات عدة بشأن البدايات الأولى

---

(١) دينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس ، (د.ط) ، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ثلاثة اجزاء ، ١/ ٣١٧-٣١٨ ؛ آنخل بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ط١ ، ترجمة : حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨م ، ٤٨٥ ؛ ليفي بروفنسال : حضارة العرب في إسبانيا : ط٢ ، ترجمة : الطاهر مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص١٠١ .

(٢) أحمد علي الملا : أثر العلماءالمسلمين في الحضارة الأوروبية ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ٥٣ ؛ عبدالواحد ذنون طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ط١ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤م ، ٢٢٠ .

للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، يمكن عرضها ، ومن ثم مناقشة صحتها كالتالي :

أولى هذه الإشارات : ما ذكر من تأثر الإمبراطور الفرنجي شارلمان بالحضارة الإسلامية وانبهاره بعلومها ، وذلك عن طريق السفارات المتبادلة بينه وبين الخليفة العباسي هارون الرشيد[1] ، الذي تبادل معه مجموعة من الهدايا التي كانت تمثل آخر ما توصل إليه المسلمون من معارف وحضارة ، الأمر الذي حدا بالإمبراطور شارلمان إلى محاكاة هذه النهضة الإسلامية ، بنهضة أخرى عرفت في التاريخ الأوروبي بالنهضة الكارولنجية[2] ، يقول أحمد سمايلوفيتش : «كثيرًا ما يتحدث التاريخ عن البعثات المختلفة ، كما يتحدث عن صلات الإمبراطور شارلمان بالخليفة هارون الرشيد ، ويبدو أن شارلمان كان على معرفة تامة بأمور الشرق ، كما كان على معرفة كاملة بأمور الأندلس ، وقد كانت معرفته هذه بمثابة الحافز له على أن يسلك في إمبراطوريته طريق العرب بالنسبة للحركة العلمية ، فأخذ يقرب العلماء الملمين بالنهضة العربية ومن بينهم رجل فذ اسمه «الكوان» ، الذي كان يلم بكثيرٍ من المعارف العربية عن طريق اللاتينية والعبرية ، وعندما لاحظ رغبة شارلمان الشديدة في نهضة بلاده بدأ يؤسس المدارس المختلفة والمجامع العلميَّة على غرار المدارس العربية ، وأمر بتدريس العلوم الحديثة فيها ، ولما قوي نفوذه قام بإدخال هذه العلوم في المدارس التي كانت تسيطر عليها الكنيسة ، ووضع مناهج مفصلة لتدريس الجغرافيا ، والموسيقى ، والطب ، والفنون ، وقد فزعت الكنيسة من هذه

---

(١) هارون بن محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي ، الملقب بالرشيد (ت١٩٣هـ/٨٠٨م) ؛ ابن الأثير : أبوالحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ-١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ ، عناية أبوصهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، بيروت ، ٦/ ٢١٢ .

(٢) انظر للحديث عن هذه الصلات : زيغريد هونكة : الإبل على بلاط قيصر ، ط١ ، ترجمة : حسام الشيمي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ص٢٤ ؛ ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٧٤-٧٥ ؛ حسان حلاق : العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، (د.ط) ، الدار الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ص٧٧ ؛ الباز العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، السنة ١٩٥٩م ، مج٨ ، ص١٤٧ ، ١٤٩ .

العلوم الحديثة ، فقامت بإلغاء دراستها بعد موت شارلمان بوقت قصير»[١] .

وقبل الخوض في تفاصيل هذه الإشارة ، ومدى تأثيرها في نشأة الترجمة ، يجب أن نبرهن على صحتها أو عدمها كالتالي :

ما ذكرته هذه الإشارة من حدوث سفارات بين شارلمان والخليفة هارون الرشيد ، لا نجد له ذكرًا إلا في المصادر الأجنبية دون العربية ، فقد ذكرها المؤرخون البيزنطيون واللاتين في كتاباتهم ، ولم يرد ذكرها في المصادر الإسلامية المعاصرة ، وهي أحرص على تدوين أحداث العلاقات بين المسلمين والنصارى في تلك الفترة . يقول أنور الجندي : «تجدد الحديث في هذه الرواية المشبوهة التي وردت في بعض كتب التاريخ العربي الحديث عن علاقة بين هارون الرشيد وشارلمان ، وقد تبين من المراجعات التي أجريتها في الدوريات القديمة أن هذا الموضوع كان مثار جدل منذ أكثر من خمسين عامًا حيث كتب الأستاذ زهدي الداية في مجلة الهلال المصرية يتساءل عما إذا كانت هناك حقًا علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان.. ويقول : راجعت الأصول التاريخية العربية : كالطبري ،وابن الأثير ، وأبي الفداء ، وابن خلدون ، وابن خلكان ، والمسعودي ، والسيوطي ، فلم أجد ذكرًا للعلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان ، ولم أر لذلك ذكرًا في الكتب المتقدمة نقلًا عن التواريخ الإفرنجية»[٢] .

وقد كان أول ذكر لهذه السفارات لدى إينهارد في كتابه «حياة شارلمان» (Viede charlemagne) ، ولعله قصد من ذكر العلاقات في كتابه هذا تفخيم سيده ورفع اسمه ، ثم أتى الراهب سنت جول (st.gall) الذي اخترع قصة الهدايا التي تبودلت بين الاثنين ، وذلك عام (٣١٣هـ/٩٢٥م) ، أي بعد موت شارلمان بمائة وأحد عشر سنة ، واستند في حديثه هذا إلى كتاب (إينهارد)

---

(١) أحمد سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، (د.ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ص٧٢ .

(٢) أنور الجندي : صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١١٧ .

السابق[١] .

ثم أتى الراهب (رشنو) ، وأثبت ما كتبه سابقه ، وفي عام (٣٥٨هـ/٩٦٨م) كتب الراهب (بنوا) أعجب من ذلك كله ، وزاد عليه أن شارلمان زار القبر المقدس ووهب لهارون الرشيد الأراضي المقدسة وجعله حاميًا عليها[٢] .

ولم تمض على هذه القصص الخرافية فترة حتى أصبحت حقائق تاريخية لا غبار عليها عند كثيرٍ من المؤرخين . تقول المستشرقة زيغريد هونكة :«على الرغم من أنَّ المصادر العربية لم تشر إلى مثل هذه الهدايا أو الرسل التي بعث بها الخليفة إلى أحد ملوك الفرنجة ، إلَّا أنه ما من شك في أن ما جاء من دول المشرق العجيبة من هدايا تسلب اللب ، كان يعد -بالنسبة إلى المؤرخ الإفرنجي البسيط- الذي ذكر في هذه القصة شيئًا بالغ الأهمية ، أما المؤرخ العربي الذي كان يعمل في بلاط الخليفة : ذلك البلاط الذي يموج بكافة الأجناس والاتجاهات وتتدفق عليه الأخبار من كافة أرجاء المعمورة ، فلم يكن يهتم لمثل هذا الحدث العادي»[٣] .

إن هذا الحكم من لدن المستشرقة هونكة ، وإن كان يتصف بالواقعية ، إلا أنه يخلو من المنطق السليم في الحكم على مؤرخي الإسلام ونظرهم إلى هذا الحدث بأنه أمرٌ عادي ، فبغض النظر عن الهدايا ونوعيتها ، نجد أن المؤرخين المسلمين كانوا يهتمون كل الاهتمام بتدوين أحداث العلاقات الإسلامية النصرانية لا سيما مثل هذه السفارات ، وما يسفر عنها من نتائج تخص العالم الإسلامي . فكيف بهذه السفارة التي تحدثت عن وجود امتيازات وهبها الخليفة المسلم للنصارى في بيت المقدس .

يقول زهدي الداية : «بما أنَّ الأصول العربية لا تذكر شيئًا البتة عن العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان ، وبما أن الأصلين الوحيدين لحياة شارلمان يذكران

(١) اينهارد : سيرة شارلمان : ١٠٤-١٠٦ ؛ الجندي : صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، ص١١٧ ؛ حسين مؤنس : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ص١٣٨ ، ١٤٠ .

(٢) الجندي : صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، ص١١٧ .

(٣) الإبل على بلاط قيصر ، ص٢٩ .

تسع بعثات بين شارلمان والبطريك ، إذن نرجح ترجيحًا علميًا صحيحًا أن البطريك - لا هارون الرشيد - هو الذي وهب القبر المقدس لشارلمان وأن شارلمان لم يكن حاميًا للأراضي المقدسة ، وأن ذكر المفاتيح والساعة والفيل وما أشبهه ما هي إلا خرافات اخترعتها عقول الكتاب في القرون الوسطى لغاياتهم الشخصية أو لتعظيم شخصية شارلمان ، وهؤلاء الكتاب لا نثق بهم أي ثقة علمية صحيحة»(١) .

وقد ناقش عبدالعزيز الدوري جميع الآراء الواردة في هذه العلاقة في كتابه العصر العباسي الأول(٢) . وخرج بنتائج طيبة منها قوله : «هكذا يظهر وهن نظرية الحماية وأساسها الأسطوري . والذي أراه من هذه المعلومات المحدودة (ولم أظفر بالنص في المصادر اللاتينية) احتمال وجود نوع من الصلات ، ولكنها صلات تجارية لا سياسية ، وأن المسئول عنها هم التجار اليهود العالميون الذين كانوا حلقة وصل بين الغرب والشرق ، ولعلهم من اليهود الرادانية الذين كانوا يحسنون عدة لغات ويتاجرون بين فرنسا والأقطار الإسلامية والصين كما بين ابن خرداذبه(٣) ، خاصة وأن من أساليب التجارة آنئذ أن يدَّعوا بأنهم سفراء لتسهيل مصالحهم»(٤) .

ولم يقتصر إنكار هذه العلاقات عند المؤرخين المسلمين –المحدثين- وحدهم ، بل نجد كثيراً من المؤرخين الغربيين ينكرونها أمثال : رنسيمان ، وجورانسن ، وبارتولد ، الذي اعتبر سكوت المصادر العربية حجة كافية لنفي وجود هذه الصلات(٥) .

أمَّا المؤرخ كلينكوز ، والذي اعتمد في بحثه على الأصول اللاتينية فقد أنكر وجود مثل هذه العلاقات بقوله : «إنه لم يكن هناك علاقات بين هارون الرشيد

---

(١) الجندي : صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، ص١١٨ .

(٢) عبدالعزيز الدوري : العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، ط٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ص١١٦-١٢١ .

(٣) ابن خرداذبه : أبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) : المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٠٧هـ-١٨٨٩م ، ص١٨٢ .

(٤) العصر العباسي الأول ، ١٢١ .

(٥) المرجع نفسه ، ص١٦١ ؛ مؤنس : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص١٤٥ .

وشارلمان ، وما هذه العلاقات التي نسبت إليه إلا خرافات اخترعتها عقول الرهبان والمؤرخين في القرون الوسطى»[١] .

وقد أثبت كلينكوز قوله هذا بعدة براهين منها :

١ - أن المرجعين الأصليين لتاريخ الرومان في هذه الفترة لا يذكران ذلك ، وأن ذكر العلاقات بين هارون الرشيد وشارلمان كانت لعدم فهم هذين الكتابين فهمًا صحيحًا .

٢ - لقد ذكر كتاب «حياة شارلمان» تسع بعثات بين شارلمان وبطريرك القدس ، ولكن هذا لا يستنتج منه أنه كانت هناك علاقات بين هذين الملكين[٢] .

وهكذا نجد أن هذه العلاقات بين شارلمان وهارون الرشيد ، من ابتكار مؤرخي شارلمان ليزيدوا من فضله وجاهه ، وأن الذين أيدوها من المؤرخين الأوروبيين المحدثين إنما فعلوا ذلك بدوافع بعضها ديني كالرغبة في إثبات أن المسلمين في أيام عزهم سمحوا للنصارى بحماية الأراضي المقدسة ، بل تركوا مفاتيح كنيسة القيامة[٣] في يد شارلمان ، وبعضها سياسي يرمي إلى القول بأنه كان للغرب على الأراضي المقدسة حقوقٌ اعترفت بها الدولة الإسلامية في أوجها[٤] .

ومما زاد في انتشار هذه القصة ، وجعلها تلقى شهرة واسعة هو تفسيرها على ضوء الاستنتاج بأن الخلافة العباسية في تلك الفترة كانت تبحث عن علاقات ودية مع أباطرة الغرب ، للاستعانة بهم ضد الخلافة الأموية في الأندلس العدو التقليدي لهم آنذاك[٥] .

---

(١) أنور الجندي : صفحات مضيئة في تراث الإسلام ، ص١١٧ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) كنيسة القيامة : هي كنيسة داخل أسوار البلدة القديمة في القدس ، بنيت مكان الصخرة ، وتسمى عند جغرافيي المسلمين كنيسة القمامة ، وهي أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/ ٤٥٠ .

(٤) مؤنس : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص١٤٥ .

(٥) طه الولي : الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم ، ط١ ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ، ص١٩ .

نعم! إن الخلافات بين الخلافة العباسية في المشرق والخلافة الأموية في الأندلس ثابتة بلا شك لدى المؤرخين ، ولكنه لا يعقل -على حسابها- أن يضع الخليفة المسلم هارون الرشيد ثقته في الغرب الكافر لاسترجاع الأندلس ، كما أنه لا يجوز له أن يتفق مع شارلمان النصراني لضرب مسلمي الأندلس ، وهل من المعقول أن يفكر الرشيد في استرجاع الأندلس في وقت اضطر فيه أن يتخلى عن سلطته الحقيقية في أفريقية «تونس» والمغرب؟ كل هذه التفاصيل تنفي ما يدفع الرشيد لفتح مثل هذه العلاقات[١] .

هذا من ناحية علاقة شارلمان بالمشرق ، أما من ناحية العالم الكوين والذي ذكرته هذه الإشارة بأنه قام بنقل العلوم العربية إلى أوروبا وذلك استنادًا إلى ما ذكره أحمد سمايلوفيتش ، أن شارلمان أخذ يقرب العلماء الملمين بالنهضة العربية ومن بينهم هذا العالم ، الذي أطلق عليه اسم «ألكوان»[٢] ، والذي تعرف على هذه العلوم عن طريق اللغتين اللاتينية والعبرية . ومن ثم قام بتدريسها في مدارس الإمبراطورية[٣] .

ولكن! هل قام ألكوين بنقل هذه العلوم من العربية إلى اللاتينية والعبرية بنفسه ، ليتمكن من إدخالها في التعليم آنذاك أم أنه استعان بأحد في ترجمتها؟

بالرجوع إلى المراجع التي تناولت سيرة هذا العالم ، لا نجدها تذكر معرفته باللغة العربية ، بل إن سعيد عاشور في معرض حديثه عنه يقول : «بأنه كان ضعيف المعرفة باللغتين اليونانية والعبرية ، ومن ثم لم يكن إلا علمًا من أعلام النهضة الكارولنجية ، وهو ذو أصل إنجليزي ؛ فقد ولد في مدينة يورك سنة ٧٣٥م ، وقام برحلتين في القارة الأوروبية ، إحدى هذه الرحلات كانت إلى روما سنة ٧٨٠م ، حيث التقى فيها بشارلمان الذي عرض عليه مصاحبته إلى مملكته ، ليحتل مكانًا

---

(١) مؤنس : تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص١٤٠ .

(٢) الصحيح أن اسمه «ألكوينAlcuin» استنادًا إلى المراجع التي ترجمت له . انظر : عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٤٣/٢ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ٢٣٧/١٤ .

(٣) سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٧٢ .

بارزًا في بلاطه . وذلك سنة ٧٨٢م ، بالإضافة إلى إشرافه على شئون الثقافة والتعليم في الإمبراطورية»[١] .

وعندما استقر به المقام هناك ، بدأ يؤسس المدارس ، ويضع المناهج التي تناولت المواد المعروفة في أوروبا العصور الوسطى ، وهي : اللغة ، والنحو ، والبلاغة ، والمنطق ، والجغرافيا ، والموسيقى ، والطب ، والفنون . كما أنه قام بجهود ملموسة في الإكثار من المدارس الدينية ، ورفع مستواها ، فظلت الدراسات الدينية هي المحور الأساسي الذي دارت حوله هذه النهضة[٢] .

وهكذا نجد أنه لا يبدو أي أثر للثقافة أو العلوم الإسلامية على اهتماماته التعليمية ، أما ما ذكر من أن الكنيسة قامت بإلغاء تدريس هذه العلوم بعد موت شارلمان بوقتٍ قصير ، فلم يكن سبب ذلك هو التأثير الإسلامي على هذه العلوم ، فقد سبق الحديث عن الكنيسة ومحاربتها للعلم أيًا كان ، كما تناولنا أسباب موت نهضة شارلمان وعدم استمرارها ، ذلك لأنها كانت أصلًا تدور في فلك الكنيسة المحارب الأول للعلم آنذاك .

إن الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نستنتج منه تأثر النهضة الكارولنجية بالحضارة والعلوم الإسلامية في هذه الإشارة ، هو التأثر بالهيكل التنظيمي العام للتعليم فيها .

فلعله -نتيجة الحملة[٣] التي شنها شارلمان على المسلمين في الأندلس- ، حدث

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٤٣-٥١ .

(٢) نفس المرجع والجزء والصفحات .

(٣) عرفت هذه المعركة في المصادر الإسلامية باسم (باب شزروا) ، وفي المصادر الإسبانية باسم (رونسفال) ، وقد كانت سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م ، حيث اتجه شارلمان عبر جبال البرتات إلى الأندلس واستمر في زحفه إلى أن وصل إلى سرقسطة ، ولكنه فشل في حملته هذه حيث لم تفتح سرقسطة أبوابها ، ومن ثم عاد أدراجه إلى بلاده ، وفي طريق عودته هجم الباسك على مؤخرة جيشه وقضى عليه ، وقد كان هذا الهجوم باشتراك المسلمين أيضًا ، وكان سبب هذه الحملة استنجاد أحد زعماء المسلمين في الأندلس ويسمى (سليمان بن يقظان) وآخرون معه ، بشارلمان ضد الأمير عبدالرحمن الداخل ، مما حدى به إلى قيامه بحملته . لمعلومات مفصلة عن هذه الحملة . انظر : المقري : أحمد بن محمد : (ت١٠٤١هـ-١٦٣١م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان

تأثير غير مباشر لعلوم المسلمين ، وذلك عن طريق الأسرى ، أو عن طريق الوفود[1] التي أتت إلى بلاطه ، وما صورته له الأخبار من التقدم العلمي للدولة الإسلامية في قرطبة وغيرها من مراكز العلم ، مما حدا به إلى محاكاة النهضة العلمية الإسلامية ، بنهضة مماثلة في إمبراطوريته ، ومن ذلك أنه وجد مثلاً أن المساجد الأندلسية كانت المدرسة ودار العبادة في آن واحد ، فأصدر أمره الشهير بفتح المدارس في الأديرة بعد (١١) سنة من عودته من الأندلس ، وكان لهذا القرار تأثير عميق على تطور الثقافة الأوروبية فيما بعد ، وسمع بتكريم الخلفاء للعلماء فجمع في بلاده أبرز مثقفي عصره من مختلف الممالك النصرانية ، يقول عبدالإله ميسوم : «استفاد الكارولنجيون carolingiens من ثقافة المسلمين لدرجة يجب معها تصديق قول القائل : (لولا محمد لما اهتم شارلمان بالثقافة والتربية»[2] .

٢ - الإشارة الثانية التي وردت كبداية أولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية هي : ما ذُكر من تلقي الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث ، Michael III[3] ، خطابًا من أحد الخلفاء العباسيين يستفسر فيه عن دينه ، ويدعوه للدخول في

=

الدين الخطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، الأجزاء ثمانية ، ٣/٣٩-٤٨ ؛ مونتجمري وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ط٢ ، ترجمة : محمد رضا المصري ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ٤٨-٤٩ ؛ محمد عنان : دول الإسلام في الأندلس ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، القسم الأول ، ١٦٨ ؛ خليل السامرائي وعبدالواحد طه ، وناطق مطلوب : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص١٣٠ .

(١) ذكر المقري أن اتصالات جرت بين شارلمان وعبدالرحمن الداخل لإحلال السلم ، بل إن شارلمان طلب المصاهرة لتقوية العلاقات بين البلدين ، فتم السلم ولم تتم المصاهرة ، ولم يقم شارلمان بعدها بأي محاولة لغزو الأندلس . المقري : نفح الطيب ، ١/٣٣٠-٣٣١ .

(٢) عبدالإله ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١م ، ١٠٦ ، حتامله : الأندلسيون المواركة ، ص٢٧١ .

(٣) ميخائيل بن ثيوفيل الثالث (ت٢٥٣هـ/٨٦٧م) ، أحد أفراد الأسرة العمورية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية ، السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ص٢٩٤ .

الإسلام ، فما كان من هذا الإمبراطور إلا أن ردَّ على هذا الخطاب بخطابين آخرين أوكل مهمة كتابتهما إلى الفيلسوف نكيتاس بيزنيطيوس Nikets Byzantios[(١)] ، الذي قام بكتابتهما وأتبعهما بدفاع عن اعتقاد الثالوث ، وتفنيد مطول للقرآن[(٢)] .

ولقد درس نكيتاس القرآن من خلال الترجمة الإغريقية ، ثم قام بتفنيده من خلال كتابه : «نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمدين» ، حيث فند الثماني عشرة سورة الأولى[(٣)] ، إضافة إلى نهاية السورة السادسة والثلاثين[(٤)] منه[(٥)] .

ويعد عمل نكيتاس هذا ، أول هجوم مفصَّل على القرآن ، ونحن لا نعلم على أي ترجمة للقرآن قد اعتمد في دراسته له ، ولا نستطيع تحديد تاريخ بعينه لنشأتها ، لا سيما إذا عرفنا أن الهجوم المتعمد على الإسلام وكتابه ونبيه محمد ﷺ بدأ منذ وقتٍ مبكر ، يرجع إلى أيام الدولة الأموية في المشرق الإسلامي ، وكان النصارى خلالها يعتمدون في تفنيدهم للإسلام ، ومقارعة أهله على كتابه «القرآن» ، الذي استفادوا من اطلاع علماء النصارى المشارقة المتمكنين من اللغة العربية عليه ، ومن ثم الاستفادة من ردودهم التي ظهرت كمؤلفات ضد الإسلام وكتابه ونبيه محمد ﷺ[(٦)] .

إلا أن هذه الإشارة تفيدنا أنَّ القرآن الكريم قد ترجم عن العربية إلى اللغة

---

(١) نيكتاس بيزنيطيوس عاش ما بين (٢٢٨-٣٠٠هـ/٨٤٢-٩١٢م) ، ولا يعرف شيئًا عن حياته . عبدالرحمن بدوي : دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ترجمة : كمال جاد الله ، دار العالمية للنشر ، ٥ ؛ رشا الصباح : الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، مجلة عالم الفكر ، مج١٥ ، ع٣ ، ٨٣ .

(٢) الصباح : المرجع السابق .

(٣) بمعنى أنه تناول السور الآتية : (الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، الأنفال ، التوبة ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم ، الحجر ، النحل ، الإسراء ، الكهف) ، والتي تقع في خمسة عشر جزءًا أي نصف الكتاب العزيز .

(٤) وهي سورة يس .

(٥) بدوي : دفاع عن القرآن ، ص٥ ؛ الصباح : الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، ص٨٣ .

(٦) أليكسي جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ترجمة : خلف محمد الجراد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ٦٠ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ١٢٠-١٢٣ ، وسيأتي الحديث عن كتاب النصارى ضد الإسلام في الفصل القادم .

الإغريقية ، -والتي تعد إحدى لغات الغرب- منذ وقتٍ مبكرٍ يرجع إلى القرن التاسع الميلادي ، طبقًا لما جاء في هذه الإشارة من تاريخ هذا العالم الذي اطلع على هذه الترجمة ، كما أنها تفيدنا في اعتبار القسطنطينية مركزًا هامًا ومنطلقًا للترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية . هذا إذا كانت هذه الترجمة قد تمت على أرضها وداخل أديرتها . أما إذا كانت هذه الترجمة واردة إليها من نصارى المشرق[١] فهنا يصبح المشرق الإسلامي هو المنطلق الأول للترجمة من اللغة العربية ، كما كان منطلقًا للترجمة إلى هذه اللغة من ذي قبل .

٣ - الإشارة الثالثة هي ما ذكرته المصادر والمراجع عن السفارة التي بعث بها الإمبراطور الألماني أوتو الأول الكبير ، Otto I thegreat[٢] ، إلى الخليفة الأموي في الأندلس عبدالرحمن الناصر[٣] ، وذلك سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م ، وقد وقع اختياره للقيام بهذه المهمة السياسية على راهب يدعى «يوحنا اللوريني John of lorraine»[٤]

---

(١) إن اعتبار هذه الترجمة واردة من نصارى المشرق ، دون نصارى المغرب أو أي مكان آخر ، ذلك أن نصارى المشرق أقدم تعايشًا وأرسخ قدمًا في مجادلة الإسلام والمسلمين ، والاطلاع على كتابه من غيرهم ، هذا فضلًا عن الخلافات المذهبية بين نصارى المشرق والغرب فهم يتبعون في أغلبهم كنيسة الدولة البيزنطية .

(٢) أوتو بن هنري الصياد ، أحد الأباطرة السكسون الذين انتخبوا لحكم ألمانيا ، تولى الملك سنة (٣٢٥هـ/٩٣٦م) وتوج امبراطورًا سنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) ، واستمر إلى وفاته سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م) . ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ٣/٨٦٧ .

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله الأموي ، (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) ، أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية ، في الأندلس كان عاقلًا حازمًا ، جمع الملك . ابن الأبار : محمد بن عبدالملك القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) : الحلة السيراء ، ط٢ ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، جزأين ، ١/١٩٧-١٩٩ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/٣٥٣ وما بعدها .

(٤) يوحنا اللوريني : ينسب إلى دير غورز gorze الذي كان ينتمي إليه هذا الراهب بالقرب من مدينة ميتز (METZ) الفرنسية . انظر : جوزيف رينو : الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، ط١ ، ترجمة : إسماعيل العربي ، دار الحداثة ، وديوان المطبوعات ، الجزائر ، ١٩٨٤م ، ١٧٥ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٠٦ ؛ أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧م ، ص٢٧٢ .

وعلى الرغم من أن الكثير من المراجع[١] لم تبين مهمة هذه السفارة إلا في الناحية السياسية[٢] ، إلا أننا نجد كلا من جلال مظهر ، ومحمد حمادة ، يذكران نجاحها في الناحية العلمية حيث ذكرا عدة أمورٍ تخص الترجمة منها :

أ - أن هذا الراهب مكث في قرطبة ثلاث سنوات تعلم خلالها اللغة العربية ، وتعرف على علومها عن طريق رجلين هما : حسداي اليهودي (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)[٣] ، والأسقف ريثموندو[٤] .

ب - أن هذا الراهب اصطحب معه عند رجوعه إلى بلاده بعض المخطوطات العلمية ، والتي تقدر بحمل حصان من الكتب ، وذلك سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، ولا يعلم على وجه التحديد ما هي طبيعة هذه الكتب ، وما هي المواضيع التي تعالجها ،

(١) لم تتحدث المراجع التي تناولت هذه السفارة عن النتيجة العلمية لها . انظر : بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص١٠٦ ؛ هونكة : الإبل على بلاط قيصر ، ٣١ ؛ العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٧٢ ؛ عبدالرحمن الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية خلال المدة الأموية ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٢٧٩ ؛ بل إن رينو الذي ذكر تفاصيل هذه السفارة بقلم أحد تلاميذ الراهب لم يذكر شيئا عن النتائج العلمية التي ذكرت عند كل من جلال مظهر ، ومحمد حمادة ، بل إنه نوَّه في آخر حديثه أن الرسالة ناقصة والكلام منقطعٌ في أهم نقطة من الموضوع ، ولم يعثر إلى الآن على نسخة تامة لتلك الرسالة . الفتوحات الإسلامية ، ص١٨١ .

(٢) سيأتي الحديث عن المهمة السياسية لهذه السفارة في المبحث الخامس بالسفارات ، ص١٨٥ .

(٣) حسداي اليهودي ، هو حسداي بن إسحاق بن عزرا بن شبروط ، طبيب يهودي أندلسي ، من أحبار اليهود ، خدم عبدالرحمن الناصر ومن بعده ابنه الحكم ، وهو أول من بدأ الدراسات اليهودية في الأندلس بعد أن تمتع بالرعاية الإسلامية ، (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م) ، صاعد : طبقات الأمم ، ص٨٨ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٨ ؛ محمد بحري عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، المكتبة الثقافية ، ١٩٧٠م ، ٢٢ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٤/٥١ .

(٤) الأسقف ريثموندو : ويعرف في المصادر الإسلامية بـ ربيع بن زيد القرطبي ، ظهر نشاطه في عصر عبدالرحمن الناصر ، وكان يقوم بمهمة السفارة لعدد من الدول الأوروبية ، وله عدة مؤلفات . ابن عذاري : أحمد بن محمد المراكشي : (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط٢ ، تحقيق : ج .س.كولان ، وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، أربعة أجزاء ، ٢/٢٣١ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/٣٦٥ ؛ كحيلة : تاريخ نصارى الأندلس ، ١٣٣ .

إلا أنه من المرجح أن تكون في الفلك والرياضيات ؛ لأن هذا الراهب كان من المولعين بدراسة هذين العلمين ، كما أنه وجد في القرن التالي « الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي» ازدهار ملحوظ في دراسة هذين العلمين في مدارس اللورين مكان إقامته[١] .

وهكذا نجد أن هذه الإشارة قد اشتملت على عدة نقاط هامة تخص الترجمة من العربية إلى اللاتينية كالتالي :

١ - تفيدنا هذه الإشارة إلى وجود بدايات أولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية تمت خلال القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، عن طريق الراهب يوحنا اللوريني ، السفير الألماني لدى قرطبة .

٢ - لم تحدد هذه الإشارة من هو الذي قام بأمر ترجمة المؤلفات ، أهو الراهب يوحنا الذي تعلم العربية خلال إقامته بقرطبة ، أم أنه استعان بأحد في ترجمتها ، لا سيما إذا عرفنا أن حسداي بن شبروط أحد الذين التقى بهم هناك كان مجيدًا للغة العربية والعبرية واللاتينية أيضًا[٢] .

ومن هنا لا نستطيع تحديد المركز الذي تمت فيه الترجمة ، أكان ذلك في الأندلس ، أم أن يوحنا لم يترجم هذه المؤلفات إلا بعد رجوعه إلى وطنه .

٣ - ذكرت هذه الإشارة أن المخطوطات التي امتلكها هذا الراهب معه عند رجوعه إلى بلاده كانت كثيرة تقدر بحمل حصان من الكتب . ولكنها لم تحدد في أي علمٍ تبحث هذه المخطوطات ، بل غلب الظن على أنها تبحث في علمي الرياضيات والفلك ، بسبب أن هذا الراهب كان أحد المولعين بهذين العلمين ، إضافة إلى انتشار دراسة هذين العلمين في القرن التالي «الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي» في حوض اللورين مكان إقامة يوحنا .

---

(١) جلال مظهر : حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ٤٩٦ ؛ محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصادرها ، ط٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، ٢١٢-٢١٣ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٨ ؛ عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٢٢ .

إلا أننا لو دققنا في حقيقة الأمر لوجدنا أن يوحنا كان من أبرز علماء اللاهوت في بلده ، وقد وقع اختيار الإمبراطور أوتو الكبير عليه ، حتى يحمل رسالة سياسية دينية إلى الطرف الآخر ، بل إن يوحنا كان من النصارى المتحمسين لدينه المتعصبين لملته ، بدليل الرسالة التي حملها معه إلى الخليفة الناصر ، والتي كتب في طياتها نيلًا من المصطفى ﷺ ، وقد قابل أثناء إقامته في قرطبة عددًا من أساقفة النصارى من بينهم مطران قرطبة ، وقد لامه يوحنا على تساهل النصارى في دينهم ، وتشبههم بالمسلمين في كثير من الأمور[١] .

لذا ؛ لم لا تكون المخطوطات التي حملها معه قد حوت علومًا أخرى غير الرياضيات والفلك؟ لا سيما إذا عرفنا أنه أقام بجوار اليهودي حسداي بن شبروط ، الذي كان متضلعًا في عدة علوم من أهمها علم الطب الذي بلغ فيه شأوًا بعيدًا ، حتى أصبح من كبار أطباء قصر الناصر آنذاك[٢] .

أما ما قيل من أن هذين العلمين قد انتشرا في حوض اللورين (lorraine)[٣] والفلاندر(FLANDERS)[٤] ، في القرن التالي «الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي» ، فهذا لا يعتبر أن يوحنا لم يحمل معه إلا مخطوطات هذين العلمين فقط . فقد وصلت مؤلفات هذين العلمين ، بل ترجمت في هذه المناطق منذ (القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي) من روافد أخرى ، -على يد جربرت- كما سيأتي بيانه .

إذن ، فلا يمكن الجزم على أي علم احتوت مخطوطات يوحنا التي حملها معه

---

(١) رينو : الفتوحات الإسلامية ، ١٧٧ ؛ شكيب أرسلان : غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ٢٣١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٨ .

(٣) اللورين : هي إحدى أقاليم فرنسا الستة والعشرين . وعاصمتها مدينة ميس . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤١٣/١٣ .

(٤) الفلاندر : جزء من شمال أوروبا كان في الماضي وحدة قائمة بذاتها حتى بداية العصر الحديث ، حيث أصبحت تشكل ثلث المنطقة التاريخية للفلاندر حالياً مقاطعات «الفلاندر الشرقية والغربية» في شمال بلجيكا ، وتمتد قليلاً لتدخل هولندا ، أما بقية المنطقة فتقع حالياً في النصف الشمالي من المنطقة الإدارية الفرنسية المعروفة باسم نورد . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٣٦/٥-٢٣٧ .

إلى وطنه ، لاسيما أنها كانت مجموعة كبيرة من الكتب ، ولعلها حوت عدة علوم وفنون ، خاصة إذا عرفنا أنه أتى سفيرًا لبلاده ، وليس رحالة بمفرده حتى يحتكر العلم الذي يريد ، وقد كان من ضمن أهداف هذه السفارة كما ذكر عبدالرحمن الحجي : «الوقوف على مدى التقدم الفكري والعلمي في الأندلس ، على أمل الإفادة منه»[١] .

٤ - أما الإشارة الرابعة للبدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، فهي رحلة جربرت دي أورلياك Gerbert de Oraliac إلى الأندلس .

ولد جربرت سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م ، على وجه التقريب[٢] في مدينة أورياك Auriuac إحدى مدن إقليم الأوفر : AL-Auvegere وسط فرنسا ، ونشأ بدير سان جيرو Saint-Gerauct أحد أديرة هذه المدينة ، حيث ظل به عشرين عامًا إلى أن زار هذا الدير أحد كونتات برشلونة(barcelona)[٣] ، وهو «الكونت بوريل البرشلوني Borel von Bareelona» ، واجتذبه ذكاء الفتى جربرت ، وطلب إذنًا من رهبان الدير في اصطحابه إلى وطنه عبر البرانس[٤] .

كانت هذه هي البداية ؛ لأنها سمحت لجربرت بالاطلاع على حضارة

---

(١) العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ٢٨٤ .

(٢) اختلفت المراجع في تاريخ ولادة جربرت ، فنجد ميلي وبدوي يذكران ولادته سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م ، بينما ذكر العقيقي أنه ولد سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م . انظر : ألدوميلي : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، ط١ ، ترجمة : عبدالحليم النجار ، ومحمد موسى ، مراجعة : حسين فوزي ، دار القلم ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ، ص٤٥٤-٤٥٥ ؛ عبدالرحمن بدوي : موسوعة المستشرقين ، ط٣ ، دار القلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ١٧٨ ؛ نجيب العقيقي : المستشرقون ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ثلاث أجزاء ، ١/١١٠ .

(٣) برشلونة : مدينة أندلسية ، فتحها المسلمون سنة (٩٤هـ/٧١٢م) ، وهي مدينة شرقي إسبانيا على البحر المتوسط . الحميري : محمد بن عبدالمنعم (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط٢ ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ٨٦-٨٧ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/٣٠٤ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٤-٤٥٥ ؛ هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٨٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٧٨ .

المسلمين وعلومهم عن قرب ؛ إذ إنه سمع عن التقدم العلمي في الأندلس آنذاك عبر السفارات[1] ، التي كانت ترسل من الفرنجة وحاكم برشلونة إلى الأندلس ، مما زاده حماساً إلى الارتحال وطلب هذه العلوم من مظانها[2] .

قام جربرت برحلته المشهورة والتي استغرقت ثلاث سنوات (٣٥٧-٣٦٠هـ/٩٦٧-٩٧٠م) إلى بلاد الأندلس[3] ، وقد اختلف في المدن التي اتجه إليها ، فنجد عددًا من الباحثين أمثال الدوميلي ينفي ذهابه صوب قرطبة ، ويقول إنه تابع تعليمه بمدينة برشلونة ودول مسيحية أخرى[4] .

أمَّا المؤرخ هاسكنز C.H.Haskins فيقول : «بالتأكيد أنه قام بزيارة دولة برشلونة في شبابه ، ودرس الرياضيات هناك . وليس هناك دليلٌ على أنه قد عبر بشكل أعمق إلى شبه الجزيرة»[5] .

إلا أننا نجد رينو (Reinaud) يذكر أنه : «كان أحد الوافدين إلى الأندلس ودرس في جامعاتها ، واهتم بدراسة العلوم الطبيعية والرياضية ، وبرع بها حتى خيل لعامة قرنه إذ ذاك أنه ساحر[6]»[7] .

يقول بدوي : «لم يعد الجادون من المؤرخين يشكون في قيامه بهذه الرحلة التي شهد بها معاصره المؤرخ أدماردي شابان Ademar de chabannes» خصوصًا ، ومن

---

(١) كانت هذه السفارة في عهد الخليفة الحكم المستنصر (ت٣٦٦هـ/٩٧٦م) ، للمزيد عنها ، انظر : الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ٣٥٧-٣٦٩ ؛ خليل السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ١٩٠ .

(٢) هونكة : شمس العرب تسطع على العرب ، ٨٠ .

(٣) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٧٨ .

(٤) العلم عند العرب ، ص٤٥٤ .

(٥) C.H.Haskins studies in the history of mediaeval science,Printed in united states of America,١٩٦٠,P.٩.

(٦) الفتوحات الإسلامية ، ٢٥٢ .

(٧) تقول الأسطورة أنه كان يهرب ليلًا من الدير إلى أسبانية ليتعلم على يد العرب علم الفلك والفنون الأخرى ، وأنه تعلم هناك إحضار الجان وما يضر البشر وينفعهم . هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٨١ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ص٥٦٨ .

الثابت أنه زار إسبانيا وأمضى بها ثلاث سنوات من سنة ٩٦٧ إلى سنة ٩٧٠م ، خلال هذه السنوات الثلاث لم يكن في قطالونيا من العلم آنذاك ما يشغل ذهنه ؛ لهذا فمن المؤكد أنه رحل من قطالونيا إلى حيث مركز العلم والثقافة في ذلك الحين ، أعني إلى قرطبة الزاهرة في عهد الحكم الثاني (ت٣٦٦هـ)[١] .

ومهما يكن فإن الجميع متفق على أن جربرت تلميذ الثقافة الإسلامية ، وأن أثرها كان واضحاً في مؤلفاته سواء أخذ هذا العلم من قرطبة ذاتها ، أو أنه أخذه من برشلونة عن كتب ترجمت من العربية[٢] .

وقد اهتم جربرت بعد عودته من إسبانيا بالعلوم العربية دراسة وتدريسًا ، كالجبر والحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، وكان يعتمد على كتب مترجمة من العربية ، وقد كلف أحد المترجمين وهو (لوبيتوس Lupitus)[٣] من مدينة برشلونة بترجمة كتاب في الفلك من العربية إلى اللاتينية[٤] . ونحن لا نعلم لم قام جربرت بتكليف هذا الرجل بترجمة الكتاب ، أكان ذلك جهلًا منه باللغة العربية كما أكد ذلك المؤرخ «كارل ستيفنسون» الذي علل عدم معرفته بالعربية لأنه لم يستخدم الصفر العربي[٥] في حساب الجبر الذي كان المسلمون على علمٍ به منذ مئات السنين قبل جربرت[٦] ، أم أنه كان عالمًا بها لاعتباره أول من استشرق كما أقرَّ به بعض الباحثين[٧] .

---

(١) عبدالرحمن بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص٥-٦ .

(٢) مظهر : حضارة الإسلام ، ص٤٩٧ ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ص١٣٨ ؛ .

(٣) يقول هاسكنز عن هذا المترجم أنه غير معروف إلا أنه من مدينة برشلونة Haskins studies in the history of meidaeval science P.٩.

(٤) سزكين : نقل الفكر العربي إلى أوروبا ، ٢٩١ .

(٥) لم يكن الصفر قد عرف في تلك الآونة في بلاد الأندلس ، لذا أخذ جربرت عن المسلمين الأرقام التسعة فقط دون الصفر ، ثم دخل الصفر إلى الأرقام عن طريق مسلمي المشرق بعد ذلك .
هونكة : شمس العرب ، ص٨٣ ، ٨٤ .

(٦) السامرائي : الاستشراق ، ص٧٥ .

(٧) سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٦٠ ، يقول عمر فروخ : «ولكننا لا نستطيع أن نعد جربرت

وعلى كل حال ، فقد كان جربرت أول من عرَّف الغـرب بالأرقـام العربيـة ، واستعمل وسائل الإيضاح المستعملة عند المسلمين كالمعداد[١] والكـرة الجغرافيـة ، وغيرهـا . وكثـيرًا مـا فكـر في العـودة مـرة ثانيـة إلى إسـبانيا للتعمـق في الدراسـة والبحث ، غير أن شواغله السياسية[٢] حالت بينه وبين تحقيق منيته[٣] . إلا أنـه تـرك مجموعة من المؤلفات الأدبية والفلسفية منها :

١ - مجموعة رسائل عددها (١٤٩) رسالة ، وتمثل وثائق تاريخية مهمـة نظـرًا لارتباطها بأحداث عصرها السياسي[٤] .

٢ - أعمال مؤتمر سان بال .

٣ - حياة القديس أدلبير ، أسقف براغ .

٤ - الخطب التي ألقاها في محاكمته أمام عدة مجامع ، دفاعًا عن نفسه[٥] .

٥ - مؤلفـات جربـرت في الرياضـيات ، نـشرها Dulnov بعنـوان « Gerbert Opera mathematic ca»[٦] .

لقد نال جربرت بعد عودته إلى بلده مناصب عـدة ، منهـا : أنـه أصـبح نـاظر

=

هذا في سلسلة الذين اتفقنا على تسميتهم المستشرقين ، إنه لم يكن يعرف اللغة العربيـة ، ولا تـرك لنـا كتابًا مؤلفًا» . الاستشراق في نطاق العلم ، ضمن كتاب : الإسلام والمستشرقون ، لنخبة من العلماء ، ١٢٨ .

(١) المعداد : جهاز يستعمل للقيام بعمليات العد ، المعجم الوسيط ، ٥٨٧/٢ .

(٢) رحل جربرت إلى روما ، وهناك قابل القيصر أوتو الأكبر ، ثم عينـه أوتـو الثالـث معلـمًا ومستـشارًا للقيصر ثم كبيرًا للأساقفة ، وفي عام (٣٩٠هـ/٩٩٩م) ارتقى جربرت كرسي البابوية ليـصبح البابـا سلفستر الثـاني «Silvester II» . هونكـة : شـمس العـرب تـسطع عـلى الغـرب ، ص٨١ ؛ بـدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٧٨ .

(٣) مـيلي : العلـم عنـد العـرب ، ص٤٥٥ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١١٠/١ ؛ ديورانـت : قـصة الحضارة ، ٣٨٠/١٤-٣٨١ ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ص١٤٠ .

(٤) نشرها J.Hvet نشرة جيدة «باريس ١٨٨٩م» . بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٧٩ .

(٥) نفس المرجع ، ص١٧٩ .

(٦) نفسه ، ١٧٩ .

المدرسة الأسقفية في مدينة ريمس (Reims)[١] ، ثم أسقفًا في رافين (Ravenne)[٢] ، ثم جلس على عرش البابوية في مدينة روما باسم سلفستر الثاني Silvester II ، ولبث به إلى وفاته سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٣م)[٣] .

إن هذه الإشارة تفيدنا التالي :

١ - أن جربرت أورلياك ، هو أول من قام بنقل العلوم العربية إلى أوروبا ، سواء ترجمها بنفسه ، أو استعان بأحد كـ«لوبيتوس» في هذه الترجمات .

٢ - أن أول ما نقل من علوم المسلمين في تلك الآونة ، أعني –القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، كان في مجال العلوم الطبيعية كالرياضيات والفلك والفلسفة ، بدليل ما خلفه هذا الراهب من مؤلفات في هذه التخصصات ، تبين منها تأثره بعلوم المسلمين[٤] ، ومن ثم فقد أدت هذه الترجمات والتقليدات الأولى للكتب الإسلامية أثرها في أوروبا عامة ، فقد ظهرت نسخة لاتينية من حكم بقراط كانت تستخدم[٥] للتدريس في شارتر بفرنسا سنة (٣٨١هـ/٩٩١م) . فلا يستبعد أن تكون هذه النسخة مترجمة عن طريق جربرت ، لاسيما أن الغرب اللاتيني كان يجهل في هذا العصر أي شيء عن علوم وعلماء اليونان القدماء التي لم يعرفوها إلا عن طريق الكتب العربية ، كما أن الراهب هرمان الكسيح Hermannus Contractus ، من سويسرا (ت٤٤٦هـ/١٠٥٤م) كتب كتابين في استعمال وعمل آلة الإسطرلاب[٦] ، وكتابًا في الموسيقى يعالج فيه سلم الأصوات مطابقًا تمامًا لما

(١) ريمس : مدينة محصنة في شمال فرنسا ، تبعد عن باريس العاصمة نحو (١٥٨كم) ، الموسوعة العربية العالمية ١١/٤٧٥ .

(٢) رافين : مدينة في شمالي إيطاليا مشهورة بكنوزها الفنية المعمارية ، نفس المرجع ١١/٧٨ .

(٣) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٨٠ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص٦-٨ ؛ زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية على العالم ، (د.ط) ، دار النهضة ، القاهرة ، ٣٨٤ ؛ Haskins: studies in the history of mediaeval science P.٩ .

(٤) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٧٩ .

(٥) بقراط : من أبرز اطباء اليونان وفلاسفتهم (ت٣٥٧ق.م) النديم : الفهرست ، ٣٤٨ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٣ .

(٦) الاسطرلاب : ألة لقياس النجوم والكواكب ، الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ٢٣٧ .

عمله الكندي[1] ، ولعله حصل على ترجمات عربية كتلك التي وجدت في شارتر ، أو التي ترجمت لجربرت[2] .

٣ - تفيدنا هذه الإشارة أيضًا أن إقليم قطالونيا هو أول مكان تمت فيه الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وبالأخص في دير سانتا ماريا (santa maria)[3] في ريبول ، الذي قام بدور فعال في الترجمة ، وإلى هذه الفترة -أي منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي تنتهي الترجمات التي تمت في الطب والرياضيات والفلك وجمعت بهذا الدير[4] ، كما تنتمي إلى هذه الفترة بعض النصوص الخاصة بطريقة المسلمين في العمل الحسابي ، والأرقام الجديدة المدعوة بحروف الغبار ، وقد حفظت هذه النصوص ضمن الأعمال المجموعة الطبيعية الشهيرة ALbeldense Emilianese . ولقد عاش الراهب جربرت في هذا الدير ، واستفاد من حركة الترجمة التي قامت فيه ، وساهم فيها بدور لا بأس به ، بدليل أن تلامذته أنشأوا مدرسة لوران Lorraince التي ينتسب إليها الراهب هرمان كونتراكتو ، السابق الذكر[5] .

---

(١) الكندي : أبويوسف يعقوب بن إسحاق ، له معرفة بالعلوم القديمة ، كان يسمى فيلسوف العرب ، وله كتب عدة ، (ت نحو ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، النديم : الفهرست : ٣١٥ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٨٥ .

(٢) سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٠١-٥٠٢ .

(٣) سانتا ماريا : هي مدينة شنتمرية الأندلسية ، وقد ذكر الحميري أنها من مدن اكشبونة ، وهي اليوم في جنوب البرتغال ، اسمها فارو (Faro) . الحميري : الروض المعطار : ٣٤٧ ؛ محمد حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، ط١ ، المكتبة الوطنية ، عمان ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، جزأين ، ١/٦١٩ .

(٤) وجدت هذه التراجم المبكرة في مخطوط «تحت رقم «٢٢٥» في دير ريبول ، مخطوط في خزانة التاج بأرغون ، مارغريتا غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، جزآن ، ١/٢٨١ .

(٥) زكريا : فضل الحضارة الإسلامية على العالم ، ٣٥٣ ؛ محمد سويسي : انتقال العوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ، ط١ ، المؤسسة الوطنية «بيت الحكمة» ، تونس ، ١٩٨٩م ، ٨٦-٨٧ ؛ جمعة شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ثلاثة أجزاء ، ٣/١٣٠-١٣١ .

وهكذا تبين لنا من السرد السابق للإشارات الواردة في البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية أن الإشارة الأخيرة ، هي أرجح هذه الإشارات لعدة أسبابٍ منها :

١ - وجود دليل قاطع في هذه الإشارة على تأثر جربرت أورلياك ، بعلوم المسلمين والمتمثل في المؤلفات التي خلَّفها ، والتي يتبين منها تأثره بعلوم المسلمين من خلال ما أورده فيها من اقتباسات .

٢ - بغض النظر عن اضطلاع جربرت باللغة العربية أو لا ، نجد أنه ورد في هذه الإشارة اسم المترجم الذي ترجم لجربرت أحد الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية ، وهو المترجم لوبيتوس مما يجعلنا نعده أول مترجم -في البدايات الأولى- من العربية إلى اللاتينية –إن لم يكن جربرت قد ترجم شيئًا من الكتب إذا كان يحسن العربية ، وذلك بخلاف الإشارة الثانية التي ذكرت استفادة نكيتاس من ترجمة القرآن إلى اللغة الإغريقية ، ولكنها لم تذكر اسم المترجم ، ونفس الشيء عن الإشارة الواردة عن الراهب يوحنا اللوريني التي لم تتناول مكان أو اسم المترجم للعلوم التي استفاد منها .

٣- ورد في هذه الإشارة أسماء العلوم المترجمة ، والتي أحدها كتاب في الرياضيات ، مما يدل على أن هذا العلم ، بالإضافة إلى علم الفلك ، كانا من أول ما نقل إلى اللغة اللاتينية . كما أن التأثيرات القادمة في الغرب لهذين العلمين كانت مستقاة من هذه المؤلفات على الأرجح .

هذا وإن كان للإشارة الواردة عن الراهب يوحنا اللوريني دور في نقل العلوم إلا أنه ليس هناك دليل قاطع ، كهذه الإشارة بنوع المؤلفات التي حملها معه .

٤ - وعليه نجد أن البدايات الأولى للترجمة من العربية إلى اللاتينية كانت في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، كمؤلفٍ علمي مترجم . وما عدا ذلك كان تأثيراً غير مباشر بحكم المعايشة ، أو الأسرى ، أو الترجمة الشفوية .

٥ - ومما يدل على أهمية بداية جربرت للترجمة من العربية إلى اللاتينية أن حركته هذه أحدثت هزة عظيمة في العالم الغربي ، حيث جعلته في موقف حرج ،

يجابه عداء الرجعيين من رجال الكنيسة وغيرهم في محيطه ؛ ولذلك يعتبر المؤرخون نجاح حركته الإحيائية بين الرهبان حدثًا تاريخيًا له أهميته القصوى في العالم اللاتيني ، كما يعتبرون جربرت نفسه شخصية قوية تمكنت من تغيير مجرى الأحداث في أوروبا العصور الوسطى[١] .



(١) ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ص١٤١ .

الفصل الثاني :

العواملُ المسَاعِدَةُ على ظُهورِ التَّرجمةِ مِنَ العَربيَّةِ إلى اللاتينِيَّةِ ونَشْأَتِها

المبحث الأول : الدوافع الدينية .

المبحث الثاني : الدوافع السياسية .

المبحث الثالث : الدوافع العلمية .

المبحث الرابع : الدوافع الاقتصادية .

المبحث الخامس : البعثات والسفارات والرحلات ودورها .

المبحث السادس : الطباعة ودورها .

تعددت دوافع الترجمة من العربية إلى اللاتينية ما بين دينية وسياسية وعلمية واقتصادية وغيرها ، ولا نريد في هذا الفصل أن نتناول هذه الدوافع بطريقة تقليدية بعيدة عن المنهج التحليلي ، والمنطق السليم الذي يتعامل بذكاء مع كثير من الأسئلة الموجهة بخصوص هذه الدوافع .

فبخلاف ما يتصور البعض ، من أن الترجمة للكتب العربية كانت مدفوعة بالدرجة الأولى على أثر فضول فكري لبعض مثقفي الغرب ، أو أنها نشأت نتيجة لجهود فردية أحبت العلم ، وأعجبت بالحضارة الإسلامية ، فاندفعت بلهفة متقدة لترجمة علومها لاسيما ما يخص العلوم التطبيقية والطبيعية .

نحن لا ننكر هذه الدوافع العلمية ، فهي واردة ومؤكدة في عملية نقل علوم المسلمين إلى الغرب ، ولكن هل كانت هذه الدوافع العلمية في مقدمة دوافع الغرب نحو الكتب العربية؟ أم أن هناك دوافع أخرى سبقتها وطغت عليها في هذا المجال؟

وهل كانت هذه الدوافع بجهود شخصية فردية بعيدة عن الانتماءات الدينية والسياسية وما شابهها؟ أم أن هذه الدوافع كانت تحركها وتديرها مؤسسات وحكومات وظفتها لخدمتها من أجل تحقيق مكاسب دينية وسياسية واقتصادية على حد سواء؟

في هذا الفصل نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها مع سوق الأدلة والبراهين ، والخروج بنتيجة واقعيَّة ، بعد معالجة النصوص وتحليلها ، مع بيان أهمية العوامل الأخرى كالبعثات والسفارات والرحلات ودورها ، إضافة إلى ظهور الطباعة وما أسهمت به من دور في تنشيط الترجمة .

المبحث الأول :

الـــدوافـــع الـــدينية

تعتبر الدوافع الدينية في مقدمة دوافع الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، بل إنها من أهم الدوافع على الإطلاق ؛ ذلك لأن الدين يلعب دوراً بارزاً في حياة الأمم وتكوين أفكارها ، ومن ثم بناء حضارتها على أساس هذا الدين(١) .

وفي مجال الحديث عن العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب النصراني ، نجد أن الدين يمثل المحور الرئيس في هذه العلاقة ؛ فمنذ بزوغ نور الإسلام وبداية الدعوة النبوية ، ظهرت تلك العلاقة جلية واضحة ، بل قد حددها الإسلام بنصوص الكتاب والسنة ، منها قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٢) .

ومنه فقد اتخذ المصطفى ﷺ جميع الوسائل الكفيلة لاستجابة النصارى لهذا الدين ، فكاتب ملوكهم وأمراءهم ، كما فعل مع هرقل عظيم الروم ، والمقوقس(٣) عظيم القبط ، وجادل أساقفتهم مثلما فعل مع وفد نجران(٤) حين

---

(١) إن الحس الديني جزء أساسي في تكوين الإنسان وأنه موجود بدرجات متفاوتة عند الناس جميعاً ، فهو مطمور عند من يحاول أن يحجبه أو يمنعه من الظهور ، بل ربما يجحد وجوده ، وطالما استعاد الدين سلطانه في خضم التبادل التاريخي المضطرب بين الكفر والإيمان ، ذلك لأن الدين أدرك ما ينطوي عليه الإنسان من ضعف وعزلة ، وبعث فيه الإلهام .

بارندر : المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ص٧ ، مقدمة المترجم ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ٤٧/٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٦٤) .

(٣) هو ملك القبط وصاحب الإسكندرية ، والمقوقس لقب لكل من ملكها ، وقد أرسل إليه الرسول ﷺ كتاباً يدعوه إلى الإسلام . انظر : ابن هشام : عبدالملك بن هشام النحوي (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) : السيرة النبوية ، ط١ ، تحقيق : همام سعيد ومحمد أبوصعيليك ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م ، أربعة أجزاء ، ٢٤٧/١ ؛ الزبيدي : تاج العروس ٤٢٢/٨ .

(٤) ثبت في الصحيح أن العاقب والسيد صاحبي نجران جاءا إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه -أي-

ناظرهم[١] ، وحاجهم وطلب مباهلتهم[٢] ، وعلى الرغم من إسلام طوائف من النصارى واستجابتهم لهذا الدين ، إلا أن القوى العظمى منهم كانت تكن العداء له ، فلم يعترفوا به كما اعترف هو بدينهم ، وكتابهم ، ورسولهم ، بل ولا مجرد قبوله كحقيقة قائمة على أصولها ، وإنما اتخذوا موقفاً آخر معادياً له ومنافياً لأركانه وأصوله ، ومناوئاً لكتابه ورسوله ﷺ[٣] .

ومن هنا يتبين لنا أن العلاقة بين المسلمين والنصارى اتسمت بالعداء المستمر طوال التاريخ ، كما أن العلاقة بين الإسلام والنصرانية المحرفة اتخذت نفس الطابع ، فمنذ مرور أكثر من حوالي ألف عام على هذه العلاقة ، نجد أنها تظهر في كل حين بصورة الاستعداء ، ومشاعر الكراهية للمسلمين ، يغذيها دائماً الدافع الديني ضد الإسلام[٤] .

فما الذي جعل العداء يستمر ، والصراع يتأجج بين الطرفين؟

هناك عدة نقاط أساسية يمكن التركيز عليها لمعرفة سبب عداء الغرب الأوروبي للإسلام :

= يباهلانه ، ثم ثنيا عن رأيهما وأسلما ، وبعث رسول الله ﷺ معهما كتاباً إلى نصارى نجران . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ٢/٢٥٤ .

(١) المناظرة : لغة من النظير ، أو من النظر بالبصيرة ، وفي الاصطلاح : هي النظر بالبصيرة من الجانبين ، في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب ، وعلم المناظرة علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما ، على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما . الجرجاني : كتاب التعريفات ، ص٢٣١ ؛ القنوجي : صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) : أبجد العلوم ، ط١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص٥٢٤ .

(٢) جاء ذكر المباهلة ، وهي الدعاء باللعنة ، في قوله تعالى : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران:٦١) . ابن هشام : السيرة النبوية : ٢/٢٦٥ .

(٣) الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ٢/٥٧١ .

(٤) محمد مبروك : الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار ، ط١ ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ١٤ ؛ محمد السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ،ص١٣٠ ؛ أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ص٥٢ .

١ - تؤكد دراسة التاريخ أن الأصل في الغرب هو العداء ، فلم تسع حضارة إلى فناء واستئصال الحضارات الأخرى مثلما فعلت الحضارة الغربية ، فقد جعلت فكرة الصراع[١] لهذه الحضارة في مواجهة مستمرة مع باقي شعوب الأرض ، وفي خصام دائم مع الكون . وتطورت فكرة الصراع عبر التاريخ الغربي ، وأخذت أبعاداً مختلفة وفق كل نقلة حضارية[٢] .

إن البعد الإنساني هو العامل المشترك بين كثير من الحضارات ، إلا أن الحضارة الأوروبية كانت مختلفة ، لها لون خاص بها ، تقوم على فكرة الصراع والصدام مع الآخرين[٣] ، لقد أثرت هذه الروح على العقل الأوروبي ، وأعطته سمة تجنح للصدام والميل إلى العدوان في إدارة شؤونه وتعامله[٤] .

لقد بدأ صراع الغرب مع المسلمين -كما رأينا- منذ ظهور الدولة الإسلامية ، ولم تتسامح الإمبراطورية الرومانية مع الإسلام ، بل تعاملت معه كعدو منذ البداية ، وهي التي بادرت المسلمين بالعداء ، وواجهت الدعوة الجديدة بالرفض والمعاداة ، وارتكبت الإمبراطورية الغربية في ذاك العصر خطأ تنكره الأعراف الدولية قديماً وحديثاً ، عندما قتلوا رسول[٥] رسول الله ﷺ[١] .

---

(١) لاشك أن الصراع الحضاري والفكري ظاهرة كونية تعمل على مر الأزمان ، واختلاف البيئات ، وهو بعض ما يتضمنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ ، (البقرة : ٢٥١) . انظر : محمد محمد حسين : الإسلام والحضارة الغربية ، دار الفرقان ، القاهرة ، (د.ت) ، ١١ .

(٢) عامر عبدالمنعم : الغرب أصل الصراع ، مجلة البيان ، السنة الولى ، العدد الثاني ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ص٥ ؛ ولا تزال الحضارة الغربية النصرانية إلى الآن ثقافة إلغائية للآخر ، تفرض مقاييس العصرنة والحداثة في السلوك الاجتماعي والنظام السياسي للمسلمين ، السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص١٣١ .

(٣) لقد أثبتت وقائع التاريخ أن العدالة لم تتحقق قط في أي حرب شنها الغرب ، وكان الظلم هو الأصل ، وكانت حروبهم ضد غيرهم ، أو ضد بعضهم البعض أمثلة واضحة على حب العدوان والكراهية ومعاداة الإنسانية .

(٤) عبدالمنعم : الغرب أصل الصراع ، ص٧ .

(٥) كان الرسول الذي أرسله النبي ﷺ إلى عامل الروم على مدينة بصرى هو الصحابي الجليل الحارث بن

ثم استمر صراع الغرب مع الإسلام ليأخذ أشكالاً مختلفة ، ما بين عسكرية ، وفكرية ، كانت نتيجة الرغبة في الهيمنة والسيطرة على الآخرين ، وفرض عقائد وأفكار الغرب ، بكل وسيلة وأسلوب[٢] .

٢ – أما السبب الثاني لهذا العداء وهو الأهم : فهو ظهور الإسلام ، حيث كان لظهور الإسلام وانتشاره السريع في مشارق الأرض ومغاربها ، صدمة عنيفة للكنائس النصرانية المختلفة ، فقد تهاوت معاقل النصرانية العريقة أمام الفاتحين المسلمين الذين فتحوا بلاد الشام وبلاد الرافدين ، ومصر وأفريقية ، وبلاد المغرب والأندلس ، حتى وصلت جيوشهم إلى بلاد الغال (فرنسا) ، كما تمكنوا من فتح القسطنطينية معقل الكنيسة الأرثوذكسية[٣] ، وتوغلوا في بلاد أوروبا حتى وصلوا أسوار فينا(vienna)[٤] ، وهكذا كان الإسلام يتوسع على نحو مندفع مخلفاً في الحقيقة صدمات هائلة تستعصي على التصور[٥] .

والصدمة الكبرى التي تفوق إخضاع الأرض وضمها لدار الإسلام ، كانت تتمثل في خضوع القلوب لدعوة الحق ، ودخول الناس في دين الله أفواجاً[٦] ، =

عمير الأزدي ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره . ابن سعد : الطبقات ، ٢/ ٩٧ .

(١) عبدالمنعم : الغرب أصل الصراع ، ص٢٩ .

(٢) انجمار كارلسون : الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة ، ط١ ، ترجمة : سمير بوتاني ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ١٦ .

(٣) الكنيسة الأرثوذكسية : هي إحدى الكنائس الرئيسية الثلاث في النصرانية ، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي سنة ١٠٥٤م ، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها . شلبي : المسيحية ، ١٩٣ ؛ الموسوعة الميسرة ، ٢/ ٥٩٣ .

(٤) فينا : عاصمة النمسا وأكبر مدنها ، وسميت بهذا الاسم تطويرا عن اسمها اللاتيني القديم فيندوبونا ، ومعناه : الهواء الجميل . مصطفى إبراهيم مصطفى : موسوعة دول العالم ، ط١ ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ، ص١٦٣ .

(٥) انظر : إدوارد سعيد : الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء ، ط١ ، ترجمة : كمال أبوديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص٨٩ ؛ مبروك : الإسلام والغرب ، ص١٤ ؛ نخبة من العلماء : الإسلام والمستشرقون ، ط١ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ص١٢٧ .

(٦) أحمد القاضي : دعوة التقريب بين الأديان ، ط١ ، دار ابن الجوزي ، جدة ، ١٤٢٢هـ ، أربعة أجزاء ، =

مصداقاً لقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١] .

وكانت هذه المزية التي تميَّز بها الإسلام في قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلعاتها وآمالها ، حيث استطاع في قرن ونصف من الزمان أن يجمع تحت رايته أكثر من ثلثي المسكونة من عرب وعجم ، وبيض وسود ، سوَّى بينهم في الحقوق والواجبات ، وصهرها في بوتقة أَلَّفت أزهى عصور التاريخ : حضارة وعلماً وأخلاقاً ، فإن تلك القدرة الهائلة للإسلام قد أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوء تلك المنزلة أو ما يدانيها على الرغم من الفترة السحيقة التي قرعت العالم فيها نواقيس اليهودية والنصرانية ، لذلك أدرك هؤلاء خسارتهم معركة التحدى الكونية ، بسبب فقد ديانة العهد القديم ، والعهد الجديد المقومات الذاتية اللازمة لقيادة الإنسانية والارتقاء بها حضارياً وأخلاقياً ، فعمدوا إلى سلوك طريق آخر يستهدف إقصاء الإسلام عن الحلبة الكونية نهائياً ؛ حتى يتسنى لهم قيادة المسكونة وامتلاك مقدراتها بما يدَّعون من حق إلهي مقدَّس ، فكانت المواجهة مع الإسلام والصراع ضده هي السبيل لتحقيق ذلك الهدف[٢] .

فترسخت -لدى الغرب- نتيجة هذا الحقد الدفين ضد الإسلام وأهله مجموعة من الدوافع الدينية التي تمليها عليهم العقيدة النصرانية المحرفة ، للنيل من عقيدة المسلمين ونبيهم وشرائعهم وحضارتهم ، والتي لا يمكن تحقيقها إلا عن طريق ترجمة ما حوته مؤلفات المسلمين في تلك الأمور .

لذا يمكن تحديد أهم الدوافع الدينية التي كانت وراء حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية بالتالي :

أولاً : دافع الحد من انتشار الإسلام :

سعى الغرب جاهداً إلى الحد من انتشار الإسلام في أوروبا ، مثلما انتشر في

=

٣٦٢/١ .

(١) سورة الصف ، الآية (٩) .

(٢) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١١١-١١٢ .

أصقاع مختلفة من العالم ، وقد استخدم في سبيل ذلك أساليب عدة ، كان من أبرزها أسلوب التشويه والتضليل للدين الإسلامي الحنيف ، وكتابه ونبيه ﷺ .

وكان يوحنا الدمشقي john Of Damascus «ت١٣٣هـ-٧٥٠م»[١] ، أول من أرسى قواعد هذا الأسلوب حيث عاش في كنف الدولة الأموية ، واستفاد من إتقانه للغة العربية ، وإلمامه بالبيئة الثقافية الإسلامية ، مما أتاح له جواً ملائماً للنيل من الدين الإسلامي عن طريق مصادره الأساسية[٢] .

وقد استغل يوحنا منصبه الديني بالنسبة لطوائف النصارى ، وكان يعد أحد أكابر آباء الكنيسة الأرثوذكسية ، حتى إنه لقب بلقبين ذوي شأن ، فكان يلقب بالقديس يوحنا ، ويوحنا ينبوع الذهب[٣] .

تناول يوحنا من خلال هذا الأسلوب -التشويه والتضليل- القرآن الكريم نقداً وتفنيداً ، وقد استخدم في ذلك الدلائل العقلية والفلسفة اليونانية في تفسير الدين المسيحي والدفاع عنه ، ومن ثم الهجوم على القرآن ونبيه محمد ﷺ[٤] .

---

(١) يوحنا الدمشقي : ولد في دمشق سنة «٥٦هـ/٦٧٥م» تقريباً ، وهو حفيد منصور بن سرجون ، وانضم إلى دير القديس سابا في القدس ، وكان له إسهام مهم جداً في الدفاع عن الأيقونات المقدسة إبان فترة محاربة الأيقونات ، إضافة إلى ذلك يعتبر شاعراً ، وناظم تسابيح ما يزال الكثير منها يستعمل إلى اليوم في صلوات الكنيسة الأرثوذكسية ، التي أعلنته «معلماً للمسكونة» ، أي : أباً من آباءها العظماء عام(١٣٠٨هـ/١٨٩٠م) .

جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ص٦٠ ؛ محمد زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط١ ، مطابع الدوحة الحديثة ، ١٤٠٤هـ ، ص١٩ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٧٨ ؛ حامد الشريف : أحوال غير المسلمين في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي ، ط١ ، أمانة عمان الكبرى ، عمان ، ٢٠٠٧م ، ١٢٥ .

(٢) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ص٦٠ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٢٢ ؛ محمد أبوليلة : الجذور التاريخية والجسور الحضارية بين الإسلام والغرب ، سلسلة قضايا إسلامية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، العدد التاسع والستون ، ذو القعدة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ١/١٣ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من الإسلام ، ص١٢٢ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٧٩ ؛ القاضي : دعوة التقريب بين الأديان ، ١/٣٦٥ .

(٤) القاضي : دعوة التقريب بين الأديان ، ١/٣٦٦ ؛ الصباح : الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ،

وقد انتهى يوحنا إلى عدة آراء جدلية ضد الإسلام والقرآن والرسول محمد ﷺ لخصها في كتابه «ينبوع المعرفة» ، الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام ، خصص أحد فصولها للجدل ضد الإسلام يتناول فيه التشكيك في الإسلام ، والتشكيك في نبوة محمد ﷺ ، بالإضافة إلى التشكيك في القرآن باعتباره نتاج أحلام اليقظة ؛ لأن الرسول ﷺ على حدِّ زعمه تلقاه وهو نائم[١] .

وعلى الرغم من عروبة نسب يوحنا الدمشقي ولسانه ، إلا أنه قد كتب افتراءاته هذه باللغة اليونانية ؛ وذلك خشية رد الفعل العلمي والاجتماع السلطوي للمسلمين في تلك الآونة[٢] .

وقد لقيت أفكار يوحنا هذه نجاحاً عظيماً لدى الغرب ، بالرغم من مخالفته لهم في المذهب واللغة والمكان والزمان أيضاً ، وبما أنه قد اعتمد في مؤلفه هذا على المصادر الإسلامية -جاء في مقدمتها القرآن العزيز- فقد كانت دراسته هذه بمثابة اللبنة الأولى للغربيين حول الإسلام[٣] ، يقول أحد الباحثين : «إذا كنا نتفق على واقعة أن التصورات الأوروبية عن الإسلام تشكلت ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر للميلاد ، فإننا يجب أن نشير إلى حقيقة أن هذه التصورات تكونت في كثير من جوانبها وخطوطها الكبرى على خلفية التفسير المسيحي الشرقي للعقيدة الإسلامية ، وتعد المؤلفات التي وضعها يوحنا الدمشقي من أبكر الدراسات المسيحية الشرقية عن الإسلام...والواقع أن التصورات المتكونة عن الإسلام كبدعة مسيحية ، مرتدة ومنشقة ، وعن محمد كنبي مزيف انتقلت من مسيحي سوريا إلى البيزنطيين ، ومنهم إلى الأوروبيين»[٤] .

= ص٧٠٤-٧٠٥ .

(١) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٢٣ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٨٠ .

(٢) القاضي : دعوة التقريب بين الأديان ، ١/٣٦٦ .

(٣) منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٨٠ .

(٤) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ص٦٠ ، ٦٣ .

وقد ساعدت رسالة عبدالمسيح الكندي[١] -التي جاءت في (مائة وأربع عشرة) صفحة- هي الأخرى على خلق مفاهيم مشوهة للدين الإسلامي لدى الغرب ، وهذه الرسالة التي نسبت إلى عبدالمسيح ، والتي ترجمت إلى اللغة اللاتينية منذ وقت مبكر يعود إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، كجزء من مجموعة ترجمات ديركلوني (cluny)[٢] ، لكي يتعلم منها الرهبان أساليب مقارعة المسلمين ، أمدت كثيراً من كتاب القرون الوسطى بالمعلومات المستقاة من المصادر الإسلامية[٣] ، وبتأويل وتعليل وتفسير نصراني مقصود .

وتحتوي هذه الرسالة على رسالة الهاشمي[٤] إلى عبدالمسيح الكندي يدعوه فيها إلى الإسلام ، ورسالة عبدالمسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية[٥] ، وعلى الرغم من إثبات المسلمين أن هذه الرسالة من تزوير النصارى وتلفيقهم[٦] إلا

---

(١) عبدالمسيح بن إسحاق الكندي ، عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وهو مجهول النسبة ، ولعله من نصارى العرب في المشرق الإسلامي .
انظر : الألوسي : نعمان محمود (ت١٣١٧هـ/١٨٩٩م) : الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح ، ط١ ، تحقيق : احمد حجازي السقا ، دار البيان العربي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، جزأين ، ١/٣ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٥٤ ؛ محمد العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى آسين بلاثيوس ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ ، ١٤١ .

(٢) دير كلوني : يقع في مدينة كلوني الفرنسية ، رينو : الفتوحات الإسلامية ، ٦ ، هامش : ٤ .

(٣) رجع الكندي في كثير من استدلالاته إلى القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وتاريخ المسلمين من حقبه ، ولقد برهن في هذا السياق على سعة اطلاعه على كل هذه المصادر ، وقدرته على استخدامها في تحقيق مراميه في تشويه الإسلام .
ولمعلومات مفصلة عن هذه الرسالة انظر : الألوسي : الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح ، وهو نقد مفصل لهذه الرسالة في جزأين ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، وقد تناول فيه تحليل رسالة عبدالمسيح ، استناداً لنصها الأصلي ، ص١٤٠-١٥٤ .

(٤) اسمه : عبدالله بن إسماعيل الهاشمي ، أحد أبناء عمومة الخليفة العباسي المأمون . انظر : الألوسي : الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح ، ١/٣ ؛ العسري : المرجع السابق ، ص١٤١ ، هامش:١٥ .

(٥) السامرائي : الاستشراق ، ص٥٧ .

(٦) لا شك أن الكندي قد أقحم في رسالته أساطير كثيرة عن الإسلام ورسوله ﷺ ، إلا أن التشكيك في

أنها لقيت اهتماماً بالغاً ، بسبب ما حوته من اتهامات ضد الرسول ﷺ في سيرته ومعاملاته ، وما جاء فيها من ضراوة الانتقاد على الإسلام وتعاليمه ، والقرآن وما جاء به ، وفي جهد مؤلفها في إثبات أن الإنجيل لم يدخله التحريف كما يدعي المسلمون ؛ لأن كل ضروب الدعاوى التي أوردها مصنف الرسالة وقعت موقعها الحسن فأصبحت هذه الرسالة إنجيلاً لا يدخله التحريف ، ولا يمسه الشك ، وتلقفها كتاب القرون الوسطى[1] بلهفة عارمة ، وأدرجوها في كتبهم واستعملوها في وعظهم ، وأوَّلوا بإسراف ما لم يتهيأ لمصنفها تأويلاً ، فصار هذا الركام من

=

صحة الرسالة قد تناول مؤلفها أيضاً حيث ذكر محمد البكري في دراسته عن انتحال النصارى لرسالة الكندي في القرن التاسع الهجري ، ودسها على القرن الثالث ، بحجة أن هناك تعابير وكلمات لا تتفق مع مصطلحات القرن الثالث الهجري ، مثل كلمة «الجرائح» ، وتعبير «فكم بالحري» ، اللذين لم يردا في لسان العرب ولا في القاموس ، ولم يظهرا في العربية حتى بعد القرن الخامس عشر .

إلا أن محمد العسري رد على ذلك بقوله : «والواقع أن ما قدَّمه البكري في هذا المضمار لا يكفي أبداً للتشكيك في زمن تأليف الرسالة ، ولا في التحقيق التاريخي لوجود صاحبها ، ولا في من يرد عليه هذا الأخير ، فالظاهر أن كلمة «الجرائح» ، مثل تعبير «فكم بالحري» قد تسربا إلى متن الرسالة من نساخها ، كما أن نص الرسالة كما بينا ذلك آنفاً قد وصل إلى الأندلس في مطلع القرون الوسطى حيث ترجمه بطرس الطليطلي إلى اللاتينية في سنة (١١٤١م) لحساب مشروع بطرس المحترم ، الذي كان يرمي به صاحبه تعميق المعرفة النصرانية بالإسلام لتحضير مواجهته وتدبيرها» .

الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٤٤ ، الألوسي : الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح ، ١/٣-٦ .

(١) لم يقتصر الاهتمام بهذه الرسالة على عالم القرون الوسطى ، بل اهتم بها علماء الغرب في العصر الحديث ، وصبوا عليها جل اهتمامهم لغرض التنصير ، فقد نشرت هذه الرسالة مرتين في لندن من قبل القس أنطون تيان ، A.Tien ، الأولى سنة ١٢٩٨هـ-١٨٨٠م ، والثانية سنة ١٣٠٣هـ-١٨٨٥م ، كما نشرتا كذلك بالقاهرة سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م ، ونشر المستشرق الإنجليزي وليم ميور W.Muir تلخيصاً للرسالتين بالإنجليزية ، وطبع مرتين أيضاً في لندن سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م ، ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م ، ولقد عمل جورج طار طار Gorges Tar tar بدوره على تحقيق الرسالتين وترجمتها إلى الفرنسية معتمداً في ذلك على ما طبع منها ، وعلى مخطوطاتها العربية والكرشونية (العربية المكتوبة بالسريانية) ، المتوافرة بالمكتبة الوطنية بباريس . السامرائي : الاستشراق ، ص٥٧ ، العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٤١-١٤٣ .

الأساطير مفاهيم ثابتة في الفكر الأوروبي[١] .

وعلى الرغم من أن هذه الرسالة مشرقية النشأة ، إلا أنها قد انتقلت إلى الأندلس منذ وقت مبكر ، حيث ترجمت –كما أسلفنا- إلى اللغة اللاتينية سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ، لحساب مشروع بطرس المحترم الذي كان يرمي به صاحبه تعميق المعرفة النصرانية بالإسلام ، لتحضير مواجهته وتدبيرها ، ومن ثم انتقلت إلى الغرب النصراني لتشكل بالفعل إحدى الروافد الأصلية لذاك التأسيس للجدل الديني ضد المسلمين[٢] .

ولم يكتف الغرب النصراني بأسلوب التشويه والتضليل ، لتحقيق دافع الحد من انتشار الإسلام ، إنما عمد إلى أسلوب آخر أكثر مرونة ، وأعمق فكراً من سابقه ، وإن كان مسايراً له في الصد عن الدين الإسلامي ، وهو : أسلوب المجادلة العقلية ، وإثارة الشبهات ، الذي تطلب لتحقيقه ترجمة علوم المسلمين ، وفي مقدمتها القرآن الكريم[٣] ، حيث إن من يدخل مجال الجدل الديني يجب أن يكون على دراية بثقافة الآخر ، وهذا هو السبب الذي أدى إلى اهتمام الجماعات الدينية النصرانية بدراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، والدين الإسلامي على وجه الخصوص[٤] .

وكان أول من أقدم على استخدام أسلوب المجادلة العقلية وإثارة الشبهات في الدين الإسلامي ، هو بطرس المحترم (ت٥٥١هـ/١١٥٦م)[٥] ، Petrus

(١) السامرائي : الاستشراق ، ص٥٨ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٢٤ .

(٢) أحمد غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ط٢ ، مطابع أضواء الرياض ، (د.ت) ، ٣٣ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٥٤ .

(٣) سعيد : الاستشراق ، ص٩٠ ؛ هاشم صالح : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ط١ ، دار الساقي ، لندن ، ١٩٩٨م ، ١٣١ .

(٤) مانويلا مانثا ناريس : المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر ، ط١ ، ترجمة : جمال عبدالرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ١٢ .

(٥) ولد بطرس حوالي سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) في أوفرن Auvergne بوسط فرنسا ، ثم نشأ في حياة الرهبنة بعد توجيه من أهله ، فقبل في سلك الرهبنة فالتحق بدير فزليه Vezelay وأقام فيه عشر سنوات ، ثم صار في سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) رئيساً لدير في دومين Domene في جنوب شرقي

Venerabilis ، رئيس دير كلوني بفرنسا ، وكان من أشهر رجال الـدين المـسيحيين المعروفين بالعداوة الشديدة للإسلام ، فهو راهب ولاهوتي نصراني فرنسي ، ترقـى في سلك الرهبنة حتى أصبح رئيساً لهذا الدير الذي اشتهر في تاريخ أوروبا الصليبية في العصور الوسطى -وكان لهذا الدير فـروع كثـيرة في أوروبـا وبخاصـة في فرنـسا وإسبانيا ، إلا أن أشهرها فرع طليطلة Toledo[١] في إسبانيا ، لاسيما بعد أن سـقطت بيد النصارى ، سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، ونـشأت بهـا منـذ هـذا التـاريخ حركـة صليبية قوية لحرب الإسلام والمسلمين في الأندلس قاطبة[٢] .

وقد كان مركز هذه الحركة دير كلوني الذي سيطر عليه الرهبـان البنـدكتيون[٣] Bendictins ، برئاسة بطرس المحترم ، وبعد عشر سنوات من تأسيس هذه الحركة ، عقد مجمع كليرمونت[٤] Clermont سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ، الـذي أقـر وجـوب =

فرنسا ، وفي سنة (٥١٦هـ/١١٢٢هـ) ، وهو في الثلاثين من عمره ، صار رئيساً لدير كلـوني ، فقـام بإدارة الدير وجماعته بحزم ، وضمن له موارد مالية واسعة . يوهان فوك : تاريخ حركـة الاستـشراق أو الدراسات العربية والإسـلامية في أوروبـا حتـى مطـالع القـرن العـشرين ، ط١ ، ترجمـة : عمـر لطفي العـالم ، دار قتيبـة ، بـيروت ، ١٤١٧هــ-١٩٩٦م ، ٧٥ ؛ بـدوي : موسـوعة المستـشرقين ، ص١١١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٧٨ .

(١) طليطلة : مدينة أندلسية تقع على ضفاف نهر التاجه الشهير ، وهي اليوم في منعطف هذا النهـر ، عـلى بعد خمسة وسبعين كيلو متر مـن مدريـد . البكـري : أبوعبـدالله(ت٤٨٧هــ-١٠٩٤م) : جغرافيـة الأندلس وأوروبا ، ط١ ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، دار الإرشاد ، بيروت ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م ، ٨٦ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٣٩٤ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٠٦/١ .

(٢) سـذرن : نظـرة الغـرب إلى الإسـلام ، ص٥٦-٥٧ ؛ فـوك : تـاريخ الاستـشراق ، ٧٢ ؛ شـاخت وبوزورث : تراث الإسـلام ، ترجمـة : محمـد الـسمهوري ، عـالم المعرفـة ، الكويـت ، ١٣٩٨هــ-١٩٧٨م ، ثلاثة أجزاء ، ٣٧/١ ؛ غـراب : رؤيـة إسـلامية للاستـشراق ، ص٥٤-٥٥ ؛ أبوليلـة : الجذور التاريخية ، ص٢٨ .

(٣) البندكتيون : نسبة إلى القديس بنديكتوس ، الذي أسس رهبانيتهم في جبل كاسينو سـنة ٥٢٩م ، ثـم قاموا بتأسيس المدارس ، وكانوا أول من عني بالعربية تعليما وترجمة وتـصنيفاً ، ثـم تنـاولوا اللغـات الشرقية جميعها من فجرها حتى اليوم . العقيقي : المستشرقون ، ٢٤٩/٣ .

(٤) مجمع كليرمونت : أقيم هذا المجمع في مدينة كليرمونت بفرنسا ، وتبنى دعوته البابا أوربان الثاني بابـا الفاتيكان يومئذ ، وكان الهدف من هذه الدعوة شن حملة صليبية على المسلمين ، وقد تم عقد المجمع =

حرب المسلمين في الأندلس وفلسطين ، فكان لهؤلاء الرهبان دورٌ في تنفيذ هذه القرارات حيث رأوا في انتشار الإسلام غضباً إلهياً يجب التكفير عنه بالدعوة إلى حرب المسلمين ، وكانوا يرافقون الجيش الصليبي في الأندلس لتحطيم كل شعائر الإسلام وآثاره ، وإحلال شعائر النصرانية محلها[1] .

وقد قام بطرس المحترم بعدة رحلات ، أهمها رحلته الثانية إلى إسبانيا ، وذلك سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) ، فشاهد جموع الطلبة الفرنسيين والألمان والإنجليز يؤمون مراكز العلم الأندلسية ، ويأخذون الكثير من علومهم وآدابهم عن علماء المسلمين ، فقرر حينئذٍ أن يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ، فلجأ إلى مدرسة المترجمين في طليطلة[2] ، وكلف بهذا العمل مجموعة من المترجمين ، وقد تمت هذه الترجمة سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)[3] .

وقد كان الدافع لبطرس من هذه الترجمة البالغة الرداءة ، والمشوهة عمداً ، تفنيد القرآن ، والطعن في الإسلام ، ومن ثم تعريف النصارى به من وجهة نظره ليصدهم عن التأثر بالفكر الإسلامي ، ولكن بطريقة الحجج الفكرية السلمية ، وأن يكون ذلك بجدية ومحبة ، ومع ما ينسجم مع شخصية رئيس رهبان كلوني[4] .

كما أنه كان يدرك أن مبادرته هذه لن تفهم إلا بعد مرور الزمن ، فأخذ يبرر لها بقوله : «إذا كان عملي يبدو عديم الفائدة لأن العدو يبقى منيعاً ضد مثل هذه الأسلحة ، فإني أجيب : أنه في بلاد ملك عظيم تكون بعض الأشياء من أجل الحماية ، والأخرى للزينة ، وأخرى أيضاً للغرضين معاً ، لقد صنع سليمان المسالم

=

وأقيم لمدة عشرة أيام حضره أكثر من ثلاثمائة من مختلف أوروبا . سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، جزأين ، ١/١٣٣ .

(١) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ١/٣٦ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ص٥٤-٥٥ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ص٥٧ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص٢٣ .

(٢) سيأتي الحديث عنها .

(٣) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ١/٣٨-٣٩ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص٢٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١١ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ص٣٢ .

(٤) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ١/٣٧ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٢٢ .

الأسلحة للحماية لم يكن هناك حاجة إليها في أيامه ، وهذا العمل كما أراه لا يمكن أن يقال إنه عديم الفائدة ، فإذا تعذَّر هداية المسلمين الضالين به ، فإن العلماء الذين يغارون على العدالة يجب ألا يفوتهم تحذير أولئك الضعفاء من أفراد الكنيسة الذين يروعون أن يثأروا عن غير ما قصد بالقضايا التافهة»[١] .

وعلى أساس هذه الترجمة ألف بطرس خلاصة عن تعاليم الإسلام ، سماها : هرطقات الإسلام ، مع تفنيد لها ، وكونت الترجمة مع الخلاصة مع التفنيد ما يعرف عند الغرب باسم : مجموعة طليطلة ، Toledan colletion ، أو مجموعة دير كلوني : Cluni Accorpus .

وتعدُّ هذه المجموعة من أقدم مؤلفات الجدل المسيحي ضد الإسلام في الغرب ، وهي امتداد للجدل ضد الإسلام في المشرق[٢] ، وهو الجدل الذي وضع قواعده القسيس يوحنا الدمشقي[٣] .

وإلى جانب ذلك ، فقد أمر بطرس المحترم أيضاً بترجمة بعض الكتب العربية في الجدل الديني ، والتي ألفها النصارى الإسبان في الدفاع عن النصرانية والهجوم على الإسلام ، والتي كانت في متناول أيدي الراغبين بمدينة طليطلة ، وقد أرسل

---

(١) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ١/ ٣٨ .

(٢) لم تتبلور بالأندلس مناورات جدلية دينية بين النصارى والمسلمين خلال الفترة التي ظهرت فيها بالشرق الإسلامي ، بيد أنه بمجرد ما وصلت رسالة عبدالمسيح الكندي إلى الأندلس ، أخذ النصارى في إنتاج ردود ضد الإسلام على منوالها ، وفقاً لمحتوياتها . غير أن هذا الأمر لا يعني أن المجادلات الدينية لم تكن لتظهر بالأندلس ، لولا تداول النصارى والمسلمين لرسالة الكندي بها ، فلقد خضع انبثاق هذه المجادلات وتطورها إلى شروطها التاريخية الأندلسية الخاصة ، أكثر مما خضع إلى مؤثرات شرقية صرفة . انظر : العسري : قواعد المناظرات وأخلاقياتها من خلال مجادلة محمد القيسي ومحمد الأنصاري للنصارى بالأندلس ، مجلة التاريخ العربي ، العدد الخامس عشر ، صيف٢٠٠٠م ، ٣٣١- ٣٣٢ .

(٣) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٤٤٢ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص٨٣-٨٤ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ص٣٢-٣٣ ؛ مانثا ناريس : المستعربون الإسبان ، ص٢٧ ؛ إميل درمنغم : الشخصية المحمدية ، السيرة والمسيرة ، ط٣ ، ترجمة : عادل زعيتر ، الشعاع للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ١٣٦ .

بطـرس ترجمـات هـذه الكتـب إلى «برنـارد كليرفـوكس» Bornard Cleirvaux (٥٤٨هـ/١١٥٣م)[١] ، وذلك بغـرض اسـتخدامها في مواجهـة «فرقـة السـراسنة الشريرة» ، يعني المسلمين ، وذلك بقوة الكلمة أو النص ومنطلق العقل[٢] .

وقد أورد جورافسكي في معرض حديثه عن بطرس المحـترم قولـه : «يمكـن من دون أي مبالغة تسميته مؤسس الدراسـات الإسـلامية لـدى مـسيحي القـرون الوسطى ، وقد انطلق من مسلمة حتمية الصراع مع الإسلام ولكن ليس بالسيف ، وإنما بالكلمة والإقناع والحجة ، وفي نظرته للمـسلمين كهراطقـة ، اعتقـد بطـرس المبجل بإمكان إعادتهم إلى ملك الكنيسة ، وذلك إذا تمكن اللاهوتيـون المـسيحيون من أن يظهروا لهم بشكل مقنع ، أين تكمن انحرافاتهم وضلالاتهم ، وحـول نوايـا بطرس المبجل هذا تشهد رسالته التي وجهها إلى العرب»[٣] .

---

(١) برنارد كلير فوكس : من أكبر معلمي الكنيسة الكاثوليكية ، فرنسي الأصل وهو مؤسس دير كلارفـو في فرنسا ، والداعي إلى الحرب الصليبية الثانية إلى المشرق الإسـلامي ، وكانـت لـه جهـود كبـيرة في محاربة المسليمن في الشرق والغرب لدرجة يرى معها إما التنصير او الإبادة ، وهو الذي أمر بتحويـل المسجد الجامع بطليطلة إلى كنيسة سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، ومن ثم قلـده البابـا ثـوب الكهنـوت ، وعينـه رئيـساً للكنيـسة الإسـبانية . هونكـة : شـمس العـرب تـسطع عـلى الغـرب ، ٣٣٨ ؛ ليفـي بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة : محمود سالم ، ومحمـد حلمـي ، مؤسـسة شـباب الجامعـة ، الاسـكندرية ، ١٩٩٠م ، ١٤٨ ؛ يوسـف أشـباخ : تـاريخ الأنـدلس في عهـد المـرابطين والموحدين ، ط٢ ، ترجمة : محمد عنان ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥٩هــ-١٩٤٠م ، ١٢٢-١٢٣ .

(٢) أبوليلة : الجذور التاريخية والجسور الحضارية ، ص٦١ .

(٣) الإسلام والمسيحية ، ص٨١ ؛ وقد أورد جورافسكي نص رسالته التي وجههـا إلى العـرب ، والتـي يقول فيها : «من بطرس الفرنسي الجنسية المسيحي العقيدة ، الآبائي في الخدمة الكنسية ، من أولئـك الناس الذين يطلق عليهم الرهبان...إلى العرب أبناء إسماعيل ، الذين يتبعـون قـانون الرجـل الـذي يدعى محمد ، قد يبدوا غريباً ، ومن الممكن انه كذلك ، أنني إنسان كم أنا بعيد عنكم موطناً ، وأتكلم لغة أخرى ، وأفكر بـصورة مختلفـة ، وأعـرف أن عـاداتكم ونمـط حيـاتكم مغـايرة لحياتنـا ونمـط معيشتنا ، ومع ذلك أكتب إليكم من عمق الغرب ، إلى شعوب الشرق والجنوب الذين أرجـح أننـي لن أتمكن من رؤيتهم أبداً ، لكنني أردت أن أجيء إليكم ليس بالسلاح كما يفعل مسيحيونا في أغلب الأحوال ، وإنما بالكلمة ، ليس بالبغض والكراهية ، وإنما بالمحبة ، بتلك المحبة ، التي يجب أن تكون

وقد بدأت في هذه الفترة أيضاً ترجمة المؤلفات العربية في الفلسفة وعلومها ، وذلك بهدف تعليم رجال الدين طريقة الجدل ضد المسلمين والرد عليهم في دينهم ، لاسيما في المعارك الكلامية التي كثيراً ما كانت تقع بين النصارى والمسلمين[١] .

وهكذا نجد أن الهدف المنشود من وراء هذه الترجمات ؛ كان هو الهدف الديني المتمثل في تزويد المسيحيين بحجج سليمة لتثبت إيمانهم ، ومن ثم تشويه الدين الآخر ، وهو الإسلام للحد من انتشاره ، وزيادة معتنقيه[٢] .



=

بين أولئك الذين يجلون المسيح ، وأولئك الذين استداروا عنه ، إنني أحبكم ، أكتب إليكم ، داعياً إياكم للخلاص ، ليس ذلك الخلاص الذي يزول ويتبدل ، وإنما الخلاص الذي يبقى ويدوم» ، ص٨١-٨٢ .

(١) السامرائي : الاستشراق ، ص٧٨ ؛ يوسف العريني : الحياة العلمية في الأندلس في عهد الموحدين ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م ، ٣٥٥ ؛ تشارلز بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ضمن كتاب : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، جزأين ، ٢/١٤٦٢ .

(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ١/٣٩ .

ثانياً : دافع التنصير[١]

في مقابل دافع الحد من انتشار الإسلام ، أتى دافع التنصير الذي استهدف نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في العالم ، وبين المسلمين على وجه الخصوص ، وقد بدأ التنصير المؤسسي الرسمي إثر فشل الحروب الصليبية[٢] في تدمير الإسلام ، فعندما خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية الأولى عن طريق السيف ، أرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة من طريق التنصير .

وقد جاء هذا التحول بناءً على وصية القديس «لويس التاسع»[٣] ، ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية السابعة[٤] التي انتهت بالفشل ووقوع لويس نفسه في الأسر والسجن في مدينة المنصورة[٥] ، وتلفت الوصية الأنظار إلى صعوبة قهر المسلمين عن طريق القوة بسبب روح الجهاد لديهم ، وتوصي بتلمس طريق الغزو الفكري الهادف إلى دحض العقائد الإسلامية وتزييفها[٦] .

---

(١) التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت تظهر إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة ، وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب . الموسوعة الميسرة ، ٢/٦٧٥ .

(٢) الحروب الصليبية : هي حملات دينية شنها الغرب الأوروبي على العالم الإسلامي استمرت قرنين من الزمن ، وقد انبعثت من الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت الغرب في القرن الحادي عشر . عاشور : الحركة الصليبية ، ١/٢٥ .

(٣) لويس التاسع ، Louis Ix ، (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م) ، ملك فرنسا وابن لويس الثامن ، وضع تحت وصاية والدته حتى بلغ سن الرشد ثم استلم مقاليد الحكم ، ثم قاد حركته الصليبية على دمياط من أرض مصر ، إلا أنه هزم ثم أسر عام(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، ثم أطلق سراحه بعد أن افتدى نفسه من الأسر واستقر في بلاد الشام لمدة أربع سنوات ليعود بعدها إلى فرنسا سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) . الموسوعة العربية العالمية ، ٢١/٢٣٧ .

(٤) كانت هذه الحملة سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) . انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ٢/١٠٠٣ .

(٥) المنصورة : بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب ، تقع بين دمياط والقاهرة ، وهي اليوم قريبة من مدينة الزقازيق ، على فرع النيل الشرقي . ياقوت : معجم البلدان ، ٥/٢٤٥ ؛ آمنة أبوحجر : موسوعة المدن العربية ، ط١ ، دار أسامة ، عمان ، ٢٠٠٢م ، ٥٣٤ .

(٦) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، ٦٣ ؛ محمد عليان : أضواء على الاستشراق ،

ويكمن القول بأن بطل هذه المرحلة بلا منازع هو «ريموندلول Raymond Lull» (ت٧١٤هـ/١٣١٤م)[1] ، وهو منصر حانق على الإسلام ، كرَّس جُلَّ حياته في هدمه والقضاء على معتنقيه ، وكان هدفه الأول والأخير هو هدم الإسلام ، ومن ثم تنصير المسلمين[2] .

عاصر لول العلاقات الإسلامية النصرانية المتأزمة في كل من المشرق والمغرب إبان القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وقام برحلات إلى أوروبا والعالم الإسلامي[3] ، ومن خلال قراءته للتاريخ ، ومعايشته للواقع ، أيقن أن تنصير المسلمين لا يجدي باستخدام القوة ، إنَّما بالحجة والبرهان[4] .

ولتحقيق هذا الأمر ، فقد رأى ريموندلول وجوب دراسة مصادر الإسلام الشرعية والتاريخية ، ومعرفة طرائق حجج المسلمين الجدلية ، وهذا الأمر أيضاً لا يتحقق بالمترجمات اللاتينية لوحدها ، إنما رأى لول وجوب تعلم العربية وتعليمها ، =

دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ؛ ٢٢ ؛ عبدالرحمن عميرة : الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٢ .

(١) ولد لول أو لوليو في مدينة بالمة ، Palma ، من جزيرة ميورقة بين سنتي (٦٢٩-٦٣٣هـ/١٢٣١-١٢٣٥م) ، وتوفي في البلدان الإسلامية ضحية عقيدته ، كان والده نبيلاً شارك مع يعقوب الأرجواني الأول في حربه ضد المسلمين ، وكوفئ بإقطاعية في مالاقا بعد احتلال البليار ، وهكذا فقد نشأ الصبي في محيط كانت فيه روح النضال ضد المسلمين على أشدها . سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ٨٦ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢ .

(٢) شاتلية : الغارة على العالم الإسلامي ، ط٢ ، ترجمة : مساعد اليافي ، محب الدين الخطيب ، منشورات العصر الحديث ، جدة ، ١٣٨٧م ، ٢٩ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص٩٢ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ص٥٧ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٤ .

(٣) من أبرز البلدان الإسلامية التي زارها لول «تونس» وذلك سنة (٦٩١هـ/١٢٩١م) ، فاعتقل بها وسجن ثم طرد ، ثم توجه بعد ذلك إلى بوجي من أعمال الجزائر سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ، مبشراً ، فلم يكن بها أوفر حظاً من تونس ، فسجن ستة أشهر ثم طرد ، ثم رجع إلى شمال أفريقيا سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م ، وقتل فيها . العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٢ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص٩٣ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٥٨ .

وقد بدأ بنفسه حيث تعلم اللغة العربية على يد أسير مسلم كان عنده ، وقد قضى تسع سنوات وهو عاكف على الدرس والتلقي[١] .

وعلى الرغم من حرص لول على إتقان العربية ، إلا أنه لم يكن ضليعاً فيها ، فكان اطلاعه على كثير من المصادر الإسلامية[٢] المتعلقة بالإسلام ومعتقداته يتسم بكثير من القصور والمبالغة ، فمختلف كتبه التي تركها في دراسته لهذا الدين ، وفي التعبير عن مجادلاته لأصحابه ولتفكيرهم الفلسفي والكلامي ، تعكس بما لا يقبل الشك ، ذلك القصور وتلك المبالغة[٣] .

إلا أن هذا الأمر لم يقلل من شأن ريموندلول عند الغرب ، حيث اعتبر أول منصر وأول مستشرق فعلي في آن واحد(Majorque)[٤] ، ذلك أنه وضع نصب عينيه طريقين لا ثالث لهما لتحقيق أهدافه :

١ - طريق شخصي بتصنيف المؤلفات والكتب الجدلية ضد الإسلام والقرآن .

٢ - طريق مؤسسي بإقناع ملك «ميورقه»(Moyorque)[٥] بإنشاء كلية الثالوث المقدس لإعداد المبشرين للعمل ضد الإسلام وفي الغرب بتقديم ثلاث عرائض إلى البابا «كليمان الخامس»(clemant)(ت٧١٤هـ/١٣١٤م)[٦] لإنشاء كلية للدراسات العربية ، وعدد من كراسي تعليم اللغة العربية في الجامعات المختلفة لتكون من أهم

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٣ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٩٦ .

(٢) اطلع ريموند لول على القرآن والحديث ، وعلى بعض الشذرات من فتوحات ابن عربي ومن نصوص رشديه ، وسيأتي التفصيل عنه في الفصل الخاص بالعلوم المرتجمة .

(٣) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٢٦ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ ؛ فوك : الدراسات العربية في أوروبا ، ص٩١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢ .

(٥) ميورقة : جزيرة في شرقي الأندلس وبالقرب منها جزيرة يقال لها : منورقة ، وهي كبرى جزر البليار الإسبانية . ياقوت : معجم البلدان ، ٥/٢٨٥ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/٣١٢ .

(٦) كليمان الخامس : هو برتران دوغوت ، مولود في فيلاندو بفرنسا ، انتخب سنة (٧٠٥هـ/١٣٠٥م) . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٣/٢٩٥ .

وسائل الجدل ضد الإسلام والقرآن ، وأفضل الوسائل لتنصير المسلمين[١] .

وإلى جانب مساعي لول هذه ، ظهرت دعوة إلى دراسة اللغة العربية لغرض التنصير من الفرنسي بيير دوبوا (Pierre de Bois) حيث قدم إلى البابا الفرنسي كليمان الخامس برنامجاً سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) لأجل استرداد الأراضي المقدسة ، ورسم فيه خطة لاستعمار الشرق من قبل شعوب أوروبا النصرانية ، فنادى بتأسيس مدارس لتعليم اللغات لا تقتصر على إعداد ما تستلزمه هذه الخطة الاستعمارية من موظفين وضباط وتراجمة ومنصرين وأطباء ، بل تهيء كذلك الفتيات الأوروبيات اللاتي يمكن تزويجهن بالزعماء الشرقيين للقيام بالمهمة الملقاة على عواتقهن وهي اجتذاب اولادهن وأزواجهن إلى المشاركة في إيمانهن أي في العقيدة النصرانية الكاثوليكية ، وكان من جملة وصاياه البحث عن علماء اليونان والعرب الكلدانيين لكي يعلم هؤلاء لغاتهم القصص الطلاب الأذكياءمن النصارى الأوروبيين ، بلغاتهم العامية الطلاب ذوي الموهبة القليلة للدرس ، وهؤلاء الأخيرون يمكن استخدامهم كتراجمة عند الأميين من الشرقيين[٢] .

وقد كان لهذه المساعي من قبل لول ودوبوا أثرها في البلاط البابوي إذ قرر مجمع فينا الكنسي سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) إنشاء خمسة كراسي لتعليم اللغة العربية في أكبر خمس جامعات[٣] في أوروبا ، وعين للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين ، ويعد هذا القرار الكنسي البداية الرسمية للتنصير المؤسسي في الغرب ، إذ أثمر عن ظهور أكبر مؤسستين غربيتين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام والقرآن حتى اليوم ،

---

(١) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٥-١٣٦ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٥٩ .

(٢) مصطفى بوكاري : الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، ١٠٩-١١٩ .

(٣) هذه الجامعات هي : باريس ، أكسفورد ، بولونيا ، سلمنقة ، جامعة روما . العقيقي : المستشرقون ، ١٢٢/١ ؛ عبدالمحس : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٥ .

وهما : التبشير والاستشراق[١] .

ومن هنا يمكن القول إن الدافع التنصيري للترجمة قد استفاد من مؤسستين أساسيتين لتحقيق هدفه هما :

١ - المؤسسة التبشيرية[٢] :

كان التبشير هو البديل النصراني للحملات الصليبية الفاشلة في تحطيم العالم الإسلامي أو محوه من الوجود ، وأصبحت علوم المسلمين موضوعاً للتبشير ، وأصبحت ترجمة هذه العلوم إلى اللغات الأوروبية أحد الأغراض الأساسية له ، لاسيما إذا عرفنا أن التبشير يعتمد في تحقيق أهدافه على تشويه صورة الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ ، مسخراً في ذلك كل ما يمكن من إمكانات ووسائل[٣] ، يقول أحد الباحثين : «فالأرجح أن فكرة التبشير كانت هي التي حملت الكنيسة على الاشتغال بالقرآن واللغة العربية ، وكلما ذوى الأمل في إحراز نصر حاسم بقوة السلاح ، صار غزو الأرض المقدسة غير المؤدي إلى ترك المسلمين دينهم أكثر وضوحاً ، بل إنه خلافاً لذلك كان لثقافتهم وتقاليدهم وطريقة معيشتهم تأثير على الصليبيين ، وصارت أصوات الذين يأملون في التغلب على الدرس الخاطئ في الدوائر والأوساط العقلية أكثر علواً»[٤] .

فكان أمل الغرب الأول ، هو أن تفلح ترجمات علوم المسلمين في تحقيق الغايات التي عجزت عنها الحروب الصليبية ، والتي لخصها رودي بارت Rudi

(١) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٥ ؛ محمد البهي : المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، مطبعة الأزهر ، ١ .

(٢) التبشير : تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية ، لاسيما المسلمون ، وأصل التبشير في اللغة الإخبار بما هو خير ، أو تبليغ ما هو خير ، لكن واقع حال المبشرين الصليبيين وأهدافهم من التبشير ، جعلت التبشير يحمل معنىً آخر غير معناه اللغوي الأصلي ، فحملت كلمة التبشير الدلالة التي سبق بيانها لدى تعريفه الاصطلاحي الشائع .
عبدالرحمن الميداني : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير-الاستشراق-الاستعمار ، دراسة وتحليل ، ط٦ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ٥٠ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٦ ؛ البهي : المبشرون والمستشرقون ، ص٦ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٤-٧٥ .

Paret بقوله :«إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر ، ففي عام ١١٤٣م تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فيبزابيليس رئيس دير كلوني ، وكان ذلك على أرض أسبانية ، وعلى الأرض الإسبانية وفي القرن الثاني عشر أيضاً نشأ أول قاموس لاتيني عربي ، وفي القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموند لولوس جهوداً كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية ، وكان قد تعلم اللغة العربية على يد عبد عربي .

وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير ، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي»(١) .

وهكذا نجد أن فكرة التبشير أدت إلى الاهتمام بعلوم المسلمين ، ومن ثم ترجمتها إلى اللغة الأخرى ، وذلك عندما رأى الغرب أن محاربة الإسلام بوسائل الوعظ والإفهام والأحاديث الدينية يتطلب الاهتمام بمعارف الخصم والوقوف على حججه ، ومن ثم كان لا بدَّ من تثقيف من يعمل في مجال التبشير بهذه المعارف وتلك الحجج ، وذلك عن طريق الترجمة ، أو عن طريق تعلم اللغة العربية التي حاول كثيرٌ من المبشرين دراستها للاطلاع على المعارف الإسلاميَّة والاستفادة منها في التبشير الديني(٢) .

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة : مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ٩ .

(٢) سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٤٩ .

وفي هذا الصدد وتحديداً إبان القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي – الذي شهد نشاطاً ملحوظاً بين جماعات الرهبان الدومينكان(Dominicans)[١] ، والفرنسيسكانيين(Franciscan)[٢] للتبشير - ظهر أول معجم لاتيني عربي[٣] ، ثم تبعه معجم آخر للمفردات العربية[٤] .

وكلا المعجمين يُجهل مكان وزمان تأليفهما ، كما يُجهل اسم المؤلف الذي قام بكتابة كلٍّ منهما ، إلا أن البعض -استناداً إلى ما جاء في مخطوطة المعجم الثاني التي أرفق بها معارضة للقرآن الكريم لريموند مارتين-(Raimundo Martni) (ت٦٨٣هـ-١٢٨٤م)[٥] يرى أن هذا المعجم ينتسب إلى نفس وسط المبشرين في

---

(١) الرهبان الدومنيكيين أو الإخوة الوعاظ : أسس رهبانيتهم القديس دومينيكوس سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م ، لدحض البدع عن طريق العلم ، فانصرفت إلى التعليم العالي في كبرى العواصم ، وعاونت على إرساء النهضة الأوروبية على التراث الثقافي لاسيما الإسلامي . العقيقي : المستشرقون ، ٢٦٨/٣ .

(٢) الرهبان الفرنسيسكان أو الإخوة الأصاغر ، نسبة إلى القديس فرنسيس الأسيزي الذي أسس رهبانيتهم سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، وقد اتصلوا بالمشرق عند زيارته له سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م ، واستقروا فيه لحراسة الأراضي المقدسة في فلسطين ، وأعلن إنشاؤها رسمياً سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م . العقيقي : المستشرقون ، ٢٥٠/٣ .

(٣) هو أقدم معجم أوروبي عربي ، وهو لاتيني عربي ، أي يعطي الكلمة اللاتينية وفي مقابلها يضع ما يناظرها في العربية ، ولا يعرف له مؤلف ، ولا مكان أو تاريخ تأليفه ، ولكن مضمونه يدل على أنه كتب في إسبانيا المسيحية ، ويحتمل أن مصنفه أحد رجال الدين ، ومقصده من تصنيفه أن يكون أداة لاستعمال البعثات التبشيرية النصرانية ، ويوجد منه نسخة خطية واحدة ، في مكتبة ليدن ، وقد نشره : ك.ف.ز.chr.F.seybold عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م . فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٥٥٦ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٥٥٦ .

(٥) ريموند مارتين : ولد في سوبرتس Subirats في إقليم قطالونيا سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) ، وانخرط في رهبنة الدومينيكان ، وفي سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) صار عضواً في اللجنة المنتخبة لفحص كتب اليهود ، وفي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) صار مدرساً في المدرسة العبرية في برشلونة ، له مؤلفات عدة ، أتقن عدة لغات : العربية والعبرية والكلدانية ، واليونانية . فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٧ ، يوسف جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، مطبعة الشباب بمصر ، القاهرة ، ١٩٢٩م ، ١٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ،٣٠٩ .

القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، الذي ينتسب إليه ريموند ، كما أن الإضافات العديدة باللغة القطالونية إلى الكلمات اللاتينية تشير إلى شرقي إسبانيا ، كوسط من المحتمل أن يكون هذا المعجم قد كتب فيه[١] .

ويقول دوزي(Doze)-بدون إبداء الأدلة : «إنه أُلف في شرقي إسبانيا ، إما في قطالونيا ، أو في مملكة بلنسية ، وربما كان مؤلفه هو الأخ الواعظ الدومنكاني ريموند مارتين»[٢] .

وقد تجاوزت طموحات المبشرين تعلم اللغة العربية ، إلى الاطلاع على العلوم الإسلامية نفسها ، وترجمة شذرات منها لاستخدامها في حقل التبشير أيضاً ، فهذا ريموند مارتين (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) -سالف الذكر- الذي يعد في قائمة المبشرين الأوائل ، نجده يتجشم الصعاب في سبيل إتقان اللغة العربية ، حيث انتمى إلى أحد مراكز الدراسات العربية الدومينيكاني بتونس لمتابعة تعلمه العربية ومختلف العلوم الإسلامية من عقائد وكلام وفلسفة وغيرها[٣] .

وقد تبحر مارتيني في علوم الدين الإسلامي بهدف تنصير المسلمين ، لاسيما الكتاب العزيز ، حيث أجهد نفسه في الجدل ضده فألف كتاباً بعنوان : «الخلاصة ضد القرآن»[٤] ، وبلغت به رغبته في تفنيد القرآن أن حاول معارضته بعد أن علم أنه معجزة النبي ﷺ .

فوضع سورة غاية في السخافة والسقامة[٥] ، وبغض النظر عن مدى سقم محاولة مارتين ، إلا أنها تكشف عن قفزة كبيرة وتطور في مستوى التنصير وانتقاله

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٥٥٨ .

(٢) رينهارت دوزي : تكملة المعاجم العربية ، ترجمة : محمد النعيمي ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٧٨م ، ١٦/١ .

(٣) السامرائي : الاستشراق ، ص٨٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٦٨ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٤٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٩/١ .

(٤) مفقود : بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣١٠ .

(٥) بقيت هذه المعارضة في مخطوط كتاب VO CABULISTAIN ARABI CO ونشرها أسكيا بالي في نشرته لهذا الكتاب ، وترجمها إلى الإيطالية . بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٣١٠ .

من أسلوب الطعن في أصالة القرآن إلى محاولة معارضته[١] .

ويبدو من مؤلفات مارتين سعة اطلاعه على المؤلفات الإسلامية ، لاسيما في كتابه «خنجر الإيمان في صدور المسلمين واليهود» ، Pugio Fidei Adversos Mouroset Judaeos[٢] ، الذي رجع فيه بالإضافة إلى القرآن ، إلى سيرة ابن إسحاق ، وإلى صحيح مسلم والبخاري ، لينتقي من جميع هذه الكتب أجزاءً من تاريخ حياة المصطفى ﷺ ليقارنها مع أجزاء من سيرة عيسى عليه السلام ، بالإضافة إلى أعمال عدد من الفلاسفة المسلمين[٣] .

وقد استمرت دوافع التبشير للمسلمين في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، خاصة بعد احتلال الأندلس من قبل النصارى ، وسقوط غرناطة ، آخر معقل للإسلام هناك ، فاستلزم الأمر وجود قاموس للترجمة ، بهدف مساعدة جماعات المبشرين في أداء مهمتها التنصيرية[٤] .

وكان هذا الإنجاز من عمل الراهب القديس بدرو دي الكالا Pedro de ALcala[٥] ، حيث كلف رئيس أساقفة قرطبة فرناندو دي تلافيرا Fernando de Tlavera في سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) على الأرجح بدرو دي القلعة بوضع معجم إسباني عربي لأغراض المبشرين العاملين بين المسلمين والنصارى الجدد في مملكة

(١) السامرائي : الاستشرق ، ص٨٩-٩٠ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٣-١٣٤ .

(٢) طبع طبعته الأولى سنة (١٠٦٢هـ/١٦٥١م) ، ثم أعيد طبعه سنة (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣١٠ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٩-٩٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٣٠٩ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٤٠ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٧١-١٧٣ ؛ السامرائي : ص٨٩-٩٠ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٠٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٧٧ .

(٥) بدرو دي القلعة : مستشرق إسباني من الرعيل الأول ، ولعل اسم دي ألكالا تحريف للكلمة العربية «القلعة» ، فيكون لقبه من القلعة أو القلعي : PEDRO DE CALA ، فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١٠٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٧٧ .

قرطبة[١] .

وقد اعتمد بدرو لاستقصاء مواده الإسبانية على قاموس نشره أنطونيو دي نبريخا Artonio de nebrija ، وهو معجم إسباني لاتيني ظهر سنة (٩٠١هـ/١٤٩٥م) ، وجعله أساساً لعمله ، وأكمل مفرداته بصورة كبيرة حتى تجاوزت مواده (٢٢.٠٠٠) مادة ، واستعان بعدد من العلماء المسلمين ، ممن يتقنون اللهجة العربية في غرناطة ، فتم العمل في عام (٩٠٧هـ/١٥٠١م) ، وظهر مطبوعاً في عام(٩١١هـ/١٥٠٥م) في غرناطة بعنوان (vacabulista aravigoen) «المعجم العربي بالحرف القشتالي»[٢] .وقد أعلن بدرو في مقدمة كتابه هذا عن إصدار كتاب آخر في نحو اللهجة العامية العربية في غرناطة ، وقد ظهر هذا الكتاب في نفس السنة ، أعني(٩١١هـ /١٥٠٥م) بعنوان : (Arte Para ligera mente saber la lengua araviga) «الفنون لمعرفة اللغة العربية بسهولة» ، وقد لقي هذان الكتابان[٣] اهتماماً كبيراً في أوساط المبشرين لما يحويانه من إرشادات ومفردات تخص طريقة تنصير المسلمين آنذاك[٤] . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لقد برز اثنان من كبار الرهبان لدى محاكم التفتيش ، أحدهما يدعى : «الراهب دييغو دي غواديكس» Diegodi de Guadix ، مترجم اللغة العربية لدى محاكم التفتيش ، والآخر هو : فرانسيسكو لوبيث تاماريد Francisco lopez tamared ، مترجم محكمة التفتيش في غرناطة ، ومؤلف قاموس الكلمات التي أخذتها اللغة الإسبانية عن اللغة العربية[٥] .

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٠٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٧٧ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٠٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٧٧ ؛ دوزي : تكملة المعاجم العربية ، ١/٢٠-٢١ .

(٣) ولهذا جاء بول دي لاجارد ، فقام بنشر الكتابين في جيتنجن سنة١٣٠١هـ/١٨٨٣م ، وفي هذه الطبعة أصلح العديد من الأغلاط في الطبعات السابقة ، وقد أدخل دوزي في كتابه : «تكملة المعاجم العربية» ، الجزء الأكبر مما ورد في كتابي . بدرو : بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٧٨ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٠٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٧٨ .

(٥) مانثارناريس : المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر ، ص٣٢ .

٢ - الاستشراق[1] :

يعد الاستشراق من أهم مؤسسات التنصير في العالم ، وقد حدد علي النملة

(١) الاستشراق في اللغة : مأخوذ من الفعل شرق ، يقال : شرقت الشمس ، أي : طلعت ، والشرق : هو الجهة التي تشرق منها الشمس ، والتشريق : الأخذ في ناحية المشرق ، واستشرق فلان بمعنى طلب علوم الشرق ولغاتهم ، وهي كلمة مولدة عصرية تقال لمن يعنى بذلك من الإفرنج ، وعرف المستشرق بانه : العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية ، والاسم الاستشراق .
واما بالنسبة لأول استعمال لكلمة أو مصطلح مستشرق: (orntaliste)، فقد كان في اللغة الإنجليزية حوالي عام (١١٩٣هـ/١٧٧٩م) ، وأما مصطلح (استشراق) (orntalisme) فقد ظهر في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م .
ثم ما لبث هذا المصطلح أن تبلور وأصبح عنواناً للعداء السافر على الدين الإسلامي وشعوبه ، فطالب كثير من المستشرقين بالتخلي عن هذا اللقب كلية ، وذلك في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس سنة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، واستبداله بلقب المستعرب ، أو المختص بالدراسات العربية والإسلامية ، أو المختص بالعلاقات مع العرب .
أما في الاصطلاح فالاستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ، ويقصد به في أحد تعريفاته : ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تمثل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ، والمستشرقون : هم الذين يقومون بهذه الدراسات من غير الشرقيين ، ويقدمون الدراسات اللازمة للمنصرين ، بغية تحقيق أهداف التنصير .
إلا أن آخر ما توصل إليه من تعريفات الاستشراق ، والتي يبدو أنها أرجح التعريفات هو : إسهام علماء ومفكرين غير مسلمين شرقيين أو غربيين ، في العلوم الإسلامية ، وفي تقاليد الشعوب الإسلامية وعاداتها وآدابها ، بغض النظر عن وجهة هؤلاء العلماء الجغرافية ، وبقطع النظر عن مكان الشعوب الإسلامية من الأرض ، وعن اللغة التي تتكلمها هذه الشعوب ، بحيث يشمل المفهوم الأسيويين بعامة والأفارقة ، والعرب من غير المسلمين بخاصة ، فكل عربي غير مسلم يتحدث عن الإسلام بالمنهجية التي يتحدث بها المستشرقون هو مستشرق ، ويدخل في هذا المفهوم النصارى العرب واليهود العرب كذلك . انظر كلاً من : ابن منظور : لسان العرب ، ٦/١١٥ ؛ الميداني : أجنحة المكر الثلاثة ، ٥٠ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ،٥-٧ ؛ صالح : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ٨٨ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٤٤ ؛ علي النملة : الالتفاف على الاستشراق ، محاولة التنصل من المصطلح ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ١٩ ؛ سعد الماجد : موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم ، ط١ ، دار الفضيلة للنشر ، الرياض ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ، ١٤ .

العلاقة بين الاستشراق والتنصير بقوله : «هناك علاقة قوية بين الاستشراق والتنصير ، فالتنصير كان دافعاً وهدفاً من جملة الدوافع والأهداف الدينية للاستشراق ، وعشرون من تسعة وعشرين من طلائع المستشرقين كانوا منصرين أو رهباناً أو عاملين في الأديرة . بل إنَّ أوَّل المستشرقين في نظر العقيقي وهو : جر بردي أورالياك كان من الرهبان البندكتية ، ومع أن الاستشراق قد بدا عليه التحرر من سيطرة المنصرين ونفوذهم ، إلا أن فكرة التنصير لا تزال عالقة في أذهان المستشرقين على اعتبار أنها هي المنطلق الأول لهذا الاتجاه الفكري ، وانشغال المستشرقين بالرهبنة قد لا يوحي للبعض انشغالهم بالضرورة بالتنصير ، وقد يصدق هذا على غير المستشرقين من المنشغلين بالرهبنة والأديرة والكنائس ، ولكنه لا يبعد أن يصدق على مستشرق وجه جهوده العلمية إلى مواقع التنصير فيها مطامع قديمة متجددة»[١] .

والذي يؤيد هذا أن الكثير من الذين احترفوا الاستشراق وبرزوا في ميادينه بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية ، كما أن الاستشراق المؤسسي الرسمي بدأ بقانون كنسي حدَّد مهمة المؤسسة الاستشراقية في التمهيد والإعداد لارتداد المسلمين إلى النصرانية ، ولذلك نص قرار إنشاء كرسي اللغة العربية بجامعة كمبردج عام ١٠٤٦هـ/١٦٣٦م ، مثلاً على أن الكرسي أنشئ بهدف «توسيع حدود الكنيسة ، ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات»[٢] .

ولم تقتصر جوانب التنصير في المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء ، بل تعدتها إلى الممارسة والتنظيم ، فقد كان الرهبان في طليعة المستشرقين ، أما التنظيم والإعداد فقد اضطلع به الفاتيكان ، واصطنع للمؤسسة الاستشراقية

---

(١) علي النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ط١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ٧٥-٧٦ .

(٢) نخبة من العلماء : الإسلام والمستشرقون ، ١٦٦ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٣٩ .

النفوذ لدى السلطات الحاكمة ، واضطلع بوسائل التمويل[١] .

وربما كانت الطبيعة التنصيرية الخالصة للاستشراق بعناصرها الأربعة «السلطة والإنشاء والهدف والتنظيم والممارسة» ، تسبب الالتباس في أمر الاثنين ، وتحول في كثير من الأحيان دون التفرقة بين العمل التبشيري والعمل الاستشراقي ، لكن على الرغم من الطبيعة الاستشراقية فهناك فوارق بين المؤسستين تتمثل في أداة العمل التنصيري ومجاله ، حيث إن الاستشراق أخذ صورة البحث العلمي الأكاديمي ، أما دعوة التبشير فقد بقيت في حدود مظاهر العقلية العامة ، أي العقلية الشعبية ، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجلات العلمية ، وكرسي التدريس في الجامعة ، والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة ، سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ودور الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للذكور والإناث على السواء ، كما سلك التبشير العمل الخيري الظاهري ، وهذا يعني أن مؤسسة التبشير استهدفت تنصير العامة وذوي الحاجات ، واختصَّ الاستشراق بتنصير النخبة والمثقفين ، بوسائط علمية وفكرية[٢] .

هذا بالنسبة للعلاقة بين الاستشراق والتنصير ، أما عن العلاقة بين الاستشراق والترجمة ، فلا بدَّ لنا من الحديث عن نشأة الاستشراق وبدايته ، لإيجاد العلاقة بينه وبين الترجمة .

نجد أنه من الصعب تحديد بداية بعينها لنشأة الاستشراق ، وذلك لاختلاف المؤرخين في بداية نشأته على عدة أقوال :

١ - ذهب فريق من المؤرخين إلى أن الاستشراق بدأ منذ وقت مبكر يرجع إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي ، وذلك من خلال مؤلفاته التي تدعوا إلى الجدل ضد المسلمين[٣] .

---

(١) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٤٠ .

(٢) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص١٤١ ؛ الميداني : أجنحة المكر الثلاثة ، ص١٥٨ .

(٣) زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص١٩ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة

٢ - يرى فريق آخر أن الاستشراق يعود إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس ، وتحديداً إبان القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، بعد دخول الإسلام هناك ، ورغبة كثير من الغربيين في فهم ثقافة المسلمين وسبب قوتهم وتفوقهم ، والإعجاب بآدابهم وعلومهم ، مما حدا بأحد رهبان إسبانيا وهو الفارو القرطبي ، أن يطلق أنَّة الأسى ، ويصف مدى تأثير الحضارة الإسلامية في عقول أبناء جنسه من النصارى .

فإذا كان الأمر قد وصل إلى هذا الحد مع أهل الأندلس أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، من حيث الاهتمام بالعربية وآدابها ، فمن الضروري إذن أن تكون نشأة الاستشراق قبل ذلك بزمن غير قصير يكون في الإمكان أن يحدث فيه مثل هذا التطور والتغيير ، يرجع إلى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي[1] .

٣ - يرجع آخرون نشأة الاستشراق إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، حيث ظهر الاهتمام بالعلوم العربية في هذا القرن بالذات ، وتوافدت البعثات العلمية على مراكز الثقافة الإسلامية في الأندلس وغيرها لأخذ علوم المسلمين منها ، وقد وجدت حركة ترجمة العلوم العربية في هذا القرن ، لاسيما العلوم الطبيعية والتطبيقية ، ويقرر نجيب العقيقي : أن الذين يظنون أن أوروبا لم تعرف استشراقاً حقيقياً قبل الحملات الصليبية مخطئون ، لأن الاستشراق عرف في القرن العاشر الميلادي ، وما كانت الصليبية إلا نتيجة واحدة لمقدمة واحدة هي الاستشراق ، وما الحملات الصليبية إلا نتيجة وقوف الغرب على ثقافة الشرق وفلسفته التي تناهض النصرانية[2] .

٤ - هناك رأي آخر يرى أن الاستشراق بدأ إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، حيث نشطت ترجمة العلوم الإسلامية في هذا القرن ، وتم

=

الاستشراق ، ص١٩٤ .

(١) سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٦٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص٥٥ ؛ عليان : أضواء على الاستشراق ، ص٧ .

نقل أغلب علوم المسلمين فيه[1] ، يقول رودي بارت : «إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطور الاستشراق ، ولم يتردد في التبسيط رغبة في زيادة الوضوح ، فإنه يستطيع أن يقول أن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر»[2] .

ويؤيده في ذلك برنارد لويس حيث يرى أن العلماء أخطأوا حينما ظلوا يعتقدون من حقبة طويلة من الزمن أن أول اتصال جدي بين الثقافة الإسلامية وثقافة أوروبا قد حدث نتيجة للحروب الصليبية ، ثم يؤكد أن حركة الفكر والعلوم العربية وصلت إلى الغرب عامة ، وبريطانيا خاصة عن طريق آخر لا عن طريق الحروب المذكورة ، فنتيجة الفتوحات الإسلامية للأندلس وصقلية ، ونشر اللغة العربية مما حدى بكثير من النصارى واليهود على تعلمها ساعد كثيراً في نشر العلوم العربية في الغرب[3] .

٥ - يرى البعض الآخر أن الاستشراق بدأ بشكل رسمي بعد صدور قرار مؤتمر فينا الكنسي سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، الذي قضى بإنشاء عدد من كراسي اللغات الشرقية في عدد من الجامعات الأوروبية ، ويذهب إلى هذا الرأي كثير من المؤرخين بمثابة أنه أكثر أكاديمية من الآراء الأخرى ، فهو يعطي تاريخاً بعينه ، وحادثة علمية محدودة بالزمان والمكان والنتائج[4] .

وإن كان هذا التاريخ متأخراً «القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي» إلا أنه يعد الانطلاقة العلمية للاستشراق من حيث التوسع في إنشاء المدارس والمعاهد الاستشراقية والمهتمة بدراسة تاريخ الشرق عموماً وثقافته ، والإسلام والمسلمين

---

(١) محمد دياب : أضواء على الاستشراق والمستشرقين ، ط١ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ١٣ ؛ إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص٢٣٤ .

(٢) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ص٩ .

(٣) تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ط٢ ، (د.ت) ، ٣-٤ .

(٤) سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٧٤-٧٥ ؛ زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص١٩ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ص٢٧ .

بشكل خاص[١] .

٦ - يرى محمد البهي أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة ما يسمى بالإصلاح الديني ، كما يشهد بذلك التاريخ في عدد من الدول الأوروبية[٢] .

ولعل فترة الإصلاح الديني قد قوت من نفوذ الاستشراق في المجتمع الأوروبي ، وأدركت أوروبا أنه في سبيل التوغل في البلاد الأخرى تجارياً أو دينياً لا بد من دراسة هذه البلاد من حيث الثقافة والخلفية الفكرية والبيئة والطبيعة الجغرافية وغيرها من الجوانب التي تعين على الإفادة من هذه البلاد .

إلا أنه يصعب اعتبار هذه الفترة في القرن السادس عشر منطلقاً للاستشراق ، بل يمكن القول إن هذه الفترة تمثل دليلاً واضحاً على الدافع التجاري للاستشراق ، ربما بتأييد ما ذهب إليه محمد البهي من أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني ، مما يشير إلى أن الاستشراق قد أخذ مكانه -ولو على نطاق ضيق- في فترة الإصلاح الديني[٣] .

وعلى الرغم من وجاهة هذه الآراء ، إلا أن الرأي القائل بنشأة الاستشراق في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي ، يكاد يكون أرجحها ، ذلك أن هذا القرن شهد اختلاطاً واضحاً بين المسلمين وغيرهم في الأندلس وصقلية وغيرها من المناطق التي كانت تشهد تمازجاً حضارياً بين الفريقين ، أدى هذا التمازج إلى كثرة الجامعات ، ودور العلم ، وكثرة البعثات الأوروبية إلى مدارس المسلمين ، ورجوع هذه البعثات متأثرة بالثقافة الإسلامية ، ناقلة معها علوم المسلمين إلى الغرب .

وقد أيد هذا الرأي اثنان من كبار علماء الدراسات الاستشراقية ، وهما : أحمد سمايلوفيتش ، الذي يقول : «نحن على حق عندما نؤكد صراحة أن حركة الاستشراق قد بدأت في الأندلس في منتصف القرن الثامن الميلادي ، وبرغم أن التاريخ لم يحتفظ إلا بأسماء المشهورين ؛ وذلك لأن الإقبال على العربية كان جماعياً

---

(١) النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص٢٩ .

(٢) المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام ، ص١١ .

(٣) النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص٢٨ .

لا فردياً ، وقد سبب هذا النشاط العلمي العظيم في الأندلس استشراق عدد ضخم من أهل الغرب ، ومن هنا كان ميلاد الاستشراق حينما التقى الأوروبيون بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم ، وظلت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكوين صرحها العلمي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر»(١) .

أما الآخر فهو علي النملة ، الذي يقول : «رغم وجاهة جميع الآراء في نشأة الاستشراق إلا أن النفس تميل إلى الرأي القائل بأن بدأ الاستشراق قد انطلق من الأندلس في القرن الثامن الميلادي...وما كان قبيل هذه الفترة يعد من قبيل الإرهاص ، وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة ، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها»(٢) .

وهكذا بعد أن عرفنا أن الرأي الراجح في نشأة الاستشراق هو القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، نستطيع أن نستنتج العلاقة بين الاستشراق والترجمة ، فنجد أن الاستشراق سابق في عهده عن الترجمة التي بدأت إبان القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وعليه فالترجمة تعتبر وسيلة من وسائل الاستشراق في تحقيق أهدافه ودوافعه ، فعن طريقها استطاع المستشرقون الاطلاع على علوم المسلمين خاصة ، وعلى علوم المشرق على وجه العموم ، وبالتالي فالترجمة تعتبر وسيلة من وسائل التنصير بكافة مؤسساته : التبشيرية والاستشراقية على حد سواء .

---

(١) فلسفة الاستشراق ، ص٦٩-٧٠ .

(٢) الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص٣٠ .

ثالثاً : دافع الحوار :

الحوار في اللغة : الرجوع عن الشيء ، وإلى الشيء ، فيقال : حار ، إذا رجع ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُوْر﴾[١] ، والعرب تقول : الباطلُ في حَوْرٍ : أي : رَجْعٍ ونقصٍ ، والمحاورة : المجاوبة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة ، وقد حاوره ، وتحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم ، والتحاور : التجاوب[٢] .

وفي المعجم الوسيط : حاوره محاورة ، وحواراً ، جاوبه وجادله ، وفي القرآن : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ ، والحِوارُ : حديث يجري بين شخصين أو أكثر ، ويرادفه الجدال[٣] ، وقد جاء في القرآن الكريم إطلاق اللفظين في آية واحدة[٤] : ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٥] .

أمَّا في الاصطلاح فقد تعددت تعريفات الحوار بين الباحثين[٦] ، وتقاربت في نفس الوقت ، ومن هنا يمكن إجمال تلك التعريفات فيما يلي :

الحوار : هو محادثة بين شخصين أو فريقين ، حول موضوع محدد ، لكل منهما وجهة نظر خاصة به ، هدفها الوصول إلى الحقيقة ، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق

---

(١) سورة الانشقاق ، آية (١٤) .

(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٢/١١٥ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ٦/٣١٧ ، ٣١٩ .

(٣) ٢٠٥ .

(٤) عبدالله بن بيه : الإسلام والحضارات الأخرى ، «ضمن ندوة الإسلام وحوار الحضارات» مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ثلاثة أجزاء ، ١/١٨٥ .

(٥) المجادلة ، آية(١) ، ففي هذه الآية يلاحظ أن حديث المرأة عن زوجها كان حديث خصومة ، ولذلك كان التعبير وقتها بالمجادلة (تجادلك) ، ولكن بعدما بدأ الحديث بينها وبين النبي ﷺ أصبح حديث مراجعة الكلام ، ولذلك كان التعبير عنه بالحوار (تحاورك) . عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، المبادئ التاريخ الموضوعات الأهداف ، ط١ ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ٢٤ .

(٦) انظر لمزيد من تعريفات مصطلح الحوار : فهد السنيدي : حوار الحضارات ، دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، ١٤٣٠هـ ، ص١٦-١٧ .

وجهات النظر ، بعيداً عن الخصومة أو التعصب ، بطريق يعتمد على العلم والعقل ، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر[١] .

فلا بدَّ للحوار إذاً من توفر الشروط الآتية فيه :

١ - وجود طرفين للحوار .

٢ - وجود موضوع محدد للتحاور فيه .

٣ – وجود هدف للحوار ، وهو إظهار الحقيقة ، أو تطابق أكبر قدر ممكن من وجهات النظر .

٤ – البعد عن التعصب والخصومة ، وفرض الرأي .

٥ – الاعتماد على العلم والعقل[٢] .

- **الفرق بين كل من الحوار والمناظرة والمناقشة والجدال :**

تعد المناظرة أحد أنواع الجدال ، ولكن بعد الرجوع إلى تعريفها يتضح أنها تعتمد على الدقة العلمية ، والشروط المنطقية ، أكثر من اعتماد الحوار على ذلك[٣] .

فالمناظرة لغة : من النظير ، أو من النظر بالبصيرة[٤] .

وفي الاصطلاح : هي النظر بالبصيرة من الجانبين ، في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب[٥] .

وعلم المناظرة : علم باحث عن أحوال المتخاصمين ليكون ترتيب البحث بينهما ، على وجه الصواب حتى يظهر الحق بينهما[٦] .

وكلمة المناظرة لم ترد مطلقاً في القرآن الكريم ، وأول تأليف لها وصل إلى

---

(١) عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، ص٢٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفسه ، ص٢١ .

(٤) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٥/٤٤٤ ؛ المعجم الوسيط ، ص٩٣١ .

(٥) الجرجاني : كتاب التعريفات ، ص٢٣١ .

(٦) القنوجي : أبجد العلوم ، ص٥٢٤ .

الباحثين في موضوعها كان في القرن السابع الهجري على يد العالم العميدي[١] .

ولذا يمكن القول : إن الحوار غير المناظرة ، وإن المناظرة تقوم على وجود التضاد بين المتناظرين ، فالاستدلال على إثبات أمرٍ يتخاصمان فيه نفياً وإيجاباً ، بغية الوصول إلى الصواب .

وأما الحوار فإنه لا يقوم على وجود التضاد بين الطرفين المتحاورين ، لوجود الخصومة بينهما[٢] .

أما الفرق بين الحوار والمناقشة : فالنقش في اللغة : النزع والاستخراج ، والمناقشة : الاستقصاء في الحساب حتى لا يترك منه شيء[٣] ، فالمناقشة هي نوعٌ من التحاور بين شخصين أو طرفين ، ولكنها تقوم على استقصاء الحساب ، وتعرية الأخطاء ، وإحصائها ، ويكون هذا الاستقصاء في العادة لمصلحة أحد الطرفين فقط ، الذي يستقصي محصياً ومستوعباً كل ماله على الطرف الآخر[٤] .

أما الفرق بين الحوار والجدال : الجدل أو الجدال هو الخصام ، والقدرة عليه ، والجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدلتُ الحبلَ إذا أحكمت فتله ، فكأن المتجادلين يفتل كلٌّ صاحبه عن رأيه[٥] .

وقد ورد الحوار والجدال في القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾[٦] ، وقد وردت كلمة الجدال في القرآن في تسعة وعشرين موضعاً ، وعند تتبع تلك المواضع يجد الباحث أن أغلبيتها تعرضه في سياق عدم الرضا عنه ، أو عدم جدواه ، والغالب عند المفسِّرين أن كلمة الجدال تستعمل للكلام الذي يدافع عن الحق ، أو الكلام

---

(١) عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، ص٢١ ؛ والعميدي : هو محمد بن محمد السمرقندي ، (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣/٣٨٨ .

(٢) عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، ص٢١-٢٢ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس ، ٩/٢١٢ .

(٤) عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، ص٢٢ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ، ١٤/١٠٢ .

(٦) سورة المجادلة ، الآية (١) .

الـذي يـسعى إلى الباطـل ، لـذا نجـد أن كلمـة الجـدال أو المجادلـة تـأتي في اللغـة والاصطلاح بمعنى الخصومة ، أو أنه يرد في موضع على أمر غير مرغوبٍ فيه[1] .

وأما كلمة الحوار فهي تدل على مراجعة الكلام ، ويمكن التوسـع فيهـا لتـدل على موقف الخصومة ، وأيضاً على موقف غير الخصومة ، ما دام الطرفان يراجعـان الكلام بكل عقلية ومنطق[2] .

وهكذا بعد أن عرفنا معنى الحوار ، نجد أنـه قـد أخـذ الجانـب الأوسـع مـن جوانب العلاقات الإسلامية النصرانية ، فما من لقاء يتم بين الطـرفين إلا وتعـرض فيه القضايا المتعلقة بالعقيدتين للبحث والدراسة ، وقد تنوعت أسـاليب وأشـكال هذا الحوار ما بين لقاءات فردية ، إلى لقاءات واجتماعات دولية أو جماعية ، هـذا إلى جانب الرسائل والكتب التي ألفت في الإجابة عن رسائل وكتب أحد الطرفين .

ولعل أقدم حوار حدث في تاريخ العالم الإسلامي والنصراني ، هو الذي بـدأه رسول الله ﷺ في المدينة المنورة ، عندما استقبل وفد نصارى نجران ، وأثناء اللقـاء حان وقت صلاتهم ، فأدوها إلى قبلتهم ، فلم يـنههم الرسـول ﷺ ، ثـم اسـتؤنف اللقاء بعد الصلاة وانتهى كلٌّ على دينه وعلى معتقده ، فودَّعهم الرسـول ﷺ بمثـل ما استقبلهم به من حفاوة وترحيب[3] .

تواصل الحوار الإسلامي النصراني بعد ذلك في عهـود متعـددة ، وخاصـة في العهدين الأموي والعباسي ، ولعل محاورة الخليفة الأموي عبـدالملك بـن مـروان[4] مع الراهب ميخائيل السابي -إذا صدقت أخبار سيرته- مـن أولى المحـاولات بـين النصارى والمسلمين ، تليها المحاورة التي تمـت بـين نـصراني ومـسلم عنـد يوحنـا

---

(١) عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، ص٢٣-٢٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص٢٥ .

(٣) محمد السماك : مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ١٣ .

(٤) عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، (ت٨٦هـ/٧٠٥م) . انظر : ابن الأثير : الكامل ، ٤/٥١٦ .

الدمشقي ، ثم محاورة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز[١] ، مع الأمبراطور ليو الأيسوري[٢] ، أما العصر العباسي ، فمن أبرز معالمه الحوار الشهير ، في القرن (الثاني الهجري ، الثامن الميلادي) بين الخليفة العباسي المهدي[٣] ، والبطريرك تيموثي الأول الكاثوليكي (Timothy) (٧٢٨-٨٢٣م) ، كما تواصل في ظل أوضاع وظروف مختلفة ، ولعل أبرزه الحوار الذي جرى أثناء الحروب الصليبية في عام (٦١٦هـ/١٢١٩م) في مدينة دمياط[٤] بمصر ، بين السلطان الأيوبي الملك الكامل[٥] والقديس فرانسيس الأسيزي(Francis of Assisi) (ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)[٦].[٧]

---

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي ، (ت١٠١هـ/٧١٩م) ، كان عالماً عاقلاً عادلاً ، حكم سنتين وخمسة أشهر . ابن الأثير : الكامل ، ٥/٥٩ .

(٢) ليو الثالث leo III اعتلى عرش بيزنطة سنة (٩٩/٧١٧م) ، وأسس أسرة جديدة حكمت الدولة البيزنطية حتى سنة (١٨٦هـ/٨٠٢م) ، ويلقبه كثير من الباحثين بـ«الأيسوري» Isourian باعتبار أنه من إقليم أيسوريا في جنوب شرقي آسيا الصغرى ، ويقال إنه يرجع في أصله إلى سوريا . حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ١٠٣ .

(٣) الخليفة المهدي : أبوعبدالله محمد بن عبدالله المنصور (ت١٦٩هـ/٧٨٥م) ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً . ابن الأثير ، ٦/٨٢ .

(٤) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر ، كانت ثغراً من ثغور الإسلام ، وهي اليوم عاصمة محافظة دمياط ، وتقع على الضفة الشرقية لنهر النيل ، ويوجد بها ميناء دمياط الشهير . ياقوت : معجم البلدان ، ٢/٥٣٧ ؛ أبوحجر : موسوعة المدن العربية ، ٤٩٥ .

(٥) الملك الكامل : محمد بن محمد بن العادل الأيوبي ، من سلاطين الدولة الأيوبية ، (ت٦٣٥هـ/١٢٣٨م) . الصفدي : صلاح الدين بن خليل أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) : الوافي بالوفيات ، ط١ ، تحقيق : ؛ أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، تسعة وعشرون جزءاً ، ١/١٥٨ .

(٦) فرانسيس الأسيزي : ولد في مدينة أسيسي في منطقة أومبريا وسط إيطاليا سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م) ، وصار سنة (٦٠٥هـ/١٢٠٨م) واعظاً متجولاً ، واجتمع حوله تلاميذ ألف منهم رهبانية الإخوة الصغار ، وهو الاسم الأول لرهبنة الفرنسيسكان ، ثم ما لبث أن اعترفت به البابوية وبرهبانيته التي انتشرت بعد موته في انحاء أوروبا . رستم : الفرق والمذاهب المسيحية ، ١١١ .

(٧) منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص١٣٢ ؛ الصباح : الإسلام والمسيحيين في العصور الوسطى ، ص٧٠٧ .

وهكذا نجد أن بلاد الإسلام كانت مهداً للحوار بين المسلمين وغيرهم ، قبل أن تعرفه أوروبا بعدة قرون ، وأن المسلمين لم يألوا جهداً في الدعوة لهذا الدين ، سواءً على الإطار الشعبي ، أو على الإطار الرسمي[١] .

أما عن الغرب فقد اتجه لدافع الحوار مع المسلمين ، بحكم التعايش الحاصل بينهم في عدة مناطق ، كان الحوار يمثل بها ضرورة ملحة لاسيما بلاد الأندلس ، التي شهدت هي الأخرى صراعاً طويلاً بين المسلمين والنصارى في الميدان العسكري والسياسي ، وكثيراً ما اتخذ هذا الصراع صيغاً من الحوار بين علماء الجانبين ، وهو حوار استعان كل فريق فيه بكل الأسلحة الفكرية الممكنة ، وأولها معرفة لغة الآخر والتعمق في دراسة عقيدته والتعرف على مقومات فكره ، عن طريق ترجمتها[٢] .

وقد دخل علماء المسلمين في الأندلس في تحاور حضاري رفيع المستوى لا من حيث الأسلوب فقط ، ولكن من حيث المنهج والمعاني والموضوعات المطروقة التي غطت ميادين دينية عديدة ، مما يكشف عن البراعة المنطقية التي وصل إليها علماء المسلمين آنذاك ؛ إذ أجادوا الحوار مع المحاورين بوصفهم علماء في الملل والعقائد[٣] .

وقد انطلق المتحاورون من كل الطوائف لتحقيق أهداف معلومة للكل ، أهمها : استعمال الحوار من أجل الدعوة إلى الإسلام من قبل المسلمين ، والتبشير الديني من قبل النصارى .

---

(١) منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٧٥ .

(٢) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص٩٩ ؛ محمود مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس وإعجاز القرآن في حوار جرى بمدينة مرسية ، ضمن ندوة الإسلام وحوار الحضارات ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٣٨/٣ .

(٣) خالد السيوطي ، الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ، دار قباء للنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠١م ، ٦٥ ؛ عبدالله العسكر : الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات ، ضمن ندوة الإسلام وحوار الحضارات ، مكتبة الملك عبد=العزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٢٧٨/١ .

وقد كان أول من كتبوا في الدفاع عن النصرانية ومناقشة العقيدة الإسلامية إسبرايينديو Spera in Deo في كتاب اتخذ له عنواناً يكشف عن طابعه الجدلي : Apologetico أي : دفاع عن المسيحية ، ولم يبق من هذا الكتاب المؤلف باللاتينية إلا مقتطفات احتفظ بها بعض تلاميذ ذلك القس ، وأهمهم القديس يولوخيو san Eulogio[١] وألفارو القرطبيان[٢] .

وقد كتب كلاهما أيضاً في مهاجمة الإسلام كتابات كان من الطبيعي في مثل هذا الوقت المبكر أن تتسم بالموضوعية ، وإنما كانت لاستثارة النصارى ودفعهم إلى تحدي السلطة الإسلامية ، مما نتج عنه ما عرف بحركة الاستشهاد[٣] التي اندلعت في منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وقد عالجت سلطات الدولة الإسلامية هذه الثورة بقدر كبير من الحكمة وضبط النفس ، فلم تلبث أن انحسرت بعد سنوات قليلة ، أما ذلك «الحوار» الذي تضمنته كتابات رجال الدين النصارى الذين أشرنا إليهم فإنه كان يدل على معرفة ضئيلة بتعاليم الإسلام ومبادئه على الرغم من معايشتهم المسلمين واتصالهم الوثيق بلغتهم وثقافتهم[٤] .

والواقع أن قمة المحاورة والمجادلة الدينية بين المسلمين وغيرهم وقعت إبان القرنين الخامس والسادس الهجريين ، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، ولعل

---

(١) ايولوخيو : انحدر من عائلة إسبانية نبيلة ، معروفة بكراهيتها للإسلام وتعصبها للنصرانية ، وزاد من هذا التعصب عند ايولوخيو ميله إلى العزلة فترهب في فترة مبكرة ، وصار كاهنا لكنيسة القديس شوليش ، ثم برز في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كأحد المحرضين لحركة الاستشهاد النصرانية في الأندلس ، وما لبث ان قتل على يد المسلمين سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) . كحيلة : تاريخ نصارى الأندلس ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ؛ دوربي : المسلمون في الأندلس ، ٢/٨٩ .

(٢) العسكر : الجدل الديني في الأندلس ، ١/٢٧٨ .

(٣) وقعت هذه الحادثة في أواخر عهد عبدالرحمن الأوسط ، وأوائل عهد ولده محمد . انظر لتفاصيل هذه الحادثة كلاً من : كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، ص١٩٩ ؛ دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٢/ ٨٥ وما بعدها .

(٤) محمد أبا الخيل : جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين ، (٤٨٣هـ/١٠٩٠م-٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ، ط١ ، دار أصداء المجتمع ، القصيم ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ٣٧٢ ؛ مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ١/ ٣٨ .

ذلك يعود إلى روح التسامح الديني التي سادت مدن الأندلس قاطبة ، ولعل ذلك راجع أيضاً لنشاط حركة التنصير ، والشيء نفسه يمكن أن يقال عن زيادة عدد الداخلين في الإسلام من شباب النصارى واليهود نتيجة للمحاورات الدينية ، وخاصة شباب نصارى إشبيلية (sevilla)[1] الذين اعتنق مجموعة منهم الإسلام ، لذا نشطت موجة كتابة الردود من قبل النصارى في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وتوسعت دائرة الجدل الديني بين علماء الأديان السماوية في الأندلس .

وحين أخذ الضعف يدب في الممالك الإسلامية ، فبدأت المدن الأندلسية تتساقط بيد العدو ، نشطت المحاورات الدينية من الجانب النصراني ، لأغراض عقائدية تنصيرية محضة ، وأخذت المناظرات الشفاهية أو المكتوبة تشكل تخصصاً دقيقاً ، اجتهد له القوم ، فهرعوا إلى الترجمة ، والتي كانت تمثل أهم وسيلة لنجاح هذه المحاورات ، فتخصص كثير منهم في الدراسات العربية والإسلامية ، وكانوا دائماً يرددون مقولة مؤداها أنهم إنما يدرسون الثقافة الإسلامية لينقلوا العلوم والفلسفة اليونانية والهلنستية التي ترجمها علماء مسلمون في المشرق من اللغتين اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية ، لذا فهم يستعيدون علومهم من المسلمين ، وكان من ثمرة تلك الجهود العلمية أن قصد الأندلس أحد علماء تلك الحلقات ، وهو بطرس المحترم ، من أجل التزود من العلوم العربية والإسلامية ، وتصنيف

---

(١) إشبيلية : بالكسر ثم السكون ، كانت تسمى إشبالي أي المدينة المنبسطة ، ويقال غنها سميت بإشبان بن طيطش من نسل طوبال ، وهو احد ملوك افشبانيين ، وقد حرف المسلمون العرب إشبالي إلى إشبيلية ، ولما جند المسلمون الأجناد بالأندلس أنزل أهل حمص بها ، وسموها حمص لشبهها بها ، وهي اليوم مدينة إسبانية تحتل أهمية تجارية كبيرة . البكري : أبوعبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) : جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، ط١ ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، دار الرشاد ، بيروت ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م) ، البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ابن الشباط : محمد بن علي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) : وصف الأندلس وصقلية ، تحقيق : أحمد العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج١٤ ، ١٩٦٧م ، ١٣ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٥٨ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٩٦/١ .

المؤلفات الجدلية للرد عليها[١] .

ويظهر أن الحوار الإسلامي النصراني تزايد في الأندلس منذ استيلاء ملك قشتالة (castilla)[٢] ألفونسو السادس (Alfonso vI)[٣] على طليطلة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، فقد كان معظم ساكني المدينة من المسلمين ، وكان الملك القشتالي يتباهى بأنه ملك الملتين ، وقد بدأت منذ استيلاء النصارى على المدينة وتحويل مساجدها إلى كنائس محاولات رجال الدين لحمل مسلمي المدينة على اعتناق النصرانية ، ونتصور أنه كان من بين هؤلاء من يجيدون العربية ، فقد كانت هذه اللغة راسخة الجذور بين المستعربين النصارى فضلاً عن سكانها من المسلمين ، كما لا نستبعد أن هؤلاء المستعربين بحكم تعايشهم مع سكان طليطلة المسلمين قد عرفوا الكثير عن الإسلام أو تعاليمه[٤] .

فخلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وجَّه أساقفة طليطلة كتاباً إلى أحد علماء المسلمين وفقهائهم في نقد الإسلام وبيان فضل النصرانية ، مما يدل على أن طليطلة في هذا القرن أصبحت مركزاً لنشاطٍ تنصيري كبير يهدف إلى تحويل المسلمين إلى النصرانية عن طريق الحوار[٥] .

وقد استمرت هذه المدينة مركزاً للتنصير الفكري للمسلمين ، ومن أمثلة ذلك

---

(١) السيوطي : الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ، ص٨١ ؛ العسكر : الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات ، ١/٢٨٤ ، ٢٨٩ .

(٢) قشتالة : هي إحدى اوسع ممالك النصرانية الواقعة خلف جبال الشارات ، وتعرف بالثغر الأوسط بين مملكة البرتغال في الغرب ومملكة نبرة في الشرق ، وفيها من المدن المهمة طليطلة . الحميري : الروض المعطار ، ١٦١ .

(٣) ألفونسو السادس : ألفونسو بن فرديناند بن غرسية بن شانجة ، تولى رئاسة قشتالة وليون وجليقية (٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٨م) ، وكان أعظم ملوك النصارى في فترة عصر الطوائف ، ومن أعظم محاربي الإسلام . ابن عذاري : البيان المغرب ، ٣/٢٣٢ ؛ : أشباخ : تاريخ الأندلس ، ١٣٢ .

(٤) دوربي : ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، ط١ ، ترجمة : كامل كيلاني ، مطبعة عيسى البابي وشركاه ، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م ، ٢٦٦ ؛ بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٢٠ ؛ مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٣/٣٩-٤٠ .

(٥) مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٣/٤٠ .

ما تبنته هذه المدينة من ترجمة علوم إسلامية تخص العقيدة ، كترجمة عقيدة ابن تومرت[1] المعروفة بالمرشدية وغيرها ، وكان ذلك على يد مارك الطليطلي (ت حوالي ٦٣١هـ/١٢٣٤م) ، حيث قام بهذه الترجمة بأمر من رئيس أساقفة طليطلة المطران ردريجو خيمينيس دي رادا (Rodrigo jimenez de rada) (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م)[2] الذي كان يعد في ذلك الوقت الرئيس الكاثوليكي لإسبانيا كلها ، وكان مارك قد أتم ترجمة القرآن الكريم قبل ذلك بثلاث سنوات[3] .

وقد أفصح مارك هذا عن غرضه من الترجمة بقوله : «لقد قمت بترجمة كتيب ابن تومرت بعد أن انتهيت من ترجمة القرآن لكي يتسنى للمسيحيين النصارى أن يأخذوا أكبر قدر من المعلومات يتمكنون عن طريقها من الرد على المسلمين ومحاربتهم» ، ثم عاد وأكد على نواياه بعبارة أخرى فقال : «ولقد قمت بذلك ليتمكن الكاثوليكيون –بعد أن يدرسوا كلاً منها- أن يعرفوا أسرار المسلمين ويستطيعوا عن هذه الطريقة مهاجمتهم»[4] .

ونستطيع أن نستنتج من المثال السابق لترجمة كتب العقيدة ، أن النصارى لم يعمدوا إلى ترجمة المؤلفات التي تبين عقيدة المسلمين الصحيحة فقط ، وإنما عمدوا أيضاً إلى المؤلفات التي تحوي شطحات عقدية وآراء لا تتوافق مع العقيدة

---

(١) محمد عبدالله بن تومرت المصمودي ، (ت٥٢٤هـ/١١٣٠م) ، المتلقب بالمهدي صاحب دعوة سلطان الموحدين بالمغرب ، وواضع أسس الدولة الموحدية ، وصاحب تواليف كثيرة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٣٧/٤-١٤٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢٢٨/٦ .

(٢) ردريجو : ولد بمقاطعة نبرة في الشمال الإسباني ، ودرس في فرنسا ، ثم عاد إلى إسبانيا ، وبدأ حياته الكنسية حيث عين أسقفاً لمدينة أوسمه ، ثم صار مطراناً لطليطلة حتى وفاته ، وكان له إسهام في الحياة السياسية في عصره ، وأبدى حماساً في محاربة المسلمين . وألف الحولية المنسوبة إليه التي تضمنت قسماً من تاريخ المسلمين ، رامون مينينث بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ط١ ، ترجمة : الطاهر احمد مكي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ٢٥٦ ؛ أبا الخيل : جهود علماء المسلمين ، ٣٧٥-٣٧٦ .

(٣) أبا الخيل : جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصر المرابطين والموحدين ، ص٣٧٤ .

(٤) نفس المرجع ، ص٣٧٥ .

الإسلامية الصحيحة ، كعقيدة ابن تومرت ، وبذلك يسهل عليهم العثور على مفارقات يستغلونها في الطعن في الإسلام وإثارة الشبهات حوله عند المحاورات الدائرة مع المسلمين(١) .

ومع اشتداد الزحف النصراني على ما بقي بأيدي المسلمين من أرض الأندلس بعد موقعة العقاب(٢) سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) ، وسقوط الحواضر الإسلامية الكبرى في أيدي ملوك قشتالة وأرغون خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، تزداد حركة الحوار بين الديانتين ، فقد كانت سلطات الكنيسة حريصة على بذل كل جهد ممكن لتنصير الشعب المسلم الذي أصبح يطلق عليه اسم المدجنين «mudejares»(٣) ، على حين كان المسلمون متشبثين

---

(١) نفسه ، ٣٧٥ .

(٢) موقعة العقاب أو لاس نافاس دي تولوسا (navas de tolosa,las) هي واحدة من اكبر المعارك التي حسمت الصراع الطويل بين المسلمين والنصارى لامتلاك شبه الجزيرة الإيبيرية ، وانتهت بانتصار الجيوش النصرانية القشتالية المدعمة بقوات صليبية من غرب أوروبا بقيادة الفونسو الثامن على جيوش المسلمين بقيادة محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين ، والعقاب موقع بين جيان وقلعة رباح وقعت فيه هذه المعركة فسميت به . انظر : ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد الحضرمي ، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : أبوصهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ١٦٨٢ ؛ الحميري : الروض المعطار : ٤١٦ ؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٧٣٤٥/٢٣ .

(٣) المدجنين : جمع مدجن ، من الأصل العربي ، دجن بمعنى أقام ، فالمدجن هو المسلم الذي في الأرض الإسلامية بعد أن سقطت بيد النصارى ، وخضع لنظم هؤلاءو تعاليمهم وعاداتهم ، ولكنه احتفظ بعقيدته الإسلامية كاملة وصحيحة ، وبلغته إلى حد ما ، إلى جانب الرومانثيه لغة الدولة ، ودخلت كلمة «مدجن» اللغة الإسبانية في صورة (mudejar) موديخر ، وحتى نهاية القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي لم تكن الكلمة مستخدمة في المصادر الأوروبية ، اللاتينية ، أو الرومانثية ، وإن كان يرجح انها كانت مستخدمة بين المسلمين والمستعربين في الكلام على الأقل منذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي . الزبيدي : تاج العروس ، ١٨٧/١٨ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٤٥-٤٦ ؛ الطاهر مكي : الموريسكيون في الفكر التاريخي الإسباني ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ثلاثة اجزاء ، ١٤٣/٢ ، هامش ٢ .

بعقيدتهم ، وكان فقهاؤهم وعلماؤهم يواصلون عملهم في التصدي لمحاولات التنصير بألسنتهم وأقلامهم[1] .

وفي عهد ألفونسو العاشر «الحكيم» Alfonso,x,elsabio (٦٥٠-٦٨٣هـ/١٢٥٢-١٢٨٤م)[2] ، بلغ محاولة التقارب والحوار الإسلامي النصراني ذروته ، وذلك بسبب عناية هذا الملك الفائقة بالثقافة ورعايته للعلماء من كل جنس ودين ، وكان ألفونسو قد نشأ في بيئة متشبعة بالثقافة الإسلامية ، فعمل منذ أن كان ولياً

---

(١) كان للعلماء المسلمين مواقف مشرفة في مواجهة التنصير ، والرد على المحاورات الكلامية والكتابية التي كانت تتم بين الطرفين ، ولم يألوا جهداً في تفنيد شبه الخصم ، ومن ثم الرد عليها ، ومن أبرز من تصدى لحركة التنصير بأسلوب الحوار والمناظرات الدينية أبوجعفر بن عبيدة الخزرجي (ت٥٨٢هـ/١١٨٧م) ، في كتابه (مقامع هامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان) ، وأبوعبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، الذي ألف كتاباً شاملاً في الحوار الديني أسماه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام) .
أما الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ، فقد تناول نقد عقائد النصارى في مؤلفاته الموسوعية ، كـ(الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، و(الأصول والفروع) وغيرها .
وجملة القول أن هؤلاء العلماء المسلمين ، تناولوا هذه المحاورات بعد أن خاض أكثرهم تجارب فريدة مع النصارى ، ما بين أسر وتعذيب ، ومحاولة تحويلهم عن الإسلام إلى النصرانية ، فأتت ردودهم هذه عن علم راسخ ، وتجربة فريدة .
انظر لمعلومات مفصلة عن هذه الردود والحوارات كلاً من : السيوطي : الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ؛ أبا الخيل : جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عهد المرابطين والموحدين ، الفصل الرابع ، ص٣٦٧-٤٥٩ ؛ عجك : الحوار الإسلامي المسيحي ، ص١٨٤-٢١٢ ؛ العسكر : الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات ، ١/٢٨٦-٢٩٣ .

(٢) ألفونسو العاشر : ملك قشتالة وليون ، أصغر أبناء فرديناند الثالث وحفيد الإمبراطور فيليب السوابي ، ولد في بورغسوس ، وعرف في المصادر العربية بالأذفونش ، كان نصيراً وراعياً للعلم والدب وعاملاص من اجلهما ، فلقب بالحكيم ، أما في مجال السياسة فلم يكن كذلك الأمر الذي أفضى به أن يموت مخلوعاً . ابن سعيد علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ، المغرب في حلى المغرب ، ط٣ ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ٢/ ؛ ابن الخطيب : لسان الدين محمد التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : إعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، ط٢ ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦م ، ٣٣٢ .

لعهد أبيه على إحياء مدرسة المترجمين بطليطلة ، وحينما عهد إليه أبوه بإخضاع مرسية (Murcia)[١] التي كانت من أزهر الحواضر الثقافية في الأندلس أنشأ هناك معهداً يضم علماء من الملل الثلاث : مسلمين ونصارى ويهوداً ، وقام هذا الملك بترجمة عدد كبير من الكتب العربية في مختلف فروع العلوم ، وعهد بإدارة هذا المعهد إلى العالم المسلم محمد المرسي المعروف بالرقوطي(ت٧٤٤هـ/١٣٤٤م)[٢] ، ويبدوا أن هذا العالم لم يشترك في المحاورات الدينية التي دعا إليها هذا الملك ، بل إنه ما لبث أن ترك إدارة هذا المعهد ، وغادره إلى غير رجعة[٣] .

ولعل السبب في ذلك يعود لما أدركه هذا العالم المسلم ، من سوء نوايا الملك الإسباني والتي تهدف إلى الاستفادة من علوم المسلمين لغرض تنصيرهم ، إذ يؤثر أن ألفونسو دعا أبا بكر إلى الدخول في الدين النصراني فرفض طلبه[٤] .

ويبدوا أن حواضر الأندلس ، التي سقطت بيد النصارى قد تأثرت شهرتها بصفتها بيئة خصبة للمحاورات الدينية بحكم جمعها بين الثقافات والديانات على اختلافها ، ونستشف من كثير من تراجم العلماء خلال منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، أن هذه المحاورات بين الجانبين كانت واسعة

---

(١) مرسية : مدينة أندلسية من أعمال تدمير ، إلى الجنوب الشرقي من إسبانيا ، واسم المدينة القديمة هو تدمير نسبة إلى تيودمير حاكم هذه المنطقة أيام الفتح الإسلامي ، وفي عهد عبدالرحمن الداخل تحولت هذه المنطقة إلى كورة عادية قاعدتها أوريولة ، وفي سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) ، مدنت مرسية أيام هشام بن عبدالرحمن الأوسط ، ولم تلبث بعد ذلك أن صارت قاعدة لكورة تدمير ثم سميت الكورة باسمها ، وهي اليوم من مدن إسبانيا الكبرى . ياقوت : معجم البلدان ، ١٢٥/٥ ؛ ابن الشباط : وصف الأندلس ، ٣٩ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٥٣٩ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣١٢/١ .

(٢) أبوبكر محمد بن أحمد الرقوطي المرسي ، نسبة إلى رقوطة ، وهي بلدة شرق الأندلس ، كان طرفاً من المعرفة بالفنون القديمة ، المنطق والهندسة والعدد والطب . ابن الخطيب : لسان الدين محمد التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط١ ، تحقيق : محمد عنان ، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ، أربعة أجزاء ، ٦٧-٦٨ .

(٣) نفس المصدر ، ٦٨/٣ .

(٤) نفسه .

الانتشار ، وأنها كانت تحظى بتشجيع من الأمراء والحكام ، فقد احتفظ لنا ابن الخطيب بنص رسالة طريفة كتبها أحد علماء مرسية ، وهو محمد بن عبدالله الغافقي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م) إلى صديقين له بهذه المدينة ، يقول فيها متحدثاً عن قدومه على إشبيلية بعد وقوعها في أيدي النصارى سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ، وكان قدومه بدعوة من قبل ألفونسو الذي كان ولي عهد لأبيه آنذاك ، وعن حفاوة الأمير النصراني به : «وصلنا إشبيلية ضحوة يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر ، ولقينا الإفانت[١] على ميلين ، وفزنا بما ظهر من بشره واعتنائه بقرار الخاطر وقرة العين ، ونزلنا الأخبية خارج البلد...ورغبنا عن المدينة لحرها الوهاج وغبارها العجاج»[٢] ، ونستنتج من هذا النص مدى الحفاوة التي كان ألفونسو يستقبل بها من كان يدعوهم من علماء المسلمين لكي يشتركوا في المناظرات التي كان يعقدها بينهم وبين أبناء ملته[٣] .

وكثيراً ما لجأ النصارى إلى تغيير أسلوب الحوار الديني مع المسلمين من العنف والتجريح للديانة إلى الاعتدال في الحوار ، والتأدب في المناظرة ، ولعل ذلك كان بهدف استمالتهم وإقناعهم ببطلان عقيدتهم بالحسنى ، ومن أهم هذه الحوارات التي اتسمت بأجواء الهدوء والاعتدال ، هو ذلك الحوار الذي دار بين أحد القسيسين[٤] والأديب المسلم أبي علي الحسن بن عتيق بن رشيق المرسي (ت

---

(١) هي لفظة إسبانية Infante ويقصد بها ولي العهد . ابن الخطيب : الإحاطة ، ٤٣١/٢ ، هامش(٦) .

(٢) المصدر نفسه ، ٤٣١/٢-٤٣٢ .

(٣) مكي : تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٤٦/٣

(٤) لم يذكر ابن رشيق اسم القسيس الذي دار معه الحوار ، إلا ان المستشرق الإسباني فرناندو دي لاجرانخا حاول الاهتداء إلى شخصيته ، فتبين له أنه كان رجل من رجال الدين النصراني يدعى : «غرسية بطرة Garsia Petri» ، ثم خطر ببال فرناندو بعد ذلك أن هذا القس قد يكون رامون مارتيني «Ramon Martine» ، الذي تتفق ملامح شخصيته مع الصفات التي رسمها ابن رشيق على مناظره ، إلا أنه لا يمكن الجزم بذلك . مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٥٥/٣ . بينما يذكر محمد بنشريفة أنه ريموندلل ، الذي كان قد نظم كتاباً بعد ذلك يعارض القرآن الكريم ، مما يدل على تاجيل الفكرة عنده منذ زمن ، محمد بنشريفة : الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني ، ضمن أبحاث الندوة السادسة للمغرب في الدراسات الاستشراقية ، مراكش ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٧ .

بعد٦٧٤هـ/١٢٧٥م)[١] ، وقد أورد هذا الحوار في كتاب لم يصلنا ، اسمه : (الرسائل والوسائل) إلَّا أنَّ صاحب كتاب المعيار المعرب[٢] نقل عنه نص هذه المحاورة .

مكان المحاورة هو مدينة مرسية ، استناداً إلى ما ذكره ابن رشيق في رسالته بقوله : «كتب بمدينة مرسية جبرها الله أيام محنة أهلها بالدجن»[٣] ، أما زمانها فقد حدده أحد الباحثين بقوله : «لعل أول ما يستحق البحث في أمر هذه المناظرة هو تحديد التاريخ الذي جرت فيه ، وإذا كان لنا أن نثق بصدق الحسن بن رشيق في قوله إنه كان إذ ذاك غلاماً مراهقاً ، ما بقل وجهه ، أي : لم يكن قد التحى بعد ، فإننا نقدر أنه كان في وقتها في الخامسة أو السادسة عشرة من عمره ، وإذا كان مولده في سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م فإن تاريخ المناظرة لا بد أن يكون في نحو سنة ٦٤٣ أو٦٤٤هـ/١٢٤٧-١٢٤٨م ، وهذا يوافق ما يذكره في مطلع الرسالة من انه كتبها بمدينة مرسية أيام محنة أهلها بالدجن ، أي : حينما سلمت صلحاً»[٤] .

إلا أنَّ أهم ما يلفت النظر في هذا الحوار هو الأسلوب الذي اتخذه القسيس مع ابن رشيق في مناظرته ، والذي اتسم في كثير من جوانبه بالتأدب ولين الجانب ، وهذا ما لاحظه ابن رشيق بقوله : «يتأدب مع القرآن عند ذكره ، ويعظم النبي ﷺ متى عرض له ذكراً»[٥] ، وقد فطن ابن رشيق للسبب من وراء ذلك كله ، من أن القسيس كان يحاول استمالته ويتحاشى تنفيره حتى يطول بينهما الحوار فيسمع

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ١/٤٧٢-٤٧٦ .

(٢) ذكر الونشريسي نص الحوار في كتابه «المعيار المعرب» والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، في الجزء الحادي عشر ، تحت عنوان : (مناظرة بين ابن رشيق وقسيس) ، من ص١٥٥-١٥٨ .

(٣) الونشريسي : أبوالعباس احمد بن يحيى (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف : محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية للمملكة المغربية ، الرباط ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ثلاثة عشر جزءاً ، ١١/١٥٥ ، ولعل «كتب»في النص تصحيف عن «كنت» .

(٤) مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٣/٥٦ .

(٥) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٨ .

منه[١] .

وموضوع الحوار الذي دار بين القسيس النصراني وابن رشيق ، اختلف عما كان يثور بين أصحاب الملتين من قبل ، فهو لا يتعلق بجوهر العقيدة أو مبادئها وتعاليمها ، وإنما حول قضية ذات شقين : ديني وبلاغي ، وهي قضية إعجاز القرآن ، ولعل هذه هي أول مرة نلتقي فيها بحوار من هذا النوع ، والقضية التي طرحها القسيس في تلطف ومهارة هي : هل القرآن الكريم معجز ببلاغته؟ فإن كان الأمر كذلك فإنه يجوز أن يقال : إن كل نص بليغ يعجز أصحاب البيان عن الإتيان بمثله يمكن أن يشارك القرآن في هذه الصفة ، وهو يضرب على ذلك مثلاً بما ذكره الحريري (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)[٢] في المقامة السادسة والأربعين وهي المقامة الحلبية من تحديه الأدباء وادعائه أنه ليس في وسع أحد أن يزيد بيتاً واحداً على بيتين أوردهما في هذه المقامة[٣] .

«وقد مضت بعد الأعصار ، وانقرضت الأجيال فلم يأت أحد لهما بثالث كما قال ، لا في عصره ولا بعد عصره ، على كثرة درس الناس لها وتداولها في مجالس المذاكرة»[٤] .

وقد تعجب محمود مكي من جهل هذا القس بأمر المعارضات التي ألفت رداً على هذين البيتين من قبل أدباء المشرق والمغرب على حد سواء ، فقال : «إن الرجل كان على ما يبدو واسع الاطلاع على الأدب العربي متابعاً لاهتمام الأدباء في الشرق والغرب بمقامات الحريري»[٥] .

إلا أننا نقول : لا غرابة في ذلك إذ يبدو أن هذا القسيس النصراني ، كان لا يخلو من أحد أمرين :

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٦ .

(٢) الحريري : القاسم بن علي الحريري ، من علماء الأدب واللغة المعدودين ، ياقوت : معجم الأدباء ...

(٣) مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٣/٥٧ .

(٤) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٧ .

(٥) من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ص٥٨ .

١ - قد يكون هذا القسيس كغيره ممن اطلع على علوم المسلمين وآدابهم بهدف الجدل الديني والحوار ، فأخذ ما يخصه من مواطن الشبه ، وجهل ما عمَّ من هذه العلوم ، فلم يكن عالماً بالأدب الإسلامي وتاريخه ، مثلما حسب مكي ، كما أنه لم يكن مهتماً بعلمائه ، إذ لو تتبع سيرهم لوجد منهم كثيراً قد عارضوا هذين البيتين .

ولكنه كما ذكرت الرسالة كان متقناً للغة العرب[1] ، وهذا أمر طبيعي لاسيما إذا أدركنا أمر المعايشة التي كانت حاصلة في الأندلس بين المسلمين وغيرهم ، ومعرفة كل منهما لغة الآخر بغض النظر عن التضلع في العلم نفسه .

٢ - ربما كان هذا القس ذا باعٍ طويل في علم الأدب الإسلامي ، ولكنه أراد أن يحجب الحقيقة اختباراً لابن رشيق ، ومعرفة مدى سعة علمه ، أو أنه ظن أن ابن رشيق في مثل هذه السن لا يعرف كثيراً عن الأدب الإسلامي ، فأراد إفحامه واستدراجه إلى النصرانية .

وعلى كلٍّ ، فإن أهمية هذا الحوار يبرز في ذكره استخدام النصارى للترجمة كوسيلة للاطلاع على علوم المسلمين ومن ثم الاستفادة منها في تحقيق دافع الحوار معهم ، وهذا ما ذكره ابن رشيق في بداية كلامه بقوله : «جماعة من قسيسيهم ورهبانهم شأنهم الانقطاع في العبادة بزعمهم ، ونظر العلوم مشرئبون للنظر في علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم برسم النقد..ولهم حرص على مناظرة المسلمين»[2] .

وقد كان لسقوط القسطنطينية عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) بأيدي الفاتحين العثمانيين آثارٌ بعيدة المدى على جميع المستويات ، فقد اهتزت أوروبا من أدناها إلى أقصاها لسقوط مدينة قسطنطين الكبير(constantine the great) ، وحطم ذلك البقية الباقية من كبريائها ، وكان من آثار ذلك أن برزت مواقف وأطروحات

---

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٦ .

(٢) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٥ .

جديدة تدعوا إلى ضرورة الحوار الهادئ مع العالم الإسلامي ، مثَّلها ثلاثة من كبار اللاهوتيين الغربيين هم : يوحنا السيجوفي (John of segovia) (ت بعد ٨١١هـ/١٤٥٦م) ، الذي كرَّس وقته لدراسة المسألة الإسلامية ، وخلال السنوات الخمس قبل وفاته قام بترجمة القرآن الكريم[١] .

ولنا أن نتسائل ما الذي دفع يوحنا إلى ترجمة القرآن الكريم ، مع أنه ترجم قبل ذلك؟ وماالهدف من وراء هذه الترجمة؟ وما النتائج التي كان يرجوها من الترجمة؟

لقد أدرك يوحنا أن الترجمة اللاتينية للقرآن الكريم والتي تمت عام (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، كانت محرفة ، وأنها أدخلت في النص القرآني آراء الغرب ، واستعملت كلمات وآراء تتفق مع النصرانية وليس مع الإسلام ، فرأى ضرورة إيجاد ترجمة نصية صحيحة للقرآن الكريم ، تحمل المعاني الأصلية له ، ذلك لأنه أراد أن يتحول بالحوارات السابقة بين المسلمين والنصارى المتمثلة في الدحض المنطقي وإثارة الشبهات ، عن طريق الاستشهاد بالترجمات المحرفة إلى حوارات حول إثبات هل القرآن كلام الله أم لا؟ بواسطة الترجمة الأصلية المترجمة عنه[٢] .

وهنا يهدف يوحنا إلى إقناع بني قومه على أن الحرب لا يمكن لها أبداً أن تحل المشكلة بين الإسلام والنصرانية ، إنما يجب تفعيل أسلوب الحوار السلمي والتقارب بين الطرفين ، لأن هذه الوسائل السلمية هي التي تستطيع ان تفوز بها النصرانية لأنها تكون صادقة مع نفسها[٣] .

ورأى يوحنا أن دعوات التنصير القسرية في العالم الإسلامي محكوم عليها بالإخفاق ، فمن الواجب استبدالها بنوعٍ جديد آخر من الاتصال عبَّر عنه بكلمة مؤتمر (ConFerence)[٤] ، ورأى أن المؤتمر سيخدم غرضاً مفيداً حتى إذا لم يخدم

---

(١) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ص١٠١ ؛ القاضي : دعوة التقريب بين الأديان ، ١/٣٧٢ .

(٢) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ص١٠٢ .

(٣) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ١٠٥ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ .

(٤) المؤتمر : مجتمع للتشاور والبحث في أمر ما ، المعجم الوسيط ، ١/٢٧ .

الغاية التي اقترح من أجلها وهي هداية المسلمين ، فقد رأى في عقد المؤتمرات والحوارات أداة ذات وظيفة سياسية ودينية حازمة على حد سواء ، وهي أقل تكلفة وأخف ضرراً من الحرب والقوة ، وذلك بدعوة اللاهوتيين الكاثوليك الذين عرفوا الإسلام جيداً لاعتناق الدين الصحيح[١] .

أما ثاني هؤلاء فهو نيقولا الكوسي (Nicholas oF cusa) (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) ، الذي استجاب لنداء يوحنا صديقه فألف كتاباً ضخماً (غربلة القرآن)[٢] دراسة داخلية مفصلة ، هادفاً من ورائه إلى أن يتم حواراً ينطلق مما هو مشترك بين النصارى والمسلمين ، وهذه المحاولات في تاريخ دعوة الحوار لدى النصارى دفع إليها هول الصدمة الناتجة عن سقوط القسطنطينية ، وقد تلاها سابقة لافتة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ، حيث وجه البابا بيوس الثاني (Pius II) (٨٦٩هـ/١٤٦٤م)[٣] ، كتاباً إلى السلطان العثماني محمد الفاتح[٤] ، يتضمن بحثاً في مسائل عقدية ، ودعوة إلى النصرانية ، ولكنه كما وصف هاغمان : «تشتم منه رائحة اليأس»[٥] .

---

(١) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ١٠٥-١٠٦ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ٢٣ .

(٢) طبع في باب سنة (/١٥٦٥م) . انظر : عبدالرحمن بدوي : دفاع عن محمد ﷺ من المنتقصين من قدره .

(٣) بيوس الثاني : ولد باسم إينيا سيلفيو ، وشغل منصب البابا للكنيسة الكاثوليكية منذ سنة (٨٦٣هـ/١٤٥٨م) وحتى وفاته . ديورانت : قصة الحضارة ، ٢٠/٤٣ .

(٤) محمد الفاتح : هو محمد الثاني بن مراد الول ، ويعتبر السلطان العثماني السابع في سلسلة آل عثمان ، يلقب بالفاتح وأبي الخيرات ، حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً كانت خيراً وعزاً للمسلمين . توفي سنة (٨٨٦هـ-١٤٨١م) . علي الصلابي : فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، ط١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ٨٣ .

(٥) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ص١٠٦ ؛ القاضي : دعوة التقريب بين الأديان ، ١/٣٧٢ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ص٢٣ ؛ روجيه جارودي : الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر ، ط١ ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، جوهرة دمشق للنشر ، دمشق ، ١٩٩٥م ، ٢٣ .

وهكذا نجد أن دافع الحوار الذي سعى إليه الغرب جاهداً كان سبباً في التفاته إلى ترجمة علوم المسلمين ، ودراستها دراسة دقيقة فاحصة لمواجهتهم ، بالرغم من الفشل الذريع التي منيت به هذه المحاولات ، وذلك بسبب أن الغرب كان قد اتخذ من أسلوب الحوار في تلك الآونة هدفاً دينياً محضاً ، أراد من ورائه تنصير المسلمين من دون أن يعرف[1] جوهر الإسلام وكتابه ورسوله ﷺ ، وفي هذا السياق يقول بدوي : «خلال تتبعي للمفاهيم التي تبناها الأوروبيون حول نبي الإسلام محمد ﷺ انتابني الذهول من جهلهم المطبق ، وعدوانيتهم الواضحة ، وأحكامهم المسبقة المتأصلة ، وتحزبهم الطاغي ضد خصومهم ، وهذا لا ينطبق فحسب على الشعب الجاهل والساذج ، ولكنه ينطبق أيضاً على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين ، حتى إنه خلال القرون التي شهدت انطلاق الفكر الأوروبي من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر لم يكن لدى أي من هؤلاء المفكرين الشجاعة في تحري المعرفة الحقة ، والموضوعية عن الإسلام ومؤسسه»[2] .

---

(١) لم يكن كتَّاب الغرب في العصور الوسطى في حقيقة الأمر يجهلون الإسلام وحقيقته ، ولقد غالى بعض المستشرقين ، ومن تبعهم من المسلمين في ان سبب العداء والخصومة التي حملها كتاب القرون الوسطى إلى جهل الغرب بحقيقة الإسلام وبسيرة النبي ﷺ ، والجهل بلا ريب من أعقد أسباب الجمود والتعصب وأشدها استعصاءً..ولكن الكثير منهم كانوا يعرفون أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن الإسلام دين الحق . السامرائي : الاستشراق ، ٦٦ .

(٢) دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره ، ص٥ .

المبحث الثاني : الدوافع السياسية

أخذت الدوافع السياسية هي الأخرى مكانها في ظهور الترجمة ونشاطها ، خاصة في المناطق التي احتلها النصارى من المسلمين في كلٍّ من الأندلس وصقلية وغيرها ، وقد كان للدوافع السياسية لتلك الدول دورٌ في تنشيط الترجمة ، عن طريق الاهتمام بعلوم المسلمين ورعايتها .

ولم تكن محاولة التعرف على العالم الإسلامي وحضارته بمنأى عن الدول الغربية نفسها ، ولا تخلوا من توجيهها ودعمها المستمر على امتداد تاريخ الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

فهذه الدوافع لم تأت من مبادرات فكرية فردية معزولة ارتبطت بظروف تاريخية معينة ، أو أنها توقفت عند مرحلة زمنية محددة ، فهذا التوجه نحو اكتشاف علوم المسلمين وحضارتهم ، والوقوف على أدق التفاصيل في مجتمعاتهم ، كان جزءً من منظومة شاملة لمواجهة المسلمين بأساليب متنوعة ، وتحت مسميات متعددة لمنع الوحدة الإسلامية ، وتمزيق قوة المسلمين .

وقد اقترنت الدوافع السياسية للترجمة من العربية إلى اللاتينية أكثر ما اقترنت بالكنيسة وسيطرتها ، حيث إنها كانت تمثل جهازاً دينياً وسياسياً في آن واحد ، وقد فرض هذا الجهاز الديني سيطرته على الجهاز السياسي وسخَّره تسخيراً ملائماً لأفكاره وتوجهاته ، في حين أن الجهاز السياسي قد استغل رعاية السلطة الدينية له ، فتستر بستارها لتحقيق مكاسبه السياسية[1] .

ومن هذا المنطلق يلاحظ وجود تداخل بين الدوافع الدينية والسياسية للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ذلك أن الهدف المشترك بينهما هو الإسلام وحضارته ، ووجود هذا الهدف يشكل صعوبة في فصل كلٍّ من الدوافع الأولى عن الثانية إلا أنَّ أهم ما يميِّز كلا منهما هو النظر إلى الفائدة المرجوة من هذه الدوافع ، فإذا كانت الترجمات للعلوم الإسلامية قد استفيد منها في مجال ديني كتنصير المسلمين أو تشويه

(١) عبدالحميد : الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى ، ص١٥-١٦ .

الإسلام ، ندرك هنا أن الدافع من وراء هذه الترجمة كان دافعاً دينياً ، أما إذا كانت الفائدة الناتجة عن ترجمتها تخدم مصالح سياسية كتفخيم السلطة الحاكمة ، أو الرغبة في الهيمنة والاستبداد ، أدركنا هنا أن الدافع من وراء تلك الترجمة كان دافعاً سياسياً .

وما قيل هنا عن الدوافع الدينية والسياسية يقال عن بقية الدوافع الأخرى ، كالاقتصادية والعلمية وغيرها ، فبالنظر إلى المجال الذي استفيد من الترجمة فيه يعرف الدافع من ورائها .

أولاً : دافع الرغبة في الهيمنة والاستبداد :

في الشروع عن الحديث عن الدوافع السياسية نجد أن فكرة الهيمنة والاستبداد ، والرغبة في التوسع على حساب الآخر لم تكن حديثة الظهور والنشأة في العالم الغربي في العصور الوسطى ، إنما كانت قديمة في الحضارات الغربية السابقة ، فبالنظر إلى تاريخ الحضارات الأوروبية من إغريقية ورومانية ، ثم الحضارة الغربية في عصورها الوسطى والحديثة ،نجد أن فكرة السيطرة هي الفكرة السائدة في هذه الحضارات ، بل إنها المحور الرئيس والقاسم المشترك بين الماضي والحاضر .

فقد أكدت أساطير الإغريق أصحاب أقدم حضارة أوروبية أن الصراع كان هو شغلهم الشاغل ، وكأنهم لا يعرفون غير احتلال ممتلكات الآخرين ، ومع أفول نجم الإغريق وظهور الرومان تطورت فكرة الصراع إلى الأسوأ ؛ إذ قامت الحضارة الرومانية على التوسع والسيطرة على الشعوب الأخرى[1] .

ونتيجة اضطهاد الرومان للمسيحيين فترات طويلة ، واستيلائهم على بلادهم ، فقد انتقلت فكرة استعباد الشعوب الأخرى وحكمها بالقوة والقهر – التي اشتهر بها الرومان- إلى الديانة المسيحية ، فبعد أن كانت ديانة داعية للسلام ، أصبحت ديانة تبرر العدوان ، وتمنح المبرر الأخلاقي للحرب الاستباقية ، فجاء

---

(١) انظر : روبرت ليتمان : التجربة الإغريقية ، حركة الاستعمار والصراع ، ص٦٣ ؛ عامر عبدالمنعم : الغرب أصل الصراع ، ص٣١ ؛ زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، ص٢٩-٣٢ .

هذا الانقلاب من ديانة متسامحة إلى ديانة محاربة نتيجة لرغبة السلطة السياسية للإمبراطورية ، واجتهاداً من الكنيسة التي رأت في الحرب وسيلة لإقامة مملكة الرب في الأرض .

كان تطابق تأييد الكنيسة للهيمنة ورغبة رجال الحكم له أثره في ترسيخ استخدام القوة السياسية لغرض الهيمنة ، وربط هذا التوجه بالعقيدة الدينية ، مما أدى إلى ترسيخ الروح العدائية التي أصبحت صفة أصيلة في السلوك الغربي تجاه غيره[1] .

ثم جاءت الترجمة التي وجهت في خدمة الرغبة والسيطرة على المسلمين وحضارتهم ، وكان ذلك على أثر تأجج دافع القوة العسكرية ، الأمر الذي تطلب دراسة متأنية للشعوب الإسلامية وعلومها ، والاطلاع الواسع على ميولها السياسي وأفكارها الدينية ، حتى يتسنى للغرب السيطرة عليها سياسياً بكل يسر وسهولة ، فسلب العالم الإسلامي كافة مميزاته لاسيما العلمية منها ، كفيل بإزاحة الخوف الذي كان يراود الغربيين من السيطرة الإسلامية التي كانت تهدد عروش ممتلكاتهم كما يزعمون ، أو ما كان يجوس في خوالج نفوس البعض من الذلة التي سببها الخضوع للحضارة الإسلامية[2] .

وقد كانت الفرصة مواتية على أثر ضعف المسلمين السياسي في رقاع مختلفة من البلدان الإسلامية ، وإخفاقهم في معارك عدة ضد النصارى ، مما جعل كثيراً من مراكز المسلمين الحضارية تتهاوى بيد العدو ، الأمر الذي منح الكثير من أباطرة الغرب وملوكهم شعوراً عظيماً بالثقة ، ورغبة عارمة في الهيمنة على كل ما يمت للمسلمين بصلة ، فكانت الترجمة للتراث الإسلامي بكافة فروعه ، تتم بهدف القضاء على سيطرة المسلمين السياسية عن طريق هدم حضارتهم ، والاستيلاء على

---

(١) عامر عبدالمنعم : الغرب أصل الصراع ، ص٣٢ ؛ زكريا هاشم زكريا : المستشرقون والإسلام ، ص٣٢-٣٣ .

(٢) انظر : سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٤٣ ؛ خليل النظامي : عهود متعددة لأفكار المستشرقين ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء ، ص١٠٦ .

إبداعاتهم الفكرية ونسبتها إلى غيرهم ، وإنكار كل فضل للمسلمين في هذه الإبداعات[١] .

ثانياً : دافع احتواء الآخر :

لقد طالت بالدول الأوروبية دوافعها السياسية إلى سياسة احتواء سكان البلاد الإسلامية التي تم الاستيلاء عليها ، وذلك بهدف ضمان استتباب الأمن في هذه المستعمرات ، ومن ثم الاستفادة من مواهب العناصر السكانية المختلفة في كافة المجالات .

وقد كان المسلمون من أكثر الفئات احتواءً ، لاسيما صقلية التي أشاد كثيرٌ من المؤرخين بأجواء السلم والتعايش المرن بين عناصرها السكانية بكافة فئاتهم الدينية والاجتماعية والثقافية ، فامتدح كثيرٌ منهم الملوك النصارى في تعاملهم مع المسلمين ، وإعطائهم حريتهم الكافية في إقامة شعائرهم الدينية ، بل نجد البعض منهم ينسب إلى أحد ملوكهم دخوله في الإسلام سراً نتيجة ما كان يتصف به هذا الملك[٢] من حبٍّ للمسلمين وثقافتهم ، وما تميَّز به بلاطه من تقليد واضح للحضارة الإسلاميَّة بكافة صورها[٣] .

---

(١) محمد الزيادي : الاستشراق ، ص١٠٩ ؛ تشارلز بيرينت : حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا ، فصل من كتاب : الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ٢/١٤٦٠ .

(٢) المقصود به الملك روجر الثاني ، الذي قرب المسلمين إلى بلاطه فأكسبه هذا اعتقاد بعض الناس بأنه كان مسلماً سراً . إحسان عباس : عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة : أحمد الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، ٦٨ ؛ إحسان عباس : العرب في صقلية ، ط٢ ،دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ١٤٨ .

(٣) امتدح كثير من المؤرخين المسلمين ملوك صقلية ، منهم الإدريسي الذي حلَّ ببلاط روجر الثاني ، وألف له كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وقد امتدحه في مقدمة كتابه ، ووصفه بأوصاف ولقبه بألقاب لا تكون إلا للخلفاء المسلمين ، حيث ظهرت فيها المبالغة واضحة جلية ، منها قوله : «الملك المعظم رجار المعتز بالله ، المقتدر بقدرته ، ملك صقلية» . الإدريسي : أبوعبدالله محمد الحسيني (ت تقريباً ٥٦٠هـ/١١٦٤م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، جزأين ، ١/٤ . كما متدح ابن الأثير هذا الملك بقوله : «وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنه الفرنج

ولو دققنا في الأمر لوجدنا أنَّ النورمان(normans)[١] الذين احتلوا صقلية الإسلامية سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) ، على وجه التحديد ، كانوا على جانب كبير من الحنكة السياسية في تسخير الشعوب المغلوبة على أمرها لخدمة مصالحهم ، كيف لا؟ وقد أقبلوا على بلدٍ يزخر بحضارة أصيلة ، ذات جذور عتيدة ليس من السهل اجتثاثها ، وأن هذه الحضارة قامت على يد أناسٍ كانوا سادة هذه البلاد ، وأهل الخبرة والحنكة والدراية فيها ، مما أكسبهم معرفة تامة بكل دقائق الأمور في الجزيرة[٢] .

بينما النورمان النصارى لم يعدو أن يكونوا أقلية ضئيلة ، ليس لديهم حضارة تذكر ، فهم غزاة وفدوا من المناطق الشمالية لأوروبا ، والتي تتصف ببدائيتها وهمجية شعوبها[٣] ، الأمر الذي تطلب منهم أن يمدوا جسور التعايش السلمي مع المسلمين حيناً من الدهر ، وأن يكرسوا جهدهم في احتواء كل دين ومذهب في صقلية[٤] .

لذا فلا غرابة أن يلتفت ملوك النورمان إلى الحضارة الإسلامية ، ويعنوا بها ترجمة واقتباساً ، بل ويصبغوا حكمهم بالصبغة الإسلامية ، ويتساهلوا في نفس

=

فأحبوه» . ابن الأثير : الكامل ، ١٠/١٩٧ .

(١) النورمان : اسم محرف من لفظ الشماليين ، Norhmen ، وهم قوم انحدروا من أعالي أوروبا ، وخاصة من قطري النرويج والدنمارك ، نحو جنوب تلك القارة وشرقها ، واستقروا منذ عام (٩١١م) بوادي نهر السين ، واشتقت البلاد التي استقروا بها اسم نورمانديا منهم ، ثم ما لبث هؤلاء النورمان أن استبدلوا الوثنية بالديانة المسيحية ، وباللغة الدانية لسان الفرنسيين ، وتقاليد اللاتين . انظر : فشر : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة : محمد زيادة ، والسيد الباز العريني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ١٣٠ ؛ أحمد المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، وجنوب إيطاليا ، الشركة الوطنية للنشر ، ١٣٦٥هـ ، ص٢٧ .

(٢) ميكيلي أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، إعداد : محب سعد إبراهيم ، فلورنسا لي مونييه ، ٢٠٠٣م ، ثلاثة أجزاء ، ٣/٦٣١ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ص٣٠٧ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ص١٠١ .

(٣) المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ص٢٧ .

(٤) عباس : العرب في صقلية ، ص١٣٧ .

الوقت مع المسلمين ويمنحوهم الحرية في الثقافة والمعتقد ، خاصة إذا أدركنا أن استيلاء النورمان على صقلية قد عاصر أزمات سياسية خارجية تمثلت في الحروب الصليبية ، وخطر الإمبراطورية الشرقية ، وأمراء المسلمين في الساحل الأفريقي ، الذين كانوا يضمرون لهم العداء[١] .

فبما أن الأمر على هذه الحال عند قومٍ كانوا في نقطة المركز في دائرة من الأعداء ، فقد توجب لديهم أن يكسبوا الأمن والرضى في الداخل ، للاستقواء بهم على الأعداء في الخارج ، لاسيما في تلك الفترة التي شهدت خروج الجزيرة من أيدي المسلمين[٢] .

ولكن هل استمرت سياسة الاحتواء هذه طوال فترة حكم النورمان للجزيرة؟ أم أنها تغيرت إلى سياسة أخرى؟ وما سبب هذا التغير؟ ولماذا؟

من خلال تتبع الفترة الزمنية للحكم النورماني للجزيرة ، نلاحظ تناقضاً واضحاً في السياسة المتبعة تجاه السكان ولاسيما المسلمين منهم ، ففي حين تعم أجواء السلم والتسامح مع هؤلاء السكان زمناً نجدها لا تلبث أن تتحول إلى سياسة اضطهاد وتشريد في نفس الوقت ، بل إن هذه السياسة المتناقضة كانت تأتي في فترة تولي الحاكم الواحد ، ومن أمثلة ذلك ما أوردته المصادر عن الملك روجر الأول «Roger I» «٤٦٣-٤٩٥هـ/١٠٧١-١١٠١م»[٣] ، عن مدى حسن تعامله مع المسلمين ، لدرجة أنه قد منحهم الحرية التامة في المعتقد والعبادة ، بل لقد أقدم على سك عملة نقدية كتب على أحد وجهيها : «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[٤] .

وفي المقابل نجد المصادر تذكر أن من ضمن الإجراءات التي اتخذها هذا الملك فترة حكمه هي تلك التي عمد فيها إلى تحويل المساجد إلى كنائس ، وتعيين رئيس

---

(١) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٤٦٥ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ص١٣٧ .

(٢) عباس : العرب في صقلية ، ص١٣٧ .

(٣) روجر الأول : حكم بعد أخيه روبرت جيسكارد ، واستطاع أن يوطد ملك النورمان في إيطاليا ، وأن يسلب المسلمين سلطانهم في صقلية . أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٦٣ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ٢٩ .

(٤) أماري : تاريخ المسلمين في صقلية ، ٢/٤٥١ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٦٤ .

أساقفة عليها ، ولم يكتف بهذا الأمر بل نجده أيضاً وأثناء محاصرة جيشه للمدن الإسلامية كان يضيق الخناق على أهلها من المسلمين ، لدرجة اضطروا فيها لأكل لحم الميتة ، مثلما حصل عند حصارهم لمدينتي قصريانه «Acted Palace»[١] ، و«جرجنت Jrzint»[٢] .

فما الذي جعل روجر يقدم على هذه السياسة؟ وما الدافع له من وراء ذلك؟

إنَّ من أهم دوافع روجر الأول لاتخاذه سياسة الاحتواء هو انبهاره بحضارة المسلمين ، فرأى ضرورة الاستفادة منها في تسيير مملكته ، خاصة وأن المسلمين كانوا هم أصحاب التميز في الإدارة والأمور العسكرية ، فالاحتواء السياسي لهم يرجع بمنافعه على الدولة الناشئة ويسهم في ازدهارها .

كما أن روجر كان يريد أن يتخذ من صقلية نقطة انطلاق إلى شواطئ أفريقيا الشمالية الخاضعة لحكم المسلمين ، ولن يتم هذا الأمر إلا بإرساء قواعد سياسة الاحتواء بالنسبة للسكان ، وبالتالي يتحقق له ما يريد ، ولعل ما ذهب إليه روجر الأول هنا هو ما يعرف اليوم في علم السياسة : بتأمين الجبهة الداخلية ، والتي تعد من أهم أسباب الاستقرار أو ضده ، وطرق ذلك متعددة ، ومن أهمها سياسة الاحتواء ، والتسامح في بعض الحالات ـ ولفترة مؤقتة[٣] .

وقد استمرت سياسة الاحتواء على عهد روجر الثاني ، roger II ، (٤٩٤-٥٤٨هـ/١١٠١-١١٥٣م)[٤] ، بل قد ظهرت جلية واضحة ، حيث كان هذا الملك

---

(١) قصريانه : اسم لمدينة كبير بجزيرة صقلية على سن جبل ، يشتمل سورها على زروع وبساتين وعيون ومياه . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٤١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ١/١٩٧ ؛ علي الزهراني : الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان ما بين التسامح والاضطهاد ، مجلة جامعة أم القرى ، مج١٢ ، العدد٢٠ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، ص٦٧٥-٦٧٦ .

(٣) الزهراني : الوجود الإسلامي في صقلية في عهد النورمان ، ٦٧٦ .

(٤) روجر الثاني : ابن روجر الأول ، لقب بالملك المعظم والمعتز بالله ، وكان يحاكي المسلمين في الزي والسياسة ، وهو من أشهر حكام صقلية النورمان . وعرف في المصادر الإسلامية باسم مرجار . الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١/٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ١٠/١٩٧ .

من أشد الحكام النورمان تعلقاً بالمسلمين وتراثهم ، فاهتم بعلوم الإسلام بكافة تخصصاتها لاسيما الجغرافيا التي ألف له فيها كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»[١] ، على يد الإدريسي ، وكان هذا التأليف بأمرٍ منه وتحت رعايته ، مما جعل اسم (الرجاري) يطلق كاسم ثانٍ للمؤلف[٢] .

ولعل سلوك روجر الثاني لهذه السياسة المتمثلة في احتواء المسلمين يعود إلى أنهم كانوا يلعبون دوراً بارزاً في الدولة ، فرأى ضرورة الاستفادة منهم لاسيما في مجالي الإدارة والجيش . هذا مع تفاني المسلمين وإخلاصهم ودقة أعمالهم في الأمور التي وكلوا بتنفيذها . لذا نجد أن التأثيرات الإسلامية بلغت حداً كبيراً لدى النورمان في عهده ؛ إذ تأثر هو بألقاب الخلفاء والسلاطين المسلمين ، فلقب نفسه بـ(المعتز بالله) ، بل إن الأمر زاد على ذلك فضرب نقوداً ذهبية يتداولها الناس ، اتبع فيها الصبغة الإسلامية في الوزن والطراز[٣] ، ورسم فيها اسمه وألقابه وشارته الخاصة[٤] .

وقد شهدت بلاد الأندلس سياسة الاحتواء بأجلى صورها بعد سقوط طليطلة

---

(١) اسم الكتاب بالكامل : «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» وقد ترجم الكتاب منذ وقت مبكر إلى اللاتينية ، وكان من أوائل الكتب التي طبعت ، ويعتبر أفضل مؤلف تلتقي فيه الجغرافيا القديمة بالجغرافيا الحديثة ، اغناطيوس كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ط٢ ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، ٣٠٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٩٩ .

(٢) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/ ٤٥٢ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامي ، ص٨٩ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ص١٤٧ ؛ هونكة : شمس العرب ، ص٤١٠ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص٩ .

(٣) الطراز : كلمة معربة من الفارسية ، معناها في الأصل : التطريز ، ومن ثم دلت على الرداء المحلى بأشغال التطريز المتشابكة وخاصة الرداء المزين بالأشرطة المطرزة عليها كتابات ، يرتديه الحاكم أو أي شخص من الأعيان ؛ وتدل هذه الكلمة أخيراً على المصنع الذي يصنع فيه الرداء . موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٢٢/ ٦٨٠٣ .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١/ ٤ ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/ ٤٤٢-٤٥١ ؛ عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامي ، ص٧٣ .

سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، على يد ألفونسو السادس ، لدرجة أطلق عليه فيها بـ(إمبراطور الملتين)[1] ، أي : الإسلامية والنصرانية ، وأصبحت طليطلة في عهده منارة تشع منها الثقافة الإسلامية على العالم ، فأخذ التيار العلمي للأندلس في عهده منعطفاً حاسماً في تعميق جذور الاهتمام الأوروبي بحضارة المسلمين ، وتقوية تيار التأثير العلمي لها في أوروبا[2] .

وقد أراد ألفونسو من هذا الاحتواء أن يمسك بتلابيب ملكه ، في فترة كانت بلاد الأندلس لا تزال متعربة في حضارتها ولغتها إلى حد بعيد ، فرأى هذا الملك أن المسلمين بمثابة منافسين سياسيين ينبغي الانتصار عليهم سياسياً ، وليس كأعداء ينبغي التخلص منهم .

لذا فقد كان احتضانه لعلوم المسلمين وثقافتهم أمراً واقعياً ومعقولاً ، فطالما أن المسلمين هم الفئة التي كانت صاحبة السيادة والحضارة الأقوى قبل مجيء النصارى ، فقد تطلب الأمر احتواء ثقافتها والاهتمام بها ، لاسيما إذا عرفنا أن المسلمين كانوا يشكلون الأغلبية في كثير من المناطق التي استولى عليها النصارى منهم ، وعندما احتل ألفونسو السادس طليطلة بقيت أعداد غير معروفة من المسلمين في المدينة ، ولابد أن يكون العدد كافياً لكي يسوغ ألفونسو لنفسه الادعاء بأنه سلطان الملتين الإسلامية والنصرانية[3] .

---

(١) ذكر ابن الكردبوس أنه تلقب بـ(الإمبراطور) من باب الإعجاب بنفسه والكبرياء ، ابن الكردبوس : أبومروان عبدالملك التوزي (عاش في ق ٦هـ/١٢م) : تاريخ الأندلس ، تحقيق : أحمد العبادي ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج١٣ ، ١٩٦٥م ، ٨٢ .

(٢) دوزي : ملوك الطوائف ، ص٢٧٤ ؛ بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٤٧ ؛ سعد البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، ط١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ٥٣٩ .

(٣) دوزي : المسلمون في الأندلس ، ١٢٨/٣ ؛ عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، مطابع أنترناشونال ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ ، ٥٢١ ؛ محمد حتامله : مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢هـ ، بحث ضمن ندوة الأندلس ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٩٤م ، ٥٢١ ؛ محمد عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ، ٦٣ .

وهكذا نجد أن سياسة ألفونسو كانت تتسم بالحذر ، فنظراً لسيطرته على مدينة رئيسية تضم عدداً كبيراً من المسلمين ، فقد أعلن نفسه «إمبراطوراً على الملتين» ، ووعد المسلمين بالمحافظة على أموالهم والامتناع عن مصادرتها حين يغادرون المدينة لسبب أو لآخر ، وعدم التدخل في الشؤون الدينية للمسلمين أو اليهود .

ولكن مسعاه لتبني المسلمين انهار عندما لم يحفظ لهم عهداً ولا ذمة ، فبدأ يغير جامع طليطلة ويحوله إلى كنيسة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، ولم يكتف بذلك ، بل كان يطمح إلى الاستيلاء على الأندلس كلها[١] ، فقد ذكر ابن بسام ذلك بقوله : «وقد حُدثت أن شيعة أدفونس لعنه الله وبددها أشاروا عليه يومئذٍ بلبس التاج -أي بعد سقوط طليطلة- وزينوا له زي من سلف بالجزيرة قبل فتح المسلمين إياها من أعلام ، فقال : لا ، حتى أطأ ذروة الملك ، وآخذ قرطبتهم ، واسطة الملك ، وكان أعد لمسجدها الجامع ناقوساً تأنق في إبداعه ، وتجاوز الحد في استنباطه واختراعه»[٢] .

وقد استمرت سياسة الاحتواء ما بين مد وجزر حتى أتى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، حين تربع على عرش مملكة قشتالة الملك ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم ، والذي أعلن نفسه ملكاً على الأمم النصرانية واليهودية والمسلمين ، مما يدل على انتهاجه سياسة من كان قبله في احتواء الفئات والديانات

---

(١) دوزي : ملوك الطوائف ، ص٢٧٤ ؛ إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، ط١ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ١٩ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص٢١١ ؛ حمد السحيباني : الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، أنموذجاً ، ط١ ، المنتدى الإسلامي في الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ ، ٢١١ .

(٢) ابن بسام : أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ-١١٤٧م) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ط٢ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ ، القسم الرابع ، ١/١٦٨-١٦٩ . ويرى بروفنسال بعصبيته النصرانية أن هذا الكلام غير صحيح ، ويعلل عدم صحته بأن الفونسو رضي بأن يكون إمبراطوراً للملتين الإسلامية والنصرانية على حد سواء . الإسلام في المغرب والأندلس ، ص١٤٩ .

والثقافات بكافة أنواعها[١] .

وقد أدرك ألفونسو أنه من السهل أن يجري على خطة أسلافه في القضاء على نفوذ المسلمين السياسي ، إلا أنه لم يكن أمراً ممكناً ولا مرغوباً فيه أن يقضي على تراثهم الثقافي بكامله دون الاستفادة منه ، فشرع في إنشاء هيئة كبيرة للترجمة تحت رعايته ، تهتم بنقل علوم المسلمين إلى القشتالية واللاتينية ، فأسس معهداً للدراسات اللاتينية والعربية في إشبيلية ، سنة(٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، واتخذ فريق التراجمة من مدينة طليطلة خاصة مقراً لهم ، حيث انتقلت رعاية هذه المدرسة من الأساقفة إلى الملك ألفونسو نفسه[٢] .

إن سياسة الحكام النصارى في المناطق التي استولوا عليها من المسلمين كانت تتمثل في أمرين لا ثالث لهما :

- إما نظام تسامح وتعايش سلمي ، واحتواء للآخر دينياً وثقافياً .
- وإما حكم استبدادي بقوة السلطة وفرض السيطرة .

وقد طبق الأول حينما رأى النصارى في المسلمين مثالاً يحتذى حضارياً ، وطبق الثاني عندما وصل النصارى إلى مرحلة الإشباع الثقافي والفكري والاكتفاء من حضارة المسلمين وعلومهم ، فسعت الدول النصرانية جاهدة للتخلص من كل ما يمت للمسلمين بصلة .

ففي إسبانيا ترسخت عقيدة الوحدة الدينية بصفتها ملازمة للوحدة السياسية ، فصدرت في نفس السنة التي سقطت فيها غرناطة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) أولى مراسم طرد اليهود ، ثم أعقب ذلك محاولة إجبار المسلمين على التنصير ، ثم ما تبع ذلك من ثورات أدت إلى طردهم نهائياً من الجزيرة[٣] ، يقول أحد الباحثين :

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٧٣ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٣٤-١٣٥ ؛ أميريكو كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ط١ ، ترجمة : علي منوفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ٢٤٤ .

(٢) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص١٣٤ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٧٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٠ ؛ مانثا ناريس : المستعربون الإسبان ، ص٢٨ .

(٣) المقري : نفح الطيب ، ٤/٥١٠-٥١١ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ١٧٠ .

«إن سلوك الشماليين[١] كان عموماً يتسم بالحذر ، وهذا يتضح من تصرف الفونسو السادس الذي وعد المسلمين بالمحافظة على أموالهم والامتناع عن مصادرتها حين يغادرون المدينة لسبب أو لآخر ، وعدم التدخل في الشؤون الدينية للمسلمين أو اليهود .

ونظراً لسيطرة الفونسو على مدينة رئيسية تضم عدداً كبيراً من المسلمين ، فقد أعلن نفسه إمبراطورا على الملتين ، ولكن مسعاه لتبني المسلمين انهار عندما لم يحفظ للمسلمين عهده بالمحافظة على حرمة المساجد في المدينة .

وفي عهد الفونسو السابع (٥٢٠-٥٥٢هـ/١١٢٦-١١٥٧م) ، تعمد الجنود قتل جميع الأئمة في منطقة مدينة شريش[٢] وإحراق المساجد والكتب الدينية...وفي المرحلة التالية من تاريخ قشتالة لم يتغير الوضع كثيراً فالفونسو العاشر (٦٥٠-٦٨١هـ/١٢٥٢-١٢٨٤م) ، مثلاً أعلن نفسه ملكاً على الملل النصرانية واليهودية ، وكان عارفاً بعلوم العرب وحضارتهم وسماحتهم الدينية ولكن هذا لم يمنعه من البطش بالمسلمين وطردهم من مدينة لبلة[٣] وغيرها ، وحتى نقل الحرب إلى المغرب ، وتصرف غيره من ملوك شبه جزيرة إيبيريه لم يكن كثير الاختلاف في تلك الفترة»[٤] .

أما في صقلية فقد بدأ التباعد بين الطرفين الإسلامي والنصراني منذ وقت مبكر ، إلا أنه بلغ حدته في عهد فردريك الثاني (Frederick II) ، (٥٩١-

(١) يقصد بهم القوى النصرانية التي حاربت المسلمين من الممالك الشمالية . بشتاوي : الأندلسيون الموراكة ، ص٧ .

(٢) شريش : (jerez de la frovtera)بفتح أوله وكسر ثانيه ، مدينة كبيرة من كورة شذونة ، وهي قاعدة هذه الكورة . ياقوت : معجم البلدان ، ٣/٣٨٦ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٣٤٠ ؛ الخوند : الموسوعات التاريخية الجغرافية ، ١/٣٠٦ .

(٣) لَبْلَة (Niebla) : بفتح أوله ثم سكون ثانيه ، واللام أخرى ، قصبة كورة بالأندلس كبير يتصل عملها بعمل أكشونية ، بينها وبين قرطبة خمسة أيام ، وتعرف لبلة بالحمراء ، وهي برية بحرية غزيرة الفضائل . البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ٦٤ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٥٠٧ ؛ حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، ٢/٩٣٣ .

(٤) بشتاوي : الأندلسيون الموراكة ، ص٢١١ .

٦٤٨هـ/١١٩٤-١٢٥٠م)[1] ، الذي وصف -للأسف- بإعجابه الشديد بالثقافة الإسلامية ، وكان مشاركاً فيها شخصياً بطرق شتى ، إلا أنه كان نصرانياً موالياً للغرب ، حدت به مصالحه إلى تهجير المسلمين خارج الجزيرة ، وإلى تلويث ملامح العقيدة الإسلامية ، وقد استمرَّ هذا الوضع بعده ، ولم يُبدِ خلفاؤه أي تسامح مع المسلمين[2] .



(١) فردريك الثاني : ابن الملك الألماني هنري السادس ، وأمه إيطالية تسمى كونستانس ، كانت وريثة العرش الصقلي ، وقد تربى ونشأ بصقلية . انظر لترجمته : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٤٢٣ ؛ جوزيف جاي ديس : الزنديق الأعظم ، قصة وسيرة ، ترجمة : أحمد هاشم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، إذ تناول فيه حياة فردريك كاملة ،

Francesco Gabriel : Fedeirco II Ela cultura muslman, universite Ibrahim Pacha ,١٩٥١,vol.١,١٢٥-١٤١

(٢) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٥٧٠ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٩٤-٩٦ ؛ سعيد عاشور : الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي ، مجلة التاريخ المصرية ، مج١١ ، ص١٩٥ .

ثالثاً : دافع القومية :

يرجع أصل القومية في اللغة إلى الفعل «قوم» ، قال ابن فارس : «القاف والواو والميم» ، أصلان صحيحان ، ويدل أحدهما على جماعة الناس[١] .

وفي المعجم الوسيط : القومية : صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع ، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة ، كالقومية العربية[٢] .

ومن هنا نجد أن مصطلح القومية يعرف بـ : مجموعة من الناس ينحدرون من أصل مشترك واحد ، ويرتبط مفهوم القومية بالأمة ، من حيث إنها الانتماء إلى أمة أو شعب محدد ، ذي هوية سياسية خاصة تجمع بين أفراده كاللغة والعقيدة ، والمصلحة ، والتاريخ[٣] .

وفي معرض حديثنا عن دافع القومية للترجمة ، نقصد بها القومية الغربية ضد المسلمين حيث أذكت هذه الروح القومية والميل إلى الغرب احتقار كل ما يمت للمسلمين بصلة ، وإنكار أي فضل لهم في مجال العلم ، ومن ثم تطلب الأمر سلبهم كل مقوماته ونسبتها لأوروبا[٤] .

ولذا نجد كثيراً من ملوك النصارى كان يصوغ وجهته السياسية بدافع قومي ، فهاهو فردريك الثاني ، أكبر مشجع لترجمة العلوم العربية آنذاك ، يصدر بياناً عند إنشائه لجامعة نابولي(Napoli)[٥] ، سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م[٦] ، جاء فيه : «إن جميع

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، ٥/٤٣ .

(٢) ص٧٦٨ .

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٢٧/٨٤١٥ .

(٤) مانثاناريس : الاستعراب الإسباني في القرن التاسع عشر ، ص٢٥ .

(٥) نابولي : مدينة ومرفأ هام في جنوب إيطاليا ، وكانت عاصمة مملكة نابولي القديمة . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/٣٢٦ .

(٦) المدني : المسلمون في صقلية ، ص١٧٩ ؛ أوليري : الفكر العربي ومكانته في التاريخ ، ص١٨٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ .

معلومات الإنسان يجب أن تدرس بنابولي ، لكي يجد كل جائع للعلم الغذاء الذي تميل نفسه إليه حتى لا يكون مضطراً للهجرة في سبيل المعرفة واستعطاف الأجانب من أجل العلم»[١] .

ومعروف أن هذه الجامعة التي تعتبر الأولى من نوعها في الجامعات الحديثة ، كانت تعتمد بالدرجة الأولى على علوم المسلمين في مناهجها ؛ لذا فلعلَّ فردريك كان يقصد بالأجانب في بيانه «المسلمين» ؛ ذلك أن بلاد المسلمين كصقلية والأندلس كانت هي محط أنظار الطلبة في تلك الآونة ، كما أن علوم المسلمين قد درست بل كانت من المناهج الأساسية التي تم الاعتماد عليها في هذه الجامعة ، فكتب الطب الإسلامي التي ترجمت من العربية إلى اللاتينية منذ وقت مبكر ، كانت من أوائل المؤلفات التي درسها طلاب نابولي ، ككتاب «الحاوي» للرازي(ت٣١٣هـ/٩٢٥)[٢] ، وكامل الصناعة ، لعلي بن العباس (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)[٣] ، وغيرها[٤] .

لذا نجد أن القومية التي كانت متأصلة عند هذا الملك حدت به إلى الاهتمام بعلوم المسلمين ، واحتكارها لنفسه ولدولته ، بل للأمة اليونانية قاطبة ، حيث عد هؤلاء أن الترجمات التي تمت للعلوم اليونانية الأصل تعد ناقلة للحضارة اليونانية والعودة إلى الماضي اليوناني ، فالترجمة التي تمت لعلوم المسلمين في هذه الفترة توخي فيها البحث عن الموروث الإغريقي ، مثلما حدث مع كتاب مختار الحكم للمبشر بن فاتك (ت أواخر ق٥هـ/١١م)[٥] ، الذي أخذ مادته من مصادر يونانية ، فاهتم به

---

(١) المدني : المسلمون في صقلية ، ص١٧٩ .

(٢) أبوبكر محمد بن زكريا الرزاي ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء، ص٤١٦ .

(٣) علي بن العباس المجوسي ؛ نفس المصدر ، ص٣١٩ .

(٤) جيان لويجي ، وبول لاند : صقلية الإسلامية ومهد الحضارة العربية النورمانية ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد٥٥ ، السنة ١٩٨٣م ، ص٦٣ ؛ تقي الدين الدوري : دور صقلية في نقل التراث الطبي العربي إلى أوروبا ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد٢٩ ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٠٧ .

(٥) المبشر بن فاتك : الأمير محمود الدولة المبشر بن فاتك الآمدي ، من أعيان أمراء مصر وعلمائها ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٦٠ .

الأوروبيون منذ وقت مبكر فترجم إلى الإسبانية في عهد الفونسو الحكيم ، حوالي سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ترجمة ملفقة ، ثم ترجم إلى اللاتينية ترجمة سايرت الأصل العربي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ثم ترجم منها مرة أخرى إلى الإسبانية أو لعلها تمت للأصل العربي مباشرة .

ثم ترجم بعد ذلك إلى الفرنسية في نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، وأوائل القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، ومن هذه الترجمة ترجم الكتاب إلى اللغة البروفنصالية من ناحية ، وإلى اللغة الإنجليزية من ناحية أخرى[١] .

وقد كان للتنافس بين الدول خاصة النورمان في صقلية والإسبان في الأندلس ، أثره في إذكاء قومية كلٍّ منهما ، ومن ثم الاهتمام بالعلم والثقافة ، فأحسوا بالحاجة إلى ترجمة علوم المسلمين والاستفادة منها في النهوض بدولهم في كافة المجالات[٢] .

إلا أنها كانت واضحة في الأندلس أكثر من صقلية ، بسبب وجود ألفونسو العاشر ، ذي النزعة القومية الواضحة في حكمه ، فقد اتجه هذا الملك إلى الاهتمام بالترجمة من العربية إلى القشتالية بدافع قومي شديد ، يقول أحد الباحثين : «إن حركة الترجمة الرسمية نشأت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، بمعنى قيام الترجمة بصفتها جزءاً من السياسة العامة للدولة ، إما بغرض تفخيم الأمة الإسبانية الحديثة الظهور ، أو لغرض رد المسلمين الإسبان إلى النصرانية»[٣] .

وقد تمثل الدافع القومي عند ألفونسو العاشر بجعله الاستعراب جزءاً من المكون الثقافي الإسباني ، حيث اتخذ قراراً حاسماً بترجمة أعمال عربية إلى الإسبانية ، وكانت هذه محاولة منه تكمن في الحاجة إلى الوصول إلى تلك العناصر من السكان

---

(١) أبوالوفاء : المبشر بن فاتك الآمدي (ت : أواخر القرن ٥هـ/١١م) : مختار الحكم ومحاسن الكلم ، ط٢ ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، ١٩٨٠م ، من ٢٢-٤٦ ، مقدمة المحقق .

(٢) بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص١٥٦ .

(٣) بيرنت : حركة الترجمة من العربية في إسبانيا في القرون الوسطى ، ٢/١٤٥٨ .

المسلمين التي أصبحت يومها تستسيغ استعمال الإسبانية ، على نحو يوازي مقدرتهم في العربية التي كان عدد كبير من المؤلفات مدوناً بها ، ومن ثم إحياء القومية الإسبانية حيث أمر ألفونسو العاشر بتلك الترجمة ؛ لأنه أحس بأن نشر اللغة القومية القشتالية كان يلقي بالكتب العربية إلى زاوية الإهمال(١) .

فأَمْرُ ألفونسو هذا بنقل علوم الإسلام إلى القشتالية بدلاً من اللاتينية ، مدلياً بدلوه الشخصي بين الملوك الإسبان بتأليفه أيضاً بهذه اللغة ، يوحي بمساهمته المبكرة في التخفيف من قوة سيطرة اللاتين واللاهوتيين على ذلك التقدم ويتيح له في نفس الوقت فرصة مهمة للانتشار والتداول بين جميع المتعلمين من أبناء جلدته على قلتهم في ذلك الوقت ، ما دام الناس على دين وديدن ملوكهم(٢) .

يقول أحد الباحثين : «يجب أن لا نغفل كذلك معنى هذا الشغف الملكي بالإسلام وعلومه الذي يتحدث عنه مؤرخوه ودارسوه ، والواقع أننا لم نقف على عناصر كفيلة باستيفاء هذا المطلب ، غير أنَّ ذلك لا يمنع أن ننظر إلى هذا العمل ضمن تصور السياق العام لمرحلته لعلوم الإسلام وآدابه ، ضمن هاجس تكوين الذات الإسبانية وآليات هذا التكوين . فلم تكن مختلف تلك العلوم والآداب بالنسبة لذاك الاهتمام بغريبة عن هذه الذات ، بل هي الذات نفسها وقد لبست لباساً عربياً إسلامياً أضحى من اللازم تجريدها منه بدراستها وترجمتها إلى الإسبانية لردها إلى أصولها اليونانية ، وتسويغ تقديمها إلى ورثتها الشرعيين من الإسبانيين وغيرهم من الأوروبيين ؛ وبذلك لا يدور هذا الاهتمام على العربية والإسلام ، بل يتمحور على الذات الغربية بمقوماتها النصرانية والهيلينية(٣) ، ويتمركز عليها ،

---

(١) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص١٣٤ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٧٥ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ص١٣ .

(٢) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٢٨ ؛ أكناثيوفيراندو : اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج٣٠ ، ١٩٩٨م ، ١٦٢ .

(٣) الهيلينية : مستمدة من كلمة هلين ، وهي الاسم العرقي الذي يطلقه اليونانيون على أنفسهم بجدهم الأسطوري هيلين (hellen) ، ثم أصبح اسماً سائداً على حضارة البحر المتوسط من القرن الرابع قبل

مشتغلا في كل هذا وذاك بآلية السطو والتملك ، لاسترداد تلك العلوم والاستحواذ عليها»[١] .

ولم يكتفِ هذا الملك بنقل العلوم إلى اللغة القشتالية ، بل لقد جعلها تبدو وكأن المؤلفين أنفسهم كانوا من الإسبان ، فالأزياج الأذفونشية الشهيرة بأنها من تأليف هذا الملك كانت تحوي في طياتها مؤلفات وخلاصة تجارب علماء المسلمين مما نسبه هذا الملك لنفسه بعد ترجمتها[٢] .

إن بعض الأمثلة التي يقدمها تاريخ قشتالة تظهر الغربة التي كان يشعر بها الشماليون ، وهم يتقدمون في أراضٍ لم يعرفوها ولا عرفها آباؤهم وأجدادهم ، ولم يترك تاريخهم وصفاً لها في صفحاته الغامضة عن الحقبة الأولى من صعود الممالك الشمالية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . أما سكان المناطق المقهورة فكانوا يختلفون عن الشماليين في كل شيء ؛ ولذا كان تقدم الشماليين عموماً في أرضٍ أجنبية لا يمتون إليها بأية صلة ، ولا يرتبطون بها إلا بدافع الحصول على الأرض وكسب الأسلاب ، وتصرف بعض ملوك الشمال عكس وعيهم للغربة في المناطق الأندلسية المحتلة ، فسعى ألفونسو العاشر إلى توسيع دائرة ملكه من خلال مهاراته السياسية أكثر من استغلال قدراته العسكرية ، حيث عمد إلى تغيير جميع أسماء المدن والقرى الموجودة في الأندلس لمحو كل ما يمكن أن يذكر ببقاء الأندلسيين في تلك المناطق طوال خمسة قرون ونصف القرن ، وأمر أن تسمى المدن بأسماء ملوك الشمال أو قادتهم أو بأسماء الشخصيات التي حلت على الأرض بعد استلابها[٣] .

لقد كان ألفونسو العاشر يطمح من وراء هذا كله إلى السيطرة على جاسكونيا

=

الميلاد إلى الخامس الميلادي ، وهي تشمل الفترة منذ الغزو الدوري وحتى الاسكندر المقدوني . ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ٢/٣٣٠ ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ٢/٣٢٤ .

(١) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني،١٢٨-١٢٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٤٦٢ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا ، ٢/١٤٦١ .

(٣) بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص٢٥١ .

(Gascogne)[١] ، وعلى المملكة الألمانية ، وبذلك كانت قشتالة المنزوية في أحد الأركان تعمل على أن تعلو إلى مصاف العالمية ؛ لذا نرى -ولأول مرة- الشعر والعلوم يحظيان بمكانة رفيعة في بلاط هذا الملك ، فقرَّب العلماء والتراجمة في كافة التخصصات ، وسعى إلى أن تكون لغة الترجمة للعلوم هي اللغة القشتالية لكي يحكم السيطرة على ملكه من الناحية الثقافية ، ولتكون لغة الوطن الوحيد آنذاك الذي ينتمي إليه كل الأجناس[٢] .

وقد رأى هذا الملك ببعد نظره ، أنه لا بد من تبرير ديني لفكرة القومية التي دعا إليها ، فأمر بترجمة القرآن الكريم ، إلى اللغة القشتالية ، رغم أنه نقل إلى اللاتينية قبل ذلك[٣] .

ولم يقتصر الأمر في إحياء القومية الإسبانية لدى الملوك النصارى عند حد انتقاء المؤلفات ، بل تعداه إلى انتقاء مراكز الترجمة ، فمسألة اختيار بعض المدن لتكون مراكز للترجمة دون أخرى يوحي بدافع قومي من وراء هذا الاختيار ، وإلا لما اختيرت مدينة طليطلة لتكون أول مركز يضم مدرسة للمترجمين تقوم بنقل علوم الإسلام إلى اللغات الأوروبية بالرغم من أن مدناً كثيرة سقطت بيد النصارى كانت تزخر بسكانها المسلمين ومكتباتها ، وباليهود أيضاً الذين لعبوا بدورهم في الترجمة .

لقد كان سقوط طليطلة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، انتصاراً حاسماً للنصرانية ولمملكة قشتالة على وجه الخصوص ، فقد رأى النصارى أن جيوش قشتالة استطاعت أن تستعيد مدينة طليطلة بعد ثلاثمائة وسبعين سنة من سقوطها بيد المسلمين[٤] .

---

(١) جاسكونيا : منطقة تقع في دولة فرنسا ، تقع بين جبال البرانس ونهر كارون في جنوب فرنسا . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٩٦/١٣ .

(٢) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ص٥٤٥-٥٤٦ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٧٤ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ص١٢٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٩٢/١ .

(٤) وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ١٦٠ ؛ زكريا : فضل الحضارة العربية ، ٣٩٩ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص٥٩ ، ١٠٢ .

وقد أصبحت هذه المدينة بعد سقوطها بيد النصارى مركزاً سياسياً ودينياً ، إذ إن الكثير من فرسان فرنسا وألمانيا وإيطاليا وغيرها ساهموا إلى حدٍّ ما في سقوطها على يد ألفونسو السادس قبل أربع عشرة سنة من سقوط القدس ، وبقيت هذه المدينة الحصينة بأيدي الشماليين رغم هزيمتهم في معركة الزلاقة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)[١] ، وسقوط طليطلة كان حافزاً كبيراً لالتحاق جماعات أوروبية كثيرة بالشمال الأندلسي ، وقد لعب هؤلاء ولاسيما الفرنسيين منهم دوراً حاسماً في عمليات التوغل جنوباً ، فكان لهذا الانتصار أثره في اختيار هذه المدينة لتكون مركزاً ثقافياً أيضاً إلى جانب دورها السياسي والديني ، فأنشأ بها منذ سنة (٥٢٠هـ/١٢٢٦م) مدرسة للترجمة تتكفل بنقل علوم الإسلام إلى اللغات الأوروبية المختلفة ، وقد استمرت هذه المدرسة ما يقرب من القرنين والنصف ، ولقيت كل الاهتمام من الملوك والساسة الأوروبيين في ازدهارها[٢] .

وهكذا نجد أن اختيار طليطلة مركزاً للترجمة يعطي دلالة قوية على أنها المدينة الوريثة للماضي القوطي الثري للإسبان[٣] .

---

(١) الزلاقة : من أعظم وأكبر المعارك التي حدثت في تاريخ الأندلس ، ودارت رحى المعركة على سهول الزلاقة التي سميت بها ، في مملكة بطليوس وتسمى حالياً بـ(ساقراخوس) (Sagrajas) . انظر : الحميري : الروض المعطار ، ٢٨٧-٢٩١ ؛ المقري : نفح الطيب ، ٤/٣٥٤ وما بعدها ؛ أشباخ : تاريخ الأندلس ، ٨١-٨٢ .

(٢) بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص٦٣ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر ، ص٢٦ ؛ السحيباني : الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم ، ص٢٠٩ ؛ رجب عبدالعليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ٤٥١ .

(٣) وبالرغم من هذا التظاهر بالاعتزاز القومي للنصارى من أجل قهر المسلمين إلا أنهم في الواقع كانوا على شقي تنافس فيمن يظفر بهذه المدينة إذ أن السيطرة فيها كانت منذ سقوطها للفرنسيين ، فألفونسو السادس لم يقم بتسليمها للنصارى المستعربين ، الذين يمثلون المدينة القوطية ، بل سلمها للأساقفة والرهبان ورجال الدين الفرنسيين ، الذين قاموا بتحويل المسجد الجامع إلى كنيسة ، كما لم تتم المحافظة على التراتيل التقليدية الموروثة عن إسبانيا القوطية التي حلت محلها التراتيل الفرنسية ومعها تراتيل روما بشكل قهري . كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٤٠٤ .

رابعاً : دافع الحاجة السياسية :

إن الحاجة الملحة لدى كثيرٍ من الملوك في الاطلاع على العلوم المترجمة من العربية التي تخص السياسة وقواعدها ، أدت إلى البحث عن هذه المؤلفات ، ولكن بلغة تناسب هؤلاء الحكام ، ومن هنا كانت الترجمة ، حيث سعى كثيرٌ من أباطرة الغرب إلى تشجيع ترجمة العلوم التي تناولت بين طياتها فنون السياسة وأحكامها ، أو كل ما يتعلق بالمُلك وحياة الحكام وتقلبات الزمان .

فالكتاب المنسوب (لأرسطو) في السياسة ، والموسوم بـ(السياسة في تدبير الرياسة) ، والمعروف بـ(سر الأسرار)[١] كان في مقدمة الكتب المترجمة ، بل إنه من أوسع الكتب انتشاراً في أوروبا في العصور الوسطى ، فبالإضافة إلى أنه أول منسوب إلى أرسطو ، وأرسطو كان سيد العلماء في نظر أوروبا في العصر الوسيط ، كان -على صغره- قد جمع فأوعى في قواعد السياسة وأمور الحكم[٢] .

وبالرغم من أن هذا الكتاب من المؤلفات المنحولة على أرسطو ؛ حيث يرى أحد الباحثين أن تأليفه يرجع إلى القرن السادس الميلادي على أبعد تقدير ، فقد لقي رواجاً عظيماً لدى الغرب ، فتعددت ترجماته إلى اللغات الأوروبية ، منها تلك الترجمة التي أمر بها الملك فردريك الثاني في صقلية ، وكان له تأثير ضخم جداً في الحياة السياسية والاجتماعية في العصور الوسطى ، لاسيما في فرنسا حيث أثبت ذلك لانجلو (Langlois)في كتابه عن الحياة في فرنسا في العصور الوسطى[٣] .

والكتاب في أغلب أبوابه لم يكن مقتصراً على أمور السياسة والحكم ، وإنما

---

(١) حققه : عبدالرحمن بدوي في : الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١/١٥٦-١٦٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحات ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٠ .

(٣) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي (أحكام النجوم والآثار العلوية) ، ترجمة : عبدالله حجازي ، مطابع جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ ، ٧/٨٩ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص١٥٧-١٥٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ .

تناول علم التنجيم[1] والطوالع[2] ، وهو العلم الذي كان يقع ضمن اهتمامات كثير من الحكام الأوروبيين نتيجة اعتقاد الكثير منهم بهذا العلم وأهميته في تسيير مجريات أحداث حياتهم السياسية ، الأمر الذي جعلهم يتتبعون كتبه ، ويحضُّون على ترجمتها .

ولدينا أمثلة كثيرة لهؤلاء الحكام المولعين بهذا العلم ، والذين وردت لهم جهود في متابعة ترجمة مؤلفاته منهم : روجر الثاني (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م) ، الملك الصقلي الذي كان يؤمن بقراءة الطالع والتنجيم ، وقد بذل جهداً كبيراً في أوهام هذا العلم ، فمن الجائز أيضاً أن حقائقه كانت محل دراسة وترجمة في بلاطه[3] .

وفي عصر فردريك كانت تسود الأوهام في علم النجوم ، واستمر هذا الاهتمام ليشمل الحكام الإسبان في الأندلس حيث كان ألفونسو العاشر مهتماً بهذا العلم ، فأمر بترجمة عدد من المؤلفات التي تبحث عن علم التنجيم إلى اللغة القشتالية[4] .

---

(١) علم التنجيم : في اللغة مصدر من الفعل نجم ، وهو المشتق من النجم ، وهو الكوكب ، صنعة المنجم ، وفي الاسطلاح : يطلق على نوعين من العلوم : ١ – علم النجوم التعليمي البرهاني ، أو الرياضي الحسابي ، أو علم الهيئة ، وعلم الفلك ، ٢ – علم النجوم الطبيعي أو الوهمي ، وتأثيرهما في المستقبل . ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ١٠١/٤ ؛ الرازي : مختار الصحاح ، ٦٤٧ ؛ خليفة : كشف الظنون ، ١٩٣٠/٢ .

(٢) سزكين : تاريخ التراث العربي ، ٩٠/٧ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٦٢/٣ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٨٩ .

(٤) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٦٣/٣ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص١٠٣ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ١٤٦١/٢-١٤٦٢ .

المبحث الثالث :
الـــــدوافـــع العـــلميـــة

تعود بداية الدوافع العلمية للترجمة من العربية إلى اللاتينية إلى وقت مبكـر ؛ إذ إنه بفعل التعايش المشترك بين المـسلمين وغـيرهم في المنـاطق المتفرقـة في الأنـدلس وصقلية وغيرها ، هذا التعايش الذي جعـل وجـود الـدوافع العلميـة نحـو علـوم المسلمين في نفوس أبناء الغرب أمراً محتوماً ؛ إما بـسبب الإعجـاب بهـذه الحـضارة والرغبة في محاكاتها ، وذلك بتعلم لغتها وترجمة علومها ، وإما بسبب الحاجة الملحـة للاستفادة من هذه العلوم في مختلف المجالات .

فمنذ بداية القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي ، سعى كثير من الأوروبيين إلى زيادة ذخيرة المعرفة النظرية والتطبيقية ، فلم يجدوا سـبيلاً إلى إحيـاء تـراثهم إلا عن طريق ترجمة علوم المسلمين إلى اللغـة اللاتينيـة ، لاسـيما وقـد علـم هـؤلاء أن المسلمين كانوا يمتلكون ترجمات لعظماء العالم القديم ، وكـانوا عـلى اطـلاع واسـع لمؤلفات العلوم التي تعتبر أساسية في بابها ، ومن هنا ظهرت الترجمات اللاتينية لهذه الأعمال تدريجياً وانتشرت ثروة المسلمين في أرجاء أوروبا[١] .

وفي الواقع عند الحديث عن الـدوافع العلميـة للترجمـة ، نجـد أنهـا لم تكـن جليـة واضحة في بدايتها كبقية الدوافع الأخرى ، مما حدا بكثير من الباحثين إلى جعل الـدوافع العلمية للغرب في تعرفه على العالم الإسلامي وحضارته من ضمن الدوافع الثانوية التـي تأتي في مرتبة تالية للدوافع الدينية والسياسية[٢] ، فهذه الـدوافع وإن كانـت قـد ظهـرت براعيمها في وقت مبكر ، إلا أنها لا تصادف إلا في الحقب الأخـيرة ، يعنـي إبـان القـرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي ، الذي بـدأت فيـه تـتحطم الحـواجز الثقافيـة

---

(١) شـاخت وبـوزورث : تـراث الإسـلام ، ١/٣٦ ؛ الـدفاع : لمحـات مـن تـاريخ الحـضارة العربيـة الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠١هـ ، ١٠٧ .

(٢) البهي : المبشرون والمستشرقون ، ص١٢ ؛ النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص٤٠ .

والعلمية بين طبقات المجتمع الأوروبي[١] .

ولعل السبب في هذا التأخر يعود إلى أن العملية التعليمية كانت تسير وفق توجيه الكنيسة ورعايتها ، فهي تتعقب عناصرها العلمية ، وتوجه مناهجها وفق فكرها الديني ، وهكذا لم تكن الفرصة مواتية لبروز الدوافع العلمية النزيهة إلا بعد أن انفصلت الهيئة التعليمية عن المؤسسة اللاهوتية وسيطرتها ؛ ونتيجة لذلك فقد أهملت المخطوطات والكتب التي تحوي الثقافة الإسلامية ، ولم يقربها إلا المثقفون من حين لآخر ، ووجهت ترجمة علوم المسلمين نحو دوافع دينية متعصبة ؛ ذلك أن الكنيسة قد أفتت بأن الكتب العربية مليئة بالإلحاد الذي يجب القضاء عليه ، وأن هذه الكتب يجب أن تدرس بهدف التشهير وكسلاح ضد العدو[٢] .

وقد حوربت علوم المسلمين ولغتهم من قبل الدول النصرانية باعتبارها جزءاً من العقيدة الإسلامية ، وكان لمحاكم التفتيش[٣] في هذا المضمار باعٌ طويل ؛ إذ أحرقت وصودرت كثيرٌ من الكتب الإسلامية وحيل بينها وبين الاستفادة منها ، كما أنها حاربت كل ما يمت للغة من صلة ، فأصبح من يتكلم العربية موضع شك لدى السلطات ، مما أدى إلى انحسار الدوافع العلمية النزيهة ، ومن ثم لا تطال يد أحد إلى علوم المسلمين إلا بدافع ديني بعد مباركة الكنيسة ، أو بدافع سياسي تحت

---

(١) محمد مخزوم : عصر النهضة في أوروبا ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة الثانية ، العدد السادس عشر ، ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ ، ص١٩ .

(٢) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ٣٠ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ص٩٦ ؛ صالح : مدخل إلى التنوير الأوروبي ، ٢٠ .

(٣) محاكم التفتيش : بدأت هذه المحاكم في فرنسا عندما تم إنشاء أول ديوان للتفتيش بطريقة رسمية سنة ٧٣٤هـ-١٣٣٣م ، لملاحقة كل من اتهم في دينه الكاثوليكي ، أمثال اليهود والبروتستانت ، وجماعة المفكرين والأحرار والمسلمين ، وكل من يتهم بالإلحاد والزندقة ، ثم عممت على بقية البلدان الأوروبية وارتكبت أقسى درجات التعذيب للمخالفين للكنيسة ، وبلغت غايتها في إسبانيا والبرتغال على وجه الخصوص . انظر : علي مظهر : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٤٧م ، ٧٦ ؛ محمد علي قطب : مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ، ط١ ، دار القلم ، ١٩٨٦م ، ٧٥ .

مراقبة الدولة[١] .

أما من تسول له نفسه للأخذ بأسباب التقدم من الحضارة الإسلامية وعلومها ، فكانت الحرب تشن عليه دون هوادة ، مثل تلك الحرب التي شنها البابا أنوسينت الثالث (Innocent III) ، (٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٨-١٢١٦م)[٢] ، على إقليم بروفانس (Provence)[٣] ، الواقع جنوب فرنسا بأكمله ، إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، لتأثر سكانه (الألبيون) (Les ALbigemces)[٤] بالأدب والعلم الإسلاميين ، وأخذهم بأسباب الحضارة الإسلامية ، الأمر الذي أدى إلى تأخر النهضة في أوروبا قرنين من الزمان[٥] .

وقد كان للجهل المطبق الذي شمل العالم الغربي أثر كبير في تأخر ظهور الرغبة في التعلم ، والاستعداد لتقبل كل ما هو جديد ومفيد[٦] . إذ إن الأمم تفيد من نقل

---

(١) مانويلا : المستعربون الإسبان ، ص٣٣ ؛ علي مظهر : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، ص٧٦ .

(٢) أنوسينت الثالث : من أبرز بابوات القرون الوسطى ، إذ فعل الكثير لتعزيز سلطات البابا في الكنيسة ، فأطلق على البابا اسم (الحبر الأعظم) وهو الذي ترأس مجمع لاتيران الشهير سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) واجاز سبعين قانوناً لتنظيم شئون الكنيسة . ديورانت : قصة الحضارة ، ٨٢/١٦ .

(٣) بروفانس : بمعناها الواسع هي : مجموعة أقاليم جنوب فرنسا ، التي يحدها من الشمال نهر اللوار (Loire) ، وجنوباً جبال البرانس (Pyrenees) ، وشرقاً إيطاليا وسويسرا وغرباً المحيط الأطلسي ، وهي الآن تشمل على بلاد الألب السفلي ومصب الرون ومقاطعة الفار وفوكلوز . أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ٣٣ ، هامش (٧) ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١٢٣-١٢٤ .

(٤) الألبيون : أو الألبيجوا ، هم سكان مقاطعة في جنوب فرنسا أخذ فيهم تأثير مدنية المسلمين إبان القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، ونسبوا إلى المدينة التي قامت فيها هذه الجمعية أو الجماعة ، وهي مدينة البى ، وسمي أعضاؤها بالألبيين ، وقد شنت عليهم الكنيسة حملة استمرت عشرون سنة انتهت بإبادتهم . ديورانت : قصة الحضارة ، ٧٩/١٦ ؛ مظهر : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، ٧٤ .

(٥) بك : الخيبة الأدبية للسياسة الغربية ، ٦٣ ؛ مظهر : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، ٧٤ ؛ محمد الشوباشي : رحلة الأدب العربي إلى أوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ٢١ .

(٦) شوقي ضيف : الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية ، مجلة المعهد المصري

العلوم بقدر ما يسمح به نموها العقلي ونضج التفكير عندها ، ولم يكن نمو التفكير العلمي بالغاً في الأمم اللاتينية[١] .

فقد كان العلم في أوروبا لحظة وصول المسلمين إليها قد أصابه البوار والركود العلمي ، فكان وصول المسلمين بمثابة عاصفة هزت البنى الثابتة الراقدة ، وبعثت الحياة في ذلك السبات ، وأحدثت تغيراً نوعياً في اتجاهات الفكر الأوروبي ، ومدت أمامه آفاقاً جديدة على طريق التطور والإبداع .

فنهض الغرب ملتفتاً إلى علوم المسلمين بدوافع شتى ، دينية وسياسية وعلمية ، إلا أن الأخيرة لم تظهر للعيان إلا بعد عدة قرون من هذا الالتفات . حيث كان لطبيعة الحياة الفكرية في أوروبا أثر في عرقلة الترجمة لاسيما للمؤلفات الإسلامية ، وكان التصور اللاهوتي هو المسيطر على الفكر حتى نهاية القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وكان من شأن هذا التصور عرقلة أي ازدهار للفكر العلمي في أوساط المتعلمين[٢] .

إن الشعور بالنقص في الغرب ، ساعد في تأخر ظهور الدوافع العلمية وكبتها ، فبطرس المحترم (ت٥٥١هـ/١١٥٦م) ، الذي كان يعيش هذه العقدة ، أخذ يثني اثنين من كبار المترجمين الذين كانوا ينهلون من علوم المسلمين ، -وتحديداً علم الفلك- عن دوافعهم العلمية ، وبالتالي توجيهها إلى دوافع دينية تخدم مصالحه ومصالح الكنيسة في تشويه الإسلام ، والحد من انتشاره[٣] .

وقد نجح بطرس في إغراء كل من هرمان الدلماتي (Hermanus Delmatian) (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) ، وروبرت أوف تشستر(Robert Of chester) (حوالي =

للدراسات الإسلامي ، مدريد ، مج ٢٣ ، ص١٣ .

(١) عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ٤٠٨ ؛ محمود الحاج قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب معابره وتأثيره ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ١٢٥-١٢٦ .

(٢) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ص١٢٦ ؛ جمعة شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ١٣٢/٣ .

(٣) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ٣٧/١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص٢٢ .

منتصف ق٦هـ/١٢م) ، عن دراسة علم الفلك إلى قبول عرضه ، إذ إنه كان مدركاً لإقبال البعض في أوروبا على الاعتراف من علوم المسلمين ، وربما كان لديه إحساس لا شعوري بالنقص في هذا الصدد[١] .

ومن هنا نجد أن الدوافع العلمية للترجمة قد انقسمت إلى قسمين أساسيين هما :

١ - دوافع علميَّة مشبوهة ، كانت تخدم ما وراءها من دوافع دينية وسياسية واقتصادية وغيرها ، ولكنها كانت تظهر بمظهر العلم والرغبة في تعلمه ، فهي امتداد لتلك الدوافع ، ولكنها تزيت بزي العلم وأهله ، ولم يبدُ على أصحابها انخراطهم المباشر في هيئات أو مؤسسات دينية أو سياسية أو اقتصادية ، فترجمة القرآن لمعرفة محتواه ، وتعلم اللغة العربية ، جميعها كانت تسير وفق دوافع دينية وسياسية بحتة ، وإن ظهرت بمظهر حب العلم والبحث عن الحقيقة[٢] .

يقول أحد المستشرقين : «ظهر لنا أن الباعث لدراسة اللغات الشرقية في أول الأمر خصوصاً اللغة العربية كان لأغراض دينية وحربية في القرون الوسطى ، ولكنها تحولت بعد ذلك إلى أغراض علمية»[٣] .

وقد لعب التعصب الأعمى دوره في هذه الدوافع ، فكان الأوروبيون يسرقون أعمال العلماء المسلمين ، ويشتمون وينتحلون كتب العلماء المسلمين وينسبونها لأنفسهم ، أو يذهب بهم الجهل والهوى حد الإسراف فينسبون أعمال هؤلاء العلماء بعد نقلها إلى لغاتهم إلى مشاهير الإغريق مثل : أرسطوطاليس ، وجالينوس (Galenus)[٤] وسواهم[٥] .

---

(١) مونتجمري وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ط١ ، ترجمة : حسين أمين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ١١٢-١١٣ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٥ .

(٢) النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية ، ص٥٥ .

(٣) جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، ص٥٢ .

(٤) جالينوس : طبيب وحكيم أغريقي ، برع في الطب والفلسفة . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ١٠٩ .

(٥) السامرائي : الاستشراق ، ص١٩ .

والواقع أن اللاتين الذين كانوا يقومون بالسفر إلى طليطلة كانوا لا يبالون بانتحال عمل المترجم ، أو أن اسم المترجم في القرون الوسطى كان في الغالب اختلاقاً ؛ لأن اسم المترجم الفعلي كان يغفل عمداً ، ومن هؤلاء الذين نالوا شهرة وشأناً كبيرين : ميخائيل سكوت : (Michael scott) (ت حوالي ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) ، كان أول من أدخل ترجمات كتب ابن رشد إلى أوروبا ، فاكتسب لقب مؤسس الرشدية ، والذي اتهم بانتحال عمل غيره لجهله اللغات والعلوم التي هي موضوع كتبه(١) .

وهكذا نجد أن الدوافع العلمية الغربية في بداية الترجمة كانت في أغلبها لم تستخدم في إطار التعامل مع الشرق ، بل استخدمت فقط في خدمة العالم الغربي ، واستخدم البعض منها في نشر الفكر التخديري المجمد للعالم الإسلامي(٢) .

٢ - دوافع علميَّة نزيهة ، ظهرت نتيجة الانبهار بالحضارة الإسلامية ، وبدافع حب الاستطلاع والرغبة في التعلم ، إلا أن أصحاب هذه الدوافع قلما وجدوا في بداية عصر الترجمة ؛ وذلك أنه لم يكن لديهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الدراسات الإسلامية بأمانة وإخلاص ؛ لأن ترجماتهم وتواليفهم المجردة عن الهوى الجانح لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند الباحثين الغربيين(٣) .

بل كثيراً ما يتعرض هؤلاء لمضايقات ومقاومات شديدة من قبل رجال الدين ، ورجال السياسة في بلدانهم ، إذن فلا غرابة أن يندر وجود هؤلاء المرتادين في أوساط المترجمين الذين هدفوا إلى الترجمة بدافع علمي نزيه ، ولأجل تحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم وحضارة أصيلة(٤) .

---

(١) ارنست رينان : ابن رشد والرشدية ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، جزأين ، ٢/ ٢٢١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص١٩ .

(٢) الزيادي : الاستشراق ، ص١١٢ .

(٣) الميداني : أجنحة المكر الثلاثة ، ص١٣٠ ؛ سامي الصقار : الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٨٢م ، مج ٩ ، ص١٧٣ .

(٤) الميداني : أجنحة المكر الثلاثة ، ص١٣٠ .

يقول سذرن : «إن الشيء الوحيد الذي يجب أن لا نتوقع وجوده في تلك العصور هو الروح المتحررة الأكاديمية ، أو البحث الإنساني الذي تميز به الكثير من البحوث التي تناولت الإسلام في المائة الأخيرة»(١) .

ومن هنا فلعلَّ أبرز الدوافع العلمية للترجمة ما يلي :

أولاً : حاجة(٢) الغرب إلى علوم المسلمين واستخراج مكنونها :

أتت الحاجة إلى تعلم علوم المسلمين وترجمتها بعد أن رأى أبناء الغرب البون الشاسع بين حال أوروبا وعلومها الضئيلة ، وحال العالم الإسلامي ومراكز العلم فيه ، مما أحوجهم إلى طلب العلم من مظانه وأخذ كل مفيد وجديد للنهوض ببلدانهم من كبوة الجهل(٣) .

وقد كان اللقاء مع العالم الإسلامي لاسيما في الأندلس ، وصقلية ، وممالك نابولي ، إلى جانب العلاقات المتعددة مع القسطنطينية ، ومصر ، وسوريا ، عن طريق الحملات الصليبية ، في وقت كانت لا تزال فيه اليونانية جزءاً من أوروبا ، ولغتها الإغريقية حية ترزق ، وكلها لفتت نظر الأوروبيين إلى الحضارة الإسلامية وأهميتها .

فالحالة السيئة في أوروبا مقارنة بازدهار العلوم بالشرق والأندلس ، وقوة اللغة العربية حاملة الفكر اليوناني ، تلك اللغة التي قدر لها أن تصبح لغة أداة أدب عظيم ، لغة كان من فخارها أنها صارت الواسطة التي نقل بها أرسطو وجالينوس اللذان كانا قد آلا إلى النسيان ، نقلا بها على قرون عديدة حتى استكشفا من جديد

---

(١) نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى ، ص١٧ .

(٢) المقصود هنا بالحاجة هي الحاجة العلمية إلى علوم المسلمين وتوجيهها نحو دافع علمي ، وإلا فالحاجة إلى الترجمة عامة ، تتعدد بتعدد الدوافع فهناك حاجة دينية وحاجة سياسية ، دفعت الغرب إلى تعلم علوم المسلمين .

(٣) الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ص٨ ؛ أحمد شحلان : دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية ، ضمن أبحاث ندوة حلقة وصل بين الشرق والغرب ، أكاديمية المملكة المغربية ، أكادير ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، ٢٥٩ ؛ الصقار : الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين ، ص١٧١ .

في لغتهما الأصلية[١] هذا إلى جانب العلاقات السياسية والتجارية التي ربطت بين أقطار الشرق والغرب ، جميعها معطيات جعلت الالتفات إلى علوم المسلمين ضرورة حتمية من جانب الغرب[٢] .

كانت الخطوة الأولى في الحاجة الملحة هي ملء الفراغ الذي شغله المسلمون بوصفهم أوصياء على التراث اليوناني في مجال الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية ، ففي نهاية القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي تقريباً بدأت ترجمة مؤلفات أطباء اليونان والمسلمين إلى اللاتينية ، وقد لقي الطب بالذات إقبالاً كبيراً منذ وقت مبكر من قبل الغرب ، ذلك أنه في مقدمة الحاجات التي بحث عنها الغرب ؛ إذ إنه يعتبر من العلوم النافعة للأبدان ، فأخذوا في ترجمة كتبه إلى اللاتينية للاستفادة منها في العلاج ، واتخاذها منهجاً في تعليمه ، لاسيما بعد ظهور الجامعات في كثير من الدول الأوروبية واحتياجها إلى مؤلفاته . إذ أصبحت المنهج المعتمد لسد حاجة التعليم في مجال الطب حتى القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي ، بل إن كتاب القانون في الطب لابن سينا(ت ٤٢٨هـ/١٠٢٦م)[٣] امتد تأثيره إلى ما بعد هذا القرن ، حيث إن بعض الجامعات حافظت عليه في برامجها التعليمية حتى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي[٤] .

إن البحث عن التطبيق العملي في مجال الطب الذي كان يفتقد إليه الغرب ، مما أدى إلى ضرورة ترجمة أعمال علماء المسلمين في هذا المجال ، فكتاب سر صناعة الطب للرازي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) ، الذي يعتبر أعظم أطباء الطب

---

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، تعريب : محمد النويهي ، مطبعة وليام كوليتز ، لندن ، ١٩٤٦م ، ص١٢ ؛ وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٦٢ .

(٢) شحلان : دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية ، ص٢٥٩ .

(٣) أبوعلي الحسين بن عبدالله بن سينا ، طبيب مشهور وصاحب تواليف ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٤٣٧ .

(٤) عباس العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ط٨ ، دار المعارف المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص٤٠ ؛ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية على العالم ، ص٤٠٦ ؛ توفيق فهد : مساهمة العرب في النهضة العلمية الأوروبية ، التراث العربي ، ع ٤ ، السنة الثانية ، ص٧ .

الإكلينيكي(clinical)[١] ، وكتاب الحاوي لنفس المؤلف ، الذي جمع الكثير من الملاحظات السريرية ، وتفسيرات ووصفات الأقدمين ، وكتاب التيسير لابن زهر (ت٥٥٨هـ/١١٦٢م)[٢] ، والكتاب الملكي لعلي بن العباس (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ، الذي اعتمد في تأليفه على مشاهداته الميدانية في البيمارستانات ، ومن ثم تمكن من اكتشاف وتصحيح كثير من الأخطاء التي وقع فيها الأطباء اليونان ، مثل أبقراط وجالينوس وغيرهما ، إضافة إلى كتب التشريح الطبي الأخرى ، والتي أفادت كثيراً ؛ حيث إن تراث اليونان الذي اندثر ولم يعد له وجود إلا في التراجم العربية ، أجبر الأوروبيين على ترجمة هذا التراث والاستفادة منه ؛ حيث رأى كثيرٌ منهم أن هذه المؤلفات قد جادت بذكر التراث اليوناني ، وهو تراث قوميتهم الأولى ، كما أن بعض الكتب اليونانية الأولى كانت لا تزال في مكتبات المثقفين منهم ، فصار منها ما يدعو إلى مقارنتها بالكتب العربية فاكتشفوا في هذه الكتب بعض الفضائل الشكلية والموضوعية مما ليس له مستدرك في المؤلفات اليونانية ، فمالوا إلى دراسة تلك الكتب واعتبروها غاية ما يمكن أن يكتب في العلم ، فلا ينقصها تطوير أو إضافة[٣] .

وقد كانت الكتب العربية التي نقلت من مؤلفات أرسطو وأمثاله من أهم البواعث على تشجيع النصارى في اقتطاف ثمار ما أنتجته المدنية الإسلامية أيام عظمتها ومجدها ، وقد فتحت مجلدات أرسطو عيون النصارى كما فتحت عيون فلاسفة المسلمين قبلهم ، فسارعوا إلى استطلاع غوامضها سعياً وراء اقتباس

---

(١) الطب الإكلينيكي : هو الطب الذي يدمج بين العلوم النظرية والعلوم التطبيقية ، أو الملاحظات السريرية لفهم طبيعة المرض ، لطفي الشربيني : معجم مصطلحات الطب النفسي ، مركز تعريب العلوم الصحية ، الكويت ، ٢٨ .

(٢) ابن زهر : أبومروان عبدالملك بن زهر ، ألف في الطب تواليف جليلة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٢١ .

(٣) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٣١٤ ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ٤٠ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص٧ .

حكمته[١] .

ثانياً : الرغبة في الاطلاع على علوم المسلمين ودراستها :

أتت الرغبة في الاطلاع على علوم المسلمين نتيجة التعامل المرن من قبل المسلمين للطوائف الأخرى في البلدان التي شكلت نقطة تمازج حضاري بين الطرفين ، الأمر الذي غرس في نفوس كثيرٍ منهم رغبةً عارمة في الاطلاع على علوم المسلمين ، ودراستها ، لاسيما بعد أن شاهدوا مدى تفوق الحضارة الإسلامية ، وعلومها وما تميزت به من مميزات جذبت إليها أعين الآخرين .

والحق أن موقف المسلمين من طلبة العلم في أنحاء العالم الإسلامي في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية ، وقبولهم في مراكز العلم المختلفة دون مقابل مع تقديم كافة الخدمات بغض النظر عن العقيدة الدينية ، أو الجنس ، أو اللون ، مثالٌ يحمل في طياته أعظم مبادئ التمدن والرقي .

وهذه الصورة من التسامح الخُلقي كانت مخالفة تماماً للتعصب الذي طبع به رجال الكنيسة عصرهم والذي كان سائداً في جميع أنحاء أوروبا النصرانية ، بينما كان العالم الإسلامي قد بدأ يكتسب شهرة واسعة في العالم اللاتيني ، وكانت تعاليم الأساتذة المسلمين أيضاً قد بدأت تذيع وتتوسع .

واكتسب الإسلام شهرة عريضة واسعة عن طريق المآثر الباهرة التي حققها العلماء المسلمون في كافة المجالات ، أما سمعة المجتمع الإسلامي فقد طبقت هي الأخرى الآفاق ، وكان طالبوا العلم من جميع أنحاء أوروبا قد بدأوا يعرفون طريقهم إلى مراكز العلم في بلدان العالم الإسلامي ، تحدوهم رغبة ملحة للاستزادة من هذه العلوم[٢] .

---

(١) إبراهيم مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه ، سميركو للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م ، جزأين ، ١٦٨/٢ .

(٢) مظهر : حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، ص٤٩٣ ، ٤٩٥ ؛ نبيلة حسن وإبراهيم أبوالعلا : في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص١٨١ ؛ عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص٤٠٩ .

وهكذا نجد أن دافع الرغبة أتى نتيجة الإعجاب بالحضارة الإسلامية ، ومحاولة تقليدها ، فأوروبا كأمة مغلوبة علمياً لا بد أن تتطلع إلى الأمة الغالبة وتأخذ عنها ، وخاصة أن تلك الأمة الغالبة كانت أعلى حضارة وأرقى حياة وأكثر تسامحاً ممن سبقهم من الأمم[١] .

وقد يكون السبب في اندفاع الغرب إلى ترجمة علوم المسلمين هو الرغبة الممزوجة بالخوف من المنافس القوي ، ومحاولة الاطلاع على نمط حياته ومعارفه العقلية ، خاصة إذا ذكرنا ذلك الفقر المدقع في الثقافة الأوروبية ، ونهم طلاب أوروبا إلى كل ما يرفع المستوى العقلي بينهم[٢] .

يقول أحد الباحثين : «لم تكن حركة التبادل العلمي بين العرب واللاتين ، وحركة الترجمة من العربية إلى اللغات المجاورة نتيجة لتسامح المسيحيين حينذاك ، ولا أحسب أن اشتراك الكنيسة في هذا العمل يرجع إلى تسامحها مع المسلمين ، وإنما كان الإقبال على نقل الحضارة العربية إلى الأمم اللاتينية نتيجة مباشرة ودليلاً قوياً على اعترافهم بتفوقها ، وعلى رغبتهم في الإفادة منها ، والتغلب على العرب في أقوى نواحيهم وهي الثقافة»[٣] .

إن الرغبة العلمية تعتبر مرحلة ثانية بعد دافع الحاجة ، ونتيجة فعلية لها ، حيث اكتشف الغرب الحضارة الإسلامية بكل مقوماتها ، التي فتحت لهم آفاق العلم والمعرفة ، مما حدا بهم إلى محاكاتها ، فتحرَّكت حمية محبي العلم والتعليم من أبنائه إلى تقليد ملوك وأمراء المسلمين ينافسونهم في ميادين العلم ، كما يبارزونهم في ساحات الوغى ، فأسس رئيس الأساقفة دون ريموندو (Don Raimndo) (ت٥٤٧هـ/١١٥٢م)[٤] معهداً في طليطلة حاول أن يجعله على غرار بيت الحكمة[١]

---

(١) عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ص٤٠٩ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ص٢٨ ؛ صالح : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ص١٣١ .

(٢) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ص٤٥ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٢٨ .

(٣) حسين : في الطب والأقرباذين ، ٢٩٠ .

(٤) دون ريموندو : ولد بفرنسا ، والتحق بسلك الرهبان البندكتيين ، وعين مطراناً لأوسما (Osma) سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) ، وبارك هذا التعيين بعد سقوط طليطلة مع غيره من الأساقفة الفرنسيين الذين

في بغداد ، وكان بلاط النورمان في صقلية مركزاً هاماً للترجمة ، لاسيما في عهد الإمبراطور فردريك الثاني ، (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، الذي بلغت الترجمة في عهده حداً من التألق ، فقد شارك فيها مشاركة فعالة نتيجة ما كان يكتنفه من رغبة في التعلم وحب للمعرفة ، وإذا عدنا إلى نشأة فردريك وحياته قبل توليه الملك أدركنا سر تعلقه بالثقافة الإسلامية وعلومها[٢] .

ولد فردريك الثاني من أب ألماني ، هو «هنري السادس (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م) Henry VI»[٣] ، وأم إيطالية هي «الأميرة كونستانس Constance»[٤] ، وريثة العرش الصقلي ، ونشأ وتربى وتعلم في صقلية ، وهي الجزيرة التي تميزت بأنها ملتقى الحضارات بكل أنواعها ، مما أكسبه حباً للعلم ، ومهارة في السياسة والقانون ، فضلاً عن تضلعه بعدة لغات منها اللغة العربية التي كان يتكلمها بكل طلاقة .

وعلى الرغم من أن الخمس سنوات الأولى من حيات هذا الملك تكاد تجهل ،

=

وصلوا إلى أعلى المناصب الكنسية ، وفي سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م) خلف ريموندو ، برنارد على مطرانية طليطلة ، وكان له دور في المجالس الكنسية والسياسية لمملكة قشتالة وقبل ذلك كله كان له جهد لا يشكر في محاربة المسلمين بالسنان والبنان عن طريق الترجمة ، إلا أنه لا يذكر أنه اضطلع بالترجمة بنفسه ، بل كان مشرفاً وراعياً لها . أشباخ : تاريخ الأندلس ، ١٢٢ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٦ ؛ Palencia,G:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٩٤٢,PP٤٤-٤٦ .

(١) بيت الحكمة : أنشئ في عهد هارون الرشيد ، وازدهر في عهد المأمون ، وكان بمثابة جامعة لتدريس مختلف العلوم إلى جانب مهمته الأساسية النقل والترجمة . الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي ، ٧٩ .

(٢) كمال السامرائي : فضل العرب في الطب العربي في أوروبا اللاتينية ، فصل من كتاب : دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩م ، ٨٧ ؛ هونكة : الإبل على بلاط قيصر ، ص٢٥٧ .

(٣) هنري السادس ابن الإمبراطور فردريك الأول ، وخليفته في حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، الموسوعة العربية العالمية ، ٢٦/٢٠٦ .

(٤) كونستانس : ابنت روجر الملك النورماندي ، ووريثة العرش الصقلي ، وزوجة هنري السادس . هونكة : شمس العرب ، ٤٢٣ .

إلا أن المراجع تشير بأنه نشأ وترعرع في بلرم (Palermo)[١] ، ومساجدها وكنائسها ، وكان يجول في أسواقها وحوانيتها وشوارعها ، فتعلم عادات وديانات أهلها ، واختلط بالمسلمين الذين منحوه كل رعاية واهتمام إزاء الظروف القاسية التي كانت تلم به[٢] .

هذه النشأة وتلك التربية التي عاشها فردريك أثرت على شخصيته واتجاهاته طوال حياته ، مما أكسبه احتراماً لكل الأديان والعادات على اختلافها ، وتبنيه للحضارات السابقة ، لاسيما الحضارة الإسلامية ، التي أسهم فيها بسهم وافر ملحوظ ، مما جعل كثيراً من المؤرخين يطلقون عليه لقب : «أعجوبة الدنيا Stupor Mondi» ، والحق أن فردريك الثاني كان أعجوبة فعلاً في تصرفاته وسلوكه ، أعجوبة في آراءه وأفكاره ، وربما كانت مظاهر العجب في ذلك الإمبراطور لا تبدو أشد وضوحاً وجلاء منها في علاقته بالمسلمين[٣] ، مما جعل المؤرخ العيني يتشكك في صدق عقيدته ويقول عنه : «إنه كان دهرياً يتلاعب بالنصرانية»[٤] .

إلا أنَّ الأمر المحير في شخصية هذا الملك ، هو حبه الجم لعلوم الإسلام واهتمامه بها ، فهل كان دافعه من وراء هذا الاهتمام دافعاً علمياً ، ناتجاً عن الرغبة في التعلم؟ أم أنه كان يسعى من وراء هذا الاهتمام إلى دافع سياسي متمثل في احتواء المسلمين في الجزيرة؟ أم أنه كان ذا دوافع دينية تخدم النصرانية ، وتهدف إلى القضاء على المسلمين؟

---

(١) بلرم : أعظم مدن صقلية في بحر الغرب على شاطئ البحر ، أسسها الفينيقيون باسم بانورموس ، ومن ثم أصبحت رومانية سنة (٢٥٤ ق) ، ثم فتحها المسلمون سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) ، ثم احتلها النورمان سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) ، وهي اليوم مدينة إيطالية ، وتنطق بالرمو (Palermo) . البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ٢١٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ٥٧٣/١ ؛ ابن الشباط : وصف الأندلس وصقلية ، ٦٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣١٤/٤-٣١٥ .

(٢) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٤٢٣ ؛ ديس : الزنديق الأعظم ، ١٢ .

(٣) عاشور : الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي ، ص١٩٦ .

(٤) العيني : بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، العصر الأيوبي ، ٢٠٨/٤ .

للإجابة عن هذه التساؤلات ، نستطيع أن نلقي نظرة سريعة على مظاهر الاهتمام بالثقافة الإسلامية عند هذا الملك ، فقد كان ملماً بعلوم الطبيعة والفلسفة والرياضيات ، وقد درس على أساتذة من علماء المسلمين ، فأخذ عنهم كثيراً من العلوم ، الأمر الذي أكسبه حماسة في البحث العلمي ، لم يكن ليحصل عليه في مكان آخر[١] ، يقول ابن واصل : «قد رأيت تلك الممالك وتوجهت إليها...وكان الإمبراطور فردريك من بين ملوك الفرنج فاضلاً محباً للحكمة والمنطق والطب ، مائلاً إلى المسلمين ؛ لأن مقامه في الأصل ومرباه في بلاد صقلية»[٢] .

وقد أفاضت المصادر في وصف حب فردريك للمسلمين ، وإعجابه بحضارتهم وعلومهم وحياتهم وتقريبه لهم ، واستخدامهم في حاشيته حتى إن المؤذنين المسلمين كانوا يؤذنون عند موعد كل فرض في معسكره[٣] ، وذكر المقريزي أن فردريك كان «عالماً متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات»[٤] ، وأنه بعث من صقلية للسلطان الكامل الأيوبي بعدة مسائل مشكلة في الهندسة والحكمة والرياضة سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) ، فعرضها السلطان على الشيخ علم الدين قيصر (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م)[٥] ، فأرسل جوابها إلى الإمبراطور[٦] .

إن تبني فردريك للثقافة الإسلامية جعله يتخذها أساساً لنهضة أوروبا ، فأنشأ مركزاً للترجمة في صقلية ، وعهد إلى ميخائيل سكوت ، وغيره من المترجمين

---

(١) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٤٣٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، ص٥١٩ .

(٢) ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : حسنين ربيع ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ٤/٢٣٤ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٣٤ ؛ العيني : عقد الجمان ، ٤/١٩٦ .

(٤) المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط١ ، تحقيق : محمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ثمانية أجزاء ، ١/٣٥٤ .

(٥) علم الدين قيصر : ابن أبي القاسم بن عبدالغني الأسفوني الحنفي ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٤٢ ؛ المقريزي : السلوك ، ١/٣٥٤ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٤٢ ؛ المقريزي : السلوك ، ١/٣٥٤-٣٥٥ .

أمر هذا المركز ، فتمت ترجمة الكثير من الكتب العربية إلى اللاتينية ، وأمر أيضاً بإنشاء جامعة نابولي بمرسوم إمبراطوري سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) ، وجعل مؤلفات كثير من علماء الإسلام في الفلسفة والطب وغيرها ، مناهج تدرس في هذه الجامعة ، إضافة إلى الرعاية التي كان يقدمها لمدرسة بلرم الطبية(١) .

ولم يكتف فردريك بهذا الأمر بل قام بإرسال كل الترجمات التي تمت في صقلية إلى مراكز العلم في إيطاليا وباريس وأكسفورد(٢) .

ونتيجة هذا الاهتمام المتواصل من فردريك للثقافة الإسلامية ، فقد نقمت عليه الكنيسة ، فأصدر البابا ضده قرار الحرمان خمس مرات ؛ لما أظهره من الزندقة والكفر في نظرها(٣) .

من هنا ندرك أن فردريك لم يكن ذا دوافع دينية ، نظراً لكرهه للبابوية والكنيسة الغربية ، تلك الكنيسة التي ناصبت آباءه وأسلافه العداء ، والتي كرست جهودها لسحق الإمبراطورية وسلطانها في الغرب ، وقد ظهر هذا الشعور أيضاً أثناء وجود فردريك الثاني في الشام ، إذ يروي ابن واصل أنه سأل الأمير فخر الدين(٤) بأن الخليفة ينحدر من نسل العباس عم الرسول ﷺ ، وأنه بناءً على ذلك يمت إلى الرسول ﷺ بصلة العرق ، مما يخوله حقاً شرعياً في حكم المسلمين ، وعندئذٍ أجاب فردريك بأن هذا هو المنطق السليم ، لا مثل البابا الدجال الذي لا تربطه أية رابطة بالمسيح ، ومع ذلك يدعي الحق في حكم المسيحيين(٥) .

وهكذا لا يستبعد أن تكون كراهية فردريك الثاني للبابوية والكنيسة الغربية

---

(١) زكريا : فضل الحضارة الإسلامية على العالم ، ص٣٧٩ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ص٥٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٢٠ .

(٢) السامرائي : الاستشراق ، ص٤٦ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ص٣١٩ .

(٣) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٤٢٤ ؛ ديس : الزنديق الأعظم ، ص١٧٥ .

(٤) الأمير فخر الدين : يوسف بن حمويه ، عرف بابن الشيخ ، وهو ينتمي إلى أسرة فارسية متصوفة ، وكانوا فقهاء شافعية ، هاجر فرع منهم إلى بلاد الشام ، وتمتعوا بنفوذ كبير زمن بني أيوب . ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٩١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٤١ .

هـي التـي دفعتـه إلى حـب الإسـلام والمـسلمين ، وقـد قـال بهـذا الـرأي فـولتيير وفنتسكيو[١] ؛ إلَّا أنَّ دافع الرغبة في الاطلاع عـلى علـوم المـسلمين ودراسـتها كـان يلعب دوراً كبيراً في الاهتمام بها وترجمتها ؛ لأن مجرد كراهية الكنيسة والبابويـة مـن دون رغبة دافعة للتعلم لا يمكن أن تؤدي إلى هذا الاهتمام الملحوظ بعلوم المسلمين وترجمتها ، بل يذكر أن هذا الإمبراطور ألف كتاباً في رياضة البيزة العربيـة ، نتيجـة حبه لهذا الفن[٢] .

أما ما قيل من دافع التسامح مع المسلمين ، فهو وارد لاسيما أن هذا الملـك قـد أتى بعد حكام كانوا يعملون بهذه الـسياسة في عهـودهم المنـصرمة مـع المـسلمين ، ولكنه كان متسامحاً مع المسلمين حتى خارج الجزيرة ، والمتمثلة في علاقاته مع أمراء المسلمين في بلاد الشام[٣] .

فالدافع العلمي لدى هذا الملك كان طاغياً على تعامله مع الحضارة الإسـلامية بكل مقوماتها ، ولا يمنع أن يكون لديه أكثر من دافع في آن واحـد ، فقـد يكـون ذا دوافع سياسية بحكمه ملكاً ، ودوافع علمية متمثلة في الرغبة في التعلم .

ولا يفوتنا في هذه العجالة أن نشير إلى الرغبـات الشخـصية للعلـماء وطـلاب العلـم الغـربيين الـذين شـغفوا بـالتعلم ، فكـان لهـم دور كبـيرٌ في ظهـور الترجمـة وتطورها ، ومن هؤلاء جربرت أورلياك (ت٣٩٤هـ/١٠٠٣م) ، الـذي رغـب في تعلم الرياضيات الصحيحة وأخذها من منابعها الأصلية على يد العلماء المـسلمين ، فكان أول من أدخل الأرقام العربية إلى الغرب[٤] .

وسواءً أكان الدافع السياسي لدى هؤلاء المتعلمين دينياً أم سياسـياً أم غـيره ، نجدهم في نهاية المطاف يذعنون بتفـوق الحـضارة الإسـلامية ، ويقومـون بدراسـة علومها رغبة في الاستفادة منها ، مثلما فعل المترجم أدلارد أوف بـاث ، (Adelard

(١) عاشور : الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي ، ١٩٩ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ص٤٥٧ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ص٣١٩ .

(٣) عاشور : الإمبراطور فردريك ، ص١٩٨ .

(٤) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ص٥٧ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ص٧٣ .

of bath) (ت٥٣٧هـ-١١٤٢م) ، الذي كان يفتخـر بأسـاتذته العـرب ، والأخـذ منهم[1] .



(١) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١١ .

المبحث الرابع :
الـــدوافـــع الاقتـصاديـــة

كان مما حفز الغرب على ترجمة علوم المسلمين ، هـو مـا حظـي بـه الاقتـصاد الإسلامي من مرونة وسهولة في المبادلات المختلفـة ، تلـك المرونـة التـي لاحظهـا الأوروبيون خلال علاقاتهم التجارية والاجتماعية مع المسلمين ، والتي كانـت تـتم بصورة شبه مستمرة ، حتى في أوج تأزم العلاقات الدينية والسياسية بين الطرفين .

يقول ابن جبير : «ومن أعجب ما يحدث به -أي : جبل لبنان- أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين : مسلمين ونصارى ، وربما يلتقي الجمعان ويقع المـصاف بيـنهم ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم...واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الإفرنج غير منقطع ، واختلاف المـسلمين مـن دمـشق إلى عكا كذلك ، وتجار النصارى أيضاً لا يمنع أحد منهم ولا يعترض..هـذه سـيرة أهل هذه البلاد في حربهم وفي الفتنة الواقعة بين أمراء المسلمين وملـوكهم كـذلك ، ولا تعترض الرعايا ولا التجـار ، فـالأمن لا يفـارقهم في جميـع الأحـوال سـلماً أو حرباً»[(١)] .

وقد أوجدت هذه العلاقة نوعاً من الحماس لدى أبناء الغرب لمعرفـة القواعـد الأساسية التي يقوم عليها اقتصاد المسلمين ، ومعرفة النظم التي ساعدت في تقدمـه لاسيما بعد أن انتشر الإسلام في أصقاع كثيرة من العالم ، وبلغ أوج قوته إبان القـرن الرابع الهجـري/العـاشر المـيلادي ، وانتـشرت معـه مبـادئ الحـضارة الإسـلامية ونظمها ، فأصبحت أغلب المناطق تعمل بمقتضى النظام الاقتـصادي الإسـلامي ؛ إذ إنه كان يمثل في تلك الآونة النظام الاقتصادي العالمي[(٢)] .

---

(١) ابن جبير : محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) : رحلة ابن جبير أو اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمـة والمناسـك ، ط١ ، تحقيـق : إبـراهيم شـمس الـدين ، دار الكتـب العلميـة ، بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ٢٢٤ .

(٢) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٢٦ ؛ آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع

وقد كان للتوسع الإسلامي أثره الملموس في النمو الاقتصادي داخلياً وخارجياً ، فعن طريق هذا التوسع أمنت الطرق التجارية البرية والبحرية ، والتي كانت تمر في أغلبها من قلب العالم الإسلامي ، وقد مثلت منظومة تجارية عالمية تضم عاملين مختصين في تسيير هذه القوافل من خفراء ومجهزين ، ويدير ذلك كله مجموعات تجارية كانت لديها تقاليد عريقة في التجارة(١) .

هذا فضلاً عن الوحدة الاقتصادية التي أتاحها هذا التوسع ، مما أعطى فرصة أكبر لانتقال المواد الخام والمصنوعات والمنتوجات الزراعية وعناصر الرفاهية والناس والخدمات والتقنيات والمهارات والآراء والأساليب وطرق التفكير بكل حرية وسهولة(٢) .

وقبل ذلك كله ، فقد كان للموقع المتميِّز للعالم الإسلامي دور مهم في ازدهار العلاقات الاقتصادية حيث إنه كان يتوسط منطقة مهمة للتجارة والنقل والتوزيع ، وبخاصة منتجات الشرق الأقصى ، وجنوب شرق آسيا ، والتي كانت أوروبا في أمس الحاجة إليها ولاسيما البهارات أدى ذلك إلى ازدهار المبادلات التجارية بين الطرفين : العالم الإسلامي ، وبيزنطة ، وأعماق أوروبا ، فكانت هناك جاليات إسلامية كبيرة ، تنقل خبراتها وأدواتها وعلومها إلى الغرب ، وفي المقابل كان التجار الأوروبيون يجوبون المدن الإسلامية على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، في رحلات طويلة ، تلقوا خلالها كل مقومات الحضارة الإسلامية ، ونقلوها إلى بلدانهم بعد ذلك(٣) .

وقد أصبح البحر الأبيض المتوسط إبان ذلك الوقت بحيرة إسلامية ، تبحر

= الهجري ، ط٥ ، ترجمة : محمد أبوريده ، دار الكتب العربية ، بيروت ، جزأين ، ٢/٣٧١ .

(١) كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ط٢ ، ترجمة : بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، ٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) ديمتري غوتاس : الفكر اليوناني والثقافة العربية ، ط١ ، ترجمة : نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ٤٤ .

(٣) متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ٢/٣٧١ .

فيه السفن التجارية ذهاباً وإياباً ، محملة بأنواع السلع ، بكل أمان ؛ إذ لم يكن لأوروبا آنذاك أي سلطان عليه ، الأمر الذي تطلب لمن يريد أن يقضي لنفسه فيه أمراً أن يخطب ود المسلمين كما فعلت كثيرٌ من المدن الأوروبية والتي كانت تمثل مراكز تجارية هامة آنذاك .

وهكذا نجد أن هذا التبادل الاقتصادي المكثف ، قد أدى إلى تغيرات مادية مهمة في حجم التجارة واتجاهها ، وإلى نشوء حاجات اقتصادية متنوعة ، مما دفع أوروبا إلى دراسة النظم الاقتصادية الإسلامية باعتبار المسلمين الشريك المتطور اقتصادياً ، فيما أوروبا هي الشريك الأقل تطوراً تجارياً وصناعياً(١) .

هذا ويمكننا حصر الدوافع الاقتصادية للترجمة كالتالي :

أولاً : محاولة تحسين الاقتصاد الغربي :

قبل الشروع في الحديث عن التفات الغرب إلى علوم المسلمين محاولاً الاستفادة منها في تحسين اقتصاده ، نود أن نشير إلى أن أهم ما دفع الغرب لهذا الفعل هو الوضع الاقتصادي المتدهور في أوروبا ، والذي بدأ منذ وقت مبكر ، فمنذ سقوط الإمبراطورية الرومانية سنة ٤٧٦م ، بدأت الحالة الاقتصادية في أوروبا تسوء يوماً بعد يوم ، بل إنها كانت من أهم أسباب سقوط هذه الإمبراطورية ، فالعديد من الأحداث الاقتصادية السلبية التي أصابت أوروبا آنذاك سارعت في زوال هذه الدولة ؛ إذ بدأ الوهن والطاعون والحرب الأهلية والتعديات البربرية بإضعاف البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية في كل مقاطعة من مقاطعات الإمبراطورية تقريباً ، فأصبح العمل نادراً للغاية ، وترك العمال أعمالهم بسبب انعدام الأمن ، وتراجعت معظم النشاطات التجارية(٢) .

بالإضافة إلى ذلك ، نشأت مفارقة مالية مدمرة ، ففيما تطلب الأمر جيشاً ضخماً ليكبح التهديدات المتصاعدة على الأمن الخارجي ، أدت الحاجة إلى إعانة

---

(١) جين هيك : الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، ط١ ، ترجمة : محمود حداد ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، ٢٩١ .

(٢) نفس المرجع ، ٣٣ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٣٠٢/٢ .

الجيش ، من قاعدة دخل تقلصت بسبب الحرب والطاعون وهجرة العمال ، إلى جعل الضرائب عبئاً مرهقاً ولكن وبأسلوب متزايد السرعة ، زاد الضيق الذي أحدثه عبء الضريبة المتزايدة من وهن الأمن الداخلي[١] .

إلا أنه وبغض النظر عن مثل هذه المشكلات الاقتصادية والاجتماعية الجديَّة ، فقد تلقى الاقتصاد الأوروبي الضربة القاضية على يد قرار قسطنطين الأول في أواسط القرن الرابع الميلادي بإنشاء عاصمة جديدة في القسطنطينية ، بالتالي قسم الإمبراطورية السابقة إلى قسمين آخذاً معه بعض أغنى المقاطعات ، منذ ذلك الوقت أصبح سقوط روما مسألة وقت لا أكثر[٢] .

وفقاً لذلك بحلول القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، كانت الإمبراطورية الغربية القديمة في المراحل الأخيرة من تفككها السياسي والاقتصادي ، فقد دمرت قاعدتها الصناعية بالكامل ، وبلغ انحطاطها التجاري حالة يُرثى لها[٣] .

وهكذا نجد أنه بمجيء الإسلام ، واتساع الفتوحات الإسلامية في أوروبا ، كان الاقتصاد الأوروبي منهزاً من قبل ، الأمر الذي يبرئ المسلمين فعلياً من اعتبارهم السبب الرئيس وراء العديد من الأمراض التجارية والاقتصادية الخطيرة التي حددتها نظرية[٤] المؤرخ البلجيكي (هنري بيرن Henri.Pirenne) ، والتي

---

(١) هيك : الجذور العربية الرأسمالية الأوروبية ، ص٣٣ ؛ فردينان شيفل : الحضارة الأوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة ، ٤٤ .

(٢) هيك : الجذور العربية الرأسمالية الأوروبية ، ٣٤ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) ومفاد نظريته هذه : «أن المسلمين كانوا السبب في القضاء على الوحدة الاقتصادية والحضارية لحوض البحر المتوسط ، وذلك من خلال سيطرتهم على سواحله الشرقية والجنوبية والغربية ، حيث انعدمت المبادلات التجارية بين الشرق والغرب ، وانعدمت العلاقات التجارية مع أوروبا الغربية إبان القرن الثامن الميلادي ، الأمر الذي جعل هذا البحر عائقاً بعد أن كان رابطاً بين الشرق والغرب ، خلال عشرة قرون مضت .

ويؤكد بيرن صحة نظريته عند دراسته لأنواع السلع كورق البردى المصري والتوابل الشرقية والأقمشة الفاخرة وغيرها ، والتي اختفت من الأسواق الأوروبية ، ولم يعد أهم التجار وسلعهم

ضربت أوروبا النصرانية في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ، في الواقع منذ ذلك الوقت ، استمرت الأوضاع الداخلية في المنطقة بالتدهور[١] .

فمنذ ذلك الوقت لم تحصل إصلاحات تجارية مهمة ، ولم تتبع إستراتيجية ضخمة تهدف إلى إعادة إحياء الاقتصاد المتداعي ، بل قد تميَّز هذا العصر بفوضى مالية عارمة ، وتراجع اقتصادي مستمر ، وانخفاض واسع لسك العملة من أجل تمويل الإنفاق المتزايد ، وعلى الرغم من أن النقود ظلت تستخدم طيلة العصور المظلمة إلا أن محدودية التجارة حددت من تداولها ، ومنذ نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي كانت الصناعة المصرفية ممثلة فقط بالصيارفة ، الذين يصرفون العملات[٢] .

وبالجملة فقد كانت أوروبا تغرق في اقتصادٍ يقوم أساساً على الزراعة ، وهذا ليس معناه أنه لم يكن هناك أي تجارة في أوروبا الغربية ، وإنما فقط كانت محدودة جداً بسبب عدم الاستقرار السياسي ، والتكاليف الباهظة للنقل ، والضرائب العالية ، وإتاوات الجمارك[٣] المتزايدة ، وانتشار القرصنة والرشوة والأمية ، ومن ثم إذا كانت التجارة محدودة فالمصرفية من باب أولى[٤] .

=

الفاخرة يذكرون في تاريخ الكنيسة التقليدي ، وفي المراجع الإضافية التي استعان بها بيرن ، عوضاً عن ذلك ظهر مجتمع أوروبي جديد قائم على اكتفاء ذاتي ريفي ، وهو مجتمع سيعبِّر عن نفسه لاحقاً من خلال أشكال متنوعة موهنة من الإقطاعية» ، انظر : (pirenne:mohamedandcharlemgne,١٤٧-١٥٠) ومحمد حمام : أضواء على أطروحة الاقتصاد المغلق ، لهنري بيرن ، مجلة التاريخ العربي ، الرباط ، ع٩ ، ١٩٩٩م ، ١٨٥ وما بعدها .

(١) هيك : الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، ص٣٤ ؛ عبدالقادر شاشي : أصل وتطور العمليات المصرفية التجارية الإسلامية ، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز ، الاقتصاد الإسلامي ، مج٢١ ، ع٢ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، ص٤٧ .

(٢) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٣٠٢ ؛ هيك : الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، ص٣٥ .

(٣) الجمارك : الجمرك جُعل يؤخذ على البضائع الواردة من البلاد الأخرى ، ويسمى (مكس) . المعجم الوسيط ، ١/١٣٤ .

(٤) شاشي : أصل وتطور العمليات المصرفية التجارية الإسلامية ، ص٥١ .

وبإقرار جميع العلماء ، حصلت هذه التطورات بالتزامن مع ظهور الإسلام ، لكن من الواضح كما أظهر التحليل السابق ، أن الفساد الاقتصادي الذي أصاب الغرب لم يكن من صنع المسلمين(١) .

وقد ساهمت الكنيسة نفسها في هذا التدهور الاقتصادي ، فالتدخل المتزايد لها في الشؤون الدنيوية للدولة انعكس بدوره على الناحية الاقتصادية ؛ إذ توسعت السلطة الدينية تدريجياً منذ القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي ، على حساب السلطة الدنيوية .

وقد شكل ذلك الحدث تحولاً ضخماً ، فحتى ذلك الوقت ، كانت المراسيم الرسمية للإمبراطورية ، بطبيعة الحال ممزوجة مع عقيدة الكنيسة ، وكانت النتائج مدوية ، فيكفي المرء أن يستعيد ولو بشكل شبه عشوائي تعاليم الكتاب المقدس ، ليدرك التأثيرات التي قد تكون حانقة على التركيبة الاقتصادية ؛ إذ استحوذت الكنيسة على جميع الإدارات الاقتصادية(٢) .

فالحياة الدنيوية عابرة ، وينبغي ازدراؤها ، كما ينبغي نبذ السعي وراء المال نبذاً تاماً ، بما أنه لا نفع منه في الحياة بعد الموت ، بالإضافة إلى ذلك اعتبرت الفضائل الرائعة للحياة التنسكية ، مثال الكنيسة خلال القرون الوسطى ، وبالتالي باع العديد من المواطنين العاديين عقاراتهم وممتلكاتهم ، وتبرعوا بمردودها إلى الكنيسة ، وذلك نتيجة انغماسهم في تدفق الحماسة الدينية التي ميزت السعي المستمر من أجل كسب مكان آمن في الجنة عبر العيش في تعاسة بائسة على الأرض(٣) .

وهكذا منعت الكنيسة دافع الربح ، والقدرة على السعي الفطري للكسب الذي يميز كل جهد اقتصادي إنتاجي في نظام السوق الحرة ، فقد التزمت بإظهار فضائل الفقر المخلِّصة للشعب من أجل أن تضاعف ثروتها الخاصة ، بالرغم من أن

---

(١) هيك : الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، ص٤٠ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) نفسه ، ٤٢-٤٣ .

موقفها تجاه التجارة ، لم يكن موقفاً سلبياً فحسب ، بل كان موقفاً معادياً للغاية[1] .

وقد باتت أوروبا محرومة من خبرائها الماليين ، والمصرفيين ، وكبار التجار والمقاولين ، بل محرومة من الأسواق التجارية الكبرى ؛ إذا استثنينا بعض الأسواق ذات الشهرة الدينية ، مثل سوق سانت دينس (st Denys) ، قرب باريس ، وفيما عدا هذه الأسواق ذات الصبغة الدينية ، لم تعرف أوروبا في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، التاسع والعاشر الميلاديين سوى أسواق محلية أسبوعية ، وكانت المعاملات التجارية التي تتم في هذه الأسواق تسير على نطاق ضيق وفي حدود مبالغ صغيرة ، ولكفاية أغراض ومجتمعات محدودة[2] .

وفقاً لذلك وبانتقال الكنيسة إلى الفراغ المدمر في البنية التحتية التجارية والصناعية الخاصة التي كانت كلها من صنعها هي ، أصبحت الآن تلعب دور علماء الاقتصاد الزراعي ، والصناعيين ، والتجار ، والخبراء الماليين في أوروبا[3] .

في الوقت عينه ، لعبت الأديرة أكثر فأكثر دوراً مهماً في تسيير الشؤون الاقتصادية ، فأصبح الرهبان زعماء الصناعة المحلية ، وطوَّروا الإنتاج الزراعي وحافظوا على معظم الخدمات البلدية ، فعملوا في التجارة ، ونظَّموا معارض تجارية ، كما لجأوا إلى تجار علمانيين لمساعدتهم في مشاريعهم التجارية ، باختصار ، تولت الكنيسة الآن واستفردت بمعظم المهام الاقتصادية في المملكة[4] .

إزاء هذا الأمر ، وبفضل العلاقات التجارية مع العالم الإسلامي ، أدرك الغربيون مدى الحنق الاقتصادي الذي يعيشونه ، من خلال احتكار الكنيسة . والحظر التجاري لطبقة معينة ، ونتيجة اتساع التجارة مع العالم الإسلامي فقد كثرت قصص التجارة والرحالة الذين كانوا ينقلون ثقافة كل طرف إلى الطرف الآخر ، مثلما كانوا ينقلون السلع التجارية والبضائع ، وبالتالي دفع هذا الأمر كثيراً

---

(١) نفسه ، ٣٥-٥٣ .

(٢) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٣٢٣ .

(٣) هيك : الجذور العربية الرأسمالية الأوروبية ، ص٤٦ .

(٤) المرجع نفسه ، ص٤٨ .

من الأوروبيين إلى معرفة أكثر بالشرق الإسلامي وعلومه واقتصاده ، وبالتالي دراسة جديدة أكثر عن المنطقة ، ذلك أنه كان يتطلب لتلبية حاجات الدول الغربية والتجارة أناسٌ قادرون على تكلم اللغات الشرقية ، وعارفون بالشؤون والأوضاع المحلية[1] .

ونتيجة ازدهار العلاقات التجارية مع العالم الإسلامي أيضاً ، نتج عن توسع المدن وانتعاشها اقتصادياً أن ظهرت طبقة متوسطة الثراء سميت بـ«البرجوازية» ، نسبة إلى سكنى هؤلاء في مدن بنيت كامتداد للبرج الإقطاعي أو القلعة ، وكانت هذه الطبقة تبحث عن طريق للكسب يسير وفق نظم ومبادئ راسخة[2] .

وقد ساعدت الحروب الصليبية هي الأخرى في هذا الانتعاش التجاري بين الشرق والغرب ، بشكل لم يعرف من قبل ، وكان من أثر تزايد التجارة في أوروبا أن انتشر فيها تعلم العلوم الإسلامية الخاصة بالتجارة والكسب كالحساب مثلاً ؛ حيث ذاعت شهرة علم الحساب ، والأرقام العربية في أوروبا منذ وقت مبكر[3] .

وقد حددت المصادر أن أول دخول للأرقام العربية إلى أوروبا كان إبان القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، على يد الراهب جربرت ، السالف الذكر - فكان هو أول من عرف الغرب بهذه الأرقام ، واستعمل وسائل الإيضاح المستعملة عند المسلمين كالمعداد والكرة الجغرافية وغيرها ؛ حيث اهتمَّ أيضاً بعلوم الجبر والحساب والهندسة والفلك ، وكان يعتمد في ذلك على كتب مترجمة من العربية[4] .

بل إن علوم الحساب والرياضيات كانت من أوائل العلوم المترجمة على الإطلاق ؛ حيث يذكر أنه كان في سانتا ماريا بريبول بقطالونية مخطوطة تعود إلى

---

(١) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ص١١٢ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ص٢٨٩ ؛ صالح : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ص١٣٥ .

(٢) السامرائي : الاستشراق ، ص٧٤ ؛ مخزوم : عصر النهضة في أوروبا ، ص٢٠ .

(٣) ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٢٢٢ ؛ شاشي : أصل وتطور العمليات المصرفية ، ص٥١ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٧٩ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص٦-٧ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٠١ .

القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، تحوي رسالتين باللاتينية عن صنع الإسطرلاب ، ومن المؤكد أن لها أصولاً عربية ، كما كان في مدينة لييج (Liege)[١] ، حوالي عام (٤١٦هـ/١٠٢٥م) إسطرلابٌ وكتابان عن الإسطرلاب ، يرجع تاريخهما إلى عام (٤٤٠هـ/١٠٤٨م) ، ويشتملان على معلومات فلكية لعلماء مسلمين[٢] .

وقد تطلب النهوض بالاقتصاد الأوروبي الإلمام بالعلوم ذات الصلة الحسابية ، كالعلوم الرياضية : الحساب والهندسة وحساب المثلثات والفلك وقد استقطبت نشاطاً مبكراً في الترجمة ، ككتاب إقليدس[٣] في الهندسة ، والذي لم يكن معروفاً إلا في ترجمته العربية[٤] ، وقد نُقل إلى اللغة اللاتينية مرتين : إحداهما نقلها أو نقلت لجربرت ، بمعنى أنها وصلت الغرب منذ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، والثانية على يد أدلارد أوف باث ، إبان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، ثم تتالت الترجمات في باقي فروع الهندسة[٥] .

هذا بالإضافة إلى علم الجبر[٦] الذي كان يفيد في حل مشكلات الهندسة ، والري ، والتجارة ، وفي حفر الترع ، والتقديرات الهندسية ، وسوى ذلك مما يهم من الأغراض الاقتصادية المتنوعة[٧] .

---

(١) لييج : مدينة بلجيكية ، تأسست في القرن السابع للميلاد ، وأسست بها مجامع كنسية . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٥/٢٥٣ .

(٢) زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ص٣٥٣ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٠ .

(٣) إقليدس الصوري (ت٣٠٠ق.م) عالم بالهندسة . انظر : النديم : الفهرست ، ص٣٢٧ .

(٤) ترجمه من اليونانية : الحجاج بن يوسف بن مطر ، نقله مرتين ، الأول عرف بالهاروني ، وهو الأول ، والثاني عرف بالمأموني تمييزاً له عن النقل الأول . النديم : الفهرست ، ص٣٠٢ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص٤٨٠ .

(٥) جورج سارتون : تاريخ العلم ، ط٢ ، ترجمة : لفيف من العلماء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ستة أجزاء ، ٤/١٠١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٣٥١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٨٠ .

(٦) علم الجبر : هو من فروع علم الحساب ، لأنه علم يعرف فيه كيفية استخراج مجهولات عددية بمعادلتها لمعلومات مخصوصة على وجه مخصوص . القنوجي : أبجد العلوم ، ص٣٥٣ .

(٧) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص٢١٢ .

وقد كان كتاب مختصر الجبر والمقابلة للخوارزمي (ت بعد٢٣٢هـ/٨٤٦م)[١] ، من أول ما نقل إلى الغرب في هذا المجال ، بل إنه يُعدُّ أول مؤلف لهذا العلم ، وقد تضمن كتابه مسائل هندسية ، إضافة إلى ذكره الأرقام العربية بما فيها الصفر ، وإمكان حل نظرية هندسية بحل جبري .

وقد تم نقل هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية منذ وقت مبكر ، إبان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي[٢] .

ومما كان لصيقاً بالعلوم الرياضية علم الفلك الرياضي ، فقد جذب انتباه الغرب منذ وقت مبكر ، فترجمت كتب علماء المسلمين في هذا المجال ككتاب الزرقالي (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م)[٣] ، وبطليموس وغيرها ، وكتاب الفلك للبتاني (ت٣١٧هـ/٩٢٩م)[٤] ، وغيرها كثير[٥] .

وقد التفت الغرب في محاولة تحسين اقتصاده إلى علم الكيمياء أيضاً ، فقد بدأ البحث يتجه إلى تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب ، إضافة إلى ارتباط هذا العلم بالصيدلة وتحضير الأدوية وتركيبها ، وفي مجال الصناعة كصناعة المحار ودبغ الجلود وصنع الأقمشة[٦] .

فترجمت المؤلفات الإسلامية الكيميائية التي تحدثت عن هذه الجوانب الخاصة

---

(١) الخوارزمي : محمد بن موسى ، أصله من خوارزم ، وكان منقطعاً إلى خزانة الحكمة للمأمون ، صاحب تواليف في الرياضيات والفلك . النديم : الفهرست ، ٣٣٥-٣٣٦ .

(٢) سارتون : تاريخ العالم ، ١٠١/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص١٥٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١١/١ .

(٣) الزرقالي : أبوإسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش ، المعروف بابن الزرقالة أو الزرقالي . ابن الأبار : محمد بن عبدالله القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) : التكملة لكتاب الصلة ، القسم الأول المفقود ، المطبعة الشرقية ، الجزائر ، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م ، ١٦٩ .

(٤) البتاني : أبوعبدالله محمد بن جابر بن سنان ، رياضي وفلكي مشهور . النديم : الفهرست ، ٣٤٠ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ص٣٥٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٨٠/١ .

(٦) ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ١٠٦/٣ ؛ سعد البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ص٥٠٧ .

بالناحية الاقتصادية ، كمؤلفات جابر بن حيان (ت٢٠٠هـ/٨١٥م)[١] ، حيث ترجم كتابه السبعون منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، أما كتابه الاستتمام والذي وصف عدداً من المركبات الكيميائية التي لم تكن معروفة من قبل ، والتي استحضرها هو بنفسه ، كماء الفضة وماء الذهب ، كما أنه وصف كثيراً من العمليات الكيميائية كالتقطير[٢] ، والتصعيد[٣] ، والتكليس[٤] وغيرها .

هذا فضلاً عن نجاحه في فصل الذهب عن الفضة بواسطة الحامض ، وتمكنه من اكتشاف طريقة صنع الزجاج ، وقد اعتمد في تجاربه على التجربة والمشاهدة ، الأمر الذي أدهش الغرب الأوروبي ، فشرعوا في ترجمة مؤلفاته منذ وقت مبكر[٥] .

أما الرازي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) ، فقد استفيد من مؤلفاته ولاسيما كتابه «سر الأسرار» ، الذي تناول الكيمياء الصناعية ، أي : استخدام المواد والعمليات الكيميائية في خدمة الصناعة ، وترجم كذلك كتاب ابن سينا الخاص «بالمعادن» وغيرها[٦] .

وهكذا نجد أن الاتجاه إلى ترجمة المؤلفات الخاصة بهذا العلم ، كانت بهدف الاستفادة منها في تحسين الاقتصاد الأوروبي في معرفة قيمة المعادن وخواصها ، ومنفعة كلٍّ منها ، وطرق استخراجها وتصنيفها ، والإفادة أيضاً من هذا العلم في

(١) جابر بن حيان : أبوعبدالله الكوفي المعروف بالصوفي ، الكيميائي المشهور ، النديم : الفهرست ، ٤٣٥ .

(٢) التقطير : هو مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء في القرع ويوقد تحته فيصعد ماؤه إلى ألأنبيق وينزل إلى القابلة ، ويجتمع فيه . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص٢٦١ .

(٣) التصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أنه أكثر ما يستعمل في الأشياء اليابسة . نفس المصدر والصفحة .

(٤) التكليس : أن يجعل جسداً في كيزان مطينة ويجعل في النار حتى يصير مثل الدقيق . نفسه .

(٥) فيليب حتى : تاريخ العرب ، دار الكشاف ، ١٩٥٢م ، ٤٤٧/١ ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص٤٣ ؛ الطويل : الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية ، ص١٦٢ .

(٦) فيليب حتي : تاريخ العرب ٤٤٧/١ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ص١٣٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٣/١ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ، ص١٠٧ .

مجال الصناعة .

وفي علم الفلاحة[1] التفت إلى المؤلفات التي تتحدث عن الفلاحة وكل ما يتعلق بها من زراعة ، ومؤثرات خارجية ، ونبات وماء ، فترجمت كثير من المؤلفات التي تناولت هذا الفن منها :

كتاب بن وافد الطليطلي (كان حياً ٤٦٠هـ/١٠٦٧م)[2] ، في الفلاحة ، والطغنري (كان حياً ٤٨٠هـ/١٠٨٧م)[3] ، وابن العوام (ت٥٨٧هـ /١١٩١م)[4] وغيرهم .

أيضاً ترجم كتاب النبات المنسوب لأرسطو ، وكتاب الأمطار والرياح لأبي معشر ، وكلها كانت تفيد في ناحية الاقتصاد الزراعي وكل ما يتعلق به[5] .

وفي علم الجغرافيا يكفينا أكبر دافع اقتصادي لترجمة مؤلفات هذا العلم ، ما أمر به الملك الصقلي «روجر الثاني» الإدريسي بوضع كتاب يصف فيه الأرض ، أقاليمها ، غلاتها ، أناسها ، ولعله أراد بذلك أن يعرف ثرواتها أيضاً استفيد من كتب المسلمين الملاحية ، والرحلات ، والتي تتحدث عن البلدان ، فهي ذات نفع عظيم في الناحية التجارية والملاحية البحرية ، فترجم قسطنطين الأفريقي كتاب زاد المسافر لابن الجزار[6] .

---

(١) علم الفلاحة : هو علم يتعرف منه كيفية تدبير النبات من أول نشوئه إلى منتهى كماله ، وبدء كونه إلى تمام نشوئه بإصلاح الأرض وما يحميها . القنوجي : أبجد العلوم ، ص٤٦٥ .

(٢) ابن وافد الطليطلي : الوزير أبوالمطرف عبدالرحمن بن محمد اللخمي ، من علماء الأندلس في الطب والفلاحة وغيرها . صاعد : أبوالقاسم صاعد بن أحمد ، (ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م) : طبقات الأمم ، ط١ ، تحقيق وشرح : لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢م ، ٧٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٦ .

(٣) الطغنري : محمد بن مالك المري ، كان بارعاً في علوم شتى ، ابن الخطيب : الإحاطة ، ٢/٢٨٢ .

(٤) ابن العوام : أبوزكريا يحيى بن محمد بن محمد بن احمد الإشبيلي الأندلسي ، عالم بالنبات والفلاحة ، إسماعيل البغدادي : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، جزأين ، ٢/٥٢٠ .

(٥) ميلي : العلوم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ص١٠٧ .

(٦) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٨٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٢ ؛ الطويل : الحضارة

هذه بعض الأمثلة التي تبين مدى اندفاع الغرب اقتصادياً لعلوم المسلمين ، محاولين تحسين الاقتصاد الأوروبي ، وقد وجدوا في العلوم الإسلامية التطبيقية والطبيعية مناهم ؛ لما لها من فائدة في معرفة الإحصاء ، والصيرفة ، والقوانين الاستثمارية ، واحتساب الأرباح وتوزيعها ، وتنمية الموارد الاقتصادية ، كما يستند إلى هذه العلوم في معرفة احتياجات الدولة من نفقات وغيرها ، وفي حقول الاقتصاد الدولي والنقود والتجارة الدولية ، أو عند وضع السياسات الاقتصادية المختلفة ، وكذلك عند وضع الميزانية وحصر الإيرادات والنفقات ، هذا إلى جانب ما اعتمده الغرب من كتب الرحلات والمغازي والوثائق والسجلات التجارية[1] .

ثانياً : دافع طلب الكسب والرزق :

إلى جانب دافع محاولة تحسين الاقتصاد الأوروبي ، أتى دافع طلب الكسب والرزق ، فبينما كان التاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من خلال علاقاته التجارية ، نجد أن عدداً من المترجمين كانوا يتخذون من ترجمة علوم الإسلام وسيلة للتكسب ؛ حيث إنهم يقومون بهذه المهمة بدافع اقتصادي بحت ، يطمحون من ورائه إلى جمع مبالغ باهظة تدرها عليهم هذه الصنعة .

وقد بلغ الحال ببعض هؤلاء المترجمين في الأندلس إلى أن يسلكوا الطرق غير المشروعة في عملية الترجمة ، بهدف الكسب فقط ؛ حيث عمد عدد منهم إلى ترجمة علوم المسلمين ثم بيعها بأسماء مستعارة تمثل علماء ديانتهم من قسيسين ورهبان ، لذا نجد الفقيه بن عبدون يحذر من ذلك في رسالته في «القضاء والحسبة» ، بقوله : «يجب ألا يباع من اليهود ، ولا من النصارى كتاب علم ، إلا ما كان من شريعتهم ؛

=

الإسلامية والحضارة الأوروبية ، ١٥٥ .

(١) رجاك ريسلر : الحضارة العربية ، ط١ ، ترجمة : خليل أحمد ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ١٨٢ ؛ كمال حطاب : اتجاهات البحث العلمي في الاقتصاد الإسلامي ، أبحاث المؤتمر العالمي السابع للاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، ص٢٨٧ .

فإنهم يترجمون كتب العلم ، وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم ، وهي من تواليف المسلمين»[١] .

ومن هؤلاء المترجمين من توخى الكسب والارتزاق من القيام بالترجمة لدى الأمراء والملوك ، فعينوا مترجمين في بلاطاتهم ، أو داخل المؤسسات التابعة لهم ، والتي تهتم بالترجمة ، أو ندبوا للقيام بمهمة الوظائف الدبلوماسية كسفراء أو عيون وجواسيس[٢] .

وقد انشغل بعض المترجمين بنقل المؤلفات التي تتناول إبراز بعض الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق ، والاتجار بها في سبيل الاسترزاق ، مثلما حصل مع كتاب «ألف ليلة وليلة» ، و«رباعيات الخيام» ، ورسائل إخوان الصفا ، وغير ذلك مما جذب إليها الأنظار بعد تحليلها ودراستها والبحث فيها ، فانتشرت على نطاق واسع في أوروبا[٣] .



(١) محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (ق ٦هـ/١٢م) : رسالة في القضاء والحسبة ، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ٥٧ . .

(٢) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٥ ؛ ميشال جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ط١ ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٢م ، ٢٢ .

(٣) عميرة : الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق ، ص٩٧ .

المبحث الخامس :
البعثات[١] والسفارات[٢] والرحلات[٣] ودورها

أولاً : البعثات :

وفي مجال الحديث عن البعثات كعامل مساعد على نشاط الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، نود أن ننوه إلى أن أهم هذه البعثات التي ساعدت على نشاط الترجمة هي البعثات العلمية التي كانت تفد من مناطق الغرب المختلفة ميممة وجهتها صوب مراكز الحضارة الإسلامية لطلب العلم وأخذه من مظانه ، لاسيما بلاد الأندلس التي أقبلت آنذاك على ثقافة تميَّزت بتعدد عناصرها في تسامح ديني منقطع النظير ، إضافة إلى ما شهدته هذه البلاد من تألق علمي فاق المناطق الأخرى ، مما جعلها مهوى أفئدة الكثير من الطلبة يأتون إليها من كل صوب[٤] .

ونتيجة حرية الثقافة لكل الفئات ، فقد أخذ الطلبة الأوروبيون يفدون إلى

---

(١) البعثات : البعث في اللغة : الإرسال ، يقال : بعثه بَعْثاً : أرسله وحده ، وبعث به : أرسله مع غيره ، أما في الاصطلاح : فتعرف البعثة بأنها : هيئة ترسل في عمل معين مؤقت ، منها بعثة سياسية ، وبعثة علمية ، وغيرها . انظر : الزبيدي : تاج العروس ، ١٧٠/٣ ؛ المعجم الوسيط ، ٦٢/١ .

(٢) السفارات : السفارة عمل السَّفير ومقامه ، والسَّفير : الرسول ، والمصلح بين قومين ، وفي القانون الدولي : السفير مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها ، واصطلاحا تعرف بأنها : بعث ولي الأمر لشخص معتمد من قبله إلى جهة معينة لمباشرة مهمة معينة . انظر : ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٨٢/٣ ؛ المعجم الوسيط ، ٤٣٣/٢ ؛ عثمان ضميرية : السفارة والسفراء في الإسلام دراسة فقهية ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤٢١هـ ، ٢٧ .

(٣) الرحلات جمع رحلة ، وهي مشتقة من الفعل رَحَلَ ، وهو بمعنى انتقل ، يقال : رحل عن المكان أي انتقل . وفي الاصطلاح : الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين ، سواء كان هذا الهدف مادياً ، أو معنوياً . ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٤٩٧/٢ ؛ عبدالحكيم الصعيدي : الرحلة في الإسلام ، ط١ ، الدار العربية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٢م ، ١٥ .

(٤) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص١٠٢ ؛ محمد الشحري : العلوم والفنون الإسلامية وأثرها في تقدم أوروبا ، ط١ ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ١٩١ .

بلاد الأندلس ، واختلفوا إلى مدارس المسلمين وجامعاتهم ومكتباتهم ، زائرين ورحالة ، وطلبة علم ، إضافة إلى البعثات العلمية التي كانت تأتي بصفة رسمية إلى دار الخلافة الأموية آنذاك[١] .

ثم أخذت هذه البعثات تتوالى تترى حتى بلغت سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) ، في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) زهاء سبعمائة طالب وطالبة من مختلف الدول الأوروبية : كأنجلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا ، وبافاريا ، وسكسونيا ، وغيرها . منها تلك البعثة التي أتت من فرنسا برئاسة الأميرة اليزابيث (Elizabeth) ابنة خال لويس السادس (Louis vI)[٢] ، ملك فرنسا[٣] .

ومنها البعثة العلمية التي أرسلها فيليب (Philip) ، ملك بافاريا إلى الأمير هشام الأول بن عبدالرحمن الداخل ، (ت١٨٠هـ/٧٩٦م)[٤] ، بعد أن بعث إليه بكتاب يطلب إليه أن يأذن له بإرسال بعثة إلى بلاده -الأندلس- للاطلاع على أحوالها وأنظمتها وشرائعها وثقافتها والاستفادة منها ، فوافق الأمير الأندلسي على هذا الطلب ، وعندئذٍ أرسل الملك فيليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو «ويلمبين» ، الذي سمي بالعربية «وليم الأمير» ، وكانت هذه البعثة تتألف من مائتين وخمسة عشر طالباً وطالبة ، درسوا مختلف العلوم في الأندلس ، وقد اعتنق ثمانية أفراد من هذه البعثة الدين الإسلامي ، ومكثوا في الأندلس ، ورفضوا العودة إلى بلادهم ، ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت ، وأنجبن عدداً من العباقرة ، كان منهم عباس بن فرناس

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/٨٨ .

(٢) لويس السادس : المعروف بلويس البدين (ت٥٣٢هـ/١١٣٧م) كان قوياً حازماً في ملكه لفرنسا . ديورانت : قصة الحضارة ، ١٥/٢٢٤ .

(٣) طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص٢١١-٢١٢ ؛ خليل السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص٤٧٧ ؛ الخربوطلي : العرب في أوروبا ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ١١٨ .

(٤) هشام الأول : ابن عبدالرحمن الداخل ، حكم سنة (١٧١هـ-٧٨٨م) وكان شجاعاً كريماً حازماً . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١/٤٢ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/٣٣٤ .

الفلكي(ت٢٧٤هـ/٨٨٧م)[١].[٢]

وهناك عدد آخر من الفتيات قدمن في بعثات إلى الأندلس من فرنسا وهولندا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا ، أقمن في الأندلس ، واعتنقن الإسلام ، وتزوجن من المسلمين ، من أمثال الأميرة «ماري غوبية» Mary Gobet ، من بلجيكا ، و«روبيكا سنارت»Rukeba snart من ألمانيا ، والراهبة «جانيت سمبسون» Janet simpson من إنجلترا ، و«شوتا» shota ابنة الكونت سيرجاك Sir Jack من هولندا[٣] .

وقد أوفد الملك جورج (George) ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة أخيه الأميرة «دوبانت» (Dobant) ، كانت تضم ثماني عشرة فتاة من الأشراف والأعيان ، وقد توجهت البعثة إلى إشبيلية ، ورافقهن في سفرهنَّ سفيلك(sevlk) ، رئيس موظفي القصر في ويلز ، الذي حمل رسالة من الملك جورج إلى الخليفة هشام الثالث[٤]،[٥]

---

(١) عباس بن فرناس : أبوالقاسم عباس بن فرناس بن فرداس ، من أهل قرطبة ، من موالي بني أمية ، وبيته من برابرة تاكرنا ، وعاصر الخليفة عبدالرحمن الثاني بن الحكم ، وكان فيلسوفاً شاعراً ، له علم بالفلك . الزركلي : الأعلام ، ٣/٢٦٤ .

(٢) خليل السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص٤٧٧-٤٧٨ ؛ سعد البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، ص٥٣٣ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص٢١٢ ؛ وقد انفرد د.طه بذكر الأمير هشام الأول بدل : الخليفة هشام الثاني الذي ذكر في المرجعين السابقين . ولم يذكر السبب في ترجيحه بأن البعثة كانت في زمن هذا الأمير ، ولعلَّه صائب في رأيه ، لأن عهد هشام الأول تميَّز بالقوة ، والاهتمام بالعلم ، حتى أنه كان أول من أدخل اللغة العربية لغة للتدريس في معاهد النصارى واليهود ، مما أدى إلى التقريب بين المسلمين والنصارى في الأندلس ، بينما كان عهد الخليفة هشام الثاني عهد اضطرابات ، فلم يكن يملك من أمر السلطة شيء ، وكان الأمر بيد حاجبه المنصور بن أبي عامر الذي انشغل بالجهاد ضد النصارى . انظر : محمد الوكيل : الأمويون بين الشرق والغرب ،ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ٢/١٨٢ .

(٣) طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص٢١٢ .

(٤) هشام الثالث : هشام بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية في الأندلس ، حكم من (٤١٨-٤٢٢هـ/١٠٢٧-١٠٣١م) ، ثم خلعه الجند ، وتوفي سنة (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) . المقري : نفح الطيب ، ١/٤٣٨ .

(٥) طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص٢١٢ ؛ خليل السامرائي وآخرون : تاريخ العرب

وقد جاء في هذه الرسالة : «إلى صاحب العظمة ، خليفة المسلمين هشام الثالث جليل المقام : من جورج الثاني[١] ملك إنجلترا والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الجليل المقام...بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الضافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية طيبة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة دوبانت على رأس البعثة من بنات أشراف الإنجليز ، لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف ، وتكون مع زميلاتها موضعاً لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها ، مع التعظيم والحب الخالص...

من خادمكم المطيع جورج.م.أ»[٢] .

=

وحضارتهم في الأندلس ، ص٤٧٨ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ص٥٣٤ .

(١) لم يرد ذكر ملك بريطاني يسمى جورج الثاني ، فمنذ الحقبة التي ارتبطت فيها بريطانيا بغزو الفيكنج منذ القرن التاسع الميلادي ، حكم بريطانيا الملك الفريد ، وتتابع خلفاؤه حتى تولى الحكم على بريطانيا الملك الدنماركي كنوت (٤٠٧-٤٢٧هـ/١٠١٦-١٠٣٥م) ، وتولى بعده الملك إدوارد أدموند (٤٣٥-٥٠٠هـ/١٠٤٣-١١٠٦م) ، تبع ذلك غزو وليم الفاتح لبريطانيا ، وامتد حكمه وحكم خلفاءه من سنة (١٠٦٦-١٣٠٧م) ، ولم يرد ضمن قائمة الحكام الذين حكموا بريطانيا إلى نهاية عهد السيطرة النورماندية التي بدأها وليم الفاتح ملكاً يدعى جورج ، فلعل الملك الذي أرسلها هو من خلفاء الفريد . البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٣٤ .

(٢) صلاح جرار : زمان الوصل دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤م ، ص٥٥ ؛ وقد وردت الرسالتان ، رسالة جورج الثاني ، ورد الخليفة هشام في عدد من المراجع الحديثة منها : كتاب : بين الديانات والحضارات ، لطه المدور ، حيث ذكر أنه عثر عليهما في الكتاب الخطي القديم المسمى : المراقب فيما شاهدت بديار الأندلس من العجائب ، لعبدالله الطبرقي ، وأنه عثر على هذا المخطوط في مكتبة صديقه ، د.حليم قدورة في بيروت ، وذكر المدور أيضاً أنه اعتمد على كتاب (reprise de lindalussie) ، أي : استرداد الأندلس للمؤرخ الفرنسي ، (Falier) ، ويشير كذلك إلى كتاب العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى ، للمؤرخ الإنجليزي جون دوانبورت ، (Johen Doinburth) وإلى كتاب التاريخ العام للمؤرخ التركي عبدالرحمن شرف بك ، ولم يرد ذكر هاتين الرسالتين في المصادر الأندلسية المتقدمة ، ولعلها وردت في مصادر أوروبية قديمة اعتمد عليها فاليير الفرنسي ، وجون دوانبورت الإنجليزي ، وعبدالرحمن =

وقد استقبلت هذه البعثة في الأندلس أحسن استقبال ، ورد الخليفة هشام على رسالة الملك برسالة يعلمه فيها عن ترحيب الأندلسيين بأعضاء البعثة ، وموافقة رجال الدولة على الإنفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين ، ورد على هديته بهدية أخرى مناسبة(١) .

وفضلاً عن البعثات الكثيرة التي بعثت بها أوروبا إلى الأندلس ، عمد بعض ملوك أوروبا وأمرائها إلى استخدام علماء من المسلمين لتأسيس المدارس ، ونشر ألوية العلم والعمران .

ففي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، وما بعده استقدمت حكومات إنجلترا وهولندا وسكسونيا وغيرها ، نحو تسعين من الأساتذة العرب الأندلسيين المتخصصين في مختلف العلوم ، والذين كانوا يحسنون اللغتين اللاتينية والإسبانية إلى جانب العربية ، كما وقَّعت تلك الحكومات عقوداً أخرى مع نحو مائتي خبير عربي في مختلف الصناعات ، لاسيما إنشاء السفن ، والنسيج ، والزجاج والبناء وفنون الزراعة ، ولقد أقام بعض المهندسين المسلمين جسراً على نهر التايمز في بريطانيا يسمى بجسر هليشم (Helichem) ، وهذه الكلمة تحريف لاسم هشام خليفة الأندلس ، الذي أطلق الإنجليز اسمه على ذلك الجسر اعترافاً بفضله ؛ لأنه أرسل إليهم أولئك المهندسين العرب ، ولا تزال توجد بمدينة شتوتغارت بألمانيا حتى اليوم سقاية ماء تدعى «أميديو» (Amedeo) ، وهو تحريف لكلمة أحمد المهندس العربي الذي بناها(٢) .

وقد استمرت هذه البعثات ، تلعب دورها في تعزيز المصالح الاقتصادية

= التركي وغيرهم . نفس المرجع ص٥٦-٥٧ ، هامش(١) .

(١) طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص٢١٣ ؛ خليل السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص٤٧٨ .

(٢) طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص٢١٣ ؛ خليل السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص٤٧٨-٤٧٩ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ص٥٣٤ .

والسياسية والعلمية بين العالم الإسلامي والغرب ، منها تلك البعثة التي أرسلها فرانس الأول(France First) (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م)(١) ، ملك فرنسا عام (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) إلى الدولة العثمانية ، وجعل على رأسها وليم بوستل ، (Wllaume Postel) ، (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م)(٢) ، وقد اتجهت البعثة أولاً إلى مصر ، ثم إلى القسطنطينية حيث رحب بها سفير فرنسا لدى الباب العالي ، وقد استطاع بوستل أن يتقن العربية والتركية والعبرية ، إضافة إلى الحبشية ، كما أنه قد أدى المهمة التي جاء من أجلها ، وهي شراء مخطوطات شرقية ، فحمل معه كل ما يستطيع الحصول عليه من مخطوطات(٣) .

إلى جانب ذلك تعرف بوستل على الأديان والمذاهب ، واشتغل بعلم اعتدال حركات الكواكب ، وألف كتاباً عن الأجرومية العربية ، وهي الأولى التي طبعت في أوروبا بأحرف عربية ، وقد استغرقت رحلته هذه أقل من عامين ، ثم عاد بعدها إلى فرنسا سنة (٩٩٤هـ/١٥٣٧م) ، وعند عودته عيَّنه فرانس الأول مدرساً للغات اليونانية والعربية والعبرية ، كما أنه استخدمه مترجماً عنده(٤) .

وقد نجحت هذه البعثة في تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية ، وهي تعزيز العلاقات مع الدولة العثمانية ، حيث حصل فرانس الأول عام (٩٤٢هـ

---

(١) فرانس الأول : ولد سنة (٩٠٠هـ/١٤٩٤م) وحكم اثنان وثلاثون سنة ، دخل خلالها في معارك مع بقية الدول الأوروبية لأجل مسألة الإصلاح الديني . ديورانت : قصة الحضارة ، ٢٥/٢-٣٧ .

(٢) وليم بوستل : من أوائل المستشرقين الفرنسيين ، ولد سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) ، في مدينة بارنتون من أعمال نورماندي ، ثم أخذ يتعلم اللغات اللاتينية واليونانية والإيطالية والإسبانية ، ومن اللغات الشرقية : العبرية والكلدانية والعربية والتركية وغيرها ، توفي سجيناً في دير بفرنسا . العقيقي : المستشرقون ، ١٥٨/١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٣٥ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١١٧-١١٨ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١١٨ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية في أوروبا ، ص١٥ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٣٥ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١١٩ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، ص١٦-١٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص١٣٥ .

/١٥٣٥م) ، على الامتيازات[1] المشهورة التي منحت فيها الدولة العثمانية فرنسا حق ممارسة التجارة معها ، والإقامة لرعاياها داخل الدولة العثمانية ، كما أنها نجحت في مهمَّتها العلميَّة من الحصول على المخطوطات الشرقية ، التي حملها بوستل معه ، وقد عمَّ نفعها كافة أوروبا ، حيث وصلت إلى مكتبة أمير البلاط الملكي في هايدلبرج (Heidelberg)[2] ، بألمانيا ، فأثرت هذه المخطوطات بالفعل في الدراسات الإسلامية بألمانيا ، وهولندا ، التي تلقفت هذه المخطوطات ، فسارعت في تأسيس دراسات إسلامية وعربية أكثر عمقاً ، وأكثر تقدماً من البلدان الأوروبية الأخرى[3] .

وملاك القول في الحديث عن هذه البعثات ، أنها قد أدت دوراً لا يستهان به في المضي قدماً بحركة الترجمة ونقل علوم المسلمين إلى أوروبا ، كالتالي :

١ - ساعدت هذه البعثات في تبادل الخبرات والثقافات بين العالم الإسلامي والغرب ، وفي نقل صورة مشرقة عن المسلمين وحضارتهم ، مما دفع كثيراً من الأوروبيين إلى البحث عن سر هذا التطور ، ومحاولة الاطلاع على هذه الحضارة عن طريق الترجمة .

٢ - كان لدخول عدد من أبناء الغرب في الدين الإسلامي -عن طريق هذه البعثات- أثر في قيام حمية الكنيسة الدينية ، ومحاولة محاربة الإسلام والحد من انتشاره عن طريق الترجمة .

٣ - أثبتت الدراسة السابقة للبعثات أن المسلمين كانوا يشكلون الأمة الأقوى

---

(١) الامتيازات : هي تسهيلات تقدمها الدول الأجنبية بهدف تشجيعهم على الإقامة فيها ، واستثمار أموالهم وخبراتهم ، ومن أشهر الامتيازات الأجنبية بين الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني مع فرنسا . إسماعيل ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإصلاحي الحديث ، ١٩ .

(٢) هايدلبرج : مدينة ألمانية ، نشأ بها جامعة عريقة منذ القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، وكانت مركز الدعوات الإصلاحية الكالفنية ، وقد احتلها الفرنسيون عدة مرات . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣/١١٤ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١٢٦ ؛ أبوليلة : الجذور التاريخية والجسور الحضارية ، ص٦٥-٦٦ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/٦٣ .

بالنسبة لأوروبا ، وهذا ما نستشفه من رسالة الملك جورج الثاني التي جاءت بلهجة المتذلل المحتاج ، الذي يطلب ود خليفة المسلمين ، ويخاطبه بكل إجلال لأجل العلم ، كما أن أوروبا كانت تنظر إلى المسلمين على أنهم الشريك المتطور اقتصادياً وسياسياً ، بدليل هذه البعثات التي أرسلت ، واستقدام أوروبا عدداً من خبراء الدولة الإسلامية إلى بلادها للنهوض بها .

٤ - كانت وجهة هذه البعثات -في أغلبها- بلاد الأندلس ، مما يدل على أنها قد حازت في تلك الآونة شهرة عالمية لا تبارى في مجال العلم والفكر ، والتقدم الحضاري في كافة المجالات .



ثانياً : السفارات :

احتلت السفارات مكاناً بارزاً في تاريخ العلاقات الإسلامية النصرانية ، وهي بدورها قد بدأت في العالم الإسلامي منذ عصر المصطفى ﷺ ، عندما أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه قبيل صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة للتفاهم مع كفار قريش ، فكانت هذه أول سفارة في الإسلام ، وكان عثمان رضي الله عنه أول سفير لها[١] ، ثم توالت السفارات بعد ذلك واتسع نطاقها لتمثل سفارات المسلمين مع غيرهم من الأمم الأخرى ، لاسيما أوروبا ، فكانت السفارات التي تمت بين المسلمين والنصارى من أهم هذه السفارات في التاريخ وأكثرها شيوعاً ؛ لما اشتملت عليه من أحداث ، ونتائج حاسمة تخص الطرفين[٢] .

وقد عملت هذه السفارات على تحقيق أهداف كثيرة مرجوة من الجانبين ما بين دينية ، وسياسية ، وعلمية ، واقتصادية وغيرها .

وفي أوج عظمة الحكم الإسلامي وقوته ، كانت الدول النصرانية ترسل سفاراتها تترى متتابعة إلى عواصم العالم الإسلامي ، ساعية لطلب الصداقة والسلام ، طالبة الأمان ، مظهرة رغبتها في استقرار علاقة ودية مع المسلمين ، مبدية كل معاني الخضوع والإجلال ، مما يعطي انطباعاً على تأرجح كفة العالم الإسلامي في تلك الآونة ، وتفوقه على الغرب في كل الجوانب .

فهذه قرطبة زعيمة العالم الإسلامي في العلوم ، والفكر آنذاك ، تتوالى عليها سفارات العالم الغربي من كل صوب ، لتصل إلى أكثر من سفارة في السنة الواحدة بشكل لافت للنظر ، مثلما حدث في عهد الخليفة الحكم المستنصر[٣] ، الذي استقبل

---

(١) انظر : ابن هشام : السيرة النبوية ، ٣/٤٣٧ .

(٢) أحمد توني : العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية (١٣٢-٢٣٢هـ) ، مركز الاسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٤م ، ٨٠ ؛ عمر سعيدان : العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي ، وسقوط غرناطة ، ط١ ، منشورات سعيدان ، سوسة ، ٢٠٠٣م ، ٢٠-٢١ .

(٣) الحكم بن عبد الرحمن الناصر الأموي(ت٣٦٦هـ/٩٧٦م) بعد ست عشرة سنة قضاها في الخلافة ، وكان من عظماء بني أمية في الأندلس ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١/٢٠٠ ؛ المقري : نفح الطيب =

في سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م) جمعاً من سفراء الدول النصرانية في الشمال[١] .

إلا أنه يبدو أمراً معقولاً أن تكون دول إسبانيا النصرانية من أكثر الدول سفارات ، -إن لم تكن في الحقيقة أكثرها قاطبة- ، إلى قرطبة بحكم جوارها وحاجتها إليها ، وضمان مصالحها ورعايتها ، حتى ذهب الحكام النصارى بعيداً في رجاء المسلمين أن يحتكموا إليهم في الخلافات التي تقع بينهم[٢] .

وكانت طبيعة هذه السفارات تتم وفق ترتيبات معينة ، فمن جانب المسلمين كانت تستقبل في مجلس مفعم بالأبهة والفخامة ، بما يتلاءم مع هذه المناسبات ، حيث يجلس الخليفة مجلسه بالأبهة المعتادة ، وبحضور رجالات الدولة وعلمائها ، يحيط به الحجاب والوزراء وموظفو الدولة من أصحاب المراتب المتنوعة ، وسط أجواء مفعمة بالاحترام والتبجيل ، مع إظهار عزة المسلمين ، فيما ينم عن أهمية هذه السفارات للجانبين الإسلامي والنصراني على حد سواء[٣] .

والذي يدل على ذلك هو ما تركته الحضارة الإسلامية في الأندلس من وجود (بهو السفراء) ، والذي كان يخصص لمثل هذه الاستقبالات العظيمة[٤] .

وكثيراً ما انصرفت هذه السفارات ، وهي محملة بالهدايا الثمينة ، وغرائب

=

١/٣٨٣-٣٩٦ .

(١) الحجي : العلاقات الدبلوماسية بين الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ١٣٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص١٠٤ ؛ عبدالرحمن الحجي : العلاقات الدبلوماسية بين الأندلسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط١ ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ٢٧ .

(٣) انظر : ابن خلدون : العبر ، ص٩٩٠؛ المقري : نفح الطيب ، ١/٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ .

(٤) بهو السفراء أو بهو قمارش أعظم أبهاء الحمراء ، من حيث سعته وارتفاع قبته الشاهقة ، وهو عبارة عن بهو مستطيل مساحته نحو ثمانية عشر متراً في أحد عشر متراً ، وله قبة خشبية فخمة يبلغ ارتفاعها ثلاثة وعشرون متراً ، والذي بنى البهو هو : السلطان يوسف أبوالحجاج ، وكانت قبة هذا البهو تحوي نقوش غاية في الجمال . محمد عنان : الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخية أثرية ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، ١٩٦-١٩٨ ؛ واشنطن ايرفينغ : الحمراء ، قصة أثر الحضارة العربية ، ط١ ، ترجمة : هاني نصري ، مركز الأبحاث ، حلب ، ١٩٩٦م ، القسم الأول ، ٧١ ، ٧٥ .

البلدان ، وتلك سنة تكريم معروفة مألوفة ، اعتبرت من رسوم الدبلوماسية الإسلامية ، لا ينالها رئيس الوفد بل كل فرد فيه ، مما جعلها تعكس صورة مشرقة للحضارة الإسلامية ، بعد أن رأوا ما يبهر النظر ، ويسلب القلب من إبداعات المسلمين وثقافتهم ، الأمر الذي جعل أوروبا تتطلع أكثر لهذه البلاد وحضارتها[١] .

وفي المقابل ، فقد كان حكام المسلمين يرسلون سفاراتهم إلى الدول الأوروبية لإبرام عهد ، أو عقد صلح ، وكثيراً ما استقبلوا بنفس الحفاوة التي استقبل بها سفراؤهم لدى المسلمين ، وكان سفراء الدول الإسلامية يمثلون حضارة دولتهم وثقافتها ، مما جعلهم يبرزون روح الحضارة الإسلامية في الغرب بشكل أكبر .

وقبل ذلك فقد كان السفراء -المسلمون منهم- متمسكين بدينهم ، عاملين بمبادئه أمام تقاليد وقوانين الغرب ، فما وافق الدين الإسلامي عملوه ، وما خالفه امتنعوا عنه ، بنفوس مفعمة باستعلاء الإيمان ، وعز الإسلام ، مما جعلهم مثار إعجاب من الغير ، فبدءوا يبحثون عن سر هذه العقيدة التي أسست حضارة يسير على منهجها المسلمون[٢] . وتجدر الإشارة إلى أن هذه السفارات المتبادلة مع أوروبا ، كانت تواكبها أيضاً اتصالات حضارية بين الجانبين ، فالعلماء والرسل الذين أوفدتهم الدول الإسلامية إلى تلك البلاد ، كانوا في معظمهم علماء في شتى العلوم ، والذين كانوا يتقنون عدة لغات كاللاتينية والعبرية والعربية ، وهذا مكنهم من نقل الفكر الإسلامي إلى العقل الأوروبي[٣] .

ونظراً لكثرة السفارات وتعددها فيما بين العالم الإسلامي وأوروبا ، فسيقتصر حديثنا على ذكر بعض الأمثلة للسفارات ، لاسيما التي كان لها دور واضح في تنشيط الترجمة وازدهارها وهذا لا يعني التقليل من شأن بقية السفارات ، فهي بلا شك أدت دورها في الصلات بين الطرفين ، ولكن لضيق المجال والرغبة في

---

(١) الحجي : العلاقات الإسلامية الأندلسية مع أوروبا ، ص١١٧ .

(٢) المقري : نفح الطيب ، ١/٣٦٥ .

(٣) أحمد العبادي : الإسلام في أرض الأندلس ، أثر البيئة الأوروبية ، عالم الفكر ، مج١٠ ، العدد الثاني ، ١٩٧٩ ، ص١٠٥-١٠٦ .

الاختصار فسنكتفي بذكر بعض الأمثلة .

١- سفارة الملك الألماني أوتو الأول الكبير (Otto thegreat) (٣٢٥-٣٦٢هـ/٩٣٦-٩٣٧م) إلى الأندلس والرد عليها :

مناسبة هذه السفارة على ما يبدو ، هي قوة الخلافة الإسلامية في قرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (الثالث) (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) ، حتى إنه كان يوصف معها ، بأنه أقوى حاكم في العالم الإسلامي وقته بل وبأكثر دقه ، يمثل أكبر قوة للإسلام في الغرب الإسلامي ، ومن المحتمل أن هذه الحقيقة هي التي حملت أوتو الأول على إنشاء علاقات دبلوماسية مع الناصر فالسبب المباشر -إن لم يكن الوحيد- لهذه العلاقات ، كان قيام حكومة أندلسية خلف ألبرت (Puertos)[١] ، التي التحمت في مهاجمة المناطق المجاورة حيث تصور أوتو الأول أن الخليفة الأندلسي كان المؤيد لها[٢] .

هذه الحكومة كانت تعرف بإمارة القلال أو فراكسنيتوم (Fraxinetum)[٣] ، وهي في أصل نشأتها ترجع إلى عشرين مجاهداً من المسلمين الأندلسيين ، رست بهم سفينتهم في خليج سنت تروبس (st.Tropez) ، في البروفانس ، في جنوب فرنسا ، استقروا في غابة كثيفة محاطة بالجبال ، ثم هاجموا المناطق المجاورة ، ولمَّا رأو نجاحهم اتصلوا بالأندلس وشمالي أفريقيا ، يدعون آخرين للالتحاق بهم ، ويسألون مساعدةً من حكوماتهم ، ثم زادت أعدادهم وقواتهم ، وأسسوا عددا من

(١) ألبرت أو البرتات : أو جبال البرانس كما جاء في تسميتها العربية ، الفاصلة بين فرنسا والأندلس ، ومعناه أبواب الجبال والمنافذ التي مر منها المسلمون لاقتحام أرض فرنسا ، وفي التقسيم الإداري للقطر الشمالي أيام المسلمين أطلق لفظ البرتات عليه ، وهو يتصل بنفس هذه الجبال . ج.س.كولان : الأندلس ، مقال في دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، ترجمة : إبراهيم خورشيد ، وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ٥١ .

(٢) المقري : نفح الطيب ، ٣٥٣/١ ؛ الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ص٢٧٢-٢٧٣ .

(٣) أما اليوم فإنها تعرف باسم «فرينيتهFRAINET» ، وهي تقع في إقليم ال«فارVAR» ، جنوب فرنسا . الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا ، ص٢٧٣ ؛ محمد السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ص١١ .

المعاقل (القلاع) ، كانت أقواها قلعة فراكسنيتوم «Fraxinetum» ، إلى الشمال من مرسيليا (Marseille)[١] ، فاختيرت قاعدة أو عاصمة[٢] .

وقد اتسعت أراضي هذه الدولة حتى إن قوتها امتدت إلى الشمال والشرق حتى ممر سنت برنار (St.bernard) ، وشمالي لومباردي (lombardy) في إيطاليا ، وسنت غالن (st.gallen) ، وخور (CHOR) في سويسرا ، وفي العقد التالي ازدادت مساحة هذه الإمارة الخاضعة لسيطرة المسلمين ، وتجاوزت عملياتهم شمال الألب حتى وصلوا إلى الدير الشهير في سان موريس (st.maurice) في وادي الرون (Rhone) ، وفي نفس الوقت تركوا آثارهم في شمال الوادي أيضاً[٣] .

وقد أدى توسع المسلمين وطبيعة العمليات التي كانوا يقومون بها إلى تحفيز الأوروبيين لبذل المزيد من الجهود المشتركة والمنسقة من أجل تدمير فراكسينيتوم ، باعتبارها قاعدة العمليات الإسلامية ، وكان من بين تلك المحاولات إرسال هذه السفارة من أوتوا الأول إلى الخلافة الإسلامية في قرطبة لحسم الموقف[٤] .

جاءت هذه السفارة بعد سفارة من وإلى الإمبراطور الألماني أوتو الأول الكبير ، ولكنها لم تحسم الأمر بين الاثنين ، مما جعل أوتو يقوم بإرسال هذه السفارة إلى الناصر لتفاوض أوسع ، من أجل الوصول إلى حلٍّ نهائي فيما يتعلق بفراكسنيتوم ، فوقع اختياره في هذه المرة على الراهب يوحنا اللوريني الذي سمي فيما بعد رئيس دير غورز ، في مدينة متز في منطقة اللورين ، وكان يوحنا متضلعاً في اللاهوت ، مخلصاً لدولته[٥] .

---

(١) مرسيليا : مدينة فرنسية ، قاعدة مقاطعة بوش ، ومنطقة البروفانس ، على شاطئ البحر الأبيض . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٣ / ٤١٤ .

(٢) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ص٢٧٣ ؛ محمد السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ١٤ .

(٣) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ص٢٧٤ ؛ السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ص١٤ .

(٤) السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ص١٦ .

(٥) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا ، ص٢٧٥ ؛ أرسلان : تاريخ غزوات العرب في

ترك يوحنا ألمانيا متجهاً إلى قرطبة فوصلها سنة (٣٤٢هـ/٩٥٣م) ، فنزل هو ومن معه بقصر مجهز لهم بكل وسائل الراحة ، لم يكن يبعد كثيراً من قصر الخلافة ، وقريب من كنيسة سان مارتينا ، حتى يتمكنوا من أداء طقوسهم الكنسية بكل يسر وسهولة ، وقد كان الهدف الرئيس من هذه السفارة هو التمني على الخليفة المسلم وقف مساعداته إلى إمارة القلال «فراكسينيتوم» الإسلامية[١] .

إلا أنَّ عبدالرحمن الحجي يذكر ثلاثة أهداف أخرى هي :

١ - مناقشة بعض القضايا السياسية أو الآراء التي كانت تدور بين الطرفين .

٢ - معرفة مدى التقدم الفكري والعلمي والأمل بالانتفاع منه .

٣ - الاتصال بالمستعربين النصارى ، واكتشاف الأوضاع التي يعيشونها ، ووسائل معيشتهم وحالتهم في المجتمع[٢] .

استمرت هذه السفارات ثلاث سنوات ، وقد تأخرت مقابلة يوحنا للخليفة بسبب فحوى الرسالة التي كان يحملها ، والتي تضمنت استخفافاً بالخلافة ونيلاً من المصطفى ﷺ ، مما جعل الخليفة عبدالرحمن الناصر يرفض استلام الرسالة ، واستقبال السفراء ، فأخذت المفاوضات بين الطرفين حتى استقرا على إرسال سفارة من قبل الخليفة إلى الإمبراطور أوتو لتغيير مضمون الرسالة ، فوقع اختيار الخليفة على راهب يسمى ريثموند ، الذي كان معروفاً عند المؤرخين المسلمين بـ«ربيع بن زيد الأسقف القرطبي» ، فكان متمكناً من العربية واللاتينية ، فاتجه إلى أوتو الأول سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) ، وعند وصوله أعلم الإمبراطور برأي الخليفة ، فوافق أن يكتب رسالة أخرى معتدلة إليه .

وعند رجوع ريثموند بالرسالة إلى قرطبة تمت مقابلة السفارة الألمانية بكل ترحاب ، أي حوالي سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) ، تم خلالها مناقشة عدد من القضايا

=

ص١٧٧ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص١٠٦ .

(١) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا ، ص٢٨١ ؛ أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص١٨٠ ؛ السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ص٢٦ .

(٢) العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا ، ص٢٨٤ .

بين الطرفين ؛ إلا أننا لا نملك معلومات مفصلة عن الموضوعات التي تمت مناقشتها بالتفصيل ، غير موضوع إمارة القلال التي أبدى الخليفة عبدالرحمن الناصر أنه لا علاقة لدولته بمجاهدي هذه الإمارة ، ثم عادت السفارة الألمانية إلى بلدها بعد أن ودَّعها الخليفة بنفسه وسط احتفال مشهود(١) .

إن وقائع هذه السفارة تطرح عدداً من الأسئلة :

هل حققت هذه السفارة أهدافها التي جاءت من أجلها؟ هل كان لهذه السفارة تأثير علمي واضح في تنشيط الترجمة وازدهارها فيما بعد؟ أم أنها كانت ذات أهداف سياسية فقط؟

أما عن تحقيق السفارة لأهدافها التي جاءت من أجلها ، وفي مقدمتها حل مسألة إمارة القلال ؛ فلا يمكن القول إن السفارة كانت فاشلة ، مع أن الهدف الأصلي في نظر آمال الإمبراطور من التأثير القرطبي على فراكسينتوم لم يتحقق كما توقع الإمبراطور ، بل يمكن الإشارة إلى :

١ - أنه من الممكن اعتبار أن الأهداف الثانوية قد تحققت ، والتي تضمنت : التعرف على حالة الأندلس الحضارية ، واللقاء بالمستعربين النصارى ، ومشاهدة حريتهم الاجتماعية والدينية التي يتمتعون بها ، وصورة صحيحة لكل جوانب الحياة الأندلسية والمجتمع وطبيعياً التأسيس لعلاقة وديَّة .

٢ - بالنسبة لهدفها الرئيس الذي كان إقناع الخلافة في قرطبة باستعمال سلطتها لإيقاف مناشط المغامرين الأندلسيين في فراكسينتوم ، نجحت السفارة حيث الحالة السياسية الحقيقية أصبحت واضحة .

قرطبة جعلت رأيها واضحاً للسفارة ، وتبعاً للإمبراطور الألماني بأنها لا تملك علاقة رسمية مع فراكسينتوم ، وأنها غير مسئولة عن مناشطهم وليست مسئولة عن

---

(١) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع اوروبا ، ص٢٨٤-٢٩٧ ؛ شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص١٨٠-١٨١ ؛ هونكة : الإبل على بلاط قيصر ، ص٣١ ؛ العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٧٢ ؛ خليل السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص١٧٦ .

النتائج ، الأمر الذي أعطى السلطات الألمانية الحرية الكاملة في اختيار الوسائل التي تختارها لإنهاء هذا الخطر ، وهكذا حققت هذه السفارة الأهداف التي أرادت إنجازها ضمن الحدود المتاحة في الظروف السائدة للحالة السياسية[١] .

أما بالنسبة للنتائج العلمية لهذه السفارة ؛ فقد أشارت المراجع إلى أن السفير الألماني يوحنا اللوريني ، وأثناء مقامه بقرطبة ثلاث سنوات ، استطاع خلالها أن يتعلم اللغة العربية ، ويتعرف على علوم المسلمين عن طريق رجلين هما : حسداي اليهودي /وريثموند ، وعند عودته إلى بلاده اصطحب معه مجموعة من المخطوطات العربية[٢] .

٢ - السفارات المتبادلة بين الملك الكامل الأيوبي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، والإمبراطور فردريك الثاني (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) :

تعود بداية هذه العلاقات إلى سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) ، عندما أرسل الملك الكامل الأيوبي سفارة استنجاد إلى الإمبراطور فردريك الثاني ، حيث كان يواجه متاعب في علاقته مع خصومه ، وقد وصلت هذه السفارة إلى بلاد الإمبراطور الألماني برئاسة فخر الدين يوسف ، عارضة عليه رسالة الملك الكامل حيث كان يحثه على سرعة المجيء إلى بلاد الشام والساحل ، مقابل أن يهبه بيت المقدس ، وجميع فتوح صلاح الدين[٣] بالساحل[٤] .

وقد أحسن الإمبراطور فردريك استقبال هذه السفارة ، وأعجب أشد

---

(١) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا ، ص٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) مظهر : حضارة الإسلام ، ص٤٩٦ ؛ حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص٢١٢-٢١٣ .

(٣) صلاح الدين : الملك الناصر أبوالمظفر يوسف بن أيوب (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) مؤسس الدولة الأيوبية ، هازم الصليبيين في معركة حطين ، وقضى على الدولة العبيدية . انظر : ابن شداد : بهاء الدين أبوالمحاسن يوسف (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ط٣ ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ٦ ؛ أبوشامة : عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ، (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) : الروضتين في اخبار الدولتين ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، جزأين ، ١/٢١٢-٢٤٤ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٩١ ؛ المقريزي : السلوك ، ١/٣٤٥ .

الإعجاب بسفير الملك الكامل -فخر الدين يوسف- لما كان يمتلكه من معرفة جمة في شتى العلوم والمعارف : كعلم الكلام ، والفلك ، والحيوان وغيرها ، وتجلى هذا الإعجاب بأن منحه رتبة فارس ، بعد أن طال مقامه عنده ، ولم يكتف الإمبراطور فردريك بأن وعد مبعوث الكامل بالحضور والمساعدة ، بل رد عليه بإرسال سفارة مماثلة إلى مصر معها مجموعة من الهدايا السنية والتحف الغربية ، وقد تلقى الكامل هذه السفارة بالسرور البالغ وأكرمها إكراماً زائداً ، كما اهتم بإعداد هدية فاخرة للإمبراطور فيها من تحف الهند ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر ، والعجم الشيء الكثير[1] .

ثم توالت السفارات وتبادل الهدايا بين الملكين ، وكان كلٌّ منهما مدفوعاً في ذلك بما يهدد مملكته من مشاكل وأخطار داخلية وخارجية ، فضلاً عن التوافق في الميول والطباع بينهما ، وميل كلٍّ منهما للمسالمة هو ما انتهى بمجيء الإمبراطور فردريك الثاني إلى عكا سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م) ، وكانت الحملة الصليبية السادسة والتي كانت أشبه بحملة تفاوضية دبلوماسية لم يكن لها نظير في تاريخ الحملات الصليبية ؛ حيث انتهت بتسليم بيت المقدس إلى فردريك الثاني مع موجة غضب عارمة من المسلمين والصليبيين في بلاد الشام على حدٍّ سواء[2] .

وعلى الرغم من أنَّ هذه الاتفاقية ؛ أثارت الكثير من السخط وعدم الرضا حتى إن فردريك أصبح ملعوناً من البابا محروماً من الكنيسة ، إلا أنها عادت عليه بنتائج علمية جديرة بالذكر كالتالي :

١ - وطدت هذه السفارة وما نتج عنها من مفاوضات ، وما أحدثته من اتفاقيات ، العلاقة بين الإمبراطور فردريك الثاني والملك الكامل ، حيث إن العلاقة الودية بينهما لم تنته بانتهائها ، بل إنَّ السفارات قد استمرت بينهما مصحوبة

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢٤١/٤ ؛ المقريزي : السلوك ، ٣٤٥/١ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢٤١/٤ ؛ المقريزي : السلوك ، ٣٥١/١ ؛ عاشور : الحركة الصليبية ، ٩٥٧/٢ .

بتبادل الهدايا ، والمعارف العلمية ، ومن أمثلة ذلك تلك المسائل[1] الهندسية والرياضية والفلسفية التي أرسلها فردريك إلى علماء الشرق والغرب ، وأرسل منها نسخة إلى الملك الكامل يناشد إيجاد حل لها ، ولا نعلم ما الهدف لفردريك من وراء ذلك ، ولعله أراد أن يختبر بها معرفة المسلمين ، أو أنه أراد إجابة لها ، وقد أجاب عن أسئلته عددٌ من علماء المشرق والمغرب ، كان منهم : العالم علم الدين قيصر (٦٤٩هـ/١٢٥١م) ، الذي برزت شهرته في مجال العلوم الرياضية والفلكية ، الأمر الذي جعل الملك الكامل يعرض الأسئلة التي بعث بها فردريك عليه ، فاستطاع الإجابة عنها[2] .

وكان علم الدين قيصر قبل ذلك قد صنع للملك الكامل كرة نحاسية للمنظومة الفلكية ، صور عليها أبراج السماء ونجومها ، وقد أتم صناعتها سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) ، ولم تذكر المصادر شيئاً عن هذه الكرة ، إلا أنها محفوظة في متحف بورجينا في مدينة فيللتري بإيطاليا ، استناداً على النقش الذي كتب عليها ، يقرأ : «برسم خزانة مولانا السلطان الكامل الملك العالم العادل ناصر الدين والدنيا محمد بن أبي بكر بن أيوب» ، مما جعل المستشرق بول كازانوفا ، يرجح أنها كانت من بين الهدايا التي أرسلها الكامل إلى الإمبراطور فردريك الثاني[3] .

٢ - من المعروف ، أن مبعوث سفارة الملك الكامل إلى فردريك هو : فخر الدين بن يوسف حموية ، الذي كان من العلماء المبرزين في علم الكلام والفلك والبيزة ، وقد استفاد فردريك من علمه وثقافته خلال إقامته في صقلية ، أو خلال لقائهما ثانية في الشرق أثناء لقاء فردريك الثاني بالملك الكامل في فلسطين عام (٦٢٧هـ/١٢٢٩م) ، لاسيما علم البيزة أو الصقور حيث يذكر أن فردريك ألَّف

---

(١) عرفت هذه المسائل في المصادر بـ«المسائل الصقلية» . انظر لمزيد من التفاصيل عنها : ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٤٢ ؛ المقريزي : السلوك ، ١/٣٥٤ ؛ العيني : الجمان ، ٤/١٩٦ ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٧٣-٦٧٤ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٤٢ ؛ المقريزي : السلوك ، ١/٣٥٤ .

(٣) السيد أحمد دراج : أعلام الإسلام ، علم الدين وآثاره الحضارية في أوروبا ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، مج٦٣ ، ع٢ ، ٢٠٠٢م ، ١٩-٢٤ .

كتاباً في تدريب الصقور معتمداً على مؤلفات ومعارف عربية في تأليفه[١] .

٣ – فتحت هذه السفارات المجال لنقل المؤلفات العلمية بين الطرفين ، كما أنها أسفرت عن تبادل الهدايا مع بقية علماء المشرق ، فقد استقبل فردريك وفداً عربياً من دمشق أهدى إليه جهازاً قيماً لرصد الكواكب وحركاتها[٢] .



(١) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٤٢٦ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ص٩٦-٩٧ .

(٢) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٤٥٢ ؛ الخربوطلي : العرب في أوروبا ، ص٨٩ .

٣ - سفارة الملك الظاهر بيبرس (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م)[١] إلى الإمبراطور مانفريد (manferd)[٢] :

ذكرت هذه السفارة بشيء من الإسهاب لدى المؤرخ محمد بن واصل[٣] في كتابه : «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب» ، ذلك لأن ابن واصل كان هو السفير الذي اختاره الملك الظاهر بيبرس ليقوم بهذه المهمة إلى مانفريد[٤] .

وسبب السفارة هذه هو الطلب من الملك الصقلي حماية المسلمين الموجودين في «لوشيرة» (lucera)[٥] ، بعد أن تواترت الأنباء بأن الفرنج قد أحدثوا فيهم مذبحة عظيمة راح ضحيتها ثلاثة آلاف مسلم ، فما كان من الملك الظاهر إلا أن أرسل هذه السفارة طالباً من هذا الملك حماية المسلمين ، أو تركهم ليهاجروا إلى بلاد الإسلام ، وإلا فسيقتل جميع من بدياره من الفرنج وطوائف النصارى[٦] .

وقد حُمِّلت السفارة الإسلامية المتجهة إلى صقلية بغرائب الهدايا الثمينة ، كان

---

(١) الظاهر بيبرس : ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري ، من سلاطين المماليك بمصر والشام ، شركسي الأصل ، كان من مماليك المنصور قلاوون ، حكم سنة ٧٠٨هـ ، ولقب بالمظفر ، كانت مدة سلطنته عشرة أشهر . انظر : ابن شداد : عز الدين محمد بن علي ، (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) : تاريخ الملك الظاهر ، تحقيق : أحمد حطيط ، دار النشر فرانسنت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ؛ المقريزي : السلوك ، ١/٥٢٠ .

(٢) مانفريد : الإمبراطور الصقلي الذي حكم بعد فردريك الثاني ، ويعتبر الابن غير الشرعي لهذا الملك ، حكم من سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م إلى ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) . اماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٦٢٩ .

(٣) محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) ، مؤرخ عالم ، مولده ووفاته في حماة ، الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١/١٦٦ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٤/٢٤٨ .

(٥) لوشيرة : مدينة في بلاد الروم في البر الكبير ، كان فردريك الثاني قد نقل إليها من بقي من مسلمي صقلية وهجرهم إليها ، ثم أجلوا عنها نهائياً بعد ذلك وأصبحت المدينة أوروبية ، وهي اليوم مدينة تقع جنوب إيطاليا . الحميري : الروض المعطار ، ٥١٤ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/٢٦٤ .

(٦) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص٣٠٨ .

من جملتها زرافة ، وكتاب «القضاة التسعة» في علم الفلك ، كما أن رئيس هذه السفارة «ابن واصل» كان من عظماء علماء الفقه ، والمنطق ، والرياضيات ، والهندسة ، وخلال مقامه في ضيافة الملك الصقلي أَلَّف له رسالة في المنطق أسماها «الرسالة الأنبرورية» ، نسبة إلى الملك مانفريد ، أي : الإمبراطورية ، وتسمى هذه الرسالة «نخبة الفكر»(١) .

وقد تحدث ابن واصل عن وصوله إلى بلاط الملك مانفريد سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م) ، واستقبال الملك له بالحفاوة والترحاب ، وروى أنه تبادل الحديث أكثر من مرة مع هذا الملك في شتى المجالات ، ولمس منه حب العلوم الرياضية والفلكية ، واهتمامه بها ، كما أن «مانفريد» أعجب بابن واصل إعجاباً كبيراً وبثقافته المتنوعة ، وكان يدعوه إلى مجالسه الخاصة حيث كانت تدور المناقشات العلمية المختلفة بين الحاضرين ، ولا بدَّ أن هذا الملك وابن واصل كانا يساهمان في هذه المناقشات بحظ وافر(٢) .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢٤٨/٤-٢٤٩ ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٢٩/٣-٦٣٠ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ص٥٤-٥٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٣٣/٦ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢٤٨/٤ ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٢٩/٣ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ص٥٥ .

ثالثاً : الرحلات

نظراً للمكانة المرموقة التي احتلتها الرحلات ، فقد عرفت منذ زمن بعيد ، وتنوعت بتنوع أسبابها وحوافزها السياسية ، والدينية ، والاقتصادية ، والعلمية ، وإن كانت هذه الرحلات قد بدأت ضيقة ، إلا أنها أخذت تتسع مع مرور الزمن ، حتى جاء الإسلام الذي شهدت الرحلات معه طابعاً حيوياً نشطاً منقطع النظير[١] .

وكان من أهم الأسباب التي دفعت المسلمين إلى الرحلة والتجوال هي حاجة الدولة الإسلامية إلى معرفة الطرق الكبرى التي تصل أقاليمها ، ومن ثم ألفت الكتب في وصف المسالك والممالك ، وقد تبعت الحاجة السياسية حاجة دينية إذ كان الحج إلى مكة فريضة على كل مسلم ، وبجانب ذلك كان التجار يضربون في الأرض براً وبحراً ، فوصلوا إلى أقصى شرق العالم وغربه في رحلات تطول حيناً وتقصر أحياناً أخرى[٢] .

كما أنَّ السفارات لم تكن تفتر بين الدول الإسلامية والدول الأخرى ، وكثيراً ما سجلت هذه السفارات في مؤلفاتهم ، وقد يرحلون حباً للاستطلاع ، وهكذا ساعد الدين والتجارة والسياسة على توسيع مدى الترحال ، كما ساعد أيضاً طلب العلم وحبه على أخذه من مظانه حيثما كان[٣] .

وعند الحديث عن الرحلات ودورها ، كعنصر فعال في حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، نجد أن الرحالة المسلمين لعبوا دوراً كبيراً في تعريف المسلمين بأوروبا وأحوالها ، وتعريف أوروبا أيضاً بالمسلمين وحضارتهم ، وبالتالي فقد كان للأوروبيين أيضاً نصيب في انتقال الفكر الإسلامي إلى الغرب ، حيث شدوا الرحال ذهاباً وإياباً بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ، ولا يفوتنا أن نشير إلى

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٢٣ .

(٢) شوقي ضيف : الرحلات ، ط٤ ، دار المعارف ، ص٩ ؛ نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص١٥ .

(٣) ضيف : الرحلات ، ص٩ .

الـرحلات الدينيـة للنـصارى ، فـرحلات الحـج التـي كانـت تتجـه إلى كاتدرائيـة سانتياغو (saint-jacues de compostelle)[(١)] من أهم عوامل تسهيل التبادل الثقـافي بين الأندلس وجنوب فرنسا ، وهذه الكاتدرائية هي التي يحدثنا عنها المقري في نفح الطيب فيسميها «شانت ياقب» ويقول : إنها كانت «تعتبر أعظم مـشاهد النـصارى الكائنة عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ، وللكعبة المثـل الأعـلى ، فيهـا يحلفـون وإليهـا يحجون من أقصى بلاد رومة وما وراءها»[(٢)] ، هذا بالإضـافة إلى حجهـم إلى كنيـسة القيامة في بلاد المشرق الإسلامي ، وشدهم الرحل لأجـل الوصـول إليهـا[(٣)] وكـل هذه الرحلات لابد أنها أحدثت نوعاً من التفاعل الحـضاري الـذي أدى بـدوره إلى تنشيط حركة الترجمة .

وعلى كل ، فمن أهم الرحلات التي ضربت أروع الأمثلة في نقـل العلـوم مـا يلي :

١ - قـسطنطين الأفريقـي ، (constantinus AFricanus) ، (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م)[(٤)] .

ولد قسطنطين الأفريقي سنة (٤٠٦ أو ٤٠٧هـ/١٠١٥ أو ١٠١٦م) ، بمدينة

---

(١) شنت ياقب : أو شنت ياقوب : كنيسة عظيمة عند النصارى في ثغور ماردة ، وهي مبنيـة عـلى جـسد يعقوب الحواري كما يزعمون ، وكانت عاصمة لمملكة جليقيـة ، وتعـرف اليـوم باسـم سـانتياغودة كومبوسـتيل ، الحمـيري : الـروض المعطـار ، ٣٤٨ ؛ الخونـد : الموسـوعة التاريخيـة الجغرافيـة ، ٣٥٠/١ .

(٢) نفح الطيب ، ٣٩٠/١ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ٤٥٠/٤ .

(٤) انظر مصادر ترجمته كلاً من : هونكة : شمس العرب تسطع على الغـرب ، ص٢٩٣ ؛ مـيلي : العلـم عند العرب ، ص٤٣٢ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١١٠/١ ؛ سويـسي : انتقـال العلـوم العربيـة ، ص١٠٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥١٧ .

M,steinschneider:dei europaischen ubersetzungen aus dem arabischen,٩-١٣, F.wustenfeld: die Ubersetzungen arabischer.

Werke in das lateinische,١٠-١١ , c.jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines aristote ٩٥-٩٦>

قرطاجة[١] (carthage) ، بأفريقية[٢] من أعمال تونس ، ولا تسعفنا المصادر عن نشأته الأولى بهذه المدينة ، أو عن اسمه وديانته ، حيث اختلف المؤرخون في بيان ديانته ، أكان مسلماً أم نصرانياً ، وقد ذهب المؤرخ حسن حسني عبدالوهاب إلى أنه كان نصرانياً ، مستنداً إلى وجود جاليات نصرانية بقرطاج والقيروان (Kairouan)[٣] ، أثبت التاريخ وجودها إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وهذا صحيح فقد كانت بقرطاجة وغيرها من البلدان التونسية جاليات نصرانية كثيرة ، حتى إن الكنيسة بأفريقية أصبحت في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تابعة لأسقف الإسكندرية عوضاً عن البابا بروما ، وأنه يوجد بالمغرب العربي باستثناء الأندلس ، (مائة وخمس وأربعون) أسقفية من الإسكندرية إلى طنجة (Tangiers)[٤] ، من بينها (١٤٠) أسقفية تابعة لقرطاجة[٥] .

---

(١) قرطاجة : وقيل قرطاجنة ، حيث أضيفت النون والتاء المربوطة ، لطيبها ونزهتها ، وهي مدينة قديمة بأفريقية ، بينها وبين تونس اثنى عشر ميلاً ، أي : عشرة كيلو مترات عن العاصمة ، وهي الآن تقع على خليج تونس شرقي العاصمة ، وبها مرفأ تجاري مهم . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٣٦٧ ؛ يحيى شامي : موسوعة المدن العربية والإسلامية ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص١٥٥ .

(٢) أفريقية : اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها إلى قبالة الأندلس ، فتحت في عهد عثمان رضي الله عنه . البكري : أبي عبدالله (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب الممالك والمسالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ص٢١ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ١/٢٧٠ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص٤٧ .

(٣) القيروان : مدينة عظيمة بأفريقية ، مصرت زمن معاوية رضي الله عنه ، وهي عاصمة تونس ، تشتهر بمسجدها الجامع ، وجامعتها . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٤٧٦ ؛ شامي : موسوعة المدن ، ص١٥٦ .

(٤) طنجة : مدينة على ساحل المغرب ، وهي خامس اكبر مدينة في دولة المغرب ، في أقصى الشمال الغربي من البلاد ، وهي مدينة تجارية زراعية . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٤٩ ؛ شامي : موسوعة المدن ، ص٢١٥ .

(٥) الحكيم أحمد بن ميلاد : تاريخ الطب العربي التونسي ، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، تونس ، ١٤٠١هـ ، ٨٣ ؛ الحكيم بن ميلاد : قسطنطين الأفريقي وغيره ممن تولى الترجمة ، ضمن أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب ، إشراف : معهد التراث العلمي العربي ، حلب=

وقد اعتمد عبدالوهاب في كلامه هذا على المؤرخين لباير (lapeyre) ، وبلغران (Pellegrin) ، فقد ذكرا أن قسطنطين من دير كاسينو (cassino)[1] ، وقد ولد بقرطاج سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م) ، وتلقى لغة لاتينية عربية وتولى الكتابة عند روبرت جسكارد (Robert giscard) (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[2] ، ملك صقلية ثم اعتنق النصرانية واستقر بهذا الدير ، وطفق يترجم منتخبات من الكتب العربية ، ولم يقدم لنا هذان الكاتبان أدلة على كلامهما ، ولم يشيرا إلى موردهما ، ويتبعهم في هذا الأمر إدريس صاحب كتاب «بلاد البربر الشرقية في عهد الدولة الزيرية» في حديثه عن الجالية المسيحية في قرطاجة ، ذكر أن قسطنطين الأفريقي يعد أحد أبناء هذه الجالية ، ثم يعود إدريس في صفحة أخرى من الكتاب فيقول : إن قسطنطين الأفريقي عربي ولد سنة (١٠١٥-١٠١٦م) ، وبعد جولة كبيرة بالشرق بصفته تاجراً وطبيباً ، رجع إلى قرطاجة ، ومن هناك إلى بلدة سالرنو ، وهكذا نجد أن هاتين الروايتين تنقصهما الحجة والمرجع[3] .

وقد فند الحكيم أحمد بن ميلاد هذه النظرية القائلة بنصرانية ديانة قسطنطين بقوله : «إن أنصار الفكرة الرامية إلى أن قسطنطين مسيحي تنقصهم الدقة والحجة في أبحاثهم ، أما أنصار العقيدة الإسلامية فهم أكثر بياناً وحجة ، وإليكم ما أمكنني إثباته :

إن أول من أرخ لقسطنطين الراهب بطرس دياكنوس (Piatrus Diacons) ، وهو رجل من القرن السابع عشر ، فقد أثبت أن قسطنطين كان «سرزان»

=

تحرير : خالد ماغوط ، ١٤٠٢هـ ، ٣٧٥ .

(١) دير كاسنو : واحد من أعرق الأديرة في أوروبا ، بدأ بناؤه سنة ٥٢٩هـ ، تحت إشراف القديس بنوا مؤسس الرهبنة البندكتية ، وكان من مراكز تعليم العصور الوسطى ، الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٢٥/٤ .

(٢) روبرت جسكارد : دوق كالابريا وبوليا اشتهر بحملاته الصليبية ضد مسلمي صقلية ، وإخراجهم منها . أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٢٨/٣ ؛ هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٢٩٥ .

(٣) ابن ميلاد : الطب العربي التونسي ، ص٨٣ ؛ ابن ميلاد : قسطنطين الأفريقي ، ص٣٧٥ .

(sarrasin)[1] وهو اسم أطلقه الإيطاليون والفرنسيون على مسلمي شمال أفريقية في القرون الوسطى ، وأخذ عن دياكنوس المؤرخون المتأخرون الذين أعاروا المسألة عناية خاصة أمثال دورانزي (Derenzi) ودار نبور (Derembeng) محافظ المكتبة الوطنية بباريس في غرة هذا القرن.....وألف الألماني استنشيدار (steinscneider) كتاباً خاصاً عن حياة المؤلف سنة (١٨٦٥م) ، ودعم هذه النحلة البربرية الدينية للمستشرق الألماني كارل سدوف (Carl sudhoff) عندما اكتشف وثائق جديدة هامة بقرية ترينتا ديلاكاف (Trinita della cava) في شمال أفريقية مفادها : أن قسطنطين كان على الدين المحمدي ، ...ويذكر كارل سدوف الوثائق الآنفة الذكر أن قسطنطين نزح أول مرة إلى إيطاليا تاجراً ، وهو قادم من صقلية ، وقد سمي في هذه الوثائق بالتاجر ، يدعى قسطنطين الصقلي (constaninsiculus) ، وفي صقلية أصيب بمرض فالتجأ إلى أخ الأمير قزلف (GUSULF) ، وكان طبيباً ، وتولى الترجمة بينهما طبيب آخر قد اصطحبه من صقلية يدعى عباس من قريات (Abbas de ceeriat) ، لأن قسطنطين كان يجهل اللغة الإيطالية ، وأثناء الفحص لاحظ أنه لم يسأل عن القارورة (أي : قارورة البول) ، وأن الطبيب الذي جاء لفحصه قليل الخبرة ، وأن الطب في إيطاليا مقصور على معلومات تطبيقية بسيطة مما أدى بقسطنطين إلى أن يسأل هل توجد بإيطاليا تآليف طبية فأجيب بالنفي...فرجع إلى قرطاج وكان مذهبه آنذاك محمدياً .

---

(١) أصل اللفظ في اللاتيني (saracenus) ، مأخوذ من اليوناني (saraktenos) ، وقد اختلف في تفسيره إلى عدة أقوال : فرأى البعض أنه مشتق من الكلمة العربية ، (shark) ، أي : الشرق ، وقيل من (saraka) ، أي : سرق ، وقيل من : (sawarik) ، أي : قبيلة ، والرأي الرابع انها مأخوذة من (shrkt) ، وتعني شركة ، وهذه الآراء ليس لها ما يؤيدها من الناحية العلمية .

وقيل : السراسنة أناس عاشوا في شمال غرب الجزيرة العربية ، حيث عاش النبط فالاسم كان يطلق على قومٍ بأعيانهم وليس عاماً ، ولعل ما يرجح كفة التفسير الذي يربط اللفظ بالمنطقة أو الإقليم هو أن (enos) ، لفظ يضاف إلى نهاية الكلمة ليشكل الصفات العرقية من الأسماء الجغرافية ، وهناك تفسير آخر يرى أن السراسنة مشتقة من سارة زوجة إبراهيم عليه السلام .انظر : العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٥ ، هامش (٢٠) .

واشتغل بالطب مدة ثلاث سنوات وجمع كتباً عديدة في الطب ، وسافر حاملاً هذا الكنز نحو إيطاليا الجنوبية قاصداً سالرنو (salerno)[١] ، وفي طريقه قامت زوبعة في البحر أصيبت بها بعض المخطوطات بعطب ، وضاع من كتب علي بن عباس المجوسي ما قبل الكتاب الرابع ووصل ما تبقى إلى سالرنو ، واعتنق الدين المسيحي ، ثم حل بدير جبل كسينو واشتغل بالترجمة)[٢] .

ثم يعقب الحكيم أحمد بقوله : «ومن الملاحظ أن قسطنطين اعتنق الدين المسيحي فلا غرابة في ذلك ، وقد كان الأمر معتاداً في ذلك العصر ، ولاسيما إذا أرغم المرء بشأن الأسير ، والرحالة المغربي حسن الوزاني الذي اعتنق المسيحية وسمي ليون الأفريقي (Leons Iafricain)[٣]»[٤] .

وعلى الرغم من سداد هذا الرأي المدعم بالوثائق في إثبات ديانة قسطنطين الأفريقي الإسلامية ؛ إلا أننا لا نستطيع الجزم به لعدة أمور :

١ – اسم قسطنطين يوحي بنصرانية صاحبه ، وإذا كان له اسم آخر قبل تنصره فلم لَمْ تُشِر إليه المراجع والمصادر التي تناولت سيرته مثلما أشارت إلى ليون الأفريقي ، الذي كان يحمل اسم الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، قبل أن يكره على الكفر .

يقول أحد الباحثين : «ليس في التراثيات العربية ذكر لطبيب بهذا الاسم ، لا في تونس ولا في أي بلد إسلامي ، بينما تذكره المصادر اللاتينية والأوروبية بتكرار وتركيز ووضوح على أنه طبيب مسلم من مواطني تونس ، نزح إلى إيطاليا أول مرة بصفته تاجراً قادماً من صقلية وحل ببلدة سالرنو ، وعاد إلى قرطاج

(١) سالرنو : كانت قرية مزدهرة تقع على الشاطئ الجنوبي الغربي من جزيرة إيطاليا بالقرب من مدينة نابولي ، وقد عاصرت عدة حضارات عالمية ، مما جعلها تنمو وتتطور إلى مدينة عظيمة بين مدن الجزيرة ، وهي اليوم مدينة إيطالية تقع على خليج سالرنو بالبحر التيراني . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/ ٣٢١ .

(٢) الطب العربي التونسي ، ص٨٤-٨٥ .

(٣) سيأتي الحديث عنه .

(٤) الطب العربي التونسي ، ص٨٦ .

واشتغل بالطب ثلاث سنوات وجمع عدة كتب في الطب ، وسافر ثانية نحو إيطاليا حاملاً الكتب التي فقد بعضها في البحر ، ووصل بما تبقى إلى سالرنو ، واعتنق الدين المسيحي ثم حل بدير كسينوا واشتغل بالترجمة ، وتسمى باسم قسطنطين ، ولا يذكرون ما هو اسمه قبل تنصره»[١] .

٢ - ما ذكر من أن قسطنطين كان مسلماً طبقاً لما ذكره المؤرخ بيتروس دياكنوس ، من أنَّ قسطنطين كان سرزان ، فهذا ليس دليلاً كافياً على إثبات إسلامه ؛ لأننا لو حققنا في الكلمة (سرزان) أو (سراسن) لوجدنا أنها كانت تطلق على العرب عامة -كعنصر- وليس كديانة ، فقد أتى هذا الاسم من اليونانية واللاتينية القديمة ، وعرف به في القرن الميلادي الأول قبائل عربية شمال غرب الجزيرة العربية ، وصار فيما بعد اسماً عاماً على كل العرب داخل وخارج الحدود الرومانية ، وبعد انتشار الإسلام كان الاسم يحمل في طياته مشاعر الكره والاستخفاف بالمسلمين خاصة أيام الحروب الصليبية ، وبدأ اللفظ في الأفول في أوروبا الغربية في أواخر العصور الوسطى (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، ولكن بقي مستعملاً في أماكن أخرى حتى القرن العشرين[٢] .

٣ - ما السبب الذي جعل قسطنطين يرتد إلى النصرانية؟ أهو الأسر؟ أم أنه ارتدَّ بإرادته ورضاه؟

فإذا كان السبب في ارتداده هو ما لاقاه من عنت الأسر ، فلم رجع مرة أخرى إلى صقلية بعد أن خرج منها حاملاً معه علوم المسلمين لأجل ترجمتها ونقلها للعالم الغربي ، وإذا كان ارتداده هذا طواعية لا كرهاً ، فكيف يعقل عن إنسان عاش أغلب عمره في كنف الدين الإسلامي الحنيف وتثقف بثقافته ؛ إذ إنه دخل صقلية في عهد (GUSULF) ، ويبدو أنه روبرت جسكارد الدوق النورماني الذي حكم سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)[٣] فإذا كان قسطنطين قد وصل صقلية في هذه السنة

(١) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ص١٠٢ .

(٢) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٢٥ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٢٨/٣ ؛ هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٥ ؛ مظهر : حضارة

فيصبح عمره آنذاك -عند أقل تقدير- إحدى وستين سنة ؛ لأنه ولد سنة (٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) ، ولا يعقل لرجل في هذا السن كان مسلماً متمسكاً بعقيدته ، ثم يرجع عنها بمجرد بعده عن مكانها .

وعلى الرغم من أن الحكيم أحمد يذكر أنه لا غرابة في ذلك –أي تنصر قسطنطين- «لأن هذا الأمر معتادٌ خاصة إذا أرغم المرء ؛ وذلك شأن الأسير ، ومثال الرحالة المغربي حسن الوزان الذي اعتنق المسيحية وسمي ليون الأفريقي يشبه مثال قسطنطين الأفريقي»[١] .

إلا أن الأمر يختلف تماماً ؛ ذلك لأن قسطنطين كان في عصر لم يحن بعد فيه الإكراه على الدين والتنصير القسري للمسلمين ، كما حدث في الأندلس ، بخلاف ليون الأفريقي الذي شهد ذروة الحملات الشنيعة ضد المسلمين ، وعاصر محاكم التفتيش وأعمالها الفظيعة إبان القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، أي العصر الذي عاش فيه ليون[٢] .

كما أنَّ ليون الأفريقي قد لَمَّح أنه من أصل إسلامي ، وأنه ابن هذه العقيدة منتمياً لها في عبارات كثيرة من مؤلفاته ، كما أنه عرف عنه وعن غيره من المؤرخين أنه كان يحمل اسمين قبل وبعد تنصره ، وأنه رجع بعد أن فك أسره إلى تونس حيث عاد مسلماً كما كان ، بخلاف قسطنطين الذي لزم الرهبنة في دير كاسينو إلى وفاته[٣] .

٤ - لِمَ نسب قسطنطين المؤلفات الإسلامية التي قام بترجمتها لنفسه ، ولم يشر إلى مؤلفيها الأصليين[٤] ولِمَ لم يلتزم بالأمانة العلمية إن كان منتمياً إلى المسلمين؟

=

الإسلام ، ص٥١٧ .

(١) الطب العربي التونسي ، ص٨٦ .

(٢) الفاسي : الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الأفريقي (ت بعد ٩٥٧هـ/١٥٥٠م) : وصف أفريقيا ، ط٢ ، ترجمة : محمد حجي ، ومحمد الخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٣م ، جزأين ، مقدمة التحقيق ،١/ ٧ .

(٣) نفس المصدر ، ١/ ١٤ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٢ ؛ العقيقي : المستشرقون =

يقول الحكيم ابن ميلاد : «قيل إنه فعل ذلك بإشارة من رئيسه بدير كسينو الأب ديدي (Abbedidie) ، حسب المؤرخ ديا كونيس ، وقد يكون ذلك صحيحاً ، والراجح عندي أن قسطنطين لم يعوزه الذكاء وكان تاجراً في أوله ومتخلقاً بأخلاق التجار ، وكل تاجر يسعى إلى شيءٍ واحد ، ترويج بضاعته والسوق التي يسعى إليها معادية له ، فلما كان يخشى عدم الإقبال عليها وبوارها وضع عليها عنواناً مزيفاً . ألم تكن العداوة شديدة في القرن الحادي عشر بين المسيحيين والمسلمين؟»[١] .

بلى ، لقد كانت العداوة مستمرة منذ زمن بعيد ، ولكنها كانت في الأندلس أكثر منها في أي مكان آخر ، وعلى الرغم من ذلك لم يرد أن أحد المسلمين المنصرين ترجم مؤلفات إسلامية ونسبها لنفسه رغماً عنه ، بل على العكس من ذلك تنسب هذه الترجمات إلى من أرغمه على ترجمتها ليكون هو المستفيد ، مثلما حصل في عهد ألفونسو العاشر الذي استعان بكثير من المترجمين من كل الديانات ، ثم نسب بعض الترجمات على أنها من تأليفه الخاص ، ولم يشر إلى مترجميها[٢] ، أما أنه ينسبها لنفسه لفائدة النصارى ، فلا أظن أن هناك فائدة ستجنى لهم من هذه النسبة ، بل إن هذه النسبة ستحسب للمترجم أياً كان ، وإذا كان قسطنطين يتقن سياسة التجار في ترويج السلعة ، لما نسب التراجم لنفسه إن كان مسلماً ، ولم يتركها بأسماء مؤلفيها المسلمين ، لأن العلة واحدة وهي العقيدة التي تسبب رواج السلعة من بوارها ، أليس هذا موضع شك في أن قسطنطين كان نصرانياً يريد أن يخفي أسماء علماء المسلمين بين طيات ترجماته ليروج لها في السوق النصراني؟ أم أنه كان مسلماً ولكنه لم يتخلق بأخلاق التجار المسلمين ، الذين انتشر الإسلام عن طريقهم في بلاد لم يصلها الفاتحون نتيجة تمسكهم بمبادئ الدين وآدابه ، وتخلقهم بأخلاقه؟[٣] .

١/١١٠ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ص١٠٢ .

(١) الطب العربي التونسي ، ص٨٨ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٨ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٦١ .

(٣) ومما يزيد الأمر ريبة أن : ممن تبنى هذه الفكرة القائلة بإسلام قسطنطين في العصر الحديث اثنين من

هذه مجموعة من التساؤلات المحيرة التي تجعلنا نحجم عن البت في إسلام قسطنطين الأفريقي ، كما أن الافتقار إلى وجود نص عنه وعن حياته من المصادر الإسلامية ، لا يترك لنا أي مجال آخر سوى الاعتماد على التخمين بأحد أمرين :

١ - ربما كان قسطنطين من أهل الذمة «اليهود أو النصارى» ، الذين نشأوا في ظل الدولة الإسلامية ، وتعلم اللغة العربية ، وتثقف بثقافتها ، فلما واتته الفرصة للاتصال بحكام صقلية النورمان ، أراد الاستفادة من علوم المسلمين ومعرفته بها ، فحمل مؤلفاتهم معه للمرة الثانية ، وأكب على ترجمتها إلى اللاتينية ، التي لم يكن متقناً لها إلا بعد أن رحل إلى صقلية ، وأخذ هناك في تعلمها بعد جهد جهيد ، بدليل أن ترجماته وصفت دائماً بركاكة اللغة اللاتينية المنقول إليها ، كما أنه استعان في ترجمتها بمن يحسن اللغتين معاً[(١)] .

إضافة إلى ذلك نجد أن ما نُسب إليه من انتحال الكتب المترجمة دون ذكر مؤلفيها الأصليين ، كان صفة سائدة لدى اليهود والنصارى الذين يقومون بترجمة علوم المسلمين ، فنص الفقيه ابن عبدون –رحمه الله- بالتحذير من ابتياع الكتب الإسلامية من اليهود والنصارى ؛ لأنهم يترجمونها ثم ينسبونها إلى علمائهم[(٢)] ، أكبر دليل على وجود السرقات العلمية في جيلهم آنذاك .

وهذا الأمر الذي حصل في الأندلس لا يستبعد أنه حصل في صقلية لما كان بينهما من الاتصال العلمي وغيره .

٢ - ثمة اعتقاد آخر بأن قسطنطين كان من المسلمين المنصرين في صقلية ، ولكنه خاف على نفسه من الإفصاح عن أصول المؤلفات الإسلامية ، فنسبها لنفسه . تفادياً عن إفشاء سر إسلامه ، ولكن هذا الرأي يبدو مستبعداً ؛ لأنه كما

=

كبار مستشرقي اليهود هما : دار نبور ، واستنشيدار . انظر عنهما كلاً من : العقيقي : المستشرقون ، ١/١٨٥ ، ٢/٣٩٩ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣٨ .

(١) هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٩ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥١٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٢ .

(٢) رسالة القضاء والحسبة ، ص٥٧ .

رأينا قد عاد إلى بلاده تونس ، ثم رحل من جديد إلى صقلية طوع إرادته .

وعلى كل حال فقد كان لارتحال قسطنطين الأفريقي إلى صقلية أثر بالغ الأهمية في الترجمة ونشاطها ، فيعتبر هذا الرجل صاحب باع طويل في إدخال الطب الإسلامي إلى أوروبا بهذه الترجمات المنحولة ، التي تناولت عدداً كبيراً من مؤلفات المسلمين الطبية الهامة في هذا المجال ، والتي اعتبرت عمدة في بابها لتدريس الطب عدة قرون[١] .

أما بقية رحلاته للمشرق : كالهند ، وخراسان ، والعراق ، والشام ، وغيرها[٢] ، فموضع شك عند المحققين ؛ إذ لو كان رحل إلى هذه البلدان كلها لكتب رحلته ولحفظها لنا التاريخ ، أو أشار إليها الإخباريون المسلمون ، أو النصارى[٣] .

٢ - إدلارد أوف باث ، (Adelard of bath) (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م)[٤] :

ولد أدلارد في مدينة باث (bath)[٥] ، ونسب إليها ، وانخرط في سلك

---

(١) مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥١٧ ؛ محمد حمادة : رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكراً ومادة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، جزأين ، ١/٤٤ .

(٢) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٢٩٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ص١٠٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ . F.wustenFeld:die ubersetzungen Arabischer,١١.

(٣) ابن ميلاد : الطب العربي التونسي ، ص٩١ .

(٤) انظر مصادر ترجمته : آربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٢-١٣ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٤-٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١-١١٢ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ص٨-٩ ؛ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ص٣٦٤ ؛ F.wustenFeld:die ubersetzungen Arabisher werke in lateinische,٢٠-٢٢, C.jourdain:recherches critiques sur lage Et lorigine des Traductions latines,٩٧-٩٩ . C.Burnett:ADeLard of bath ,cambridg,April,٢٠١٠,.Haskins:studies in the history of mediaeval science,٢٠-٢٤

(٥) باث : مدينة في انجلترا على بعد نحو ١٦ كم جنوب غربي بريستول ، اسمها عائد للحمامات الرومانية المبنية هناك منذ القرن الميلادي الأول ، وقد بناها الرومان فور اكتشافهم ينابيع معدنية في المنطقة . لا تزال مركزاً سياحياً مهماً بسبب هذه المياه والآثار الرومانية . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٥/١٩٤ .

الرهبانية البندكتية ، وأقام عهداً من شبابه في نورماندي (normandie)[١] ، وقد قـام برحلات واسعة شملت : ألمانيا ، وفرنسا ، والأندلس ، التي دخلهـا عـبر جليقيـة (Galicia)[٢] ، فزار بها طليطلة ، وسرقسطة (Zaragoza)[٣] متعلما ومترجمـاً ، وأقـام بصقلية مدة بعد أن عبرها عن طريق سالرنو ، ثم اتجه إلى المشرق الإسـلامي مـروراً بمصر ، فزار بلاد الشام ، حيث نجـده في طرطـوس(tartous)[٤] ، وبيـت المقـدس الذي بقي فيه ردحاً من الزمن ، كما أنه زار بلاد اليونان[٥] .

وعند عودته إلى انجلترا عين معلماً للأمير الذي أصبح فـيما بعـد الملـك هنـري الثاني(Henry II)[٦] ، وقد استفاد أدلارد من أسفاره المتعددة التي زار خلالها مراكـز العلـم والثقافـة الإسـلامية ، فـتعلم اللغـة العربيـة ، وجمـع عـدداً مـن المؤلفـات

---

(١) نورماندي : مقاطعة فرنسية في الشمال الغربي من البلاد ، واتخذت اسمها من ق٩م ، عندما خـضعت للغزاة النورمان . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٩٢/١٣ .

(٢) جليقية : أو غاليسيا : هي بلد الجلالقة ونسبت إليهم ، وهي تلي الغرب من الأطلسيوكانت قاعـدتها مدينة أقش ، وهـي اليـوم منطقـة تقـع شـمال إسـبانيا . البكـري : جغرافيـة الأنـدلس ، ٧١-٨٠ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ١٦٩ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٠٥/١ .

(٣) سرقسطة : مدينة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ، وهي في ثغر شرق الأنـدلس ، وهـي اليـوم مدينة إسبانية . ابن الشباط : وصف الأندلس ، ٢٤ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ٢٤٠/٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٠٥/١ .

(٤) طرطوس : بلد بالشام مشرفة على ساحل البحر المتوسط ، وهي مدينة سورية قرب الحدود اللبنانية ، وتشتهر بمينائها البحري . ياقوت : معجـم البلـدان ، ٣٣/٤ ؛ شـامي : موسـوعة المـدن العربيـة ، ص٦٢ .

(٥) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٢ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١١/١ ؛ بدوي : دور العرب ، ٨ .

F.wustenFeld:die ubersetzunen Arabisher werke in lateinische,٢٠,

C.jourdain:recherches critiques sur lage Et lorigine des Traductions latines,٩٧.Haskins,studies in the history of mediaeval science,٤٢.

(٦) هنري الثاني : ابن وليم الفاتح ملك انجلترا الشهير ، ولد سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م) ، وكثـر خروجـه على الكنيسة مما جعل البابا يصدر ضده قرار الحرمان . ديورانت : قصة الحضارة ، ١٩١/١٥ .

الإسلامية ، وقام بترجمة الكثير منها في هذه المراكز ، ثم أخذ في التأليف عليها[١] .

ويعتبر هذا الرحالة من دون منازع أول انجليزي تعلم اللغة العربية ، وذلك من خلال رحلته التي استغرقت سبع سنوات ، وقد أعجب بالثقافة الإسلامية أشد إعجاب ، وعبَّر عن إعجابه هذا من خلال مؤلفاته التي تناول في أحدها محاورة بينه وبين ابن أخيه الذي لم يسعفه الحظ في الارتحال إلى بلاد المسلمين وأخذ العلم عنهم[٢] .



(١) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ص٣٦٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٨ .

F.wustenFeld:die ubersetzungen Arabisher werke in lateinche,١٢-٢٢

(٢) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٢ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ .

C.Burnett:Adelard of bath conversations with his nepnew, Haskins:studies in the history of mediaeval,٢٧

٣ - إبـــراهيم بـــن عـــزرا : (Abraham ibn Ezra) (ت حـــوالي٥٦٠هـــ /١١٦٤م)[١] :

ولد إبراهيم بن عـزرا في تطيلـة (Tudela)[٢] في سـنة اختلـف في تحديـدها[٣] ، ونشأ نشأة غامضة نجهل الكثير من تفاصيلها ، وكل ما نعرفه أنه كان دائـم التنقـل مع أسرته بين المـدن الأندلـسية بحثـاً عـن لقمـة العـيش في أجـواء يـسودها الفقـر والعوز ، فدخل لوسـيانه (Ossianh)[٤] وقرطبـة ، ويبـدو أن جميـع معارفـه الأولى تشكلت في هاتين المدينتين ، فلوسيانة كانت مدينة العلوم اليهودية على اختلافهـا ، وقرطبة كانت مدينة العلوم الإسلامية بشتى أنواعها[٥] .

ولا شك أنه تتلمذ في هاتين المدينتين على يد كبـار علـماء اليهـود والمـسلمين ، وهذا ما ستفصح عنه آثاره العلمية فيما بعد ، وقـد كـان ابـن عـزرا مولعـاً بالتنقـل والترحال في هذه الفترة المتقدمة من عمـره ، ولعلـه كـان يتتبـع آثـار كبـار العلـماء والشعراء ، فقـد رحـل مـن الأنـدلس إلى أفريقيـا ، وتحديـداً إلى قـابس(gabes)[٦]

---

(١) انظر عن ترجمته : لويس : تـاريخ اهـتمام الإنجليـز بـالعلوم العربيـة ، ص٥-٦ ؛ ديورانـت : قـصة الحضارة ، ١٤/١٠٠ ؛ أحمد شحلان : التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي ، ط١ ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، ٢٠٠٦م ، ٢٤٣-٢٥٠ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ، ص١٠٧ .

(٢) تطيلة : بلد في الأندلس شمال غربي سرقسطة ، اتخـذها عبـدالرحمن النـاصر قاعـدة لتسيير الجيـوش الإسلامية إلى الشمال الأندلسي . البكري : جغرافية الأندلس وأوروبـا ، ٩٠ ؛ الحمـيري : الـروض المعطار ، ١٣٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/٣٠٤ .

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد ولادته ما بين (٤٨٢-٤٨٣هــ/١٠٨٩-١٠٩٠م) ، انظـر : شـحلان : التراث العـبري ، ص٢٤٣ ؛ ديورانـت : قـصة الحـضارة ، ١٤/١٠٠ ؛ سويـسي : انتقـال العلـوم العربية ، ص١٠٧ .

(٤) لوسيانه : بلدة تقع شرق قرطبة ، وغرب غرناطة ، عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٦١ .

(٥) شحلان : التراث العبري اليهودي ، ص٢٤٣ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٤/١٠٠ .

(٦) قابس : مدينة بين طرابلس وسفاقس على ساحل خليج قابس ، وتـسمى بوابـة البحـر والـصحراء ، وهـي مدينـة تونـسية . يـاقوت : معجـم البلـدان ، ٤/٣٢٨ ؛ شـامي : موسـوعة المـدن العربيـة ، ص١٥٣ .

فالجزائر فالمغرب الذي توجه فيه إلى سجلماسة[١] ، حيث علماء التوراة والتصوف اليهودي ، ويشاع أنه ساح في رحلته إلى أفريقيا صحبة صديقه يهودا اللاوي (Judah Halvy) (ت٥٣٦هـ/١١٤١م)[٢] ، الذي توطدت به صداقته في قرطبة ، ومعلوم أن يهودا هذا هو الذي سيلقب فيما بعد بأمير الشعراء اليهود في الأندلس ، وصحبته ليهودا اللاوي تفصح أيضاً عن نبوغه في الشعر العبري الذي نظمه على مقتضى القصيدة العربية ، بناءً ومواضيع ومعاني ، وأكثر من نظمه حتى سمى نفسه إبراهيم الشاعر[٣] .

كان ابن عزرا شاعراً ، ونحوياً ، وفلكياً ، ومنجماً ، وطبيباً ، وفيلسوفاً ، وأخيراً علماً من أعلام التفسير التوراتي ، الذي سيؤثر بنظراته التوراتية النقدية في المدارس الأوروبية الكبرى ، وقد ظلت معارفه دفينة صدره خلال خمسين سنة من حياته في الأندلس والشمال الأفريقي والشرق الذي رحل إليه لأسباب غير معروفة ، وإن كانت الكتابات اليهودية ترجعها إلى وصول الموحدين[٤] ديار الأندلس ، اعتماداً إلى إشارات غير واضحة وردت في شعره[٥] ، ولعله انتقل إلى مصر فبغداد ثم فلسطين ، ونعتقد : أن رحلته هذه كانت بحثاً عن المعارف بالدرجة الأولى ، ولم يستقر به المقام في المشرق ، فحط رحاله في روما سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) ، ثم اضطر إلى مغادرتها واتجه إلى لوكا (Lucca)[٦] القريبة من

---

(١) سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب ، في طرف بلاد السودان . ياقوت : معجم البلدان ، ٢١٧/٣ .

(٢) يهودا اللاوي : يكنى بأبي حسن ، طبيب وشاعر يهودي ، محمد بلغيث : دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار السوبر ، الجزائر ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ١١ ؛ عبدالوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ٤٢٦/٣ .

(٣) شحلان : التراث العبري اليهودي ، ص٢٤٣ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٠٠/١٤ .

(٤) الموحدون : تنسب هذه الدولة إلى محمد بن تومرت البربري ، ينتمي إلى قبيلة مصمودة ، وقد بدأ دعوته سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) واستمرت دولتهم في التوسع ببلاد الشمال الأفريقي والأندلس حتى سقطت سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) . ابن خلدون : العبر ، ١٦٦٨ وما بعدها .

(٥) انريكي غوزالبيس كرافيوهو : ملاحظات حول تاريخ اليهود في سبتة ، من القرن xi إلى القرن xvI ، ط١ ، تعريب : محمد الشريف ، دار أبي رقراق ، الرباط ، ٢٠٠٧م ، ٥٠ .

(٦) لوكا : مدينة إيطالية في الجزء الشمالي الغربي من وسط إيطاليا ، ضمن إقليم توسكانا . الخوند=

بيزا (Pisa)[١] ، شمال إيطاليا ، ثم رحل إلى فيرونا (Verona)[٢] ، ومن هذه المدينة ودع إيطاليا ليحط ركابه سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) في فرنسا ، فزار نربون (Narbonne)[٣] ، وباريس ، وروون (Rouen)[٤] ، ثم اتجه إلى لندن سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) ، وظل يدرس بها حقبة من الزمن ، وفي سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) يظهر ابن عزرا في نربون الفرنسية ثانية ، ومن ثم تنقطع أخباره ، ولعله توفي في طريق عودته إلى إسبانيا ، وقد ورد في مخطوط في المكتبة الوطنية بفينا أنه : «في يوم الإثنين من شهر آذار الثاني سنة أربعة آلاف وتسعمائة وسبع وعشرين [وأربع وعشرين للخليقة] «١١٦٤م» توفي ابن عزره ، وهو ابن خمسة وسبعين عاماً»[٥] .

وكل ما يهمنا في رحلة ابن عزرا التي استمرت خمساً وعشرين سنة ، هو أن صاحبها يعتبر من أوائل من ساهم في نقل العلوم إلى الغرب ، فهو أول من نقل علم اللغة العبرية ونحوها بعد أن اشتد عوده إلى يهود الغرب ، كما أنه ساهم في نقل العلوم العربية الإسلامية إلى أوروبا ، فتعرف الغرب عن طريقه على كتب الحساب والهندسة والفلك والرياضيات ، أما في مجال الأدب فقد انتقلت عن طريقه قصة حي ابن يقظان[٦] ، لابن سينا إلى أوروبا منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر =

الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/٣١٨ .

(١) بيزا : مدينة إيطالية في مقاطعة توسكانا ، شهيرة ببرجها المائل ، وكانت مدينة تجارية . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/٣١٧ .

(٢) فيرونا : مدينة إيطالية إلى الشمال الغربي منها ، الموسوعة العربية العالمية ، ٣/٥٢٥ .

(٣) نربون : مدينة فرنسية إلى الجنوب منها ، البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ٥٩ ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/٣٢٧ .

(٤) رون : قاعدة مقاطعة السين ومنطقة النورماندي العليا ، تقع على نهر السين بفرنسا . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٣/٤١٠ .

(٥) شحلان : التراث العبري اليهودي ، ص٢٤٤-٢٤٧ .

(٦) ألف ابن سينا هذه القصة على هيئة القصص الفلسفي الرمزي ، وحي بن يقظان رمز للعقل ، ورفقائه في القصة عبارة عن الشهوات والغرائز والغضب وسائر الملكات الإنسانية ، وقد نشرت بتحقيق : أحمد أمين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

الميلادي ، وذلك بعد أن نظمها شعراً باللغة العبرية[١] .

٤ - الشريف : محمد بن محمد بن عبدالله الإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م)[٢] :

ولد الإدريسي سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م) ، بمدينة سبتة (Ceuta)[٣] المغربية ، ولا يعلم شيء عن أحواله في تلك المدينة ، ولا عن نشأته فيها ، ولا عن الشيوخ الذين تلقى عنهم ، ولكن المعروف أنه رحل إلى قرطبة وتلقى العلم فيها حيث كانت من أكبر مراكز العلم آنذاك ، وقد أتاح له مقامه بقرطبة أن يجعل منها نقطة انطلاق لجولات كثيرة في الأندلس ، كما أتاحت له إقامته في سبتة أن يجعل منها منطلقاً لرحلاته إلى بلاد المغرب التي يصفها وصف الخبير ، ثم ينطلق في رحلاته الواسعة التي بدأها منذ سن مبكرة وهو في السادسة عشرة من عمره -لتشمل بلاد الشمال الأفريقي ، ومصر ، وبلاد الشام ، والحجاز حيث مكة المكرمة التي دخلها لأداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام ، ثم واصل رحلاته إلى آسيا الصغرى ، وبلاد اليونان التي دخلها سنة (٥١١هـ/١١١٧م)[٤] .

ومن المؤكد أن هذه الرحلات أكسبت الإدريسي معرفة بأحوال البلاد وإحاطة بأهلها ، مما جعل الملك روجر الثاني يدعوه ضيفاً إلى بلاطه في صقلية ، وقد لبى

---

(١) شحلان : التراث العبري اليهودي ، ص٢٥٠ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ص١٠٧ .

(٢) انظر مصادر ومراجع ترجمته : الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١/١٣٨ ؛ خليفة : كشف الظنون ، ٢/١٩٤٧ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٧/٢٤ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٣٠٣-٣٢٦ ؛ عمر كحالة : معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١١/٢٣٦ .

(٣) سبتة : مدينة مغربية تقع مقابل مضيق جبل طارق ، على ساحل البحر المتوسط ، وهي محتلة من قبل إسبانيا . الحميري : الروض المعطار ، ٣٠٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/٣٠٥ .

(٤) زكي حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ٥١ ؛ أحمد رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان للطباعة ، ١٦١ ؛ محمد حسن : الشريف الإدريسي أشهر جغرافيي العرب ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١م ، ٩-١٠ ؛ عبدالهادي التازي : رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، جزأين ، ١/٦٣ .

الإدريسي دعوته فدخل مدينة بلرم عاصمة صقلية سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨هـ) ، وعهد إليه هذا الملك أن يؤلف له كتاباً شاملاً في وصف مملكته وسائر الآفاق المعروفة في ذلك العهد ، وقد وضع الملك روجر الثاني تحت إشراف الإدريسي مجموعة من المستكشفين بزيارة البلدان النائية لاستطلاع أوصافها وتحقيق مواقعها ، كما وضع تحت تصرفه أربعمائة رطل من الفضة الخاصة ليصنع له كرة يرسم عليها المصورون مواقع البلدان وأسماءها[١] .

وقد ظل الإدريسي في تأليفه لهذا الكتاب خمس عشرة سنة ، فأتمه سنة (٥٤٨هـ/١١٥٤م) ، أي قبل وفاة روجر الثاني ، وأسماه : بـ«نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»[٢] ، إلا أنه ظل ينسب لفترة طويلة لروجر الثاني ، فيقال : الكتاب الرجاري[٣] .

واستعان الإدريسي في كتابة مؤلفاته الجغرافية الواسعة بما أفاده من رحلاته هذه إلى المشرق وأوروبا ، وبما جمعه من الرواد الذين أوفدهم الملك روجر إلى البلاد النائية والأقاليم المختلفة ، وبما قيَّده من أحاديث الرحالة ورواياتهم وقصص التجار والحجاج الذين التقى بهم في السفن أو في القوافل البرية ، إلى جانب ما استطاع الحصول عليه من بيانات عن البلاد النصرانية وهو في ضيافة هذا الملك ، والواقع أنه بهذه البيانات امتاز على سائر الجغرافيين المسلمين ، فإن من سبقه منهم لم يستطع الكتابة عن أوروبا في شيءٍ من الدقة ، ولم يظفر بمشاهدات أولئك الرواد الذين أوفدهم الملك حتى إلى أقصى الأطراف مثل إسكندناوة[٤] ، أما الذين خلفوه فقد عمد معظمهم إلى نقل ما كتبه هو في هذا الصدد[٥] .

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١/٦-٧ .

(٢) نفس المصدر ، ١/٧ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٦٤٦ .

(٤) إسكندناوة : أو إسكنديناڤيا ، وهو اسم يطلق عادة على شبه جزيرة النرويج والسويد ، ولكنه يشير في الواقع إلى الدول التي يعيش فيها الشعب الإسكندنافي ، والتي تمثل الدنمارك والنرويج والسويد . الموسوعة العربية العالمية ، ٢/٢٨ .

(٥) حسن : الرحالة المسلمون ، ص٦٥-٦٦ ؛ رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ، ص١٦٣ .

وقد يمتاز كتاب الإدريسي بغزارة مادته في جغرافية المغرب وصقلية ، مما يشهد بأنه ساح في الآفاق ، أما فيما يخص الشرق فقد نقل كثيراً عمن سبقه من المؤرخين ، ومع ذلك كله فإن ما كتبه عن مصر ، والشام ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، والأراضي المطلة على البحر الأدرياتيكي[١] يشهد بأنه أفاد كثيراً من سياحاته الخاصة ، أو سياحات غيره من الرواد ، وكتب الإدريسي كثيراً في الغوص عن اللؤلؤ فأحسن عرض هذا الموضوع وألمَّ بأطرافه[٢] .

وجديرٌ بالذكر أن رحلة الإدريسي التي صورها من خلال مؤلفاته الجغرافية قد أفادت أوروبا فائدة عظيمة ، وأكبر الظن أنها وصلت إلى الغرب منذ وقت مبكر ؛ إذ إن أول طبعة لكتاب نزهة المشتاق ، كانت في روما سنة (١٠٠١هـ/١٥٩٢م) ، ثم ترجمت إلى اللاتينية بعد ذلك ، فنشرت سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م)[٣] .

(١) البحر الأدرياتيكي : بحر يتفرع من المتوسط بين إيطاليا والبلقان ، يصب فيه نهر البو . دعاه جغرافيو المسلمين ببحر «أدرياس» . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣١٣/٤ .

(٢) حسن : الرحالة المسلمون ، ص٦٦ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٣١٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٣٩١ .

٥ - ليونـــاردو فيبوناتـــشي ، (Leonardo Fibonacci) ، (ت حـــوالي ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)[1] :

ولد ليوناردو في بيزا حوالي سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) ، ونشأ بها ، وكانت بيزا آنذاك تعج بأجناس مختلفة من الشعوب ، إضـافة إلى موقعهـا الاسـتراتيجي الـذي أكسبها شهرة تجارية عالميَّة ، فكانت حلقة الاتصال بـين تجارة الـشرق والغـرب ، فأقامت لها مراكز تجارية على السواحل ، إضافة إلى الفنـادق الممتـدة عـلى سـواحل البحر الأبيض المتوسط ، من القسطنطينية حتـى بجايـة (Bejaia)[2] عـلى الـساحل الأفريقي الجزائري[3] .

وعمل والد ليوناردو ، كرئيس للمركز التجاري البيزي في بجايـة ، ونحـن لا نعرف شيئاً عن اسم عائلته ، وكل ما ذكـره ليونـاردو في مؤلفاتـه هـو اسـم والـده (Fibonacci) ، أي : الطيب ، وقد تربـى ليونـاردو في رعايتـه ، وزاول معـه تعلـم التجارة ، وقد أنس ليونـاردو بالطريقـة الإسـلامية في الحـساب التـي عرفهـا أثنـاء مزاولته التجارة ، فأخذ في تعلم الحساب الإسلامي بصورة أكثر ، فرحـل إلى سـبتة وتـونس ،وتـردد عـلى مكتبـات الإسـكندرية ودمـشق ، ونـاقش كبـار العلـماء في القاهرة ، ودرس كل ما حوته مخطوطات كبار الرياضـيين ، والإغريـق ، والهنـود ، والغرب ، فنبغ في ذلك ، وبعد أن عاد إلى إيطاليا أخـذ في التـأليف ، فـألف كتـاب «الجبر والمقابلة» ، والذي اشتهر باسم : «liber Abaci»[4] ، الذي قدم فيه معلومات الرياضيين المسلمين ، وأبرز مزاياهم على الطريقة الرومانية ، وبذا كان له الفضل في

---

(١) انظر مراجع ترجمته : هونكة : شمس العرب ، ص٨٩-٩٩ ؛ ميلي : العلم عند العـرب ، ص٤٧٩ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغـرب ، ص١١٦ ؛ أمـاري : تـاريخ مسلمي صقلية ، ٣/ ٦٦٤ . Haskins,studies: in the history of mediaeval,٢٤٧.

(٢) بجاية : مدينة جزائرية على ساحل البحر بين تونس والمغرب . ياقوت : معجم البلـدان ، ١/ ٤٠٣ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٨٠ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٧/ ٣٥٩ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ص٨٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٧٩ ؛ سويـسي : انتقـال العلـوم العربية ، ص١٠٨ .

(٤) طبع سنة ١٢٠٢م ، وطبع طبعة جديدة سنة ١٢٢٨م ، ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ .

نشر النظام الإسلامي في الحساب في الغرب إذ إنه كان مستخدماً في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي لدى تجار إيطاليا ، إضافة إلى نظامهم التقليدي .

وقد تنبه إليه الملك فردريك الثاني وضمه إلى خلصائه من العلماء ، فأخذ في تأليف الكتب ، وعلم الغربيين الأرقام العربية والصفر العربي[١] .

٦ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المعروف بـ«ليون الأفريقي» : (Leo Africanus) ، (ت بعد : ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م)[٢] :

ينتسب محمد بن الحسن الوزان إلى أسرة مغربية مسلمة ، عاشت حقباً من الزمن في الفردوس المفقود ، وولد هو بمدينة غرناطة قبيل سقوطها في يد النصارى ، ويختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته ، فيجعلها بعضهم عام (٩١٠هـ/١٤٩٥م) ، وبعضهم (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) ، أخذا من تاريخين وردا في كتاب وصف أفريقيا ، استطرد المؤلف بعدهما في ذكر سنه عن طريق الربط والمقارنة ، ولا يستقيم كلا التقديرين عادة ؛ لأنه يلزم منهما أن الحسن الوزان دخل الحياة العامة عدلاً وسفيراً في سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة ؛ لذلك يرجح ما ذهب إليه غير واحد من أن الوزان ولد حوالي عام (٨٨٨هـ/١٤٨٣م)[٣] ، أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات ، وانتقل مع أسرته صغيراً إلى فاس حيث درس على أعلام القرويين[٤] الكثيرين في العقائد ، والفقه ، والتفسير ، والقراءات ،

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ص٩٠ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ص١٠٨ ؛ زكريا: فضل الحضارة الإسلامية ، ص٣٧٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ص١١٦ .

(٢) انظر عن ترجمته : الفاسي : وصف أفريقيا ، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٨٨-٤٩١ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ٣/٢٩٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٥٣١-٥٣٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٧-٢١٨ ؛ عبدالهادي التازي : جامع القرويين ، المسجد والجامعة بمدينة فاس ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٢م ، ثلاثة أجزاء ، ٢/٥٠٧ ؛ سامي الصقار : كتاب وصف أفريقيا ، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض ، م٨ ، ص٤٣٨-٥١٨ ؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٢٨/٨٨٩٣-٨٨٩٧ .

(٣) الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص٧ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٧ .

(٤) القرويين : جامع مشهور بمدينة فاس أسس سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) ، على يد فاطمة الإدريسية ، ثم

واللغة وغيرها[١] .

وقد أدى هذا النبوغ المبكر للحسن الوزان إلى لفت الأنظار إليه ، فقربه سلطان فاس محمد الوطاسي[٢] المعروف بالبرتغالي إليه ، ونظمه في سلك رجال بلاطه ، وأسند إليه -على حداثة سنه- مهام سياسية خطيرة في ظرف كان المغرب خلاله يشكو علة التقسيم إلى مملكتين شمالية وجنوبية ، وإمارات مستقلة في الجهات النائية ، واحتلال برتغالي إسباني لعدد من الثغور المغربية على البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي[٣] .

هذه المهام السياسية المسندة إلى الحسن الوزان -بالإضافة إلى النشاط الدبلوماسي والتجاري لأسرته- هي التي دفعته إلى القيام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه ، وتسجيل مشاهداته في مذكرات شبه يوميات غدت على ما يظهر أساس كتابه الجغرافي الموسوم بـ«وصف أفريقيا»[٤] ، وقد أشار الوزان إشارات =

ما لبث أن أضحى من كبريات جامعات العالم التي تشد لها الرحال للعلم وطلبه . التازي : جامع القرويين ، ١/٤٦-٤٧ .

(١) الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص٧ ؛ التازي : جامع القرويين ، ٢/٥٠٧ .

(٢) محمد الوطاسي : محمد بن محمد الشيخ بن أبي زكريا ، المعروف بأبي عبدالله البرتقالي ، ثاني ملوك الدولة الوطاسية بفاس ، بويع سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م) واستمر إلى وفاته سنة (٩٣٢هـ/١٥٢٥م) . الناصري : أبوالعباس أحمد بن خالد السلاوي (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م) : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ط١ ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥م ، ٤/١٤٨ .

(٣) الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص٧-٨ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٨٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٧ .

(٤) هذا الكتاب يعد القسم الثالث من كتاب للمؤلف في «الجغرافية العامة» ، وقد ألفه باللغة العربية ، ثم ترجم المؤلف هذا القسم إلى اللغة الإيطالية ، أو اعتمد عليه في إنشاء وصف أفريقيا بالإيطالية إنشاء ، وقد طبع هذا القسم سنة ١٥٥٠م بإيطاليا ، وأعيد طبعه عدة مرات سنة ١٥٥٤م ، و١٥٨٨م ، و١٦٠٦م ، و١٦١٣م ، و١٨٣٠م ، وترجم إلى اللاتينية وطبع بها ، ونقله جان طمبورال (Jeun Temporal) ، إلى الفرنسية عن طبعتي ١٥٥٠ و١٥٥٤م الإيطاليتين ، وصدره بمقدمة وجيزة ، وطبعه سنة ١٥٥٦م ، بمدينة ليون (Lyon) ، ثم تكرر طبعه في أنفريس وليدن وباريس وهولندة ، سنة (١٦٦٥م) ، وأنجلترا سنة (١٦٠٠و١٨٩٦م) ، وطبع بالألمانية عدة طبعات ، وهو في ثلاثة أجزاء =

عابرة إلى رحلات صحب فيها -وهو صغير- أباه إلى إقليم جبال الريف والأطلس المتوسط ، وكان أبوه مكلفاً من قبل السلطان بجمع ضرائب هذه المنطقة ، كما أشار إلى رحلة أخرى طويلة زار أثناءها بلاد مصر والجزيرة العربية والعراق وفارس وأرمينيا والتتار ، قائلاً عنها : «تلك البلاد التي رأيتها وقطعتها في صغري»[١] .

وقد شملت رحلات الوزان التي فصل القول فيها في وصف أفريقيا بلاد المغرب والسودان والشمال الأفريقي ، والحجاز حيث أدى فريضة الحج سنة (٩٢١هـ/١٥١٦م) ، وفي أثناء عودته إلى بلاد المغرب وقع بأيدي القراصنة الإيطاليين فأسروه بالقرب من جزيرة جربة (DJerba)[٢] ، وأخذوه إلى نابولي فلما عرفوا أنه من أهل العلم قدموه هدية إلى البابا ليون العاشر (Leon x)[٣] بروما ، وكان لهذا البابا عناية بعلوم المسلمين ، فأكرمه وأدخله في خاصته وسماه «جان ليون» ، (J.Leon) ، وكان الحسن الوزان يكتبه بـ(يوحنا الأسد الغرناطي ، أو الأفريقي)[٤] .

وقد أشيع عن الحسن الوزان بعد أن أطلق عليه هذا الاسم -ليون- أنه تنصر ، وهذا الأمر لا يستند إلى دليل ، بل هناك ما يرجح استمراره مسلماً وثباته

=

ضخام ، ثم ترجمه إلى العربية د.عبدالرحمن حميدة عام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، وطبع على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وترجمته هذه تعتبر أول ترجمة عربية للكتاب ، ولكنها لا تخلو من الأخطاء ، ثم أعيدت ترجمة الكتاب عن الفرنسية للمرة الثانية ، وقد اضطلع بترجمته كلاً من : محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، من جامعة السوربون ، وطبع بدار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨١م . الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٨ ؛ الفاسي : وصف أفريقيا ، ٣-٤ ، مقدمة التحقيق ، الصقار : كتاب وصف أفريقيا ، ٨/٤٣٩-٤٤٠ .

(١) الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص٨ .

(٢) جزيرة جربة : جزيرة تونسية صغيرة تقع في خليج قابس . الحميري : الروض المعطار ، ١٥٨ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٧/١١٨ .

(٣) ليون العاشر : ولد باسم جوفاني لورينزو دي ميديشي سنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) وتوفي سنة (٩٢٨هـ/١٥٢١م) . ديورانت : قصة الحضارة ، ٢٠/٢٠٧ .

(٤) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٨٩-٤٩٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٨ ؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٢٨/٨٨٩٤ .

على عقيدته طوال السنين الثلاثين التي قضاها أسيراً في إيطاليا . من ذلك[١] :

١ - الصبغة الإسلامية المتجلية في رحلته «وصف أفريقيا» لاسيما عند حديثه عن عادة ، أو عيد ، أو غير ذلك مما يخص المسلمين نسبة إلى نفسه مع جماعة المسلمين قائلاً : «عندنا» ، بينما لم ينسب فيه لنفسه شيئاً مع النصارى بخصوص الطقوس الدينية ولو مرة واحدة ، وإنما عبر بقوله «عندنا هنا في إيطاليا» عن بعض المزروعات وعادات الفلاحين وما إلى ذلك من الأمور الدنيوية العادية .

٢ - اهتمام الوزان بالملامح الإسلامية في المدن والقرى التي زارها ، واعتزازه بالتعرف على حملة الشريعة الإسلامية من فقهاء وقضاة ومفتين[٢] ، ولو أنه يحكي واقعاً حدث قبل انتقاله إلى البيئة النصرانية إذ لو تنصر حقاً لاستنكف عن ذكر ذلك أو استهجنه على الأقل ، وذلك ما لم يقع .

٣ - تأريخه للأحداث في رحلته مدوَّنٌ بالتاريخ الهجري إلا مواضع يسيرة جداً ورد فيها التاريخ الميلادي ، وقد أحصى ماسينيون التواريخ المذكورة في القسم المتعلق بالمغرب الأقصى ، فإذا هي : اثنان وسبعون تاريخاً ، منها : سبعة وستون بالتاريخ الهجري ، وأربعة بالميلادي ، وواحد مؤرخ بسنة طرد اليهود من إسبانيا على طريق التزامن التاريخي .

٤ – تمسك الحسن الوزان باسمه الإسلامي رغم مرور السنين على أسره وتداول اسمه النصراني ، فهو حينما يوقع في نابولي أو روما أحد كتبه يقول : «العبد الفقير إلى الله مؤلفه يوحنا الأسد الغرناطي المدعو قبل الحسن بن محمد الوزان الفاسي» ، وماذا يا ترى يمكن لأسير في مثل ظروفه أن يفعل أكثر من ذلك للتعبير عن حنينه إلى ماضيه الإسلامي ، بل نلاحظ أن نسبة الغرناطي يأتي بعد اسمه النصراني اعتباراً بأن غرناطة أصبحت آنذاك حاضرة نصرانية ، وكأنه أرغم على ذلك أو اصطنعه تستراً وتقية ، في حين أن النسبة القديمة إلى فاس مع اسمه الإسلامي تذكيراً وتشبثاً بالوسط الإسلامي الخالد .

---

(١) انظر جميع هذه الإثباتات ، الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص١١-١٢

(٢) الفاسي : وصف أفريقيا ، ص٢٢٣ ، ٢٢٥ .

وهكذا نجد أن الحسن الوزان قد تظاهر بالتنصر وحمل اسم مالكه وحاميه البابا ليون مكرهاً على ذلك ، وتستراً وعملاً بقوله تعالى : ﴿مَن كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1] .

وقد عاش الحسن الوزان جميع الصعاب التي واجهته بهمة عالية ، فنراه يؤلف أغلب كتبه وهو في الأسر ، ويعقد صلات ودية مع العلماء وهو تحت رعاية البابا ، ويعقد مجالس درسه -بالرغم من غربته ورقه- في اللغة العربية للخاصة من رجال الكنيسة في روما ونابولي ، ولعامة الطلبة في مدرسة بولونيا (Bologna)[2] ، الشهيرة في عصر النهضة الأوروبية ، كما يتمثل فيما كتب من مؤلفات باللغة الإيطالية أو اللاتينية في التاريخ والجغرافيا واللغة ، وتتصل موضوعاتها اتصالاً وثيقاً بالمسلمين وبلادهم ولسانهم[3] .

وكان الحسن الوزان يتقن الإيطالية واللاتينية ، والإسبانية والعبرية الأمر الذي جعله يتأقلم أكثر مع محيطه الذي يعيش فيه ، وقد ترجم رحلته «وصف أفريقيا» إلى اللغة الإيطالية بأمر من البابا يوحنا ، وأتمه عام (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) بمدينة روما[4] ، وقد اعتمد عليه الغرب في التعرف على العالم الإسلامي ، وكان من أوائل الكتب المطبوعة في أوروبا ، وصنَّف ليون أيضاً كتباً أخرى[5] بالعربية

---

(١) سورة النحل ، الآية(١٠٦) .

(٢) بولونيا : من أشهر المدن الإيطالية ، أنشات بها مدرسة ما لبثت أن تحولت إلى جامعة كانت من أعرق الجامعات في أوروبا في عصر النهضة . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٠٤/٤ .

(٣) الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص١٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢١٨/٢ .

(٤) الفاسي : وصف أفريقيا ، ٢٨٤/٢ .

(٥) مؤلفات الوزان صنفان : صنف سلم من الضياع فوصل إلينا كاملاً أو ناقصاً ، وصنف عفى عليه الزمان فلم نعرف عنه غير الاسم ، وما استطرد منه المؤلف عرضاً من إشارات في كتبه التي وصلت إلينا ، ومن مؤلفاته الباقية :

١ - معجم عربي عبري لاتيني ألفه الوزان للطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون ، وانتهى من تأليفه بمدينة بولونيا ، كما ذكر ذلك في آخر الكتاب ، وهذا المعجم لا يزال مخطوطاً بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا .

٢ - كتاب في التراجم باللاتينية عرف فيه بثلاثين شخصية بارزة من فلاسفة المسلمين ، وأطبائهم ؛

والإيطالية .

أما تقلبات الحسن الوزان في إيطاليا : فإنه بعد وفاة البابا ليون العاشر سنة (٩٢٨هـ/١٥٢١م) ، انتقل إلى رعاية الكاردينال جيل دي فيطيرب (Gives de viterbe) ، وكان يعلمه اللغة العربية ، وكان هذا الكاردينال معجباً كثيراً بالحسن الوزان ، ويأمل أن ينشر بواسطته اللغة العربية وآدابها في إيطاليا ليتمكن الأوروبيون من الاطلاع المباشر ، والاستفادة الكاملة من كتب المسلمين في الفلسفة ، والطب ، والفلك ، والكيمياء ، وغيرها ، وقد استدعى الكاردينال جيل في آخر حياته أحد أصدقائه النبلاء من بولونيا وهو جان ألبير ويدمانسطار (j.A. widmanstard) إلى روما ليرى الحسن الوزان ، وكأن الكاردينال كان يريد أن يكل أمر هذا الأسير المسلم العالم إلى ذلك النبيل النصراني ليكفله إذا مات كما فعل هو برحالتنا بعد موت البابا ليون العاشر ، وقبل أن يصل ويدمانسطار إلى روما اختفى منها الحسن الوزان في ظروف غامضة حوالي سنة (٩٥٧هـ/١٥٥٠م)[١] .

ويبدو أن الحسن الوزان قد سئم البعد عن أهله ووطنه ، والعزلة عن ديار الإسلام وعقيدته ، فأخذ يتحين الوقت المناسب للرجوع ، حتى إذا واتته الفرصة التحق بأقرب نقطة إليه في بلاد الإسلام وهي تونس ، حيث عاد إلى حياته الإسلامية الأولى[٢] .

=

انتهى من تأليفه عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م ، ونشر في زوريخ سنة ١٦٦٤م .

٣ - الجغرافيا العامة كتاب ضخم باللغة العربية اطلع عليه بعض مترجميه القدامى إلا أنه ضاع ولم يبق منه غير القسم الثالث الذي ترجمه الحسن الوزان نفسه إلى اللغة الإيطالية أو اعتمد عليه في كتابه «وصف أفريقيا» . أما مؤلفاته المفقودة فيظهر أن بعضها كتبت في بلاد الإسلام ، وبعضها الآخر في إيطاليا منها : مختصر تاريخ الإسلام ، أشعار الأضرحة ، كتاب في الفقه المالكي . انظر : الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص١٢-١٣ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ٢٩٢/٣ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٩١ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢١٨/٢ .

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١٢٤/١ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢١٨/٢ ؛ الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص١٤ .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٩١ ؛ الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق =

وقد كتب وديمانسطار في مقدمة الإنجيل الذي طبعه سنة (٩٦٣هـ/١٥٥٥م) أنه لبى دعوة الكاردينال جيل ، فزار روما وأفريقية ليتصل بيوحنا الأسد الذي كان قد ذهب إلى تونس ورجع إلى الديانة الإسلامية ، لكن محاولة الاتصال هذه لم تكن ذات جدوى .

وهنا يسدل الستار على حياة الحسن الوزان ، فلا ندري هل بقي في تونس أم عاد إلى أهله في فاس ، ولا نستطيع تحديد تاريخ ومكان وفاته إلا أن نقارب ونقول إنه مات بعد عام (٩٥٧هـ/١٥٥٠م)[1] .

٧ - أحمد بن قاسم الحجري الملقب بشهاب الدين ، وبآفوقاي (ت بعد ١٠٥١هـ/١٦٤١م)[2] .

لا تسعفنا المصادر عن شيءٍ من حياة الحجري ، ولا نكاد نجد إلا نتفاً يسيرة عنها من خلال بعض المصادر التي أوردت ذكر اسمه ، والذي عرف بـ : أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه بن الشيخ الحجري الأندلسي ، وقد لقب بـ«شهاب الدين وبآفوقاي» ، وعلى ما يبدو أنه ولد سنة (٩٧٨هـ/١٥٧٠م) اعتماداً على قوله في رحلته بأنه بلغ أربعاً وسبعين سنة حين دونها وكان ذلك عام (١٠٥١هـ /١٦٤١م) ، وكان في صباه على ما يظهر يقطن بالأندلس مع تلك البقية الباقية من =

ص١٤ .

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ص٤٩٠ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٨ ؛ الفاسي : وصف أفريقيا ، مقدمة التحقيق ، ص١٤ .

(٢) للمزيد عن ترجمته : الحجري : أحمد بن قاسم (ت بعد ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) : ناصر الدين على القوم الكافرين ، تحقيق وتقديم وترجمة : شورد كوننكز ، قاسم السامرائي ، خيرارد فيخرز ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي ، ١٩٩٧م ، في أماكن متفرقة من الكتاب ؛ محمد زروق : الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧ ، ط٣ ، مطبعة أفريقيا الشرق ، ١٩٩٨م ، ٢٧٨-٢٧٩ ؛ محمد رزوق : الأنا والآخر في رحلة الشهاب الحجري ، ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون : اكتشاف الآخر المغرب منطلقاً وموئلاً ، مطبعة النجاح الجديد ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٣م ، ٤٧-٥١ ؛ محمد المنوني : ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي ، مجلة دعوة الحق ، ع٣ ، السنة العاشرة ، ١٣٨٦هـ ، ٧٤-٩١ ؛ محمد الفاسي : الرحالة المغاربة وأثارهم ، مجلة دعوة الحق ، ع٣ ، السنة الثانية ، ١٣٧٣هـ ، ١٩-٢٣ .

المسلمين الذين تأخروا بها إلى أيام محاكم التفتيش ، وأكرهـوا عـلى النـصرانية ، أمـا نسبته الحجري فتؤكد علاقته بقرية أحجر الواقعة حوز غرناطـة وهـي التـي يعتقـد البعض أنها محرفة عن قرية الحجر ، ولا يعارض هذا ما صرح به الحجري نفسه مـن أنه كان يسكن إشبيلية -قبل هجرته إلى المغرب- ؛ لأنها كانت من بـين المـدن التـي صـار إليهـا بقايـا الأندلـسيين بإسـبانيا بعـدما طـردوا عـن الـسكنى في غرناطـة ونواحيها[١] .

وقد نجح الحجري بأعجوبة أن يهاجر إلى بـلاد المغـرب فـراراً بدينـه ، وكـان سفره من مرسى «شنتمرية» ، على متن سفينة تحمل القمح للبريجية ،«مدينة الجديدة الحالية في المغرب» ، ومن هذه المدينة فر إلى داخل المغرب الأقـصى ، فـدخل مدينـة آزمور (Azemmour)[٢] واتصل بقائدها الذي كتـب للمنـصور الـذهبي[٣] في شـأنه ورفيقه الذي هاجر معه ، فأجابه بأن يستحضرهما معه في حضوره لعيـد الأضـحى الذي كان قريباً ، وهكذا سار الحجري ورفيقه في صحبة قائد آزمور حتـى وصـلوا إلى محلة سلطان المغرب في سنة يؤرخها الحجري بأنها سـنة وبـاء ، وقـد كـان هـذا الوباء سنة (١٠٠٧هـ/١٥٩٧م) ، ومن هنا نعلـم تـاريخ اتـصاله بالمنـصور وسـنة هجرته للمغرب[٤] .

أما عن حياته بالمغرب فيستفاد من بعض كلامه أنـه اسـتوطن مدينـة مـراكش طيلـة مقامـه بـالمغرب ، وقـد امتـدت هـذه الإقامـة مـن أواخـر سـنة (١٠٠٧هــ

---

(١) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ١٧ ؛ الفاسي : الرحالة المغاربـة وآثـارهم ، ٢١-٢٢ ؛ المنوني : ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي ، ٧٨ .

(٢) آزمور : مدينة مغربية تقع عـلى ضـفة نهـر أم الربيـع . الحمـيري : الـروض المعطـار ، ٥ ؛ الخونـد : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٠/١٧٤ .

(٣) المنصور الذهبي : أحمد بـن محمـد الـشيخ المهـدي بـن القـائم بـأمر الله عبـدالله آل زيـدان الـسعدي (ت١٠١٢هــ/١٦٠٣م) ، رابـع سـلاطين الدولـة الـسعدية ، كـان حازمـاً في ملكـه وسياسـته . الناصري : الاستقصاء ، ٥/١٨٦-١٨٧ .

(٤) الحجري : ناصر الدين على القـوم الكـافرين ، ص٣٧ ، ٤٣ ؛ المنوني : ظـاهرة تعريبيـة في المغـرب السعدي ، ص٧٨-٧٩ .

/١٥٩٧م) حتى سنة (١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) ، وهو يذكر في اعتزاز أنه كان ترجماناً لدى السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي[١] سنين عديدة ، وكان أيضاً كاتبه باللسان العجمي «الإسباني» ، ثم قام بالترجمة لولديه[٢] من بعده .

والحجري يتحدث عن سفارة قام بها إلى فرنسا ، وكانت عن السلطان زيدان فيما يظهر ، وقد زار فيها باريس ، وبوردو(Bordeaux)[٣] ، ولوهافر(Havre)[٤] ، وبعد قضاء مهمته في فرنسا أبحر إلى هولندا ، ودخل أمستردام (Amsterdam)[٥] ، ولايدن (Leiden)[٦] ، ثم ذهب إلى لاهاي (La Haye)[٧] ، واتصل بأميرها ، فطلب منه هذا الأمير أن يفصل له الكلام على طرد الإسبان المسلمين من الأندلس ، فأجابه لطلبه ، وفي كلٍّ من فرنسا وهولندا جرت له مناقشات دينية مع القسيسين والرهبان ، وأحبار اليهود ، وهو في الرد على هؤلاء جميعاً يحتج عليهم بالإنجيل والتوراة ، وقد درس ترجمتيهما في أوروبا لهذه الغاية ، واستعملهما في مناظراته التي يذكر أنه وفق فيها مراراً عديدة[٨] .

---

(١) زيدان بن أحمد : أبوالمعالي ابن السلطان المنصور ، (ت ١٠٣٧هـ/١٦٢٧م) ، تولى بعد والده ، الناصري : الاستقصاء ، ٦/١٣ .

(٢) لا شك انه يقصد بهما : أبا مروان عبدالملك بن زيدان ، وأخاه الوليد بن زيدان ، وقد كانت مبايعة عبدالملك سنة (١٠٣٧هـ/١٦٢٧م) ، ووفاته سنة (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) ، ثم بويع للوليد في نفس التاريخ ، وتوفي سنة (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) ، المنوني : ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي ، ص٧٩ .

(٣) بوردو : مدينة فرنسية ، وهي قاعدة مقاطعة جيروند ومنطقة أكيتان تقع على نهر غارون . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٣/٤٠٩ .

(٤) لوهافر : مدينة تقع في النورماندي ، شمال غرب فرنسا ، وتطل على القناة الإنجليزية بالقرب من السين . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٥/٥٨٣ .

(٥) امستردام : عاصمة هولندا ، وهي العاصمة السياسية للبلاد . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢/٢٢٤ .

(٦) لايدن : مدينة تقع على بعد ٣٥كم جنوب غرب أمستردام بهولندا على نهر الرين . الموسوعة العربية العالمية ، ٢١/٦٠ .

(٧) لاهاي : قاعدة مقاطعة هولندا الجنوبية تبعد عن امستردام ٥٥كم وهي مقر الحكومة الإداري . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٠/٢٢٧ .

(٨) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٥٠-٥١ ، ١٠٥-١٠٦ ؛ محمد المنوني : قبس من عطاء =

أما عن سبب السفارة التي أرسل من أجلها فهو : استرداد ما سلبه اللصوص الأوروبيون من المسلمين الهاربين من إسبانيا إلى المغرب وتونس[١] .

أما عن بقية حياته في المغرب ، فبالإضافة إلى اتصاله بملوك المغرب نجد أنه كانت له علاقة ببعض علمائه ، حيث يذكر أنه أخذ عن عدد من فقهائه وعلمائه في شتى العلوم ، وبعد إقامته الطويلة بالمغرب سافر عنه ميمماً وجهه صوب مكة لأداء فريضة الحج ، وهو يذكر عن سفره هذا أنه جاء من مدينة مراكش إلى قصبة سلا (sale)[٢] ورباطها –على حد تعبيره- وركب البحر هناك فحج وزار قبر رسول الله ﷺ ، ثم عرج في إيابه على مصر ، وممن اتصل به هناك عالمها الشيخ علي الأجهوري (١٠٦٦هـ/١٦٥٦م)[٣] ، الذي أشار عليه بوضع كتاب عن مناظراته مع النصارى واليهود ، ففعل ، وقد فرغ من تأليفه بمصر سنة (١٠٤٧هـ/١٦٣٧م)[٤] .

وهذا التاريخ يفيدنا في تقدير السنة التي رحل فيها الحجري عن المغرب إلى أداء فريضة الحج ، فإذا قدرنا أنه عاد من الحرمين الشريفين إلى مصر إثر فراغه من مناسك الحج والزيارة ، وهذا قد يؤيد حديثه عن رحلته للحج ، حيث لم يذكر أنه جاور بالحرمين الشريفين ، كما لم يذكر أنه أطال المقام بمصر ، وبهذا يقدر أنه سافر عن المغرب للحج في سنة (١٠٤٦هـ/١٦٣٦م)[٥] .

=

المخطوط المغربي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٩م ، ١٠٢٨/٢ ؛ عبدالهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ١٧٦/٨ .

(١) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص٤٤ ؛ رزوق : الأنا والآخر في رحلة الشهاب الحجري ، ص٤٧ .

(٢) سلا : مدينة مغربية عريقة على شاطئ البحر وميناء مهم . الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١٩/١ ؛ الروض المعطار ، ٣١٩ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١٨٣/٢٠ .

(٣) الأجهوري : علي بن محمد بن عبدالرحمن ، أبوالإرشاد ، نور الدين فقيه مالكي ، من العلماء بالحديث ، مولده ووفاته بمصر . الزركلي : الأعلام ، ١٣/٥ .

(٤) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص١٨ ؛ المنوني : ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي ، ص٧٩ .

(٥) المنوني : ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي ، ص٨٠ .

ومن مصر انتقل الحجري إلى تونس ، ثم تنقطع أخباره وهو بتونس وتحديداً سنة (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) ، وبعد هذا لا ندري هل بقي بتونس ، أو انتقل عنها؟ وهل عاد إلى المغرب الأقصى؟ وما هو تاريخ وفاته؟ وأين توفي ودفن؟

كل هذه أسئلة ستظل بدون إجابة ، ما دمنا لم نقف على مصدر أو مصادر جديدة عن حياته ، ورغماً عن هذا كله فإن المعلومات التي أمدتنا بها موضوعات الحجري وعلى رأسها مختصر رحلته «الشهاب إلى لقاء الأحباب» ، وهو مؤلف وضعه -كما ذكرنا- بمصر ، تحدث فيه عن مناظراته مع اليهود والنصارى ، وتطرق فيه إلى رحلاته التي ذكرها في كتابه «رحلة الشهاب» وتناول نشأته وهجرته إلى ديار الإسلام ، ثم رحلته السفارية إلى أوروبا ، ورحلته إلى الحج ، وقد أطلق على مؤلفه هذا اسم«ناصر الدين على القوم الكافرين» .

وأكثر ما يلفت النظر في هذه الرحلة –المتأخر قليلاً في عصر الترجمة- أن الحجري قد صور لنا من خلال مشاهداته في المناطق التي رحل إليها أو مرَّ بها في أوروبا مدى تأثرها بالحضارة الإسلامية ، والعلوم العربية ، فهو يذكر عند دخوله إلى هولندا ويسميها «فلنخس» وتحديداً مدينة ليدن ، عن وجود مدارس لتدريس العلوم بشتى أنواعها ، ووجد بأحدها رجلاً كان يقرأ بالعربية ، وكان يقرئ بها غيره ، أي : أنه يقوم بتدريسها ويأخذ أجراً على ذلك ، كما أن هذا الرجل كان ضليعاً في النحو العربي ، ويملك مكتبة تحوي كتباً كثيرة بالعربية ، ومن جملتها القرآن العزيز[١] .

ويذكر الحجري : أيضاً في موضع آخر من مختصر رحلته عن اطلاع الغرب على ترجمة القرآن الكريم باللغة اللاتينية ، كما أنه يتحدث أنه أتي إليه بكتاب عربي في التصوف بالعربية أيضاً ، قيل إنه وصل إلى هناك من بلاد الهند الشرقية[٢] .

أما في مدينة «باريس» بفرنسا فقد ذكر الحجري أنه من خلال إقامته بها لتأدية سفارة السلطان ، طلب منه أحد النصارى أن يقرأ عليه بعض الكتب العربية فإذا

(١) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ص١٠٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص١٠٧ .

بها تحوي الكتاب العزيز ، والقانون في الطب لابن سينا ، وكتاب إقليدس في الهندسة ، وكتباً في النحو مثل الأجرومية ، والكافية ، وكتاباً آخر بالعربية فيه مناظرات بين مسلم ونصراني في الأديان وغير ذلك من المؤلفات .

هذا بالإضافة إلى وجود كنيسة بهذه المدينة «باريس» ، كانت تحوي مجموعة من الكتب في كل فنٍّ بها عدد كبير من المؤلفات باللغة العربية[١] .

٨ - إدوارد بوكوك (Edward Pocock)(ت١١٠٣هـ/١٦٩١م)[٢] :

نظراً لأهمية الرحلات وما قدمته من دور في تنشيط الترجمة ، فقد استمر تأثيرها إلى وقت متأخر ، ويعتبر إدوارد بوكوك ، المولود سنة (١٠١٣هـ/١٦٠٤م) ، من أبرز من يمثل هذا النوع من الرحالين المتأخرين الذين كان لهم تأثير على عملية الترجمة ونشاطها .

ويعتبر بوكوك صاحب قصب السبق في شغل أول كرسي للغة العربية في جامعة أكسفورد ، وقد درس اللاهوت في نفس الجامعة ، ثم عين قسيساً مساعداً للجالية الإنجليزية في حلب ، مما أتاح له جواً ملائماً للتضلع في العربية وعلومها ، وبعد أن قضى بها خمس سنوات أتقن فيها اللغة العربية كتابة وخطابة ، عاد إلى أكسفورد وبحوزته مجموعة كبيرة من المخطوطات النفيسة ككتاب الأمثال للميداني[٣] ، وغيرها من المخطوطات القيمة والتي وصلت نحو (أربعمائة وعشرين) مخطوطة عربية[٤] .

---

(١) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٥٠-٥١ .

(٢) انظر عن ترجمته : آربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص١٢-١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١-٤٢ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١٧٨-١٨٤؛ الزركلي : الأعلام ، ١/٢٨٢ .

(٣) الميداني : أحمد بن محمد بن أحمد الميداني النيسابوري ، صاحب مجمع الأمثال ، الذي لم يؤلف مثله في موضوعه ، (ت٥١٨هـ/١١٢٤م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١/١٣٠ .

(٤) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١-٤٢ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ص١٧٨؛ الزركلي : الأعلام ، ١/٢٨٢ .

وبعـــد عودتـــه إلى أكـــسفورد تـــولى تعلـــيم العربيـــة بجامعتهـــا ســـنة (١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) ، إلا أن مقامه بها لم يطل حيـث شـدَّ رحالـه ثانيـة في الـسنة التالية إلى الشرق للاستزادة من المخطوطات والعلوم ، ثم توجه إلى الأسـتانة وظـل بهـا إلى سـنة (١٠٥٠هــ/١٦٤٠م) ، ثـم عـاد إلى إنجلـترا ، فـشرع في التـدريس والتأليف وتحقيق الكثير من المخطوطات التي حملها معه من المشرق الإسلامي ، ولم يكتف بذلك بل قام بترجمة البعض من هذه المخطوطات بعد تحقيقها[١] .



(١) أربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بـالعلوم العربيـة ، ١٢-١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١-٤٢ .

المبحث السادس :

الطـــباعـــة ودورهـــا

الطباعة لغة : مأخوذة من الفعل «طبع» ، وطبع الشيء طبعاً وطباعة : صاغه وصوره في صورة ما[١] ، وطبع الكتاب : نقل صورته من الحروف المعدنية المجموعة إلى الورق بوساطة المطبعة ، والطابع : ما يطبع به أو يختم[٢] .

أما في الاصطلاح فتعرف الطباعة بأنها : إنتاج نصٍّ مكتوبٍ ، في عدد متفاوت من النسخ ، بواسطة حروف منقوشة في مادة ، ومتحركة ، وآلة ضاغطة ، وحبر خاص[٣] .

وقبل الحديث عن الطباعة ونشأتها ، نود أن نؤكد على حقيقة تاريخية ، وهي أن فن الطباعة في العالم ما كان له أن يحدث لو لم يسبقه اكتشاف صناعة الورق في بداية القرن الثاني للميلاد ببلاد الصين ، ثم ما لبثت هذه الصناعة أن أصبحت إسلامية خالصة ، بعد فتح المسلمين سمرقند (Samarkand)[٤] ، وتعلمهم إياها ، واحتكارها لمدة سبعة قرون[٥] .

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٤٣٨/٣ .

(٢) المعجم الوسيط ، ص٥٤٩ .

(٣) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٥٥١ ؛ على عبدالله : تاريخ الطباعة بدايتها وتطورها ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة الثالثة والعشرون ، ١٤٢٤هـ ، ص٣٥ .

(٤) سمرقند : مدينة في بلاد ما وراء النهر ، فتحت سنة (٥٥هـ/٦٧٥م) صلحاً ، ثم كان الفتح الإسلامي لها على يد قتيبة بن مسلم سنة (٨٧هـ/٧٠٥م) ، وهي اليوم من مدن دولة أوزبكستان . ياقوت : معجم البلدان ، ٢٧٩/٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤٣/٣ .

(٥) عرفت صناعة الورق عند الصينيين القدماء ، ثم ما لبثت أن أصبحت هذه الصناعة إسلامية بعد فتح المسلمين لسمرقند سنة (٨٧هـ/٧٠٥م) ، فأدخلوا عليها تحسينات جوهرية ، ومن سمرقند ، نقل المسلمون صناعة الورق إلى بغداد ، إذ تمكن الفضل بن يحيى البرمكي والي الرشيد على خراسان من تأسيس أول مصنع له سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م) ، ومن بغداد نقل المسلمون هذه الصناعة إلى بلاد الشام حيث انتشرت مصانعه في دمشق ، وطرابلس وطبريا وغيرها ، كما نقلوها إلى مكة .

ومن الشام نقل المسلمون صناعة الورق إلى مصر والشمال الأفريقي ، حتى وصل إلى بلاد الأندلس←

وعلى الرغم من أن صناعة البردي[١] في مصر سبقت صناعة الورق بقرون عديدة إلا أن شيوعه في العالم اليوناني والروماني ومن ثم الأوروبي مادة للكتابة لم يساعد على اكتشافها إذ كان على الطباعة في أوروبا أن تنتظر قروناً أخرى حتى تنتشر صناعة الورق فيها ؛ ليذهب يوهانس غوتنبرغ (johanns gutenberg) (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م) بشرف اكتشافها ، مع إصرار بعض مؤرخي الطباعة على أن غوتنبرغ تعلم فن الطباعة بالحروف المنفصلة من لونرز يانسون كوستر الهولندي ، الذي طبع كتباً في النحو اللاتيني ، ويرى البعض أنه من المحتمل أن هذه الكتب مما طبع بالقوالب الخشبية ، ومع كل هذا فإن المعروف أن أوروبا كانت تستعمل كثيراً من الورق الإسلامي الذي كان يصدر إليها من بغداد ودمشق عبر القسطنطينية ، ومن شمال أفريقيا عبر صقلية ، ومن الأندلس عبر فرنسا ، حتى تعلمه الأوروبيون منهم ، وإن المعروف أيضا أن أول مصنع للورق في أوروبا أسسه جان مونت جولفيه في جنوب غرب فرنسا سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، وقد شارك مونت جولفيه هذا في الحملة الصليبية الثانية ، ووقع في أسر المسلمين حيث قضى فترة أسره في دمشق ، ولابد أنه اطلع على وسائل صناعة الورق بهذه المدينة فنقلها إلى فرنسا ، وبعد ذلك بقرن أنشئ أول مصنع للورق في إيطاليا سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) ، ولم يحل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، إلا وأصبحت إيطاليا المصدر الرئيسي للورق إلى أنحاء أوروبا كافة ، وبعدها تقلص الطلب على

=

حيث قامت مصانع الورق في مدن بلنسية ، وشاطبة ، وطليطلة ، ومنها انتقلت إلى فرنسا ثم إلى انجلترا ، كما نقل المسلمون هذه الصناعة من الشمال الأفريقي إلى صقلية ، ثم إلى إيطاليا حيث تأسست مصانعه في بادوا وفلورنسا وبولونيا وميلانو والبندقية ، ومن إيطاليا انتقلت صناعته إلى ألمانيا حيث كانت صناعته في مينتر ونورمبورج ، ثم انتقلت إلى هولندا ثم إلى أمريكا عام ١٦٩٠م .
متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٢/٣٦٥ ؛ مظهر : حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، ص٣٨٢-٣٨٦ ؛ خليفة : الكتب والمكتبات ، ١/٤٠ ، ٤٤ .

(١) البردى : نبات مائي من الفصيلة السعدية تنمو ساقه الهوائية إلى نحو متر أو أكثر ، ينمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل ، وصنع منه المصريون القدماء ورق البردي المعروف . المعجم الوسيط ، ١/٤٨ .

الورق المصنوع في العالم الإسلامي تماماً[١] .

والحق أن فن الطباعة لم يكن اكتشافاً أوروبياً ، بل سبقهم إليه الصينيون ، ومن بعدهم المسلمون ، فتعلم الأوربيون منهم هذا الفن في جملة ما تعلموه من المظاهر الفكرية والتقنية الإسلامية . ففي الوقت الذي كانت تطبع فيه الكتب في اليابان وكوريا والصين بواسطة القوالب الخشبية بالحروف المتحركة ، كان إنتاج الكتب في العالم الإسلامي عموماً ، وأوروبا خصوصاً يعتمد على النسخ . وقد كانت هناك بعض المحاولات الطباعية في العالم الإسلامي ، إلا أنه لم يكتب لها النجاح والانتشار عند المسلمين ؛ لعدم اهتمامهم بهذه التقنية الآلية لأسباب ذوقية وحسية تتعلق بجمال الخط العربي ، وليست دينية كما يزعم البعض[٢] .

بل إن المسلمين استخدموا طباعة الكتب بالقوالب الخشبية في المشرق والأندلس في نهاية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي[٣] ويؤيد هذا الكثير من الشواهد التي وردت في بطون كتب التاريخ حول نقود القراطيس التي كانت تطبع بالقوالب الخشبية ، وكانت شائعة في الشام ، وفي بلاد الخطا[٤] .

---

(١) قاسم السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، (ضمن أبحاث ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر) ، ط١ ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ٤٨ ؛ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٣-٤ .

(٢) ادعى توماس كارتر (thomas carter) أن المسلمين رفضوا الطباعة لكتبهم المقدسة بوسائل ميكانيكية لأسباب دينية ، مما أخر انتشار الطباعة وانتقالها إلى أوروبا . السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٤٩ ؛ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص١٧ .

(٣) ويؤيد هذا أيضاً ما تم اكتشافه من الوثائق التي يزيد عددها على خمسين وثيقة من الوثائق العربية المطبوعة على الرق والكاغد وقماش الكتان ، اكتشفت في واحة الفيوم بمصر مع الوثائق البردية المعروفة ببرديات الدوق راينر وهي تعود إلى مابين سنة (٢٥١-٢٨٧هـ/٨٦٥-٩٠٠م) ، توزعت على مكتبات القاهرة وهايدلبرغ وبرلين والمتحف البريطاني وغيرها ، وأكثرها محفوظة اليوم بالمكتبة الوطنية بفينا . السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٤٩ .

(٤) بلاد الخطا : بكسر الخاء وفتح الطاء المهملة ، وهم جنس من الترك ، بلادهم متاخمة بلاد الصين . القلقشندي : أبي العباس أحمد بن علي ، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣١هـ/١٩١٣م ، ٤/٤٨١ .

وحول انتقال فن الطباعة من المشرق الإسلامي إلى أوروبا يقول ريسلر «فلعل أهل جنوة الأذكياء في اهتبال الفرص التجارية قد استوردوا من تحف الشرق إلى أوروبا سر طبع أوراق النقد بطريقة الحروف المتحركة»(١) .

أما في الأندلس فإن الإشارات المستقاة من المصادر التاريخية الأندلسية تثبت أن فن الطباعة كان معروفاً فيها أيضاً ، ففي ترجمة أبي بكر القللوسي(٢) من كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة : «أنه رفع للوزير الحكيم(٣) كتاباً في خواص الأمدة والتطبع الشاب ، غريب في معناه»(٤) .

ويقول ريسلر : وفي قرطبة كان كاتب الخليفة عبدالرحمن يصدر الوثائق الرسمية في نسخ كثيرة بمساعدة مطبعة بدائية مازلنا نجهل كيف كانت تعمل(٥) .

وهكذا نجد أن الأوربيين تعلموا من المسلمين فن الطباعة على القوالب الخشبية ، ثم أخذت هذه الطريقة تنتشر في أنحاء أوروبا لتشمل كافة الدول الغربية .

١ - الطباعة في ألمانيا :

يعتبر يوحنا جوتنبرج (Johan gutenberg) (ت٨٧٣هـ/١٤٦٨م) ، أول مخترع للطباعة ؛ حيث ينسب كثير من الباحثين اختراع هذا الفن له لعدة أسباب منها :

١ - ماتبقى من أوائل الكتب التي قام بطبعها جوتنبرج .

---

(١) السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٥٠ .

(٢) أبوبكر القللوسي : محمد بن محمد الأندلسي ، عالم بالعربية والعروض والقوافي (ت٧٠٧هـ/١٣٠٨م) . ابن الخطيب : الإحاطة ، ٧٦/٣ .

(٣) الوزير الحكيم : يقصد به المحدث أبي عبدالله محمد بن الحكيم اللخمي الرندي الغرناطي (ت٧٠٨هـ/١٣٠٩م) . انظر مقدمة كتاب أبي بكر القللوسي : تحفة الخواص في طرف الخواص في صنعة الأمدَّة والأصباغ والدهان ، ط١ ، تحقيق : حسام أحمد العبادي ، مكتبة الاسكندرية ، ٢٠٠٧م ، من مقدمة التحقيق .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ، ٧٦/٣ .

(٥) يعقوب : أثر الشرق في الغرب ، ٤٥ ؛ السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٥٠ .

٢ - شهادة المؤرخين والكتاب المعاصرين له من أنه مخترع الطباعة . وقد ترك يوحنا جوتنبرج مدينةماينتس (Mainz)[١] مسقط رأسه لأسباب سياسية ، وانتقل إلى ستراسبورج (Strasbourg)[٢] حيث استقر ، وعلم صناعة المرايا ، ثم عاد مرة أخرى إلى ماينتس عام (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، فأنشأ مطبعة بمعونة يوحنا فوست الصائغ الذي أقرضه مبلغاً من المال لإنشاء المطبعة بضمان ماكينات وأجهزة الطباعة نفسها ، وصدرت من هذه المطبعة الكثير من المطبوعات كالمنشورات البابوبية ، والنحو اللاتيني ، والكتاب المقدس الذي طبع سنة (٨٦١هـ/١٤٥٦م) في اثنين وأربعين سطراً ، وقد تطورت الطباعة في ألمانيا على يد فوست رجل الأعمال الذي امتلك مطبعة جوتنبرج وفاءً بدينه ، وطورها بعد أن وضع يده عليها ، وبدخول بيتر شوفر أحد العمال المهرة ، والذي كان يعمل عند جوتنبرج شريكاً لفوست – نجح الشريكان نجاحاً كبيراً وطبعا عدداً من الأعمال ككتاب المزامير وهو أول عمل يحمل بعض البيانات الورقية ، مثل اسم الطابع ، وتاريخ الطباعة .

كما طبعا عدداً آخر من الكتب التي أهمها الكتاب المقدس[٣] .

وعلى أثر ذلك بدأ فن الطباعة ينتشر في أنحاء ألمانيا وأوروبا كافة ، ولعل أقدم ما طبع بالحروف العربية في أوروبا بطريقة القوالب الخشبية كتاب برايد نباخ ، رحلة إلى الأرض المقدسة (PEREGRINATIO.INTERRAM SANCTAM) المطبوع في ماينتس بألمانيا عام (٨٦١هـ/١٤٥٦م) .

وقد طور الألمان حروف الطباعة العربية ؛ إذ أسهم بيتركيرستن ، طبيب ألماني في فترة من (١٠١٧-١٠٢٠هـ/١٦٠٨-١٦١١م) ، بمشروع طباعة أربعة كتب في اللغة والدين ونشرها على نفقته الخاصة ؛ إضافة إلى كتاب القانون في الطب لابن

---

(١) ماينتس : مدينة المانية على الرين شهيرة بكاتدرائيتها ومتحفها . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١١١/٣ .

(٢) ستراسبورج : مدينة شرقي فرنسا ، وهي مقر البرلمان الأوروبي ، وقاعدة مقاطعة الراين والألزاس . نفس المرجع ، ١٤٠/١٣ .

(٣) ويلز : معالم تاريخ الإنسانية ، ٩٨٧/٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٥٥١ ؛ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص١٩ .

سينا .

وفي نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ظهرت طبعات عربية أخرى في ألمانيا ، وبولندا ، وسويسرا ، حيث تم نشر (تسعة وأربعين) كتاباً في سبع عشرة مدينة من هذه البلدان ، منها أول نص كامل للقرآن الكريم باللغة العربية مع تقديم باللغة اللاتينية[١] .



(١) مكتبة الملك عبدالعزيز العامة : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص١٨ .

٢ - الطباعة في إيطاليا :

تزايد الاهتمام بالطباعة وانتشرت في أوروبا ، وبخاصة المدن الإيطالية منذ القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي إذ انتشرت بعد صدور قرارات المجمع المقدس المنعقد في فينا عام (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، والتي تؤكد على ضرورة تدريس اللغات الشرقية وبشكل خاص العربية والعبرية والسريانية والكلدانية ، كما انتشرت في مدن البندقية (venise)[١] ، وجنوى (genova)[٢] وبيزا وغيرها .

وقد انتقل الطابعون الألمان إلى إيطاليا ، وأنشأوا المطابع في عدد من المدن الإيطالية مثل : روما ، والبندقية ، وشكلت مدينة البندقية بشكل خاص مركزاً طباعياً مميزاً ، كما تعد أعظم مركز للثقافة والعلم وتجارة المخطوطات في العالم في تلك الحقبة .

لم يكن الإيطاليون هم من أدخلوا الطباعة في تلك المدينة (البندقية) ، بل يعود الفضل إلى جون سير الألماني الذي أدخل إليها الطباعة عام (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، وسرعان ما برزت أسماء لامعة في فن الطباعة في تلك المدينة[٣] ، وكان أول كتاب عربي طبع بأحرف عربية في البندقية القرآن الكريم ، الذي اختلفت آراء الباحثين في تحديد طباعته ليمتد من عام (٩٠٥-٩٤٥هـ/١٤٩٩-١٥٣٨م) .

وفي إيطاليا طبع كتاب الأوقات السبعة القانونية للصلاة باللغة العربية عام (٩٢٠هـ/١٥١٤م) ، كما طبع (مزامير داود) باللغات العبرية واليونانية والسريانية والآرامية واللاتينية في مدينة جنوى عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) ، وكذلك كتاب (الشعائر المسيحية) في روما عام (٩٧٤هـ/١٥٦٦م)[٤] .

---

(١) البندقية : مدينة ومرفأ في شمالي إيطاليا على الأدرياتيك . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/٣١٥ .

(٢) جنوى : مدينة ومرفأ إيطالي على خليج جنوى على البحر المتوسط . نفس المرجع ، ٤/٣١٩ .

(٣) مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص١٨ .

(٤) السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٥٥ .

ويرى يوهانس بيدرسون أن هذه الكتب العربية طبعت للجاليات المسيحية التي تتكلم العربية والمرتبطة بالكنيسة الرومانية ، ويشير بيدرسون أيضاً أنه مع بدء الاهتمام بالنشاط التنصيري بدأت تظهر محاولات علمية لدراسة اللغة العربية حيث قام جاكوب مايليوس (Jakob Mylus) عام (٩٩١هـ/١٥٨٣م) بطباعة كتاب نحو عربي ونشره مع ترجمة عن الرسالة الإنجيلية ، وكتاب عن العقائد[١] .

كما أن كتاب الأجرومية في اللغة العربية من تأليف محمد الصنهاجي[٢] قد أثر تأثيراً بالغاً في الاستشراق الأوروبي بين القرنين العاشر والثاني عشر الهجريين ، السادس عشر والثامن عشر الميلاديين ، وقد نشر من سنة (١٠٠١هـ/١٥٩٢م) ، وأصبح هذا الكتاب في النهاية أساس الكتب المؤلفة في قواعد اللغة العربية في أوروبا[٣] ، وكانت معظم المطبوعات تنتشر تحت إشراف الكنيسة التي كانت تقوم بحملة منظمة لإقناع الكنائس الشرقية بالخضوع لسيطرتها ؛ ولتحقيق هذه الغاية أصدرت المطابع في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كتباً بالعربية أو بالعبرية واللاتينية معاً ، ويأتي في طليعة هذه المطابع مطبعة الجزويت في روما والتي أشرف عليها وقام بتحضير أحرفها الأسقف جان بانيست اليانو (Jan-biptiste eliano) ، (٩٣٧-٩٩٨هـ/١٥٣٠-١٥٨٩م) الذي كان له معرفة باللغة العربية ، وسبق له أن أرسل من قبل الفاتيكان في عدة بعثات إلى نصارى الشرق ، وكانت بوادر إنتاج هذه المطبعة عام (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ، كتاباً لإليانو صدر باللغتين العربية واللاتينية بعنوان «اعتقاد الأمانة الأرثوذكسية وكنيسة روما» ، أما الكتاب الثاني الذي صدر عن هذه المطبعة عام

---

(١) مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ١٩ .

(٢) الصنهاجي : محمد بن محمد بن داود المعروف بابن آجروم (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) ، نحوي ، مقرئ ، مشارك في الفرائض والحساب . السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ط١ ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ، ١٠٢ .

(٣) السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٥٥-٥٦ .

(٩٨٨هـ/١٥٨٠م) ، فكان بعنوان «التعليم المسيحي»[١] .

وفي روما أنشئت مطبعة مدتشي ، نسبة إلى صاحبها الكاردينال فرنندو دي مدتشي ، والذي كلف بدوره المستشرق الإيطالي جوفياني رايموندي (٩٤٧-١٠٢٣هـ/١٥٤٠-١٦١٤م) ، بالإشراف عليها ، وقد صدر أول كتاب عن هذه المطبعة وهو «الإنجيل المقدس» ، كما صدرت الطبعة الثانية لنفس الكتاب باللغتين العربية واللاتينية سنة (١٠٠١هـ/١٥٩٢م) ، كما أصدرت هذه المطبعة كتاب القانون لابن سينا سنة (١٠٠١هـ/١٥٩٢م) .

ثم توالت طبعات الكتب العربية في هذه المطبعة[٢] .

وفي عام (١٠٢٢هـ/١٦١٣م) أسس الدبلوماسي الفرنسي فرنسيس سافاري دي بريق (Francis savary de breves)[٣] ، مطبعة للغات الشرقية بروما ، وأشرف على إدارتها إيتيان بولان (Etienne Paulin) ، الذي سبق له العمل في مطبعة مديتشي ، وقد صدر عن هذه المطبعة أربعة كتب باللغة العربية ، وجميعها تعالج أموراً دينية كاثوليكية ، ثم نقلت هذه المطبعة إلى باريس عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[٤] .

---

(١) السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٥٥ ؛ مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص٢٢ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٦١-٦٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٥٥١ ؛ زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص٣٠ ؛ السامرائي : الطباعة العربية في أوروبا ، ص٥٦ .

(٣) تولى سافاري منصب سفير فرنسا لدى الباب العالي ما بين (١٠٠٠-١٠١٥هـ/١٥٩١-١٦٠٦م) ، وعاش في الشرق ما يقارب اثنين وعشرين عاماً ، درس خلالها اللغة التركية ، وقام بمهمات عديدة لدى نصارى الشرق بهدف إقناعهم بالانصياع إلى إدارة الفاتيكان ، ثم تولى منصب سفير فرنسا في روما عام (١٠١٧-١٠٢٣هـ/١٦٠٨و١٦١٤م) . مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص٢٢ ؛ إبراهيم أحمد : أوائل المطبوعات الأوروبية عن الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٠ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٤ ؛ مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص٢٢ ؛ أحمد : أوائل المطبوعات الأوروبية ، ص٢٠ .

ثم توالى تأسيس المطابع في إيطاليا بعد ذلك كمطبعة الإيمان المقدس في روما ، والتي أسست سنة (١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) ، وكان هدفها نشر الإيمان بين الشعوب غير النصرانية ، وعمل فريق هذه المطبعة على إنتاج الكتب المطبوعة وترجمتها .

وفي مدينة ميلانو (Milano)[١] أسست مطبعة امبروسيان عام (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) .

وفي مدينة بادوا (Padova)[٢] أسس مطران المدينة عام (١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) مطبعة عربية اهتمت بنشر التراث الإسلامي وترجمته وغيره من المؤلفات[٣] .

(١) ميلانو : مدينة شمالي إيطاليا . اشتهرت بصناعاتها واهميتها السياسية . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤/٣٢٦ .

(٢) بادوا : مدينة في شمالي إيطاليا غربي البندقية . نفس المرجع ، ٤/٣١٤ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٦ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٥٥٢-٥٥٣ .

٣ - الطباعة في فرنسا :

أسهم اهتمام فرنسا بالاستشراق والتنصير في مسألة تعليم الرهبان والقساوسة اللغة العربية ، وكان مركز النشاط الطباعي فيها المطبعة الملكية في باريس ، وقد حفر لها الحروف العربية وصبها وسكبها فرنسيس سافاري دي بريق السابق الذكر ، وكان أول كتاب عربي مطبوع يصدر عن هذه المطبعة كتاب في صناعة النحو ، ثم ظهر كتاب الفلاسفة العرب ، وكذلك طبعات الإنجيل وترجمة عربية لشرح العقيدة المسيحية[1] ، ونشر المستشرق وليم بوستل (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م) مبادئ اثنتي عشرة لغة شرقية بحروفها الأصلية ، منها السريانية والعبرية ، وقد استخدم في (طباعة القواعد) العربية الذي صدر مع باقي المجموعة في باريس عام(٩٤٥هـ/١٥٣٨م) أحرفاً عربية ، إلا أن الأحرف كانت محفورة ومسبوكة بشكل بدائي حتى إنه يصعب قراءتها ، وكان هذا الكتاب أول سجل مطبوع للغة العربية في باريس ، كما طبع في مدينة جين (JANE)[2] ، بفرنسا كتاب (مزامير داود) عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م) بلغات عدة منها العربية[3] .

٤ - الطباعة في إسبانيا :

لم تدخل الطباعة إسبانيا على يد أهلها الإسبان ، بل دخلت على يد بعض المهاجرين الألمان الذين نقلوا الخبرة وفن الطباعة إلى إسبانيا ، فقد طبع في غرناطة عام (٩١١هـ/١٥٠٥م) كتاب بعنوان «فن تعلم اللغة العربية بسهولة» ، وهو كتاب مجهول مؤلفه وطابعه ، ورسمت فيه الحروف العربية بأحرف لاتينية[4] .

وقد دخلت الطباعة إلى برشلونة في الأندلس على يد مجموعة من الألمان ،

---

(١) مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص٢٣ ؛ إحمد : أوائل المطبوعات الأوروبية عن الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٠ .

(٢) جين : مدينة إلى الجنوب الشرقي من فرنسا ، الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/ ٣٢٧ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١٥٨ ؛ مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية في أوروبا ، ص٢٣ .

(٤) مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص٢٤ .

وأول كتاب طبع في برشلونة هو كتاب «الأخلاق» ، لأرسطو ، وكان ذلك عام (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) ، ثم دخلت الطباعة إلى إشبيلية عام (٨٨٢هـ/١٤٧٧م) ، على يد مجموعة من الإسبان ، ثم دخلت طليطلة عام (٨٨٩هـ/١٤٨٤م) ، وفي عام (٨٩٦هـ/١٤٩٠م) قامت الملكة إيزابيلا (Isabella) (ت ٩١٠هـ/١٥٠٤م)[(١)] ملكة إسبانيا بتمويل طبع قاموس إسباني ، وكان الأول في سلسلة معاجم لغوية تمول الدولة نشرها ، ثم دخلت الطباعة في غرناطة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)[(٢)] .

٥ - الطباعة في هولندا :

جاءت الطباعة العربية في هولندا متأخرة نسبياً عن غيرها من بلدان أوروبا ، وكانت بدايتها لاهوتية تنصيرية ، وقد وجدت أبرز ثلاث مطابع لنشر الكتب العربية في هولندا ، في مدن أوترخت (utrecht)[(٣)] ، امستردام ، وليدن ، التي تعتبر من أشهر مراكز الاستشراق في أوروبا وأقدمها ، وقد دخلت الطباعة إلى ليدن على يد هنريكوس هنركي ، وكان أول كتاب مؤرخ له هو «حوليات هولندا» عام (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) ، فضلاً عن ثلاثة كتب أخرى تنسب إلى مطبعته في تلك السنة ، والجدير بالإشارة هنا أنه نشر في مطبعة ليدن فقط ثمانية وثلاثون كتاباً ما بين القرن العاشر والحادي عشر الهجريين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .

وقد حازت مطبعة ليدن في طباعة التراث العربي والإسلامي وتحقيقه شهرة واسعة ، وسمعة عالمية ممتازة ؛ بسبب ما نشرته وطبعته من كتب باللغة العربية ، وفي الحقيقة أن مطبعة ليدن كانت جسراً للتواصل الثقافي والحضاري بين أوروبا والعالم العربي والإسلامي ، لدورها الحضاري الذي قامت به على مدى قرون طويلة .

---

(١) إيزابيلا : هي إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وأراغون ، تزوجت من ابن عمها فرديناند الخامس ، وكانت من كبار محاربي الدين الإسلامي ، كما انها شجعت مشروع كولمبس الاستعماري . الموسوعة العربية العالمية ، ٥٠٦/٣ .

(٢) مكتبة الملك عبدالعزيز : الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، ص٢٤ .

(٣) أوترخت : مدينة هولندية تقع على ضفاف نهر الراين ، وتبعد ٣٥كلم جنوب شرقي امستردام ، الموسوعة العربية العالمية ، ٣١١/٣ .

٦ - الطباعة في بريطانيا :

بدأت الكتب العربية بالظهور في بريطانيا عام (١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) ، وأبرز مطبعتين بالأحرف العربية كانتا في أكسفورد ، ولندن ، ومن أبرز الأسماء التي نشطت في مجال النشر العربي في بريطانيا كان إدوارد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) ، ومن خلال عمله مع مجموعة من المستعربين نشط في إصدار كتب بالعربية واللاتينية[١] .

وهكذا نرى أن الطباعة أدت دورها في تنشيط حركة الترجمة ، فعن طريقها تيسر نشر المؤلفات الإسلامية في أوروبا ، ومن ثم تيسر أمر الاطلاع عليها ، وترجمتها إلى كافة اللغات في الغرب للاستفادة من محتوياتها .

هذا ومن خلال التحليل السابق لدوافع الترجمة من العربية إلى اللاتينية نجد أن الدوافع الدينية قد احتلت مرتبة الصدارة بين هذه الدوافع للأسباب التالية :

* * *

١ - أن جلاً من المهتمين بالترجمة كانوا من الرهبان والقساوسة ، بل إن كثيراً من عظمائهم كان ممن ينتمي إلى المؤسسات الرهبانية المتعصبة كالبندكتية والفرنسيسكانية والدومينيكانية ، وقد حاز عدد كبير منهم مناصب بابوية عالية ومراكز مرموقة في الغرب مما يدل على أن دافع الترجمة عند هؤلاء كان دافعاً دينياً تنصيرياً بالدرجة الأولى ؛ وبما أن هؤلاء قد سلكوا الجانب الفكري العلمي فقد اعتبروا أيضاً من كبار المستشرقين ؛ ذلك لأنهم اتجهوا إلى علوم الشرق وآدابه وقاموا بدراستها وترجمتها ، وقد أورد العقيقي[٢] عند حديثه عن طلائع المستشرقين ثمانية وعشرين مستشرقاً ، جلهم قد عمل بترجمة العلوم الإسلامية ، كما أنهم قد تخرجوا من مدارس الأديرة والكنائس ، فهم من كبار الرهبان في زمانهم .

---

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ١٢-١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١-٤٢ .

(٢) المستشرقون ، ١/١١٠-١٢٤ .

* * *

٢ - نلاحظ أن مراكز الترجمة في أغلبها تكاد تكون تابعة للمؤسسات التنصيرية من كنائس وكاتدرائيات ، خاصة في بداية عهد الترجمة ، ثم تحولت مع مرور الوقت إلى مدارس وجامعات علمية ، حتى إن مؤتمر فينا الكنسي (٧١٢هـ/١٣١٢م) أوصى بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية لغرض ديني ، وهو الوقوف على علوم الشرق عن طريق تعلم لغاته بهدف إعداد جيش من المنصرين وإرسالهم إلى بلاد الشرق ونشر الديانة النصرانية بين أهلها .

* * *

٣ - من خلال العلوم المترجمة وانتقالها نجد أن الدوافع الدينية قد لعبت الدور الأكبر في هذا الأمر ، حيث تمت ترجمة القرآن منذ وقت مبكر من نشأة الترجمة ، تعود إلى القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وكانت بدافع ديني محض يتمثل في تشويه الإسلام والحد من انتشاره ، وبالتالي تنصير المسلمين .

ثم احتاج الأمر لفهم الإسلام إلى معرفة وثيقة باللغة العربية وعلومها ، فتوفر الغرب على دراسة المخطوطات التي تخص هذه العلوم وترجموا عنها ونشروها أول الأمر ، ثم أخذوا يألفون عليها .

وفي مجال العلوم الفلسفية أتت الحاجة الدينية لمعرفتها والمتمثلة في مقارعة علماء الدين الإسلامي والرد عليهم وتعلم الأساليب لمجادلتهم .

يقول روجر بيكون «الفلسفة من اختصاص الكفرة وقد أخذناها عنهم» ، ومفاد كلامه أن الكفرة -وهو يقصد بهم المسلمين- يجب أن يمدوا النصرانية بالفلسفة التي تحتاج إليها ؛ لأنها تعتبر الإعداد الإنجيلي للعالم الخارجي ، أي : أن قوة الفلسفة تتفق مع حكمة الله ، وهي التي تستطيع أن تقنع غير المؤمنين -الكفرة- بأنهم مخطئون[1] .

وقد ترجمت العلوم الطبيعية والتطبيقية لسلب العالم الإسلامي ممتلكاته وثمرات جهوده ، وإلا لما لم يرجع هؤلاء المترجمون تلك العلوم لمؤلفيها ولم ينسبوا

(١) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ص٧٨ ؛ مانثا ناريس : المستعربون الإسبان ، ص٢٥ .

هذا الفضل لأهله .

يقول شوقي أبوخليل : «يحرص الاستشراق الذي عاش في معظم مراحله في كنف الكنيسة ترعاه وتوجهه وتنفق عليه على طمس كل فضل لأمتنا في عقيدتها وتاريخها وأثرها في الحضارة الإنسانية»[١] .

* * *

٤ - لعبت الطباعة دورها في تحفيز الدوافع الدينية حيث إن طباعة علوم الإسلام كانت تتم في المطابع الدينية التابعة للكنائس ، وقد أشرف على ترجمتها الرهبان والقسس المتحمسين لمعرفة علوم الإسلام لدافع ديني بحت .

فمنشئ أول مطبعة عربية في أوروبا وهو فرديناند دي مدتشي كاردينال ودوق توسكانيا الأكبر ، قد اتخذ من العمل التنصيري مبرراً لإنشاء هذه المطبعة .

يقول فوك : «إن تأسيس تلك المطبعة العربية إبان القرن السادس عشر كان بتشجيع من الجهاز المركزي البابوي للاتحاد الذي شهد حركة متميزة في ظل إدارة جريجوري الخامس ١٥٧٢ - ١٥٨٥م»[٢] .

(١) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ، ط٢ ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ١٩٩٩م ،٧ .

(٢) تاريخ الاستشراق ، ٦٢ .

الفصل الثالث :

مراحل تطور الترجمة من العربية إلى اللاتينية

- المبحث الأول :

المرحلة الأولى ، من منتصف (ق٥هـ/١١م) إلى منتصف (ق٦هـ/١٢م) .

- المبحث الثاني :

المرحلة الثانية ، من منتصف (ق٦هـ/١٢م) إلى منتصف (ق٧هـ/١٣م) .

- المبحث الثالث :

المرحلة الثالثة ، من منتصف (ق٧هـ/١٣م) إلى نهاية (ق١١هـ/١٧م) .

كان للترجمات التي تمت في المشرق الإسلامي إلى العربية تأثيرٌ في ارتقاء المسلمين إلى مركز القيادة الثقافية ، كما أنها هزت أوروبا بعنف فأيقظتها من سباتها الطويل ، وأشعلت فتيل التطور الفكري والمعرفي بها ، فقد وفرت هذه الترجمات مادة حضارية أتاحت لهؤلاء إنجاز كثيرٍ من الابتكارات والاختراعات التي اعتمدت على هذه العلوم المترجمة في شتى الميادين[١] .

وفي الواقع أن حركة الترجمة عند المسلمين اتسمت بحماس منقطع النظير ، فعن طريقها نفذ المسلمون بسرعة مذهلة إلى ثقافات الأمم الأخرى ، وأخذوا ما فيها من الآداب والفنون والعلوم ، وإن لم يأخذوا خير ما فيها دائماً ، ولم يستمر عصر النقل الثقافي هذا ، أو التأثر بالثقافات الأجنبية طويلاً ؛ إذ لم يلبث أن تحول بعد فترة من الزمن إلى إنتاج حضاري إسلامي أصيل ، والمسلمون لا زالوا في أوائل نهضتهم ، ولم يحدث أن عرف التاريخ نظيراً لهذا في غير أمة الإسلام[٢] .

ويبدو أن علوم الكيمياء والفلك والطب جذبت إليها انتباه المسلمين ابتداءً ، غير أن هذا الاهتمام لم يلبث أَنْ انتشر إلى بقية العلوم الكونية الأخرى ، فأخذت حركة الترجمة تنمو وتتسع بعد ذلك لدرجة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً من قبل ، وبفضل هذه الترجمة التي تمت في المشرق الإسلامي ، وما أسفر عنها من نتائج في ازدهار العلوم كما وكيفاً ، وما ظهر معها من علماء أفذاذ في المشرق والمغرب ، درسوا ونقحوا وأضافوا وابتكروا على هذه العلوم التي أضحت في متناول الغرب ليتسنى له ترجمتها ، وأن يبني حضارته على أساس منها[٣] .

يقول لوبون : «إننا لم نطَّلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل

---

(١) رشيد الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع ، دار الحرية ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، بغداد ، ٤٦١-٤٦٦ ؛ خليل السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي ، الموصل ، ١٩٨٦م ، ٣٨٣ ؛ مايرز يوجين : الفكر العربي والعالم الغربي ، ط١ ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م ، ٩٥ ؛ علي : بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة ، ٦٣ .

(٢) الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع ، ٤٧٦ .

(٣) نفس المرجع والصفحة ؛ قدري طوقان : علماء العرب وما أعطوه للحضارة ، (د.ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٧-١٤ .

العرب»[١] .

ثم أصبح تأثير علوم المسلمين على الغرب ممكناً في المقام الأول ، نتيجة الفتوح الإسلامية ، وانتشار المسلمين في أصقاع كثيرة ، مثل بعضها نقطة التقاء وتبادل حضاري كالأندلس ، وصقلية ، وبلاد الشام ، وجنوب إيطاليا ، فانتقلت عن طريقها الحضارة الإسلامية إلى أوروبا بواسطة الترجمة عبر مراحل عدة[٢] .



(١) حضارة العرب ، ٤٣٧ .

(٢) بلسنر : تراث الإسلام ، ٣/ ٧٩ ؛ خليل السامرائي وآخرون : دراسات في تاريخ الفكر العربي ، ٣٨٤ .

المرحلة الأولى :
من منتصف (ق٥هـ/١١م) إلى منتصف (ق٦هـ/١٢م)

قبل البدء في الحديث عن هذه المرحلة ، نود أن ننوه إلى أنها شهدت أحداثاً تاريخية عظيمة أثرت تأثيراً بالغاً في سير حركة الترجمة بها ، وهي : سقوط طليطلة الأندلسية بيد النصارى الإسبان سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، ثم سقوط صقلية الإسلامية بيد النصارى النورمان سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) ، كما أنها عاصرت بداية الحملات الصليبية على بلاد المشرق الإسلامي ، والتي استغرقت قرنين من الزمان ، من سنة (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م)[1] ، بمعنى أننا سنتناول في حديثنا عن هذه المرحلة أهم مراكز الترجمة الثلاثة : الأندلس ، وصقلية ، وبلاد المشرق ؛ إذ عن طريقها تم التواصل الثقافي وعملية النقل ، لاسيما الأندلس وصقلية ، وفي ذلك يقول جورافسكي : «إن استرجاع طليطلة في سنة (١٠٨٥م) ، وصقلية في سنة (١٠٩١م) من أيدي العرب في الحملات الصليبية الأولى ، وضع حجر الأساس لتلك العملية التي وصفها فاسيلي بارتولد[2] بعملية التواصل الثقافي بين أوروبا الغربية والعالم الإسلامي ؛ فإسبانيا وصقلية أصبحتا القناتين الرئيسيتين اللتين مرت منهما إلى أوروبا في القرون الوسطى عناصر الثقافة العربية الإسلامية ، وكانت كمية المنجزات الإبداعية لهذه العناصر مشروطة بدورها بالازدهار اللاهوتي في الغرب ، الذي برز في القرن الثالث عشر للميلاد»[3] .

وقد بدأت هذه المرحلة بصورة فردية ، تمثلت في شخصية قسطنطين الأفريقي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، الذي أتم نقل عدد من كتب الطب الإسلامي إلى اللغة

---

(١) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨١ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٧٨ ؛ عاشور : الحركة الصليبية ، ١/٨٤ .

(٢) فاسيلي بارتولد ، (vasily bartold) ، (١٨٦٩-١٩٣٠م) ، مستشرق روسي ، عضو أكاديمية العلوم في بطرسبورج ، له مقالات مهمة في دائرة المعارف الإسلامية ، جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٤٠ ، هامش (٢) .

(٣) المرجع نفسه ، ٤٠ .

اللاتينية في دير مونت كاسينو بجنوب إيطاليا ، إبان منتصف القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي[1] .

وكانت هذه المترجمات المنقولة ، تحوي كتب عدد من أطباء المسلمين ؛ كعلي بن العباس المجوسي (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ؛ ومؤلفه المعروف بـ«كامل الصناعة» ، أو «الكتاب الملكي» ، وكتاب العشر مقالات في العين ، لحنين بن إسحاق العبادي (ت٢٦٠هـ/٨٧٥م)[2] ، ومؤلفات إسحاق الإسرائيلي (ت حوالي ٣٢٠هـ/٩٣٢م)[3] ، منها : كتاب البول والحميات وغيرها ، إضافة إلى كتاب زاد المسافر لابن الجزار (ت ٣٦٩هـ/٩٧٩م)[4] ، وشرح لأقوال جالينوس المأثورة[5] .

ومن الملاحظ على هذه البداية ، أنها كانت نتيجة الحاجة الفردية للمترجم قسطنطين الأفريقي ، بعد أن اشمأز من نظام الطب الغربي وتأخره . فبادر بترجمة كتب الطب الإسلامي للاستفادة منها . كما أنها اتسمت بالعشوائية وعدم التنظيم

---

(١) هونكه : شمس العرب ، ٢٩٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧ .

(٢) حنين بن إسحاق : أبوزيد بن إسحاق العبادي ، طبيب ومترجم نصراني ، أصله من الحيرة ، له مؤلفات في الطب والفلسفة وغيرها . النديم : الفهرست ، ٣٥٦ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٥٧ .

(٣) إسحاق الإسرائيلي : أبويعقوب إسحاق بن سليمان القيرواني ، طبيب يهودي له مؤلفات طبية . ابن جلجل : طبقات الأطباء ، ٨٧ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٧٩ .

(٤) ابن الجزار : أبوجعفر أحمد بن إبراهيم القيرواني ، طبيب مشهور له مؤلفات قيمة . ابن جلجل : طبقات الأطباء ، ٨٨-٩١ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٨٠ .

(٥) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٣-٢٩٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ؛ وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨٣ ، بلسنر : تراث الإسلام ، ٣/١٢٣ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧ ، سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٣ ؛ لويجي ولاند : صقلية الإسلامية ، ٦١ ؛ دانيال جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى ، بحث ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية ، إشراف : رشدي راشد ، وريجيس مورلون ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ٣/١٢٢٦ ؛

jourdan:recherches critiques sur lage et lorigine traductions latines aristote,pp.٩٦-٩٧, wstenfeld ubersetzungen Arabischer Werke in daslateini sche,pp.١٧-١٩.

في عملية النقل ، وما فعله هذا المترجم من نسبة المؤلفات التي ترجمها لنفسه أكبر دليل على ذلك[١] .

وبحلول القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي نصل إلى العصر الذهبي للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، حيث أصبحت الترجمة في هذا القرن وفي القرن التالي هي المهمة الفكرية الرئيسية التي تضطلع بها هيئات دينية جماعية تهتم بالثقافة الإسلامية وتترجم علومها[٢] ، وقد احتلت بلاد الأندلس مكان الصدارة بين كل مراكز الترجمة في مرحلتها الأولى ، فعن طريق مدرسة المترجمين في طليطلة ، التي أنشئت سنة «٥٢٠هـ/١١٢٦م» ، تم نقل عدد كبير من علوم المسلمين إلى اللغة اللاتينية ، بالإضافة إلى بقية المدارس الأخرى في داخل الأندلس وخارجها ، كصقلية ، وممالك نابولي ، والمشرق الإسلامي ، التي أتت في مرتبة تالية بالنسبة للأندلس من حيث الأهمية ، لا من حيث الأسبقية في الترجمة[٣] .

وعن طريق هذه المراكز ترجم عدد كبير من المؤلفات العربية في كافة التخصصات ، فالترجمات الأولى لعلوم المسلمين أحدثت اضطراباً في العقلية النصرانية آنذاك ، ورأى هؤلاء من وجهة نظر دينية خالصة أن المسلمين يملكون ثقافة بالغة العمق ، ويجب أن يحاربوا بالعقل بدل قتالهم بالسيف ؛ وذلك بدراسة عقيدتهم وعلومهم في الوقت نفسه ؛ لذا فقد مهدت هذه المرحلة للدور الذي

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ . Leclerc:histoire de la medecine arabePrinted in u.s.a ١٨٧٦,II,٣٥٦-٣٦٥

wustenFeld:die ubersetzungen Arabischer Werke in das lateini sche Pp١٠-١٤ .

(٢) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨٤ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٦ ؛ خوان فيرنيت : فضل الأندلس على ثقافة الغرب ، ط١ ، ترجمة : نهاد رضا ، دار إشبيلية للدراسات والنشر ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ١٨١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٥ .

(٣) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨٤ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ١٧٣ ، هامش (٦) ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢١٥ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ٣/١٣٢ ؛ Haskins:studies in the history of mediaval science,١٤) .

سوف يقوم به المنصرون خلال القرون التالية ، كما أنها وجهت المدارس الأوروبية التي كانت في أفكارها السارية تعاني إغماءً كاملاً إلى طريق أكثر أمناً ، وعليه نستطيع القول أن هذه المرحلة أحدثت نتائج حاسمة في تاريخ الفكر الغربي[١] .

وقد كان من بين هذه الترجمات كتب التراث اليوناني ، التي فقدت أصولها ولم تبق إلا في ترجماتها العربية ، أو بواسطة شروحها التي تناولتها مؤلفات علماء المسلمين الطبية والفلسفية ، والرياضية ، والفلكية ، وغيرها ، فكان نقل هذه العلوم يتم بهدف البحث عن كنوز المعرفة اليونانية المعرَّبة ، ومن ثم الاستفادة من الفلسفة والعلوم العربية الأخرى ، والتي كانت تترجم لأهداف جدلية دينية ضد المسلمين[٢] ؛ لذا نجد أن الترجمة الأولى للقرآن الكريم كاملاً تمت خلال هذه الحقبة ، (سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، على يد روبرت أوف تشستر (ق٦هـ/١٢م) ، وهرمان الدلماتي (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) ، وتحت إشراف بطرس المحترم ، وهدفها الدعاية ضد الإسلام ، ونشر الأفكار المناهضة له ، والتي آتت ثمارها في القرون التالية[٣] .

كان من أوائل ما ترجم في هذه المرحلة : الجداول الفلكية للخوارزمي ، مع رسائل رياضية أخرى ، وخمسة عشر كتاباً لأقليدس ، وقد اضطلع بترجمتها أدلارد الباثي (ت٥٣٧هـ-١١٤٢م) ، ولهذه الترجمات أهمية عظيمة ؛ حيث أدت إلى إدخال علم المثلثات إلى أوروبا لأول مرة وبشكل خاص وظائف الجيب[٤] والمماس[٥] ، كما أن نقل كتاب الأصول لأقليدس يعد أول تعريف للغرب بموضوع

---

(١) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٦ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٧ .

(٢) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٦-٢٧ ، غابريلي : تراث الإسلام ، ١٥٣/١ .

(٣) بارت : الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ٩ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ٣٦/١ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٧ .

(٤) الجيب : هو النسبة بين الضلع المقابل لزاوية والوتر في مثلث ذو زاوية قائمة . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ٢١٩ .

(٥) المماس : هو الخط المستقيم الذي يخترق المنحنى نقطة واحدة . نفس المصدر ، ٢١٨ .

مهم كل الأهمية فقد نصه الأصلي وحفظ نصه العربي[١] .

وإلى جانب هذه الترجمات فقد تمت ترجمة كتب فلكية ورياضية أخرى ككتاب الحساب للخوارزمي ، ورسائل مختلفة في الفلك والتنجيم لما شاء الله[٢] ، وكتاب في الحركات السماوية للفرغاني ، (ت بعد ٢٤٧هـ/٨٦١م)[٣] ، ومؤلفات أبومعشر (ت ٢٧٢هـ/٨٨٥م)[٤] ، في الفلك ، وزيج البتاني ، ومسلمة المجريطي (ت٣٩٨/١٠٠٧م)[٥] ، ودلائل الفلك لثابت بن قرة (ت٢٨٨هـ/٩٠٠م)[٦] ، وجميع هذه الترجمات اضطلع بها كل من يوحنا الإشبيلي (John of seville) (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) ، بمساعدة دومنجو جنديسالفي (Domingo Gondisalvi) (ت بعد ٥٧٧هـ/١١٨١م) ، وكلاهما من المنتمين لمدرسة طليطلة[٧] .

وقد شهدت هذه المرحلة أول ترجمة لاتينية لجبر الخوارزمي على يد روبرت

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١ ، خوان فيرنيت : تراث الإسلام ، القسم الثالث ، ترجمة : حسين مؤنس ، وإحسان صدقي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٣٩٨م - ١٩٧٨م ، ٣/١٩٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٥ ؛ العقيقي : المستشرقون : ١/١٨٠ ؛ طوقان : العلوم عند العرب ، ٦٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٠-٦١ ؛
wustenFeld:die ubersetzungen Arabischer Werke in das lateinische , Pp٢٠-٢٢
. Haskins: studies in the history of mediaeval science,٢٠-٢٤

(٢) ماشاء الله : واسمه ميشي ابن أثري ، وكان يهودياً في أيام المنصور والمامون ، له كتب كثيرة . النديم : الفهرست ، ٣٣٥ .

(٣) الفرغاني : أحمد بن كثير الفرغاني ، بارع في الرياضيات والفلك . نفس المصدر ، ٣٣٩ .

(٤) أبومعشر : جعفر بن محمد البلخي ، له تواليف في الفلك والحساب . نفس المصدر ، ٣٣٧-٣٣٨ .

(٥) مسلمة المجريطي : أبوالقاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمجريطي ، كان إمام الرياضيين في الأندلس في وقته . صاعد : طبقات الأمم ، ٦٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٨٢ .

(٦) ثابت بن قرة : أبوالحسن الحراني ، له كتب في الفلك والطب . النديم : الفهرست ، ٣٣٣ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٩٥ .

(٧) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١-١١٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ١٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٥-٩٦ ؛ (Leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٣٧٣-٣٧٩
(Haskins: studies in the history of mediaeval science,١٣-١٤

تشستر ؛ حيث تعود ترجمته إلى سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، ولأهمية هذه الترجمة نستطيع القول إنها تشير إلى بداية الجبر الأوروبي[١] .

أما في مجال الطب ، فقد ترجمت مؤلفات كل من : الكتاب الملكي لعلي بن العباس ، والذي سبقت ترجمته على يد قسطنطين الأفريقي ، وقد أسقط منه الجزء الرابع فأعاد ستيفن الأنطاكي (Stephen Of Antioch) (ق٦هـ/١٢م) ، ترجمته في الشام ونسبه إلى مؤلفه بالإضافة إلى كتاب سر الأسرار المنسوب لأرسطو[٢] .

وفي علم الكيمياء كان من أبرز ما ترجم رسالة خالد بن يزيد (ت٩٠هـ/٧٠٨م)[٣] ، في الكيمياء ، كما ترجمت مؤلفات لجابر بن حيان ، والكندي ، وغيرهما[٤] .

أما في الفلسفة ، فأول ما بدئ به هو كتاب الشفاء لابن سينا ، ثم بعد ذلك ظهرت ترجمات لكتب الكندي ، والفارابي (ت٣٣٩هـ /٩٥٠م)[٥] ، «إحصاء العلوم» ، وابن جبيرول (ت٤٥٠هـ /١٠٥٦م)[٦] ، كتابه «ينبوع الحياة» ، والغزالي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)[٧] ، وكتابه مقاصد الفلاسفة ، وكان تأثير هذه المترجمات

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٤٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٧٦ ؛ كمال السامرائي : الطب العربي ، ٨٦ ؛ حسين : في الطب والأقوباذين ، ٢٦٣ ؛ توفيق فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ضمن كتاب أضواء عربية على أوروبا في العصور الوسطى ، ط١ ، ترجمة : عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ١٩ ؛ (Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٣٢) .

(٣) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ، اشتغل بالكيمياء والطب ، النديم : الفهرست : ٤٣٤ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ٤٣ ؛ الطويل : الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية ، ١٦٢ .

(٥) الفارابي : أبونصر محمد بن محمد الفارابي ، سمي بالمعلم الثاني نسبة للمعلم الأول أرسطو ، وذلك لاهتمامه بالمنطق والفلسفة . النديم : الفهرست ، ٣٢٣ .

(٦) ابن جبيرول : أبوأيوب سليمان بن يحيى اليهودي ، عاش في الأندلس ، كان شاعراً فيلسوفاً . صاعد : طبقات الأمم ، ٨٩ .

(٧) الغزالي : محمد بن محمد الطوسي الشافعي ، حجة الإسلام ، فقيه متكلم أصولي . ابن خلكان :

الفلسفية مبكراً في الغرب ، لاسيما على المترجمين الذين قاموا بنقلها ، أمثال دومنجو جنديسالفي ، الذي صنَّف عدداً من المؤلفات ، اعتمد فيها على كتب الفارابي وابـن سينا وآخرين[١] ، وبشكل عام فقد كانت هذه المترجمات ذات تأثير عميـق في تطـور الفلسفة الغربية[٢] .

وبالرغم من أن علوم اللغة والأدب لم تلق اهتماماً في المراحل الأولى للترجمـة ، إلا أننا نجد مترجمات احتضنتها هذه المرحلة منها : كتاب تعليم العلماء (Disciplina Clericalis)[٣] ، لمؤلفه بدرو ألفونسو (Pedro Alfonso) (ت٥٠٤هـ/ ١١١٠م) ، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، الحادي عـشر المـيلادي ، وهو يهودي متنصر ، ألف كتابه باللغة العربيـة ، ثـم قـام بترجمتـه بنفـسه إلى اللغـة اللاتينية ، وكل ما يهمنـا في مؤلفـه هـذا أنـه اسـتقاه مـن مـصادر عربيـة ، يـأتي في مقدمتها : كليلة ودمنة[٤] ، والسندباد البحري ، قبل أن يصبح جزءاً من ألـف ليلـة =

وفيات الأعيان ، ٣/٣٥٣ .

(١) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٩٥ ؛ ألونسو : ابن سينا وآثاره الأولى في العالم اللاتيني ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريـد ، ع (١) ، الـسنة الأولى ، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م ، ص٤٠ وما بعدها ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٦ ؛

manuel Alonso:notas sobre los traductores toledanos ؛ leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٣٧٧

domingo Gundi salvoy Juan hispano,AL-andalus,VIII,Madrid,Grannada,١٩٤٣ ,١٥٥-١٥٦

(٢) رينان : ابن الرشـد والرشـدية ، ٢/٢١٣ ؛ وات : فـضل الإسـلام ، ٨٤ ؛ حمـادة : رحلـة الكتـاب العربي ، ١/٥٦-٥٧ .

(٣) ويسمى أيضاً «محاضرات الفقهاء» ، و«تربية العلماء» ، ويعنـي بهـم رجـال الـدين المتفقهـين في علـم النصرانية ، وقد نشر نصه لأول مرة في باريس مع ترجمة فرنسية سنة (١٢٤٠هـ-١٨٢٤م) ، وتعاقبت طبعاته اللاتينية بعد ذلك ، وآخر طبعاته هي التـي قـام بهـا آنخـل جونثالـث بالنثيـا في مدريـد سـنة ١٣٦٨هـ-١٩٤٨م ، وهي تشتمل عـلى الـنص الأصـلي اللاتينـي وترجمـة إسـبانية قديمـة ؛ سـهير القلماوي ومحمود مكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، في الأدب ، جمع : محمد خلـف الله أحمد ، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب ، ١٩٨٧م ، القـاهرة ، ٦٣-٦٤ ؛ بـدوي : دور العـرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ١٦ .

(٤) وهو مؤلف ذو أصل هندي ، نقله عبدالله بن المقفع ، في عصر الدولة العباسية ، من اللغة الفهلوية إلى اللغة العربية ، النديم : الفهرست ، ص١٥٠ .

وليلة ، وقد لقي هذا الكتاب إقبالاً منقطع النظير من قبل القراء في الغرب[١] .

وفي وقت متقارب مع هذه الترجمة ، تمت ترجمة كتاب كليلة ودمنة في أوروبا ، وتحديداً في إيطاليا ، على يد يهودي آخر يدعى جيوفاني الكابوي (Giovanni Kampanos) ، اعتنق النصرانية ، وكانت هذه الترجمة إلى اللغة العبرية ، وشاعت أول القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي[٢] .

هذا ، وبعد السرد السابق لهذه المرحلة من مراحل الترجمة نقف عند عدة ملاحظات هامة :

١ - أن هذه المرحلة بدأت بشكل فردي على يد قسطنطين الأفريقي ، يدفعه في ذلك الحاجة لترجمة مؤلفات علم الطب ، إضافة إلى دوافع ذاتية محضة ، ثم ما لبثت أن تبلورت إلى حركة جماعية دينية ترعاها الهيئات الدينية وتوجهها ، فمدرسة الترجمة في طليطلة تأسست على يد المطران ريموندو ، وبإشراف رئيس الشمامسة دومنجو جنديسالفي ، وقد قام هوجو سنكتلا ، (Hogo of Sanctalla) (ق٦هـ/١٢م) بنقل مجموعة من المؤلفات من العربية إلى اللاتينية بإشراف ميخائيل (Michael) أسقف طرسونة[٣] (Tarazona)[٤]

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٩-٥٨٠ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ١٦ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في الأدب ، ٧١-٧٢ ، بيدال : إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ، مجلة المعهد المصري ، مدريد ، ع١ ، السنة الأولى ، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م ، ١٢-١٨ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,١١٧ .

(٢) سارتون : تاريخ العلم ، ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٠ ، العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٧ ، مايرز : الفكر العربي ، ١٢٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأورووربية في الأدب ، ٦٧ .

(٣) طرسونة : مدينة بالأندلس كانت مستقر العمال والقواد بالثغر ، ثم عادت تابعة لتطيلة . الحميري : الروض المعطار ، ٣٨٩ ؛ البكري : جغرافية الأندلس واوروبا ، ٩١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٤ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٤١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ١/١٤٤٩-١٤٥٠ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٤ =

٢ - تميَّزت عملية النقل في هذه المرحلة بالازدواجية ، بمعنى أن يشترك اثنان من المترجمين في نقل كتاب أو مجموعة من الكتب إلى اللاتينية ، فنرى دومنجو جنديسالفي ، ويوحنا الإشبيلي ، يشتركان في ترجمة عدد من مؤلفات علوم المسلمين سوياً ، وقد عمل أفلاطون التيفولي (Platon Of Tivoli) (ت ق٦هـ/١٢م) ، بالاشتراك مع إبراهيم برحيًّا ، (Abraham Barahiyya) (ت بعد ٥٣٢هـ/١١٣٧م) الشهير بسافسفوردا ، (ت بعد٥٣٢هـ/١١٣٧م) ، معاً في ترجمة مجموعة من المؤلفات إلى اللغة اللاتينية والعبرية ، كما أن بطرس المحترم أسند إلى اثنين من المترجمين هما : روبرت تشستر ، وهرمان الدلماتي ترجمة القرآن الكريم[١] .

٣ - شملت الترجمة في هذه المرحلة ، كافة المراكز ، كالمشرق ، وصقلية ، وإنجلترا ، وفرنسا ، إلا أنها لم تبلغ ما بلغته الأندلس من حيث وفرة المترجمات وعدد المترجمين ، فكان مركز الترجمة في الأغلب هو الأندلس ، وفي مدرسة الترجمة بطليطلة في المقام الأول ؛ حيث خرجت منها كثير من المترجمات التي نقلها عدد كبير من المترجمين المنتمين لهذه المدرسة[٢] .

٤ - تعددت لغات الترجمة في هذه المرحلة ، فقد ترجمت مؤلفات عن اللغة العربية إلى اليونانية ، ككتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه سيمون سيت (Symeon Seth) ، (عاش في حدود ٤٨٣هـ/١٠٩٠م) ، وهو يهودي عاش في القسطنطينية ، كان عالماً بالطب[٣] .

كذلك ترجمت أعمال أخرى من العربية إلى العبرية ، ومن العبرية إلى اللاتينية ،

=

١٠٥ .

(١) مايرز : الفكر العربي ، ٩٩-١٠١ ؛ فيرنيه : فضل الأندلس ، ١٨٠-١٨١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٢/١ .

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٠١ .

(٣) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ٨٨ ، حمادة : رحلة الكتاب العربي إلى الغرب ، ٤٨/١ ؛ وات : فضل الإسلام ، ١٠٧ ؛ (Haskins:studies in the history of mediaeval science,)

ومن اللاتينيـة إلى الفرنـسية وغيرهـا ، إلا أن أهمهـا جميعـاً مـا تـم مـن العربيـة إلى اللاتينية ، ذلك أن الترجمات العربية إلى العبرية ما تزال ضئيلة آنذاك ، وعدد اليهود القائمين بعملية النقل قليل مقارنة مع باقي المراحـل ، ويعـزى ذلـك إلى أن العلـماء اليهود الشرقيين ، وأغلب الأندلسيين لم يكونوا فقـط ملمـين إلمامـاً كافيـاً بالعربيـة بحيث لا يحتاجون إلى مثل هذه الترجمات ، بل كـانوا يعرفـون العربيـة أفـضل مـن العبرية[١] .

٥ - نلاحظ ، أن التراجمة لم ينقلوا أحدث ما يؤلف وينشر ، وإنما اتبعوا التقليد السائد آنذاك بالحصول على الوسائل الأكثر شهرة التي هـي الأقـدم ، كـذلك كـان نفس العمل ينقل مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر خلال فترة وجيزة من الزمن ، مثلما فعل يوحنا الإشبيلي عندما ترجم رسالة في الاسطرلاب لمسلمة المجريطـي ، وقـام بترجمة نفس الرسالة بعد فترة وجيزة رودولف بروجس (Rudolph of Bruges)[٢] .

٦ - ترجمت أغلب التخصصات في هذه المرحلة ، فقد نقل حتى أواسط القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي عـددٌ كبيرٌ مـن معـارف المـسلمين الطبيـة والفلكية والرياضية والكيميائية وغيرها ، بل قد ترجم القرآن لأول مـرة إلى اللغـة اللاتينية في هذه الفترة ، كما نقل الأدب العربي عبر المؤلفات الغربيـة في هـذه الفـترة أيضاً[٣] ، وفي ذلك يقول رينان :«لم تكن الكتب الأولى التي ترجمـت كتبـاً فلـسفية ؛ وذلك أن الطب والرياضيات والفلك فتنت فضول قسطنطين الأفريقـي وجربـرت وأدلرد الباثي وأفلاطون التيفولي قبل أن يطلب كفار كالفارابي وابن سـينا بمعـارف فلسفية»[٤] .

وعلى الرغم مما قيل من أن هذه المرحلة كانت انتقائية في الترجمات ، إلا أنهـا في نفس الوقت شاملة للمصادر العربية ، فهي انتقائية لكل ما يخص محاربة الإسـلام ،

---

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٠٢ .

(٢) نفس المرجع ، ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦١ ، العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ .

(٣) لوبون : حضارة العرب ، ٥٦٧-٥٦٨ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ١٧٢ .

(٤) ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٣-٢١٤ .

ومحاولة اختيار ما يوظف من العلوم لدحضه ، ولكنها شملت كل العلوم تقريباً لتحقيق هذا الغرض ، فكتب الطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والأدب ، والقرآن الكريم أيضاً ، كانت تترجم بصورة جماعية لتحقيق هدف واحد هو محاربة المسلمين ومحاولة التفوق عليهم في شتى المجالات[١] ، فبدرو ألفونسو السابق ذكره الذي ألف كتابه الأدبي «تربية العلماء» ، وهو مأخوذ من أصل عربي واضح ، لا يخفي هدفه الديني من التأليف بين طيات أدبيته في مؤلفه ؛ إذ يوصي كل من يقرأه أن ينظر إليه بعين نافذة كاثوليكية ، وذلك في نهاية مقدمته للكتاب ، إذ يقول : «إذا تصفح أحد هذه الرسالة بعين بشرية خارجية ، ورأى فيه ما لا يجدر ذكره فأنا أوصيه بأن يعيد قراءتها بعين أكثر نفاذاً المرة بعد المرة حتى يقف على ما في العقيدة الكاثوليكية من كمال»[٢] ، ومعنى هذا أنه ألفه واختص اختيار أدب قصصي ماجن ليشوه صورة الإسلام في نظر الغرب ، وهذا فيه ردٌ على من يزعم[٣] ، أنه كان صاحب أول تاريخ للإسلام يحوي معلومات موضوعية لها شيء من القيمة .

٦ - عموماً ، فقد بعثت هذه المرحلة اليقظة الأوروبية ، فالتفت الكثير من أعلامها إلى علوم المسلمين ، واستقطبت مراكز الترجمة أعداداً كبيرةً من المترجمين والمستفيدين من شتى أنحاء أوروبا كإيطاليا ، وألمانيا ، وإنجلترا وغيرها ، كما ساعدت هذه الترجمات في حركة الانبعاث الأوروبية ، حيث عرَّفت الغرب بأعلام اليونان مثل أرسطوطاليس ، وإقليدس ، فضلا عن العلم الشرقي ، وذلك قبل أن تتاح الترجمة الأولى المباشرة عن الأصول اليونانية بزمن طويل[٤] .

---

(١) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٤٠-٤١ .

(٢) بيدال : إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ، ١٤-١٥ .

(٣) سذرن : نظرة الغرب ، ٥٣ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/ ٣٧ .

(٤) رينان : ابن الرشد والرشدية ، ٢/ ٢١٤ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٠٢ ؛ فيرنيه : فضل الأندلس ، ١٨٠ .

المرحلة الثانية :

من منتصف ق٦هـ/١٢م إلى منتصف ق٧هـ/١٣م

تزامن مع هذه المرحلة عدة حوادث تاريخية ، كان من أهمها : الزحف المغولي[١] على العالم الإسلامي بقيادة هولاكو[٢] سنة(٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، وقضائهم على الخلافة الإسلامية العباسية ببغداد ، وضعف الجانب الإسلامي في الأندلس الذي أعقبه انتكاسات خطيرة في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، حيث سقطت عدة حواضر إسلامية هامة : كأبدَّة (Ubeda)[٣] سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، وقرطبة (cordoba) (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) ، ثم بلنسية (Valencia)[٤] (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) ، ومرسية (٦٤٠هـ/١٢٤٣م) ، وأخيراً إشبيلية سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)[٥] .

وهكذا ، تهاوت حواضر الأندلس الشهيرة الواحدة تلو الأخرى في ملحمة مأساوية ، وبدت الأندلس الإسلامية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي تسير نحو مصيرها المحتوم ، ومن ثم أخذ النصارى ينشئون

---

(١) المغول قوم من الترك من قوم يافث بن نوح ، من ذرية آدم عليهم السلام ، وقد ذكر ابن كثير أن لغتهم مخالفة للغة سائر التتار ، وأنهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وموطنهم الأصلي المنطقة المعروفة بهضبة منغوليا شمال صحراء جوبي . ابن كثير : إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) : البداية والنهاية ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، بيروت ، ١٣/٩٠ ؛ فؤاد الصياد : المغول في التاريخ ، (ط.د) دار النهضة العلمية ، بيروت ، ١/٣٠ .

(٢) هولاكو : ابن تولوي خان أصغر أبناء جنكيز خان ، الحاكم المغولي الذي أسقط الخلافة الإسلامية العباسية ، (ت سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) . الصياد : المغول في التاريخ ، ١/٣٣ .

(٣) أبدَّة : مدينة بالأندلس من كورة جيان ، تعرف بأبدة العرب ، اختطها عبدالرحمن بن الحكم ، وهي اليوم مدينة إسبانية ،ياقوت : معجم البلدان ، ١/٨٥ . الحميري : الروض المعطار ، ٧ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/٢٩٥ .

(٤) بلنسية : مدينة مشهورة بالأندلس ، وتقع شرقيها ، وهي اليوم في شرق إسبانيا أيضاً ، الحميري : الروض المعطار ، ٩٧ ؛ الخوند : المرجع نفسه ، ١/٣٠٤ .

(٥) عنان : نهاية الأندلس ، ٢٠ .

مراكز الترجمة في المدن التي استولوا عليها من المسلمين[١] .

وفي المقابل ، فقد ظهر في بداية هذه المرحلة عدد من الملوك والأباطرة المهتمين بالثقافة الإسلامية وعلومها ، ورعاية الترجمة عن هذه العلوم لاسيما في مركز صقلية الذي شهد اهتماماً مكثفاً من ملوك النورمان هناك ، وتشجيع متواصل على نقل علوم الإسلام إلى اللغات الأخرى ، وفي هذا المركز تمت ترجمة هامة على يد يوجين الأمير (Eugene Prince) ، من بلرمو (ت بعد ٥٥٦هـ/١١٦٠م) ، وهو يوناني نشأ في رعاية روجر الثاني وابنه وليم الأول (WilliamI) (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)[٢] ، وقد ترجم عن العربية كتاب المناظر المنسوب لبطليموس ، وكتاب المجسطي للمؤلف نفسه ، بالاشتراك مع الوزير الشهير أنريكو أريستبو (Enrico Aristippo) ، وكانت هذه الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

وفي هذه الحقبة ظهرت شخصية بارزة أثرت في سير حركة الترجمة ، وأثرتها في نفس الوقت بما تم نقله من مؤلفات على يدها ، تلك هي شخصية جيرارد الكريموني (Gerard Of cremona)(ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، الذي رحل إلى طليطلة فدرس العربية ، ثم عمل مترجماً بها حتى وفاته[٣] ، وقد أتم جيرارد ترجمة أكثر من سبعين كتاباً ، ولعله لم يستطع القيام بذلك دونما معونة ؛ إذ ربما استعان بمجموعة من التراجمة كانوا يعملون تحت إشرافه ، أمثال رجل ذكرته المصادر باسم غليبوس (Gallipus)[٤] ، وهو تحريف لاسم غالب[٥] .

(١) عنان : نهاية الأندلس ، ٢١ .

(٢) وليم الأول ، أو غليوم الأول ، خلف والده روجر الثاني في الملك ، وكان دونه نشاطاً ، وفي رأي ابن الأثير فاسد التدبير ، ابن الأثير : الكامل ، ١١/١٨٩ ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٢٢٤ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٧٤ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٨ ؛ جحا : الدراسات العربية في أوروبا ، ٨٠ ؛ هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٣٠٣ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٩ .

(٤) المظنون أنه كان من نصارى مدينة طليطلة ، جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٤ .

(٥) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٠ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي إلى أوروبا ، ٢٩٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٥ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ٢١٥ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلم ، ٢١ ؛

=

ومن المعروف ، أن ترجمات جيرارد تميَّزت بجودتها -بالنسبة لغيرها- كماً وكيفاً[١] ، ومن أشهر ما نقله من علوم : كتاب التصريف للزهراوي ، والقانون في الطب ، لابن سينا ، والكتاب المنصوري للرازي ، والأدوية المفردة لابن وافد ، وجبر الخوارزمي ، ورسالة في تنقيح المناظر لابن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)[٢] ، كما تم على يديه ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس عن أصله العربي مباشرة ، حيث أتم نقله سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) ، بعد أن ترجم قبل ذلك عن اليونانية في صقلية ، إلا أنها لم تنتشر مثلما انتشرت ترجمة طليطلة التي ظلت هي المعتمدة ؛ ذلك أن ترجمة جيرارد حفظت اسم الكتاب الأصلي ، مثلما حفظه المسلمون في ترجماتهم وهو «المجسطي» (ALmagestum) بخلاف ترجمة صقلية التي لم تحتفظ باسمه الأصلي[٣] .

وعلى كل حال ، فقد عُدَّت ترجمات هذا الرجل حدثاً عظيماً في تاريخ الترجمة على الإطلاق لدرجة عُدَّ فيها الأب الحقيقي لحركة الاستعراب في أوروبا ، على الرغم من أنه لم يكن أول من استعرب ، ولكنه كان أول من حقق ترجمات أمينة وجيدة إلى حد بعيد ، مهدت بدورها السبيل لانتشار العلوم العربية في أوروبا[٤] .

وفي هذا الوقت أخذت وفود المترجمين تتجه صوب مراكز الترجمة المختلفة ، أمثال دانييل مورلي (Daniel Of Morley)(عاش ق٦هـ/١٢م) ، الذي لم يجد ما يشبع نهمه في باريس مسقط رأسه ، فاتجه إلى طليطلة أشهر مركز للعلم آنذاك ،

=

(steinschneider:dei europals chen ubersetzungen,١٥؛ leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٤٢٤,)

(١) سارتون : تاريخ العلم ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٨ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٠ .

(٢) ابن الهيثم : أبوعلي محمد بن الحسن ، أصله من البصرة ، ثم انتقل إلى مصر ، وأقام بها حتى وفاته ، برع في الطب والعلوم الطبيعية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٥٠ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٣٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢-٤٦٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ جحا : الدراسات العربية في أوروبا ، ٨٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩-١٠ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٢٨، Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٥

(٤) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ .

لكي يستمع هناك إلى أشهر فلاسفة العالم ، وفيها أيضاً حظي بالتعرف على جيرارد الكريموني ، وعمل بجانبه في الترجمة[١] .

ولم ينقطع حماس الدوافع الدينية في حركة الترجمة إبان هذه المرحلة ، بل نجدها مستمرة آخذة منعطفات جديدة تمثلت في ترجمة القرآن الكريم ورسائل دينية تناولت انحرافات عقدية ، فتمت ترجمة القرآن الكريم ثانية على يد مارك الطليطلي (ت حوالي٦٣١هـ/١٢٣٤م) ، إلى اللغة اللاتينية ، إضافة إلى ترجمته رسائل موحدية تناولت عقيدة ابن تومرت ، وذلك سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) ، وكلها تمت تحت رعاية الأسقف ردريجو دي رادا[٢] .

وطوال النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وتيار الترجمة في تطور مستمر ، حتى إذا جاء القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نصل إلى نقطة حاسمة في تاريخها ، إذ تدفقت علوم المسلمين على أوروبا بشكل منقطع النظير ، الأمر الذي تطلب معه توفير معاهد تعليمية تدرَّس فيها هذه العلوم الوافدة ، فكانت نشأة الجامعات على نطاق واسع في عدد من الدول الأوروبية كجامعة تولوز (Toulouse)[٣] ، (٦١٤هـ /١٢١٧م) ، ومونبلييه (montpellier)[٤] ، (٦١٧هـ /١٢٢٠م) ، وسلمنقه (Salamanca)[٥] (٦٢٥هـ /١٢٢٧م) ، وإشبيلية (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، وكامبردج (Cambridge)[٦]

---

(١) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٧ .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ ؛ أبا الخيل : جهود علماء الأندلس ، ٣٧٤ .

(٣) تولوز : مدينة فرنسية تقع في جنوب غربي البلاد ، على ضفاف نهر جارون ، وهي رابع أكبر مدن فرنسا . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٤٠٩/١٣ .

(٤) مونبلييه : قاعدة مقاطعة هيرولت ، ومنطقة لانجدوك مركز تجاري مهم . نفس المرجع ، ٤١٥/١٣ .

(٥) سلمنقة : مدينة في غرب إسبانيا ، شهيرة بجامعتها ، نفسه ، ٣٠٥/١ .

(٦) كامبردج : مدينة في جنوب شرق أنجلترا ، على بعد ٧٥كلم شمال شرقي لندن . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٠٠/٥ .

(٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ، وأصبحت علوم المسلمين مواد أساسية في التدريس بها[١] .

وقد ظلت مدرسة طليطلة مركزاً رئيساً للنقل ، بالرغم مما أصابها من ركود وكسل خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، إلا أنها ما لبثت أن استعادت نشاطها على يد ألفونسو العاشر بعد ذلك ، كذلك شاهد نفس القرن بروز مراكز أخرى إلى جانب طليطلة كإشبيلية ، وروما ، ونابولي ، وبادوا ، إلا أن أهمها جميعاً مركز صقلية ، التي أصبحت فيه تنافس إسبانيا كلها في النقل والترجمة ، لاسيما على عهد الإمبراطور فردريك الثاني الذي عني بعلوم المسلمين وترجمتها ، ومن ثم نشرها في جامعات أوروبا ، كإيطاليا وباريس وأكسفورد ، وبالتالي تدريسها داخل قاعات هذه الجامعات ، وبذلك ساعد على انتشار العلوم العربية بشكل سريع في بلدان الغرب[٢] .

وممن احتضنهم بلاط هذا الإمبراطور المترجم الشهير : ميخائيل سكوت (Michael Scott)(ت حوالي٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، حيث دخل في خدمته مترجماً محترفاً وفيلسوفاً تجريبياً ، واضطلع بترجمة عدد من المؤلفات في بلاط هذا الملك بعد أن أتم بعضها في الأندلس ، خاصة فلسفة ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م)[٣] وشروحه على أرسطو ، وإليه يرجع الفضل في تعريف الغرب بمؤلفات هذا الفيلسوف ، فهو أول من أدخل فلسفته إلى أوروبا عبر جامعة باريس ، بدءاً من سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، فساهمت هذه المؤلفات في إنشاء النزعة المنتمية إلى ابن

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠٥ ؛ فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ، ٩٣ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب في تقدم الطب ، ٢٩٨ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٢٨٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٤٩ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٥ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ٣١٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب العربي إلى الغرب ، ١/٦٨ .

(٣) ابن رشد : أبوالوليد محمد بن محمد بن رشد ، ولد في قرطبة سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، وكان ينتمي إلى أسرة عريقة بالأندلس ، ولها شأو في الفقه والسياسة والقضاء ، وكان جده أبوالوليد قاضي قرطبة من كبار الفقهاء المالكية ، وقد برع ابن رشد في الطب والفلسفة خاصة . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٣٠ ؛ ماجد فخري : ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ط٢، دار المشرق ، بيروت، ١٩٨٦م، ٩.

رشد ، والتي عوضت النزعة المنتمية إلى ابن سينا التي كانت تسود في العالم اللاتيني من ذي قبل[١] .

لذا يعد سكوت أحد مؤسسي المذهب الرشدي اللاتيني المعروف باسم (Arervoism) ، ونظراً لفقدان الكثير من الأصول العربية لهذا المذهب ، أضحى مصدره الوحيد هو مترجماته اللاتينية والعبرية ، التي هيأت مادة وفيرة أعانت على نشره خاصة في جامعة باريس وشمال إيطاليا[٢] .

وباستطاعتنا القول أن القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي هو العصر الذهبي للنقل من العربية إلى العبرية ، فقد زادت مساهمة اليهود مساهمة كبرى في عملية النقل هذه ، وظهرت أسر تخصصت في هذه العملية كأسرة طبون (Tibbpn)[٣] التي تعاقب منها في عملية النقل أجيال ثلاثة وربما أربعة ، ولم يقتصر نقلهم على ترجمة المؤلفات التي ألفها يهود بالعربية إلى العبرية ، وإنما تعدى نقلهم إلى نقل روائع المؤلفات العربية التي ألفها مسلمون إلى العبرية ، كما ساهموا في نقل بعض الأعمال العربية إلى اللاتينية[٤] .

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/ ٢١٨ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٥ . بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ؛ أحمد : تاريخ صقلية ، ١٠٣ ؛ ؛ أحمد شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ط١ ، مطبعة الوراقة الوطنية ، مراكش ، ١٩٩٩م ، جزأين ، ١/ ١٨٩ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/ ٢٢١ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ ؛ الخضيري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، مؤسسة مصطفى قانصو ، بيروت ، ٢٠٠٧م ، ٤٩ .

(٣) أسرة آل طبون : يرجع أصل هذه الأسرة إلى الأندلس ، ثم استقروت بلونل ، وعميد الأسرة هو يهودا بن طبون ، الملقب بأمير المترجين وجميعهم شغلوا بالترجمة إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، والنصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي . رينان : الرشد والرشدية ، ١/ ١٩٧ .

(٤) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٤ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/ ١٤٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٠٢ .

وبشكل عام فقد تميَّزت هذه المرحلة بالآتي :

١ - امتازت هذه المرحلة بازدياد عدد الترجمات اللاتينية للمصنفات العربية ، خاصة مع وجود أعظم مترجم في هذا المجال جيرارد الكريموني الذي نقل مقداراً هائلاً من الثقافة الإسلامية ، وقد اعتبر هذا الرجل مثالاً للعالم الغربي المعاصر في التفاته للثقافة الإسلامية وعلومها ، وكان أثر هذه المترجمات هائلاً ، وكان الانبعاث اللاتيني المتمثل بجيرارد الكريموني في الأساس انبعاثاً للعلوم الطبيعية ، وليس العلوم الإنسانية ، التي جاءت في عصر النهضة في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي .

ومنذ أن حل هذا المترجم بطليطلة ، ما فتئت الأندلس تحتل مركز الصدارة للنقل في العالم ، وقد فتح بعمله هذا كنوز الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعة والطب والكيمياء الإغريقية والعربية للغرب ، ولعل أهم مترجماته التي فاقت السبعين ، كتاب المجسطي والقانون لابن سينا[1] .

٢ - تألقت شهرة مراكز أخرى إلى جانب الأندلس في هذه المرحلة ، لاسيما صقلية التي حظيت بوجود ملوك مشاركين في دفع سير الترجمة إلى الأمام أمثال فردريك الثاني الذي كان يبحث عن كثير من العلوم ويأمر بترجمتها ، وعلى بلاط هذا الملك ذاعت شهرة المترجم ميخائيل سكوت ، كأول مترجم لشروح ابن رشد وفلسفته .

٣ - استمرت موجة الهجوم النصراني ضد المسلمين عن طريق الترجمة ، فتم في هذه المرحلة ثاني ترجمة لاتينية للقرآن الكريم ، مع مجموعة من الرسائل الدينية كالموحدية ، وهذا يعطي دلالة على مدى تنامي الحقد النصراني في استغلال المؤلفات التي تحمل شطحات عقدية بين سطورها ، وترجمتها لغرض إعطاء صورة مشوهة لهذا الدين .

٤ - ساعدت هذه المترجمات في تمهيد الطريق لتأسيس الجامعات ، حيث تأسست في نهاية القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، جامعتا سالرنو

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١١ .

وبولونيا في إيطاليا ، وجامعتا باريس ومونبلييه في فرنسا ، وأكسفورد في إنجلترا ، وتأسست جامعة كمبردج في سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) فرعاً من باريس ، وأصبحت الطريقة النظامية في التعليم العالي أمراً ممكناً وضرورياً[١] .

٥ - تعددت هُويات المترجمين -في هذه المرحلة- وبلدانهم ، فشملت إنجلترا ، واسكتلندا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وتم نقل المؤلفات من العربية إلى اللاتينية ، كما تدفق سيل المترجمات من العربية إلى العبرية ؛ وذلك بسبب ازدياد عدد البحاثة اليهود الذين أصبحوا يجهلون اللغة العربية ، فترجمت كثيرٌ من المعارف إلى اللغة العبرية ، ومنها إلى اللاتينية ، أو أنها بقيت في لغتها العبرية[٢] .

٦ - كان قسم من التراجمة في هذا العصر مؤلفين إلى جانب عملهم كمترجمين ، وإن لم تكن مؤلفاتهم متأثرة إلى حد بعيد بما ينقلونه إلى لغاتهم ، وبدأ القوم يهتمون بمواد أخرى غير المواد العلمية ، فقد بدأوا يهتمون بالقصص العربي والحكايات العربية مثل أقاصيص ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، وقصص السندباد وغيرها ، مما كان له أثر كبير في تطور وتبلور الأدب القصصي في الغرب ، واستمر الاهتمام بالطب والفلك والعلوم كما كان في السابق ، وزاد الاهتمام بالفلسفة إلى درجة قصوى ، مما كان له نتائج بعيدة في تطور الأفكار في أوروبا ، كما ترجمت أعمال عربية إلى اللغات العبرية واللاتينية كانت سابقاً قد نقلت[٣] .

٧ - يجب أن نذكر أن هناك تبادلاً بين التراجمة من مركز إلى مركز ، وانتقالاً من مكان إلى مكان ، كما فعل ميخائيل سكوت الذي كان يعمل في طليطلة ، ثم انتقل إلى صقلية بناءً على دعوة وجهها إليه الإمبراطور فردريك الثاني[٤] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١٠٥/١ ، ١٧٣/٢ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ٢١/١٧ .

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٢/١ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ١٠٢/١ ؛ روبيز هالو : استقبال الخيمياء العربية في الغرب ، (بحث ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية) ، إشراف : رشدي راشد ، ويجيس مورلون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١١٤٣/٣ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٣/١ .

المرحلة الثالثة :

من منتصف (ق٧هـ/١٣م) إلى نهاية (ق١١هـ/١٧م)

تشغل هذه المرحلة حيزاً زمنياً طويلاً يمتد إلى خمسة قرون ونصف القرن ، مما جعلها تزخر بالكثير من الأحداث التاريخية الحاسمة ، والتي أثرت بدورها في سير حركة الترجمة سلباً وإيجاباً .

أولى هذه الأحداث هي طرد الصليبيين من بلاد الشام ، وذلك سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)[١] ، عندما خرجت فلولهم المنهزمة من آخر معقل لهم وهو مدينة عكا (Akka)[٢] ، وبخروجهم فتحت صفحة جديدة من صفحات المواجهة الإسلامية النصرانية ، تلك الصفحة التي سطرت بمداد الحقد الدفين للإسلام وأهله ، فصاغت بين جنباتها ضرورة محاربة المسلمين بالبنان لا بالسنان ، وذلك عن طريق تعلم لغتهم وثقافتهم ، للتمكن من استخدامها في وعظهم ومجادلتهم في دينهم ؛ لأن الذي يدخل في مجال الجدل الديني يجب أن يكون على دراية بثقافة الخصم ولغته[٣] .

وقد تزعم هذه الدعوة ريموند لول ، الذي كتب عقب استرجاع عكا سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) مخاوفه المستقبلية من انتشار الإسلام على نطاق واسع لاسيما بين المغول الذين أخذوا يتعايشون مع المسلمين بعد معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[٤] ، وللحد من هذه المخاوف رأى لول وجوب الالتفات إلى

---

(١) استطاع السلطان الأشرف خليل محاصرة عكا ، واقتحامها وإخراج من كان فيها من الصليبيين سنة (٦٩١هـ/١٢٩١م) ، وبسقوط عكا آخر مملكة لهم انفرط عقد الصليبيين ببلاد الشام إلى غير رجعة . انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، ٢/٩٣٥ .

(٢) عكا : مدينة حصينة على ساحل البحر المتوسط ، وهي من مدن دولة فلسطين في أيامنا هذه . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، ٤/١٦٢ ؛ مصطفى : موسوعة دول العالم ، ٢٢ .

(٣) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ١٢ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/٥١ .

(٤) معركة عين جالوت الشهيرة ، دارت رحى المعركة بين المماليك من الجانب الإسلامي ، والمغول ، وقد انتصر المسلمون بقيادة قطز القائد المملوكي ، وهي من المعارك الحاسمة في التاريخ . ابن كثير : البداية

تراث المسلمين ودراسته ؛ لاستخدامه كأداة فعالـة لتنـصيرهم أو كـسر شـوكتهم ، هذا ، وإن كنا لا نجد للول مترجمات عن العربية إلا أنه من خلال مؤلفاته المخذولة التي تناول فيها الإسلام والنبي ﷺ وعقيدة المسلمين ، نتأكد أنـه كـان عـلى اطـلاع عليهـا ، واهـتمام بهـا ، بغـض النظـر عـن تـضلعه في لغتهـا أو علمـه الواسـع بمحتوياتها[١] .

وقد وضع لول خطـة مفـصلة لإعـداد الكـوادر التبـشيرية المحترفـة ، وأقـام لتحقيق هذه الغاية مراكز تعليمية متخصصة بدأها بمدرسة لتعليم العربية في ميرمار (Miramar) بجزيـرة ميورقـة ، كـما أنـه انطلـق مـن ضرورة دراسـة وفهـم عقيـدة وعادات وقيم الشعوب المنوي التبشير بالنصرانية بينها ، وفي الوقت ذاته كـان يـرى أنه يتوجب على المبشر أن يجمع الحجج والبراهين اللازمة ثم يرتبها ويضعها في إطار مفهوم ومقبول لدى تلك الشعوب والجماعات[٢] ، أما عن نظرته إلى الفلسفة ، فلقد نظـر إليهـا بوصـفها أداة حواريـة شـاملة ، يمكـن عـلى أساسـها إقامـة الـصلات والتواصل بين أناس من عقائد مذهبية مختلفة[٣] .

=

والنهاية ، ١٢٢/١٣ .

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨٢ ؛ سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ٨٦ ؛ جورافسكي : الإسـلام والمسيحية ، ٧٨ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٣ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٧٨ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٩٦ .

(٣) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٧٨ .

وقد تمخضت جهود لول عن إقناع المجمع الكنسي بفينا سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، بإصدار القرار الحادي عشر والذي ينص على وجوب تدريس اللغات الشرقية في عدد من الجامعات الأوروبية ، وهي : باريس ، وأكسفورد ، وبولونيا ، وسلمنقا ، وروما ، ومنذ تاريخ هذا القرار نشأ الاستشراق بصورته المؤسسية الرسمية ، وقد رافقته الترجمة في جميع مراحله وأطواره العديدة ؛ لتستجيب بذلك إلى مختلف مجالات اهتماماته المفضلة[١].[٢]

وفي بداية هذه المرحلة أيضاً صاغ الملك ألفونسو العاشر مشروعه التنصيري ، عندما أمر بالعناية بالتراث الإسلامي ، كما اشتد في عهده الاهتمام بما سيعرف في التاريخ الديني للأندلس وإسبانية بالمجادلة والتبشير الدينيين[٣] ، وقد تمخض عن الشغف التنصيري لهذا الملك ، أن ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة القشتالية ، إلى جانب ترجمة أعمال أدبية وعلمية أخرى إلى نفس اللغة ، من مثل ، كليلة ودمنة ، وهي الترجمة الأولى لهذا الكتاب الشهير في لغة غربية ، وذلك سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م) ، كما تم نقل كتاب الصفيحة للزرقالي ، سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، هذا بالإضافة إلى سلسلة من الأعمال الفلكية التي تمت بأمر هذا الملك وتوجيهه وتحت إشرافه بين عامي (٦٧٥-٦٧٦هـ/١٢٧٦-١٢٧٧م) ، كانت تحوي ترجمات كثيرة من العربية ، وترجمات معدلة من النصوص الأصلية حسب

---

(١) لم يقتصر الأمر على لول في الدعوة إلى الاهتمام بتراث المسلمين لأجل تنصيرهم بل سبقه روجر بيكون ، الذي وجه رسالة إلى البابا سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) ضمنها دعوته إلى :

١ - وجوب إدخال اللغات الأجنبية وخاصة العربية في مناهج الدراسات الجامعية وذلك كوسيلة للتبشير ضد الإسلام .

٢ - دراسة أحوال من يراد هدايتهم وذلك لمعرفة المشارب التي يمكن النفاذ إلى عقيدة المسلمين لهدمها وتقويضها . سذرن : نظرة الغرب ، ٧٥-٧٦ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٦٧ ؛ زقزوق : الإسلام والاستشراق ، ٧٥ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٦ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية ، ١٠ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٧٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢ ؛ البهي : المبشرون والمستشرقون ، ١ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٧ .

(٣) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٦ .

إمكانية الحصول عليها[١] .

ولمواصلة عمله التنصيري هذا ، فقد أسس مدرسة للاتينية والعربية بإشبيلية سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، لتعليم العربية ومختلف العلوم التي تحتضنها هذه اللغة من طب ورياضيات وفلسفة وغيرها ؛ لذلك جلب إليها طوائف من العلماء والمترجمين المسلمين واليهود ليشتغلوا بها تحت إمرته وإشرافه الشخصي المباشر ، ويذكر مؤرخوه بأنه قد استجلب كذلك إلى قصره عدداً من هؤلاء المتخصصين ليتابعوا بفضل عنايته الخاصة مشروع مدرسة طليطلة لترجمة علوم العربية -بعد فترة ركود ألمت بها- وليتجاوزوه بكثير[٢] .

وقد أدرك ألفونسو العاشر أهمية مدرسة طليطلة التاريخية ، فلم يجرؤ على تجاوزها دون الاستفادة من خبراتها السابقة في مجال الترجمة ، فحاول إدخال الترجمات القشتالية إلى جانب الترجمات اللاتينية في برنامجها ، بدليل أن عدداً من مترجمي هذه المدرسة الذين كانوا يعملون في حقل الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، أصبحوا في عهد هذا الملك يترجمون أعمالاً عربية إلى اللغة القشتالية ، أمثال : هرمان الألماني (Hermann of german) (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، فقد جَرُأ بعد سنوات طويلة من الترجمة إلى اللاتينية في طليطلة على القيام بترجمات إلى اللغة القشتالية تحت إشراف هذا الملك ، كما أن التنوع في اللغة لدى المترجمين طال المؤلفات نفسها ، فكتاب الكيمياء المنسوب لأبقراط الذي ترجم بأمر ألفونسو العاشر ، وصلنا منه ثلاث مخطوطات : اثنتان في اللغة اللاتينية ، ومخطوطة أخرى في اللغة القشتالية ، ويبدو أن نظام الترجمة المستخدم من ذي قبل -بأن تتم بين شخصين

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٣-٥٧٤ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ص٢٤٤ ، مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٨-١١٩ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، ٦٨-٦٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٧ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٥ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٦ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ١٣ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٢٠ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٧ .

بالاشتراك في نقل العمل - قد استمر أداؤه في هذه المرحلة[١] .

إن ألفونسو بعمله هذا يعد منافساً قوياً لرجال الدين النصارى ، وخادماً لهم في نفس الوقت ؛ حيث استطاع أن ينقل رعاية مدرسة الترجمة بطليطلة -خاصة- من الأساقفة إلى نفسه ، كما أنه أخذ يوسع من مساحة مراكز الترجمة لتشمل مدناً كثيرة ، بل إنها قد شملت أماكن هامة بالنسبة للنصارى والمسلمين على حد سواء ، فيذكر أنه أمر بتخصيص بعض المساجد لتكون مقراً لعلماء الطبيعة ، ليقوموا بالتدريس في حلقاتها[٢] .

ولم ينس ألفونسو -وسط هذه الأجواء العلمية الممتزجة بروحانية التنصير- أطماعه السياسية ؛ إذ جعل الترجمة جزءاً من المكون الثقافي لدولته ، وذلك بترجمة العلوم العربية إلى اللغة القشتالية ، بهدف تفخيم الأمة الإسبانية ، أو رد المسلمين فيها إلى النصرانية[٣] .

ومع نهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نصل إلى ختام العصر الذهبي للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ومع هذا فقد تحققت بعض الترجمات في القرون اللاحقة ، إلا أن القسم الأكبر مما نقل خلال القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي كان إعادة لمواد سبقت ترجمتها في الماضي ، أو أنها شروح عليها ، والتأثير الكبير للعلوم والفلسفة على الحياة الفكرية في أوروبا تم من خلال الترجمات الأولى ، فحصل الأوربيون بحدود نهاية هذا القرن على قدر كبير من الكفاءة في العلوم والفلسفة ، وأصبح معظم التراث اليوناني والعربي في متناول الغرب في تراجم لاتينية جديدة ، وبدأ عصر جديد للفكر في أوروبا يمكن أن نطلق عليه تعبير «عصر الاستعراب» ، حيث وصل التأثير الإسلامي الذروة ، وذلك من

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٦٠ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٣٤-١٣٥ .

(٢) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٨ .

(٣) بيرنت : حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى ، ٢/١٤٦١ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٤٥ .

منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، حتى منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، فلم تعد أوروبا تملك التراث العربي فحسب ، بل استعدت استعداداً كاملاً لفهمه وشرحه وتدريسه والاستفادة منه[١] .

وبحلول القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، يلاحظ نوع من الفتور في الاهتمام الأوروبي تجاه علوم الإسلام ، إلا أن هذا التباعد لم يؤد إلى قطع الاتصالات بين الثقافتين ، بل على العكس ، فإن الاتصالات الدبلوماسية بينهما أصبحت أكثر تنظيماً ، والعلاقات التجارية أكثر اتساعاً وتنوعاً ، خاصة مع نجاح فاسكودي جاما (vasco de gama) (ت٩٣١هـ/١٥٢٤م)[٢] ، الطواف حول رأس الرجاء الصالح[٣] ، ففتح بذلك الطريق أمام البرتغاليين من تجار ومبشرين للوصول إلى الهند ، ثم من تبعهم بعد ذلك من الأوروبيين[٤] .

وحتى في ميدان العلوم الطبيعية ، وعلوم الطب ، وإلى حد ما في ميدان الفلسفة ، استمر الأوروبيون في توجههم نحو المصادر الإسلامية بغية الحصول على المعارف الضرورية التي تلزمهم[٥] .

ولم يستمر هذا الفتور طوال هذه القرون التالية ، إنما تخللته فترات صحوة حيث استؤنفت أعمال الترجمة والعلاقات الثقافية بين المسلمين وإيطاليا خاصة من منتصف القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، واستمرت إلى النصف

---

(١) وات : فضل الإسلام ، ٨٦ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٦ ؛ خليل السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦م ، ٣٩٣ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ٢٢٠ .

(٢) فاسكو دي جاما : رحالة نصراني من أصل برتغالي ، ولد سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) ، وكان ينتمي إلى عائلة نبيلة ، مقربة إلى الحكام ، مما شجعه على الاستكشاف والترحال . مجهول : يوميات رحلة فاسكوداجاما ، تقرير رحلة دوز سانتوس ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ١ .

(٣) رأس الرجاء الصالح : هو رأس من اليابسة ، يمتد في المحيط الأطلسي في دولة جنوب أفريقيا وتحديداً في مدينة كاب (Cape) . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٦٦/٧ .

(٤) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٥ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٨٦ ؛ ألبرت حوراني : الإسلام في الفكر الأوروبي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ١٨ .

(٥) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٥٦ .

الأول من القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، فترجمت من جديد المؤلفات والرسائل الطبية لابن سينا ، والشروحات التي وضعها ابن رشد على أرسطو ، وإلى تلك الفترة بالذات تعود أول ترجمة لاتينية لقصة «حي بن يقظان» الفلسفية ، التي وضعها ابن الطفيل (ت٥٨١/١١٨٥م)[١] ، وقام بتلك الترجمة إلى اللاتينية بيكو ديلاميراندولا (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م)[٢] .

أما بالنسبة للمجال المعرفي البحت ، فقد تنامى موقف اللامبالاة والتجاهل إزاء الفكر الإسلامي ، وبدأت أوروبا تتجه أكثر نحو العلوم القديمة ، والأصعب من ذلك أن الأوربيين صاروا ينظرون إلى ترجمات المسلمين للمؤلفات اليونانية على أنها زائفة ، وليس لها قيمة علمية حقيقية ، بل إن صفة «عربي» ذاتها حملت في هذا السياق نوعاً من المضمون التحقيري الازدرائي[٣] .

وقد كانت الصحوة المفاجئة من هذا الفتور -تجاه المسلمين- على أثر فتح المسلمين للقسطنطينية مقر الكنيسة الأرثوذكسية سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ، فواكبت هذا الحدث العظيم دعوات من رجالات الغرب البارزين تنوه بضرورة بحث الفوارق والأمور المشتركة مع المسلمين ، بواسطة الترجمة للتعرف على الاختلافات الواقعية بعد أن رأوا أن الحرب لا تحل الخلاف بين الديانتين الإسلامية والنصرانية ، وتمشياً مع هذا المنحى ترجم يوحنا السيجوفي القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ، واستجابة لرغبته أيضاً هرع صديقه نيقولا الكوسي إلى تأليف كتاب اسمه «غربلة القرآن» ، وضع فيه المبادئ المعتمدة في العقيدة الإسلامية ، والتي يمكن أن تكون مقبولة في ضوء الإنجيل ، وقبل ذلك أرسل البابا بيوس الثاني خطابه الموجه إلى السلطان العثماني محمد الفاتح ، والذي تناول فيه الخلاف القائم

---

(١) ابن الطفيل : محمد بن عبدالملك بن محمد بن طفيل القيسي الأندلسي ، فيلسوف ، وطبيب له مؤلفات عدة . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٤/٢٩-٣٠ .

(٢) بيكو ديلا ميراندولا : عالم إيطالي وجد إبان القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، وكان ملماً باللغات العربية والآرامية والعبرية ، وات : فضل الإسلام ، ١٠٩ .

(٣) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٥٦ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٣٣ .

بين الإسلام والنصرانية ، إلا أن الرسالة في حقيقتها كانت تهدف إلى مصالح سياسية ودعويَّة ودبلوماسية ، وليس من أجل السعي إلى التفاهم بين الديانتين كما زعم كاتبها[(١)] .

وبالرغم من هذه الصحوة المفاجئة التي واكبت فتح القسطنطينية إلا أن الأجواء العامة للامبالاة كانت مستمرة ، واستمر معها أيضاً محاربة الإسلام وأهله ، ولعل عدم الاكتراث بالتراث الإسلامي كان أحد صور هذه المحاربة الذي عاصرته عدة أحداث جعلت الغرب يتوجس من المسلمين وعلومهم ، ويرى أن كل محاولاته في التعرف عليهم ، أو التثاقف معهم أو مجادلتهم لم تجن أي طائلة تذكر ، فكان التهميش لتراثهم المعرفي أحد الخيارات التي انتهجها الغرب ضدهم[(٢)] .

وقد تظافرت عدة أحداث -كما ذكرنا- ساعدت في تفعيل هذه الصورة من اللامبالاة ، كان من أهمها سقوط غرناطة ، آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) ، وما واكبها من ظهور ما عرف بحركة الاسترداد النصراني الإسبانية التي أخذت على عاتقها احتقار هذا الدين وأهله ، وإلى الانتقام منهما ، والإصرار على تدمير جميع أشكال الثقافة التي تسندهما ، ولعل هذا هو ما يفسر إحراق الكاردينال سيسينروس (EL cardianal Cisneros) (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)[(٣)] ، -وهو المؤسس لبعض الجامعات الإسبانية- لآلاف الكتب

(١) سذرن : نظرة الغرب ، ١٠٢ ، ١٠٥-١٠٦ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٧٩ ؛ جارودي : الإسلام في الغرب ، ٢٣ ؛ آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٤ .

(٢) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٧٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٢٢٧ ؛ عبدالقهار العاني : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ط١ ، دار الفرقان للنشر ، عمان ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م ، ٩٨ .

(٣) الكاردينال سيسنيروس : واسمه فرانسيسكو فيمينز واشتهر بـ دي سينيروس ، ولد في قشتالة سنة (٨٤٠هـ/١٤٣٦م) ودرس في سلمنقة ، وفي عام (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) سافر إلى روما للقاء البابا ، وفي عام (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) انضم إلى محاكم التفتيش في غرناطة ، وشرع في التحويل القسري للمسلمين إلى النصرانية ، مع استخدام أقسى وسائل التعذيب . عنان : نهاية الأندلس ، ٣١٦-٣١٧ ؛ Don Francisco simonet:Ximenez de ciseros ylos manus critos Arabigo-Granadinos,Imprenta =

العربية ، مثلما يفسر كذلك تهميش اللغة العربية ومعارفها والعمل على إقصائها من برامج مختلف الجامعات الإسبانية ؛ وذلك من أجل المساهمة في الحيلولة بين الموريسكيين وثقافتهم الإسلامية ، للتمهيد إلى تنصيرهم ومواكبته بصفة خاصة ؛ ومن أجل استئصال الذاكرة الإسلامية من إسبانيا بصفة عامة ، لضمان وحدتها الدينية والسياسية والمحافظة عليها[١] .

وعلى الرغم من وجود كراسي دراسة للغة العربية منذ القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، إلا أن أحد الباحثين الغربيين عندما اتجه إلى أحد هذه الكراسي في جامعة سلمنقة عام (٩٣٩هـ/١٥٣٢م) ، وسأل عن تعليم العربية فيها ، أجابه أحد الإسبان البارزين بقوله : «وما سؤالك عن هذه اللغة العربية الهمجية؟ حسبك تعلُّم اللاتينية واليونانية ، لقد كنت في شبابي غبياً مثلك ، وتعلمت العبرية والعربية غير أني هجرتها منذ أمد بعيد ، وأكرِّس جهدي كله الآن لتعلم اليونانية ، فإن انتصحت حذوت حذوي!»[٢] .

وهكذا نجد أنه بطرد المسلمين من الأندلس إبان القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، انقطعت الصلة الأخيرة والضعيفة التي كانت تجمع بين عشاق الدراسات العربية ، وقد انعدم الاهتمام بدراسة اللغة العربية لأهداف تنصيرية ؛ لأن النشاط التنصيري توجه إلى ما وراء المحيط وإلى الشرق الأقصى[٣] .

ومع كل هذه المحاولات للابتعاد عن الثقافة الإسلامية ، إلا أننا لا نعدم بعض الاهتمامات المتفرقة بها ، ففي فرنسا أدرك المستعرب وليم بوستل ، (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م) قيمة اللغة العربية وثقافتها في الاتصال بالمسلمين وغيرهم من شعوب الشرق ، فأقبل على تعلمها والرحلة إلى عدد من دول الشرق لجمع

=

de la lealtad a cargo de J.G.Garrido,Granada,١٨٨٥٨-١٠

(١) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٢٢٨ .

(٢) وات : فضل الإسلام ، ١٠٩ .

(٣) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٦ ؛ جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ١٢٥ .

مخطوطاتها القيمة لعلومها[١] .

وكان من رواد هـذه الفـترة أيـضاً ، تومـاس اربنيـوس(Thomas Erpenius) (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ، فقـد ظهـرت لـه في سـنة (١٠٢٢هــ/١٦١٣م) ، أول دراسة منهجية في أوروبا للنحو العربي ، وبعد أن كانت جهود الأوروبيـين الـسابقة تبذل لدراسة القرآن بدأ اربنيوس دعوة جديدة فقال بأنه من الضروري لكي تدخل النصرانية في جدل مع الإسلام أن تعنى –إلى جانب دراسة القرآن- بدراسة التفسير والسنة[٢] .

وأتم اربنيوس كذلك العمل الذي كان قـد بـدأه قبلـه سـكاليجر (Scaliger) (ت١٠١٨هـ/١٦٠٩م)[٣] ولم يتمه ، وهو ترجمة لمائتي مثل عـربي مـع تفـسير لهـا ، ويقول فوك : «إن هذا الكتاب أول عرض منهجي للغة العربيـة الكلاسـيكية كتبـه أوروبي»[٤] .

وألحق اربينيوس بكتابه في النحو ، كتاب مطالعة للمبتدئين في تعلم العربيـة ، ضمن مختارات من حكم لقمان ومائة مثل عربي أخرى مصحوبة بترجمـة لاتينيـة[٥] ، كما أنه أسهم بصورة واضحة في ترجمة علم التاريخ الإسلامي ، وتحديداً الجزء الثاني من التاريخ العام للمؤرخ ابن العميـد (ت٦٧٢هــ/١٢٧٣م)[٦] ، وعنوانـه تـاريخ

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١١٨ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٥ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٣٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٥٨ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٩ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٢ .

(٣) جوزيف سكاليجر : ولد سنة (٩٤٧هـ/١٥٤٠م) ، في آجن ، واستدعاه بوستل فـيمن اسـتدعي إلى باريس فتعلم عليه اللغات الشرقية ، ثم رحل إلى اسكتلندا وإنجلترا وبلنسية فتضلع من العربية ، ثم بلغت شهرته جامعة ليدن فاستقدم أستاذاً بها حتى وفاته . فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٣٠ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٢ .

(٤) تاريخ الاستشراق ، ١٥١ .

(٥) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦-١٧ .

(٦) ابن العميد : جرجس بن العميد بن إلياس ، المعروف بالمكين ، مؤرخ من كتاب النصارى الـسريان ، أصله من تكريت ومولده بالقاهرة ، ونشأ بدمشق ، وولي الكتابة في ديوان الجيش بمـصر ، وعـزل ـ

المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية ، وهو كما يدل عنوانه يؤرخ للعالم الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ إلى عصر الأتابكة سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)(١) .

وحاول اربنيوس -مستعيناً ببعض المراجع العربية وخاصة تقويم البلدان لأبي الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)(٢) أن يخرج نصاً صحيحاً للكتاب ، وقد بدأ العمل ولكنه توفي قبل إتمامه ، فأتمه يعقوب جوليوس «Jacobus Jolius» (ت١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) ، وظهرت طبعته كأول كتاب تاريخي عربي في أوروبا سنة (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م) ، وقد ألحق جوليوس به ذيلاً للتأريخ للمسلمين في إسبانيا ، وهو ما لم يتناوله ابن العميد في كتابه ، من تأليف المؤرخ الإسباني ردريجو دي رادا (ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م)(٣) .

وما وافى القرن الثاني عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، حتى أتى أبو الدراسات العربية في بريطانيا : وليم بدويل (William Bedwell) (ت١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) ، فقد كان أول من أخرج ترجمة إنجليزية للقرآن ، وتبعه بعد ذلك آخرون(٤) .

وهكذا نجد أن هذا القرن يبدأ منعطفاً جديداً في حركة الترجمة التي أصبحت تهتم بالتفسير والحديث والتاريخ ، ومع هذا المنعطف بدأت تظهر تقاليد ومفاهيم جديدة للاستشراق في غرب أوروبا ؛ وتبعاً لذلك بدأت تظهر في ميدان الدراسات الاستشراقية شخصيات كبيرة من أمثال : بوكوك ، (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) الذي جمع عدداً كبيراً من المخطوطات العربية أثناء رحلاته في الشرق ، واعتماداً عليها =

وحبس ثم أطلق ، وأقام بدمشق إلى وفاته . الزركلي : الأعلام ، ١١٦/٢ .

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٠-١٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣٠٣/٢ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٣ .

(٢) أبوالفداء : إسماعيل بن علي بن محمود ، ويطلق عليه صاحب حماة ، الملك المؤيد ، مؤرخ جغرافي ، وأديب ، له مؤلفات . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٠٤/٩ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦١ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٣ .

(٤) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣٩/٢ .

وضع مؤلفه التاريخي الهام ، «لمع من تاريخ العرب» (Specimen Historiae Arabum)[١] .

وقد كان لظهور الطباعة خلال هذه المرحلة دور في نشر التراث المترجم ، واتساع تداوله في الغرب على نطاق واسع . إذ ظهرت أول مطبعة في ألمانيا سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، ثم تبعتها باقي المطابع في عدد من الدول الأوروبية الأخرى[٢] .

وعلى كل حال فلا بد من خلاصة نختم بها هذه المرحلة كالتالي :

١ - ظهر في هذه المرحلة ما عرف بالاستشراق المؤسسي الرسمي بموجب قرار مؤتمر فينا سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، والذي نص على تدريس اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية في مختلف الدول الأوروبية عبر جامعاتها ، وقد سايرته الترجمة كما سايرته من قبل وأدلت بدلوها في خدمته ، وكل هذه التطورات كانت بجهود مضنية من ريموندلول الذي عد أول منصر وأول مستشرق في آن واحد .

٢ - برزت في هذه المرحلة الدوافع السياسية للترجمة ، والمتمثلة في رعاية الملوك والأباطرة لها بهدف إحياء قومياتهم ، والنهوض بدولهم ، بالإضافة إلى ما قدموه من خدمات للأهداف الدينية من أجل إرضاء الكنيسة .

٣ - أصاب الترجمة من العربية إلى اللاتينية ركود تدريجي أثناء القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وكادت تتوقف في نهاية هذا القرن ، لولا ظهور عوامل سياسية ودينية وتجارية لفتت أنظار الغرب إلى علوم المسلمين من جديد ، وهكذا نرى أن الترجمات من العربية إلى اللاتينية برزت مبكراً وضعفت حدتها مبكراً[٣] .

---

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٤١/٢ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٨ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٤٠ .

(٢) انظر المبحث السادس من الفصل الثاني الخاص بالطباعة .

(٣) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٣٤ .

وكانت غلبة الترجمات من العربية إلى اللاتينية قد حلت محلها ترجمات من العربية إلى العبرية ، وهو أمر يبدو أكثر وضوحاً في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ومن ثم انتعشت الترجمات من اليونانية إلى اللاتينية في القرن نفسه ، واستمرت إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وكان للترجمات من اللاتينية إلى العبرية واللاتينية إلى الفرنسية أهمية بالغة ، وكانت المؤلفات الكلاسيكية الأساسية في الطب العربي واليوناني متيسرة لقارئ اللغة اللاتينية ، كما كانت الكتب المتيسرة في العبرية قليلة جداً ، ولما فقد اليهود والغربيون صلاتهم بالعربية أصبحت الترجمة من العربية إلى العبرية أكثر ضرورة لهم[١] .

وفي غضون النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، بلغت اللاتينية حداً صارت الترجمات لا تنقل إليها فقط بل منها أيضاً وبكميات واسعة ، أما بالنسبة للمؤلفات العربية فقد كانت تترجم إلى العبرية والقطلونية واللاتينية ، وإن كان تيار الترجمة من العربية إلى اللاتينية قد أوشك حينئذٍ على الجفاف ، أما الترجمات إلى القطلونية فهي طفيفة قياساً إلى الترجمات من العربية إلى العبرية ولا يفوقها سعة إلَّا الترجمات من اللاتينية إلى العبرية[٢] .

٤ - ترجمت علوم شتى في هذه الحقبة الطويلة ، وكان أغلب المترجمات إعادة لما تم نقله في المراحل السابقة ، أو شروحاً عليها ، أو تصحيحاً لبعض أخطاء الترجمة التي حصلت في النقول الأولى ، وذلك بالرجوع إلى مخطوطات متعددة للمؤلف الواحد ، أو النقل بواسطة مترجمين أكثر تضلعاً في اللغة المنقول منها وإليها .

وقد تميزت هذه المرحلة بالمكانة المرموقة التي احتلها كتاب القانون في الطب لابن سينا في التعليم الطبي ، فمنذ عصر ألفونسو العاشر تقريباً - أي النصف الثاني من القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي ، ثبت أن السبق العلمي إنما هو

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٤ .

(٢) نفسه ، ١٣٧ .

لابن سينا ، ولم يتغير هذا المفهوم فيما بعد[١] .

وبالرغم من الشهرة التي احتلها ابن رشد في الأوساط الأوروبية ، إلا أن مؤلفاته الطبية لم تعرف إلا بعد مؤلفاته الفلسفية ، فقد ترجمت كتب ابن رشد الفلسفية في أواسط القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وعرفها الغرب منذ هذا التاريخ باستثناء الشروح على المنطقيات وتهافت التهافت ، فإنها لم تعرف قبل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي[٢] .

وبالرغم من أن الأدب العربي والثقافة العربية أهملتا من قبل الغرب ، إلا أن مؤلفاتها ترجمت لأهداف أخرى ، مثل التعرف على المجتمعات الإسلامية بواسطة أدبها ، أو لغرض تشويه الإسلام بواسطة ترجمة القصص الأدبي المعاصر ، فلم تترجم حتى هذه الفترة لمزاياها الذاتية الخالصة ، ونفس الكلام ينطبق على العلوم الشرعية كالقرآن الكريم والسنة والتفسير ، فإنها وإن توفرت في أيدي المترجمين منذ المراحل الأولى للترجمة ، إلا أنها لم تنعم بالدراسة المنصفة للتعرف على هذا الدين وأهله ، إنما قصد من وراء نقلها تشويه الإسلام ، أو المجادلة الدينية ، وإقامة الحجج بواسطة الدين الإسلامي نفسه ، ولم تظهر دراسات جادة عن العلوم الإسلامية واللغوية إلا في غضون القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، وهي وإن كانت ذات دراسات منهجية تناولت دراساتها هذه لأهداف دينية أيضاً في أغلبها .

(١) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٨ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى ، ٣/١٢٣٤ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٨ .

خلاصة

لقد رأينا أن الموجة الأولى من المؤلفات المترجمة كانت تخص العلوم الطبية والطبيعية ، والتطبيقية أيضاً ، وكانت بداية ترجمتها فردية ، ثم ما لبثت أن أصبحت جماعية تضطلع بها الهيئات الدينية النصرانية وتوجهها ، وهي في جميع مراحلها ذات دوافع دينية واضحة تتمثل في محاربة الإسلام وتشويهه ، والحد من انتشاره ، بالاستقواء على حضارته عن طريق سلب مقوماتها بواسطة الترجمة .

ولم تقتصر الدوافع عند هذا الحد بل تشكلت دوافع أخرى مع تطور مراحل الترجمة لتشاركها الدوافع السياسية تارة ، والدوافع الاقتصادية ثم العلمية تارة أخرى ، وكان النقل شاملاً ، انتقائياً في نفس الوقت ، فهو شامل لكل علوم المسلمين ، انتقائياً فيما يخص خدمة الدوافع التي تمت الترجمة من أجلها .

وقد تعددت لغات الترجمة في جميع مراحلها ، فتنوعت ما بين العبرية والقشتالية والفرنسية ، إلا أن أهمها جميعاً كانت اللغة اللاتينية التي شملت جميع مراحل الترجمة الثلاث ، أما العبرية فقد كانت الرابط بين اللغة العربية واللاتينية في الترجمة ، كما أن كثيراً من المؤلفات المنقولة من العبرية إلى اللاتينية كانت تتناول أفكاراً ومناهج إسلامية في صفحاتها ، فوصل إلى الغرب كثير من التراث الإسلامي بواسطة اللغة العبرية ، لاسيما التراث الذي فقد في لغته الأصلية ، وحفظ في اللغة العبرية .

برزت شخصيات مهمة في مراحل الترجمة أثرت في سيرها ، حيث بدأت المرحلة الأولى بقسطنطين الأفريقي ، ويوحنا الإشبيلي في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي .

أما المرحلة الثانية فبدأت بجيرارد الكريموني ، في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وانتهت بميخائيل سكوت ، في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، لتبدأ المرحلة الثالثة من منتصف هذا القرن ثم تستمر حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي .

ولم يكن المترجمون في جميع المراحل على مستوى واحد في النقل ؛ لذا فقد تفاوتت ترجماتهم تبعاً لتمكنهم من اللغة التي ينقلون عنها وإليها ، إلا أن لغة الترجمة في جميع مراحلها كانت ركيكة وسقيمة في الأعم الأغلب ، والجمل غير مفهومة ، والتراكيب غير مستقيمة ، ومرد ذلك هو جهل قسم كبير من النقلة باللغة العربية إلى جانب تمسك الكثير منهم بالحرفية في الترجمة ، والتزام ترتيب الجمل العربية ، مما أدى إلى دخول بعض الألفاظ العربية في اللغة المترجم إليها ، ومن ثم إلى اللغات الأوروبية الحديثة ، ولم يتردد اللاتين في أن يعيدوا ترجمة ما ظهر نقصه ، وقد يترجم النص الواحد في أكثر من جهة ، وبرغم هذا لم تسلم ترجمتهم من أخطاء ، فيعزى إلى باحث ما ليس من عمله ، ويؤدى المعنى أداءً فاسداً[1] .

كان أهم مركز للترجمة هو الأندلس ، وبالأخص مدرسة طليطلة التي بدأت الترجمة بها في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، ثم ما لبثت مراكز الترجمة تنتشر على نطاق واسع لتشمل مدناً أندلسية أخرى ، ومناطق كثيرة ، أما صقلية التي أصبحت منافساً قوياً للأندلس منذ القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، فقد تركزت فيها عملية النقل في مدينة بلرم على وجه الخصوص .

وبنهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، بدأت تخف جذوة مدرسة طليطلة وبلرم ، لتنتقل إلى مدارس وجامعات الدول الأوروبية التي اهتمت بالتراث الإسلامي ترجمة وتدريساً وطباعة أيضاً .

تزامنت كل مرحلة من مراحل الترجمة مع أحداث تاريخية حاسمة أثرت في سيرها ، فنجد أن المرحلة الأولى واكبت سقوط طليطلة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، وصقلية سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) ، وبيت المقدس بيد الصليبيين في حملتهم الأولى سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م) .

أما المرحلة الثانية ، فقد شهدت سقوط الكثير من حواضر الأندلس الإسلامية كقرطبة سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) ، وبلنسية سنة (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) ، وإشبيلية سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، لتأتي بعدها المرحلة الثالثة التي عاصرت

(١) مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٦٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٠٣ .

خروج الصليبيين من بلاد الشام سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) ، وبداية الاستشراق المؤسسي سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، ومن ثم سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) ، وعلى أثرها بدأ ما سمي بالكشوف الجغرافية ، والوصول إلى رأس الرجاء الصالح ، وأمريكا اللاتينية ، وقبل ذلك ظهور القوة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية ، واهتمامها بالفتوحات الإسلامية ففتحت القسطنطينية سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ، ووصلت جيوشهم إلى فيينا سنة (١٠٩٥هـ/١٦٨٣م) ، وكل هذه الأحداث أثرت في أوروبا فجعلتها تتطلع أكثر إلى العالم الإسلامي وحضارته ، ودراستها دراسة متأنية في كل المراحل .

ومما يجدر ذكره ، أن الترجمة في جميع مراحلها قد عايشت تاريخ الاستشراق : إذ إنها -كما ذكرنا سابقاً- كانت من أهم وسائله ، واستمرت متفانية في خدمته حتى بعد عصر الدراسة ؛ إذ إنها حتى هذا العصر تعتبر وسيلة مهمة لحركة الاستشراق للتعرف على الآخر .

الباب الثاني :

مقومات الترجمة من العربية إلى اللاتينية والعلوم المترجمة

ويشتمل على

هذا الباب بكل فصوله ومباحثه يشمل حيزاً واسعاً من البحث ؛ إذ إنه تنـاول مراكز الترجمة في العالم الإسلامي والأوروبي ، ومدارسها المختلفـة ، وكـذلك أهـم المترجمين الذين قاموا بالنقل في هذه المراكز ، إضافة إلى العلوم التـي نقلـت في شـتى التخصصات ، مع طرق ومناهج النقل والترجمة التي سار عليها هؤلاء النقلة .



الفصل الأول :

مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية ومدارسها .

المبحث الأول : الأندلس ومدارسها .

المبحث الثاني : صقلية ومدارسها .

المبحث الثالث : المشرق الإسلامي ومدارسه .

المبحث الرابع : بقية الدول الأوروبية .

المبحث الخامس : الشمال الأفريقي .

قبل الشروع في ذكر مراكز الترجمة ومدارسها ، لا بدَّ من تعريف مقتضب لكلٍّ منها :

١ - المراكز : المركز في اللغة مأخوذ من الفعل رَكَزَ ، يقال : ركز الشيء أقره في مكانه وأثبته ، ويقال ركز السهم في الأرض : غرزه ، وارتكز : ثبت واستقر وعليه اعتمد ، والمركز : المقر الثابت الذي تتشعب منه الفروع ، ويطلق المركز أيضاً على : وسط الدائرة[(١)] .

إذن فالمقصود بمراكز الترجمة : الأماكن الثابتة التي نشأت بها ، وتشعبت منها إلى باقي المناطق الأخرى .

٢ - المدرسة : مأخوذة في اللغة من الفعل دّرَسَ ، دَرْساً ودروساً ، أي عفا وذهب أثره ، وتقادم عهده ، ودرَّس الشيء درساً : غيَّره ومحا أثره ، ودرَسَ الكتاب ودرَّس غيره : كرره عن حفظ ، والمدرس : الموضع يدرس فيه ، والمدرسة : مكان الدرس والتعليم ، والجمع مدارس[(٢)] .

كما تطلق المدرسة على جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين ، تعتنق مذهباً معيناً ، أو تقول برأي مشترك ، ويقال : هو من مدرسة فلان : على رأيه ومذهبه[(٣)] .

وعليه فالمقصود بمدارس الترجمة هي : الأماكن التي كانت تتم فيها عملية الترجمة والنقل إن كان هذا الإطلاق حسياً ، أو أنها مجموعة المترجمين المضطلعين بأمر الترجمة من العربية إلى اللاتينية آنذاك ، إن كان الإطلاق معنوياً .

لذا نجد أنَّ إطلاق لفظ «المراكز» أوسع وأشمل لأننا نقصد به جميع الأماكن

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٤٣٣/٢ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ٧١/٨ ؛ المعجم الوسيط ، ٣٦٩/١ .

(٢) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٢٦٧/٢ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ٢٧٩/٨-٢٨٤ ؛ المعجم الوسيط ، ٢٧٩/١ .

(٣) المعجم الوسيط ، ٢٨٠/١ .

التي نشأت بها ترجمة ، أو ورد عنها أنها كانت محلاً لنشأتها وتطورها ، ومن ثم نشأت المدارس داخل هذه المراكز في حوزتها ، مثاله : الأندلس تعتبر مركزاً من مراكز الترجمة ، وهي تشمل عدة مدارس منها : طليطلة ، وإشبيلية ، سرقسطة وغيرها .



المبحث الأول :

الأنـــــدلـــس ومـــــدارسها

تحتـل بـلاد الأنـدلس[1] موقعـاً متميـزاً ، ومنـزلاً عظـيماً في تـاريخ الحـضارة

---

(١) لم تعرف شبه الجزيرة التي تشمل حالياً دولتي إسبانيا والبرتغال باسم الأندلس ، قبل أن يفتحها المسلمون ، وإنما عرفت في أقدم عصورها باسم إيبريا (Iberia) ، نسبة إلى الأيبيريين (Los Iberos) ، الذين كانوا من أقدم من سكن هذه البلاد من البشر ، ثم عرفت شبه الجزيرة بعد ذلك باسم إسبانيا ، وهذا الاسم (Hespania) قد أطلقه الرومان على شبه الجزيرة حين حكموها ، وقد استنبطوه من تعبير فينيقي ، كان الفينيقيون قد أطلقوه من قبل على الشاطئ الذي نزلوا به من تلك البلاد ، حين اتصلوا ببعض جهاتها قبل الرومان ، وهذا التعبير الفينيقي (I-schephan-im) يعني : «شاطئ الأرانب» ، ويقال في تعليل ذلك : أن الفينيقيين قد صادفوا كثيراً من الأرانب على الشاطئ الإيبيري الذي نزلوا به ، كذلك كان الجزء الجنوبي من إسبانيا يسمى «بتيكا» (Betica) ، وكان ذلك في العهد الروماني ، ثم سمي باسم «فندليسيا» (vandalisia) ، حين سكنه الوندال بعد الرومان ، فلما جاء المسلمون أطلقوا اسم الأندلس على شبه الجزيرة كلها ، وامتدت هذه التسمية لتشمل جميع ما دان لحكم الإسلام من ولايات في جنوب فرنسا ، مثل سبتمانية ، ونربون ، ثم أخذت هذه التسمية تتقلص بتقلص الحكم الإسلامي ، واستبداد النصارى على شبه الجزيرة ، حتى أصبحت إبان القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي ، محصورة داخل إقليم ضيق ممتد على الساحل ، من جبل طارق حتى مدينة ألمرية ، ويمتد داخلاً في العمق حتى سلسلة جبال رندة ، وجبال إلبيرة ، وعليه فلفظ الأندلس يقصد به ذلك الفضاء الواسع من شبه الجزيرة ، الذي اتسع وضاق بحسب مراحله التاريخية المختلفة ، كما يتحدد في الزمان فيما بين الفتح الإسلامي لهذه المنطقة ، وانحصار سلطته السياسية بها حول تخوم مملكة غرناطة ، إلى رحيله عنها نهائياً بعدما سمي بسقوط هذه المملكة ، أما إسبانيا ، فإنها تعني ذلك الفضاء الذي تحدد بدوره في المكان ، بجزء من شبه الجزيرة ، كما تحدد في الزمان خلال نمو ما سمي بحركة الاسترداد النصراني لها ، وسقوطها بيد الملوك الكاثوليك ، فعند ذلك ، وعند ذاك فقط ، بدأت تتكون وتتشكل إسبانيا بوصفها ذاتياً وحضارياً وثقافية وسياسية ، ولمزيد من التفاصيل انظر : البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص٥٧-٧٠ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٣٢ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/١-٤ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/١٣٣-١٣٤ ؛ كولان : الأندلس ، ٣٩-٤٠ ؛ الطاهر احمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ؛ عبدالرحمن الحجي : التاريخ الأندلسي ، ط٢ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨١م ، ٣٧ ؛ أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح إلى السقوط ، ط١٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ١٣-١٦ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١١٩ـ

الإسلامية عموماً ، وفي تاريخ الترجمة من العربية إلى اللاتينية بشكل خاص ، فهي تعد من أهم معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، بل إنها تشكل المعبر الأول من بين كل المعابر التي تم عن طريقها انتقال الفكر الإسلامي إلى الغرب ، ونظراً لهذه المكانة التي حظيت بها هذه البلاد الغالية على قلب كل مسلم ، مكانة جعلت منها اسم «الفردوس المفقود» ، فقد آثرنا الابتداء بها عند الحديث عن مراكز الترجمة ومدارسها .

تقع الأندلس في الجنوب الغربي من القارة الأوروبية ، وهي كما جاء في وصف البلدانيين المسلمين تتوسط عدداً من الأقاليم –كالرابع والخامس والسادس- بحسب التقسيم الجغرافي المتعارف آنذاك[١] ، أما فلكياً فتقع بين خطي عرض (43ْ-27)و(35ْو59 ،30ْ) شمالاً ، وبين خطي طول (9ْ ،30ْو19) شرقاً ، ومساحتها حوالي (٢٢٩٠٠٠) ميل مربع ، والمياه تطوف بها من كل الجوانب ، عدا الجانب الشمالي الشرقي ، فتحدها من هذه الجهة جبال البرتات ، الفاصلة بينها وبين فرنسا[٢] .

وقد استهل فتح المسلمين لهذا القطر من سنة (٩٢هـ/٧١٠م) ، ولم تكن هذه البلاد بأحسن حالاً عن بقية الدول الأوروبية من حيث انتشار الجهل والتأخر ، والفوضى بسبب النزاع الاجتماعي ، والانحلال الأخلاقي ، والفتن والحروب[٣] .

=

هامش (١٠) .

(١) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ١٠٤ ؛ البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ٥٩ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ١/١٩٥ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ١/٣١١ .

(٢) البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص٨٥ ؛ الحميدي : أبوعبدالله بن أبي نصر (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ط١ ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، ٢٧ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١٩٥ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ١/٣١١ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٣٢ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/١٣٦-١٣٧ ؛ كولان : الأندلس ، ٦١ .

(٣) ابن القوطية : محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) : تاريخ افتتاح الأندلس ، ط٢ ، تحقيق : إبراهيم

ولما فتح المسلمون تلك البلاد ، ونشروا الإسلام ، ونشروا معه اللغة العربية التي سرعان ما أصبحت لغة الثقافة والحضارة بها ، ونقلوها إلى مرحلة الاستقرار والبناء ، فاتجهوا نحو إحياء الأرض الميتة ، وتعمير المدن الخربة ، وتنشيط التجارة الراكدة ، وإنعاش الصناعة المتأخرة ، حتى أصبحت قرطبة في ظل الخلافة الأموية أغنى مدن العالم ، وأكثرها سكاناً ، حيث بلغ عدد سكانها آنذاك مليون نسمة ، وقد حق لأهلها أن يفخروا بأنهم كانوا يستطيعون السير في شوارعها ليلاً على ضوء المصابيح العامة ، في حين ظلت لندن سبعة قرون لايوجد في طرقها مصباح واحد يضيء ليلاً ، بل قد تجاوز عدد مجموع السكان في بقية المدن الأندلسية الأخرى ثلاثين مليون نسمة ، وانتشرت المدن والقرى في كل مكان[١] .

وحتى إذا ما تم للمسلمين بناء البلاد سياسياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، سعوا إلى إرساء ملكهم على أساس من العلوم ، والمعارف والثقافة الإسلامية ، فأسسوا المدارس ، وحبسوا الأموال عليها ، فيروى أن الخليفة الحكم المستنصر اتخذ مؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع بقرطبة ، وفي كل ربض[٢] من أرباضها ، وأجرى عليهم المرتبات ، وقد بلغ عدد هذه المكاتب سبعة وعشرين مكتباً[٣] .

=

الأبياري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ٢٩-٥٦ ؛ مؤلف مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، ط٢ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ، ١٥ وما بعدها ؛ الحميدي : جذوة المقتبس ، ٢٣-٢٥ ؛ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ٣٦-٤٦ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢/٤-١٩ ؛ دوزي : المسلمون في الأندلس ، ١/٢٧-٤٠ ؛ وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ٢٧-٢٨ .

(١) ستانلي بول : قصة العرب في إسبانيا ، ط.د ، ترجمة : علي الجارم ، ١٩٤٤م ، ٣٨ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ؛ هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٢٧٢ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ٢٩ .

(٢) الربض : بالتحريك ، وآخره ضاد معجمة ، الفضاء حول المدينة ، يقال : نزلوا في ربض المدينة والقصر أي ما حولها من المساكن ، وربض قرطبة محلة معروفة بها . ياقوت : معجم البلدان ، ٢٨/٣ ؛ الزبيدي : تاج العروس : ٥٢/١٠ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٤٠/٢ ؛ عبدالرحمن فرناس : الحضارة العربية وأثرها على الحضارة =

كما كان لأهل الأندلس شغف عجيب بجمع الكتب[١] ، فملئوا مكتباتهم الخاصة والعامة منها ، ولم يقنعوا بما وصل إليه إخوانهم في المشرق من تقدم ، بل زادوا على ذلك وابتكروا وجددوا ، مما أتاح لأوروبا مورداً عذباً ، فأقبل الطلبة والعلماء إلى مدن الأندلس المختلفة ، وعنوا بتفاصيل العلم تفسيراً واقتباساً وتصنيفاً ، ومما ساعد على ذلك ما كانت تزخر به الأندلس من علماء أفذاذ في مختلف العلوم[٢] .

كما كان لسياسة التسامح التي اتبعها المسلمون اتجاه أهل الذمة من اليهود والنصارى أثر في قيام نهضة شاملة في هذا المركز ، فأقبل هؤلاء على ثقافة المسلمين ولغتهم ، بل وعاداتهم الإسلامية في نظام الحريم ، وإتقان العربية ونظم القصائد بها ، واستعمال حروفها لكتابة اللاتينية ، بل لقد آثروا أسماء المسلمين في التسمية ، ويُسر للكثير منهم إحراز المناصب في السفارات ، وقصور الخلفاء ، وقيادة الجيوش ، وعاشت طوائف كثيرة من اليهود على ما يرام في ظل الحكم الإسلامي ، وبرع الكثير منهم في العلوم والمعارف ، وتتلمذوا على أساتذتهم من المسلمين ، وتبوأ العديد منهم مناصب متقدمة في الدولة الإسلامية[٣] .

=

الأوروبية ، مجلة العلم الليبية – العدد ٦ /١٩٧٦م ، ص٤٣-٤٤ .

(١) أوردت المصادر أمثلة كثيرة لهواة جمع الكتب في الأندلس منها ما ذكره المقري : من أن رجلاً من أهل قرطبة اشترى كتاباً من سوق كتبها بثمن كبير ، فلما سئل قال : «لست بفقيه ، ولا أدري ما فيه ، ولكنني أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع لهذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه» . نفح الطيب ، ٤٦٣/١ ؛ ولمزيد من الأمثلة : انظر : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ١٨٦/١ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٤٨/٢ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٥٠٠-٥٠١ ؛ ستانودكب : المسلمون في تاريخ الحضارة ، ط١ ، ترجمة : محمد فتحي عثمان ، الدار السعودية ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ٨٢ ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ١١٥-١١٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٤٩٤-٤٩٥ .

(٣) كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، ١٤٢-١٩٤ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٢٧٦-٢٧٧ ؛ خليل السامرائي : علاقة المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس والدول الإسلامية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ٣٨٠ ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ١١٩ ؛ شحلان : =

وهكذا نجد أن الأندلس قد أقبلت على ثقافة تميزت بتعدد طوائفها : مسلمين ويهود ونصارى ، في تسامح ديني وفق الشريعة الإسلامية ، يقول دوزي : «إن كل إنسان تقريباً كان يحسن القراءة والكتابة يوم خلت أوروبا ممن يلم بها ما خلا الطبقة العليا من القسيسين»[1] .

ونتيجة حرية الثقافة لكافة الفئات ، فقد أخذ الطلبة الأوروبيون يفدون إلى هذا المركز ، واختلفوا إلى مدارس المسلمين وجامعاتهم ومكتباتهم ، زائرين ورحالة وطلبة علم ، إضافة إلى تبادل السفارات مع الدولة الإسلامية ، واستمرت هذه الحضارة تؤتي ثمارها في مختلف المجالات ، حتى امتدت إلى أوروبا في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين وما بعدهما ، عن طريق ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية ، لاسيما بعد أن أخذت أكثر المدن الأندلسية الزاهرة تسقط بيد النصارى ، فأنشئ بها عدد من مدارس الترجمة التي أخذت دورها في نقل العلوم إلى الغرب[2] .

وهكذا نجد أن بلاد الأندلس بكافة مدنها وما حوته من مكتبات ، وما أنشئ فيها من مدارس وجامعات ، وما زخرت به من فئات علمية على اختلافها كانت أرضاً خصبة لانتقال العلوم إلى أوروبا بكافة تخصصاتها ، فقد درس كثير من الطلبة الأوروبيين في مدارس وجامعات المسلمين ، وكان لهذا الأمر أثره في حركة الترجمة في هذا المركز ، كما نجد أن كثيراً من المترجمين قد تنقلوا بين المدن الأندلسية الكبرى كقرطبة ، وغرناطة ، وطليطلة ، وإشبيلية ، فكانوا يقومون بترجمة العلوم على انفراد أو بالاشتراك مع غيرهم .

لذا نستطيع القول إن مدن الأندلس قاطبة كانت من أهم أماكن انتقال العلوم

=

التراث العبري اليهودي ، ٢٠-٢٧ .

(١) المسلمون في الأندلس ، ١/٩٢ .

(٢) ميخائيل جميعان : المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية ، المطبعة الاقتصادية ، ط.د ، ١٣٩ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ٢٩ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٢٤ ؛ غابرييلي : الإسلام في عالم البحر المتوسط ، ١/١٢٧ .

إلى الغرب ، وإن الأغلب منها كانت مكاناً للترجمة من العربية إلى اللاتينية بما أنشئ فيها من مدارس لها ، أو ما ذكرته المصادر والمراجع من أسماء مترجمين قاموا بترجمة المؤلفات في هذه المدن ، ومن أمثلة هذه المدارس :

١ - مدرسة طليطلة ، (Toledo) :

في الواقع أن مدينة طليطلة كانت مهيأة بعدة مميزات جعلتها تحتل مكان الصدارة بين المدن الأندلسية في أن تكون أهم مدرسة لترجمة العلوم ونقلها من العربية إلى اللاتينية ، ومن هذه المميزات ما يلي :

* - الموقع الجغرافي المتميز لهذه المدينة ، فهي تقع على ضفاف نهر التاجُه (Tajo)[١] حيث إستراتيجية الموقع ، وحصانة المكان ، وإلى جانب إحاطة هذا النهر بها من جهاتها الثلاث : الشرقية والغربية والجنوبية ، فقد طوقت بسلاسل جبلية منيعة من جهاتها الشمالية والجنوبية ، ثم بسور عظيم متين ، جعلها من أشد المدن حصانة ، وأثبتها منعة ، وأبقاها مع الضيق والحصار[٢] .

ولتوسط طليطلة بلاد الأندلس ، وقربها من الحدود الإسلامية النصرانية ، فقد كانت حلقة وصل بين الطرفين ، ومكاناً ملائماً للتبادل الحضاري والثقافي ، وميداناً للمصادمات العسكرية ، فاتخذت منذ الفتح الإسلامي قاعدة حربية ، ومنطلقاً للجيوش الإسلامية إلى بقية المناطق الأخرى ، كما أنها جعلت عاصمة للثغر الأوسط[٣] الأندلسي في العصر الإسلامي ، وأطلق عليها اسم «درع

(١) تاجه : نهر عظيم يشق طليطلة ، يخرج من بلاد الجلالقة ويصب في البحر الرومي ، وهو نهر موصوف من أنهار العالم ، وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة ، وهي من البنيان الموصوف . الحميري : الروض المعطار ، ١٢٧ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ١١١ ؛ البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١/١٧٣ ؛ الزهري : محمد بن أبي بكر (ق ٦ هـ/١٢م) : كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٨٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٤٥ ؛ ابن الشباط : وصف الأندلس وصقلية ، ٢٢ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/١٦٢ ؛ عنان : الآثار الأندلسية ، ٨٠ .

(٣) يمتد الثغر الأوسط الأندلسي في المنطقة الواقعة في منتصف الطريق بين طليطلة وسرقسطة ، وكانت عاصمة هذا الثغر مدينة سالم ، ثم استبدلت بها طليطلة ، ويواجه هذا الثغر مملكتي ليون وقشتالة . خليل السامرائي : الثغر الأعلى الأندلسي ، دراسة في أحواله السياسية ، ط.د ، مطبعة أسعد ، بغداد ،

الأندلس» ، فلما استولى عليها النصارى أضحت موقعاً أمامياً لهم ضد المسلمين في الجنوب ، والقلب المقاتل لهم في الأندلس[١] .

* - الأهمية التاريخية التي حظيت بها مدينة طليطلة عبر التاريخ ، حيث اتخذها كثيرٌ من الملوك عاصمة لعروشهم ، ومقراً لإقامتهم ، ولكثرة من سكنها من الملوك سميت بـ «بلد الأملاك» .

أنشئت طليطلة منذ وقت قديم يعود إلى ما قبل (ق٢ق.م) ، ومنذ ذلك التاريخ عاشت أهمية خاصة ، فاتخذها الرومان عاصمة ملكهم في إسبانيا إبان القرن الثاني قبل الميلاد ، وفي سنة ٥٥٤م ، أصبحت عاصمة للقبائل القوطية الغربية[٢] القادمة من فرنسا ، ولما فتحها المسلمون سنة (٩٢هـ) ، أصبح لها شأن عظيم -وإن لم تكن عاصمة ملكهم- وبرزت أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية أيضاً[٣] .

وقد استمرت طليطلة في ازدهارها طوال الأربعة قرون التي كانت فيها تنعم

=

١٩٧٦م ، ٤٤ ؛ حتامله : موسوعة الديار الأندلسية ، ١/٣٥٦ .

(١) صاعد : طبقات الأمم ، ٦٣ ؛ البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص٨٧ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١/١٧٣ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/١٦١ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة العربية وأثرها في النهضة الأوروبية ، ٧٢ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ١١ .

(٢) القبائل القوطية هي إحدى القبائل الجرمانية التي سكنت منطقة غالة جنوب فرنسا ، ثم ما لبثوا أن احتلوا إسبانيا واستولوا على مملكة السويفي سنة (٥٨٦م) ، وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية سنة (٤٧٩م) أصبح القوط مستقلين فاتخذ زعيمهم اسم ملك ، وأصبحت طليطلة عاصمة لهم ، واعتنقوا النصرانية على المذهب الآريسي . وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ٢٥ ؛ السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ١٣ ؛ أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٦٩م ، ص٨ .

(٣) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ٣٣ ؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ٢/١١-١٤ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٤٥ ؛ ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ٤٢ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣/٢٧٦-٢٨٣ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٣٩٣ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/١٦١ ؛ عبدالمجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، (ط.د) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١١-١٧ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ٣٦ .

بحكم المسلمين ، حتى بعد سقوط الخلافة الأموية سنة (٤٢٢هـ/١٠٣١م) ، وقيام أسرة بني ذي النون[١] بها في «ق٥هـ/١١م» ، فأدت دوراً كبيراً في كافة المجالات بعد أن أصبحت عاصمة ملكهم .

ومما زادها تألقاً ما زخرت به من مكتبات قيمة كانت تضم ما انتقل إليها من ذخائر المخطوطات الشرقية والغربية ، وما زودت به من مكتبات العلماء والخلفاء كمكتبة الحكم المستنصر التي ضمت إليها بعد زوال الخلافة الأموية بقرطبة[٢] .

كما أنها ساهمت في إخراج عدد كبير من العلماء الذين برعوا في مختلف فروع العلم ، كالطب والرياضيات والفلك والفلاحة ، أمثال : ابن وافد عبدالرحمن بن محمد بن عبدالكبير كان حياً (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) ، أوسع أهل زمانه علماً بالطب[٣] ، وصاعد بن أحمد الطليطلي (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م)[٤] المؤرخ المشهور ، وأبي إبراهيم بن يحيى الزرقالي (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م) ، وهو أبرع من أنجب الأندلس من علماء الفلك[٥] ، والنحوي أبي الوليد هشام بن أحمد الوقشي (ت٤٨٩هـ/١٠٩٦م)[٦] ، وغيرهم كثير .

(١) تنتمي هذه الأسرة إلى قبيلة هوارة البربرية ، وأصل التسمية «زنون» نسبة إلى جدهم الحامل لهذا اللقب ، ثم حصل التصحيف بطول المدة فصار «ذو النون» ، ومن أبرز ملوك هذه الأسرة : إسماعيل بن ذي النون الملقب بالظافر (ت٤٣٥هـ/١٠٤٣م) ، وابنه يحيى الملقب بالمأمون (ت٤٦٧هـ/١٠٧٤م) . انظر : ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧٦/٣ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، ١٧٦/١-١٧٧ .

(٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ١١/٢-١٤ ؛ ابن عذارى : المغرب في حلى المغرب ، ٢٧٦/٣-٢٨٣ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، ١٧٦/١-١٧٩ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١٦١/١ ؛ حمادة : المكتبات في الإسلام ، ٢١٣ ؛ خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ، ط٢ ، ترجمة : الطاهر المكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) صاعد : طبقات الأمم ، ٧٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٦ .

(٤) ابن بشكوال : خلف بن عبدالملك (ت٥٧٧هـ/١١٨٢م) : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، ط٢ ، تصحيح عزت الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ٢٣٢/١ .

(٥) صاعد : طبقات الأمم ، ٧٥ ؛ ابن الأبار : التكملة ، ١٦٩ .

(٦) صاعد : طبقات الأمم ، ٧٤ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ٦١٧/٢ .

وقد استمرت طليطلة في أهميتها حتى بعد سقوطها بيد النصارى سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، حيث اتخذها ألفونسو السادس عاصمة ملكه ، وأصبحت من أشهر المراكز العلمية التي قامت بدور رئيس في نقل التراث الإسلامي إلى الغرب ، لاسيما بعد أن رأى النصارى عن قرب مدى ما وصل إليه المسلمون من تقدم في الميدان العلمي ، ولا شك أنه وقعت في أيديهم كنوز من المؤلفات العلمية في ميادين المعرفة المختلفة ، فأخذوا في نقلها وترجمتها إلى لغاتهم ، واستقطاب الطلاب الأوربيين من مختلف الدول الغربية كإنجلترا وألمانيا وفرنسا وهولندا ، لينهلوا من هذه العلوم(١) .

وقبل ذلك كله فقد كانت طليطلة تمثل رمزاً دينياً عريقاً في تاريخ النصرانية كلها(٢) ، فهي مركز الأسقفية الإسبانية بدءاً من اعتناق القوط -الذين كانوا

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٦ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٥٣٢ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٢٦١ ؛ عبدالحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية ، ٤٥١ ؛ محمد عنتابي : مدرسة طليطلة العربية وأثرها في النهضة الأوروبية ، أبحاث المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم ، جامعة حلب ، ط١ ، ١٩٧٩م ، ٧١ .

(٢) ولا أدل على ما كانت تحمله طليطلة من مكانة في تاريخ الكنيسة ، ما وجده المسلمون من مائدة عظيمة في كنيستها ، والتي كانت تفوق الوصف لدرجة أطلق عليها تجاوزاً بمائدة سليمان عليه السلام ، وهي في حقيقتها مما صنع من أموال الكنيسة ، كان الشمامسة والقساوسة يحملون عليها الأناجيل إذا أبرزت في أيام المناسك ، ويضعونها على المذابح في الأعياد للمباهاة بزينتها ، فلما فتح المسلمون المدينة وجدوها بها ، ولكنها ردت في آخر أمرها إلى روما .

كما أن طليطلة شهدت في تاريخها انعقاد عدد من المجامع الدينية الحاسمة في التاريخ النصراني منها ستة عشر مجمعاً فيما يخص المذاهب النصرانية ، واستمرت أهميتها للنصارى حتى بعد الفتح الإسلامي ، بالرغم من علو شأن أسقفية قرطبة ، لوجودها في حاضرة الدولة ، وتمثيل أسقفها للمعاهدين لدى السلطة الإسلامية ، إلا أن مطران طليطلة ظل حتى القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي هو مطران نصارى الأندلس جميعهم . انظر : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ٣٣ ، الحميري : الروض المعطار ، ٣٩٣-٣٩٤ ؛ ابن الشباط : وصف الأندلس وصقلية ، ٢٣ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ١٢/١ ؛ أرسلان : الحلل السندسية والآثار الأندلسية ، ط١ ، تحقيق : محمد الجبابي ، المطبعة الرحمانية ، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م ، ٤٣٩/١ ؛ كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، ٩٣-٩٤ .

يتخذون من طليطلة عاصمة لهم- النصرانية على المذهب الكاثوليكي بعد قرار المحفل الديني الثالث ، سنة (٥٨٩م) الذي أقر أن تكون الكاثوليكية دين المملكة ، بعد أن كانت تدين بالنصرانية على المذهب الآري[١] ، وبعد هذا المحفل نتج عنه تحالف الكنيسة والنبلاء الجرمان ، وازدياد نفوذها بشكل عظيم ، واستمرت تؤدي دورها الأسقفي الكبير حتى اليوم ؛ حيث إن أساقفة طليطلة يُعتبرون رؤساء لأساقفة إسبانية كلها ، الأمر الذي جعلها تحظى بالتجلة والاحترام ، ومن ثم الاهتمام من قبل الغرب حتى اعتبرت رومية الثانية ، وبإجماع المؤرخين فإن اليوم الذي سقطت فيه طليطلة يُعد حداً فاصلاً في تاريخ الإسلام والنصرانية ، فقبل سقوطها كان التفوق للمسلمين ، وبعد أن سقطت بيد الكاثوليك ساد العالم النصراني موجة سرور عارمة ، وحال ميزان القوى لصالح الغرب ، وكان لهذا الحدث نفس الصدى الذي حدث عند فتحها بيد المسلمين[٢] .

وللمكانة العظيمة التي أصبحت تشكلها هذه المدينة بالنسبة للنصارى ، فقد امتد اسمها إلى مناطق كثيرة في أمريكا الجنوبية والشمالية والفلبين والبرتغال ، إلى أن وصل إلى ستة وثلاثين من الأماكن والمدن التي تحمل الاسم نفسه «طليطلة Toledo»[٣] ، ومثلما كانت طليطلة منطلقاً لنشر الإسلام بعد دخوله إلى شبه الجزيرة ، أضحت قاعدة لنشر النصرانية وهدم الإسلام ، وطرد المسلمين من الأندلس ، بدءاً من تحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٤] ،

(١) المذهب الآري : نسبة إلى أسقف الاسكندرية أريوس ، ويتلخص مذهبه في نفي إلهية المسيح عليه السلام ، واعتباره مخلوقاً . رستم : الفرق والمذاهب المسيحية ، ٢٣ .

(٢) محمد الغساني : رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، ط١ ، تحقيق : نوري الجراح ، دار السويدي ، أبوظبي ، ٢٠٠٢م ، ١٣٥ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٧٩ ؛ بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ١٢٠ ؛ أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ٥٩-٦٠ ؛ لطفي عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ٩-١٧ ؛ مكي : دراسات أندلسية ، ٢٢٦-٢٢٧ ؛ محمد القاضي : طليطلة ومدرسة المترجمين ، المدرسة الأولى للاستعراب الإسباني ، مجلة التاريخ العربي ، ٢٠٠٠م ، ع١٥ ، ٩٧ .

(٣) القاضي : طليطلة ومدرسة المترجمين ، ٩٨ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، ١/١٦٨ ؛ عبدالمجيد نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ط١ ، دار

ومن ثم إقامة قاعدة فكرية تنصيرية تمثلها وتهذبها من الفساد الذي اكتسبته من جراء التقائها بالإسلام ، وثانيهما : معرفة هذا الدين لتيسير إمكانية مواجهته ونفيه ، وإقامة سد منيع بينه وبين إفساد النصرانية من جديد[١] .

* - البنية السكانية المتنوعة لهذه المدينة ، حيث كانت تضم عناصر مختلفة ، وطوائف متباينة من المسلمين والنصارى واليهود ، الذين كانوا يتقنون عدة لغات كالعربية والعبرية واللاتينية ، الأمر الذي شكل نشوء مدرسة للترجمة والنقل بمجرد توفر هذه الخبرات الناقلة .

وقد بقيت طليطلة زهاء أربعمائة سنة بعد جلاء المسلمين عنها ، مركزاً دينياً وثقافياً لشبه الجزيرة برمتها ، وكانت تبدو للقادم إليها وكأنها مدينة إسلامية ، باللباس والأخلاق والعادات والفنون ، وطالما وجدت بها أعداد كبيرة من المسلمين ، والذين واصلوا حياتهم محافظين على لغتهم برغم قوانين الحظر ، وكان لهم دور كبير في جوانب الحياة المختلفة[٢] .

وبالرغم من عودة الهيمنة النصرانية للمدينة ، فلا تزال هناك شريحة اجتماعية نصرانية يتخذ أفرادها أسماء عربية ، أو أنهم ما يزالون يكتبون بالعربية ، ويتكلمون بها في أحاديثهم اليومية ، وفي الطرقات[٣] .

ويرجع أحد الباحثين سبب تأخر مستعربي طلطيلة في الاندماج في مجتمعهم النصراني الجديد بقوله : «ذلك أن مستعربي طليطلة قد اندمجوا في إسبانيا النصرانية بفعل الفتح وليس بشكل طوعي ، على النقيض من الكثير من مستعربي قرطبة ، الذين هاجروا عقب الثورة ، في القرن التاسع للميلاد ، فالطليطليون بدلوا

=

النهضة العربية ، ١٩٨٩م ، ٣٠٧ .

(١) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٢ .

(٢) بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ١٤٩ ؛ على الكتاني : الإسلام في إسبانيا ، مجلة الحكمة ، عدد١٢ ، السنة الأولى ، ١٩٤-١٩٥ .

(٣) بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ٧٥ ؛ غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ٢٨١/١ ؛ عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ٢٧ .

أسيادهم دون تبديل أماكنهم»[١] .

ولا أدل على استمرار هؤلاء المستعربين في استعمال اللغة العربية في حياتهم العلمية والعملية ، من تلك الوثائق التي حفظت لنا عن مستعربي طليطلة في القرنين السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، والتي تحوي عدداً كبيراً من وثائق الكُتَّاب العدول ، بخط عربي ، يصل عددها إلى ألف ومائتي وثيقة[٢] ، تثبت أن الكثير من مستعربي طليطلة قد تأخروا في الذوبان في مجتمعهم الجديد ، فظلوا يستخدمون اللغة العربية كتابة ومحادثةً[٣] .

هذا بالإضافة إلى اليهود الذين لم يكن يخلو منهم مكان في شبه الجزيرة ، لاسيما طليطلة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس ، فشجع الكثير منهم على النقل والترجمة ، وكل هذه العناصر كونت تيار نقل بالغ الأهمية للحضارة الإسلامية إلى الغرب[٤] .

ويرى بعض الباحثين أنه لحسن حظ العرب والثقافة والحضارة العربيتين ، استيلاء النصارى على مدينة طليطلة ، فكما كان من الضروري على العرب فتح الأندلس ومد جسر بينهم وبين الغرب ، كان من الضروري أيضاً أن تسقط مدينة طليطلة في يد ألفونسو السادس ، وفي التاريخ الذي سقطت فيه ، أي : عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، ولو تأخرت خمسين سنة عن السقوط لما أتيح للعرب أن يؤدوا دورهم الثقافي والحضاري في العالم الغربي ، ولو تأخر استرداد مدينة طليطلة خمسين سنة لما استفاد الغرب شيئاً من الثقافة العربية واليونانية ، بل كان الغربيون لجأوا إلى ترجمة الثقافة اليونانية من مصدرها اليوناني.. ؛ لأنه من المعروف أن الثقافة اليونانية وصلت إلى الغرب عن طريق العرب ، أي : أن العرب كانوا قد نقلوا

(١) غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ١/ ٢٨٠ .

(٢) نشرها آنخل جونثالث بالنثيا في أربعة أجزاء مع ترجمة أسبانية للوثائق ، سنة١٩٢٦م .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٤٤٨ ؛ وانظر فيراندو : اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين ، ١٦٢-١٦٩ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٤ ؛ Albert Calvert:Toledo ,an historical and descriptive account of the city of generation,Breinigsville,Pa usA.٢٠١٠٤٤.

الحضارة اليونانية إلى العربية ، ثم جاء الغربيون ونقلوا هذه الحضارة من العربية إلى اللاتينية في مدينة طليطلة[١] .

هذا ما أثبته بعض الباحثين في رأيهم عن سقوط طليطلة وأهميتها في انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، وكأنهم لم يعوا كيف أثر المسلمون في الحضارة الغربية عبر معابر عدة غير الأندلس .

صحيح أن الأندلس كانت من أهم معابر انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، وأن طليطلة كانت من أهم مدارسها حيث تم عن طريقها ترجمة الكثير من علوم الإسلام ، ولكن هل كان استيلاء النصارى على المدينة الإسلامية وتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة بعد إبرام العهود والمواثيق[٢] مع المسلمين على الحفاظ على مقدساتهم ، وحرياتهم الدينية في صالح الحضارة الإسلامية؟ أم أن المد النصراني الذي انطلق بسقوط هذه المدينة فاتخذها قاعدة له ، والذي عرف بـ«حركة الاسترداد» ، وما صاحبه من محاكم التفتيش التي بلغت في ظلمها وبطشها حداً يفوق الوصف في تاريخ الإنسانية ، ناهيك عن الحضارة وعلومها ، كان من أجل العلم والحضارة؟

أي فائدة جنتها بلاد الأندلس بعد استيلاء النصارى على مدنها ، وفي مقدمتها طليطلة؟ ، ألم يقر المؤرخون[٣] النصارى قبل المسلمين أن زوال الحكم الإسلامي

---

(١) سيمون الحايك : طليطلة مدينة الثقافة والترجمة ، مجلة العربي ، ع ٣١٥ ، ١٩٨٥م ، ٦٧ .

(٢) كان من أهم شروط تسليم طليطلة للنصارى ما يلي :

١ - إعطاء الأمان المطلق لأهلها في أنفسهم وأموالهم وأهليهم وبنيهم .

٢ - من أحب من أهل طليطلة الخروج لم يمنع منه ، وإن رجع بعد رحيله نزل على ما كان بيده من عقار دون تعرض عليه لا في كثيرة ولا في قليلة .

٣ - من أحب المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية على عدد ما عنده من الأشخاص .

٤ - تجري على المسلمين في طليطلة أحكام شريعتهم ويحتفظون بقضاتهم ونظمهم وتقاليدهم .

٥ - يحتفظون بالمسجد الجامع في طليطلة .

٦ - يؤدي المسلمون المقيمون في طليطلة إلى ملك قشتالة من الضرائب ما كانوا يدفعونه لملوكهم .

انظر : ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ٨٥ ؛ نعنعي : الإسلام في طليطلة ، ٣٠٣-٣٠٤ .

(٣) لوبون : حضارة العرب ، ٥٨٤-٥٨٦ .

من البلاد كان سبباً لتأخرها عن بقية الدول الأوروبية الأخرى ، ولو بقيت الحضارة الإسلامية كما كانت أيام عزها لوصلت إسبانيا إلى الدول العظمى في العصر الحديث؟ .

ولا أظن أن هناك حاجة لكي يسعى النصارى الإسبان إلى الاستيلاء على مراكز العلم عند المسلمين لأخذه عنهم ، بل على العكس من ذلك ، فقد كانت هذه المراكز مشرعة الأبواب لطلبة العلم الأوروبيين يأخذون العلم في جامعاتها ومدارسها بكل ترحاب ، فيتعلمون العلم ويؤلفون فيه ، فمن أراد العودة بعد ذلك عاد إلى بلاده ، ومن أراد الاستقرار في بلاد المسلمين بقي على الرحب والسعة ، وما ذُكر من أن سقوط طليطلة كان سبباً في ترجمة علوم اليونان من العربية ، ولو تأخرت خمسين سنة لاكتفى النصارى لترجمتها من مصدرها اليوناني ، فهذا هو محال الصواب ؛ لأن أقل دارس في تاريخ العلوم إلى أكبر متضلع فيه يعلم أن الغرب لم يعرف علوم اليونان إلا عن طريق ترجمتها العربية ؛ حيث إن الكثير منها فُقد ولم يبق له ذكر إلا في المترجمات العربية للمسلمين .

كما أن الكثير من النظريات اليونانية صُحِّحت وزيد عليها ، بل خرج المسلمون بنقدهم لها بمؤلفات مستقلة في فروع العلم والمعرفة .

وكأن هؤلاء الباحثين أرادوا أن يرددوا ما قاله كثيرٌ من المستشرقين بأن المسلمين كانوا مجرد نقلة لعلوم اليونان ، وأنهم لم يأتوا بجديد ، بل ترجموا هذه العلوم ، ثم عادت لأصحابها بعد ترجمتها من العربية ، وهم بتأكيدهم هذا ينفون فضل الحضارة الإسلامية على الغرب .

وعلى كل حال ، فقد تألقت شهرة طليطلة بعد سقوطها بيد النصارى ، وبما توفرت عليه من مميزات كأهم مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية .

ولا نستطيع تحديد تاريخ بعينه لنشأة هذه المدرسة ؛ إذ لا تسعفنا المصادر بمعلومات وافية عن ذلك ، وكل ما نعرفه هو ما ذكر من معلومات تتعلق بها من خلال سِيَر المترجمين الذين تعاقبوا عليها ، وقد تركوا بصمات المدرسة على العديد

من أعمالهم التي قاموا بنقلها من العربية إلى اللاتينية آنذاك[١] .

إلا أنه من المؤكد أنها تأسست في عهد سيادة الملك ألفونسو السابع (Alfonso vII)[٢] علـى يـد وزيـره الأكـبر مطـران طليطلـة : دون ريمونـدو ، (ت٥٤٧هــ/١١٥٢م) ، والذي تولى رئاسة أسقفية المدينة سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م) على أرجح الأقوال[٣] ، ثم أصـبح مستـشاراً أكـبر لقـشتالة مـن سـنة (٥٢٥هــ-١١٣٠م) إلى (٥٤٥هـ-١١٥٠م)[٤] .

وقد أدرك ريموندو أن هذا العمل يمثل فرصة عظيمـة للاسـتفادة مـن علـوم المسلمين التي لا تعرف أوروبا منها إلا القليل ، فوضع خطة إنشاء هـذه المدرسـة ، لترجمتها ترجمة علميـة عـن طريـق النخبـة مـن المـستعمرين الوافـدين إلى المدينـة ، والمستقرين بها من المسلمين والنصارى واليهود الدارسين لشتى العلوم الإسلامية ، وكان فعله هذا حدثاً حاسماً كان له أبعد الأثر على مصير أوروبا[٥] .

وهناك اختلاف بين الباحثين في تسمية مدرسة طليطلة ، فنجد الـبعض يطلـق عليها مسمى «مكتب المترجمين»[٦] ، في حين سماها الـبعض الآخـر إلى جعلهـا في

---

(١) عاشور : المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبيـة ، ط٢ ، مكتبـة الأنجلـو ، ١٩٨٢م ، ٦٤ ؛ Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢ .

(٢) ألفونسو السابع : بن فرديناند بن ألفونسو ، تولى ملك ليون وقشتالة من (٥٢٦-٥٥٢هــ/١١٢٦-١١٥٧م) . ابن الخطيب : الأعلام ، ٣٣٠ .

(٣) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربيـة ، ٨٤ ؛ شـحلان : الـتراث العـبري اليهـودي ، ١٧٣ ، هامش(٦) ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢١٥ ؛ شيخة : دور مدرسـة الترجمـة بطليطلـة في نقل العلوم ، ٣/١٣٢ ؛ (Haskins: studies in the history of mediaval science,١٤)

(٤) محمود المقداد : تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٨م ، ٢٠ .
Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo, PP٢٣ .

(٥) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٦ ؛ أوليري : الفكر العـربي ، ٢٨١ ؛ وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربيـة ، ٨٤ ؛ شـحلان : الـتراث العـبري اليهـودي ، ١٧٣ ؛ القاضي : طليطلة ومدرسة المترجمين ، ١٠٠-١٠١ .

(٦) العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٠ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٥٦٧ .

مصاف الجامعات فأطلق عليها لفظ «دار الفنون» ، أي : الجامعة[١] ، بينما اشتهرت عند الذين أرخوا لها باسم مدرسة ، فيقال : «مدرسة المترجمين الطليطليين» ، Toledanos colegio de Traductores[٢] .

ويرى أحد الباحثين أن إطلاق مسمى «مدرسة» على مدرسة مترجمي طليطلة يعتبر تجاوزاً لمصطلح المدرسة المعروفة اليوم فيقول : «إذا توخينا الدقة لم يكن لنا أن نسميها «مدرسة» لافتقارها إلى الأستاذية تنظيماً واستمراراً ، ولم يكن الرابط الوحيد الذي يجمع بين مختلف المترجمين أو بين جماعاتهم - هذا إن كان ثمة رابط - ليتجاوز الرابط الجغرافي ومحبة العلوم ليس إلَّا ، وكان كثيرٌ منهم يعملون في مدن تنأى عن طليطلة»[٣] .

وقبل الخوض في تفاصيل هذا الرأي يجدر بنا أن نبحث عن مكان هذه المدرسة ، فأين أنشئت من مدينة طليطلة؟ وأين كانت تتم عملية الترجمة بها؟ . يقول بدوي : «اعتاد المؤرخون أن يتحدثوا عن مدرسة المترجمين في طليطلة ، ولكن ليس المقصود وجود مدرسة بالمعنى المادي ، أي هيئة وبناء يضمها يتولى القيام بالترجمة ، مثل بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة المأمون للمترجمين من اليونانية أو السريانية إلى العربية ، بل كان هناك جماعة حرة من المترجمين يعملون في طليطلة في نفس المكتبات ، وبنفس الطريقة ، وفي ميدان واحد هو العلوم العربية»[٤] .

ومفاد كلامه أن مسمى مدرسة أطلق على مدرسة الترجمة في طليطلة من باب المعنى المجازي لا المادي ، ولكن ألم يكن لهؤلاء المنتمين إلى هذه المدرسة مقر يرجعون إليه ، ويأخذون أوامرهم منه؟

إذن فلا بد من مكان بدأت نشأة هذه المدرسة منه ، مثلما كان لها رئيس يشرف

---

(١) أطلق هذا المسمى شمس الدين سامي في كتابه «قاموس الأعلام» باللغة التركية ، انظر : عنتابي : مدرسة طليطلة العربية ، ٩٧ ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١١٩ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨١ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/ ١٩ ؛ Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١١٧ .

(٣) فيرنيت : فضل الأندلس على ثقافة الغرب ، ١٧٩-١٨٠ .

(٤) دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٦-٧ .

على سير الترجمة بها عبر مراحلها المختلفة ، لـدينا عـدد مـن الأدلـة التـي تؤكـد أن مدرسة الترجمة بطليطلة كانت مدرسة بمعناها المادي تتضمن :

١ - ما ذكره أحد الباحثين من أن مكان مدرسـة الترجمـة بطليطلـة هـو المبنـى القديم للمدرسة الإسلامية التي كانت تتم فيها عملية التعليم عند المسلمين بقوله : «حوَّل المطران الشهير رايموندو تلك المدرسة القديمة أو الجامعة الرسـمية العربيـة إلى مدرسة المترجمين المعروفة»[١] .

فإذا رجعنا إلى أماكن التعليم عند المسلمين في الأندلس نجد أنها قـد اعتمـدت على المساجد بالدرجة الأولى ، وفي ذلـك يقـول المقـري : «لـيس لأهـل الأنـدلس مدارس تعينهم على طلب العلم ، بل يقرؤون جميع العلوم في المـساجد بـأجرة»[٢] ، وحتى بعد ظهور المدارس إبان القرنين الـسابع والثـامن الهجـريين ، الثالـث عـشر والرابع عشر الميلاديين ، في بعض المدن الأندلسية ، فقد ظلت المساجد تـؤدي دوراً عظيماً في نشر العلم عن طريق حلقات الدرس التي كانت تعقد بها في مختلف العلوم والآداب[٣] .

ومما لا شك فيه أن المسجد الجامع[٤] بطليطلة قد ساهم بحظ وافـر في العمليـة

(١) مانثاناريس : المستعربون الإسـبان ، ٢٦ ؛ كـما أن د.عاشـور في حديثـه عنهـا عـدَّها مـن المـدارس الكاتدرائية ، أوروبا العصور الوسطى ، ٢/١٩ .

(٢) نفح الطيب ، ١/٢٠٥ .

(٣) ريبيرا : التربية الإسـلامية في الأنـدلس ، ١٠٩-١١٠ ؛ البـشري : الحيـاة العلميـة في عـصر ملـوك الطوائف بالأندلس ، ٢٢٢-٢٢٣ .

(٤) بني المسجد الجامع بطليطلة بعد الفتح الإسلامي لها ، وقد كان هذا المـسجد كنيـسة قوطيـة قديمـة ، فحولها المسلمون وقت الفتح إلى مسجد طليطلة الجامع ، ولما سقطت المدينة في يد القـشتاليين ، كـان من عهود التسليم التي قطعها ملك قشتالة على نفسه أن يبقي للمسلمين جامعهم إلى الأبـد ، يـؤدون فيه شعائرهم أحراراً ، بيد أنه لم يمض على ذلك سـوى شـهرين حتـى قـام أسـقف طليطلـة الجديـد بتحويل الجامع إلى كنيسة بالقوة القـاهرة ، ونـصبت فيـه الهياكـل ، ولم يغـن احتجـاج المـسلمين ولا هياجهم شيئاً ، وفي سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) دشـنت الكنيـسة الجديـدة في حفـل ملـوكي ضـخم ، واستمر بناء الجامع بعد تحويله إلى كنيسة قائماً زهاء قرن ونصف حتى أمر بهدمه الملك فرناندو الثالث في سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) ، وأمر بأن تبنى مكانه الكاتدرائية الحالية ، واستمر بناؤها دهـراً ولم يـتم

التعليمية ، فكان يشكل المؤسسة التعليمية الأولى بالمدينة إلى جانب المساجد الأخرى بها[١] ، وعليه فالمقصود بالمدرسة القديمة أو الجامعة الرسمية العربية في النص السابق ، هو هذا الجامع الذي حول إلى كنيسة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، ثم أنشئت بها مدرسة الترجمة المذكورة آنفاً ؛ لأن المدارس كما قلنا قد تأخرت نشأتها إلى ما بعد سقوط طليطلة .

٢ - مؤسس المدرسة هو الأسقف ريموندو مطران طليطلة ، ورئيس أساقفة المدينة ، والمعروف في نظام التعليم الكنسي أن المدارس كانت تابعة للأسقفيات طوال العصور الوسطى ، كما أن الأسقف كان هو الذي يتولى رئاسة المدرسة التابعة لأسقفيته ، ولا يسمح لأي فرد آخر أن يفتح مدرسة داخل حدود الأسقفية أو يباشر التعليم فيها دون تصريح من هذا الموظف ، وإلا تعرض للمحاكمة ، ومع ازدياد أعباء الأساقفة كانوا ينيبون عنهم أناساً يوكلون إليهم شئون التعليم داخل الأسقفية[٢] .

وكل هذه الشروط نجدها تطابق ما كان يحصل في مدرسة الترجمة بطليطلة ، حيث إن الأسقف ريموندو هو الذي كان يرأسها ، وقد أناب عنه في رئاسة هذه المدرسة : دومنجو جنديسالفي الذي كان يشرف على سير الترجمة بها[٣] ، بالإضافة إلى أن نظام التعليم في الكنيسة كان يركز في بدايته على تدريس الفلسفة ، وهذا ما كان مدار اهتمام مدرسة طليطلة في بداية نشأتها ، كما أن أحد المضطلعين بأمر الترجمة بها وهو : يوحنا الإسباني قد تخصص في دراسة وتعليم الفلسفة ، ويفترض أنه =

إلا في سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) . عنان : الآثار الأندلسية ، ٨٣ .

(١) البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس ، ٢٢٣ ؛ إبراهيم السلمي : تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٥هـ ، ١٨٢ .

(٢) هاسكنز : نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ٣٠٥ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٣٤٠-٣٤١ .

(٣) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٤ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ١٧٣ ؛ السامرائي وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ٤٧٩ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة العربية ، ٧٨ .

زاوله في هذه المدرسة[١] .

٣ - إن كانت عملية الترجمة تتم في مكتبات طليطلة ، فإن من أهمها مكتبتين :

أولاهما : مكتبة المسجد الجامع والتي كانت تحوي ذخائر التراث الإسلامي ، مما استرعى اهتمام النصارى المحتلين ، فطفقوا يترجمونه إلى لغاتهم[٢] . وقد بين ريبيرا عند حديثه عن المدارس في الأندلس : أنها جذبت إليها المكتبات ، والمدارس بدورها أقيمت في المساجد ، فمن المؤكد أنها ورثت المكتبات ، وجمعت بين المدرسة والمكتبة ، ومنذ ذلك الحين ظلتا متلازمتين لا تفترقان»[٣] .

أما المكتبة الثانية : فهي مكتبة بني ذي النون حكام طليطلة ، ولم تذكر المصادر مكاناً محدداً لها ، وربما أنها كانت في القصر حيث عدَّها عدد من الباحثين من المكتبات العامة فإذا كانت على هذا النحو فستصبح في حوزة الملك القشتالي ألفونسو السادس ، الذي استولى على المدينة ثم من أتى بعده[٤] .

وبما أنه من المفترض أن يكون القصر الملكي بطليطلة هو مكان مدرسة الترجمة ، إلا أن الوقائع التاريخية تثبت أن الدوافع الدينية كانت في مقدمة دوافع الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، كما أن التعليم في العصور الوسطى كان يسير وفق تعاليم الكنيسة وتوجيهها .

إذن ، قد تكون الكنيسة هي صاحبة الأسبقية في تأسيس المدرسة على أرضها ، ثم نقلت بعد ذلك بقرون إلى القصر[٥] .

---

(١) Alonso:domingo gundisalvo y Juan hispano,vIII,١٨٧ .

(٢) حامد الشافعي دياب : الكتب والمكتبات في الأندلس ، ط١ ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ١٠١ .

(٣) التربية الإسلامية في الأندلس ، ١٢٨ .

(٤) نفس المرجع .

(٥) ومما هو جدير بالذكر أن مدرسة طليطلة للترجمة في العصر الحديث والتي يعود نشاطها إلى سنة (١٩٩٤م) وهي تابعة لجامعة (castilla-lamancha) ، وتوجه نشاطها إلى إعداد المترجمين في مجال اللغة العربية والعبرية ، ويشمل هذا النشاط الدراسات العليا المتمثلة في البرنامج الدراسي المتعارف عليه بـ«برنامج الاختصاص في الترجمة من العربية إلى الإسبانية» ، وفي الورش الدراسية الخاصة بالترجمة من العبرية إلى الإسبانية ، ويقع مقر المدرسة بقصر الملك دون بيدرو ، وهو مبنى مدجن شيد خلال

وبالمحصلة ، فمدرسة الترجمة في طليطلة تُعَدُّ مدرسةً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى[١] ، وإن لم ينسب جميع المترجمين الذين يعملون بها إليها ، فما ذكر من أن كثيراً ممن اضطلعوا بأمر الترجمة كانوا ينتمون إلى مدن أخرى غير طليطلة ، مما يدل على أنهم لم يقوموا بعملية الترجمة بها ، فهذا ليس دليلاً على بعدهم عنها ، حيث نجد عدداً من المترجمين تشير ألقابهم إلى مناطق متعددة من شبه الجزيرة ، وهم كانوا يتمركزون في كنيسة طليطلة ، فمثلاً دومنجو جنديسالفي ، الذي كان رئيس شمامسة سيجوفيا (Segovia)[٢] لم يكن له علاقة لا مادية ولا معنوية بها ؛ إذ بمراجعة الوثائق الخاصة بمدينة طليطلة والعائدة إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، نكتشف أن الدير الكنسي للمدينة كان يحكمه أساقفة مدريد (Madrid)[٣] ، ووادي الحجارة (Gudalajara)[٤] ، وسيجوفيا ، وغيرها ، دون أن يكون لحاملي هذه الألقاب علاقة بكنائس هذه المدن ، وحتى أصلهم كان لا يؤخذ بعين الاعتبار ودون أن يغادروا مطلقاً حدود مدينة طليطلة ، كانوا مؤهلين لمثل هذه الألقاب ، هذا بالإضافة إلى وجود هفوة من الناسخين في تحديد الأماكن فقد يكون المترجم قبل مجيئه إلى طليطلة ينسب لبلده وبعد مجيئه واستقراره فيها نسب إليها[٥] .

يقول بيدال : «من الشائع حديثاً إنكار وجود هذه المدرسة التي تدعى مدرسة

=

القرن الرابع عشر في وسط المدينة .http:\\www.vclm.es/escueladetraductores/english/history

(١) Palencia,EL:arzobispo don raimundo de Toledo,١١٨

(٢) سيجوفيا : مدينة وقناة إسبانية بناها الرومان ، لاتزال تعمل إلى الآن . الموسوعة العالمية ، ١/ ٦١٩ .

(٣) مدريد ، أو مجريط ، كما يسميها البلدانيون المسلمون ، بلدة بالأندلس تقع في مقاطعة قشتالة الجديدة ، وهي اليوم عاصمة إسبانيا ، وأكثر عاصمة أوروبية ارتفاعاً عن سطح البحر (٦٧٠م) . ياقوت : معجم البلدان ، ٥/ ٦٩ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٥٢٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/ ٣١٢ .

(٤) وادي الحجارة : بلد بالأندلس وتعرف بمدينة الفرج ، بينها وبين طليطلة خمسة وستون ميلاً ، وهي اليوم في وسط إسبانيا . ياقوت : معجم البلدان ، ٥/ ٣٩٥ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٦٠٦ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/ ٣١٤ .

(٥) alonso:domingo Gundisalvo y Juan hispano,vIII,١٥٩ .

المترجمين في طليطلة ، وهو إنكار يقوم على أساس خاطئ ، فإذا كانوا يفهمون من مدرسة مجموعة منظمة من الأساتذة والمدرسين والفصول والفراشين ، فمن المؤكد أن مدرسة المترجمين هذه لم توجد أبداً ، ولا فكر أحدٌ مطلقاً في أنها يمكن أن تكون وجدت ، لكن نعم وجدت مدرسة طليطلة للترجمة بمفهوم أن جماعة من الدارسين واصلوا في المكان نفسه ، وفي مكتبات بعينها ، وبالأساليب ذاتها ، ويعملون في المجال نفسه..مجال العلم العربي»[1] .

هكذا ويمكننا دراسة تاريخ هذه المدرسة عبر عصورها على النحو التالي :

أ – العصر الأول : يبدأ من منتصف القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي على يد مؤسس المدرسة : المطران دون ريموندو سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، وتاريخ البداية أتى استناداً إلى أقدم الترجمات المنسوبة إليها ، وهي الترجمات التي أنجزها إدلارد الباثي ، والتي كانت تخص أعمالاً فلكية ورياضية لعلماء مسلمين .

وقد أتم نقل هذه الترجمات من العربية إلى اللاتينية في سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م)[2] ، إلا أنه لا يعقل أنه أتم ترجماته في نفس السنة التي بدأها فيها ، فلا بد أنه قد قطع شوطاً في ترجمتها لا يقل عن سنة كاملة ، لذا فالأرجح أن يكون بدأ ترجماته قبل تأسيس المدرسة ، فهو قد حل بطليطلة قبل السنة المذكورة آنفاً ، ثم التحق بفريق الترجمة بمدرسة طليطلة عند تأسيسها .

وقد عهد ريموندو بالإشراف على سير الترجمة إلى دومنجو جنديسالفي رئيس الشمامسة بسيجوفيا ، والذي برز نشاطه ما بين (٥٢٥-٥٧٧هـ/١١٣٠-

---

(١) إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٢ .

(٢) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٤ ؛ وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨٤ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٤١٧/٢ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٨-٩ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢١ ؛ غابرييلي : الإسلام في عالم البحر المتوسط ، ١٥٣/١ ؛ Haskins:studies in the history of mediaval science,١٠ ، Palencia,EL:arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٩ .

١١٨١م)[١] ، وهو معاونه يوحنا الإشبيلي (ت٥٦٢هـ /١١٦٦م) ، الذي كان في حقيقة الأمر أستاذاً وصديقاً لدومنجو ، ولكن نظراً لأنه يهودي متنصر ، فقد كان تابعاً له بالرغم من اضطلاعه في العربية والترجمة عنها إلى القشتالية ، ومن ثم يقوم جنديسالفي بترجمتها إلى اللاتينية بعد ذلك[٢] .

وكان الهدف الأول في هذا العصر هو تعليم الفلسفة للعالم اللاتيني ، وكانت تراجم الكتب الفلسفية هي الوسيلة الوحيدة لذلك ، إلا أنه يلاحظ أن المؤلفات الفلكية قد ترجمت قبل سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) ، بينما المؤلفات الفلسفية ترجمت بعد سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م)[٣] ، ويبدو أن ترجمة القرآن التي بدأت من سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) إلى سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) كانت ضمن إنجازات هذه المدرسة ، فبطرس المحترم راعي المشروع زار طليطلة سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) ، وكان من بين أهداف زيارته الاطلاع على سير الترجمة ونشاطها ، وقد التقى برئيس المدرسة ريموندو ، ومن ثم أمر بإنجاز هذه الترجمة لأهداف دينية ، وكانت هذه الترجمة تسمى بمجموعة ديركلوني ، وهي ضمن الأعمال التي عرفت بالترجمات الطليطلية الأولى التي تناولت القرآن وغيره من علوم المسلمين[٤] .

وقد شهدت مدرسة طليطلة في هذا العصر تدريس العلوم العربية لاسيما الفلسفية منها ، والتي اضطلع بها يوحنا الإشبيلي إلى جانب تأليفه عدداً من الكتب

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٧ ؛ alonso:domingo Gundi salvo y Juan hispano,vIII,١٦١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/١٥٣ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٨٨-٨٩ .

(٣) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٠٢ ؛ فيرنيت : فضل الأندلس على ثقافة الغرب ، ١٨٠ ؛ (alonso:domingo Gundi salvo y Juan hispano,vIII,١٦٦) .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٦ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٩ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/٣٧ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ٥٥ ؛ ولي : الإسلام والمسلمون في ألمانيا ، ٣٧ .

المعتمدة على المصادر الإسلامية(١) .

ومما تناولته هذه المرحلة مؤلفات علماء اليونان المترجمة عن العربية ، كإقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط ، بشروح أعلام الفكر الإسلامي عليها كالخوارزمي والبتاني وابن سينا وابن رشد والبطروجي ومن إليهم(٢) .

ب - العصر الثاني : يبدأ بمجيء المترجم الإيطالي جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، إلى طليطلة سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م) ، حيث قضى بها سنوات ذوات عدد ، يقدرها البعض بعشرين سنة تعلم خلالها اللغة العربية ، ثم طفق يترجم علوم الإسلام إلى اللاتينية ، بالاستعانة بعدد من المستعربين أمثال رجل يدعى غلّيبوس (Gallipus) ، وهو تحريف لاسم غالب(٣) .

وقد شملت الترجمات التي قام بها جيرارد ومعاونوه في هذه المرحلة حقولاً متعددة مثل : المنطق والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، والطب ، والكيمياء ، وغيرها .

وتقدر مجموع المؤلفات التي قام بترجمتها أكثر من سبعين كتاباً ، مما يوحي أنه كان يرأس فرقة من المترجمين الذين كانوا يعملون تحت توجيهه ؛ نظراً لضخامة الأعمال التي أنجزت في عهده(٤) .

---

(١) (alonso:domingo Gundisalvoy Juan hispano,vIII,١٨٧) .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٣-٢١٤ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٤٥ ؛ فيرنيت : فضل الأندلس ، ١٨٠ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي إلى أوروبا اللاتينية ، ٢٩٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٨٩ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٣ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ٢١٥ ؛

Haskins studies in the history١٤-١٥؛

steinschneider:dei europalschen ubersetzungen١٥,Alonso:traducciones del arcediano domingo gundisalvo,AL-Andalus,Madrid,Granada,١٩٤٧,V,XII,٢٩٧ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي إلى أوروبا ، ٢٩٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٣ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ٢٢٧ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٨٩ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٣ ؛ Palencia:EL

ولعل أبرز الذين اشتركوا معه في الترجمة دانييل المورلي (ق٦هـ/١٢م) ، حيث اشترك مع جيرارد في ترجمة رسائل متعددة للكندي والفارابي ، واشترك معه أيضاً دومنجو جنديسالفي ، ويوحنا الإشبيلي ؛ لأن الأول منهما كان لا يزال على قيد الحياة سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) ، ولا دليل على أنه توفي بعد ذلك مباشرة ، فيما عاش الأخير حتى سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م)[١] ، ومن أبرز ما ترجم من علوم على يد جيرارد : مؤلفات أبقراط ، وجالينوس ، وجميع المؤلفات التي ترجمها قبله إلى العربية حنين بن إسحاق في بغداد ، كما ترجم مؤلفات الكندي ، وكتاب القانون لابن سينا ، وجراحة أبي القاسم ، وفي الفلسفة مؤلفات أرسطو والكندي والفارابي وثابت بن قرة[٢] .

وهكذا نجد أن مدرسة طليطلة في مرحلتها الثانية قد فتحت الباب على مصراعيه أمام أوروبا لتنهل من العلم الإسلامي ، وتبدأ نهضتها الحديثة ، فقد عرف الغرب من منتصف القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي كتباً في الفلسفة مهمة للغاية ، يقول رينان : «كان الكتاب الذي يؤلف في مراكش أو القاهرة يعرف بباريس أو كولونية في وقت أقل مما يقتضيه عبور كتاب مهم من الرين يؤلف في ألمانية»[٣] .

ويعتبر بعض الباحثين أن جيرارد الكريموني أعظم المترجمين من العربية في هذا العصر على الإطلاق ، فعن طريقه انتقلت كثيرٌ من العلوم العربية أكثر من أي

=

. arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٦-١٤٧ .

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ بيرنت : حركة الترجمة ، ٢/١٤٥٨ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢١٨ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٨٩ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٣ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٤ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٢٧-٤٢٨

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦٩

(٣) ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٤ .

مترجم آخر[١] .

ج - العصر الثالث : يبدأ هذا العصر من مطلع القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، حيث استمرت عملية النقل على يد عدد من المترجمين الذين توافدوا إلى مدرسة طليطلة أمثال : ميخائيل سكوت (ت حوالي٦٣٤هـ /١٢٣٦م) ، الإنجليزي الذي حل بطليطلة سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) ، أتم ترجماته الفلسفية لاسيما الرشدية منها في هذه المدرسة التي لم يطل مقامه بها[٢] ، إضافة إلى المترجم هرمان الألماني (ت٦٧١هـ /١٢٧٢م) ، الذي ظهر بطليطلة سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) تقريباً ، وترجم من كتب أرسطو وابن رشد ما يخص الجانب الأدبي كالخطابة والشعر والأخلاق[٣] .

وقد شهدت هذه المرحلة استمرار موجة الهجوم النصراني ضد الإسلام بواسطة الترجمة ، لاسيما بعد الهزيمة الساحقة في معركة الأرك (ALarcos) سنة (٥٩١هـ/١١٩٥م)[٤] ، والتي أعادت إشعال جذوة المحاولات النصرانية لمعاودة الهجوم ، وكان لرئيس أساقفة طليطلة : ردريجو دي رادا دوراً هاماً في هذه المرحلة ، فكان هذا الرجل هو ومساعده رئيس الشمامسة موريس (Mourice) ، هم من طلب ترجمة ثانية للقرآن إلى كاهن طليطلة مارك الطليطلي ، الذي انتهى من المهمة عام (٦١٠/١٢١٣م) ، كما أنه قام بترجمة عدة رسائل موحدية قبل هذه الترجمة بثلاث سنوات[٥] .

(١) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٣ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٤ .

(٢) رينان : الرشد والرشدية ، ٢/٢٢١ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ؛ الخضيري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، ٤٩ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٦ .

(٣) أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٨٩ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في إسبانيا : ٢/١٤٦١ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٤ .

(٤) معركة الأرك : من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي ، دارت رحاها بين قوات المسلمين بقيادة السلطان الموحدي أبويوسف المنصور ، وجيوش النصارى بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة ، وانتهت بانتصار الجيش الإسلامي . ابن خلدون : العبر ، ١٦٧٩ .

(٥) العقيقي : المستشرقون ، ١/٩١ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ ؛ فرانسوا

وقد بدأت مدرسة طليطلة عصراً جديداً في مجال الترجمة على عهد الملك ألفونسو العاشر ، والذي اعتلى عرش مملكة قشتالة فيما بين (٦٥٠-٦٨٣هـ/١٢٥٢-١٢٨٤م) ، فاتجه نحو العلوم الإسلامية والاهتمام بها ، وكان من بين اهتماماته بعثه لمدرسة الترجمة بطليطلة ، وإبرازها بحلتها الجديدة التي تميَّزت بالقومية القشتالية من خلال العلوم المترجمة ، ومن خلال اللغة المستعملة ، إذ إنه أدخل اللغة القشتالية لنقل العلوم مع اللاتينية المستخدمة من ذي قبل(١) .

كما أنه أسس أول معهد للدراسات الشرقية في نفس المدرسة سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، لتعليم العبرية والعربية ، وهدفه تدريس الإرساليات لتوجيهها إلى المسلمين واليهود(٢) .

وكان من بين أساتذة مدرسة طليطلة علماء مسلمون ويهود ونصارى ، عهد إليهم هذا الملك بتعليم العربية للطلبة النصارى ، وبالقيام على ترجمة كتب العلوم المنطقية والتطبيقية إلى اللغة القشتالية ، التي لم تستكمل تكوينها ونشؤها إلا في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي(٣) .

وتعد مدرسة الترجمة في هذا العصر والتي اضطلعت بالنقل إلى اللغة القشتالية امتداداً لمدرسة الترجمة اللاتينية ؛ إذ إنها جاءت وليدة تطور داخلي لها ، وامتداداً لجهودها ، وموازاة لنشاطها بلغة أخرى(٤) ، ويمكن عرض نشاط هذه المدرسة في عهد ألفونسو العاشر من خلال عصرين تاريخيين لها :

= ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ترجمة وليد العمري ، مجلة عين ، السنة الأولى ، ع١ ، ١٤٢٩هـ ، ٤١ .

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي : ٥٧٤ ؛ هونكة : شمس العرب ، ١٣٦ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٣٤ ؛ بيرنت : حركة الترجمة ، ٢/١٤٦١ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٣٤-٣٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٤ ؛ عبداللطيف الخطيب : حول مدرسة المترجمين بطليطلة ، مجلة دعوة الحق ، عدد(٧) ، السنة ٣ ، وزارة الأوقاف ، الرباط ، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م ، ٥٨ .

(٤) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٠ .

١ - العصر الأول : يبدأ من سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، ويستمر أربعة أعوام ، أمر ألفونسو خلالها بترجمة كتب فلكية ، ككتاب الصفيحة للزرقالي ، وكتاب في الفلك لقسطا بن لوقا ، وكتاب الصلبان الذي ترجم سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) وغيرها[١] .

٢ - العصر الثاني : والذي تميز بالحرب والسياسة في حياة هذا الملك ، فاستأنف نشاطه العلمي لتحقيق غايات جديدة تتسم بالإجادة والأصالة ، حيث أعيدت ترجمة بعض الأعمال مرة أخرى ؛ لأن ترجمتها الأولى لم تكن مقبولة فيما يبدو ، وروجعت ترجمات أخرى ، وعرضت في شكل أفضل ، وألحق بها إضافات تحاول إكمالها[٢] .

وفي هذا العصر ألف كتاب الزيج الألفونسي سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، وكتاب الأحجار الكريمة سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ، وكتاب الشطرنج سنة (٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ، وبدأ ألفونسو يؤلف كتابه : التاريخ الكبير والعام (٦٧١-٦٨٣هـ/١٢٧٢-١٢٨٤م) في اللغة القشتالية ، في ضوء خطة أكثر طموحاً ، وحجم أوسع بكثير ، ومع غاية جديدة أن يُستخدم مصدراً إلى جانب النصوص الكنسية والكلاسيكية القديمة ، واستخدم فيه كثير من الكتب العربية ، أمثال : البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)[٣] ، ويذكر عدة مرات مؤلفه الجغرافي العظيم «كتاب المسالك والممالك» ، بعنوانه الأصلي ، واستخدم أيضاً عدداً من كتب المؤلفين الآخرين ، ممن يذكر أسماءهم فقط ، أو مؤلفاتهم وحدها[٤] .

وقد أدرك ألفونسو العاشر أن اللغة القشتالية تصعِّب انتشار الكتب في بلاد أخرى ، فواصل عمل المدرسة الطليطلية القديمة ومد رحابها ، وحاول أن يجعل الترجمات القشتالية تضم ترجمات ليست لاتينية فحسب ، وإنما تتضمن أيضاً لغات

---

(١) نفس المرجع والصفحة ، ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨-١١٩ .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٢-٢٦٣ .

(٣) البكري : أبوعبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي ، أديب وجغرافي ، من أعظم من أنجبت الأندلس من العلماء . ابن بشكوال : الصلة ، ١/٢٧٧ .

(٤) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٣ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٤٥ .

عامية أخرى ، ومن أمثلة ذلك أنه كلَّف أحد أطبائه اليهود : إبراهيم الطلطيلي (ق ٧هـ/١٣م) بأن يترجم إحدى الروايات العربية التي يتضمنها الأدب العربي عن المعراج إلى القشتالية ، وفي نفس الوقت عمل بونا بنتورا دي سيينا (Bonaventura de siena) ، الذي كان يعمل في بلاط الملك ترجمة لاتينية لنفس المؤلف ، وأخرى فرنسية ، وهذه الأخيرة تحمل تاريخ (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) ، وكلتاهما اكتشفت بعد قرون من النسيان ، وعرف أمرهما في وقت واحد مستقلتين الأولى عن الأخرى ، في كل من إيطاليا وإسبانيا سنة (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)[١] .

وبنهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نصل إلى آخر ما دون عن تاريخ مدرسة طليطلة للترجمة ، وكان غونثالو غرسية غوديل (Ganzalo Garcia Godiel) (٦٧٩-٦٩٩هـ/١٢٨٠-١٢٩٩م) ، آخر أسقف طليطلي شجع على الترجمات اللاتينية ، وإليه أهدى ألبارو أوبييدو (Alvaro de oviedo) شرحه لكتاب ابن رشد ، ولا يعني هذا أنها لم تستمر في مهمتها الحضارية في نقل علوم المسلمين ، ولكن لعله -نتيجة ظهور مراكز أخرى في الأندلس وأوروبا تضطلع بأمر الترجمة والنقل- ، خفف الضغط على هذه المدرسة بعد هذا القرن ، أو أن أغلب المؤلفات العربية الهامة تُرجمت خلال هذه الأعصر الثلاثة الأولى من تاريخ المدرسة ، فلم يعُد لها نشاط كما كانت من قبل[٢] .

(١) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٤٨ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٥ .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٥ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ١٤٦٠/٢ ؛ ويقال إن مدرسة طليطلة استمرت حتى سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) . انظر : زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ٣٨١ .

٢ - مدرسة إشبيلية : (Sevilla) :

إلى جانب طليطلة تألقت شهرة إشبيلية كمدرسة هامة للترجمة بما أنشئ بها من معهد للدراسات العربية واللاتينية سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، على يد ألفونسو العاشر ، والذي نال حماية البابا إسكندر الرابع (Alexander Iv) (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، وموافقته ببراءة خاصة موقعة في عام (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)[١] .

وحق لنا أن نتساءل : ما الذي جعل مدينة إشبيلية تحظى بهذا الاهتمام من قبل النصارى؟ ولم أنشئ بها مدرسة للترجمة اقتداءً بتلك التي أنشئت في طليطلة؟

إنه بالنظر إلى الأهمية الجغرافية والتاريخية والاقتصادية التي تمتعت بها مدينة إشبيلية ندرك سر تنافس الدول والأسر على حكمها ، فهي في جغرافيتها تتمتع بموقع استراتيجي فاق أي مدينة أخرى ؛ حيث تطل على نهر الوادي الكبير (Quadalquivir)[٢] من جانبها الغربي ، وهي إلى الجنوب الغربي من مدينة قرطبة ، وهو موقع هيأ لها ميزة فريدة استراتيجياً وتجارياً ؛ إذ إن المد والجزر يصعد في النهر لمسافة اثنين وسبعين ميلاً ، مما جعلها تعد ميناءً نهرياً وبحرياً بالرغم من بعدها عن مصبه في المحيط الأطلسي نحو ستين ميلاً ، تصل إليه السفن الكبيرة ، والمراكب الثقيلة[٣] .

وتوصف إشبيلية بأنها عروس مدن الأندلس ، مشبهين مرتفع الشرف الذي يعلوها بالتاج ، ونهر الوادي الكبير الذي يحيط بأحيائها الأمامية بالعقد[٤] .

ومنحدرات الشرف أرض خصبة تنبت فيها أشجار التين والزيتون المشهورة

---

(١) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٣٤ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٩٠ .

(٢) نهر الوادي الكبير : نهر في جنوب الأندلس يمر في قرطبة وإشبيلية ويصب في الأطلسي ، الحميري : الروض المعطار ، ٥٩ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/ ٣١٤ .

(٣) البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ١٠٧-١٠٩ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ١/ ١٥٨ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٥٩ ؛ المقري : نفح الطيب ، ١/ ١٥٨ ؛ حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، ١/ ٧٠ .

(٤) الزهري : الجغرافية ، ٨٨ ؛ حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، ١/ ٧٠ .

ثمارها في جميع أنحاء الأندلس ، وما فتئ جغرافيو المسلمين يشيدون بذكر خصوبة الإقليم وثروته ، فذكروا أن من أهم صادراته الزراعية القطن الذي لا يزرع في إقليم غيره ، ومنه يجهز إلى سائر البلاد ، ومن أهم الحاصلات الأخرى قصب السكر والزعفران[1] .

كما كان هذا الإقليم مكتظاً بالسكان ، ويقول الإدريسي : إنه كان به ما لا يقل عن ثمانية آلاف قرية تعتمد كلها على العاصمة[2] ، والتي تقع قرب العدوة الغربية ، حيث يسهل الاتصال عن طريق السفن ، وهو الموقع الذي أفاد هذه المدينة كثيراً في حمايتها من هجمات النصارى ، بسبب حمايتها من قبل أهل المغرب لقربها منهم ، وفي نفس الوقت كان هذا الموقع هو الذي جعلها تتعرض لأكثر من اعتداء عبر تاريخها الإسلامي ، كما أنها كانت هدفاً للثورات والتنافس في الداخل[3] .

وإشبيلية في تاريخها قديمة موغلة في القدم ، عاصرت من خلاله أمماً شتى ، فكان فيها «شرف الرومان ، وفقههم ودينهم ورياستهم في دنياهم»[4] ، ثم اتخذها القوط حاضرة دولتهم ومقر ملوكهم قبل طليطلة ، وفي عهدها الإسلامي اتسعت اتساعاً كبيراً ، وألحق بها أقاليم كثيرة ، وأضحت من أعظم مدن الأندلس وأجلها قدراً ، بدءاً من جعلها عاصمة للدولة الإسلامية من سنة (٩٣-٩٧هـ/٧١١-٧١٥م) ، حتى عصر ملوك الطوائف وتحديداً دولة بني عباد[5] ، فبلغت فيه قمة مجدها وازدهارها ، وكانت دولتهم من أقوى دول ملوك الطوائف آنئذ ، إلا أن

(١) البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ١١٤ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ١/٢٣٢ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٥٩ .

(٢) نزهة المشتاق ، ١/١٧٨ .

(٣) الحميري : الروض المعطار ، ٥٩ ؛ حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، ١/٧٠ .

(٤) مجهول : أخبار مجموعة ، ٢٥ .

(٥) تنسب هذه الدولة إلى مؤسسها القاضي أبوالقاسم محمد بن إسماعيل بن عباد سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م) ، وهي تعود في نسبها إلى قبيلة لخم ، وأصلهم من الشام ، وقد تولى بعده أبناءه المعتضد ثم المعتمد الذي سقطت الدولة في عهده سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) . انظر : ابن بسام : الذخيرة ، ٢/٢٣ وما بعدها ، ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/٣٤ وما بعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣/١٩٣ وما بعدها .

سقوط طليطلة وضغط النصارى على إشبيلية وبقية الحواضر الإسلامية جعلهم يستنجدون بالمرابطين ، الذين انتصروا على النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) ، ومن ثم تربعوا على عرش إشبيلية بدل بني عباد سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م)[١] .

واستمرت إشبيلية في عهدها المرابطي حتى سنة (٥٤١هـ/١١٤٧م) ، عندما دخلها الموحدون لتشهد عصراً جديداً مزدهراً أصبحت تضاهي فيه عهود بني عباد ، وانطلقت منها جيوش المسلمين ضد النصارى ؛ لتحقق نصراً حاسماً في موقعة الأرك سنة (٥٩١هـ/١١٩٥م) ، كما أنها عاصرت أحداث معركة العقاب الشهيرة سنة (٦٠٩هـ/١٢١٢م) ، والتي هزمت جيوش المسلمين فيها أمام النصارى[٢] ، ولما نزح الموحدون في آخر عهدهم إلى مراكش سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) استولى محمد بن يوسف بن هود[٣] على المدينة ، وقد استطاع أن يطرد الموحدين من الأندلس جملة ، ولكنه ما لبث أن واجه جيوش النصارى القشتالية تحاصر المدينة سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) حصاراً دام ثمانية عشر شهراً ، ثم سقطت المدينة في غرة شعبان عام (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

وفي أوائل رمضان من نفس السنة دخل فرديناند الثالث (Ferdinand III) (ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م)[٤] المدينة في موكب فخم ، وذلك بعد أن حكمها المسلمون أكثر من خمسة قرون ، وأمر بتحويل مسجدها الجامع إلى كنيسة[٥] ، وأزيلت منها

---

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ٢/ ٤٠ ؛ ابن الخطيب : الأعلام ، ٢٤٦ ؛ عبدالعزيز سالم : بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، ط١ ، دار الغرب ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ٢/ ٤٦٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ١٦٨٢ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ٤١٦ .

(٣) محمد بن يوسف بن هود (ت ٦٣٥هـ/١٢٣٨م) ، أبوعبدالله ، آخر ملوك بني هود الكبار ، يلقب بالمتوكل على الله . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ٣٠٣ ؛ والزركلي : الأعلام ، ٧/ ١٤٩ .

(٤) فرديناند الثالث : حكم الإمبراطورية الرومانية المقدسة من عام (١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) إلى حين وفاته ، وترأس الوفد الذي وقع معاهدة السلام التي أنهت حرب الثلاثين عاماً . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/ ٢٨٩ .

(٥) تم تحويل المسجد الجامع الذي بني في عهد الموحدين إلى كنيسة سانتا ماريا ، ثم هدم المسجد بفعل زلزال ، وبنيت مكانه كاتدرائية استمر في بنائها أكثر من قرن ونصف ، وأصبحت ثاني كنائس العالم

معالم الإسلام ، وتفرق معظم أهلها المسلمين في الحواضر الإسلامية الباقية ، لاسيما غرناطة ، وكان سقوط إشبيلية إيذاناً بسقوط سائر المدن والحصون الإسلامية الواقعة فيما بينها وبين مصب الوادي الكبير وفي المناطق المجاورة ، وفي المقابل أخذت وفود المهاجرين النصارى تدخل المدينة من ليون وجليقية وطليطلة وفرنسا وجنوا وألمانيا وغيرها من المناطق ، إلا أن أعداداً من المسلمين بقوا فيها إلى زمان إخراجهم نهائياً من الأندلس بعد ذلك[١] .

ويظهر أن إشبيلية مثلت اهتماماً دينياً بالنسبة للنصارى ، لاسيما إبان القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي الذي شهد اهتماماً خاصاً بالتراث النصراني الديني ورموزه من قبل حركة الاسترداد الإسبانية التي أدركت أهمية الدين في حياة العامة والخاصة ، ولإظهار نفسها حامياً ومدافعاً عنه ، وإعطاء حربها ضد المسلمين في الأندلس الصفة الدينية ، فبدأت في هذا القرن ظاهرة نقل الأرفتة المقدسة من الأندلس إلى المناطق المستردة في الشمال ، وكانت إشبيلية من أولى المدن المستهدفة ؛ إذ كانت تضم رفات قديسين ذوي شأن عند النصارى هما : القديس إسيدورو (Isidoro) ، والقديس بيثنتي (Vicente) وأرفتة أخرى . وقد نقلت هذه الأرفتة في فترة حكم المعتضد بن عباد على إشبيلية (٤٣٣-٤٦٤هـ/١٠٤٢-١٠٧٣م)[٢] ، بعد طلب من فريناند العظيم ملك قشتالة[٣] .

وينسب إلى إشبيلية كثير من أهل العلم منهم : عبدالله بن عمر الخطابي الإشبيلي (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، المحدث المشهور[٤] ، وأبوبكر محمد بن العربي

=

من حيث الضخامة . عنان : الآثار الأندلسية ، ٤٩ ؛ حتاملة : موسوعة الديار ، ١/٨٥ .

(١) عنان : نهاية الأندلس ، ٤٣ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ٢٥٠ .

(٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/٣٥ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ٣/١٩٥ .

(٣) محمد بن عبود : جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، ط١ ، مطبعة النور ، تطوان ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، ٤٤ ؛ عبدالقادر جاد الرب : المستعربون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس ، مجلة التاريخ العربي ، ع٢٥ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ٢٦٤ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ١/٢٣٢ .

(ت٥٤٣هـ/١١٤٨م)[١] ، العلامة الأندلسي الذي طبقت شهرته الآفاق ، وعبدالله بن محمد الإشبيلي (ت٤٧٦هـ/١٠٨٣م)[٢] ، وغيرهم كثير .

وهكذا بعد أن رأينا ما تميَّزت به إشبيلية من مميزات جعلتها مؤهلة لأن تكون محل عناية من قبل النصارى ، فأسس بها مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية .

وكل ما نعرفه عن هذه المدرسة أنها كانت تمثل معهد الدراسات العربية اللاتينية الذي أمر ألفونسو العاشر بإنشائه سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، بعد أن فشل معهد مرسية الذي أسسه قبل ذلك[٣] ، وقد خصص هذا المعهد لتعليم العربية ومختلف العلوم التي تضمنتها هذه اللغة من طب ورياضيات وفلسفة وغيرها ، لذلك جلب إليها طوائف من العلماء والمترجمين المسلمين واليهود ليشتغلوا بها تحت إمرته وإشرافه الشخصي المباشر[٤] .

ويبدو أن ألفونسو قد ألحق هذا المعهد بجامعة إشبيلية ، وقد انتقل هذا التقليد إلى الجامعات الأوروبية التي ابتدأت بتخصيص كرسي للغات الأجنبية فيها في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، ولأهمية هذا المعهد فقد نال حماية البابا إسكندر الرابع –كما ذكرنا- وموافقته عام (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)[٥] .

ولكي يجتذب ألفونسو العاشر لهذا المعهد مزيداً من الدارسين والمترجمين ، أمر بأن ترفع بعض الضرائب عن الأشخاص الذين ينتظمون في الدراسة به ، ولعله أراد أن يستفيد من نشاط المسلمين خاصة بعد سقوط المدينة وخبراتهم في اللغة

---

(١) ابن بشكوال : الصلة ، ٢/٥١٠ ؛ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ١/٢٥٤ .

(٢) ابن بشكوال : الصلة ، ١/٢٧٤ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٣-٥٧٤ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٣٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٢ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٣١ .

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٠ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٦٤٢ ، هامش (٣٥) ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٢٧ .

(٥) بروفنسال : الحضارة العربية ، ١٣٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٢ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٣٤-٣٥ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ٢٢٤ .

والعلوم ، وطبقاً لما تثبته بعض الوثائق الموجودة في كاتدرائية إشبيلية في نفس العام فإن الملك ألفونسو طلب من مطران المدينة في مجمعها الكنسي تخصيص بعض المساجد ، لتكون مقراً لعلماء الطبيعة الذين قدموا إليها لكي يقوموا بالتدريس بها[1] ، ولا بدَّ أن هذه المساجد قد حولت آنذاك إلى كنائس أو كاتدرائيات حسب أهميتها ، مما يدل على أن هذا المعهد قد استفاد من المباني الدينية في تأدية وظيفته ، وهو بدوره لا نعلم أين أقيم تحديداً ، ولكنه كان يمثل جامعة إشبيلية التي أسست في (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)[2] .

ويبدو أن الدرجات العلمية في الدراسات العربية التي أنشئت في إشبيلية ، كانت في العلوم الطبيعية ، وأن المدرسين الذين كانوا يقومون بالتدريس فيها كانوا يفدون إليها من طليطلة ويقيمون في رعاية الملك ألفونسو العاشر ، والذي فرض تدريس اللغة العربية واللاتينية إلى جانب العلوم الأخرى التي درست عن علوم المسلمين بعد ترجمتها في نفس المعهد[3] .

---

(١) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٨ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ٦٥ .

(٢) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٨ ؛ Albertcalvert:seville an historical,John Lane,the bodley head,london,P٣٨,Gonzalo Menendez Pidal: la espana del siglo xIII,Printed by Publidisa ,Madrid,١٩٨٧,١٤٩ .

(٣) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٨ .

٣ - مدرسة مرسية ، (Murcia) :

مع اجتياح المد النصراني لحواضر الأندلس الكبرى بقيت مدينة مرسية في وضع حرج ، فهي تخضع لصراعات داخلية أضعفتها من جهة[١] ، واستفحال قوة خارجية لا طاقة لها بها من جهة أخرى ، مما اضطرها إلى عقد الصلح مع الملك القشتالي فرديناند الثالث ، أقر فيه أهلها على تدبير شؤون مدينتهم ، مقابل دفع الجزية والاعتراف بالتبعية للملك النصراني[٢] . إلا أن هذا الأمر لم يطل ؛ إذ لم يقنع النصارى إلا بأخذ المدينة من أيدي المسلمين ، فسقطت بعد عشرين سنة تقريباً من الحكم الذاتي سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥)[٣] .

وقد كان الصلح الذي انعقد بين أهل مرسية وفرديناند الثالث ملك قشتالة سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، على يد ابن هذا الملك وولي عهده ألفونسو العاشر ، الذي استغل الفرصة لصالحه فأنشأ مدرسة للدراسات العليا في المدينة ، وكانت تضم علماء مسلمين ونصارى ويهود ، وعهد بإدارتها والإشراف على سير الأمور بها إلى العالم المسلم أبي بكر الرقوطي[٤] ، وهو الذي يقول ابن الخطيب في ترجمته : «كان طرفاً في المعرفة بالفنون القديمة : المنطق والهندسة والعدد والموسيقى والطب ، فيلسوفاً ، طبيباً ماهراً ، آية الله في المعرفة بالألسن ، يُقْرِئُ الأمم بألسنتهم فنونهم التي يرغبون في تعلمها ، ..عرف طاغية الروم حقه ، لما تغلب على مرسية ، فبنى له مدرسة يقري فيها المسلمين والنصارى واليهود ، ولم يزل معظماً عنده»[٥] .

(١) شهدت مرسية منافسات سياسية بعد سقوط الخلافة الأموية ، فاستقل بحكمها العامريان الصقلبيان خيران وزهير ، ثم ضمت الكورة إلى بلنسية ثم انفصلت عنها بعد ذلك على عهد المرابطين ، وفي أواخر أيام الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود الملقب بالمتوكل ، ومن ثم هوجمت من قبل النصارى في عهد ملك أرغون خايمي الأول سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) . ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ٩٠-٩١ ؛ هامش (٤) ؛ أشباخ : تاريخ الأندلس ، ٩١ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣/٢٣٩-٢٤٠ .

(٣) نفس المصدر ، ٣/٢٤٠ .

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ، ٣/٦٨ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية ، ١٣٤ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٢٨ .

(٥) الإحاطة ، ٣/٦٧-٦٨ .

وقد لعبت هذه المدرسة دوراً كبيراً في مجال النقل الحضاري ، والتأثير الثقافي المتبادل بين مختلف العناصر في الأندلس ، ولا شك أن القادمين من طلاب الدراسة الأوروبيين قد استفادوا من هذا الجهد العلمي ، ونقلوه إلى بلادهم ، سواءً بحضورهم للدراسة بشكل مباشر ، أم أخذهم المعلومات ممن كانوا يحضرون تلك الدروس من الطلاب[١] .

إلا أن هذه المدرسة كانت تمثل امتداداً للمدارس الدينية الكنسية ، وإن ضمت أساتذة وطلاباً مسلمين ، يقول أحد الباحثين : «إن المدرسة التي أنشأها ألفونسو العاشر في مرسية ، وأشرف على إدارتها الرقوطي كانت مدرسة قائمة بذاتها ؛ إذ لم يكن الملك النصراني يُلقي بالاً إلى المفاهيم الفقهية المذهبية السنية المختلفة ، بل قصر اهتمامه على نتائج التدريس في المؤسسة الجديدة التي يجمعها بالمدارس الكاتدرائية سوى شبه بعيد»[٢] .

وإذا كان ألفونسو العالم لا يلقي بالاً للمذاهب الفقهية الإسلامية ، فإنه كان حريصاً على جعل هذه المدرسة مركزاً من مراكز التنصير في مدينة مرسية ؛ إذ يؤثر أنه عرض على مشرف هذه المدرسة أبي بكر الرقوطي الدخول في النصرانية مقابل أن يحظيه ويغدق عليه العطايا ، فرفض ذلك[٣] ، وقال قولته المشهورة بعد أن خرج من عنده : «أنا الآن أعبد واحداً ، وقد عجزت عما يجب له ، فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما أراد مني»[٤] .

ومما يعزز الهدف التنصيري للفونسو العاشر هو ما ذكره ابن رشيق (ت بعد ٦٧٤هـ/١٢٧٥م) ، في حديثه عن مناظرة جرت بينه وبين أحد الرهبان بمرسية فيقول : «وكان قد ورد عليها من قبل طاغية الروم جماعة من قسيسيهم ورهبانهم

(١) وات : فضل الإسلام ، ٨٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية ، ١٣٤ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٠ .

(٢) خوان فيرنيه : العلوم الفيزيائية والطبيعية في الأندلس ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ١٣١٢/٢ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، ٦٨/٣ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

شأنهم الانقطاع في العبادة بزعمهم ، ونظر العلوم ، مشرئبون للنظر في علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم برسم النقد ، ولهم حرص على مناظرة المسلمين ، وقصد ذميم في استمالة الضعفاء ، يأكلون على ذلك مال طاغيتهم ، ويستمدون به الجاه من أهل ملتهم ، قطع الله تعالى دابرهم»[١] .

ويستفاد من كلام ابن رشيق أن الراهب المذكور درس اللغة العربية وعلومها ، وصار بعد ذلك في خدمة ألفونسو العاشر ، الذي بعثه في جماعة من الرهبان إلى المدرسة التي أنشأها في مدينة مرسية[٢] .

ولا نجد تاريخاً محدداً لنشأة مدرسة مرسية ، ولكن يبدو أنها أنشئت في سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، بموجب قرار المجمع الكنسي المنعقد في طليطلة من نفس السنة المذكورة ، والذي يقضي بإنشاء عدد من المدارس التبشيرية لتعليم الرهبان اللغة العربية ، ومن ثم قيامهم بواجبهم التنصيري بين المسلمين ، وقد كانت مرسية إحدى المدن التي أوصى هذا المجمع بإنشاء مدرسة بها[٣] .

إلا أن الأمر المثير حقاً هو ما حصل في عام (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، إذ نقلت خدمات مدرسة مرسية العليا إلى إشبيلية فأسس بها معهد للدراسات العليا العربية واللاتينية[٤] ، ولا نعلم ما الذي جعل ألفونسو العاشر يقدم على هذا العمل ، ولكن ربما أنه رأى في إشبيلية مكاناً أكثر أمناً لتحقيق مآربه التنصيرية من مرسية التي لا تزال في أيدي المسلمين ، بموجب الصلح الذي أبرموه مع النصارى سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، ومن الممكن أيضاً أن رحيل العالم المسلم الرقوطي عنها أحدث نوعاً من الفراغ التعليمي ، مما اضطر ألفونسو إلى إلغائها ونقل خدماتها إلى إشبيلية ، لاسيما والرقوطي قد يمم وجهه إلى غرناطة ، ودخل في رعاية السلطان أبي عبدالله

(١) الونشريسي : المعيار المعرب ، ١١/١٥٥ .

(٢) محمد بنشريفة : الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني ، مساهمة في كتاب «المغرب في الدراسات الإسلامية» ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة الندوات ، ١٩٩٣م ، ٧٠ .

(٣) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٩ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٨٩ ؛ مكي : من تاريخ الحوار الديني في الأندلس ، ٣/٥٦ .

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٣-٥٧٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٢ .

محمد بن محمد بن يوسف الفقيه ، ثاني ملوك بني نصر بهذه المدينة الذي حكم من (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠٢م) ، فأسس له مدرسة هناك كان الطلبة يغشونه فيها فيعلمهم الطب والفلسفة وغيرها من العلوم[١] .

إلا أن مساهمة مرسية في حركة الترجمة لم تخب ، خاصة بعد سقوطها نهائياً بيد النصارى سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) ؛ إذ أصبحت ملتقى الكثير من الفئات والطوائف الدينية أكثر من أي وقت مضى ، وبرزت شهرتها كأحد القواعد الرئيسية للمسلمين النازحين من بقية المدن الأندلسية الراحلة ، فتكونت بها أقلية مسلمة شكلت ثقافة إسلامية من الواجب محاربتها والاستفادة منها في نفس الوقت .

ويبدو أن طبيعة مدينة مرسية سمحت للمسلمين الفارين بدينهم التمركز بها دون غيرها من المدن ، لاسيما طبيعتها الجغرافية التي تميَّزت بوجود عدد من المرتفعات الوعرة التي تمثل حماية لهم ، إضافة إلى اشتغال أكثرهم بالزراعة وهو ما وفرته لهم أرض مرسية الخصبة ؛ لذا كانت ملاذاً للكثير من المسلمين النازحين من غرناطة إبان القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي[٢] .

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ٣/٧٠ .

(٢) ميكيل إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ترجمة : جمال عبدالرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م ، ٨٩ .

٤ - بقية المدن الأندلسية :

شاركت مدن أندلسية أخرى في ترجمة التراث الإسلامي ، حيث وجد بها مترجمون مارسوا عملية النقل على أرضها ، إلا أننا آثرنا استيفاء معلومات هذه المدن مجموعة في فقرة واحدة ؛ لسببين اثنين هما :

أولاً : أن هذه المدن لم تبلغ من الشهرة والأهمية ما بلغته المدن السابقة التي أفرد الحديث عنها كل على حدة ، وإن تمت بها حركة ترجمة لا تغفل .

ثانياً : بعض هذه المدن عاصرت في ترجماتها عملية النقل التي كانت تتم في مدرسة طليطلة ، وقد نسب إليها مترجمون كانوا من المنتمين لمدرسة طليطلة في نفس الوقت ، فلا يمكن الجزم أنها تابعة لطليطلة متفرعة عنها وإن بعدت الشقة ، لاسيما منطقة الابرو (Ebro)[١] التي شهدت ترجمات كانت سابقة في عهدها لمدرسة طليطلة .

وبالمحصلة ، فالترجمة في مركز الأندلس كانت تتم في أغلب المدن الأندلسية بغض النظر عن أهمية هذه المدن من عدمها ، يقول هاسكنز (Haskins) : «لم يكن عمل المترجمين منحصراً في مكان معين ، بل تمت الترجمة في كل من برشلونة ، وطرسونة ، وسيجوفيا ، وليون ، وبمبلونا ، بالإضافة إلى جبال البرنية في تولوز ، ومرسيليا ، وبعد ذلك أصبح المركز الرئيسي طليطلة»[٢] .

وفي هذا الصدد فقد كانت مدينة طرسونة من أعمال تطيلة سابقة في عهدها مدرسة طليطلة ، حيث نسب إليها المترجم هوجو سنكتلا أو سنكتالنسيس ، الذي عاش في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وكان ينقل من العربية إلى اللاتينية بطلب من القس ميخائيل أسقف هذه المدينة من (٥١٣- ٥٤٦هـ /١١١٩-١١٥١م) الذي كان مولعاً بنقل الكتب العربية قبل

---

(١) منطقة الابرو : نسبة إلى نهر الابرو الذي يخترق هذه المنطقة من مسارها الشمالي الغربي إلى الجنوبي الشرقي ، وتضم مراكز عمرانية ومدن كثيرة أشهرها قلهرة وتطيلة وسرقسطة وطرطوشة . حتاملة : موسوعة الديار الأندلسية ، ٢/١٠٩١-١٠٩٣ .

(٢) studies in the history of mediaeval science,١٠

عمل ريموندو رئيس طليطلة ، وقد أهداه هوجو كل ما نقله من العربية إلى اللاتينية ومنهـا : شرح البـيروني (ت ٤٤٠هــ/١٠٤٨م)[١] عـلى الفرغـاني ، ورسـائل في الكيمياء ، وعلم الرمل[٢] ، وكتاب المواليد الكبير لما شاء الله ، وشرح ابن المثنى على زيج الخوارزمي ، وكتاب لأبي معشر في التكهنات للأحوال الجوية ، بالإضـافة إلى رسالة لأرسطو طاليس ، وأقدم نسخة لاتينية من نص في الكيميـاء اسـمه الجـدول الزمردي لجابر بن حيان[٣] .

ومن المرجح تاريخياً أن هوجو كان يعمل ضمن مجموعة من المترجمين بالـشمال الشرقي ، وعاصمته مدينة سرقسطة التي سـقطت بيـد النـصارى في مطلـع القـرن السادس الهجري ، الثاني عشر المـيلادي ؛ إذ إنـه كـان عـلى معرفـة جيـدة بالعربيـة والثقافة الإسلامية ، وذلك بموجب ما اطلع عليه من عديد الكتب التي تركها بنـو هود[٤] بسرقسطة عند مغادرتهم لها[٥] .

ويظهر أن مجموعة الشمال الشرقي هـذه كانـت تـشمل عـلاوة عـلى هوجـو ، أفلاطون التيفولي ، وهو ناقل من القرن السادس الهجري ، الثاني عـشر المـيلادي ، ويعد من أقدم المترجمين لعلوم المسلمين التي أتم ترجمتها ببرشـلونة فـيما بـين عـامي (٥٢٩-٥٤٠هــ/١١٣٤-١١٤٥م) ، وأول نقـل لــه ترجمتــه اللاتينيــة لكتـاب

(١) البيروني : أبوالريحان ، أحمد بن محمد البيروني الخوارزمي ، عالم بالرياضيات والفلك وعلـوم شـتى . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٩١/٨ .

(٢) علم الرمل : هو علم يعرف به الاستدلال على أحوال المسألة حين السؤال بأشكال الرمل ، وهي اثنا عشر شكلاً على عدد البروج وأكثر مسائل هذا الفن أمور تخمينية على التجارب . القنـوجي : أبجـد العلوم ، ٤٠٧ .

(٣) ميلي : العلم عنـد العـرب ، ٤٥٧ ، ٤٦٠ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١١١/١ ؛ سويـسي : انتقـال العلوم ، ١٠٤-١٠٥ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ١٤٥٠/٢-١٤٥١ .

(٤) بنو هود : تنسب هذه الأسرة إلى مؤسسها سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين بـالله ، الذي حكم سنة (٤٣١هـ/١٠٤٦م) ، ونسبها يعود إلى هود الجد الأعلى لـلأسرة وهـو الـذي دخـل الأندلس ، واستمرت هذه الدولة إلى سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م) بعد أن أنهاها المرابطون . ابن الأبـار : الحلة السيراء ، ٢٤٦/٢ .

(٥) السويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٥ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ١٤٥٠/٢ .

«الهندسة التطبيقية» عن العبرية ، وعن معاصره إبراهيم برحيا ، واهتم خاصة بكتب التنجيم ، ومنها : «علم النجوم للبتاني» الذي أدخل للغرب استعمال حساب المثلثات ومفهوم الجيب ، ونقل أيضاً كتاب «الكرويات» لتيودوس ، ورسالة في التنجيم ليحيى بن علي ، بمشاركة إبراهيم برحيا ببرشلونة بتاريخ (٢٠/ أكتوبر/١١٣٨م)[1] .

أما إبراهيم برحيا ، الذي كان يعيش في برشلونة ، -ومن المرجح أنه توفي بعد سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)- ، فقد كان من أوائل المترجمين المنهجيين وأهمهم للكتب العلمية العربية والعبرية التي سيعنى بها فيما بعد ، ولكنه كان أيضاً عالماً صنف كثيراً من الكتب ، ويمكن أن يقال : إنه هو الذي أنشأ لغة العلم في العبرية ، وكتابه في الهندسة العلمية صنفه سنة (٥١٠هـ/١١١٦م) ، وترجمه أفلاطون التيفولي -كما ذكرنا- إلى اللاتينية سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، بعنوان (liberembadorum) ، فكان لهذا الكتاب أعمق الأثر في نقل الرياضيات الإسلامية إلى الغرب ، نظراً لما احتواه من معلومات تناولت نظريات علماء المسلمين في هذا العلم[2] .

ومن مدينة برشلونة أيضاً انطلقت ترجمة للقرآن الكريم ، وتفاسيره ، وكتب السنة إلى اللغة الأرغونية ، على يد المترجم خوان أندريس (juan Andres) (ق ٩هـ/١٥م) ، بعد طلب من مفتش مملكة أرغون وشماس برشلونة : مرتين غارسيا (Murtin Garcia) بهدف تزويد النصرانية بمختلف الوثائق الإسلامية لتحصيل معرفة في الإسلام ، بقصد استثمارها في تنصير مسلمي أرغون[3] .

وعلى ضفاف نهر الإبرو أيضاً ، حيث مدينة تطيلة التي كانت مستوطناً لفئات متعددة ، وطوائف دينية مختلفة فكان عدد كبير من اليهود الذين اتخذوها منزلاً لهم

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٩-١١٠ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٨٤-٣٨٥ ؛ غولدشتاين برتار : إرث العلم العربي في العبرية ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، ١/٣٤١ .

(٣) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٨٨-١٨٩ .

قد مارسوا عملية النقل للعلوم العربية إلى الغرب عن طريق اللغة العبرية ، أمثال : إبراهيم بن عزرا (ت حوالي ٥٦٠هـ /١١٦٤م) الذي ترجم الكثير من المؤلفات العربية كرسالة الخسوف لما شاء الله ، وثلاث رسائل في النحو ، وشرح البيروني على جداول الخوارزمي ، كما أنه اشتغل بالتأليف متأثراً بعلوم المسلمين في ذلك ، لاسيما اللغة وعلومها من نحو وشعر ونثر ، إضافة إلى كتبه الفلكية والرياضية والعددية التي تُرجمت مبكراً إلى اللغة اللاتينية وإلى لغات أخرى ، فكان تراثه العبري ذا صورة عربية وإن لم يكتب بها ، ومن ثم نقل التراث العربي إلى الغرب عبر مؤلفاته[١] .

كما نسب إلى تطيلة المترجم : يهودا اللاوي (ت٥٣٦/١١٤١م) ، وقد ترجم مجموعة من المؤلفات العلمية .

ويذكر بيرنت : «أن المترجمين هرمان الدلماتي ، وروبرت تشستر قد اشتغلا في منطقة أيبرو (١١٤١م) ، فمن المعقول إلى درجة كبيرة أنهما كانا في تطيلة ، بل لقد أصبح روبرت فيما بعد رئيس الكنيسة في تلك المدينة ، وكان هرمان يعرف عدة مصادر مثل ما عرف هوجو ، ولربما أتيح له الوصول إلى مكتبة بني هود أيضاً»[٢] ، إلا أنه يظهر أن هذين المترجمين كانا من المنتمين لمدرسة طليطلة ؛ حيث إنهما ترجما عدة مؤلفات معتمدة من قبل هذه المدرسة ، فلربما أنهما كانا يقيمان في منطقة الأبرو ، وتحديداً في تطيلة ، ولكنهما يتواصلان مع مدرسة طليطلة عن طريق ما يمدانها به من ترجمات ؛ إذ أطلق على ما اشتركا في ترجمته بإشراف بطرس المحترم «المجموعة الطليطلية»[٣] .

وإذا تركنا الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الأندلسية لنتجه إلى جزيرة ميورقة التي سقطت بيد النصارى سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م)[٤] ، حيث الجهود المضنية من

---

(١) بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٥٤ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ٢٤٨-٢٥٠ .

(٢) بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٥٤-١٤٥٥ .

(٣) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/٣٩ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٦٢ .

(٤) سقطت جزيرة ميورقة بيد النصارى سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م) ، بعد أن استمر حكم المسلمين لها ما =

المستشرق ريموندلول الذي بذل كل ما في وسعه من أجل تأسيس المدارس التنصيرية لتعليم اللغة العربية ، وإخراج الرهبان المبشرين ، ويبدو أن هذه الجهود كانت منذ عهد الملك الأرغوني خايمي الأول (Jamesi I)[1] الذي كان ذا اهتمام تنصيري بالرغم من وصفه بأنه رجل سياسة وحرب ، ثم أنتجت هذه الجهود ثمارها في عهد الملك خايمي الثاني (Jamesi II)[2] ، الذي افتتحت في عهده مدرسة المبشرين سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) ، في مدينة ميرامار من هذه الجزيرة ، وبمباركة من البابا جيوفاني الحادي والعشرين[3] ، وقد بدأت هذه المدرسة بثلاثة عشر طالباً من طائفة الفرنسيسكان ، انضم إليها لول على أنه عضو من الدرجة الثالثة ، وكان =

يقارب (٣٣٨) سنة ، حيث كان الفتح الإسلامي لأغلب الجزيرة سنة (٢٩٠هـ/٩٠٣م) ، واستمرت السيادة الإسلامية على هذه الجزيرة ، سواء تحت حكم الخلافة الأموية ، أو الدول الإسلامية التي قامت بعدها في الأندلس أو المغرب ، حتى سقطت نهائياً على يد خايمي الأول الملك الأرغوني في العام المذكور ، انظر لمعلومات مفصلة عن هذه الجزيرة كلٍ من : عنان : نهاية الأندلس ، ٩٢ ؛ عصام سيسالم : جزر الأندلس المنسية ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ٤٣٧ ؛ مها آل محمود : جزيرة ميورقة تحت الحكم الإسلامي في الفترة (٥٢٠-٦٢٧هـ/١١٢٦-١٢٣٠م) ، السياسي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ والحضارة ، كلية التربية للبنات - الرياض ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، وهي رسالة مفصلة للجزيرة بأسلوب سلس إلى سقوطها بيد النصارى .

(١) الملك خايمي الأول ، أو جاقمة أي يعقوب ، وهو الملقب بالفاتح ابن الملك بدرو الكاثوليكي ، توفي والده وهو في السابعة ، ثم تولى الحكم سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) ، وقد تشربت روحه كره الإسلام ، فأخذ على عاتقه محاربة المسلمين ، وخلال سني حكمه استطاع الاستيلاء على كلٍ من : بلنسية وشاطبة ودانية والجزائر الشرقية (جزر البليار) . لدرجة لقب معها بالفاتح ، واستمر في حكم مملكة ارغون حتى سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) . عنان : نهاية الأندلس ، ٩١ ؛ ناصر الهاجري : أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الأرغوني خايمي الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ١٠٤ .

(٢) خايمي الثاني : تولى العرش من سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) إلى (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) ، وتميز عصره بالاستقرار لمملكة أرغون . عنان : نهاية الأندلس ، ١٧٧ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨١-٤٨٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٠-١٢ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٦١ .

من واجباتها تدريس اللغة العربية لهؤلاء الطلبة إلى جانب تدريبهم اللاهوتي[١] ، ويبدو أن هذه المدرسة كانت تشارك في ترجمة علوم المسلمين ؛ إذ إن ريموند نفسه كان على اطلاع نسبي بالقرآن والحديث وبعض كتب الجدل الإسلامي .

كما أن أهم هدف لهذه المدرسة هو تسهيل الاطلاع على الثقافة الإسلامية ، لغرض مجادلة المسلمين والرد عليهم ، فلا بد إذن من وجود ترجمة لهذه العلوم[٢] .

وقد أطلق على هذه المدرسة كذلك اسم «كلية الثالوث المقدس» ، وكانت بداية نجاح جهود لول التي سعى من أجلها لخدمة النصرانية ؛ حيث افتتح بعدها عدة مدارس في مدن أخرى كشاطبة وبلنسية وتونس ، قبل أن يصدر قرار مؤتمر فينا الذي بارك جهوده سنة (٧١٢هـ١٣١٢م)[٣] ، ومن مدينة لشبونة (Lisbon)[٤] البرتغالية انطلقت حركة ترجمة من الإسبانية ، واللاتينية ، والعربية إلى اللغة البرتغالية بأمر من الملك دينيس (Dinis) (٦٧٨-٧٢٦هـ/١٢٧٩-١٣٢٥م) ، الذي أنشأ جامعة لشبونة سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م) ، وأمر بترجمة كثير من الكتب إلى هذه اللغة[٥] .

ولا يفوتنا في هذه العجالة أن نشير إلى مكتبة الإسكوريال (Escorial)[٦] ،

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٠ .

(٢) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٦٢ .

(٣) نفس المرجع ، ١٦١ ، عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ١٣٥ .

(٤) لشبونة : عاصمة البرتغال على الأطلسي ، وهي من أقدم المدن الأندلسية ، البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ٦٣ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٥/١٤٤ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨-٤٦٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٦-٩٧ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٣١٨ .

(٦) مكتبة الإسكوريال الشهيرة الواقعة في قصر الإسكوريال الملكي الواقع على مقربة من مدريد في وادٍ عميق تحف به الجبال ، أنشأه الملك فيليب الثاني تخليداً لانتصاره على الفرنسيين سنة (٩٦٥هـ/١٥٥٧م) ، ويضم مقاماً ملكياً وكنيسةً وديراً وهذه المكتبة ومعهداً دينياً يشرف رجاله على نفس المكتبة .

وكانت المكتبة تضم ألف وتسعمائة مخطوط عربي ، جمع نواتها الملك فيليب الثاني ، مما كان يشتريه من سفراء الملك ومما جمع من مخطوطات عربية بعد سقوط غرناطة ، ثم زادت هذه المجموعة العربية في

الكائنة في مدريد ، والتي كانت تحـوي ذخـائر المخطوطـات الإسـلامية ، مما حـدا بالمستشرق دومينيكـوس جرمـانوس ، (Dominicos Germanus) ، (ت١٠٨١هــ/١٦٧٠م) ، أن يتخذها مقراً لأعماله ، فظل بها ثماني عـشرة سـنة باحثـاً ومترجمـاً ، وقد خلف عدة مخطوطات ، منها ترجمة لاتينية للقرآن العظيم أتمها في رحـاب هـذه المكتبة سنة (١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)[1] .



=

عهد فيليب الثالث ، حينما استولت السفن الإسبانية سنة (١٠٢١هـ/١٦١٢م) عـلى سـفينة مغربيـة كانت تنقل مكتبة مولاي زيدان سلطان مراكش ، وقوامها ثلاثة آلاف مجلد . وبذلك بلغت المجموعة العربية في الإسكوريال في أوائل القرن السابع عشر نحو عشرة آلاف مجلد ، لبثـت بهـا زهـاء نـصف قرن ، ولكنها تعرضت لحريق شب في القصر الملكي سنة (١٠٨٢هــ/١٦٧١م) ، ولم ينقـذ منهـا إلا نحو ألفي كتاب ، وهي التي تثوي اليوم في أقبية الإسكوريال . الغـساني : رحلـة الـوزير في افتكـاك الأسير ، ١٢١-١٢٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/١٧٥-١٧٦ ؛ عنان : الآثار الأندلسية ، ٤٣١-٤٣٣ .

(١) العقيقي : المستشرقون ، ٣/٢٥٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨٠ .

المبحث الثاني :
صقلية وجنوب إيطاليا ومدارسها

تشكل جزيرة صقلية نقطة مكانية للقاء بين حضارات متعددة وثقافات متباينة ، فقد شهدت أرضها قيام الحضارة الرومانية ، فالبيزنطية ، ومن ثم الحضارة الإسلامية التي استمرت أطول فترة في الجزيرة وأهمها . وقد بدأت الصلات الأولى بين المسلمين وصقلية منذ القرن الإسلامي الأول ، وتحديداً في سنة (٣٢هـ/٦٥٢م) ، ثم استمرت المحاولات الإسلامية لفتحها ما يقرب من قرنين من الزمن حتى تم فتحها فعلياً سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م)[١] .

ومن الصفات المميزة لجزيرة صقلية موقعها الجغرافي المتوسط بين أفريقيا وأوروبا ، الأمر الذي جعلها منطقة عبور واستقرار في نفس الوقت لشعوب ولغات مختلفة[٢] ، يقول المؤرخ فريمان : «ولما كانت ملتقى الشعوب وميداناً للصراع فيما بينها لم تستطع أن تكون وطناً ومهداً لشعب واحد ، ومن ثم لم يتكون فيها شعب صقلي»[٣] .

وبالرغم من واقعية هذا الرأي إلا أن صقلية قد شهدت تكون وتطور الحضارة الإسلامية على أرضها بشكل واضح ، يفوق قيام أي حضارة أخرى بها ، فمنذ أن ثبَّت المسلمون أقدامهم في الجزيرة أخذوا في الاهتمام بمناحي الحياة المختلفة ، فحفروا الترع والقنوات ، وأنشأوا المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم ، كما ادخلوا زراعة القطن ، وقصب السكر ، وفي الصناعة استغلوا ثروة الجزيرة الطبيعية ، فاستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت ،

(١) البلاذري : أحمد بن يحيى (ت ٢٩٧هـ/٨٩٢م) : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٣٢٩ البكري : جغرافية الأندلس وأوروبا ، ٢١٩-٢٢٢ ؛ علي الزهراني : الحياة العلمية في صقلية الإسلامية ، معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ٣٦-٦٧ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٨ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ٢٤ .

(٣) عباس : العرب في صقلية ، ٣٠٥ .

وأدخلوا فيها صناعة الحرير والورق ، أما التجارة فقد اتسع نطاقها على أيام المسلمين[١] ، وفي مجال العمارة حسبنا ما وصفه الإدريسي لإحدى مدن الجزيرة «بلرم» ، على عهد روجر الثاني ، أي بعد زوال المسلمين بقليل ؛ إذ أشاد بقصورها ودورها ومنتزهاتها[٢] .

على أن الحضارة الإسلامية ، لم تنته بانتهاء حكم المسلمين للجزيرة سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) ، وإنما وجدت هذه الحضارة من ملوك النورمان تشجيعاً كبيراً ؛ لما لمسوا فيها من تقدم ونجاح ؛ لذا فقد شمل روجر الأول المسلمين برعايته ، وكتب مراسيمه بالعربية إلى جانب اللاتينية ، وخلفه روجر الثاني الذي احتفى بالعلماء المسلمين وقربهم ، أمثال : الإدريسي الذي ألف له كتاب «نزهة المشتاق»[٣] .

وبقيت اللغة العربية هي اللغة الرسمية إلى جانب اللغة اللاتينية ، وقد ترتب على ذلك نقل الثقافة الإسلامية وترجمتها ، إضافة إلى ترجمة المؤلفات اليونانية من العربية قبل ترجمتها عن اليونانية مباشرة ، وكان للشروح والتعاليق العربية على مؤلفات جهابذة اليونان تأثير عميق على الفكر الأوروبي ، كما ترجمت كتب علمية كثيرة من تواليف العرب والمسلمين أنفسهم ، وخصوصاً في ميادين الطب والرياضيات والفلك[٤] .

وفي إيطاليا أيضاً التي لم يكن يفصلها عن صقلية إلا مضيق مسّينا (Messina)[٥] ؛ لذا فهي تعتبر امتداداً جغرافياً لها ، تجمعهما العلاقات الحضارية

(١) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٢/٤٥٦-٤٦١ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٣١٠ .
(٢) نزهة المشتاق ، ٢/٥٩٠ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ١/٦ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٧٨ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ١٦٥ .
(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٤١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٥-٢٨٦ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٦ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ١٤٦ .
(٥) مسينا : مدينة إيطالية في شمال شرقي شبه جزيرة صقلية ، وهي تقع على نفس المضيق الذي سمي بها . الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٩٥ ؛ ابن جبير : الرحلة ، ٢٥٠ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية

والتجارية والسياسية أيضاً[١] . فتحت رعاية فردريك الثاني تقابل التيارين الصقلي والإيطالي بل والأندلسي لنقل التراث الإسلامي إلى أوروبا ، وامتزجا إلى حدٍّ ما ، وكان التأثير العربي في بلاطه أقوى من التأثير اليوناني ؛ لذا انتشر من صقلية إلى شمال إيطاليا وألمانيا وجنوب فرنسا ، وكان فردريك على اتصال شخصي أو بالمكاتبة بالعلماء المسلمين المبرزين في العلوم المختلفة ، كما كانت مكتبته تزخر بالكتب العربية ، وازدهر الشعر العربي في عهده والذي أثر بدوره في الشعر الإيطالي[٢] .

ومن الملاحظ أن دور صقلية في انتقال التراث الثقافي الإسلامي يقل كثيراً إذا قورن بدور الأندلس في هذا المضمار[٣] .

ومع ذلك فإن هذا المركز توفر على عدة عوامل مساعدة على ازدهار العلوم والآداب به ، فكانت مدن الجزيرة تزخر بمساجدها الكثيرة التي تعقد بها حلقات العلم المختلفة ، وقد أحصى ابن حوقل عدد مساجد صقلية عند زيارته لها بـ«نيف وثلاثمائة مسجد»[٤] ، كلها كانت تؤدي رسالتها التعليمية على أكمل وجه .

=

الجغرافية ، ٣٢٦/٤ .

(١) استمرت الوحدة الإيطالية الصقلية على مدى ثمانية قرون من تاريخهما ، فخضعت لحكم الرومان ثم القوط ، ولم يفصلهما عن بعض إلا الحكم البيزنطي للمنطقة ، وقد كان هذا الفصل سياسياً فقط لا غير ، ولكن أقيم بدلاً عنه علاقات معنوية ومادية ، ولما فتح المسلمون صقلية واستقر ملكهم بها ، بدأوا يتطلعون أيضاً إلى جزيرة إيطاليا فأغاروا عليها من جهتيها الشمالية والجنوبية عبر طريقي صقلية والأندلس ، وأخيراً استطاع المسلمون الاحتفاظ بعدة قواعد حصينة في إيطاليا ساعدت في نشر الحضارة الإسلامية عن طريقها . أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٩٨/١ ، ٤١٧ ؛ رينو : الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، ١٣٩ ؛ ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ٩٤-٩٥ .

(٢) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٥٧٠/٣ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٢ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ٣٠ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٥ .

(٣) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠١ .

(٤) صورة الأرض ، ١١٥ .

هذا إلى جانب النخبة الحاكمة من الأغالبة[١] ، والكلبيين[٢] ، التي كانت تضم أشخاصاً لم يكونوا رعاة للآداب فحسب ، بل كانوا هم أنفسهم أيضاً كتاباً وعلماء مبدعين ، وكانت صقلية مأوى أميناً يلجأ إليه العلماء الزاحفون من الشمال الأفريقي ، ومن ناحية أخرى كان علماء صقلية يرحلون أثناء فترات مختلفة إلى الشمال الأفريقي ومصر ، وهذه العلاقات العلمية بين علماء صقلية والأقطار الأخرى أبقت على الجزيرة مكانتها في حركة العلوم الإسلامية ، حتى بعد سقوطها بيد النورمان ، حيث لقيت اهتماماً واضحاً من الحكام النصارى[٣] ، وفي هذا يقول أحد الباحثين : «لم تقم في أي مكان آخر غير صقلية الحضارات اللاتينية واليونانية والعربية جنباً إلى جنب في جو يسوده السلم والتسامح ، ولم يعبّر في أي مكان آخر عن النهضة بوضوح أكثر مما عبّرت عنه سياسة الحكام»[٤] .



---

(١) تنتمي هذه الأسرة إلى الأغلب بن سالم بن عقال التميمي قائد الجيش العباسي ، ثم أصبح ابنه إبراهيم والياً على أفريقية في عهد هارون الرشيد ابتداءً من سنة (١٧١هـ/٧٨٧م) ، وما لبث أن استقل بدولته سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) . زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه وترجمه : زكي بك وحسن محمود وسيده إسماعيل ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ١٠٥-١٠٦ .

(٢) تنتمي الأسرة الكلبية إلى قبيلة كلب بن وبرة ، وهي قبيلة كبيرة من قضاعة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤٣٨/٣ .

(٣) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٤٩ .

(٤) Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٥٥

١ - مدرسة بلرم : (Palermo) :

تعد مدينة بلرم من أشهر مدن صقلية وأهمها ، وهي المركز الثقافي والتاريخي والاقتصادي والإداري الرئيسي بالجزيرة ، ومما زادها تألقاً موقعها المتميز على البحر الأبيض المتوسط ، وآثارها المعمارية القديمة التي تشهد بقيام حضارات عظيمة على أرضها أكسبتها أهمية عالمية على مر السنين[١] .

وقد حسمت فترات الحكم الإسلامي لصقلية رقي مدينة بلرم وعلو مكانتها على سائر المدن الأخرى ، فمنذ أن دخلها المسلمون سنة (٢١٦هـ/٨٣١م) أضحت عاصمة دولتهم ، واستمرت في تألقها الثقافي والتجاري حتى سقطت سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) بيد النورمان ، فاتخذها روجر الأول عاصمة ملكه بعد أن حول مسجدها الجامع إلى كنيسة[٢] .

وقد اشتهر من ملوك النورمان عدد كبير ممن استفادوا من الحضارة الإسلامية التي كانت ماثلة في الجزيرة أمامهم ، أمثال : روجر الثاني الذي حكم من (٥٠٥-٥٤٨هـ/١١١١-١١٥٤م) ، ونستطيع القول إن مدرسة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في بلرم قد أسست في عهد هذا الملك حيث إنه أنشأ أكاديمية في قصره الملكي ، كان يعمل فيها علماء من مختلف الملل ، وقد أحسوا بالحاجة إلى ترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية لأسباب دينية سياسية ، فبدأت حركة مناظرة لحركة مدرسة طليطلة ، وإن تأخرت عنها بعشرات السنين[٣] .

ثم أخذت شهرة هذه المدرسة في الذيوع ، حتى إنها استقطبت مشاهير علماء ذلك العصر ، أمثال : الإدريسي الذي استقبله روجر في رحاب هذه المدرسة ،

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ١١٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، ٥٧٣/١ ؛ الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٩٠/٢ ؛ ابن جبير : الرحلة ، ٢٥٦ .

(٢) اماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ١٣٥/٣ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٣٠٧ ؛ حلاق : العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب ، ١٥٤ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٤٤٩/٣ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٩ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٨ .

وكان يرأس «الدائرة الجغرافية» بها ، ويشرف على جهودها وينظمها ، حيث قام بعملين عظيمين هما : رسم صورة الأرض في دائرة من الفضة ، ووضع أقسام الأقاليم عليها .وألَّف كتاب : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الذي اشتهر باسم الكتاب الرجاري ، كما أن الإدريسي نفسه كان مشاركاً في المناقشات والمناظرات التي عقدت في بلاط هذا الملك ، واستمر نشاطه في بلرم إلى أيام وليم الأول[١] .

ولعل القرار الذي أصدره روجر الثاني بخصوص مزاولة مهنة الطب سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) كان أحد إنجازات هذه المدرسة ؛ حيث إن منع الأطباء من مزاولة المهنة إلا بعد أن يجتازوا امتحاناً يثبت كفاءتهم في الممارسة هو تقليد إسلامي طبقه العباسيون[٢] على الأطباء ، وأدخله الأغالبة إلى الجزيرة[٣] .

ومن أهم ما ترجم في مدرسة بلرم في عهد روجر الثاني كتاب المناظر المنسوب لبطليموس ، وقد ترجم من العربية إلى اللاتينية على يد يوجين البلرمي المعروف بيوجين الأمير ، الذي كان يعمل في بلاط هذا الملك ، وبفضل هذه الترجمة وصلنا كتاب المناظر الذي فقد ولم يبق إلا في نسخته اللاتينية[٤] .

وقد استمر عطاء مدرسة بلرم في عهد وليم الأول ابن روجر ، حكم من (٥٤٩-٥٦٢هـ/١١٥٤-١١٦٦م) ، فنشطت حركة الترجمة ليس فقط من العربية ، بل –وأيضاً- من اليونانية ، حتى إن وزيره المشهور انريكو اريستبو كان مترجماً ، فقد أتم نقل كتاب المجسطي لبطليموس بمساعدة يوجين الأمير ، وكانت هذه الترجمة من العربية إلى

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ١/٦-٨ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٧٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٨٧ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣١٣ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ١٦٠ .

(٢) أول من أمر بهذا القرار الخليفة العباسي المتقدر سنة (٣١٩هـ/٩٣١م) ، حيث أمر بمنع جميع الأطباء من ممارسة مهنة الطب إلا من امتحنه سنان بن قرة ، وكتب له رقعة بخطه وسمح له بموجبها ممارسة الصناعة ، وتقدم لهذا الامتحان ما يزيد على ثمانمائة وستين طبيباً من جانبي بغداد سوى من استغنى عن امتحانه لاشتهاره بالتقدم في الطب ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٣٠٢ .

(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٩ ؛ الحاج : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٣ .

(٤) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٤٥٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٨ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ، ١٩ ؛ Haskins:studies in the history of mediaval science,١٧١ .

اللاتينية ؛ إذ إن هذا الكتاب جاء هدية من القسطنطينية إلى الملك وليم الأول ، بينما انفرد يوجين الأمير بترجمة كليلة ودمنة من اليونانية إلى اللاتينية ، وانفرد انريكو بترجمة الآثار العلوية لأرسطو ، ومحاورتين لأفلاطون من اليونانية أيضاً[١] .

إلا أن أصدق تصوير لازدهار حركة الترجمة في مدرسة بلرم على عهد هذا الملك هي تلك المحادثة التي جرت بين الوزير انريكو اريستبو وصديق له ، عندما نصحه الأول ألا يغادر صقلية ؛ لأنه لا يجد فيها حكمة اللاتين فحسب ، بل مكتبة شاملة لكافة العلوم ، وكل هذا بجهود وليم الأول الذي يصفه انريكو بأنه ملك لا نظير له ، وليس يعني بهذا أبهة الملك ، بقدر ما يعني تميزه في الاهتمام بالأمور العلمية والفلسفية[٢] .

وقد بلغت مدرسة بلرم شأواً عظيماً على عهد الإمبراطور فردريك الثاني ؛ إذ تقاطر عليها علماء من جميع أنحاء العالم كألمانيا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا ، كما استقدم هذا الملك أساتذة من مختلف الملل للتدريس والترجمة بهذه المدرسة ، وكان كثيرٌ منهم مسلمين ، فكانت جميع علوم ذلك العصر تدرس في مدرسة بلرم ، لاسيما الفلسفة والعلوم الطبيعية التي كانت تحتل مكان الصدارة من هوايات الملك ، وكان يستورد من أفريقيا وإسبانيا الحيوانات النادرة لدرس حياتها ، وله تآليف في التشريح وتربية طيور الصيد[٣] .

وإلى فردريك يرجع الفضل في ربط مدارس الترجمة بين الأندلس وصقلية ومن ثم بلاد المشرق الإسلامي عن طريق تبادل السفارات والمترجمين الذين كانوا يفدون من وإلى بلرم ، للاستفادة من خبراتهم في النقل والترجمة ، كان على رأسهم ميخائيل سكوت الذي استدعاه هذا الملك إلى بلاطه في بلرم ، وأقامه منجماً له ،

---

(١) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/ ٤٥٠ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ٧٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤٩ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٠ .

(٢) عباس : العرب في صقلية ، ١٥٨ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/ ٦٦٥-٦٦٩ ؛ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٤٣٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٩ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٤٧ .

ومشرفا على مدرسة الترجمة من (٦١٧-٦٣٤هـ/١٢٢٠-١٢٣٦م)[١] .

وفي هذه المدرسة ترجم سكوت -بالإضافة إلى مؤلفات قيمة أخرى- العديد من شروح ابن رشد وتعليقاته على كتاب أرسطو طاليس ، كما ترجم أجزاءً من مؤلفات ابن سينا ، ككتاب مختصر الحيوان الذي قدمه إلى فردريك قبل سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٢] .

وممن استقبلتهم مدرسة بلرم في عهد فردريك المترجم ثيودور الأنطاكي (Theodore Of Antioche) ، الذ دخل في خدمة هذا الملك وترجم له رسالة في البيزة من العربية ومستخلصات من كتاب سر الأسرار المنسوب لأرسطو ، ويبدو أن ثيودور قد خلف ميخائيل سكوت في رئاسة مدرسة بلرم بعد وفاته[٣] .

وإلى جانب ثيودور يطالعنا فيلسوف آخر يدعى يوحنا البلرمي كان على معرفة باللغة العربية إذ أرسله فردريك في مهمة سفارة إلى تونس سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) لاستقدام الرياضي الشهير ليوناردو فيبو ناتشي إلى بلرم ، حيث حلقات العلم التي كانت تعقد في بلاط هذا الملك الذي تنبه إلى مواهبه العلمية فضمه إلى خلصائه من العلماء ، فأخذ في تأليف الكتب ، وعن طريقه عرف الغرب الأرقام العربية والصفر[٤] .

وممن ضمهم بلاط بلرم في هذا العصر موسى البلرمي ، ولا نعرف عنه شيئاً ؛ إذ ربما يكون قادماً من الأندلس ، وقد ترجم عدداً من الأعمال العربية إلى اللاتينية ، منها رسالة منسوبة إلى أبقراط في الطب البيطري[٥] .

---

(١) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٧٣/٣ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٤٥٤ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٢ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١١٦/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٦/١ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٦٤/٣-٦٦٥ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٤٥٥ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٥١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٢/١ .

(٤) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٦٥/٣ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٥١ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٩١ .

(٥) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٦٩/٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٨/١ ؛ مايرز : الفكر

وخـلال عـصر مانفريـد ابـن فردريـك الثـاني ، الـذي حكـم مـن (٦٥٦-٦٦٥هــ/١٢٥٨-١٢٦٦م) ، نجـد مدرسـة بلـرم تـستمر في عطائهـا العلمـي وتواصلها مع مراكز الترجمة الأخرى ، فقد قدم إليها من الأندلس المترجم هرمـان الألماني ، الذي كان من أشهر النقلة في مدرسة طليطلة ، لكنه ما لبث أن رحل عنهـا ليحط ركابه في صقلية ، ويحل ناقلاً جديداً في مدرسة بلرم ومقرباً للملـك مانفريـد سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، ومن أهم أعماله في هذه المدرسة ترجمته لمتوسـطات ابـن رشد ، وهي شروحه على المتوسطة من شعر أرسطو وخطابته[١] .

ولم يكن مانفريد أقل من والده في الاهتمام بالثقافة الإسـلامية ، وترجمـة علومهـا ، وقد عاصر سلطان مصر المملوك الظـاهر بيـبرس ، وأهـداه بيـبرس فـيما أهـداه كتـاب «القضاة التسعة» في علم الفلك ، وأرسل بيبرس إلى مانفريد سفارة عـلى رأسـها المـؤرخ والعالم الكبير «جمال الدين بن واصـل» ، وقـد ألـف ابـن واصـل أثنـاء إقامتـه في بـلاط مانفريد رسالة في المنطق أسماها «الرسالة الأنبروريـة» ، وأهـداها إلى مانفريـد وأعجـب مانفريد بابن واصل فكان يشركه في مجالسه العلمية المختلفة[٢] .

ومما يجدر ذكره أن مانفريد نفسه كان مترجماً ، فيعزى له ترجمة عدد من الكتب ككتاب التفاحة إلى اللغة اللاتينية ، الذي فقد أصله العربي[٣] .

=

العربي ، ١٢٦ .

(١) أمـاري : تـاريخ مـسلمي صـقلية ، ٦٢٩/٣ ؛ مـيلي : العلـم عنـد العـرب ، ٤٥٠ ؛ العقيقـي : المستشرقون ، ١١٣/١-١١٤ ؛ الشيال : التاريخ الإسـلامي ، ٥٤ ؛ ceclerc:histoire de la medicine arabe,II,٤٥٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكـروب ، ٢٤٨/٤ ؛ أمـاري : تـاريخ مـسلمي صـقلية ، ٦٢٩/٣ ؛ الـشيال : التاريخ الإسلامي ، ٥٥ .

(٣) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٢٦ ؛ celerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٦٢ .

٢ - مدرسة سالرنو ، (Salerno) :

برزت شهرة مدرسة سالرنو في مجال الطب منذ القدم ، ولكن هذه الشهرة لم تكن بوصفها مركزاً علمياً لدراسة الطب على أسس أكاديمية ، وإنما بوصفها مكاناً يمارس فيه العلاج الطبي كمهنة أو حرفة تطبيقية ، وإذا كان من الصعب أن نعثر على أدلة كافية تثبت وجود مدرسة لتعليم الطب في سالرنو منذ وقت مبكر ؛ إذ إنها مدرسة يكتنف نشأتها كثيرٌ من الغموض ، مما جعل الروايات تكثر ، والأساطير تتنوع في تاريخ تأسيسها[١] .

فمدرسة سالرنو لها تاريخ حضاري يرتبط بالحضارة اليونانية ، ويذكر المؤرخون أن المسلمين قد دخلوا هذه المدينة أيام الأغالبة في القيروان ، ومنذ تلك الأيام بدأت حياتها العلمية تنفصم عن الثقافة اليونانية ليطغى عليها الفكر الإسلامي ، كما يذكر هؤلاء أن عربياً باسم عابديلا «عبدالله» قد شارك[٢] في تأسيس مدرسة سالرنو الطبية ، وأنه كان يدرس فيها باللغة العربية ، ويذكرون أيضاً أن يهودياً من جزيرة صقلية اسمه ابراهام السبتي المعروف بلقب دونولو (Donnolo)[٣] دخل سالرنو ومعه كتب من أصول عربية[٤] .

وبالرغم مما ذكر حول هذه المدرسة ونشأتها ، فإن كل ما نستطيع الجزم به هو أن سالرنو اشتهرت في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي بأنها مكان طيب للعلاج الطبي ، كما اشتهرت بتواجد مجموعة من الأطباء المتمرسين فيها ؛ إذ جاء في

---

(١) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ٢٩٢ ؛ بحوث في تاريخ الإسلام ، ٥٩٥ ؛ تقي الدين الدوري : دور صقلية في نقل التراث الطبي العربي إلى أوروبا ، ٢٠٦ .

(٢) وإلى جانب عبدالله تذكر الرواية أن يهودياً ويونانياً ولاتينياً شاركوا أيضاً في تأسيسها ، وربما المقصود منه أن هذه المدرسة احتضنت أربع حضارات ساعدت في تأسيسها هي : اليونانية واللاتينية والعبرية والإسلامية . انظر هونكة : شمس العرب ، ٢٩٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٩٩ .

(٣) دونولو : يقال إنه كان أسيراً في أيدي المسلمين ، فتعلم العربية ، واستطاع بعد ذلك العودة إلى سالرنو وأن يصنف بعض الكتب والرسائل بالعربية ، والتي حوت معارف المسلمين كـ«الكتاب النفيس» وغيرها . وات : فضل الإسلام ، ٨٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ٥٠ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٨ .

الوثائق المعاصرة أنه حدث لقاء في بلاط لويس الرابع ملك فرنسا سنة (٣٣٥هـ/٩٤٦م) بين أسقف فرنسي له إلمام بعلم الطب ، وطبيب شهير وافد من سالرنو له خبرته في ممارسة صنعة الطب[١] .

وإذا كان أوردريكوس فيتاليس (Ordricus Vitalis) ، في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، قد وصف مدرسة سالرنو لتعليم الطب بأنها عريقة وقائمة منذ القدم ، فإن تعبير «عريقة» هنا عائم ، ومن الممكن أن يكون تعبيراً نسبياً قصد به الرجوع إلى الوراء خمسين أو مائة سنة ، والغالب أن شهرة سالرنو في الطب ذاعت في غرب أوروبا منذ منتصف القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، بعد أن دخلتها كتب الطب الإسلامي التي ترجمها قسطنطين الأفريقي[٢] .

وقد تناول كثير من علماء الغرب الرافضين لمبدأ فضل الحضارة الإسلامية على الغرب ، موضوع أخبار المسلمين في مدسة سالرنو بكثير من التشكيك أمثال : هنشل (Henschel) ، ودارمبرج (Daremberg) ، ودي رنز (De Renzis) ، ومن بعدهم : راشدال (Rashdall) ، وقد حاول هؤلاء تعليل ازدهار دراسة الطب في سالرنو بعوامل محلية بعيدة كل البعد عن أية مؤثرات خارجية ، وخاصة من جانب الحضارة الإسلامية والطب الإسلامي ، ويبني هؤلاء وجهة نظرهم على أساس عدة عوامل أهمها[٣] :

أولاً : أن منطقة سالرنو نفسها اشتهرت منذ القدم بكونها مكاناً للاستشفاء بسبب طيب هوائها ، ووفرة المياه المعدنية حولها ، مما جعلها مقصداً للمرضى والمطببين ، بل إن شهرتها في مجال الطب سبقت أي أثر للحضارة الإسلامية والطب

---

(١) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام ، ٥٩٥ ؛ ابن ميلاد : قسطنطين الأفريقي ، ٣٨١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٤٩ .

(٢) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام ، ٥٩٥ .

(٣) انظر بخصوص جميع هذه العوامل التي طرحها هؤلاء الغربيون : عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٥٩٦-٥٩٨ .

الإسلامي .

ثانياً : من المعروف تاريخياً أن الجزء الجنوبي من إيطاليا –بما فيه سالرنو- كان مرتبطاً حضارياً ببلاد اليونان ، وأن اليونانيين أقاموا فيه مستوطنات شهيرة ، حتى إن الحضارة اليونانية ظلت لها الغلبة في جنوب إيطاليا .

وعليه فإن التراث اليوناني في الطب كان قائماً منذ القدم في جنوبي إيطاليا ، يضاف إلى هذا أنه كان في الشطر الأول من العصور الوسطى ، وفي ظل النصرانية ، ظل تأثير الحضارة اليونانية والكنيسة الشرقية الأرثوذكسية قائماً في جنوب إيطاليا .

ثالثاً : يقول هذا الفريق من الباحثين : إن بعض المؤلفات اليونانية القديمة في الطب ترجمت إلى اللاتينية في وقت مبكر في فجر العصور الوسطى ، يرجع إلى القرن السادس الميلادي ، ومن هذه المؤلفات كتاب جالينوس ، وكتاب أبقراط وغيرها . حقيقة أن هذه الترجمات اللاتينية فقدت ولم يبق لها أثر ، وذلك نتيجة غزوات الجرمان ، ولكن مع ذلك ظل لها أثر من التراث اليوناني القديم -وبخاصة في علم الطب- باقياً في جنوب إيطاليا ، ومن هذه الآثار الباقية نبتت مدرسة الطب في سالرنو ، ومدرسة القانون في بولونيا .

رابعاً : يؤيد أصحاب هذا الرأي وجهة نظرهم بأنه ظهر في أوائل القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي -أي قبل ظهور قسطنطين الأفريقي- بعض علماء الطب في سالرنو ، ومن هؤلاء جاريوبونطس (Gario Pontus) ، الذي دون كتاباته حوالي سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) ، ويضيف راشدال أن كتابات جاريوبونطس هذا ليس فيها ما يدل على أي أثر للطب الإسلامي ، ولا حتى الطب اليوناني ، وإنما تعبر كتاباته عن طب روماني ، أو لاتيني جديد ، بمعنى أن جاريو بونطس ليس متأثراً بكتابات جالينوس بقدر ما هو متأثر بكتابات كايليوس أورلينانوس ، ولم يكن ذلك إلا بعد منتصف القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي عندما تجمعت بعض الأدلة التي تشير إلى كتابات أبقراط وجالينوس غدت معروفة في مدرسة سالرنو ، ومنذ ذلك الوقت أخذ المشتغلون بالطب في سالرنو يطبقون نظرية الأخلاط الأربعة .

هذا ما تيسر بيانه من وجهة نظر الرافضين للرأي القائل : بأن مدرسة سالرنو تدين بنشأتها إلى الطب الإسلامي ، وإذا أخضعنا أقوالهم لمنهج البحث التاريخي فإننا نجدها مليئة بالأخطاء والتناقضات والفروض غير الصحيحة التي لا سند لها إلا الحقد الدفين للإسلام وأهله .

ولنبدأ بتفنيد هذه الأقوال كالتالي(١) :

١ - أما قولهم إن سالرنو استمدت شهرتها في الطب من طيب هوائها ووفرة مياهها المعدنية ، مما جعلها مكاناً صالحاً للاستشفاء منذ أمد بعيد ، فهو قول مردود عليه بأن الفارق كبير بين مكان صالح للاستشفاء بحكم طيب مياهه وهوائه ، ومكان قامت فيه مدرسة للطب اعتبرها الباحثون جامعة من أولى الجامعات التي ظهرت في غرب أوروبا في فجر نهضتها الحديثة ، واجتمع في رحابها عدد كبير من المعلمين والمتعلمين ، يزاولون مهنة الطب على أسس وقواعد ومعارف جديدة لم يعرفها الغرب الأوروبي حتى ذلك الوقت .

وهل كانت منطقة سالرنو الإقليم الوحيد في أوروبا الذي اشتهر عندئذ بطيب هوائه ومائه؟ .

٢ - أما القول بأن التراث الحضاري اليوناني ظل قائما طوال العصور المظلمة -أعني الشطر الأول من العصور الوسطى- في جنوب إيطاليا ، فمردود عليه بأن وجود آثار اللغة اليونانية ونفوذ أتباع الكنيسة الأرثوذكسية ، ليس معناه بأي حال وجود مدرسة علمية يونانية احتوت تراث اليونان في شتى العلوم ، ومنها الطب في تلك البقعة ، وإذا كان تراث الحضارة اليونانية قد ظل قائماً في العصور المظلمة في جنوب إيطاليا ، فلماذا نسمع عن نهضة فلسفية قامت على أساس فكر أرسطو مثلاً مثل ما قامت نهضة طبية؟ وهل لنا أن نتناسى أن سالرنو نفسها تقع على مسافة كيلومترات من ديرمونت كاسينو ، وهو الدير الذي أقامه القديس بندكت وأتباعه سنة (٥٢٩م) على أنقاض آخر ما تبقى من معابد أبولو ، مستخدمين بقايا المعبد في بناء الدير ، مما يشير إلى أن رجال النصرانية أقاموا صرح بنيانهم على أنقاض تراث

(١) انظر لتفنيد هذه الأقوال : عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٠-٦٠٤ .

الوثنية ، وكيف سمح رهبان مونت كاسينو في القرون التالية ببقاء أثر تراث الوثنية -في الطب وغير الطب- في المنطقة المحيطة بهم ، مع ما اشتهر به رهبان الأديرة بالذات وفي ذلك الدور من عداء سافر لكل ما يمت بصلة للوثنية ، وتراثها الفكري والمادي؟

بل لعل أصحاب هذا الرأي يناقضون أنفسهم عندما يقولون : إن الترجمات اللاتينية للتراث اليوناني ضاعت مع غزوات الجرمان لإيطاليا ، ومع ذلك فإن تراثهم ومؤلفاتهم في الطب ظلت باقية ، أليست القوة التي عصفت بتراث الرومان كفيلة بأن تعصف بتراث اليونان وغير اليونان في نفس المكان والزمان؟؟ أم أن تراث اليونان وحده -وفي علم الطب بالذات- كان عليه حارس أسس يحميه من عبث الجرمان وكراهية رجال النصرانية؟ .

حتى عندما استشهدوا بجاريوبونطس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، قالوا إن كتاباته ليس فيها أثر للتراث اليوناني ، وأنه أكثر تأثراً بالتراث الروماني القديم ، مما يضعف من حجتهم بأن التراث اليوناني كان حياً قائماً في جنوب إيطاليا طوال العصور المظلمة .

٣ - أما قولهم : إن الأثر اليوناني ظهر في مدرسة الطب في سالرنو قبل ظهور قسطنطين الأفريقي بجيل على الأقل ، فمردود عليه بأننا لا ننافي مطلقاً وجود هذا الأثر قبل قسطنطين الأفريقي ، ولكننا نقول إن هذا الأثر جاء إلى جنوب إيطاليا عن طريق الطب الإسلامي ، ذلك أننا لا ننكر أن الحضارة الإسلامية -وبخاصة في مجال الدراسات العقلية والعلوم التجريبية- تأثرت بالفكر اليوناني وغير اليوناني ، وأن علماء المسلمين أنفسهم أشادوا بتراث اليونان وعلمائهم في الطب واتخذوا من ذلك التراث ركيزة بنوا عليها طباً جديداً -بما أضافوه وابتكروه- لا يوصف إلا بأنه طب إسلامي .

وقد تسربت معلومات المسلمين في الطب إلى جنوب إيطاليا ، منذ وقت مبكر يرجع إلى القرن الثالث الهجري ، التاسع للميلاد ، أي قبل عصر قسطنطين الأفريقي بنحو قرنين من الزمان ، وإذا كان التاريخ يتحدث عن فتح المسلمين

لصقلية أيام زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب[١] سنة (٢١٢هـ/٨٢٧م) ، فإن التاريخ يذكر أيضاً أن عهد زيادة الله هذا شهد نهضة في علم الطب في دولة الأغالبة شمال أفريقيا ، وهكذا فإن امتداد النفوذ الإسلامي من شمال أفريقية إلى صقلية وجنوب إيطاليا كان مصحوباً بازدهار الطب عند المسلمين ، واستمر هذا الازدهار في أفريقية حتى القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، على أيام الفاطميين[٢] .

ويلاحظ جيداً أنه في ذلك الدور -في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، التاسع والعاشر الميلاديين- كان إقليم أفريقية «تونس» يكون وحدة سياسية وحضارية مع صقلية وملحقاتها من المناطق التي أقامها المسلمون على سواحل إيطاليا ، ومعنى هذا أن تأثير المسلمين الحضاري في شتى الجوانب والمعارف والعلوم -ومن جملتها الطب- لابد وأن يكون قد انتقل من أفريقية والقيروان إلى صقلية وسالرنو ، وذلك قبل ظهور قسطنطين الأفريقي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي[٣] .

وبعبارة أخرى فإن ما نريد أن نؤكده هو أن أثر النفوذ الإسلامي في جنوب إيطاليا ليس مرتبطاً بقسطنطين الأفريقي وحده في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، وإنما لا بد وأن يكون هذا التأثير قد انتقل قبل ذلك منذ القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، ثم جاءت جهود قسطنطين الأفريقي في نقل الطب الإسلامي إلى جنوب إيطاليا ، عن طريق ترجمة مؤلفات المسلمين في علم الطب إلى اللاتينية ، لتتوج الجهود السابقة[٤] ، وفي ذلك يقول أحد الباحثين الغربيين : «إن كتب جالينوس في الطب لم يعرف منها سوى القليل في غرب أوروبا في العصور الوسطى ، حتى عرفت مؤلفاته كاملة في مدرسة سالرنو في القرن

---

(١) زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال ، أحد أمراء الأغالبة حيث تولى الإمارة بعد أخيه عبدالله ، وتميز زيادة الله بالفصاحة والبيان ، مع نظم الشعر ، ولا يعلم أحد قبله سمي زيادة الله ، توفي سنة (٢٢٣هـ/٨٣٨م) . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١/١٦٣ .

(٢) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٠ .

(٣) نفس المرجع ، ٦٠١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

الحادي عشر ، وذلك عن طريق ترجمة هذه المؤلفات عن التراجم العربية التي نقلت عن اليونانية منذ وقت مبكر»[1] .

٤ - أما قول المشككين في أثر النفوذ الإسلامي في قيام مدرسة الطب في سالرنو : بأن البشائر الأولى لكتاب أبقراط وجالينوس ظهرت في إيطاليا في اواخر القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، أي بعد استيلاء النورمان على صقلية والقضاء على نفوذ المسلمين السياسي فيها فضلاً عن جنوب إيطاليا ، فإن هذا القول مردود عليه بأن نهاية النفوذ السياسي للمسلمين في صقلية وجنوب إيطاليا لا يعني بأي حال نهاية نفوذهم الحضاري في تلك الأنحاء ، بل على العكس لقد أجمع المؤرخون والباحثون على أن الحضارة الإسلامية في صقلية بلغت ذروتها عقب القضاء على نفوذ المسلمين السياسي فيها على يد النورمان ، ذلك أن حكام صقلية الجدد من النورمان بهرهم بريق الحضارة الإسلامية ، وأعجبوا بما حققه المسلمون من إبداع حضاري ، فحرصوا على الاحتفاظ بالجالية الإسلامية في الجزيرة ورعاية أفرادها ، وحثوا على مواصلة نشاطهم الحضاري في شتى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، وتركوا لهم حرية العبادة ليشجعوهم على البقاء والإنتاج ، هذا مع ملاحظة أن دولة النورمان شملت صقلية وجنوب إيطاليا جميعاً ، وهو ما أطلق عليه في التاريخ اسم مملكة الصقليتين[2] ، حيث شُبِّه الجزء الجنوبي من إيطاليا بصقلية أخرى ثانية ، وبأن سالرنو كانت تقع داخل نفوذ تلك الدولة ، مما جعلها لا تقل عن غيرها من البلاد المحيطة بها تأثراً بحضارة المسلمين

---

(١) نفسه .

(٢) كانت هذه المملكة تشمل صقلية ، وجنوب بلاد الطليان إلى الشمال من مدينة نابولي ، ولقد فقدت صقلية بتأسيس هذه المملكة كيانها الذاتي ، وأصبح تاريخها مرتبطاً بإيطاليا ، ومن ثم تألقت شهرتها لأول مرة في سنة (٨٤٦هـ/١٤٤٢م) ، لصالح البيت الإسباني ، وعلى أثر النصر الذي حققه ألفونسو الخامس ، وبعد وفاته ، استمرت صقلية تابعة لأراغون ، وذهبت نابولي لأحد أبنائه ، وإبان الوحدة الإيطالية اضطر آخر ملوكها فرنسو الثاني إلى الهرب ، فانضمت الصقليتان إلى المملكة الإيطالية الموحدة . المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ٣٠ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣٢٤/٤ .

في ذلك العصر[١] .

وهكذا نجد ، أن شهرة مدرسة سالرنو برزت على يد ما دخلها من الطب الإسلامي ، وبفضل عدد من المترجمين أصبحت هذه المدرسة معيناً لا ينضب للثقافة والعلوم العربية ، ودعامة قوية للنهضة العلمية الأوروبية .

وتمثل شخصية قسطنطين الأفريقي البداية الفعلية الأولى لحركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في هذه المدرسة ؛ لذا نستطيع القول إن عملية النقل بدأت بها من منتصف القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، وهي الفترة التي ظهر فيها هذا المترجم بمدرسة سالرنو ، وطفق يترجم المؤلفات الإسلامية إلى اللغة اللاتينية ، وتحديداً على عهد الأمير روبرت جسكارد الذي كان حاكماً لهذه المدينة من (٤٠٦-٤٧٨هـ/١٠١٥-١٠٨٥م)[٢] .

كانت البداية عندما حل قسطنطين بأرض إيطاليا ، فاتصل بهذا الأمير الذي قربه إليه وجعله من خاصته ، ومدرسة سالرنو قائمة آنذاك تعمل في مجال الطب وعلومه ، فالتحق بها هذا المترجم ، فلما رأى أن كثيراً من أساسيات الطب ومهنته -كما عرفها في الطب الإسلامي- لا تتوفر بهذه المدرسة عاد أدراجه إلى تونس ، وأخذ ينقب عن مخطوطات الطب الإسلامي التي كانت تزخر بها مكتبات تونس آنذاك ، وجمع منها الشيء الكثير ثم حملها معه إلى سالرنو ثانية ، وطفق يترجمها من العربية إلى اللاتينية ليستفيد منها أساتذة المدرسة ومتعلموها[٣] .

لقد استطاع قسطنطين بهذا العمل العظيم في رأي محبيه أن يحتل مكاناً علياً لدى جسكارد ، ولدى الطاقم الطبي والتعليمي في مدرسة سالرنو ، بالرغم أنه ليس هناك دليل قاطع على أنه كان أحد أساتذتها التدريسيين ، إلا أن أفكاره الطبية

---

(١) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٢ .

(٢) المدني : المسلمون في جزية صقلية ، ٢٠٠ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٥ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧-٥١٨ .

(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ٢١٠ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب في تقدم الطب في العصور الوسطى ، ٢٩٦ .

وما ترجمه من كتب الطب الإسلامي والتي دخلت بدورها هذه المدرسة وصارت أحد كتب الدراسة البارزة فيها لاسيما وقد انتحل هذه الكتب ونسبها لنفسه ، مما أوحى للكثيرين وكأنه المؤلف الحقيقي لها ، والمبتكر الأول لنظرياتها(١) .

لم يستمر بقاء قسطنطين بمدرسة سالرنو ، ولكنه آثر الانزواء في ديرمونت كاسينو بنفس المدينة ، فأكمل ترجمة بقية المخطوطات التي كان يحملها من تونس ، ويخرجها للمستفيدين وكأنها من تأليفه ، ونحن لا نعلم لم فضَّل قسطنطين هذا المكان على مدرسة سالرنو؟

ربما لأنه كان قد التحق بسلك الرهبنة ، فالتحق بقساوسة الدير الذي كان يمثل المركز الأمامي للحضارة اللاتينية ، ثم أعيد تأسيس مكتبته في منتصف (القرن الخامس الهجري ، الحادس عشر الميلادي)(٢) .

ومن المرجح أيضاً ، أنه آثر أن يعيش في أجواء هادئة تمكنه من انتحال علوم المسلمين بعد نقلها ، دون أن يشعر به أحد ، وعلى كل حال فلا بد أنه كان على اتصال مع مدرسة سالرنو عن طريق ما يمدها به من ترجمات .

وتجدر الإشارة إلى أن ترجمات مدرسة سالرنو بدأت بشكل فردي ؛ إذ إن جميع الترجمات تنسب إلى قسطنطين الأفريقي لوحده ، بالرغم من ذكر وجود تلامذة كثر له ، إلا أن هذا لا يدل على أنهم اضطلعوا بأمر الترجمة معه وكونوا حوله هيئة متكاملة مثلما كان في طليطلة(٣) ، وكل ما تسعفنا به المصادر هو وجود أحد هؤلاء التلاميذ ، ويدعى أتو (Atto) ، استعان به قسطنطين في تصحيح ترجماته ؛ إذ كان يثق به دون سواه ، إضافة إلى يوحنا الفاسي (يوحنا أفلاسيوس Joannes Afflacius) ، الذي أصبح طبيباً شهيراً في مدرسة سالرنو بعد وفاة معلمه ، وعمل

(١) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٥ ؛ السامرائي : الطب العربي في أوروبا اللاتينية ، ٩٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٤٥ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٥ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ .

على إدارة ما خلفه له[١] .

ومن أهم ما ترجم في مدرسة سالرنو في هذه الفترة : الكتاب الملكي لعلي بن العباس ، وكتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق ، ومؤلفات إسحاق الإسرائيلي منها : كتاب البول والحميات وغيرها ، إضافة إلى كتاب زاد المسافر لابن الجزار ، وشرح لأقوال جالينوس المأثورة[٢] .

وقد كانت ترجمة قسطنطين لهذه المؤلفات محرفة غير دقيقة ، وضعيفة غير موثوقة ، إلا أنه في الواقع ولشدة الحاجة إليها كانت القاعدة الأولى في تقدم الطب وعلومه لدى الغرب[٣] .

وبختام القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، أصبحت مدرسة سالرنو ذات شهرة واسعة ومركزاً للدراسات الطبية على منوال كبريات المدارس الإسلامية المعاصرة ، وبازدياد هذه الشهرة أخذت تحظى برعاية الحكام الذين تعاقبوا في حكم جنوب شبه الجزيرة الإيطالية ، فبدأت الأنظار تتجه إلى ضرورة العناية بالطب -علماً وعملاً- وتحديد شروط لمن يسمح له بمزاولة هذه المهنة ، وذلك بعد أن كانت الكنيسة في الشطر الأول من العصور الوسطى تفرض آراءها من وجهة نظر ضيقة ومتزمتة في مثل هذه الأمور ، وكان أن أصدر روجر الثاني مرسوماً بضرورة حصول من يزاول مهنة الطب على ترخيص بذلك[٤] .

وفي سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، جاء أول اعتراف رسمي بمدرسة سالرنو في

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٤٨ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥١٧ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ١٢٣/٣ ؛ وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨٣ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٣ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ١٢٢٦/٣ ؛ jourdan:recherches surles anciennes Traductions latines,٩٦-٩٧.

(٣) عنتابي : إسهام الأطباء العرب في تقدم الطب ، ٢٩٦ ؛ الدوري : دور صقلية في نقل التراث الطبي العربي إلى أوروبا ، ٢٠٦ .

(٤) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٣ .

الطب ، وذلك عندما أصدر الإمبراطور فردريك الثاني مرسوماً في تلك السنة يحرم ممارسة مهنة الطب أو تعليم أصول هذه المهنة داخل دولته دون الحصول على ترخيص رسمي بذلك ، على أن يعطى هذا الترخيص لمن يطلبه بعد أن يؤدي امتحاناً أمام لجنة من أساتذة سالرنو .

كذلك أصدر هذا الإمبراطور مرسوماً يحدد السنوات التي يقضيها طالب الطب في الدراسة قبل أن يجاز لمزاولة هذه المهنة ، وقد حددت هذه السنوات بخمس ، على أن تتضمن الدراسة التشريح والجراحة ، تتلوها سنة سادسة يقضيها الطالب في التمرين ، تحت إشراف أحد الأطباء المتمرسين[١] .

وإذا كان الإمبراطور فردريك الثاني قد أنشأ جامعة نابولي سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) ، وأقام فيها كلية للطب ، فإنه يبدو أن هذه الجامعة الجديدة لم تستطع أن تنافس مدرسة سالرنو في مجال الدراسات الطبية ، بدليل أن الإمبراطور أصدر مرسومه السالف الذكر سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، الذي جاء بمثابة أول اعتراف رسمي بسالرنو كمعهد للدراسات الطبية[٢] .

أخذت مدرسة سالرنو تستقبل طلاب العلم الوافدين عليها من جميع أنحاء العالم دون أي اعتبار لمذهب أو عرق أو شعب ، وكان قد سمح بعيد ذلك للنساء أيضاً بممارسة مهنة الطب بها[٣] .

وممن تألقت شهرته في الترجمة إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، فرج بن سالم المعروف عند الغرب بـ(فراجوت أو فراريوسFarrachius, Farragut) ، وهو وافد من مدينة جرجنت في صقلية ، ومن أبرز تلامذة مدرسة سالرنو ، ومن أهم أعماله أنه ترجم إلى اللاتينية كتاب الحاوي للرازي ، وذلك بناء على طلب الملك شارل أنجو (٦٢٣-٦٨٤هـ/١٢٢٦-١٢٨٥م) ملك صقلية ، وترجم أيضاً كتاب التشريح المنسوب إلى ابن ماسويه ، وكتاب تقويم الأبدان في تدبير الإنسان لابن جزلة ، والطب التجريبي لجالينوس

(١) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٨ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ١٨٠ .
(٢) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٩ ؛ ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ٨٩٩/٣ .
(٣) عنتابي : إسهام الأطباء العرب في تقدم الطب ، ٢٩٥ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٨٨/١٧ .

بترجمة حنين بن إسحاق[١] .

ومن بين المترجمين الوافدين إلى مدرسة سالرنو : إدلارد الباثي (ت٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) ، فبعد أن زار المراكز الثقافية في صقلية استقر بعض الوقت في سالرنو ، وترجم النسخة العربية لأقليدس ، وألف مختصراً في العلوم العربية ، واشتهر من بين طلاب سالرنو ميخائيل سكوت (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، الذي تضمنت إحدى وصفاته التخدير بالاستنشاق[٢] .

ولما كانت مدينة سالرنو ميناءً مهماً استخدمه الصليبيون في ذهابهم وإيابهم إلى بلاد الشام ، فقد نقل هؤلاء الصليبيون الكثير من النصائح الطبية التي اشتهرت بها سالرنو إلى بلاد أوروبا[٣] .

وألفت كتب طبية في سالرنو ، أظهرت أن أطباءها لم يمتصوا المعلومات الحديثة العربية فقط ، بل تمكنوا من توسيعها ، وأهم مؤلفات مدرسة سالرنو هو الموجز السالرني ، والنظام الصحي السالرني ، الذي يبدو أنه ألف سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) ، وهو مقيد في (٣٥٢) بيتاً في الأصل ، وأشهر شرح لها هو شرح أرنالدوس فيلا نوفانوس (Arnaldus Villanovaus) (ت حوالي ٧١٣هـ /١٣١٣م) ، وهو طبيب وأديب من كتالونيا ، أتقن اللغة العربية وترجم وألف باللاتينية[٤] .

والواقع أن دراسة الطب أخذت تمتد من سالرنو إلى أجزاء متفرقة من إيطاليا وسائر جامعات أوروبا ، حيث انتشر تلاميذ هذه المدرسة في أماكن متفرقة ، فذهب قسم منهم إلى مونبلييه ، وآخرون إلى نابولي وإلى باريس ، وشاركوا في التدريس وإنشاء كليات الطب في جامعات لم يكن فيها مثل هذه الكليات ، أو في

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٠-٥٢١ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ، ٢٢ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٦-٨٧ .

(٢) قاسم : انتقال الطب العربي ، ٥٢ ؛ السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي ، ٣٩١ .

(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٠ ؛ السامرائي : دراسات في تاريخ الفكر العربي ، ٣٩١ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ٣٠٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ٥٢ .

جامعات جديدة من تلك التي أخذت تظهر وتنتشر بسرعة كبيرة في ذلك الدور من أواخر العصور الوسطى ، واستمرت هذه المدرسة محتفظة بهذه المكانة العلمية حتى سقوط مدينة سالرنو في يد هنري السادس ، عندما تدهورت الحركة العلمية فيها ، بسبب انحسار نفوذ الحضارة الإسلامية بها ، إضافة إلى تعرضها لمنافسة قوية من بعض الجامعات الأخرى الناشئة في جنوب أوروبا ، مما أدى إلى اضمحلالها سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م) ، ثم أغلقت نهائياً في عهد نابليون(Napoleon)[١] سنة (١٢٢٦هـ/١٨١١م)[٢] .

وقبل أن نترك مدرسة سالرنو الطبية لا بد من الإشارة إلى أنه كان لهذه المدرسة فضل كبير في علم التشريح وتعريف الغرب به ، وذلك نتيجة المترجمات الإسلامية للرازي وابن سينا وأبي القاسم إلى اللاتينية ، وقد لجأ الأطباء في سالرنو إلى البدء بتشريح الحيوانات مثلما فعل المسلمون[٣] ، ويذكر ستفين الأنطاكي (ق٦هـ/١٢م) ، وهو ممن تتلمذ في هذه المدرسة : «أن علماء الطب كانوا يوجدون في الدرجة الأولى في صقلية وسالرنو ، وكانوا إما من اليونان ، وإما أشخاصاً ملمين باللغة العربية ، وكان أطباء سالرنو كالأطباء العرب يجتنبون تشريح الجسم البشري ، ويشرحون الحيوانات بدلاً منه»[٤] .

ويرجع الفضل في إنشاء قسم للتشريح في هذه المدرسة إلى الإمبراطور فردريك ، ويعد أول قسم للتشريح في أوروبا كلها[٥] .

ولم يقتصر الأمر على علم التشريح ، بل قد حازت سالرنو قصب السبق في مجال الأدوية المضادة للسموم ، عن طريق ترجمة كتب الطب الإسلامي ، ففي حين أشاد بعض الباحثين المحدثين بأحد أطباء سالرنو -اسمه نيقولا- (Nicola) ،

---

(١) نابليون : المقصود به الأول (ت١٢٣٧هـ/١٨٢١م) والمشهور بنابليون بونابرت قائد عسكر فرنسي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٥/٩ .

(٢) المدني : المسلمون في صقلية ، ٢٠٠ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٣ .

(٣) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦٠٩ .

(٤) الدوري : دور صقلية في نقل التراث الطبي ، ٢٠٧ .

(٥) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٣ .

بوصفه أول من أسس في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، قسماً خاصاً بالأدوية المضادة للسموم (Antidofaria) في علم الصيدلة ، نجد أنَّ العالم ماكني (Mcnee) الذي اشتهر بدراسته وبحوثه في تاريخ الطب يقول ما نصه : «إن الفضل في الأمر لا يرجع إلى نيقولا بقدر ما يرجع إلى علماء المسلمين ؛ لأن نيقولا استمد معلوماته عن المضادات للسموم من التراجم اللاتينية للمؤلفات العربية ، وخاصة تلك المؤلفات التي ترجمها قسطنطين الأفريقي»[١] .

ونتيجة التطور المستمر لهذه المدرسة فقد تحولت إلى جامعة سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، بأمر من الملك روجر الثاني ، وهي الأولى من نوعها في أوروبا لتدريس الطب والصيدلة بالعربية واللاتينية ، واستمرت على هذا الوضع نحو تسعمائة سنة ، إلى أن أصدر نابليون عام (١٢٢٦هـ/١٨١١م) قانوناً لتنظيم كلية الطب في سالرنو[٢] .

٣ - نابولي : (Napoli) :

أسست في مدينة نابولي الواقعة إلى الجنوب من شبه الجزيرة الإيطالية جامعة عريقة بمرسوم ملكي سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) ، حيث أمر الإمبراطور فردريك الثاني بإنشائها في هذه السنة ، وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية إلى أوروبا ، فترجمت بها مؤلفات مختلفة من العربية إلى اللاتينية والعبرية[٣] .

وتعتبر جامعة نابولي من أولى الجامعات الحديثة من نوعها ، واستفرغ الملك فردريك كل جهده من أجل الرقي بها ، فجاء في مرسوم تأسيسها ما نصه : «إن جميع معلومات الإنسان يجب أن تدرس بنابولي ؛ لكي يجد كل جائع للعلم الغذاء الذي تميل نفسه إليه»[٤] ، وقد وقف الأموال الطائلة على أساتذتها وطلابها ، وجعل

---

(١) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦١٠ .

(٢) المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ٢٠٠ ، هامش (١) ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ١٤١ .

(٣) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٣ ؛ كب : المسلمون في تاريخ الحضارة ، ١٠٦ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٠ .

(٤) المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ١٧٩ .

منقولات الترجمة العربية كمصنفات أرسطو وابن رشد كتباً مدرسية لها[١] .

ولم يكتف بذلك بل استقدم إليها كبار الأساتذة والمترجمين للتدريس والنقل بها ، أمثال : يعقوب أناطولي (Jacobus Anatoli) (ق ٧هـ/١٣م) ، الذي ترجم كتب المجسطي إلى العبرية ، ومختصر المجسطي لابن رشد ، وشرح ابن رشد على مقولات أرسطو ، وشرحه على الإيساغوجي لبورفيريوس والفرغاني[٢] .

ومنه فقد أصبحت هذه الجامعة منطلقاً للترجمات العربية لابن رشد وغيره ؛ حيث إن فردريك أرسل ميخائيل سكوت على رأس بعثة إلى جامعات إيطاليا وإكسفورد ، فتفشت فلسفة ابن رشد في كل هذه المراكز[٣] .

واستمرت جامعة نابولي في عطائها في عهد هذا الملك ، ثم أغلقت أبوابها بعد وفاته ، ثم أعيد افتتاحها في سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) بعد ذلك[٤] .



---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٤٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨-٤٧٠ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ١٥٨ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ .

(٤) منتصر : تاريخ العلم ، ٣١٢ ؛ وفي العصر الحديث تأسس المعهد الجامعي الشرقي في نابولي عام (١١٤٥هـ/١٧٣٢م) بمرسوم بابوي ، وكان يهدف إلى تخريج رجال الدين من المبشرين الذين كانوا يرسلون إلى الشرق بهدف التنصير ، وكانوا يلقنون لغات الشعوب التي كانوا يقصدون تنصيرها ثم تطور هذا المعهد فأصبح يعنى رسمياً بتدريس اللغة العربية منذ سنة (١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) ، وهو يعنى كذلك بدراسة تاريخ الحضارة الشرقية ، وبالأخص الإسلامية وتاريخها . جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ١٠٩ .

المبحث الثالث :

المشرق الإسلامي ومدارسه

لا بد -بداية- من محاولة سريعة لتخصيص مصطلح المشرق الإسلامي[1] في حديثنا عن مراكز الترجمة ، فنحن نقصد به هنا بلاد الشام ومصر في بعض فتراتها التاريخية ، فهاتان المنطقتان بالذات كانتا نقطة التقاء الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى التي نشأت بها من قبل ، فجمعت داخل حدودها شعوباً مختلفة ، وحضارات متباينة ، أُجبرت أن تأخذ من بعضها عبر التاريخ .

فالمشرق الإسلامي هو المهد الذي نشأت به الدراسات النصرانية عن الإسلام ، نظراً لأن الإسلام الفاتح بعقائده وكتابه وشرائعه حل بأرض كانت تسيطر عليها النصرانية الشرقية بمذاهبها المختلفة من أرثوذكسية بيزنيطة حاكمة ، ونسطورية[2] مخالفة ، وآريوسية موحدة ، يضاف إلى ذلك العامل اللغوي الذي مكّن النصارى المشرقيين من الاطلاع بيسر وسرعة على حضارة هذا الدين وشريعته في لغته العربية ، والوقوف على ما حوته من عقائد وشرائع وأخلاق وعلوم ، ومن

---

(١) المشرق الإسلامي : هي المنطقة الجغرافية الواقعة ما حول وشرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط ، وتمتد إلى الخليج العربي ، ويستعمل هذا المصطلح للإشارة للدول والحضارات الموجودة في هذه المنطقة الجغرافية ، ويطلق عليه الشرق الأوسط ، إذ برز هذا المصطلح مع ظهور الصهيونية العالمية ، وجميع دول المشرق الإسلامي تقع في قارة آسيا ، وهي : [العراق ، السعودية ، فلسطين ، الكويت ، الأردن ، لبنان ، البحرين ، قطر ، الإمارات ، اليمن ، سوريا ، سلطنة عمان ، السودان ، إيران ، أرمينيا ، تركيا ، قبرص] ما عدا مصر تقع في أفريقيا ، ويوجد عدة آراء حول حذف أو زيادة دول لهذا المصطلح ، ومنها : حذف مصر لأنها الوحيدة التي تقع في أفريقيا ، كما أنه يجب إضافة دول الشمال الأفريقي لأنها إسلامية عربية ، وأيضاً يرى البعض إضافة دولة أفغانستان لأنها إسلامية وقريبة من إيران . الموسوعة العربية العالمية ، ١٤/ ٩٧-١٠٢ .

(٢) المذهب النسطوري ينسب إلى البطريرك نسطوريوس ، ويطلق على أتباعه النساطرة ، وهو مذهب يؤكد على التمايز والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح والطبيعة البشرية ، فالمسيح ليس طبيعتين فحسب ، بل أقنومين ، أي شخصيتين متمايزتين أيضاً ، رستم : الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ٢٧ .

ثم الشروع في الجدل ضده ، بخلاف كتَّاب الغرب اللاتين الذين احتاجوا عدة قرون كي يتمكنوا من معرفة حضارته عن طريق ترجمتها[١] ، يقول أحد الباحثين : «كان الشرق الإسلامي بالنسبة لأوروبا نوعاً من المنبع أو المصدر الذي استمدت منه عناصر ثقافية ، لم تكن في متناول يديها قبل احتكاكها بهذه المنطقة الحيوية ، وفي الوقت ذاته كان الشرق الأدنى[٢] هو المحرض «الدافع» الدائم الذي شكل تحدياً لأوروبا ، من خلال طرحه أفكاراً جديدة ، وإشكاليات غريبة معقدة ، اضطرتها إلى البحث المتوتر والنشيط بغية التوصل إلى حلول معقولة لتلك الإشكاليات والمعضلات ، وبدءاً من المرحلة الأخيرة في القرون الوسطى لعبت الثقافة الإسلامية دور المنافس والمعارض عقلياً وروحياً لمكونات الحضارة الأوروبية في تلك الآونة»[٣] .

وقد لعبت عوامل تاريخية ، وسياسية ، واقتصادية ، ودينية قبل ذلك كله ، في أن تجعل بلاد المشرق الإسلامي ، لاسيما أرض الشام مسرحاً للصراع بين الإسلام والنصرانية ، فمدينة القدس تشكل مكاناً مهماً لكلٍّ من الإسلام والنصرانية واليهودية أيضاً .

ويؤثر الموقف الديني لأي طرف على بقية الأطراف الأخرى ، وقد ظهر هذا الموقف واضحاً إبان الحملات الصليبية خلال القرنين الخامس والسابع الهجريين ، الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين ، عندما نظم الغزاة النصارى القادمون من أوروبا الغربية ثماني حملات رئيسية ، فيما بين (٤٩٠-٦٦٩هـ/١٠٩٦/١٢٧٠م) ، وكسب الصليبيون بعض المعارك ، وأسسوا ممالك[٤] على طول الساحل الشرقي

---

(١) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ١٢١ .

(٢) الشرق الأدنى : اسم يطلق على المنطقة التي تشمل آسيا غير السوفيتيه من البحر الأبيض المتوسط ، إلى الحدود الشرقية لإيران بالإضافة إلى الجزء الشمالي الشرقي من إفريقيا ، ويطلق كثير من الناس اسم الشرق الأوسط على هذه المنطقة . الموسوعة العربية العالمية ، ١٤/٩٦ .

(٣) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٣٣ .

(٤) أسس الصليبيون أربع ممالك صليبية بالشام بعد الحملة الصليبية الأولى مباشرة ، وهي : إمارة الرها ، وهي أول الإمارات الصليبية أسسها بلدوين عام (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) ، واستمرت حتى

للبحر المتوسط[١] .

اتسمت الحملات الصليبية بطابع ديني للبعض أو أنها استخدمت الدين للنهب وإطفاء شهوة الصراع للبعض الآخر ، واقتصرت على منطقة جغرافية محدودة ، نتج عنها تفكيك بلاد الشام ؛ إذ أقيمت به أربع ممالك صليبية ، وقد استطاع صلاح الدين الأيوبي هزيمة الصليبيين في معركة حطين (Hattin)[٢] (٥٨٣هـ /١١٨٧م) ، وأعطى الأمان لمن تبقى من الأوروبيين في القدس وبعض المدن ، فعادت إلى سابق عهدها تنعم بالسلام[٣] .

وبالرغم مما قيل من تأثير الحروب الصليبية على أوروبا في مجال الفكر ، إلا أن الامتزاج الحضاري بين المسلمين والغرب في بلاد المشرق لم يكن بنفس المستوى الذي كان عليه في الأندلس وصقلية ، كما أن عدد المترجمات عن هذا المركز لم تصل في عددها ما ترجم في بقية المراكز ، فما السبب في ذلك؟

بالنظر إلى حياة الصليبيين في بلاد المشرق الإسلامي نجد أنهم قد أتوا إليها محاربين لا طلاب علم ، وامتازت حياتهم في هذه البلاد بما تتصف به حياة الجنود عادة من خشونة ، إضافة إلى حياة الحرب المستمرة مع المسلمين التي لا تتوقف إلا فترات قليلة ، ولم تتح لهم هذه الحياة الاستقرار لمباشرة النشاط الفكري

=

(٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، إمارة أنطاكية ، أسسها بوهيموند الأول عام (٤٩٢هـ/١٠٩٨م) ، وحتى سنة (٦٦٧هـ/١٢٦٨م) ، مملكة بيت المقدس ، أسسها جودفري ، عام(٤٩٣هـ/١٠٩٩م) ، واستمرت حتى (٦٩١هـ/١٢٩١م) ، عندما سقطت عكا ، وقد كان هناك بعض الأراضي التابعة لتلك المملكة ، أمارة طرابلس ، أسسها ريموند عام (٤٩٨هـ/١١٠٤م) ، واستمرت حتى سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) . عاشور : الحركة الصليبية ، ١/ ٤١ وما بعدها ؛ ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ١٤٦-١٥٠ .

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، ١/ ٤١ وما بعدها ؛ عبدالمنعم : الغرب أصل الصراع ، ٣٤-٣٥ .

(٢) معركة حطين : إحدى المعارك التاريخية الفاصلة بين المسلمين بقيادة صلاح الدين والصليبيين في بلاد الشام ، انتصر فيها المسلمون وأسفرت عن سقوط مملكة القدس وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون . ابن شداد : النوادر السلطانية ، ٧٩-٨٠ .

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ، ٢/ ٦٢٥-٦٣٨ .

والحضاري ، ولم تتح لهم فرصة الاتصال السلمي مع المسلمين بالقدر الذي أتيحت به لإخوانهم الأوروبيين في صقلية والأندلس ، وعلى الرغم من أن الصليبيين أسسوا لهم إمارات في بلاد الشام ، كما أسسوا مملكة بيت المقدس الشهيرة ولكنها لم تكن سوى معاقل أو ثكنات حربية متناثرة وسط محيط من الأعداء[١] .

وقد أتى الصليبيون إلى بلاد المشرق وهم يحملون تصوراً أنهم سيلاقون أمامهم قوماً كفاراً جهلاء ، ولكنهم دهشوا غاية الدهشة حين وجدوا المسلمين يفوقونهم علماً وحضارة ، إلا أنهم لم يستطيعوا الاستفادة من هذه الحضارة كما استفاد النصارى في الأندلس وصقلية منها ، ولعل ذلك لأنه لم يكن بين الحكام الصليبيين في ممالكهم بالشام من كان يعنى بالعلوم كما كانت الحال في بقية المراكز الأخرى[٢] .

ويرجع بعض الباحثين سبب قصور الصليبيين عن نقل علوم المسلمين والاستفادة منها إلى أن نقل العلوم من أمة إلى أخرى لايتم إلا أن يكون بين الأمم تقارب في مستوى الثقافة ونوعها ، ولم يكن عند الصليبيين قدر كاف من الحضارة أصلاً ، تسمح لهم باستيعاب العلوم العربية ، ومع حاجتهم إليها فإنهم لم يريدوا أن يتعلموا منها ما لم يكونوا يعرفون ، ولو أرادوا ذلك ما استطاعوه[٣] .

على أنه يجب أن لا يغرب عن البال أن الحروب الصليبية قد فتحت أعين الغربيين على الشرق ، وإلقاء ضوء ولو كان خافتاً على بعض البلدان الإسلامية وبخاصة مصر والشام ، مما صار له أبعد الأثر بالنسبة لتاريخ الشرق الإسلامي فضلاً عن مستقبل العلاقات بين الشرق والغرب[٤] .

ومن المسلم به لدى المؤرخين الغربيين أن فترة هذه الحروب قد رافقتها حركة

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/ ٤٨٤-٤٨٥ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٦٦ .

(٢) جميعان : المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية من خلال الحروب الصليبية ، ١٤٣ ؛ حسين : في الطب والأقرباذين ، ٢٨٤ .

(٣) حسين : في الطب والأقرباذين ، ٢٨٦-٢٨٧ .

(٤) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/ ٤٨٥ ؛ المقداد : الدراسات العربية في فرنسا ، ١٨ .

تيقظ في أوروبا يدعوها بعضهم بـ(النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر) ، وقد نقل بعض العائدين من المشرق الإسلامي إلى بلادهم بعض المخطوطات العربية المتعلقة بعلوم المسلمين ، ومنهم من أتقن اللغة العربية في المشرق الإسلامي ، وبوجه عام فقد أدت هذه الحروب إلى تحول كبير في العقلية الغربية التي شرعت في دراسة الحياة الإسلامية ، حيث تأكد لها أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير ، فهم أمة ناهضة تحررت من قيود بالية كانت لا تزال في الغرب محل القداسة ، وكانت هذه الحروب سبباً في انتشار الاستشراق على نطاق واسع جداً ؛ إذ أدى قيامها إلى ازدياد روح التعصب الديني ، وانعكست هذه الروح على الاستشراق ، فبدأ الجاحدون للإسلام من الأوروبيين يتعلمون اللغة العربية ، ويترجمون علوم المسلمين لا حباً فيها ، ولكن ليتخذوها وسيلة إلى فهم الدين الإسلامي ، وسلاحاً في مناقشته[١] .

بيد أن كثيراً من اللاتين استقر في بلاد الشام ، واستفاد من علوم المسلمين في مؤلفاتهم التي صنفوها بلغتهم ، أمثال : وليم الصوري ، وحنا الأبليني ، وفيليب نافاري ، وغيرهم[٢] .

أما إذا بحثنا عن مدارس للترجمة من العربية إلى اللاتينية في هذا المركز ، فإننا نكاد نجزم بأنه لم يكن هناك أي مدرسة تختص بالنقل من العربية إلى اللاتينية فترة الدراسة ، وما تم من ترجمات للمؤلفات العربية كان عن طريق الجهود الفردية للمترجمين مثلما فعل كل من : ستيفن الأنطاكي ، (وجد في ق٦هـ/١٢م) ؛ حيث إنه قد ولد بمدينة بيزا الإيطالية ونشأ بها ، ثم أخذ يتنقل بين مراكز العلم فكان أحد تلامذة مدرسة سالرنو ، ثم اتجه جنوب بلاد الشام وأقام بها وتحديداً بمدينة أنطاكية (Antioch)[٣] ، فتعلم هناك اللغة العربية واقتنى عدداً من مخطوطات العرب –التي

---

(١) المقداد : الدراسات العربية في فرنسا ، ١٨ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ٧٤ .

(٢) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٤٨٥ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ١١٩ .

(٣) أنطاكية : مدينة تركية واقعة على نهر العاصي قرب مصبه في البحر المتوسط ، وكانت من أهم المدن الكبرى في العالم القديم ، فتحت سنة (١٥هـ/٦٣٦م) . ياقوت : معجم البلدان ، ١/٣١٦ ؛

كان يبحث عنها - على حد تعبيره ، كما أنه كان على معرفة باللغة اليونانية[١] .

ومن بين الكتب العربية التي حصل عليها كتاب (كامل الصناعة الطبية) ، أو (الكتاب الملكي) ، لعلي بن العباس ، وقد أتم ترجمته سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) ، كما ذكر ذلك بنفسه ، في المكان الذي اختاره مقاماً له ، وهو أنطاكية[٢] .

وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، أن ستيفن قام بعمله هذا في بيزا موطنه الأصلي ، إلا أن هذا الظن لا يلبث أن يتلاشى خاصة إذا علمنا أن البيزيين كان لديهم جماعة في أنطاكية منذ عام (٥٠٢هـ/١١٠٨م) ، وهو المكان الذي تمت فيه ترجمة الكتاب الملكي كما ألمحنا من قبل ، وقد أضاف ستيفن في آخر الترجمة معجماً يونانياً - لاتينياً - عربياً للاصطلاحات الفنية عند ديوسقويدس ، وتعد ترجمته هذه أصدق من ترجمة قسطنطين الأفريقي للكتاب نفسه بكثير ، حيث أشار إلى اسم مؤلف الكتاب الحقيقي ، وفضح انتحال قسطنطين له[٣] .

وإلى أنطاكية - أيضاً - تنسب ترجمة كتاب سر الأسرار ، أو السياسة في تدبير الرياسة ، المنسوب لأرسطو ، وقد اضطلع بهذه الترجمة فيليب الطرابلسي ، (Philip Of Tripoli) ، (وجد في النصف الأول من ق٧هـ/١٣م) ، الذي كان في خدمة مطران طرابلس(Tripolis)[٤] ، ويدعى جويدو البلنسي (Guido de Valencia) ، فأهدى إليه ترجمته هذه ، ويذكر فيليب في مقدمة ترجمته أنه وجد هذه الدرة الفلسفية التي تتضمن كل

=

شامي : موسوعة المدن العربية ، ٣٠٨-٣٠٩ .

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٤٣ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٩ ؛ Haskins:studies in the history of mediaval science,١٣١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٤٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٧٩ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٩ ؛ عبدالله الربيعي : أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية ، ط١ ، الرياض ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م ، ١٣٤ ؛ Haskins : studies in the history of mediaval science,١٣١ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٤٣ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٣٤ .

(٤) طرابلس : بلدة بأرض الشام على ساحل البحر ، فتحت سنة (٢٣هـ/٦٤٣م) ، وهي اليوم مدينة لبنانية بعد أن كانت ضمن الأراضي السورية . ياقوت : معجم البلدان ، ٤/٢٨ ؛ مصطفى : موسوعة دول العالم ، ٤٣ .

مفيد في كل علم أثناء مقامهما معاً في أنطاكية ، وأن جويدو سُرَّ كثيراً بهذه الترجمة المهداة إليه ، ويبدو أنه أتم ترجمته هذه في النصف الأول من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، لأن روجر بيكون استعان بترجمته في شرح كتاب السياسة في تدبير الرياسة ، وقد ألف هذا الشرح على أكثر تقدير سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م)[١] .

وبما أنه من المفترض أن تتوزع الترجمات في كافة الإمارات الصليبية لاسيما مملكة بيت المقدس التي كانت تمثل أهم مركز صليبي آنذاك ، إلا أنها وعلى قلتها اقتصرت على مدينة أنطاكية لوحدها دون سواها؟

لو رجعنا إلى مراكز الثقافة ، وأعدنا النظر إلى هذه المدينة بالذات ، لوجدنا أنها كانت من أهم المدن في منطقة الشام وآسيا الصغرى[٢] ، بل لا نبالغ إن قلنا إنها كانت من أهم مدن العالم القديم بأسره ، وذلك لمميزات خاصة تفوقت بها هذه المدينة عن غيرها ، فهي مدينة رئيسية منذ قديم الزمان ، كانت تتخذها الدولة البيزنطية قديماً عاصمة لمنطقة الشام بكاملها ولعدة قرون ؛ ولهذه الأهمية فقد كانت في مقدمة المدن التي فتحت على يد المسلمين سنة (١٥هـ/٦٣٦م) ، وأضحت بعد فتحها قصبة العواصم من الثغور الشامية ومن أعيان البلاد وأمهاتها ، وقد برز دور هذه المدينة عندما اتخذت الدولة الإسلامية في العصر الأموي دمشق عاصمة لها[٣] .

وأنطاكية مدينة دينية من الطراز الأول ، حيث يعظم النصارى شأنها جداً ، فهي أول مدينة أطلق فيها على أتباع المسيح اسم المسيحيين ، وبها أسس القديس

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ١٢٩ ؛ بدوي : الأصول اليونانية للنظرات السياسية في الإسلام ، ١/٤٤-٤٥ ؛

leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٤٤٦-٤٤٧ ,Haskins : studies in the history of mediaval science,١٣٧-١٣٨

(٢) آسيا الصغرى : شبه جزيرة في غربي آسيا ، وتقع بين البحر الأسود والبحر الأبيض المتوسط ، وهي تمثل الجزء الأسيوي من تركيا . ويطلق عليها البعض الأناضول . الموسوعة العربية العالمية ، ١٩٣/٢ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ٣١٦/١-٣١٧ ؛ القزويني : زكريا بن محمد ، (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، (ط.د) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ١٥٠ .

بطرس أول أسقفية له ، كما أنها صاحبة تاريخ تجاري عظيم ، فهي من أعظم المراكز الاقتصادية في المنطقة ، بل إنها كانت من مراكز التبادل التجاري المشهورة بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية في الفترات التي كان السلم يغلب فيها على العلاقة بين الدولتين[١] .

أما من الناحية العلمية ، فقد برزت أهمية أنطاكية بأنها من أهم مراكز الثقافة اليونانية ؛ حيث انتقل التعليم إليها من مدرسة الاسكندرية ، فتكونت بها مدرسة إبان القرن الأول الميلادي ، اتخذت من العلوم اليونانية نواة المنهج المدرسي بها ، وكان للمنطق أهميته ، وحظي أرسطو بمكانة خاصة بها ، وإبان العصر الإسلامي وتحديداً في عهد عمر بن عبدالعزيز اشتهرت هذه المدينة عندما نقلت إليها أجزاء من مكتبة الاسكندرية واستطاعت بما حوته من مدرسة أن تهيء للمسلمين معظم المستلزمات الثقافية من مخطوطات وغيرها ، والتي كانوا يجوبون مختلف المناطق بقصد الحصول عليها ، فوجدوا ضالتهم من مخطوطات اليونان في هذه المدينة العريقة[٢] .

وبعد أن عرفنا سبب احتضان مدينة أنطاكية لمترجمات العلوم العربية إلى اللاتينية دون سواها من مدن المشرق ، نود أن ننوه إلى أمر في غاية الأهمية يخص بلاد المشرق ودورها في الترجمة ، فهي وقبل كل شيء كانت بمثابة المركز الأول لكثير من المترجمين الذين أتوا إليها لتعلم اللغة العربية ، ومن ثم العودة إلى أوطانهم والانخراط في سلك الترجمة من العربية إلى اللاتينية في المراكز الأخرى ، بالإضافة إلى اقتنائهم كثير من المخطوطات ونقلها عبر هذا المركز .

ومن أبرز الذين أتوا إلى هذا المركز لغرض تعلم اللغة العربية المترجم إدلارد الباثي الذي زار بلاد المشرق في رحلة طويلة من أوروبا ، وظل بطرطوس ثم بيت المقدس ، وتعلم خلال مقامه اللغة العربية وكثيراً من علوم المسلمين لاسيما الرياضيات والفلك ، وبعد عودته إلى الأندلس كان في مقدمة مترجمي مدرسة

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ١/ ٣١٧ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٥/ ٢٣ .

(٢) الجميلي : حركة الترجمة والنقل في المشرق ، ١١٧-١١٨ ؛ علي النملة : مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين ، ط١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، ٤٦ .

طليطلة ، ثم معلماً للأمير هنري الثاني ملك أنجلترا[١] .

أما مارس يعقوب جوليوس (ت١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) فقد ارتحل إلى المشرق وتحديداً بلاد الشام ، وطال به المقام في مدينة حلب ، حيث قضى بها ثلاث سنوات ، زار أنطاكية وعدداً من المدن السورية الأخرى ، فجمع عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة ثم عاد إلى بلده هولندا[٢] .

وهكذا نجد أن بلاد المشرق كانت بمثابة منجم لتوفير وسائل الترجمة من اللغة والمخطوطات أكثر من أن تكون مدرسة لممارسة الترجمة بها ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى :

١ - أنه لم تكن بلاد المشرق مكاناً آمناً لإنشاء مدارس للترجمة ، مثلما كان الحال في صقلية والأندلس التي خضعت لسيطرة دول نصرانية اهتمت بأمر الترجمة ورعتها .

٢ – كان كثير من المترجمين يأتون إلى بلاد المشرق لغرضين :

إما لتعلم اللغة العربية مثلما كان الحال في دير عكا الذي أسسه الرهبان الفرنسيسكانيون سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) ، بهدف تعليم اللغة العربية ، أو لغرض شراء المخطوطات واقتنائها ، والتي كانت تأتي عن طريق الاستيلاء المصاحب للحملات العسكرية مثلما كان في الحروب الصليبية ، أو عن طريق الهدايا والتبادل الذي كان يحصل بين الغرب والمسلمين بواسطة البعثات والسفراء ، أو عن طريق الشراء سواء كان شخصياً أو رسمياً ، فالأول تم عن طريق الرحالة والمستشرقين الذين جابوا العالم الإسلامي ، والثاني كان -وهو الشراء الرسمي- عن طريق البعثات والمؤسسات[٣] .

---

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٢ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ jourdain:recherches critiques sur lage Et lorigine des Traductions latines,٩٧ .

(٢) جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، ٢٢-٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٤ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٠ ؛ الزيادي : الاستشراق ، ١٠٨ .

ولم يتشكل بهذا المركز كوكبة من النقلة مثلما كان في المراكز الأخرى ، لاسيما وبلاد الأندلس أقرب مسافة وأقصر وقتاً من بلاد المشرق .

٣ – لم تكن اللغة اللاتينية منتشرة في بلاد المشرق مثلما كان الحال في الأندلس ، بل إن كثيراً من النصارى المشارقة كانوا يتقنون اللغة العربية أكثر من أي لغة أخرى ، إضافة إلى اللغة اليونانية والسريانية ، أما اللغة اللاتينية فقد انتشرت أكثر ما انتشرت في أوروبا الغربية ، ومن ثم انحدرت إلى الأندلس وصقلية ، وكان انتشارها بالمشرق أقل من غيرها ، وحتى الصليبيون لم يكونوا ذوي اهتمامات علمية ومعرفة بقواعد اللغات حتى يهتموا بالترجمة[١] .



(١) ويت : اللغة اللاتينية وآدابها «ضمن موسوعة تاريخ العالم» ، نشرها السير جون هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ، ٣/٥٥٧-٥٦٣ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨ .

المبحث الرابع :
بقيـــــة الـــدول الأوروبـــيـــة

شـاركت مجموعـة مـن الـدول الأوروبيـة في عمليـة الترجمـة مـن العربيـة إلى اللاتينية ، وبرزت مدنها كمراكز للنقل أدت دوراً كبيراً في انتقال الفكـر الإسـلامي إلى الغرب عن طريقها ، منها :

أولاً : إيطاليا (Italy) :

بدأت العلاقات الإسلامية الإيطالية منذ وقت مبكـر ، فبعـد أن فـتح المـسلمون صقلية وبقية جزر البحر المتوسط كانوا يقومون بغارات خاطفـة عـلى جنـوب إيطاليـا ، استطاعوا خلالها أن يستولوا على بعض المدن ويؤسسوا لهم مستوطنات بها ، ولم يكتفـوا بذلك بل نجدهم يهاجمون مقر البابويـة والكنيـسة الكاثوليكيـة ، مدينـة رومـا ، حيـث سارت حملة إسلامية كبيرة في سـنة (٢٣١هــ/٨٤٦م) متجهـة صـوب الـشمال بحـذاء الشاطئ الإيطالي ، وقد هاجمت هـذه الحملـة عـدداً مـن المـوانئ الإيطاليـة في طريقهـا ، ودخلت نهر التيبر (Tevere)[1] ، محاولة الوصول إلى روما .

وقد تمكنت هـذه الحملـة الـدخول إلى المدينـة ، وحـازت عـدداً مـن الغنـائم الموجودة بكنيستي القديس بولس ، والقديس بطرس[2] .

ولم يكتف المسلمون بذلك ، بل نجدهم يقومون بتجهيز حملة ثانية عـلى نفـس المدينة ، أكثر تنظيماً من ذي قبل ، اشترك فيهـا عـدد مـن المجاهـدين الأندلـسيين ، فالتقى الأسطول الإسلامي بالأسطول الإيطالي ، وتشير الروايات إلى أن المـسلمين انسحبوا بسبب عواصف شديدة دمرت المراكب ، إلا أنهم أحدثوا رعبـاً في قلـوب

---

(١) نهر التيبر هو ثـاني أطـول نهـر في إيطاليـا ، يبـدأ في سلـسلة جبـال توسـكان ويتـدفق جنوبـاً لمسافة (٤٠٥كم) ، وفي نهايته يعبر مدينـة رومـا قبـل أن يـصب في البحـر الأبـيض المتوسـط . مـصطفى : موسوعة دول العالم ، ١٤٧ .

(٢) رينو : الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويـسرا ، ١٣٩ ؛ ماجـد : العلاقـات بـين الـشرق والغرب ، ١٠٤ .

الأعـداء ، لدرجـة أن البابـا يوحنـا الثـامن (Jean vIII) (٢٥٩-٢٦٩هـ/٨٧٢-٨٨٢م) أقر بدفع الجزية لهم لمدة عامين[١] .

أحدثت هـذه العلاقـات بـين الإسـلام والنـصرانية ردة فعـل عنيفـة بالنـسبة للكنيسة الكاثوليكية ومقرها روما ، فكانت من أكبر المحاربين للعلم وخاصة العلم الإسلامي الذي أقلق كيانها طوال العصور الوسطى ، مما جعلها تتخذ كل الوسـائل للحد من انتشاره أو تغلغله بين أبناء ملتها ، ومحاربته بكل قوة ؛ لأنه يمثل الإسـلام ومن ثم انتشاره في أوروبا يحدث انهياراً للكنيسة ذاتها حين ينهار الدين الـذي تمثلـه وتدَّعي حمايته[٢] .

إلا أن الكنيسة اضطرت مكرهة أن تقبـل هـذا التيـار الإسـلامي ، وذلـك أن الفكر الأوروبي في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي كان مهيئـاً لقبـول تيارات الحضارة الإسلامية سواء رضيت الكنيسة أم لم ترض ، كما أنها استغلت هذا الفكر في محاربة الإسلام نفسه ، وكلفت كتَّابها مـن قـساوسة ورهبـان وغـيرهم أن يهاجموا الإسلام وكتابه ونبيه ، ويـشوهوا صـورته في أعـين الأوروبيـين[٣] بواسـطة الترجمة ، فانتشرت مراكزها في إيطاليا ، وشملت كافة مدنها .

ففي مدينة روما المقر البابوي للكنيسة الكاثوليكية أنشئت جامعـة رومـا عـلى عهد البابا بنيفاس الثامن (Benevas VIII)[٤] سنة (٧٠٣هـ/١٣٠٣م) ، ثـم بلغـت قمة مجدها في أيـام نقـولا الخـامس (Nicola V) (ت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م)[٥] ، وليـو العاشر ، واهتمت بدراسة القانون المدني واللاهوت ، ولكنها مـا لبثـت أن التفتـت إلى الاهـتمام باللغـات الـشرقية ومنهـا العربيـة ، خاصـة بعـد قـرار مجمـع فينـا

---

(١) ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ١٠٤ .

(٢) قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، ٤٩ .

(٣) السامرائي : الاستشراق ، ٧٧ .

(٤) بنيفاس الثامن : أسقف فرنسي اختير لمنصب البابـا عـام (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) . الموسـوعة العربيـة العالمية ، ٥/٣٤٠ .

(٥) نقولا الخامس : كان أول بابوات عصر النهـضة الحقيقيـين ، إذ رعـى كثـيراً مـن المجـالات العلميـة آنذاك . نفس المرجع ، ٢٥/٥٠٣ .

(٧١٢هـ/١٣١٢م) ، فأنشئ بها كرسي للعربية على غرار الجامعات الأخرى[١] .

وفي سنة (٩٩٢هـ/١٥٨٤م) أسس البابا جريجوريوس الثالث عشر (Gergory XIII) (ت٩٩٣هـ/١٥٨٥م)[٢] الكلية المارونية في روما ، وقد تخرج منها نخبة من المتخصصين باللغات الشرقية انتشروا في حواضر البلدان الأوروبية[٣] ، منهم : إبراهيم الحاقلاني الماروني (Abraham Enchellensis) (١٠٧٥هـ-١٦٦٤م) ، وهو من رجال الدين الموارنة الذين عملوا في أوروبا .

وعمل مترجماً عربياً للبابا ، واشترك مع آخرين في نشر كتب عربية مع ترجمتها إلى اللغة اللاتينية .

وإلى هذا المترجم أسندت مهمة أمانة مكتبة الفاتيكان (vatican)[٤] ، والتي نشأت في عهد أوائل البابوات ، وكانوا يحرصون عليها مع ثمين ذخائرهم حتى تبددت في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، ثم أعادها البابا نقولا الخامس ، وجعلها مقراً للتراث الإنساني ، وابتاع لها الكثير من المخطوطات ، واستقدم علماء لترجمتها ، فتحولت المكتبة الفاتيكانية إلى مصنع للناسخين والمترجمين والمؤلفين ، ثم ازدادت مقتنياتها بمخطوطات قبطية وعربية إبان القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، وفي هذا الوقت عين إبراهيم الحاقلاني أميناً لقسم المخطوطات السريانية والعربية منها ، ثم خلفه ابن أخته : حنا نمرون ، (Hanna Nairon) ، وقد وضع بمعاونة ابن أخته أول فهرس لمخطوطاتها

(١) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٣٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٤٠٥ ؛ جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ١٠٨ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٣١٢ .

(٢) جريجوري الثالث عشر : انتخب بابا سنة (٩٨٠هـ/١٥٧٢م) بإيطاليا ، وكرس عهده للإصلاح الكاثوليكي . الموسوعة العربية العالمية ، ٨/٢٧٩ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/٤٠٥ ؛ جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ٨٤ .

(٤) الفاتيكان : محل إقامة بابا روما ، وتبلغ مساحته حوالي (١١٠) فدان ، وفي عام (١٢٨٧هـ/١٨٧٠م) أصبحت هذه الدولة جزء من إيطاليا ، وبموجب اتفاقية لتران سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) عين البابا حاكماً عليها على سبيل التعويض . وقد تم توقيع وثيقة تاريخية بين إيطاليا والفاتيكان في عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) ، تعترف إيطاليا بموجبها ولأول مرة بحق كل منهما أن تكون دولة مستقلة ذات سيادة . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/١٦٩ .

الشرقية سنة (١٠٧١هـ/١٦٦٠م)[١] .

وإلى روما أيضاً نسبت عدة ترجمات لكتب عربية ، وقد ترجم ناثان المئوي (Nathan ha meati) أواخر (ق٧هـ/١٣م) أمثال وحكم أبقراط ، ترجمها مع شروح جالينوس عليها إلى العبرية من العربية مباشرة ، والأهم من ذلك ترجمته لكتاب القانون في الطب لابن سينا ، وهو من أهم ما نقله إلى العبرية من مؤلفات عربية ، وقد تمت الترجمة في روما أيضاً سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ، وكتاب المنتخب في أمراض العيون لعمار بن علي كان حياً (٣٨٦ هـ/١٩٩٦م)[٢] ، وكتاب للرازي في الأوعية الدموية ، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي ، وكتاب الأغذية لابن زهر[٣] .

ومن روما أيضاً خرجت ترجمة لاتينية للقرآن الكريم ، برعاية من أيكيديو الفيتربي (Egidio de viterbo) عاش حوالي (٨٧٠-٩٣٩هـ/١٤٦٥-١٥٣٢م) ، وقد قام بهذا العمل شخص يدعى جيوفاني كابريللي التيروالي (Giovanni Gabriele terolla) الذي أكمل العمل عام (٩٢٤هـ/١٥١٨م) ، وكان للشخصية المعروفة ليون الأفريقي علاقة بهذه الترجمة ؛ إذ عمل محرراً ومصححاً لها[٤] .

ولم تنفرد مدينة روما لوحدها بهذا الأمر بل شاركتها في ذلك مدن إيطالية أخرى كمدينة البندقية التي استغلت أهميتها الاستراتيجية كونها ميناءً مطلاً على البحر المتوسط ، مما عزز علاقتها بالعالم الإسلامي في مجال التجارة ، ومن ثم تبادل العلاقات العلمية عن طريق هذا المجال الاقتصادي[٥] ، فخرجت منها عدة مؤلفات لفلسفة ابن سينا ، اضطلع بها هيرونمس راموسيوس (Heronymus

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/٤٠٩ ، ٣/٣٢٤ .

(٢) عمار بن علي الموصلي : كان طبيباً مشهوراً ، وكان يسمى كحال العرب ، له عدة تواليف . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٤٩ .

(٣) أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٢-١٤٣ .

(٤) ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ .

(٥) ميجيل آسين : أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ، ترجمة : جلال مظهر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠م ، ٢٢٩ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٣٠٣ .

Ramusius) (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) ، وهو أحد أطباء البندقية الذين زاولوا الطب بدمشق سنة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) ، فتعلم العربية وتبحر في الفلسفة ، وقام بعمله هذا بعد عودته إلى وطنه مع شروح مستفيضة لترجماته[١] .

ومن البندقية أيضاً ظهرت ترجمة لاتينية لكتاب التيسير لابن زهر اضطلع بها طبيب يدعى باتافينوس (Patavinnus)[٢] ، بمساعدة المترجم يعقوب اليهودي (Jacobus Hebraeus) (ق٧هـ/١٣م) ، سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)[٣] .

ومن جنوى ظهرت ترجمات مؤلفات عربية إلى اللغة اللاتينية على يد سيمون الجنوي (Simon Of genova) (عاش في ق٧هـ/١٣م) ، فقد ترجم كتاب الأقرباذين[٤] لأبي القاسم ، وكتاب يوحنا بن سرابيون[٥] كما يسمى أحياناً في الأدوية المفردة ، ثم ألف هذا المترجم معجماً في المادة الطبية ، استقاه من مؤلفات ابن ماسويه والرازي وأبي القاسم وعلي بن العباس وابن سينا وابن سيرافيه وغيرهم ، ويبدو أن تأليفه هذا كان نسخاً حرفياً للمؤلفات العربية السابقة ، كما جرت العادة لمترجمي اللاتينية ، ثم ينسبونها على أنها من تأليفهم الخاص[٦] .

وإذا تركنا جنوى لننتقل إلى مدينة بادوا حيث أولى الجامعات الإيطالية الناشئة سنة (٧٦٣هـ/١٣٦١م) ؛ إذ إنها كانت قبل هذا التاريخ عبارة عن مدرسة للحقوق لا جامعة ، ثم أصبحت إحدى الجامعات العملاقة في إيطاليا ،

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٦ .

(٢) هناك شك حول صيغة اسم هذا المترجم ، والغالب أن اسمه الحقيقي ما ذكرناه في المتن ، ويرجح لكليرك أن هذا الاسم مستعار . حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٤ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٩٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٤ ؛ سعد البشري : أثر الدراسات الطبية في الأندلس على أوروبا ، مجلة العصور ، م٥ ، ج١ ، جمادى الثاني ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ١٦٩ .

(٤) الأقرباذين : يعني دستور الأدوية أو الصيدلة ، كتاب يحوي قوائم العقاقير وبياناً بمركباتها ، والجرعات التي يمكن تناولها بأمان . الموسوعة العربية العالمية ، ٢/٤٣٠ .

(٥) يحيى بن سرابيون : طبيب نبغ في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، من أهل العراق ، ألف بالسريانية . النديم : الفهرست ، ٣٥٨ .

(٦) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٣٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٤ .

واستقطبت إليها كبار الدارسين والمدرسين[١] ، منهم المترجم : أندريا الباغو (Andrea ALpago) (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ، الذي التحق بجامعة بادوا لدراسة الفلسفة والطب ، وكانت العلوم العربية الإسلامية تحاط باهتمام كبير في هذه الجامعة آنذاك ، والترجمات اللاتينية لتلك العلوم كانت تحتل حيزاً كبيراً في مقرراتها الدراسية[٢] .

وكان أندريا يرى أن تلك الترجمات اللاتينية غير دقيقة ، وأنها قاصرة عن إعطاء المعنى الذي أراده المؤلف المسلم ، ولتحقيق رغبته في قراءة تلك العلوم بلغتها الأصلية قبل عرضاً من قنصلية البندقية في دمشق ، فاتجه إليها سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) ، ومكث فيها ثلاثين عاماً تقريباً ، ثم اتجه إلى قبرص سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) ، وبقي بها ثلاث سنوات ، ومنها عاد إلى إيطاليا سنة (٩٢٧هـ/١٥٢٠م) ، محملاً بمخطوطات في الطب الإسلامي ، وبعد وصوله بقليل عين أستاذاً للطب السريري في نفس الجامعة التي تتلمذ فيها (بادوا)[٣] .

استطاع اندريا خلال هذه المدة الطويلة أن يجمع ذخائر مخطوطاته الطبية ، وأن يحملها معه إلى شمال إيطاليا ليقدمها لقومه ثماراً فكرية يانعة ، لاسيما أعمال ابن سينا وابن النفيس التي صحح كثيراً من ترجماتها السابقة ، ككتاب القانون في الطب لابن سينا ، والأرجوزة في الطب لابن سينا أيضاً مع شروح ابن رشد عليها ، وموجز القانون ، وهو الذي ألفه ابن النفيس كشرح مطول للقسم الطبي من كتاب القانون ، ويحوي الدورة الدموية الصغرى وغيرها[٤] .

وإلى بادوا أيضاً نسب المترجم ساليو (Salio) ، ترجم في حدود سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) ، بمساعدة شخص اسمه داود رسالة أبي بكر في التنجيم ،

(١) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/ ٢٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٤٠٥ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٤١٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٥٧ .

(٣) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٦٣-٦٤ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٤١٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٥٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ١١٦ ؛ الجليلي : تأثير الطب العربي في الحضارة الأوروبية ، ٢٠٠ .

اسمها : كتاب المواليد ، وكتاب الكواكب[1] .

ثانياً : فرنسا (France) :

بدأت العلاقات بين فرنسا والمسلمين منذ وقت مبكر ، يرجع إلى فتحهم لبلاد الأندلس ، ومن ثم توغلهم في الأراضي الفرنسية وضم مقاطعات منها إلى حوزتهم[2] ، وبالرغم من أن هناك إجماعاً لدى كثير من المؤرخين على أن البداية

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٣-١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٣ .

(٢) حاول الإسلام الاستيطان في فرنسا عبر العصور في أربع موجات ، تلاشت الواحدة تلو الأخرى ، ولم تترك في المجتمع الفرنسي إلا آثاراً صغيرة لا تكاد تذكر ، أول هذه الموجات كانت من الأندلس سنة (٩٨هـ/٧١٦م) ، تحت إمارة الحر بن عبدالرحمن الثقفي ، الذي فتح أربونة سنة (١٠١هـ/٧١٩م) ، وضم كل منطقة لانجدوك وسبتمانية وروسيلون إلى الأراضي الإسلامية الأندلسية ، ولقد بقيت الآثار لأول مسجد بني في فرنسا في منطقة أربونة ، كما يوجد بها علامات إسلامية ، وبقايا خزفية ، وتوسعت الأراضي الإسلامية إلى أن ضمت كركسونة ونيمس ، بينما توقفت عند تولوز حيث استشهد السمح بن مالك الخولاني ، ثم توسع الفتح الإسلامي إلى أن ضم وادي الروم بفتح صخرة ليون ، ولم تتوقف هذه الحملة إلا في معركة بلاط الشهداء سنة (١١٤هـ) ، حيث استشهد الأمير عبدالرحمن الغافقي ، وقد تلاشى هذا الوجود الإسلامي الأول نهائياً سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م) ، بسقوط أربونة في يدي النصارى ، واضطر المسلمون إما إلى الهجرة أو الاندماج إلى أن اندثروا باستيعابهم في المحيط النصراني عبر السنين .

وكانت الموجة الثانية سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) عندما أرسل هشام الأول الأمير عبدالملك بن المغيث لفتح منطقة سبتمانية من جديد ، فحاصر أربونة ، وكركسونة وتولوزة ، وتلاشى هذا الوجود من جديد سنة (٢٢٧هـ/٨٤١م) .

أما الموجة الثالثة فقد ابتدأت في الجنوب الشرقي في فرنسا عندما أسس الأندلسيون ميناءً في فراكسينتوم على مصب نهر الرون ، التي توسعت إلى ان ضمت كل منطقة الألب البحرية ، والبروفانس ، بل وصل وجودها إلى سويسرا ، وهكذا سيطرت على كل جبال الألب ، وبعد مقاومة شديدة من كل القوى الأوروبية ضدها سقطت نهائياً سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) ، بعد أن عاشت أكثر من قرن ، وبقي الوجود الإسلامي سنين طويلة بعد اندثار سلطته السياسية .

اما الهجرة الرابعة وكانت سنة (١٠١٩هـ/١٦١٠م) على شكل وصول لاجئين من المطرودين الأندلسيين المورسكيين الذين تدفقوا على الأراضي الفرنسية بعشرات الآلاف خاصة في منطقتي الباسك واللانجدوك وروسيون ، واستقر عدد كبير منهم في فرنسا واندمج في المجتمع الفرنسي عبر السنين ، ولم تبق إلا آثاره التي توزعت إلى مناطق أبعد من الحدود الإسبانية ، كالبروفانس

الفعلية لحركة الاستعراب الفرنسية كانت إبان القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، إلا أن هناك وقائع تاريخية كثيرة ساعدت بشكل فعال في دخول الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي إلى الأراضي الفرنسية ، ومن ثم ظهور الأثر الواضح لهذه الحضارة منذ وقت مبكر يعود إلى ما قبل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي(١) .

إن المحاولات المستمرة للمجاهدين المسلمين في الاستقرار بأراضي فرنسية ، واتخاذها نقطة انطلاق إلى بقية المناطق الأخرى كانت ذات نتيجة مجدية في ظهور مراكز متخصصة تعنى بالحضارة الإسلامية وعلومها ، فمنطقة البروفانس والتي كانت تمثل مجموعة أقاليم جنوبي فرنسا لم تتأثر بسيادة مملكة الفرنجة الواقعة ما بين نهر اللوار ، وألمانيا شمالاً ، بل كانت أقرب إلى الأندلس في الحضارة والثقافة منها إلى بقية أوروبا الغربية(٢) .

وقد توغل المسلمون في مقاطعات البروفانس منذ القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وتجاوزوها حتى بلغوا مدينة نيس الواقعة إلى الجنوب من فرنسا ، وخالطوا أهلها ، واستمرت إقامتهم بها أكثر من قرنين من الزمان ، وإذا كانوا قد ارتدوا عن تلك الأصقاع بعد اشتباكهم مع الفرنسيين في حروب دامية فإن الأثر الذي تركوه فيها كان عميق الجذور ، ولم تنقطع صلتهم بأهلها حتى بعد جلائهم

=

والنورماندي وغيرها ، وبعد ذلك بقي الوجود الإسلامي قائماً في فرنسا على شكل مستبعدين من بلاد المغرب العربي والمشرق ، نتيجة حروب متواصلة مع المسلمين ، ولم تبدأ الموجة الخامسة إلا في أوائل هذا القرن ، نتيجة احتلال فرنسا لكثير من الأراضي الإسلامية بداية من الجزائر . عنان : دول الإسلام (عصر الأمارة) ، ٢٣١-٢٤١ وما بعدها ؛ السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ١٣-١٨ ؛ أندلوسي محمد : الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين ، المدرسة الفرنسية أنموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان ، ٢٠١٠م ، ٧٠-٧١ .

(١) بلاشير : قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ، وجهة نظر الاستعراب الفرنسي ، ط١ ، ترجمة : محمود المقداد ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٩٨٨م ، ٩ .

(٢) ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١٢٤ ؛ الخربوطلي : العرب في أوروبا ، ١٠٤ .

عنها[١] .

ولا ننسى في هذا السياق الحملات الإسلامية الخاطفة على فرنسا عن طريق البحر ، والتي أسفرت بدورها عن تأسيس عدد من المعاقل الحصينة ، كان أهمها قلعة فراكسينتوم ، والتي تطورت إلى ما يعرف في التاريخ باسم (القلال) أو دولة القلال ، ومع أننا لا نعرف إلا القليل عن هذه الدولة التي استمرت نحو خمسٍ وثمانين سنة (٢٧٧-٣٦٥هـ/ ٨٩٠-٩٧٥م) ، إلا أن المصادر الأوروبية تشير إلى أن قوتها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية أيضاً أثرت في فرنسا ؛ حيث إن المسلمين أدخلوا كثيراً من التحسينات المختلفة عن طريق هذه الدولة ، ولعل أهم مظهر لهذا التأثير هو دخول نصارى تلك النواحي في الدين الإسلامي الذي يعتبر بحق القطب الرئيسي الذي تدور حوله الدراسات العربية والإسلامية ، ومن ثم انتشار اللغة العربية على نطاق واسع[٢] ، فقد كان رجال الكنيسة الفرنسية يتحمسون -ولو بطريقة التأثير المعاكس- لتعلم اللغة العربية التي هي وعاء الثقافة الإسلامية الشاملة ، فهذا القديس هرتموت(Hertmote) رئيس دير سان غال(Saint-gall) ، وهو من رجال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، يتقن اللغة العربية ، ويصبح أمثاله لا يجدون غنى عن الاطلاع على لغة قوم استولوا على جانب من بلادهم ، فكانوا يذهبون إلى الأندلس فيقرأون العربية على أهلها ، وحتى إذا ما عادوا إلى وطنهم فرنسا نشروها ونشروا علومها معهم ، وخير ما يمثل ذلك هو الراهب الفرنسي جربرت أورلياك –السابق الذكر- الذي كان أول بابا في فرنسا ، وهو البابا الوحيد الذي تعلم اللغة العربية عند المسلمين في الأندلس ، وأمر بإنشاء مدرستين لتعليم هذه اللغة ، الأولى في روما مقر تقلده لمنصب البابوية ، والثانية في ريمس موطنه في فرنسا ، ثم أضيف إلى هذه الأخيرة مدرسة

---

(١) لوبون : حضارة العرب ، ٣١٥ ؛ رينو : الفتوحات الإسلامية ، ١٥١-١٥٢ ؛ أحمد درويش : الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٧م ، ٨ .

(٢) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية ، ٢٧٣-٢٧٤ ؛ السماك : عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ٣٤ وما بعدها ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١٣٧ .

شارتر ، وهكذا فتح جربرت أبواب الرحلة إلى البلاد الإسلامية[١] .

على أن عدداً قليلاً من طلاب المعرفة الفرنسيين استطاع الاغتراف من معين الثقافة والعلوم العربية في الأندلس ، في الوقت الذي ظلت فيه الجماهير غارقة في ظلمات الجهالة في هذه البلاد ، فكان للرحلة التي قام بها هذا العدد القليل من الفرنسيين إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، أبلغ الأثر في اهتمام فرنسا بنقل المعارف الدنيوية التي كانت خصيصة مميزة للمسلمين إلى اللغة اللاتينية ومحاولة نشرها في فرنسا ، وخير ما يدل على ذلك أن نسخة لاتينية من حكم أبقراط كانت تستخدم في التدريس بمدرسة شارتر بفرنسا عام (٣٨١هـ/ ٩٩١م) ، وكانت هذه النسخة عن أصل عربي[٢] .

إن الإعجاب الذي خامر نفوس أهالي فرنسا بالثقافة الإسلامية هو الذي دفعهم في فترة ما بعد المواجهات الساخنة إلى البحث عن المنجزات الحضارية الإسلامية والعكوف عليها والاستفادة منها ، ولقد تبدى هذا في فترات مبكرة منذ القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، فحين سقطت طليطلة سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) في يد ألفونسو السادس أسهم الفرنسيون إسهاماً واسعاً في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس[٣] ، ومن ثم سارع علماؤهم وعلى رأسهم

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٨٠-٨٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٤-٤٥٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٤٩٦-٤٩٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٧٨-١٧٩ ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١٣٨ .

(٢) سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٠٢ ؛ بوكاري : الاستشراق الفرنسي ٧٢-٧٣ .

(٣) أسهم الفرنسيون إسهاماً واسعاً في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس ، وقدموا للجبهة الإسبانية النصرانية على امتداد تاريخ المسلمين في الأندلس نجدات ومعونات كبيرة ومستمرة ، لم تنقطع وخاصة منذ سقوط طليطلة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، ويمكن للمؤرخ المستقصي لهذا الدور الجسيم الذي اضطلع به الفرنسيون أن يعتبر حملة إمبراطور الفرنجة شارلمان والتي قادها لغزو الأندلس سنة (١٦١هـ/٧٧٧م) ، فاتحة المدد الفرنسي الصليبي الذي تدفق تياره بعد ذلك وحقق نتائج حاسمة لصالح القوى والممالك النصرانية والإسبانية . سعد البشري : الدور الفرنسي في الحروب الصليبية ضد مسلمي الأندلس ، مجلة جامعة أم القرى ، السنة الثالثة ، ع٤ ، ١٤١١هـ ⁼

مطران طليطلة ريموندو -وهو فرنسي- إلى العكوف على كنوز المخطوطات الإسلامية في المدينة المستسلمة لدراستها وترجمة جانب منها ، وهذه المخطوطات بدورها حولت طليطلة إلى كعبة للدارسين من أرجاء أوروبا وفرنسا خاصة ، يلتقون جميعاً في محاولة ترجمتها إلى اللاتينية لغة الثقافة المشتركة لجنوب أوروبا في ذلك الحين[١] .

واستمر سعي الفرنسيين نحو المخطوطات الإسلامية والبحث عنها ، وأعطتهم فترة الحروب الصليبية منفذاً جديداً نحو معقل هذه المخطوطات في المشرق الإسلامي ، وجلبوا منها الكثير ، وقد أدى تزايد هذه المخطوطات القادمة من المشرق والأندلس إلى قيام كثير من مدارس الترجمة في هذا المركز[٢] كان أهمها :

١ - مدرسة مونبلييه :

يحيط كثير من الغموض نشأة مدرسة مونبلييه الطبية ،حيث تتضارب الروايات في تحديد نشأتها إلى :

أ - تقول إحدى الروايات أن مدرسة مونبلييه نشأت نتيجة انفصالها عن جامعة سالرنو في جنوب إيطاليا بعد أن هاجر من الأخيرة عدد كبير من العلماء حاملين معهم مؤلفات الطب الإسلامي ، ثم استقروا في مدينة مونبلييه مؤسسين بذلك مدرسة للطب متأثرة بالطب الإسلامي ، حيث حمل هؤلاء المهاجرون معهم مؤلفات أبي القاسم الطبيب الأندلسي الذي بعث الحياة في علم الطب في هذه المدرسة[٣] .

ب - أما الرواية الثانية فتشير إلى أن نشأة مدرسة مونبلييه كانت بواسطة

=

. ١٧٣

(١) أشباخ : تاريخ الأندلس ، ١٢٢ ؛ درويش : الاستشراق الفرنسي ، ١٠ .

(٢) درويش : الاستشراق الفرنسي ، ١٠ ؛ بوكاري : الاستشراق الفرنسي ، ٧٧ .

(٣) محمد الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، دراسة وتراجم ونصوص ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ١/١١٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٤٠ ؛ عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته،٦٠٨ .

الجاليات الإسلامية الفارة من جيوش شارل مارتل بعد انتصاره على المسلمين في موقعة بلاط الشهداء سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) ، وما تبع ذلك من تدمير للمستوطنات الإسلامية مما أدى إلى فرار كثير من اللاجئين من المناطق المخربة إلى إقليم مونبلييه ، وكان معظم هؤلاء اللاجئين مسلمين ، وينحدرون من أصول عربية أو على الأقل يعرفون اللغة العربية ، في حين كانت غالبية الأهالي في المنطقة المحيطة بهم على اتصال بالمسلمين وحضارتهم في الأندلس ، فاستمدت المدرسة معارفها الطبية منهم[١] .

وسواءٌ كانت هذه المدرسة وليدة جامعة سالرنو في جنوب إيطاليا ، أو أن مولدها جاء عن طريق المؤثرات التي انبعثت من الأندلس ، فالنتيجة بالنسبة لنا واحدة ، وهي أن هذه المدرسة نشأت بمؤثرات إسلامية في كلا الطريقين ، وما لبثت أن أحرزت شهرة واسعة فاقت مدرسة سالرنو في بعض الأحيان ، ثم ما لبثت أن حولت إلى جامعة إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، توافد عليها الطلاب من كل صوب ، واحتل الطب الإسلامي مركز الصدارة في برنامج التدريس فيها طيلة هذا القرن ، والقرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، فكان الأساتذة يشرحون كتاب ابن سينا ، والرازي ، وأبي القاسم الزهراوي ، الأمر الذي جعلها تحرز شهرة عظيمة على الصعيد الأوروبي في علم الطب بالذات[٢] .

ولا أدل على عمق تأثر كلية الطب بجامعة مونبلييه بالطب الإسلامي من المرسوم الشهير الذي أصدره البابا «كلمينت الخامس» في اوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وعلى وجه التحديد سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م) بناءً على اقتراح ومشورة من أساتذة الجامعة نفسها ، والذي ينص على أنه لا يمكن لأي

---

(١) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦١٦ ؛ فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ، ١٢٥ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/ ٤٣ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ٢١٠ ؛ عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦١٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١٣٨ .

طبيب أن يزاول مهنته إلا بعد أن يؤدي امتحاناً في كتب معينة ، منهـا مؤلفـات ابـن سينا ، والرازي ، وحنين ابن إسحاق ، وغيرهم[١] .

وقد حدد هذا المرسوم لطالب الطب بضعة كتب يدرسها في المرحلة الأولى من الدراسة ، من بينها كتاب الحميات لحنين بن إسحاق ، وكتاب دفع مـضار الأغذيـة ليوحنا بن ماسويه ، ثم حددت في سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م) مقـررات الدراسـة في الكلية على أن يقوم أستاذ متخصص بتدريس كل مقرر منها ، وكـان مـن بـين هـذه المقررات الكتاب الأول من القـانون لابـن سـينا ، فـضلاً عـن مقـرر آخـر يـشمل الكتاب الرابع لنفس المؤلف ومؤلفه[٢] .

ويعطينا كتاب الدروس والمفاتيح فكرة دقيقة عن برنامج مدرسة مونبلييه مـن سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ، إلى سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، وهو كالتالي[٣] :



---

(١) عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ٦١٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٤٢ .

(٣) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٤١-٤٢ .

السنة	ابن سينا	جالينوس	أبقراط
٨٩٥هـ/١٤٨٩م	٤	٢	١
٨٩٦هـ/١٤٩٠م	٣	٠	٠
٨٩٧هـ/١٤٩١م	٤	٢	٠
٨٩٨هـ/١٤٩٢م	٤	٠	١
٨٩٩هـ/١٤٩٣م	٦	٣	٢
٩٠٠هـ/١٤٩٤م	٥	٢	١
٩٠١هـ/١٤٩٥م	٥	٤	١
٩٠٢هـ/١٤٩٦م	٤	٢	١
٩٠٣هـ/١٤٩٧م	٦	٢	٠
٩٠٤هـ/١٤٩٨م	٥	٢	١
٩٠٥هـ/١٤٩٩م	٤	١	١
٩٠٦هـ/١٥٠٠م	٣	٤	١

وهكذا يتبين لنا من اللائحة الموضحة أعلاه عدة أمور مهمة هي :

١ - أن الطب الإسلامي كان يحتل مركزاً مرموقاً في تاريخ الدروس بهذه الجامعة حتى مطلع القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، وما بعده أيضاً .

٢ - أهمية المكانة التي كان يمثلها ابن سينا في تلك الأيام ، حيث احتل مركز الصدارة في قائمة الكتب المدرسية بهذه الجامعة .

٣ - ما تميزت به هذه الجامعة عن بقية الجامعات الفرنسية –كجامعة باريس مثلاً- بكثرة ما فيها من المخطوطات الطبية المهمة ، وبالأخص الإسلامية منها ، وبالتالي كثرة الأساتذة والمترجمين الذين تناولوا هذه المخطوطات بالشرح

والترجمة[١] ، ولدينا عدة أمثلة على ذلك منها : أرنولد فيلانوفا (ت حوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م) الذي ولد في منتصف القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي في إحدى مقاطعات فيلوف ، وبعد أن أقام فترة طويلة في باريس ، سكن في مونبلييه حيث تعلم الطب هناك ، وأصبح له شهرة واسعة في هذا المجال ، فاعتبر أخصب المؤلفين إنتاجاً بالنسبة لزمانه ، وأكثرهم تأثراً بالآراء الطبية الإسلامية ، ومن بين المؤلفات التي ترجمها كتب ابن سنا والكندي وابن لوقا وأبي العلاء بن زهر[٢] .

ومن أعلام مدينة مونبلييه الجراح الفرنسي الشهير جي دي شولياك ، (Guy de choliac) (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) الذي ترجم القسم الجراحي من كتاب التصريف للزهراوي ، فاقتبس منه كثيراً في كتابه : الجراحة الكبرى (chinlrgia Magna) ، وإلى هذه المدرسة أيضاً تنسب أول عملية تشريح للإنسان في أوروبا ، وذلك عندما أقدم منديس (Mendes) على هذا العمل بعد أن وضع كتاباً في التشريح اقتبس معلوماته من كتب الطب الإسلامي[٣] .

ولم تقتصر أعمال الترجمة في مدرسة مونبلييه على علم الطب فقط ، إنما شملت إلى جانبه مؤلفات المسلمين في علم الفلك ، والرياضيات ، فاضطلع يعقوب بن طبون (ت بعد٧٠٢هـ/١٣٠٢م) بأغلب الترجمات المتعلقة بهذين العلمين ككتاب الأصول لأقليدس ، والكرة المتحركة لإسحاق بن حنين ، وقسطا بن لوقا ، والعمل بالأسطرلاب لابن الصفار (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤)[٤] ، وإصلاح المجسطي لجابر بن أفلح (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)[٥] وغيرها كثير ، وجميع نقوله هذه كانت من

---

(١) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٤١-٤٢ .

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١١٦ ؛ (Lcelerc:histoire de la medcine arabe,II,٤٦٨)

(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٣١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٤٣ .

(٤) ابن الصفار : أحمد بن عبدالله بن عمر ، من أبرز علماء الأندلس في الرياضيات والفلك ، من أهل قرطبة ، له عدة تواليف . صاعد : طبقات الأمم ، ٦٩ .

(٥) جابر بن أفلح : عالم بالفلك والكيمياء ، ولد بإشبيلية ، وتوفي بقرطبة ، له كتب في الفلك . كحالة : معجم المؤلفين ، ١٠٥/٣ .

العربية إلى العبرية[1] .

٢ - باريس (Paris) :

لعل أهم ما يميز مدينة باريس في أن تكون مدرسة للترجمة هو : وجود جامعتها الشهيرة (جامعة باريسUniversity Of Paris) التي ترجع في نشأتها إلى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، عندما أصدر الإمبراطور فيليب الثاني (Philip II)[2] قراراً بضم كل المدارس الموجودة حينئذٍ في جامعة واحدة ، وتقسيمها إلى أربع كليات هي : كلية الآداب ، واللاهوت ، والحقوق ، والطب .

ثم ما لبثت جامعة باريس أن أصبحت من أعظم الجامعات الأوروبية ، حيث دخلت إليها فلسفة ابن رشد فنشأت بها التيارات الفكرية بعد أن استولت على عدد كبير من طلابها ، ومن ثم صارت دراسة اللغة العربية أمراً واجباً ؛ إذ بالرغم من إدانة الفلسفة الرشدية إلا أن جامعة باريس صمدت لها بصورة خاصة ، فظلت لذلك طوال ثلاثة قرون زعيمة التفكير الحر في أوروبا[3] .

وبمجيء قرار مؤتمر فينا سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) الذي ينص على إيجاد مدارس لتعليم اللغات في جامعة باريس على نفقة ملك فرنسا ، أنشئ بها كرسي للغات السامية .

ثم اهتم الملك فرانس الأول بالموضوع ، فأسس معهد فرنسا «الكوليج دوفرانس» سنة (٩٣٧هـ/١٥٣٠م) ، وأعد فيه كرسيين للعبرية واليونانية ، وأضاف إليهما الملك هنري الثالث (Henry III) (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)[4] كرسياً

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٦ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ١٢٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/٥٠٠ .

(٢) فيليب الثاني : وهو فيليب أغسطس ، وكان أول ملك فرنسي مشهور من الأسرة الكابتية ، كان سياسياً بارعاً استطاع تقوية العرش الفرنسي . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/٧١٧ .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٣٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٣٩ ؛ الخضري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، ٥٤ ؛ بوكاري : الاستشراق الفرنسي ، ١٠٨ .

(٤) هنري الثالث : أحد ملوك المانيا ، توج أمبراطوراً سنة (٤٣٨هـ/١٠٤٦م) ، سيطر على الإمبراطورية

للعربية ، ثم كلف لويس الثالث عشر (Louis XIII) (ت ١٠٥٣هـ /١٦٤٣م)[١] جبرائيل الصهيوني (Gabriel Sionita) (ت١٠٥٨هـ /١٦٤٨م) بتنظيم كرسي للغة العربية فيه وقلده الأستاذية ، ثم خلفه إبراهيم الحاقلاني ، ثم الجمري أستاذاً للغات الشرقية[٢] .

وقد بدأت الكتب العربية تغزو باريس ، وتدخل ضمن المناهج المقررة في التدريس بجامعتها عبر مراحل ، بدأت بعيد سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) على أثر ترجمة هذه المؤلفات من العربية إلى اللاتينية لاسيما الفلسفية منها ، فقد أرسل الامبراطور فردريك مجموعة من ترجمات ابن رشد إلى هذه الجامعة وغيرها من الجامعات الأوروبية ، عن طريق المترجم ميخائيل سكوت الذي أسهم بدوره في إنشاء النزعة المنتمية إلى ابن رشد بها[٣] .

وفي عام (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) وضعت كلية الاداب بجامعة باريس تنظيماً لمناهج التدريس ، وحددت الكتب التي يجب أن تقرأ وتشرح علناً ، وكان من ضمنها شرح ابن رشد على أرسطو كالسماء والعالم ، والآثار ، والحيوان وغيرها[٤] .

وهكذا نرى أن الفكر الإسلامي دخل إلى جامعة باريس منذ إنشائها ، بالرغم من القرارات البابوية التي صدرت من أجل منع دخوله إلى هذه الجامعة ، أو تدريسه فيها ، ولم يقتصر هذا الفكر على كتب الفلسفة فقط إنما شمل كافة الكتب الإسلامية الآتية إليها من طرق عدة[٥] ، لعل من أبرزها البعثات العلمية التي كانت

= الألمانية المقدسة ، ثم أحكم سيطرته على إيطاليا . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٠٦/٢٦ .

(١) لويس الثالث عشر : تولى العرش عام (١٠١٩هـ/١٦١٠م) بعد اغتيال والده هنري الرابع . المرجع نفسه ، ٢٣٧/٢١ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٥-١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١٠٦/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢٣٥/١ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١٠١/١ ، سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ .

(٤) الخضري : أثر ابن رشد ، ٦٨ ؛ محمد : الترجمة الأدبية ، ٧٦ . .

(٥) منذ أن احتكَّ الفرنسيون مع غيرهم من الأوروبيين ، بالمسلمين أثناء الحروب الصليبية وذلك بعد الاطلاع الدقيق على الحضارة الإسلامية من داخلها ، أخذوا في وسيلة جمع المخطوطات ، فاتجهوا إلى جمع =

تبعثها فرنسا إلى دول العالم الإسلامي من شأن جلب المخطوطات الإسلامية ، لاسيما في عهد الملك فرانس الأول ، حيث ظهر في عهده مؤسس الاستشراق الفرنسي وليم بوستل (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م) الذي تكفل بنقل كثيرٍ من التراث الإسلامي إلى باريس سواء عن طريق جمع المخطوطات أو بترجمته ، وجهز لذلك بعثة علمية جاب خلالها عدداً من أقطار العالم الإسلامي ، وتحصل منها على عدد كبير من المخطوطات التي أثرت المكتبة الباريسية منها : تاريخ أبي الفداء ، ومؤلفات يوحنا الدمشقي ، وعندما عاد إلى وطنه فرنسا عينه الملك فرانس الأول محاضراً وترجماناً في المعهد الفرنسي ، فتخرج على يديه كثيرٌ من المستشرقين المهتمين بالدراسات الإسلامية ، ومنه انطلق الاهتمام بالعلوم الإسلامية في فرنسا إلى آفاق بعيدة مع مرور الوقت[١] .

ومما زاد مدينة باريس تألقاً هو ما حوته من مكتبات كانت تضم بين جنباتها ذخائر التراث الإسلامي المتنوع ، لاسيما المكتبة الوطنية (Bibliotheque Nationale) ، وقد بدأت في اقتناء الكتب العربية منذ أن كانت في بلوا ، ثم في فونتبنلو ، ومن مكتبات كاترين دي مديتشي (Catherine de medici) (ت٩٩٨هـ/١٥٨٩م)[٢] ، ومازاران (Mazaran) ، والرئيس غولمن (Golmn) ، وعلى أيدي

=

أعداد من المخطوطات تتفاوت في قيمتها وموضوعاتها ، وأخذت تزداد مع مرور الزمان ، وكان جمعها لا يقتصر على بلد من بلدان المسلمين ، وإنما امتدَّ ليشمل كل ما استطاعوا إليه سبيلاً ، وكان الجامعون يرسلونها إلى بلادهم بشكل دفعات ، وقد جندوا لهذا الغرض دبلوماسيين في القناصل والسفارات المنتشرة في العالم الإسلامي ، ورحالة وسواحاً وتجاراً وجواسيس ، ورهباناً مبشرين ومستعربين ، وكان منهم من يكلف بمهمات تتعلق بهذا الموضوع من قبل أعلى المستويات في الدولة ، وكانت أساليب جمع هذه المخطوطات واقتنائها والوصول إليها تتم بطرق مشروعة أحياناً وغير مشروعة في أحيان أخرى ، وذلك بالشراء وبالمقايضة بالسلع ، والهدايا ، والسرقة ، والنسخ ، وغيرها من الطرق الممكنة في ذلك الحين وكل حين . بلاشير : قواعد تحقيق المخطوطات العربية ، ١١ .

(١) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٥-١٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٥٨ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٣٥ .

(٢) كاترين مدتشي : زوجة هنري الثاني ملك فرنسا ، وأم ثلاثة من ملوك فرنسا ، وهي أسرة مدتشي الفرنسية . الموسوعة العربية العالمية ، ١٩/١٩ .

المستشرقين الذين أوفدهم الملك لويس الرابع عشر (Louis XIV) (ت١١٢٧هـ/١٧١٥م)[١] إلى العالم الإسلامي ، فابتاعوا عدداً كبيراً من المخطوطات العربية أودعت في المكتبة ، ومن قبل أضاف إليها المستشرق الفرنسي بوستل في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عدداً كبيراً من المخطوطات العربية ، فاشترى عدداً كبيراً من المخطوطات أودعت في المكتبة ، وقد اقتنت المكتبة سنة (١١١٢هـ/١٧٠٠م) أربعة مخطوطات عربية تبحث في الطائفة الدرزية[٢] أهداها طبيب لبناني إلى الملك لويس الرابع عشر ، وقد أعد الخوري سركيس اللبناني قائمة بالمخطوطات العربية والسريانية التي تمتلكها الدار وقدمها إلى الكاردينال ريشيليو سنة (١٠٥٢هـ/١٦٤٢م)[٣] .

كذلك أضيف إلى المكتبة المخطوطات التي كانت موجودة في عدد من الأديرة ، كدير السوربون ، ودير سان جرمان ، وقد بلغ عدد ما أضيف إليها من مخطوطات حوالي ثلاثمائة مخطوط ، كذلك أضيف إليها ما اشتراه باسمها المستشرق هربلو (Herbelot) ، (ت١١٠٧هـ/١٦٩٥م)[٤] .

---

(١) لويس الرابع عشر : خلف والده لويس الثالث عشر ، واحتفظ بالعرش لمدة سبع وعشرين سنة . المرجع نفسه ، ٢١/٢٣٧ .

(٢) الدرزية : ظهرت في بلاد الشام ، واختلف في عقيدة هذه الطائفة ، فمنهم من يرى أنها نشأت من أصول إسلامية ، بينما يرى البعض أنها ديانة خارجة عن الإسلام إذ إنهم يؤمنون بإمامة الحاكم بأمر الله العبيدي ، ويحيطون معتقداتهم بقدر كبير من السرية حتى على عامتهم ، ولا يقبلون بالتحول سواء من طائفتهم إلى طائفة أخرى أو العكس ، ويؤمنون كالشيعة بمبدأ التقية ، كما يؤمنون بتناسخ الأرواح . نفس المرجع ١٠/٣١٢ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٤٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٢٩٧ وما بعدها .

(٤) هربلو : ولد في باريس وتعلم اللغات السامية في جامعتها ، ثم ارتحل إلى روما حيناً ، تردد على جامعاتها ومطبعتها الشرقية ، وعلى الشرقيين في ثغور إيطاليا ، واتصل بالفراندوق فرديناند الثالث الترسكاني ، فأهدى إليه مجموعة مخطوطات عربية ذات قيمة ، ولعلوّ كعبه في العربية استقدمه فوكه وزير مالية فرنسا إلى ديوانه ، فلما اعتزل عين أمين سر ومترجماً من اللغات الشرقية في البلاط ، ورعاه الوزير كولبر ، ورتب له الملك لويس الرابع عشر رزقاً ، وولاه كرسي السريانية في معهد فرنسا . العقيقي : المستشرقون ، ١/١٥٩ .

وما صادره ونهبه نابليون من مصر وبلاد الشام أثناء حملته الفرنسية ويقدر بحوالي ثلاثمائة وعشرين مخطوطاً عربياً ، وغيرها من الهدايا والهبات[١] .

وهكذا تجمع للمكتبة خلال فترة طويلة من عمرها عددٌ من المخطوطات العربية ينوف على سبعة الآف مخطوط ، بينها نفائس أدبية وعلمية وتاريخية ونوادر ، منها قطع من القرآن الكريم على الرق من القرون الثاني والثالث والرابع ، وتاريخ بني هود على جلد الغزال المدبوغ ، وقسم من كتاب العقاقير الطبية لديو سقوريدس على الرق من القرن الثاني أو الثالث للهجرة ، والمدخل الكبير في أحكام النجوم لأبي معشر ، وكتاب الكنى والألقاب للدولابي ، والتمهيد للباقلاني ، ومقامات الحريري ، ونسخة كاملة من كتاب الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، وغيرها الكثير مما يبهر النظر ويسلب العقل لدرجة جعل فيها الرحالة الحجري يتعجب من توفرها على علوم المسلمين عندما زارها إبان القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، فذكر أنها تحتوي القرآن الكريم ، مما جعل جلده يقشعر حين رآه بيد كافر نجس ، ومن جملة ما رأى قانون ابن سينا ، وكتاب إقليدس في الهندسة ، ومجموعة كتب في النحو ، مثل : الأجرومية ، والكافية ، وكتاب بالعربية فيه مناظرة بين مسلم ونصراني ، وغيرها من الكتب[٢] .

وقد كانت هذه الذخائر العلمية خير معين لازدهار الدراسات الإسلامية والترجمة في باريس ، فيعزى إلى جبرائيل الصهيوني (ت ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) ، الذي كان أستاذاً للعربية في معهد باريس ترجمة قسم من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي إلى اللاتينية وهو الجزء الخاص ببلاد النوبة سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م) .

وفي أروقة مكتبة باريس الوطنية أيضاً باشر هربلو ترجمة ابن المكين إلى اللغة الفرنسية سنة (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م)[٣] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ١/١٤٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٢٩٨ .

(٢) الحجري : ناصر الدين ؛ ٢١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٤٢-١٤٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٤٢ .

٣ - دير كلوني cluny :

أنشئ دير كلوني في سنة (٢٩٨هـ/٩١٠م) بمنطقة برجنديا (Burgundia)[(١)] الواقعة إلى الغرب من الحدود الفرنسية الألمانية ، وهي منطقة تشكل نقطة جغرافية مهمة بالنسبة لشبكة المواصلات التي كانت تربط أجزاء العالم النصراني الغربي[(٢)] .

وقد سيطرت طائفة الرهبان البندكتيين على هذا الدير ، وجعلت منه أساساً لنظام الاستقلال التام عن السلطات الدينية والدنيوية ، والاتصال المباشر بالبابوية ، والقضاء على استقلال الأديرة عن بعضها ، وأخيراً المبادرة بإصلاح الكنيسة والبابوية من المفاسد والشرور التي تغلغلت فيها[(٣)] ، ولما تولى الراهب بطرس المحترم رئاسته سنة (٥١٦هـ/١١٢٢م) جعل منه مركزاً لحركة إصلاح عمت النصرانية كلها ، فقام بإدارته بحزم ، وأصلحه إصلاحاً واسعاً ، وضمن له ولفروعه العديدة في فرنسا وإسبانيا وغيرها موارد مالية كبيرة ، كان ذلك نتيجة اتصالاته السياسية مع فرنسا وإسبانيا[(٤)] .

ولم ينس بطرس رئيس دير كلوني أن يجعل من بين اهتماماته محاربة المسلمين والقضاء عليهم ، فجعل من ديره منطلقاً لحرب صليبية ضد المسلمين في الأندلس ، حيث رأى أن في انتشار الإسلام غضباً إلهياً يجب التكفير عنه بالدعوة إلى حرب المسلمين ، وكان رهبان هذا الدير يرافقون الجيش الصليبي في الأندلس لتحطيم كل شعائر الإسلام وآثاره ، وإحلال شعائر النصرانية محلها[(٥)] .

(١) برجنديا أو بورجونيا : إقليم يقع شرقي وسط فرنسا ، وكانت مملكة ثم أصبحت دوقية ثم مقاطعة ثم إقليماً تابعاً لفرنسا ، ويرجع اسمها إلى القرن الخامس الميلادي ، عندما انتقل البرجنديون من ألمانيا إلى بلاد الغال ، حيث أسسوا هناك مملكة . رينو : الفتوحات الإسلامية ، ص٦ ، هامش(٤) .

(٢) توينبي : تاريخ البشرية ، ٤٨٩ ؛ كولستون : دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ١٧٢ ، هامش (١) .

(٣) كولستون : دراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ١٧٢هامش (١) ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٢/١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٢١ .

(٤) جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، ٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٢/١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١١٠ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ٥٤ .

(٥) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٨١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١١٠ ؛ غراب : رؤية

وتمشياً مع هذا الأمر فقد تبنى دير كلوني أول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم ، والتي تمت في الأندلس ما بين (٥٣٦-٥٣٨هـ/١١٤١-١١٤٣م) ، إلا أن الراعي الرسمي لها هو دير كلوني بفرنسا الذي قام بدور كبير في حركة الجدل الغربي ضد الإسلام مستنداً إلى هذه الترجمة اللاتينية التي أشرف عليها بنفسه ، ومنه فقد ظل دير كلوني مركزاً خطيراً لنشر الثقافة الإسلامية ، بواسطة مجموعة الرهبان المنتمين إليه ، والذين كانوا يقومون برحلات واسعة إلى الأندلس خاصة ، يجمعون خلالها مؤلفات المسلمين ، وإذا ما رجعوا إليه عكفوا يترجمونها ويؤلفون عليها بغرض الطعن في الإسلام وأهله[1] .



=

إسلامية للاستشراق ، ٥٥ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ١٣٢ .

(١) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٢٢ .

٤ - مدرسة مرسيليا (Marseille) :

توالت الهجرات السكانية إلى إقليم البروفانس من الأندلس ، لاسيما مدينة مرسيليا التي شهدت توافد أعداد كبيرة من المسلمين واليهود الذين كانوا يتقنون اللغة العربية ، ولديهم إلمام واسع بالثقافة الإسلامية لدرجة تكونت معها أسر بأكملها كانت مضطلعة بترجمة ونقل التراث الإسلامي في هذه المدينة ، مثل أسرة طبون التي كان أفرادها مشهورين على نطاق واسع بالتأليف والترجمة للتراث الإسلامي ، خاصة من العربية إلى العبرية ، فصمويل بن يهودا بن طبون (ت٦٣٠/١٢٣٢م) (Samuel ben Judea ben Tibon) كان من أشهر المترجمين في مرسيليا ، ومما ترجم : الآثار العلوية لأرسطو ، والفن الصغير لجالينوس ، وغيرها[١] .

أما شم طوب بن إسحاق (shem – tob Ibn Isaac) (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، فقد استقر أخيراً في مرسيليا ، وامتهن الطب بعد عشرين سنة من الطلب ، وقد هيأته هذه المهنة لينجز ترجمة أمهات ما اختص به ، فبدأ سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) بمرسيليا ، وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة ترجمة كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي ، ووضعه في ثلاثين جزءاً ، واستغرقت ترجمته الكتاب أربع سنين ، وضمن مقدمته كثيراً من أخباره ، وفي سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) ترجم كتاب المنصوري للرازي[٢] .

ولا يفوتنا في هذه العجالة أن نذكر أنه وضعت في سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) تقاويم فلكية مبنية على أزياج طليطلة بمرسيليا ، مما يبرهن على التواصل الحاصل مع التراث الإسلامي في الأندلس[٣] .

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/٤٨٩ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٩ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/٤٩٩ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٦ .

ثالثاً : بريطانيا (Britain) :

كانت العلاقات بين بريطانيا والعالم الإسلامي متبادلة ، فبالإضافة إلى تبادل البعثات العلمية والسفارات[1] ، كان الطلبة البريطانيون يفدون إلى مراكز العلم الإسلامي لأخذ تراث المسلمين وحضارتهم ، ولم يأت القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي حتى بلغت المبادلات العلمية ذروتها ، فيذكر المؤرخون أن اتصال الإنجليز بالعالم الإسلامي حصل سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م) ، عندما جلب أحد ملوك الإنجليز من سالرنو الكتاب المشهور «النظام الصحي السالرني» والمعتمد في أغلبه على الطب الإسلامي[2] .

ثم أخذت المبادلات العلمية تزداد مع مرور الوقت ، فاتجه إلى انجلترا الطبيب اليهودي بطرس ألفونسو ، (ت ٥٠٤هـ/١١١٠م) الذي تنصر سنة (٥٠٠هـ /١١٠٦م) ، وعندما استقر بأنجلترا أصبح طبيباً للملك هنري الأول ، وقد حمل معه في رحلته هذه كتب الطب الإسلامي ، فكان من أوائل الذين عرّفوا الغرب بعلوم المسلمين ، فضلاً عن اضطلاعه بترجمة الكثير من العلوم الإسلامية في الفلك والرياضيات والأدب ، إلى جانب أنه كان صاحب أول كتاب يحوي معلومات ملفقة عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ[3] .

أما إبراهيم بن عزرا (ت حوالي ٥٦٠هـ/١١٦٤م) فقد قام برحلة واسعة شملت الأراضي الإنجليزية ، فأقام مدة في لندن وأخذ يدرِّس بها ، فكان لمقامه هذا أثر بارز في نشر علوم المسلمين هناك[4] .

وفي المقابل فقد شرع كثير من الطلاب الإنجليز يؤمون مراكز العلم في

---

(١) انظر المبحث الخاص بالبعثات والسفارات .

(٢) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٦ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٩ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ١٦ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٠ .

(٤) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٥-٦ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٦ .

الأندلس إبان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وفي مقدمتهم : أدلارد الباثي (ت٥٣٧هـ/١١٤٢م) -وهو من مدينة باث البريطانية- الذي يعد بحق أول إنجليزي كان عالماً باللغة العربية ، وقد قام بأسفار متعددة بإسبانيا والشام ، ولم يقف عند حد التحصيل ، بل أخذ يترجم إلى اللاتينية كثيراً من الكتب العربية ، وعند عودته إلى وطنه شغل محلاً مرموقاً هناك ، حتى إنه عُيِّن أستاذاً للأمير هنري الثاني الذي أصبح ملك أنجلترا فيما بعد[1] .

ومن الشخصيات الهامة : دانييل أوف مورلي (ق٦هـ/١٢م) ، الذي كان بمقتضى ما ذكره عن نفسه غير راضٍ عن الجامعات الفرنجية ، فذهب إلى إسبانيا ليبحث عن من هم أكثر حكمة من فلاسفة العالم ، ولما عاد إلى انجلترا كان يحمل معه مجموعة كبيرة من الكتب وجدت عدداً من القراء[2] .

وبالجملة فقد طلب رواد الإنجليز الثقافة الإسلامية من مظانها ، وكثر علماؤهم الذين يدينون للمسلمين بالفضل في ما اكتسبوه من معرفة أمثال : روبرت أوف تشستر ، وميخائيل سكوت ، وروجر بيكون ، الذين تثقفوا بالثقافة الإسلامية وترجموا الكثير عنها ، وصنفوا النفيس فيها ، فجاءت تواليفهم ومصنفاتهم تحمل علوم المسلمين بين جنباتها[3] ، مما شجع على إنشاء كراسي للغة العربية في مراكز العلم البريطانية المختلفة ، والتي كان من أهمها :

١ - جامعة أكسفورد : (Oxford University) ، التي أنشئت على غرار جامعة باريس ، وقد خصت العربية والعبرية والكلدانية والسريانية بأول كرسي فيها نزولاً على قرار مجمع فينا ، ومن بين الأوائل الذين اشتهروا في هذه الجامعة روبرت جروستست (Robert Grustst) (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م) ، الذي يعد أول

---

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٢-١٣ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٤-٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ (F.wustenFeld:die ubersetzungen Arabischerwerkein lateiniscne,٢٠-٢٢)

(٢) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ،٥ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٥٧ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ٢/٧ ؛ آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٣-١٤ ؛ تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ١٣ .

رئيس لهذه الجامعة ، واشتهر حوالي سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) ، مترجماً من اليونانية إلى اللاتينية ، ومن بين ما ترجم : الترجمة الكاملة لكتاب الأخلاق لنيقوماخس ، وكتب أخرى مختلفة لأرسطو ويوحنا الدمشقي ، ويعد روبرت المعلم الرائد لسنت توماس ، وروجر بيكون ، وكان له أيضاً تأثير كبير في ألبرت الكبير (Albert the Great) (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م)[١][٢] .

أما المستشرق البريطاني وليم بدول (ت ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م) فيعد رائد الدراسات العربية في بريطانيا ، فقد درس في جامعة كمبردج ، وعين أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد ، ويعتبر واضع أسس تدريس العربية في إنجلترا ، وهو الذي أكد على أهمية اللغة العربية[٣] ، فكان يقول عنها : «إنها لغة الدين الفريدة ، وإنها أعظم لغة للسياسة ، من الجزائر السعيدة إلى بحر الصين»[٤] ، وهو أول من نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، وله معجم عربي في سبع مجلدات[٥] .

وفي سنة (١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) أنشأ كرسياً للعربية في هذه الجامعة ، وشغل أدوارد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) أول أستاذ لها عليه ، وكان لبوكوك قصب السبق في إثراء جامعة أكسفورد بالمخطوطات العربية بعد أن رحل إلى المشرق الإسلامي ، وتزود بالكثير منها ، وأتقن العربية أيضاً .

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١١٥ .

(٢) ألبرت الكبير : فيلسوف وعالم لاهوت نصراني ألماني ، اكتسب أهمية لدرايته بالاختلاف بين اللاهوت والفلسفة وبين الحقيقة المجردة والعلم التجريبي ، ولد في لاونجن ، والتحق بجامعة بادوا في إيطاليا ، حيث انضم في سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) لنظام الرهبنة الدومينيكاني . ودرس في عدد من الجامعات الأوروبية ، ولكنه قضى معظم حياته في كولون بألمانيا . شغل وظيفة أسقف ، ومثل البابا في ألمانيا . الموسوعة العربية العالمية ، ٤٩٦/٢ .

(٣) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٢٣/٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣٩/٢ .

(٤) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٥ .

(٥) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٥ ، لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٢٣/٨ .

وعند عودته من رحلاته التي استأنفت مرحلتين عكف على ترجمة ما جادت به نفسه من مخطوطات ، كتاريخ ابن العبري الذي ذيله بسلسلة من الدراسات العربية المستفيضة في التاريخ والعلوم والآداب والدين ، فكان أول نص عربي طبع في أكسفورد ، وسماه «المختار من تاريخ العرب» ، ثم ترجم تاريخ ابن العبري وأهداه إلى ملك أنجلترا ، ولامية العجم للطغرائي (ت٥١٣هـ/١١٢٠م)[١] متناً وترجمة لاتينية ، والإفادة والاعتبار لعبداللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م)[٢][٣] .

ولم تصرفه أسفاره وأشغاله المتعددة عن التدريس والتأليف حتى توافد الطلاب على كرسيه من كل أنحاء أوروبا ، وأصبحت جامعة أكسفورد مورداً عذباً لمن يريد أن يتضلع من علوم المسلمين المختلفة ولغتهم[٤] .

وممن نسب إلى جامعة أكسفورد أيضاً جون جريفز (John Greaves) (ت١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) ، وهو رياضي شهير وأستاذ الفلك في أكسفورد ، وكان قد رحل إلى الشرق الإسلامي في معية بوكوك ، ونزل بمصر لدراسة العربية على أهلها ، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات والنقود والجواهر النفيسة ، وقد نشر عدة كتب هامة عن فضل المسلمين على الفلك والرياضيات ، ومن ترجماته : جغرافية أبي الفداء إلى اللاتينية[٥] .

---

(١) الطغرائي : العميد فخر الكتاب أبوإسماعيل الحسين بن علي بن محمد الأصبهاني ، فاق أهل عصره في النظم والنثر . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١/٤٣٨ .

(٢) عبداللطيف البغدادي : موفق الدين أبومحمد عبداللطيف بن يوسف المعروف بابن اللباد ، موصلي الأصل ، بغدادي المولد ، كان بارعاً في عدة علوم ، وتميز في النحو واللغة . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٦٨٣ .

(٣) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ١٢-١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١-٤٢ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٨ .

(٤) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤٢ ؛ جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ٣٢ .

(٥) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١ .

رابعاً : ألمانيا : (Germany) :

ترجع صلة ألمانيا بالعالم الإسلامي إلى القرن السادس الهجري -الثاني عشر الميلادي- أي إلى زمن الحروب الصليبية ، وتحديداً إبان الحملة الصليبية الثانية (٥٤٢-٥٤٤هـ/١١٤٧-١١٤٩م) ، والتي كانت تضم عدداً كبيراً من الألمان ، وعند عودتهم من الأراضي الشامية ووصفهم لها ونقلهم شيئاً من حضارتها ، وقيام الرهبان في الأندلس بالترجمة ، وفيهم ألمان ، وتعصب فردريك الثاني ملك صقلية ، ثم إمبراطور ألمانيا ضد الكنيسة ، كل هذه الأحداث جعلت من العلاقات بين ألمانيا والمسلمين أمراً محتوماً[١] .

بيد أن بعض المؤرخين يشير إلى علاقة نشأت قبل ذلك بين شارلمان والخليفة العباسي هارون الرشيد ، وأنهما تبادلا الهدايا والسفراء ، ولكن لم يصلنا عن مؤرخي الإسلام أي ذكر لذلك[٢] ، وفي المقابل فقد تمت سفارة بين الملك الألماني أوتو الأول والخليفة عبدالرحمن الناصر ، وكان من أهم نتائجها فتح المجال بين الطرفين لنقل العلوم الإسلامية –كما سبق بيانه- فرجع السفير الألماني يوحنا إلى وطنه حاملاً معه عدداً من المخطوطات العربية[٣] .

وعليه فألمانيا قد عرفت علوم المسلمين منذ وقت مبكر يعود إلى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، ولكنها كانت بدايات أولى للعلاقات بين الطرفين ، ثم أخذت تنمو وتزدهر بعد ذلك ، ويعتبر ألبرت الكبير (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) أول ألماني تعلم اللغة العربية وعني بدراستها ، حتى أصبح دكتوراً في الفلسفة التي

---

(١) هونكة : التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام ، حقيقة قادمة وقدر محتوم ، ط١ ، ترجمة : هاني صالح ، دار الرشيد ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ٩-٢٧؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٤٠ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ٦٣ ؛ الولي : الإسلام والمسلمون في ألمانيا ، ١٧-١٨ .

(٢) هونكة : الإبل على بلاط قيصر ، ٢٤ ؛ ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ٧٤ ؛ العريني : بعض معالم عهد شارلمان ، ١٤٧ .

(٣) الحجي : العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا ، ٢٨٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٤٩٦ ؛ حمادة : المكتبات في الإسلام ، ٢١٢ .

أخذها عن الفارابي وابن سينا والغزالي ، واستعان بشروح ابن رشد بالرغم من نقده إياه[١] .

ولعل أول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل يعقوب كريستمان (ت١٠٢٢هـ/١٦١٣م) (Jacob christmann) الذي وضع فهرساً موجزاً لمجموعة من المخطوطات كانت في حوزة أحد النبلاء الألمان ، ووضع كذلك كراساً لتعليم كتابة الحروف العربية ، وقد أعدَّ بنفسه الحروف العربية في قوالب من الخشب للمطبعة التي كان جوتنبرج قد اكتشفها حديثاً ، وفي عام (٩٩٤هـ/١٥٨٥م) عين كريستمان أستاذاً في جامعة هايدلبرج واقترح إنشاء كرسي للدراسات العربية بنية نقل الفلسفة والطب من مصادرها العربية ، كما أشار إلى أن مطابع روما تملك حروفاً عربية ، وبذلك يمكن القيام بنشر بعض المخطوطات ووضع قاموس للغة العربية ، وكتاب في النحو يسهلان تعليمها ، ولكن هذا المشروع لم يتحقق بسبب وفاته[٢] .

وفي الواقع إن الاشتغال بعلوم المسلمين وترجمتها في ألمانيا تأخر عن غيرها من الدول الأوروبية الأخرى ، ومرد ذلك إلى عدة أسباب ، منها :

ما ذكره فوك بقوله : «كان الاشتغال بالعربية في ألمانيا ..أقل إلى حد بعيد منه في هولندا أو إيطاليا أو فرنسا أو إنجلترا ، كان هناك علماء اللاهوت بوجه خاص الذين يعنون قليلاً بهذه اللغة بشكل ثانوي ، غير أنهم كانوا يفتقرون إلى وسائل معينة افتقاراً كبيراً ، ومن رغب أن ينجز شيئاً ما في هذا المجال كان يجب عليه أن يرحل إلى الخارج»[٣] .

---

(١) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٦-٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٩ ؛ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ٣٨٥ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٩ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٤٠ ؛ صلاح الدين المنجد : المستشرقون الألمان ، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٨م ، ١/٧ ؛ جحا : الدراسات العربية الإسلامية في أوروبا ، ١٨٥-١٨٦ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ٦٤ ؛ الولي : الإسلام والمسلمون في ألمانيا ، ٢٦ .

(٣) تاريخ الاستشراق ، ١٨٤ .

أضف إلى ذلك أن ألمانيا كانت بعيدة عن العالم الإسلامي بالنسبة إلى إسبانيا وإيطاليا مثلاً ، وهي لم تكن لها روابط استعمارية مع العالم الإسلامي كفرنسا أو بريطانيا بصورة خاصة[١] .

وعليه ، فلم نجد فيما بين يدينا من مصادر ومراجع ذكراً لمدارس للترجمة في ألمانيا إبان فترة الدراسة ، وكل النشاط الألماني بالدراسات العربية الإسلامية كان في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي وما بعده[٢] .



(١) جحا : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ١٨٦ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٨٤ ؛ المنجد : المستشرقون الألمان ، ١/٧ .

خامساً : هولندا (Nether Lands) :

بدأت الدراسات العربية في هولندا بالثقافة الإسلامية متأخرة مقارنة باهتمام الدول الأوروبية الأخرى ، كفرنسا وإيطاليا وإسبانيا ، ولا شك في أن بطء إنجاز النظم السياسية في هذه البلاد المنخفضة قد لعب الدور الأساسي ، فلم تدخل الثقافة هولندا ذات السبخات إلا بحذر ، وذلك لصعوبة السفر والتنقل فيها ، ومع أن هولندا -وحتى حوالي سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)- وكما يقول أحد الباحثين : «لم تكن تملك لا لغة ولا أسطولاً ، لا سلالة حاكمة ولا إكليروساً ، لا نبلاء ولا نواة للطبقة الوسطى» ، لكن في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ساهمت هولندا مستقلة في حملة أوروبية يمكن القول بأنها أدخلتها العالم[١] .

أما هذه الحملة الأوروبية فلم تكن إلا الحملة الصليبية إلى دمياط سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) والتي انتهت بهزيمة ساحقة ، وقد لعب الكونت الهولندي دوراً مهماً في هذه الحملة ، وبطبيعة الحال فإن مثل هذا الاتصال يثبت أن هولندا كانت مدفوعة بروح تنصيرية للإسلام وثقافته ، فلا عجب أن شارك الهولنديون بقية أوروبا الإجحاف بالإسلام والمسلمين آنذاك ، وقد استمر هذا الأمر طوال القرون الوسطى وما بعدها[٢] .

ولقد طرأ تغير سريع خلال حرب الثمانين سنة (٩٧٦-١٠٥٨/١٥٦٨-١٦٤٨م) ، والتي كانت نتيجتها انتزاع القسم الشمالي من البلاد المنخفضة إستقلاله من إسبانيا ، وذلك بعد صراع مرير ومعارك ضارية ، فلم تمر إلا بضع سنين على بداية هذه الحرب حتى تأسست أول جامعة في شمال هولندا ، وذلك في ليدن سنة (٩٨٣هـ/١٥٧٥م) ، لتعذر الوصول إلى الجامعة القديمة في لوفن (Leuven) الواقعة في القسم الجنوبي من هولندا والتي لم تزل محتلة بالجيش الإسباني ،

---

(١) بان بروخمان : هولندا والعالم العربي ، ط١ ، ترجمة : أسعد جابر ، وزارة الخارجية في هولندا ، لاهاي ، ١٩٨٧م ، ٩ .

(٢) المرجع نفسه ، ٩ ، السامرائي : الاستشراق ، ١٠٣ .

وللحقيقة فإن صعوبة الوصول إلى الجامعة القديمة في لوفن لم يكن الباعث الوحيد لوضع حجر الأساس للجامعة الجديدة ، وإنما كان الهدف من الجامعة الجديدة ومنذ البداية هو أن تكون مركز تدريب للقساوسة البروتستانت[١] ؛ ذلك لأن الحرب لم تكن فقط للاستقلال وإنما للحرية الدينية وللإصلاح البروتستانتي الذي حاربه الحكام الكاثوليك بالنار والسيف وذلك بالمعنى الحرفي للكلمة[٢] .

لقد سيطر اللاهوتيون البروتستانت في ليدن مما مكنهم منذ البداية من أن يلعبوا دوراً مهماً في التركيز على البحث المستقل في التوراة والإنجيل ، وبطبيعة الحال الاهتمام باللغات التي كان الكتاب المقدس مكتوباً بها ، وبما أن العهد القديم قد كتب باللغة العبرية فلا عجب أن ازدهرت دراسة هذه اللغة منذ البداية في ليدن ، وبشكل منطقي أدت هذه الدراسة إلى دراسة اللغة العربية[٣] .

إن معجمية اللغة العربية العملاقة ، وسعة أدبها ونحوها الموصوف بالدقة ، كلها مجتمعة قد وضعت حولها هالة من الأهمية ، وذلك من أجل فهمٍ أفضل للغة العهد القديم ، فلا عجب أن يكون أول أستاذ كرسي العربية في جامعة ليدن هو نفسه أستاذ كرسي العبرية ، وهو الأستاذ فرانسيسكو رافلنجيوس (Francisco Raphelengios) (ت١٠٠٦هـ/١٥٩٧م)[٤] ، الذي لم يطل به المقام في هذا

---

(١) البروتستانت : البروتستانتية اسم يطلق على مئات الطوائف والفرق النصرانية ، وهي وليدة حركة الإصلاح الديني المعروف في أوروبا ، وكلمة البروتستانت كلمة لاتينية معناها المحتج ، وقد استخدمت لأول مرة عام (٩٣٦هـ/١٥٢٩م)حينما احتج بعض الألمان على محاولة الكنيسة الكاثوليكية الحد من نشاط اللوثريين . ثم أطلق الاسم بعد ذلك على جميع الطوائف والفرق النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وخرجت عليها . الموسوعة العربية العالمية ، ٣٧٦/٤ .

(٢) بروخمان : هولندا والعالم العربي ، ٩-١٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٠ .

(٤) رافلنجيوس : ولد في لنوى على تسعة أميال من ليل سنة (٩٣٦هـ/١٥٢٩م) ، وبدأ حياته تاجراً في ألمانيا ، ثم ترك التجارة إلى إنشاء مطبعة ، وفي مطبعته أخذ يدرس اليونانية واللغات القديمة ، ثم قام برحلات علمية إلى فرنسا وأنجلترا ، وكان قد سبقه إليها ريح من الشهرة ، فعين أستاذاً لليونانية في كلية كمبردج ، إلا أنه ما لبث أن عاد إلى ليدن ، فأخذ مبادئ العربية والعبرية على أساتذة الجامعة =

المنصب ؛ حيث توفي بعد مدة قصيرة من توليه الأمر ، وكان المدرسون الذين جاؤوا بعد وفاته لتدريس اللغة العربية أقل شأناً منه ، حتى أتى توماس أربنيوس (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) الذي يعد أول أستاذ متخصص شغل منصب كرسي اللغة العربية ، وقد بدأ بدراسة اللغة العربية خلال رحلاته العلمية بين عدد من البلدان الأوروبية كإنجلترا وباريس وغيرها ، وتنقل بين مدنها بحثاً عن المخطوطات الإسلامية ، مع محاولة تعلم اللغة العربية من أصولها ، فتوسعت معلوماته في العربية والفارسية والتركية ، بفضل العشرة والمخالطة لعرب المغرب الأقصى النازلين في مدنها[١] .

ولما عاد إلى وطنه سنة (١٠٢٢هـ/١٦١٣م) عين أستاذاً في جامعة ليدن ، وفيما بعد أخذته الحكومة الهولندية ترجماناً لها ، ثم أنشأ مطبعة شرقية في داره أنفق عليها الكثير من ماله -وهي دار بريل اليوم- فأصبح في كرسيه ومطبعته صاحب مدرسة للدراسات العربية الإسلامية ، وعُدَّ بحق مؤسس النهضة الاستشراقية في هولندا ، وكان لها الريادة في المنافسة بين الأمم الأوروبية طيلة قرنين من الزمان تقريباً[٢] .

تتلمذ على يد أربنيوس تلميذه يعقوب جوليوس (Jacob Golius) (ت١٠٧٨هـ /١٦٦٧م) ، حيث استماله إلى الدراسات العربية بعد أن تقلب في اللاهوت والفلسفة والطب والرياضيات ، مما جعله يحذو حذوه في الارتحال إلى المشرق الإسلامي وقبله إلى المغرب بتفويض من مجلس الدولة ، ويبدو أنه توقف

=

وألف في الأولى معجماً كان قد شعر بالحاجة إليه ، ولم يكن هناك معجم للترجمة فطبع بعد موته سنة (١٠٢٢هـ/١٦١٣م) ، عبدالحميد حمدان : طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٩ .

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٥ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية ، ٢١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ ؛ بروخمان : هولندا والعالم العربي ، ١٠ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٥ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/٦٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية ، ٢١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ ؛ بروخمان : هولندا والعالم العربي ، ١٠-١١ .

مدة طويلة في مدينة آسفي (safi)[١] الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي التي كانت بحكم مينائها محط الأنظار قديماً في تجارة المغرب الخارجية ، فتدرب على استعمال العربية ، ودرس في تاريخ ابن أبي زرع (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)[٢] روض القرطاس ، وجمع مخطوطات إسلامية[٣] .

وبعد عودته إلى ليدن في سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ، ووفاة أربنيوس في نفس السنة وقع الاختيار عليه لكرسي أستاذ العربية ، لكنه بعد سنة واحدة فقط منحه مجلس الجامعة إجازة لرحلة جديدة إلى المشرق الإسلامي ، ووضع تحت إمرته مبلغاً كبيراً من المال لأهداف دينية إضافة إلى شراء مخطوطات عربية ، وطال به المقام في مدينة حلب ، حيث قضى فيها ثلاث سنوات ، زار خلالها أنطاكية وعدداً من المدن السورية الأخرى ، وتنقل في أرجاء آسيا الصغرى حتى وصل إلى القسطنطينية ، ومن هناك عاد أدراجه راجعاً إلى ليدن ، حيث وصلها بعد غيبة دامت أربع سنوات ، وإلى جانب ذلك أسند إليه إدارة قسم الرياضيات واستمر على إدارتها حتى وفاته سنة (١٠٧٨هـ/١٦٦٧م)[٤] .

إن المئتين وخمسين مخطوطاً التي عاد بها جوليوس من رحلته إلى ليدن ، كانت في معظمها لفائدة مكتبة ليدن العامة ولا زالت محفوظة بها إلى اليوم ، وقد احتوت على مؤلفات عربية أدبية لم تكن معروفة في أوروبا آنذاك حتى بالاسم ، وهي التي شكلت النواة الحقيقية لقسم الدراسات الشرقية بمكتبة ليدن ، وكانت الأساس

(١) مدينة آسفي : مدينة ومرسى مهم في المغرب ، اشتهر ميناؤها بصيد السردين ، الذي احتل المرتبة الأولى في العالم . الحميري : الروض المعطار ، ٥٧ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٢٠/١٧٦ .

(٢) ابن أبي زرع : علي بن عبدالله أو ابن محمد بن أحمد الفاسي ، من أهل فاس ، كان في زمن السلطان أبي سعيد المريني ، وألف له كتاب روض القرطاس . الزركلي : الأعلام ، ٤/٣٠٦ .

(٣) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٢-٢٣ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/١٣٢ .

(٤) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٤ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ .

لسمعته الكبيرة التي زادت بقوة بعدما وردت عليها في غضون سنة (١٠٨٠هـ/١٦٦٩م) مجموعة أخرى من حوالي ألف مجلد مخطوط شرقي تقريباً خلفها أحد تلاميذ جوليوس ، ومن أهم أعماله أنه وضع معجماً عربياً لاتينياً ، مستعيناً فيه بمعجم الصحاح ، فظل مرجعاً للمستشرقين طوال مائة وخمسة وسبعين سنة ، كما أنه حقق جوهر الفلك للفرغاني بترجمة لاتينية وشروح كثيرة[١] .

سادساً : سويسرا (Switzerland) :

وصلت الجيوش الإسلامية إلى سويسرا منذ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي حيث زحفت قواتهم في الأراضي السويسرية حتى اقتربت من بحيرة جنيف ، وخلفت بها ما يدل على مرورها بها ، كقلعة العرب ، ووهدة العرب ، وطريق وجسر العرب ، وهي في أقاليم متفرقة من سويسرا[٢] .

وأول إشارة إلى تأثر سويسرا بعلوم المسلمين هي ما حكي عن الراهب هرمان الكسيح المتوفى سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) الذي كتب كتابين في استعمال وعمل آلة الاسطرلاب ، وكتاباً في الموسيقى يعالج فيه سلم الأصوات مطابقاً تماماً لما عمله الفيلسوف الكندي ، ولعله حصل على ترجماته العربية كتلك التي وجدت في شارتر ، أو تلك التي ترجمت لجربرت وغيره[٣] .

ثم أخذت علوم المسلمين بعد ذلك تشق طريقها إلى سويسرا لتستقر بها ممثلة أحد مراكز الترجمة للعلوم العربية إلى اللاتينية ، ولدرجة أصبحت فيها مدينة بازل (Basel)[٤] من أسبق المدن التي نشرت ترجمات أمهات الكتب العربية باللاتينية كالقرآن الكريم في ثلاثة أجزاء على يد ثيودور ببليياندر (Theodor Bibliander)

---

(١) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٤ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢-١٧٣ .

(٢) رينو : الفتوحات الإسلامية ، ١٦٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣/٩ .

(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٠٢ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٢ .

(٤) بازل : هي البوابة الشمالية لسويسرا ، وتسمى أيضاً بال ، تقع على نهر الراين . الموسوعة العربية العالمية ، ٤/٩٢ .

(ت٩٧٢هـ/١٥٦٤م)[١] سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ، رغم أنه تكبد كثيراً من مصاعب المعارضة من الجانب الديني ، إلا أنه استطاع جمع كل مخطوطات الترجمات اللاتينية التي أمر بها بطرس المحترم ، وفي أثناء الطبع اطلع على مخطوطتين أخرتين للقرآن الكريم ، مما يدل على أنه كانت في متناول يده في بازل آنذاك[٢] .

وإلى جانب طباعة القرآن تمت طباعة قبة الفلك لبطليموس بترجمة مسلمة المجريطي ، وكتاب البصريات للخازن ، وإلى مدينة جنيف ينسب العالم العربي أبوزيد[٣] الذي حل بها معلماً ، فتردد عليه كبار المفكرين السويسريين وغيرهم ، وفي طليعتهم فولتير(Voltaire) (ت١١٩٢هـ/١٧٧٨م)[٤] ، وقد أطلق اسمه على أحد شوارع المدينة[٥] .



(١) ببليانـدر : مستشرق سويسري ، ولد في بشوفستسل (Bischofszell) في سويسرا حوالي سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م) ، هلك في زيوخ مصاباً بالطاعون ، وكان يعرف العبرية والسريانية والعربية ، بدوي : دفاع عن محمد ﷺ ، ٢١ ؛ حمدان : طبقات المستشرقين ، ٩ .

(٢) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٧٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣/٩ ؛ ديروش : القرآن وترجمته في الغرب ، ٤١ .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) فولتير : واحد من أشهر الفلاسفة الفرنسيين ، ألف كتاب «كانديد» ، ذو النظرة الفلسفية ، فلقي رواجاً كبيراً ، ونفي وسجن بسبب آراءه ثم عاد في كبره إلى باريس ، وتوفي بها . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/٦١٥ .

(٥) العقيقي : المستشرقون ، ٣/٩ .

سابعاً : القسطنطينية (Constantinople) :

تعتبر القسطنطينية المعبر الرابع لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا ، بعد الأندلس وصقلية وبلاد المشرق[١] ، إلا أنه بالرغم من هذا الاعتبار فإنها لم تكن من المراكز ذات الشأن للترجمة من العربية إلى اللاتينية .

فإذا بحثنا عن تاريخ العلاقة الإسلامية البيزنطية في اطوارها التاريخية المختلفة نجد أنها اتسمت بطابع السياسية والحروب العسكرية أكثر منها علاقة علمية فكرية ، فمنذ المحاولات الأولى لفتح القسطنطينية[٢] عاصمة الدولة البيزنطية آنذاك ، وما حدث من سفارات مع مركزي الخلافة الإسلامية في بغداد وقرطبة ، جميعها كانت لأغراض عسكرية حربية لم يذكر عنها أي نتيجة علمية مثلما كان في بقية السفارات الأخرى التي تبودلت بين الطرفين .

وما كان من نتائج علمية في بعضها فهو في صالح الجانب الإسلامي ، كسفارة المأمون إلى القسطنطينية لأجل جلب كتب تخص المسلمين ومن ثم ترجمتها[٣] .

وعلى الرغم من أن الأراضي الرومانية الغربية تعرضت لغزوات المسلمين المتكررة ، وكانت الحروب تتأجج بين الطرفين بشكل لم يكن أقل منه تأججاً في الجانب الشرقي ، إلا أن بيزنطة لم تفلح في صد هجمات المسلمين بوسائل فكرية

---

(١) جميعان : المؤثرات الثقافية الشرقية ، ١٤٥ .

(٢) بدأت المحاولة الأولى لفتح القسطنطينية في بداية العصر الأموي ، وتحديداً في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة (٤٩هـ/٦٦٩م) ، أما المحاولة الثانية فكانت في نفس عهد معاوية من سنة (٥٤هـ-٦٧٤م/٦٠هـ-٦٨٠م) ، المحاولة الثالثة كانت في عهد سليمان بن عبدالملك من (٩٨هـ-٧١٧م/١٠٠هـ-٧١٨م) ، حتى كان الفتح العظيم للمدينة في العهد العثماني وتحديداً في عهد محمد الفاتح سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ، انظر : نيقولو باربارو : الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني ، ط١ ، ترجمة ودراسة : حاتم الطحاوي ، عين للدراسات والبحوث ، ٢٠٠٢م ، ٩-٤٧ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه السفارات انظر : العدوي : السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعارف ، ١٩٥٧م ، ٥٩-٨٧ ؛ الحجي : العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة ، ٢٩-١٢٣ .

مثلما فعلت أوروبا الغربية التي استغلت الوضع ووضعت الحروب العسكرية لصالح الأيديولوجيات الفكرية التي تسعى لها آنذاك[١] .

لقد كتبت الدولة البيزنطية عدداً من المناظرات الجدلية ضد الإسلام في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وربما في القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي فصاعداً ، بل إن تأسيس المناظرات الجدلية ضد الإسلام كان مبعثه بلاد المشرق عن طريق يوحنا الدمشقي المتعصب ضد الإسلام ، ومن ثم الدولة البيزنطية التي استفادت من نصاراه المتمكنين من اللغة العربية في الاطلاع على كتابه «القرآن» ، فظهرت أول ترجمة له إلى اللغة اليونانية في القسطنطينية إبان القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي تقريباً ، فعمل نكيتاس أول هجوم مفصل ضد القرآن[٢] ، وكانت بذلك الدولة البيزنطية هي حجر الأساس الذي غذى الغرب المسيحي بالأفكار المشينة عن الإسلام ونبي الإسلام ، والتي أثرت إلى حد بعيد في أفكار الغرب وكونت الجيل الأول من الدارسين والمستشرقين الذين تربوا في كنف البابوية وجعلت منهم مدافعين عن النصرانية ضد الإسلام .

إلا أن الدولة البيزنطية فشلت في الإلمام بمعلومات كافية عن الخصم ، بخلاف الغرب الذي بدأ في كتابة جدلياته العنيفة ضد الإسلام ، والتي توالت في موجات تتناسب صعوداً وهبوطاً مع الحملات الصليبية في المشرق والأندلس ، ووظفت الترجمة في تحقيق هدفها الديني الكبير الذي ترسمه لها الكنيسة الغربية الكاثوليكية وعلى رأسها البابا الذي كانت قوته آنذاك في تزايد مستمر ، بخلاف الدولة البيزنطية التي كانت مرتبطة بالكنيسة الأرثوذكسية ، ويبدو أن دورها فيما يتعلق بالإسلام كان أقل نشاطاً من نظيرتها في الغرب[٣] .

وعليه فيمكن القول إن الدولة البيزنطية بعد عام (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) بالكاد لم يكن لها أي موقف تجاه الإسلام غير موقف الحرب الدفاعية والتاريخ العسكري

---

(١) الصباح : الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، ٨٧-٨٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ٨٣-٨٤ .

(٣) المرجع نفسه ، ٩٢-٩٣ .

فحسب ، وفي المقابل فإن الدولة البيزنطية ، والدولة الرومانية في الغرب ، قد وقفتا متباعدتين ككيانين خضع كل منهما لنفس التحدي من قبل المسلمين ولكن في عزلة عن بعضهما البعض ، ومن المؤكد –كما ذكرنا- أن الغرب قد اقتبس جزءاً من أسلحته الفكرية في المجادلات والأساطير في علاقته مع الإسلام من البيزنطيين ، ولكن بيزنطة قلما تلقت أي شيء من الغرب[1] .



(١) المرجع نفسه ، ٩٣ .

المبحث الخامس :
الشـــمال الأفـــريقي

شهدت منطقة الشمال الأفريقي نشاطاً واسعاً ، وتقدماً كبيراً في مجال العلم والفكر الإسلاميين منذ الفتح الإسلامي لها ، فانتشرت مراكز العلم في مدنها المختلفة ، وبلغ التصنيف أوجه في كافة العلوم والمعارف ، وظهر علماء أفذاذ في مختلف التخصصات ممن كانوا ينتمون لهذه المدن[١] ، وباتت هذه المنطقة محط الأنظار ، ومقصد الكثير من الرحالة والطلاب ، وهي بدورها قد أثرت في تفوق الحضارة الإسلامية ومن ثم انتقالها إلى أوروبا .

وبالرغم من الأهمية التاريخية والعلمية لهذه المنطقة ، إلا أنها لم تشهد وجود مراكز للترجمة بين مدنها الزاخرة ، ولعل ذلك يعود إلى موقعها الجغرافي المتوسط بين مراكز للترجمة كانت أكثر استقطاباً ، وأقرب مسافة بالنسبة للطلبة الأوروبيين منها ، فهي قد طوقت بمركزين أساسيين هما : بلاد الأندلس وما حوته من مدارس للنقل ، وصقلية التي اعتبرت المركز الثاني للترجمة وانتقال الثقافة الإسلامية إلى أوروبا .

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الموقع لم يحجز انتقال كثير من الطلبة الأوروبيين الذين كانوا لا يجدون صعوبة في اجتياز البحر ليجدوا أنفسهم في برِّ العدوة المغربية ، أو يقطعوا عدة أميال ليصلوا من صقلية إلى سواحل الشمال الأفريقي الممتدة آنذاك عبر البحر المتوسط ، ومن ثم يدرسوا في مراكز العلم هناك ، وقد حمل البعض منهم مؤلفات علماء هذه البلاد إلى مراكز أخرى ، وأخذ في ترجمتها وإيصالها إلى الغرب عبر هذه الترجمة .

---

(١) انظر على سبيل المثال : يوسف حواله : الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ قام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، معهد البحوث العلمية ، مكة المكرمة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، جزأين ، لطيفة البسام : الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

ومن أمثلة هؤلاء الطلبة الذين اجتازوا إلى العدوة المغربية جربرت أورلياك (ت٣٩٤هـ/١٠٠٣م) ، الذي ذاع الحديث حول وصوله إلى مدينة فاس حيث أخذ بطريقة ما في جامعة القرويين[١] عن مشايخها أيام كانت أوروبا تعيش عصورها الوسطى ، ويعتقد أنه لو قام أحد بهذه الزيارة غير جربرت لأمكن أن تمر دون تعقيب ، بيد أنه -والأمر يتعلق بهذه الشخصية التي تبوأت بعد منصب البابوية وأصبحت تحمل اسم سلفستر الثاني- لا بد أن يكون لها آثارٌ جدُّ بعيدة ؛ لأنها تمس أمماً أخرى ، وتمس ديانة أخرى ، ثم إنها تثير حساسيات من شأنها أن لا تسمح بمرور الرواية دون نقد وتمحيص ، إن لم نقل دون تزييف أو تكذيب[٢] .

فتناول مجموعة من الباحثين مسألة رحلة جربرت إلى جامعة القرويين ، وقد ناقش هذه الآراء عبدالهادي التازي في مؤلفه القيم : «جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس»[٣] بقوله : «أحب في بادئ الأمر أن أذكر أن هذه الرواية ليست من صنع المثقفين المغاربة ، نسجوها حديثاً اعتزازاً بجامعتهم ؛ وحباً في إظهار مجدها ، ولكنها رواية لأحد المستشرقين المسيحيين المتعمقين ممن كان لهم فضل قوي على الدراسات الإسلامية والعربية بما قدموه من مؤلفات ذات قيمة كبرى من الناحية الوثائقية ، ويتعلق الأمر بالأستاذ جوزي كريستوفيتش (Jouse krestovitich) الذي ذكر أن أقدم مدرسة كلية في العالم أنشئت لا في أوروبا كما كان يظن ، بل في أفريقية ، في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقاً ؛ إذ قد تحقق بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تدعى كلية القيروان ، وقد أسست في

---

(١) كانت جامعة القرويين في بدايتها ككل المؤسسات التي يرجع تاريخها إلى تلك العصور القديمة كما رأينا كانت مسجداً صغيراً لم يلبث أن تطور شكلاً ومضموناً عبر الأيام ، فقد بنيت هذه الجامعة كمؤسسة تعليمية لجامع القرويين ، الذي قامت ببنائه السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني ، عام (٢٤٥هـ/٨٥٩م) ، في مدينة فاس المغربية ، ثم أضحت هذه الجامعة هي الأولى من نوعها ، بل إنها أقدم واحدة في العالم والتي لا تزال تدرس حتى اليوم . انظر : التازي : جامع القرويين ، ٤٣/١-٥٠ ؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٧٦٩٦/٢٥-٧٧٠٥ .

(٢) التازي : جامع القرويين ، ١١٥/١ .

(٣) ص١١٥-١١٧ .

الجيل التاسع للميلاد ، وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم ، بل هـي الكليـة الوحيدة التي كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة حيـنما لم يكـن سكان باريس ، وأكسفورد ، وبادو ، وبولونيا يعرفـون مـن الكليـات إلا الاسـم ، فكانت الطلبة تتوارد على كلية القيروان من أنحاء أوروبا وأنجلترا فضلاً عـن بـلاد العرب الواسعة للانخراط في سلك طلابها ، وتلقي العلوم السامية باللغـة العربيـة مع الطلبة الطرابلسيين ، والتونسيين ، والمصريين ، والأندلسيين ، وغيرهم ، ومـن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوروبيين جربرت أو البابا سلفستر ، وهو أول من أدخل إلى أوروبا الأعداد العربية ، وطريقة الأعداد المألوفـة عنـدنا بعـد أن أتقنها جيداً في الكلية المذكورة كما يظهر ذلك في رسالته إلى الأمبراطـور أوتـو التـي أتى فيها على ذكر الصفر العربي»[1] .

فها نحن هؤلاء نرى أنها ليست «رواية مغربيـة» ، ولكنهـا روايـة عـن علـماء مختصين يصح أن نعدهم مصدراً هاماً لجوانب من حياة سلفستر ، ما تزال خفية عن بعض الباحثين ، لقد اتفقت كلمة الأوروبيين الذين أرخو لجربرت أنـه قـضى وقتـاً طالباً في الأندلس بـين سـنة (٣٥٦هـ/٩٦٧م) وسـنة (٣٥٩هـ/٩٧٠م) ، وهـم يتفقون على أنه بعث من طرف القمط بوريل (Borrel) ، ودرس تحت إشراف أتون (Othon) ، بمدينة فيش (Vich) الأندلسية شـمال برشـلونة ، ويعتقـد الـبعض أنـه وصل أيضاً إلى قرطبة ، لكن بلوغه إلى مدينة فاس أمر استـصعبه بعـضهم ، وكـان ممتنعاً عند البعض الآخر[2] .

ويذكر بعضهم أن فاس كانت من الوجهة الفكرية في القرن العـاشر المـيلادي تلميذة لقرطبة ، وخاضعة لها ، يعني ليس من المعقول أن يقـصد الطالـب مدرسـة فرعية ويترك المدرسة الأم ، على أن بعضهم استبعد أن يكـون جربـرت قـد تـأثر في إنتاجه الفلسفي والعلمي بالعلماء العرب والمسلمين ؛ نظراً لتعذر ذلـك مـن حيـث اللغة ، فإن الأساتذة المسلمين كانوا يلقنـون طلابهـم بالعربيـة ، ولم يكـن جربـرت

---

(١) التازي : جامع القرويين ، ١/ ١١٥ .

(٢) نفس المرجع ، ١/ ١١٦ .

يعرف العربية ، وهكذا نرى أن هؤلاء لا يستبعدون سفره إلى فاس حسبُ ، بل يستبعدون أيضاً أن يكون متأثراً بالحضارة الإسلامية[1] .

والواقع أن حياة جربرت يكتنفها كثير من الغموض ، لكنها بفضل البحوث المتوالية التي تطلع بين الحين والآخر تنجلي شيئاً فشيئاً للمتطلعين ، وكان الأولى أن تكون كلمة الأستاذ كريستوفيتش خطوة في سبيل إزاحة بعض الغموض وكشف الستار عن جانب من الحقائق المتعلقة بجربرت ، وقد ذهب التازي إلى أن كلمة فيش(Vich) ربما التبست على كريستوفيتش بكلمة فاس ، فطفق ينسب إلى هذه ما لتلك ، وربما كان من بواعث التباسه ذلك الحديث العاطر من طرف الوزان عن كلية القرويين ، بيد أن تركيز الرجل -وهو من عرفنا- على فاس عاصمة المغرب كان مما يدفع تلك الخاطرة ، وماذا يا ترى كان الفرق بين فاس والأندلس على هاتيك العصور؟ هل كانت هناك حراسة مضروبة على الأبواب تسأل الناس عن أوراق تعريفها؟ إن الرغبة الملحة في التعليم التي كان يتحلى بها جربرت تقتضي منه ذلك الاستطلاع ، ويكفي حديث جوزي برهاناً ، وإن من حفظ حجة على من لم يحفظ كما يقولون ، وقد ذكر شارل سينيوبوس (charles seignobos) في كتابه تاريخ الحضارة أن أهل بيزا الإيطاليين كانوا ينزلون إلى مدينة بجاية في الجزائر ، ومنها يتعلمون في مصانعها صنع الشمع ، ومنها نقلوه إلى بلادهم ، وإلى أوروبا ، ولا يزال مسمى الشمع عندهم بوجي (Bougie) ، وهو اسم بجاية في نطقهم الإفرنجي ، وبها أي ببجاية تعلم الرياضي والمهندس الإيطالي ليوناردو البيزي ، (ت حوالي ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) العلوم الرياضية ، وخاصة منها علم الجبر والمقابلة ، وأدخلها إلى أوروبا ، وما قيل عن بجاية نقل مثله قبل عن مدينة القيروان ؛ ولهذا فإننا على مثل اليقين من أن بلاد المغرب كانت مقصداً لطلبة أوروبا منذ أن أصبح للعرب والمسلمين وجود بتلك الديار[2] .

أما مشكلة اللغة التي كان جربرت يتفاهم بها مع أساتذته العرب فإنها لا تعد

---

(١) نفسه ، ١/١١٦ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٤ .

(٢) التازي : جامع القرويين ، ١/١١٦-١١٧ .

مشكلة لأن بلاد المغرب في تلك الآونة لا تقارن بأيام نكستها ومحنتها ، فهي كانت تمتد إلى أوروبا ، وكانت تفرض لغتها على الجهات التي تتصرف فيها[١] .

ولم يقتصر الأمر على جربرت في زيارته لجامعة القرويين بفاس ، بل كان المترجم ليون الأفريقي «الحسن الوزان» ممن درس بهذه الجامعة وتلقى بها دروس العلم في العقائد والفقه والتفسير والقراءات واللغة وغيرها .

ومن ثم أجبرته الظروف التي مر بها إلى أن يصبح مترجماً في إيطاليا حيث نقل القرآن الكريم وغيره من المؤلفات إلى العربية[٢] .

ولم تكن مدينة فاس لوحدها موئلاً للطلبة الأوروبيين للأخذ منها ، بل شاركتها في ذلك عدة مدن أخرى كبجاية في الجزائر ، وتونس كلاهما بأفريقية ، وكليهما أخذ منهما ليوناردو البيزي علوم الطبيعة والرياضيات ، ومعرفة الأرقام العربية ومن بينها الصفر[٣] .

كما أن مدينة تونس مسقط رأس المترجم قسطنطين الأفريقي شاركت في إمداد صقلية بمؤلفات المسلمين العلمية ، فنقلها معه إلى هذا المركز وأخذ في ترجمتها[٤] .

وقد أصبحت بلاد الشمال الأفريقي في حساب الدول الأوروبية بالدرجة الأولى ، خاصة بعد سقوط الأندلس وصقلية في حوزتهم ، فاشرأبت أعناق الدول النصرانية في اقتسامها ، ونشر النصرانية بين أهلها ، وكانت هذه الخطة من بين التوصيات التي ذكرها المنصر ريموند لول لغزو المسلمين ؛ إذ أكد على أهمية إرسال حملة صليبية عبر تونس ضمن الحملات المقترحة[٥] وهي التي قد اختيرت وأفضت

---

(١) التازي : جامع القرويين ، ١/١١٧ .

(٢) الفاسي : وصف أفريقيا ، ٧ ؛ التازي : جامع القرويين ، ٢/٥٠٧ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٩٠ ، ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٩ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ٣٧٣ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ .

(٥) السامرائي : الاستشراق ، ٩٩ ؛ غراب : رؤية إسلامية للاستشراق ، ٥٨ ؛ علي عودة الغامدي : الراهب الفرنسيسكاني ريموندلول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال أفريقية ، مجلة المؤرخ العربي : اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ع ٦ ، مج ١ ، ١٩٩٨م ، ١٥٣ .

إلى الفشل بواسطة تجربة لويس التاسع الأخيرة سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م)[1] .

وقام لول بدوره برحلة تنصيرية إلى الشمال الإفريقي ، زار خلالها تونس وبجاية ، وعقد عدة مناظرات مع علمائها ، مقتفياً في ذلك أثر أستاذه ريموند مارتين الذي سبق أن أنشأ مدرسة لتعليم العربية بتونس[2] .

وقد كانت بلاد الشمال الأفريقي بحكم قربها من الأندلس مكاناً آمناً لاستقبال المسلمين الفارين بدينهم منها ، ومن بينهم : أحمد بن قاسم الحجري الذي أراد خدمة أبناء ملته المنفيين الذين لايجيدون العربية ، فترجم عدة مؤلفات منها إلى اللغة الإسبانية : ككتاب الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)[3] سنة (١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) بتونس ، كما أنه قام بترجمة صلاة عيد الفطر ، وتلخيصاً لرحلته الشهاب ، ومناظراته مع المستشرق الهولندي اربنيوس وغيرها من الرسائل[4] .

وللمغرب أيضاً فضل كبير في إمداد مكتبة الاسكوريال الشهيرة بثلاثة آلاف سفر من كتب الدين والأدب والفلسفة ، هي عبارة عن مكتبة مولاي زيدان أمير مراكش بعد أن غنمتها السفن الإسبانية في مياه المغرب على شاطئ الأطلنطي سنة (١٠٢١هـ/١٦١٢م) ، فحملت هذه المجموعة إلى إسبانيا وضمت إلى الكتب الأندلسية بقصر الاسكوريال[5] .

وهكذا نلاحظ أن مراكز الترجمة كانت تتميز بالتالي :

١ - شملت هذه المراكز أصقاعاً كثيرةً ، وبلداناً شتى من المشرق الإسلامي

---

(١) انظر لتفاصيل هذه الحملة : عاشور : الحركة الصليبية ، ٢/٩٧٩-٩٨٦ .

(٢) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٩-١٢٢ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٦٧ .

(٣) القاضي عياض : أبوالفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة والتاريخ ، وله كتب كثيرة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣/١٥٢ .

(٤) الحجري : ناصر الدين ، ١٠٦ ؛ عبد الرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين ، ١٢ ؛ المنوني : قبس من عطاء المخطوط المغربي ، ٢/١٠٢٨ .

(٥) عنان : نهاية الأندلس ، ٣٩٢ .

ومغربه ، هذا بالإضافة إلى بلاد الأندلس التي كانت المركز الأول والأهم من بين كل المراكز ، ومن ثم صقلية والجزر الأندلسية (البليار) .

ولم تقتصر هذه المراكز على البلدان الإسلامية ، بل ضمت إلى جانبها دولاً أوروبية كثيرة ، فجاءت مدارس الترجمة تبعاً لذلك كثيرة متنوعة .

٢ - نلاحظ أن الترجمة كانت أكثر نشاطاً في المناطق التابعة للدول النصرانية ، وذلك يعود إلى الدوافع التي حفزت على نشأتها ، كالدينية والسياسية والاقتصادية ، ومن ثم العلمية وغيرها .

٣ - لم تكن جميع المراكز متوفرة على مدارس للترجمة ، بل كان منها ما لم يؤسس به ولو مدرسة واحدة ، ولكنها أدت دوراً لا يستهان به في خدمة الترجمة وسيرها ، فكان إيرادها أمراً ضرورياً ومحتوماً .



الفصل الثاني :

المترجمون من العربية إلى اللاتينية وتوجهاتهم

المبحث الأول : المسلمون وتوجهاتهم .

المبحث الثاني : النصارى وتوجهاتهم .

المبحث الثالث : اليهود وتوجهاتهم .

إن التشابه في أسماء كثير من المترجمين ، وتعدد أسماء البعض منهم كان من الأمور التي أدت إلى صعوبة دراسة هذا الفصل نوعاً ما ، فقد يكتب اسم المترجم الواحد حسب نطقه في عدة لغات مما يسبب اللبس والتشويش ، أضف إلى ذلك أن بعض المترجمين قد دخلوا في النصرانية وتسموا بأسماء أخرى كالمسلمين واليهود الذين تنصروا وأصبحت أسماؤهم تبعاً لذلك تابعة للنصارى ، فصعب لأجله تصنيفهم ضمن أي نوع من المترجمين .

ومن جانب التوجهات فقد كان للمترجم الواحد أكثر من توجه ، وكان البعض منهم لا يذكر له توجه ، إما بسبب عدم ذكر المصادرعن سيرته وحياته شيئاً ، أو بسبب غموضه وعدم الإفصاح عن توجهه الحقيقي فيما نقل وترجم ، كل هذه الأمور كانت عائقاً في تقسيم المترجمين سواءً في الديانة أو التوجه .

المبحث الأول : المسلمون وتوجهاتهم

قد يتبادر إلى الذهن الاستغراب عند إيراد مترجمين مسلمين ضمن قائمة مترجمي العلوم من العربية إلى اللاتينية ، إلا أن هذا الشعور لا يلبث أن يتلاشى عندما نقف ملياً أمام مراكز الترجمة نفسها ، لا سيما الأندلس وصقيلة اللتين كانتا تمثلان أهم المراكز على الإطلاق ، وقد أصبحت إسلامية خالصة بعد الفتح الإسلامي لها ، وكان المسلمون يمثلون أكثرية السكان ، بينما الديانات الأخرى كالنصرانية واليهودية أقلية صغيرة أضاعت لغتها ، وتعربت واتخذت الأسماء العربية أسماءً لها[1] .

واستمرت نسبة المسلمين المتزايدة حتى بعد استيلاء النصارى على هذه المناطق فنجد أنه في بلاد الأندلس -ونتيجة تنامي المد النصراني عليها- ارتحل قسم كبير من سكانها المسلمين إلى الجنوب لاسيما مملكتي غرناطة وبلنسية ، إلا أن القسم الأكبر منهم آثر البقاء في أماكنهم التي سمح لهم فيها العيش ، وسكنوا في الأحياء المخصصة لهم في أكثر من مائة مدينة آنذاك ، وعاشوا مواطنين من الدرجة الثالثة في بلاد لم يعرفوا هم وأجدادهم بلاداً غيرها[2] .

ونتيجة الكثرة الهائلة لهؤلاء الرعايا فقد ضجت السلطات النصرانية من تواجدهم في مستعمراتها الجديدة ، فأخذت تبحث عن الحلول المجدية للتعامل معهم في بداية الأمر فكانت المرحلة الأولى وهي : (التدجين) ، فأطلق على المسلمين الذين ظلوا في أوطانهم التي استولى عليها العدو اسم (المدجنين) ، وهو لفظ أطلق على كل المسلمين الذين بقوا في الأرض الإسلامية بعد أن سقطت بيد النصارى ، فخضعوا لنظم هؤلاء وعاداتهم وتقاليدهم ، ولكنهم احتفظوا

(١) روبرت هيلبنراند : زينة الدنيا قرطبة القروسطية مركزاً ثقافياً عالمياً ، ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ١/ ١٨٧ .

(٢) بشتاوي : الأندلسيون الموراكة ، ١٣ ؛ عبد الجليل التميمي : تأملات جديدة حول مصير الموريسكيون الأندلسيون بعد سقوط غرناطة ، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٥م ، ٢٩٨ .

بعقيدتهم الاسلامية كاملة صحيحة ، وبلغتهم إلى حد ما إلى جانب لغة الدولة[١] .

وقد بدأت هذه التسمية بعد سقوط طليطلة سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، واستمرت إلى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، عندما أجبر مسلموا مملكتي قشتالة وأراغون على اعتناق النصرانية سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) ، لتبدأ معها المرحلة التالية من إفقاد المسلمين هويتهم الدينية بإطلاق لفظ (الموريسكيون) (Morisco)[٢] ، بدل المدجنين عليهم[٣] .

كان المدجنون يمثلون أهمية اقتصادية وحضارية بالنسبة للممالك الإسبانية التي منحتهم البقاء بأرضها ، وبالضرورة فلا بد أن لهم دروا فعالاً في نقل العلوم الإسلامية وترجمتها إبان عصر الترجمة في هذه الممالك ، خاصة طليطلة التي كانت تضم عدداً كبيراً منهم ، فاضطلعت بدور مهم في التاريخ الفكري لأوروبا[٤] .

أما مدينة بلنسية فقد كانت تضم أكبر عدد من السكان المسلمين في شرق الأندلس ، الأمر الذي جعل السلطات النصرانية تسعى إلى دمجهم ضمن عناصر المجتمع ، بدلاً من الطرد الذي يؤدي إلى تجمعهم وتشكيلهم قوة تواجه العدو ، ثم

(١) وات : في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ١٦٠ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ٥٦ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوربي ؛ ٤٥-٤٦ ؛ مكي : الموريسكيون في الفكر التاريخي الإسباني ، ١٤٣/٢ .

(٢) الموريسكيون : لفظ موريسكو (Morisco) تصغير لكلمة مورو (moro) ، وهذه مأخوذة من الكلمة اللاتينية (Mauritanio) ، وكانت قديماً تعني المغرب كله ، وأطلقت على المرابطين عندما عبروا مضيق جبل طارق لمساعدة ملوك الطوائف عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) ، ثم على كل المسلمين ، حتى إن الإسبان عندما احتلوا جزر الفلبين ، ووجدوا فيها جالية إسلامية كبيرة أطلقوا عليهم اسم موروس (Moros) ، ولا يزال المسلمون في الفلبين يحملون هذا الاسم حتى يومنا ، والمنظمة التي تدافع عن حقوقهم في مواجهة العدوان الواقع عليهم من الكاثوليك تحمل اسم جبهة المورو .
أما الاسم مصغراً فأطلقه الإسبان أولاً ، ثم الأوربيون بعدهم ، على المسلمين الذين تخلفوا في الأندلس بعد سقوط مملكة غرناطة سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) تحقيراً لشأنهم . مكي : الموريسكيون في الفكر التاريخي الإسباني ، ١٤٣/٢ ؛ السماك : الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ص١٦١ ؛ حتامله : مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، ص٥٠٨ .

(٣) ميكيل دي إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا ، ٥٨ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ٥٦ .

(٤) وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٤٣ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ١٠٢ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٠٧ ؛ حلاق : العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب ، ٩٥ .

استغلالهم في عمارة الأرض ، لاسيما وهم المهرة في الصناعة والعمارة والزراعة ، بل في العلوم والآداب[١] .

ويروى أن ألفونسو العاشر استعان بكثير من العلماء المسلمين في إنشاء مشاريعه العلمية كمدارس الترجمة ومعاهدها ، وإقامة مرصد عظيم في مملكته ، فكان لهم دور كبير في نقل علوم المسلمين إلى اللغة اللاتينية والقشتالية أيضاً ، والتأليف فيها ، حيث إن من ساهم في وضع الجداول الفلكية الشهيرة المسماة بالجداول «الألفونسية» هم هؤلاء المدجنون الذين بقوا في مملكة قشتالة بعد استيلاء النصارى عليها[٢] .

ولأهمية عنصر المدجنين في الممالك الإسبانية فقد كانت عملية التذويب داخل المجتمع النصراني تسير وفق خطة استغلالية مدروسة ، فكانت الحقوق الدينية والثقافية واللغوية لهم في حال مد وجزر على الدوام ، وهي محكومة في الغالب بإرادة الدولة أو حجم الضغط الكنسي ، الأمر الذي أخذت فيه اللغة العربية تتراجع عن الاستخدام في كل من قشتالة وأراغون ، فاقتصر استخدامها في البداية على الجوانب القانونية والدينية ، ثم انحصر في نطاق محدود للغاية ، حتى حلت اللغة الألخميادية أو الأعجمية (Aljamia)[٣] فيما بعد محلها[١] .

---

(١) عنان : نهاية الأندلس ، ٥٧ ؛ الهاجري : أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الأرغوني خايمي الأول ، ١٣٢ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٤ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ١٣٤ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ١٠٤ .

(٣) الألخميادية : هو مصطلح إسباني بمعنى المستعجمة ، وهو تحريف للفظ الأعجمية ، فقيل : الأجميَّة ، ثم الأخامية ، ألخاميَّة ، ثم بعد ذلك الألخميادية ، وقد لبثت زهاء قرنين سراً مطمورة حتى ظفر بها بعض العلماء الإسبان بمجموعة من مخطوطاتها في أوائل القرن الماضي ، وعندئذ ظهرت عنها المعلومات الأولى ، ومما يجدر ذكره أن هذه اللغة الرومانية كانت لغة المستعربين ، أيام الدولة الإسلامية ، وكانت معروفة ذائعة في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية التي تقيم بها طوائف كبيرة من النصارى المستعربين ، وكان يتكلم بها بعض أكابر الصقالبة في البلاط ، ويعرفها بعض العلماء المسلمين ، وكان المسلمون الأندلسيون يستعملونها أحياناً في بعض عبارات من هذه اللغة الرومانية ، ويسمونها في كتبهم باللطينية ، أي اللاتينية ، وقد تسرب منها بمضي الزمن كثير من

والألخميادية لغة رومانسية مكتوبة بحروف عربية ، برزت أهميتها كردة فعل على قرار منع استخدام اللغة العربية المتواصل ، أو التضييق عليها أحياناً ، وقد استفاد منها المدجنون كثيراً في فترات الاضطهاد حينما سطروا بها شعائر الدين وعلومه ؛ ليتداولوها فيما بينهم[٢] .

وقد وصلت إلينا بعض هذه المؤلفات المكتوبة باللغة الألخميادية ، منها كتاب : «مختصر السنة» أو «مجموعة في الأوامر والنواهي في الشرع والسنة» ، الذي يعدُّ أول نص مكتوب بهذه اللغة ، سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)[٣] .

وقد ساعدت هذه اللغة الوسيطة في نقل التراث الإسلامي إلى الغرب ، مثلما ساعدت في تداوله بين المدجنين داخل الممالك الإسبانية ، فهذا عيسى بن جابر مفتي سيجوفيا ، ومؤلف أول كتاب بهذه اللغة «مختصر السنة» كان من كبار المترجمين من العربية إلى اللاتينية ، وقد اضطلع بترجمة القرآن الكريم بعد طلب من خوان دي سيجوفيا ، (Juan de segovia) ، ومن ثم استفاد من مهارته هذه في ترجمة نصوص الدين الإسلامي من الفقه وغيره إلى اللغة الخميادية ، لصالح بني ملته الذين أُنسوا لغتهم بسبب حظر استعمال اللغة العربية وضغوط محاكم التفتيش[٤] .

لم يقتصر نقل التراث الإسلامي إلى هذه اللغة في مجال العلوم الدينية فقط ، بل

=

الألفاظ في الزجل الأندلسي ، وفي مملكة غرناطة كانت اللغة العربية الشعبية ، يتسرب إليها كثير من الألفاظ الرومانية القشتالية ، وهذه هي التي تسربت بالأخص فيما بعد إلى لغة الموريسكيين الألخميادية . بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٧ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٢ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ٤٩٥ .

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٧ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٣ ؛ الهاجري : أوضاع المسلمين في بلنسية ، ١٣٢ .

(٢) ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس ، ٨٥ .

(٣) إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ص١٤ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٤١ .

(٤) إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص٤١ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، ص١٤ ؛ ايرفوا : علماء الأندلس ، ٢/١٢٠٠ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٢ .

تعداه إلى اللغة والأدب ، فظهر أدب بالألخميادية نثراً وشعراً ، وهو يمثل في ذاته الأدب الإسلامي ، وبعضه منقول عنه ، مما كان له أبلغ الأثر في الأدب الأوروبي بعد ذلك[١] .

واستمرت هذه اللغة ، بل حتمت الظروف وجوب استعمالها لغة أساسية للمدجنين بعد أن تغير وضعهم بشكل جذري في الممالك النصرانية ، وقد أتى ذلك بفعل عاملين اثنين :

أولاهما : الإستيلاء على مملكة غرناطةفي نهاية القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي .

والثاني : التنصير الإجباري للمسلمين في أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، لننتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانية من إفقاد المسلمين هويتهم الدينية إلى إطلاق لفظ الموريسكيين عليهم[٢] .

وقد برز هذا اللقب «الموريسكيون» في التاريخ بعد قرار التنصير القهري الذي صدر بحق المسلمين الأندلسيين سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) ، فألزمهم باعتناق الكاثوليكية أو الرحيل ، حيث استلبت الحقوق والضمانات ، وأغلقت المساجد وحظر على المسلمين إقامة شعائرهم ، وانتهكت عقائدهم وشريعتهم ، وأصبح الواحد يعرف بين الناس بلقب الموريسكي (el Morisco) تصغيراً لكلمة المورو (Moro) ، بمعنى المسلم ، فاللقب الجديد يقصد به الإشارة إلى ذلتهم وحقارتهم والتقليل من قدرهم ، كما أنه اتسع ليتجاوز دلالته الدينية إلى الإشارة للحضارة والثقافة الإسلامية ذاتها[٣] .

---

(١) لوي كارديكا : الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ط١ ، ترجمة عبدالجليل التميمي ، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، (د.ط) ، تونس ، ٧١ ؛ التميمي : تأملات جديدة حول مصيرية الموريسكيون الأندلسيين ، ٣٠٢ .

(٢) عنان : نهاية الأندلس ، ص٣٢٢ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٧ .

(٣) عنان : نهاية الأندلس ، ص٣٢٢-٣٢٣ ؛ حتامله : مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، ص٥٠٨ ؛ عبدالله جمال الدين : طرد المسلمين من الأندلس ، مراحله وآثاره ، نتائجه ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ؛ =

وفي عهد هـؤلاء الموريـسكيين ، اسـتمرت أهميـة اللغـة (الألخميادية) التـي ورثوها عن المدجنين قبلهم ، ومن خلال مقارنة هذه الكتابـات الأولى للإلخميادية لوحظ أن كلمات كثيرة كتبت بطرق مختلفة ، ما يعني أنها ظهرت كحل عاجل لحفظ وإنقاذ علم وتراث معرض للضياع والفقدان ، كما أن بدائية الخط ونقـصان جماليتـه في الغالب تقود إلى استنتاج أنهم اعتبروها مرحلة مؤقتة ربما لزم المـرور بهـا بانتظـار المنقذ العثماني الذي سيلتفت إليهم عن قريب[١] .

ويؤكد هذا الشعور ما جاء في فتوى الفقيه المغراوي[٢] إلى الموريـسكيين وقولـه سنوات معدودة فقط بعـد سـقوط غرناطـة وتحديـداً سـنة (٩٠٩هــ/١٥٠٣م) : «أسأل الله أن يدير الكرة للإسلام حتى تعبدوا الله ظاهراً بحول الله من غير محنة ولا وجلة بل بصدمة الترك الكرام»[٣] ، ومع انطفاء هـذا الأمـل أصـبحت الإلخميادية ضرورة ، فتطور أمرها وتكثف التأليف بها ، ووصل إلى إبداع القـصائد والأشـعار وتأليف الكتب الكثيرة ، وقد كانت غاية أغلبها بعث الحيـاة الدينيـة وحفظهـا مـن جديد وبكل همة ونشاط هذه المرة ، والدفاع عن هذا التميز ، وحق الاختلاف عـن الآخر ، ومثال على ذلك الشاعر محمـد ربـدان الأراغـوني (Mohammed Rbadan

=

٢/١١٥ .

(١) عنان : نهاية الأندلس ، ص٣٤٤ ؛ وقد توالت استنجادات الموريسكيين بالدولـة العثمانيـة للنظـر في وضعهم ، منها تلك السفارة التي بعث بها أهل غرناطة في منتـصف سـنة (٨٨٢هــ/١٤٧٧م) ، إلى السلطان العثماني محمد الفاتح في استانبول ملفتين نظره إلى حالة المسلمين بالأندلس ، طـالبين تدخلـه لإنقاذهم . ومنها تلك الرسالة التي بعث بها الموريسكيون أيضاً إلى السلطان العثماني سليمان القـانوني سنة (٩٤٨هـ/١٥٤١م) ، يطلبون منـه النجـدة إثـر انتـصارهم عـلى شـارل الخـامس ملـك فرنـسا بالجزائر . عبدالجليل التميمي : رسـالة مـن مـسلمي غرناطـة إلى الـسلطان سـليمان القـانوني ، سـنة (١٥٤١م) ، المجلة التاريخية المغربية ، للعهد الحديث والمعاصر ، تونس ، ينـاير ، (١٩٧٥م) ، ع٣ ، ص٣٨-٤١ .

(٢) ورد في نص الرسالة اسمه كاملاً : أحمد بن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني . عنـان : نهايـة الأنـدلس ، ص٣٤٤ .

(٣) المرجع نفسه .

Aragonese)[١] ، وقصيدته حول حياة النبي ﷺ ، والمحافظة عليها بين الموريسكيين ، كما يتناول سير أبطال من التاريخ الإسلامي ، وحكايات حماسية ترجع إلى فجر الإسلام ، إضافة إلى قصص الأنبياء ، ويتضمن إلى جانب هذه الموضوعات موضوعات عن الطب ، وأقوال ومناهج تربوية ، وخطط مسارية ، وتوجيهات تحض على الهرب من الجزيرة الإيبيرية[٢] .

أما في صقلية فقد كانت أعداد المدجنين مع بداية الاحتلال النورماندي لها كبيرة أيضاً ، وكانت السياسة المعمول بها تجاه هذه العناصر هي نفس السياسة المعمول بها معهم في الممالك الإسبانية ، بل لعلها أفضل حالاً في بعض الأحيان ، وقد استفيد من المدجنين في كافة مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في الجزيرة ، وقربهم الكثير من ملوك النورمان ، ولكنهم ما لبثوا بعد حقبة من الزمن أن شدد عليهم ، واضطهدوا في دينهم ، وأجبر كثير منهم على التنصر ، وأطلق عليهم مثلما أطلق على إخوانهم في الأندلس «الموريسكيون»[٣] ، ولعل مدينة لوتشيرة (Otchireh)[٤] الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة نابولي خير مثال على هذه الجالية المسلمة التي هجرت أرضها قسراً ، ومحاولة تنصيرهم بالإقناع أولاً ثم بالقوة في آخر الأمر حيث تم تنصير مسلمي المدينة عنوة سنة (٦٩٩هـ/

---

(١) محمد ربدان أو الراعي ، وقد كان حياً في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، وأصله من روطة خالون من أراجون ، وله نظم كثير ، وقصائد قصصية ، وأخرى دينية ، ومن آثاره في القصص الديني كتاب عن هول يوم الحساب ، وقصة النبي ﷺ منذ بدء الخليقة ، وأغنيات دينية ، وأسماء الله الحسنى ، وكلها بالنظم ، وشعره يمتاز بالجزالة والسهولة . عنان : نهاية الأندلس ، ص٤٩٦ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٩٢ ؛ ايرفوا : علماء الأندلس ، ١٢١١/٢ .

(٢) كارديكا : الموريسكيون الأندلسيون ، ٧١ ؛ ايرفوا : علماء الأندلس ، ١٢١١/٢ ؛ حتامله : مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، ص٥٣١ .

(٣) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٢١ ؛ عباس : العرب في صقلية ، ١٣١ ؛ جاردز : مملكة صقلية في عهد النورمانديين ، ٥٦/٥ .

(٤) لوتشيرة : تقع مدينة لوتشيرة في إقليم بوليا ، الواقع إلى الجنوب الشرقي من إيطاليا ، أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٥٧٥/٣ .

١٣٠٠م) ، فانتهى بذلك الوجود الإسلامي في صقلية وجنوب إيطالية[1] .

وإذا كان الوجود السياسي للمسلمين قد انتهى في كل من الأندلس وصقلية فإن وجودهم كموريسكيين أي مسلمين متظاهرين بالنصرانية استمر إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي في الأندلس حيث شكلوا مركزاً إسلامياً وسط أرضٍ نصرانية ، استناداً إلى ما وصل إلينا من وثائق وإحصائيات تبين نسبهم في كل منطقة .

ففي مملكة غرناطة لوحدها كان عدد الموريسكيين في سنة (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) ما بين مائتي ألف إلى خمسمائة ألف شخص .

أما مملكة أراغون والتي شملت قطالونيا ، وبالنسيا ، وغيرها فقد بلغ عدد الموريسكيين بها في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي حوالي (٢٣٥٠٠٠) شخص .

وفي مملكة قشتالة التي ضمت مناطق واسعة من شبه الجزيرة ، كطليطلة ولامانشا ، أندلوثيا ، ومورثيا فقد بلغ عدد موريسكيوها في القرن ذاته مائتي ألف شخص ، وربما وصل إلى أربعمائة ألف شخص سنة (٩٧٧هـ/١٥٦٩م)[2] .

وهذه التقديرات تضع عدد السكان الأندلسيين في كل من أراغون وقشتالة ومملكة غرناطة بعد القضاء على الثورة الأندلسية الكبرى سنة (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) ، بحدود مليون شخص على الأقل (نصف مليون في أراغون ، ونصف مليون في قشتالة ، وما بين ستمائة ألف ، ومائة وخمسين ألفاً في مملكة غرناطة)[3] .

أما في صقلية فأكثر المدن التي كانت استيعاباً للموريسكيين كما ذكرنا هي مدينة لوتشيرة ، حيث بلغ عدد المحاربين منهم في سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) خمسة

---

(١) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٢١-١٢٢ ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٥٩٧/٣ .

(٢) أنطونيو هورتز وبرنارد بنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، حياة ومأساة أقلية ، ط١ ، ترجمة : عبدالعال طه ، دار الإشراق ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٥٠-٥١ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٢ ؛ بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ١٧٠ .

(٣) بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ١٧٠ .

وعشرين إلى ثلاثين ألفاً ، هذا عدا الآخرين من غير المحاربين[١] .

إن هذه الأعداد المذكورة عن الموريسكيين في ممالك الأعداء ما هي إلا أمثلة قليلة عن الإحصائات الكبيرة لهم ، والتي تخفي وراءها أحداثاً مؤسفة من القتل والتشريد والسجن الذي تعرض له الموريسكيون ممن لم يذكر لهم إحصاء ، أو من لم يدمج في هذه النسب ، لا سيما وأن معظم المؤرخين النصارى في تلك الحقبة البعيدة من الزمن كانوا عمالاً للملوك يأتمرون بأمرهم ، ويظهرون أو يخفون ما يريد أصحاب نعمتهم ؛ ولذا فليس من المستبعد أن يكون النهج في ذلك الوقت خفض عدد الموريسكيين ممن بقوا في مراكز الترجمة للتقليل من شأنهم ، وتجاهل معظم الحقائق المتعلقة بعددهم وإمكاناتهم أو موقفهم تجاه السلطات الحاكمة ، هذا - بالطبع - خلاف الصعوبة الناتجة عن بدائية عمليات الإحصاء في تلك الفترة ، والانخفاض الذي كان يلحق بعدد السكان نتيجة الأوبئة ، وعملية إعادة توزيع السكان بسبب الحروب والقحط ، وغيرها من الأسباب ؛ كالإجلاء الذي تعرض له الموريسكيون في كل من الأندلس وصقلية ، ففي الأندلس تم إجلاء أعداد كبيرة من الموريسكيين إلى الشمال الأفريقي وفرنسا وغيرها من الدول الأوروبية عبر فترات مختلفة[٢] ، وتتفاوت الإحصائيات في أعداد الموريسكيين المطرودين من إسبانيا حسب اختلاف المؤرخين كالتالي[٣] :

---

(١) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٥٧٥ .

(٢) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس ، ١٠٢ ؛ بشتاوي : الأندلسيون الموراكة ، ١٦ ؛ طارق خضر : علاقة الموريسكيون بالأراضي العربية المكرمة ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ٢/٤٥ .

(٣) جميع هذه الإحصائيات نقلاً عن : محمد رزوق احمد : التجربة الأندلسية الموريسكية ، محاولة فحص من الداخل ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات ، ٢/٢٠-٢١ .

أ - المؤرخون الذين شاركوا في الأحداث أو على الأقل عاصروها نجد :

المؤرخ	العدد
Bleda ، ليدا	٣٤٠٦٧٢ موريسكي
Penalosa بنالوسا	٣١٠٠٠٠ موريسكي
Salazarde mendoza	٣١٣٠٠٠ موريسكي

ب - مؤرخو (ق١٢هـ/١٧م) :

المؤرخ	العدد
مونكدا (Moncada)	٤٠٠٠٠٠ موريسكي
اسكولانو (Escolano)	٦٠٠٠٠٠ موريسكي
Rodrigo mendez silva	٩٠٠٠٠٠ موريسكي

جـ - المصادر الموريسكية :

المؤرخ	العدد
الشهاب الحجري	٨٠٠٠٠٠ موريسكي
ابن عبدالرفيع	٦٠٠٠٠٠ موريسكي

وعلى كلٍّ فإن جل الباحثين يركزون على رقم (٣٠٠٠٠٠) موريسكي كانوا بإسبانيا آنذاك ، وأن عدد المطرودين منهم بلغ حوالي (٢٧٥٠٠٠) موريسكي ، أي أن حوالي (٢٥٠٠٠)ألف موريسكي استطاع البقاء في إسبانيا بعد فترة الطرد ، وقد انتقل منهم إلى الشمال الأفريقي عبر البحر حوالي (١١٦)ألف موريسكي ، في حين اجتاز الآخرون جبال البرانس للتوجه إلى فرنسا ، وهكذا اجتاز الحدود الإسبانية الفرنسية حوالي (٥٠)ألف موريسكي على دفعات[1] .

إن هذه الإحصاءات المذكورة تعطي دلالة عظيمة على أن المسلمين بقوا في مركز الأندلس بأعداد كبيرة بعد سقوطها بيد الإسبان ، فمن خلال إحصاء سنة

(١) المرجع نفسه ، ٣١/٢ .

(٩٧٣-٩٨٠هـ/١٥٦٥-١٥٧٢م) إلى غاية الطرد سنة (١٠١٨هـ/١٦٠٩م) ازداد الإسبان بنسبة (٤٤.٧%)في حين ازداد الموريسكيون بنسبة (٥٩.٧%)[١] ، وهذه النسبة المرتفعة لا بد وأنها شاركت بدورها في عملية الترجمة من العربية إلى اللاتينية آنذاك .

وقد سبق أن تحدثنا عن دوافع الترجمة الدينية ، التي برزت أهميتها منذ وقت مبكر ، وكان في مقدمة المترجمات لتحقيق هذه الدوافع القرآن الكريم ، ولترجمته تطلب الأمر البحث عن عدد من المترجمين العارفين به ، المتضلعين بلغته ، فكانت الحاجة إلى إيجاد نقلة مسلمين إلى جانب النقلة النصارى ؛ ليتمكن الأخيرون من إيجاد ترجمة مفهومة صحيحة ، فكان ذلك .

نعم ، إن جميع ترجمات القرآن الكريم من العربية إلى اللاتينية استعين فيها بمترجم مسلم واحد على الأقل إلى جانب المترجمين من الديانات الأخرى ، فترجمة بطرس المحترم التي تمت سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) استعين فيها بمترجم مسلم اسمه : محمد ، أشار إليه بطرس المحترم مرة واحدة فقط ، إلى جانب بقية المترجمين النصارى كروبرت ، وهرمان الدلماتي[٢] .

ونحن لا نعرف عن هذا المترجم المسلم سوى الاسم ؛ حيث لم تذكر المصادر عنه شيئاً لا سيما بطرس المحترم نفسه ، ولكنه بلا شك كان من مسلمي الأندلس ، ولعله من طليطلة بعد أن استولى عليها النصارى ، فبطرس المحترم قبل أن يبدأ مشروعه هذا زار المدينة للتعرف على أحوال النصارى بها[٣] ، فلربما أنه أخذه معه بالإكراه كأسير حرب لا يملك من أمره شيئاً .

ويبدو أن الهدف من إضافة هذا المترجم المسلم إلى فريق الترجمة هو فهم لغة القرآن الكريم التي كانت تمثل صعوبة لغير العارفين بها ، مما يتطلب إيجاد

---

(١) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس ، ٥٨ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨١ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٨٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١١٠ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٠ .

(٣) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١١٠ .

شروحات وتفاسير لم تكن في متناولهم ، إضافة إلى عدم تمكنهم في ذلك العصر من الحصول على معاجم كبيرة تفسر الكلمات القرآنية ، فكان من الأيسر للوصول إلى هذه التفاسير ، هو هذا المترجم المسلم الذي يستطيع التعامل مع هذه المشكلات[١] .

أما الترجمة التي قام بها يوحنا السيجوفي خلال الربع الثاني من القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي فقد استفاد من خبرة مختص مسلم في الفقه من سيجوفيا ، وهو الفقيه عيسى بن علي ، أحد الموريسكيين الذي جاء مع رفيق له مسلم ، وقضى أربعة أشهر في سافوي ، نسخ فيها القرآن الكريم ومعه ترجمة إسبانية[٢] ، وفي ظروف مشابهة خرجت ترجمة لاتينية في إيطاليا برعاية من «إيكيديو الفيتربي» ، وقام بهذا العمل شخص يدعى جيوفاني التيروالي ، واستعان بدوره بمترجم مسلم وهو : ليون الأفريقي ، «الحسن الوزان» ؛ إذ عمل محرراً ومصححاً لهذه الترجمة ، وهكذا نجد أن أغلب ترجمات القرآن الكريم اللاتينية استعين فيها بمترجمين مسلمين لتخطي الصعوبات في فهم النص العربي[٣] .

وقد وصلتنا إشارات عن اشتغال بعض الموريسكيين بالتدريس ، وظهور أسماء البعض ممن اشتغلوا بالكتابة والتأليف والترجمة والاستكشاف وغيرها من الحقول التي لا نملك تفاصيل دقيقة عن أصحابها[٤] .

ولعل السبب في قلة المعلومات عن المترجمين المسلمين وندرتها يعود إلى الجانب النصراني الذي أخذ يقصي ذكر الإسلام وحضارته من كل مجال ، فلربما كان من اضطلع بترجمة العلوم الإسلامية في الأندلس وصقلية عبر مدارسها هم المسلمون الذين بقوا في هذه المراكز بعد الاحتلال النصراني ، ولكنَّ أسماءهم هُمِّشت عمداً

---

(١) ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٠ .

(٢) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ص١٤ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ص٦٥ ؛ ايرفوا : علماء الأندلس ، ٢/١٢١٠ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٢ .

(٣) ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ .

(٤) بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ١٧٦ ؛ أحمد أبوشرب : أوضاع الجالية الإسلامية بالبرتغال ، الأندلس قرون من التقلبات ، ٢/٨١ .

من تاريخ الترجمة وأعلامها بسبب الحقد ضد المسلمين .

فكما ذكرنا بأن ترجمات القرآن كانت تتم بمشاركة مترجمين مسلمين لم تذكر أسماؤهم إلا عرضاً في الحديث عن الترجمة ، ثم تنسب هذه النقول إلى رجال الدين النصارى ومن عاونهم من أهل ملتهم فقط ، أما المسلمون فليس لهم نصيب إلا تقديم المعروف لمن لا يشكر أهله .

وإذا كانت علوم المسلمين سرقت ونسبت لغيرهم بعد ترجمتها فلا يستغرب إذن أن تسرق جهود المترجمين المسلمين وتنسب إلى غيرهم من رجال الدين النصارى أو الساسة والملوك الذين رعوا الترجمة وباركوها ، أو إلى اليهود الذين اشتهر أمرهم بالترجمة ، وهم قد تولوا أمر المسلمين من قبل الدول الحاكمة ؛ إذ جاء في رسالة شعرية على لسان أحد الموريسكيين يشكو حالهم : «وقد حكَّموا فينا اليهود الذين لا عهد لهم ولا ذمام»[1] .

ولعل أهم الإشارات التي وصلتنا عن مترجمي المسلمين في فترة الموريسكيين هو ما ذكره أحمد بن قاسم الحجري الذي كان معاصراً لأحداث هذه الفترة ، وتحديداً في مدينة غرناطة التي ذكر أسماء اثنين من شيوخها اشتغلوا بالترجمة للنصارى ، أحدهما يدعى : «الأكيحل الأندلسي» ، كان ترجماناً بالإجازة[2] ، أما الآخر فهو «الصالح الجَبِّس» ، وكلاهما كانا مترجمين بمدينة غرناطة[3] .

وما ذكره الحجري من اضطلاع هذين الشيخين وغيرهما بالترجمة ، وتناقلها

---

(١) عنان : نهاية الأندلس ، ٣٦٣ .

(٢) الإجازة : مأخوذة من جواز الماء الذي تسقاه الماشية والحرث ، يقال : استجزته فأجازني ، إذا أسقاك ماء لماشيتك وأرضك ، كذا طلب العلم ، يسأل العالم أن يجيزه علمه فيجيزه إياه ، فالطالب مستجيز والعالم مجيز ، وأجاز له : سوغ له ، واستجاز : طلب الإجازة أي الإذن ، أما المعنى الاصطلاحي للإجازة فهو : إباحة المجيز للمجاز له رواية ما يصح عنده أنه حديثه ، وهي أحد طرق نقل الحديث وتحمله ، وأركانها أربعة : المجيز والمجاز له والمادة المجازة ، ولفظ الإجازة ، وهي إما مشافهة أو كتابة . ابن فارس : مقاييس اللغة ١/ ٤٩٤ ؛ الخطيب البغدادي : أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) : الكفاية في علم الرواية ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٣٥٧هـ ، ٣١٢ ، ٣٢٥ .

(٣) الحجري : ناصر الدين ، ١٦ .

فيما بينهم عن طريق الإجازة أكبر دليل على شيوعها في أوساط الموريسكيين في تلك الآونة ، وأنها كانت بمثابة العلوم المتوارثة فيهم لدرجة أن محمد بن أبي العاص حفيد الشيخ الصالح الجبِّس كان مترجماً مثل جده إلى جانب تعليمه اللغة العربية للنصارى ، وعن طريقه تعرف هؤلاء على موهبة الحجري في الترجمة فاستدعوه إلى ترجمة رق مكتوب بالعربية وجد في صومعة غرناطة بعد هدمها كان قد استعصى على كثير من المترجمين ، فلما نجح في ترجمته كافؤوه ، وفرحوا فرحاً عظيماً ، وأعطوه ثلاثمائة ريال ، وكتاباً بالإذن للترجمة من العربي إلى العجمي وبالعكس[١] .

وعلى الرغم من ذلك فإن عملية الترجمة والنقل بالنسبة للنقلة المسلمين كانت تتم في حدود ضيقة ، وتحت رقابة الدولة ، وهذا ما نستشفه من كلام الحجري الذي كان يخفي موهبته ضناً على نفسه ؛ إذ أصبح من يعرف اللغة العربية موضع شك وريبة من قبل النصارى ، إلا أن يستخدمها في مصلحتهم وحسب[٢] .

ولتأكيد الأمثلة في استغلال الغرب للمترجمين المسلمين نورد مثالاً للمستشرق ريموندلول الذي استعان بأسير مسلم كان قد اشتراه لغرض تعلم اللغة العربية وعلومها ، فظلا سوياً يدرسان لمدة تسع سنوات ، ولما آن الأوان لكي يتخلص منه قتله بعد أن استفاد من ملكاته في العلم واللغة ، ولعله أيضاً استفاد منه في الترجمة ؛ لأن المعروف عن لول أنه قد رجع في مؤلفاته إلى مؤلفات علوم المسلمين الشرعية واستشهد بها ، فلم لا يكون هذا الأسير هو الناقل لها والمفسر لمكنونها[٣]؟

إن الأمثلة كثيرة لما فعله الغرب تجاه المترجمين المسلمين ، وما ليون الأفريقي إلا واحدٌ من أبرزها ، فقد تقطعت به السبل عن أرضه ووطنه ، وأكره على الكفر ، واسترق بعد أن كان حراً ، ثم قُدم هدية للبابا ليون العاشر بعد أن أسره قراصنة البحر ، ولما عرفوا أنه صاحب علم وثقافة وهبوه لهذا البابا الذي كان يبحث كغيره

---

(١) الحجري : ناصر الدين ، ١٦-٢١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢٥ .
(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨١-٤٨٣ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٢-٩٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢-١٢٣ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٩٢-١٠٠ .

من رجال الدين النصارى آنذاك عن مسلمين ملمين بـالعلم الإسـلامي للاسـتفادة منهم في الترجمة ، ومن ثم فقد أدخل ليون في مشروع إحدى ترجمات القرآن الكريم رغماً عنه(١) .

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجـال هـو : لم لا يكـون عـدد المترجمـين المسلمين يماثل عدد المترجمين النصارى أو يزيد ، لاسـيما وهـم يمتلكـون مقومـات الترجمة وشروطها ، فاللغة العربية واللاتينية كانت منتـشرة بـين المـدجنين ، بـل إن اللغة الألخميادية عبارة عن مزيج من اللغة اللاتينية «الرومانسية» بحروف عربيـة ، مما يدل على أنهم على إلمام جيد بكلا اللغتين؟

ولما جاء عصر الموريسكيين ورثوا عن إخوانهم هـذه اللغـة ، وكانـت العربيـة تدرس بينهم ، بل إن جميـع علـوم الـدين الإسـلامي كانـت متداولـة بـين أوسـاط الموريسكيين حتى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي وما بعده ، يقول أحد الباحثين : «كانت هناك مدارس قرآنيـة سريـة ، يـدرس فيهـا بعـض الفقهـاء الحروف العربية وتعاليم القرآن مما يشكل دعامة لثقافة محظورة تعـيش في المخـابئ ، أحرقت كتبها على يد الكاردينال تسنيروس ، ولم تنتشر الأمية بـين الموريـسكيين إلا في السنوات الخمسينية من القرن السادس عشر»(٢) .

وما قيل من أن الموريسكيين كانوا على مستوى تعليمي متدنٍ ، فإن الأحـداث تثبت خلاف ذلك ؛ حيث ورد عن موريسكيي قرية هورناتشوس (Hornachus)(٣) أنهم كانوا يحفظون القرآن الكريم ، ويتعلمون العربية ؛ إذ أكـد (J.B leda) في هـذا الصدد : «أنهم لا يعرفون اللغة القشتالية ، ويعرفون فقـط اللغـة العربيـة» ، وأكـد

---

(١) الفاسي : وصف أفريقيا ، ١/ ١٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/ ٢١٨ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ .

(٢) محمد قشتيليو : حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهـم خارجهـا ، ط١ ، تطـوان ، ٢٠٠١م ، ١٣-١٤ .

(٣) هورنا تشوس : تقع قرية هورناتشوس وسط منطقة اكسترامادورا ، (Extramadura) في إقليم بطليوس (Badajoz) ، على بعد خمسين كيلو متراً مـن ميريـدا (Merida) ، عـلى نهـر (Matachel) ، أحـد روافـد جواديانا (Guadiana) . أحمد : التجربة الأندلسية الموريسكية ، ٢/ ٧ .

النبيل الألماني (Erich lassota de steblovo) الذي زار المنطقة في سنة (٩٨٨هـ/١٥٨٠م) أنهم «يتكلمون العربية فقط» ، وقد توصلت محكمة التفتيش ييرينا (L lerena) إلى مجموعة من الكتب المعربة وأرسلتها إلى إشبيلية لترجمتها ، ويفسر وجود هذه الكتب بأن جميع التجمعات العائلية كانت منصبة أساساً على التعليم الديني ؛ إذ إن فقهاء هورناتشوس كانوا يدرسون السيرة النبوية ، وسيرة الصحابة ، ويعلمون القرآن الكريم ، وقواعد اللغة العربية ، وكانت هذه الكتب تأتي بالخصوص من غرناطة[١] .

إن معرفة اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي كان رمزاً من رموز التميز بين صفوف الموريسكيين ؛ لذا فليس من المستغرب أن نجد بين صفوفهم في القرن الثاني عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي من كان يجيد اللغة العربية ، وما ذهب إليه بعض المستشرقين من نتائج مضطربة في التشكيك بمعرفة الموريسكيين باللغة العربية مرجعه أنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار انتشار مذهب التقية[٢] بين هؤلاء الموريسكيين حيث وجدوا أنفسهم مجبرين على التخلي عن مبادئهم الدينية بسبب تلك المراقبة والملاحقة المستمرة من قبل محاكم التفتيش ، وهو ما أدى بهم إلى ذلك المأزق الحرج : فإما ممارسة شعائرهم التعبدية الإسلامية ، أو التظاهر بقبول النصرانية ، وقد انتشر هذا الموقف الأخير «التقية» لدى شريحة عريضة من هذه الأقلية المضطهدة[٣] .

وما ذكره الفقيه السيجوفي عيسى بن جابر في سبب استخدامه للغة الألخميادية هو جهل كثيرٍ من أبناء ملته في قشتالة باللغة العربية ؛ ذلك لأن مسلمي قشتالة كانوا قد تعرضوا لمصاعب كبيرة ، ومشاكل كثيرة ، ودفعوا ضرائب عظيمة

---

(١) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، ١٥٧ .

(٢) التقية : التقية لغة : الحذر والخوف أو الكتمان ، واصطلاحاً : ترك فرائض الدين في حالة الإكراه أو بالتهديد بالإيذاء . موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ٢٣٥٨/٨ .

(٣) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ١٥ ؛ خوان أراندا دونثيل : الموريسكيون في قرطبة ، خصوصيات ثقافية لأقلية مهمشة ، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، ترجمة : صالح السنيدي ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ٥٣٢/٢ .

حتى فقدوا ثرواتهم ، وبالتالي فقدوا مدارس اللغة العربية ؛ لذا نجد أن منطقة الثغر الأعلى ومملكة قشتالة على وجه الخصوص اختلفت في مجال اللغة عن غيرها من المناطق الأخرى ، لاسيما جنوب الأندلس وتحديداً غرناطة التي أثبتت المخطوطات الموريسكية أنهم لم يتداولوا بينهم سوى اللغة العربية ، حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، رغم علمهم الكامل باللغة الرومانسية ، وهذه الاختلافات اللغوية لا تنفي معرفة موريسكيي منطقة أراغون أو غيرها باللغة العربية[١] .

وقد مُنع استخدام الأسماء العربية تبعاً لمنع اللغة نفسها ، فأصبح كثير من الموريسكيين يتسمون بأسماء النصارى ؛ لأن الأسماء أو الألقاب التي ترمز إلى الدين الإسلامي وأهله أصبحت موضع مساءلة ، مما اضطر أصحابها إلى تحويلها إلى أسماء نصرانية ؛ ليتقوا بها شر العذاب المنتظر من محاكم التفتيش ، ولو فتشنا في مصادر هذه المحاكم لوجدنا كماً هائلاً من أسماء الموريسكيين المنصرين قسراً ، والتي حولت عن أسماء عربية إلى نصرانية[٢] .

وتبعاً لذلك ، فقد انتشر بين أوساط الموريسكيين استعمال اسمين ، أحدهما : إسلامي ، والآخر : نصراني ، فالأول خاص بهم يتداولونه فيما بينهم ، بينما الثاني : يستعملونه في الوثائق الرسمية ، والمعاملات الإدارية ، كما أن البعض من الموريسكيين اتخذوا ألقاب أسيادهم أو الشخصيات التي كانوا في حماها[٣] .

ومن هنا ندرك عدم إيراد أسماء مترجمين مسلمين ضمن قائمة النقلة من العربية إلى اللاتينية ؛ ذلك أن جميع الأسماء الإسلامية حولت إلى أعجمية ، ومن أمثلة ذلك : كاسيودورو دي رينا (Casiodoro de reina) الذي أعد إحدى ترجمات

---

(١) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٤؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥-٦٦ ؛ خضر : علاقة الموريسكيين بالأراضي العربية ، ٢/٥٢ .

(٢) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيين ، ١١٠ ؛ مظهر : محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، ١١٢ .

(٣) قشتيليو : حياة الموريسكيين الأخيرة بإسبانيا ، ١٠ .

الإنجيل ، وهو من أصل إسلامي أندلسي ، وكذلك القسيس فراي الونثو (Fray Alonzo) الذي يرجع أصله إلى أب أندلسي ، وقد وردت الإشارة إليه عندما قدم للمحاكمة مع قسيس آخر بتهمة تفضيلهما ترجمة الإنجيل إلى العبرية عن ترجمته القشتالية[١] .

وقد طال التحول في الهوية الإسلامية إلى الدين الإسلامي نفسه ، فحول كثير من المسلمين إلى النصرانية كرهاً ، وأصبحوا يمارسون شعائر النصارى مجبرين ، وإلا فالانتقال من دين إلى آخر ليس بالأمر الهين على أي نفس ، بالنظر إلى الصعوبات الروحية والثقافية التي تكتنفه وتحاول إعاقته باستمرار ، فكان كثير -إن لم يكن معظم الموريسكيين- مظهرين التنصر ، ولكنهم مسلمون في قرارة نفوسهم ، متبعين طريقة التقية في ممارسة شعائرهم ، آخذين بأقوال علمائهم في كيفية التعامل مع الأحداث التي ألمت بعقيدتهم الإسلامية[٢] .

وعليه ، فلما لم يكن كثير من المترجمين المسلمين من هؤلاء المتظاهرين بالنصرانية أُدرجوا تبعاً لذلك في قائمة مترجمي النصارى ، لا سيما وأن سِيَر حياتهم لم تصل إلينا ، ومن وصلت إلينا سيرته منهم قسناهم به ، كـ:ليون الأفريقي الذي أُسر ونصِّر وعاش في روما ما يقارب ثلاثين سنة ، وغيَّر اسمه من الحسن الوزان إلى ليون[٣] ، ولو لم تصلنا ترجمته لجزمنا من دون أي شك أنه أحد المترجمين النصارى[٤] .

أرجو أن لا نكون قد أطنبنا في ذكر أسباب قلة المترجمين المسلمين ، فهذا الإسهاب لالتماس العذر في عدم إعطائهم حقهم من الترجمة في هذا الفصل مقارنة

---

(١) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، ١٦٦ .

(٢) نفس المرجع ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٨٠ .

(٣) الفاسي : وصف أفريقيا ، ١١ .

(٤) والأعجب من ذلك عندما كشفت الدراسات الحديثة ، كيف أنه في سنة (١١٤٠هـ/١٧٢٧م) أي بعد مائة وثماني عشرة سنة من طرد المسلمين في الأندلس ، اكتشفت محاكم التفتيش ستة قساوسة في أهم كنيسة بغرناطة يمارسون شعائر الدين الإسلامي سراً ، وهو أمر مدعاة حقاً للاندهاش والحيرة؟ التميمي : تأملات جديدة حول مصير الموريسكيين الأندلسيين ، ٣٠٥ .

بمترجمي الديانات الأخرى الذين كانوا يشكلون حيزاً كبيراً في النقلة من العربية إلى اللاتينية ، وعلى كلٍّ ، فلا بأس من ذكر ما تيسر لنا من معلومات عن بعضهم كالتالي :

١ – عيسى بن جابر السيجوفي ، أو عيسى الجيدلي ، (Issa AL-jeddle,Issa Bin jaber) ، مثلما جاء في بعض المصادر ، وكما هو واضح من اسمه فهو من إقليم سيجوفيا في مملكة قشتالة ، وقد كان فقيه ومفتي مدينة سيجوفيا ، وهو أحد المسلمين المدجنين الذين بقوا في حكم النصارى مع الاحتفاظ بدينهم ، فأصبح فقيه المسجد الجامع في سيجوفيا ، ولا نعرف عن نشأته وتفاصيل حياته شيئاً ، ولكن شهرته برزت من خلال مؤلفه القيم «مختصر السنة» ، أو مجموع الأوامر والنواهي في الشرع والسنة ، والذي يعد أول نص مكتوب باللغة الخميادية متضمناً تاريخاً لكتابته ، حيث كتبه سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م)[١] .

وفي مقدمة هذا الكتاب يبين مؤلفه عيسى سبب تأليفه له ؛ وذلك ليتمكن معاصروه من المسلمين المدجنين من سهولة تداوله والاطلاع على أحكام الشريعة الإسلامية بكل يسر ، بعد أن أفقدتهم السلطات القشتالية التعامل باللغة العربية حتى بدأت تقل في جيلهم بمملكة قشتالة بعد أن قلت مدارس تعليمها آنذاك[٢] .

وبإمكاننا أن نعتبر جابر بن عيسى واحداً من العلماء الأفذاذ الذين تصدوا لموجة المد النصراني على بلادهم بالفكر الإسلامي ونشره بواسطة التأليف ، إضافة إلى حفظ تراث المسلمين عن طريق التدوين بدل الاعتماد على المشافهة في أوساط المدجنين الذين لم يكونوا على مرتبة واحدة من الثقافة وإجادة اللغتين العربية والإسبانية بشكل كافٍ[٣] .

---

(١) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٣ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥ ؛ خضر : علاقة الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة ، ٢/٥٢ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ص١٤ ؛ ايرفوا : علماء الأندلس ، ٢/١٢١٠ .

(٢) إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ص١٤ .

(٣) ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس ، ٨٥ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥ ؛

وقد استفاد هذا المترجم من رحلاته الواسعة في ابتكار التدوين بالخميادية ، حيث زار بلاد المشرق لأداء فريضة الحج ، وعرف من خلاله أن الأتراك العثمانيين كانوا يستخدمون لغة غير عربية مكتوبة بحروف عربية ، مما زاد من حماسه في إيصال تعاليم هذا الدين إلى معاصريه باللغة التي يفهمونها إذا كان ذلك ممكناً[١] .

ويتضمن كتاب مختصر السنة : ترجمة من القرآن الكريم ، ويليه قواعد السنة الشرعية ، وذكر لأقوال الرسول ﷺ مفسراً إياها باللغة القشتالية[٢] .

إلا أن العمل الذي يهمنا في هذا المجال ، هو : ترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ، حيث اشترك مع الأسقف يوحنا السيجوفي في ترجمته بعد طلب من الأخير ، فكان عيسى يتولى ترجمة الآيات القرآنية بالإسبانية ، ثم يصوغها يوحنا باللغة اللاتينية[٣] .

ولعله من المستغرب أن يوافق فقيه مسلم كعيسى على ترجمة القرآن بهدف تفنيده ، كما هو واضح من دوافع يوحنا الذي ألف رداً على الإسلام بعد هذه الترجمة سماه «طعن المسلمين بسيف الروح»[٤] ، ولكن يبدو أن عيسى بن جابر لم يكن يعلم عن الدافع الحقيقي ليوحنا ؛ حيث إنه أوهمه برغبته في التعرف على الإسلام بواسطة كتابه ، فكان عيسى يطمع في أسلمة المجتمع الإسباني ، ويرغب في أن يكون قوةً دافعةً كالأتراك[٥] ، فهو يقول : «قد عكفت على توضيح ذلك باللغة الإسبانية ، تشجعني على ذلك السلطة التي تحكمنا والتي تقول إن أي

=

خضر : علاقة الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة ، ٢/٥٢ .

(١) إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٦ .

(٢) خضر : علاقة الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة ، ٢/٥٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ص١٤ ، ايرفوا : علماء الأندلس ، ٢/١٢١٠ .

(٣) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ ؛ ايرفوا : علماء الأندلس ، ٢/١٢١٠ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٢ .

(٤) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٢-١٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ .

(٥) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٢ ، إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٦ .

شخص يعرف شيئاً عن الشريعة يجب أن يشرحه لكل الناس باللغة التي يفهمونها إذا كان ذلك ممكناً»[١] .

وقد تقابل الاثنان في مدينة سافوي حيث تمت الترجمة بها بعد أن استغرق أربعة أشهر ، ثم أصر عيسى بن جابر على العودة إلى بلاده من أجل أهله ، وانتهى العمل دون إدخال أي تحسينات عليه[٢] .

٢ - الحسن الوزان ، أو ليون الأفريقي ، الذي يعتبر في عداد المترجمين المسلمين ، بموجب اشتراكه في ترجمة القرآن الكريم مع جيوفاني التيروالي سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م) حيث عمل مصححاً ومحرراً لهذه الترجمة[٣] .

وبالإضافة إلى هذا العمل الذي ساهم فيه الوزان نجد أنه كان مؤرخاً جغرافياً لغوياً ، عالماً بالطب ، ألف معجماً عربياً عبرياً لاتينياً طبياً[٤] بعد طلب من الطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون ، وانتهى منه بمدينة بولونيا سنة (٩٣٠هـ/١٥٤٢م) كما ذكر ذلك في آخر الكتاب[٥] ، وله أيضاً كتاب التراجم[٦] ، عرَّف فيه بثلاثين شخصية بارزة من فلاسفة المسلمين وأطبائهم ، وقد سطره باللغة اللاتينية - مما يعني أنه أوصل تراجم علماء المسلمين إلى الغرب بواسطة هذه اللغة تأليفاً ، وإن لم يكن ترجمة - وقد انتهى من كتابته سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م)[٧] .

---

(١) إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٦ .

(٢) ضاعت ترجمة القرآن هذه ولم يبق لها ذكر ، سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٣ ، بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ،٤٢ .

(٣) ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ .

(٤) مخطوطته محفوظة بالأسكوريال ، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٩٠ .

(٥) العقيقي : المستشرقون ، ١٢٤/١ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ٢٩٢/٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢١٨/٢ .

(٦) نشر في زوريخ سنة (١٦٦٤م) ، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٩٠ .

(٧) كحالة : معجم المؤلفين ، ٢٩٢/٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢١٨/٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١٢٤/١ .

أما كتابه في الجغرافية العامة ، فكان سفراً ضخماً باللغة العربية اطلع عليه بعض مترجميه القدامى ، إلا أنه ضاع ولم يبق منه غير القسم الثالث الذي ترجمه الحسن الوزان نفسه إلى اللغة الإيطالية ، أو اعتمد عليه في كتابه «وصف أفريقيا»[١] .



(١) الوزان : وصف أفريقيا ، ٣-٤ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٩٠ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ٣/٢٩٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٨ .

٣ - ألونسو ديل الكاستيو : (Alonso del casti) :

يعتبر في قائمة مترجمي القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وقد قدم خدمة كبيرة خلال تمرد غرناطة ؛ إذ كان يترجم ما يُغنم من أخبار العدو ، وهو من أصل موريسكي ، وكان يعرف بالترجمان الموريسكي الغرناطي[١] .

وقد استدعاه الملك فيليب الثاني إلى بلاطه سنة (٩٩٠هـ/١٥٨٢م) ليقوم بترجمة المخطوطات العربية الموجودة بالاسكوريال مقابل دخل سخي قدره مائتي دو كادوس سنوياً ، وما لبث أن ذاع صيته حتى أصبح مترجم بلاط فيليب الثاني ، حيث فوض بمهمة ترجمة مراسلات دبلوماسية مع المغرب[٢] .

وإلى هذا المترجم تعود أول محاولة لترجمة الكتابات العربية الموجودة على جدران قصر الحمراء بغرناطة ، بعد قراءتها وفك رموزها وألغازها ، ومن ثم نقلها إلى اللغة الإسبانية[٣] ، وإليه تنسب الكتب الرصاصية[٤] ، أو ما عرف بالأساطير

(١) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، ١٥٤ ؛ ليونارد هارفي : تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي ، ضمن الحضارة العربية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ١/٣٤٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٢٣٠ ؛ قشتيليو : حياة الموريسكيين ، ١٤ .

(٢) هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، ١٥٤ ؛ هارفي : تاريخ الموريسكيين ، ١/٣٤٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٢٣٠ ؛ قشتيليو : حياة الموريسكيين ، ١٤ .

(٣) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٢٣٠ .

(٤) الكتب الرصاصية : هي عبارة عن ألواح من الرصاص مكتوبة بثلاث لغات هي : العربية غير المنقطة ، والقشتالية ، واللاتينية ، وقد وجدت قرب برج الجامع الكبير في غرناطة أثناء هدم إحدى مآذنه ، لأجل بناء كاتدرائية في نهاية القرن (١٠هـ/١٦م) ، حيث عثر على صندوق به رفات قديسين ورقعة جلد عليها خمسة صلبان موضوعة على شكل صليب ، وكانت رقعة الجلد عليها كتابة باللغة العربية تبشر بقدوم محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي وسط ظلام يمتد من المشرق إلى المغرب ، وتتنبأ بقدوم لوثر في القرن السادس عشر على شكل فارس ، وتقول المخطوطة إنه بعد لوثر سيأتي يوم القيامة ، ثم بعد ذلك بسنوات وعند القيام بالتنقيب في ربوة بجبل سكرومونتي بغرناطة بهدف البحث عن بعض الكنوز التي ظن الناس وجودها في بناية قديمة عثر على لوحة رصاصية مستطيلة مكتوب عليها بحروف مسمارية باللغة اللاتينية .

=

التوفيقية الموجودة في جبل غرناطة أيضاً ، والتي تم اكتشافها ما بين (٩٩٧-١٠٠٤هـ/١٥٨٨-١٥٩٥م) ، وكانت تهدف في مجملها إلى توضيح أن الإسلام أعلى قدراً ، وأعظم سمواً من النصرانية ، كما أنها أثبتت أن اللغة العربية هي من أشرف اللغات وأقدمها[١] .

وعلى العكس مما يظن بعض الباحثين من أن ألونسو كان يهدف إلى محاولة التوفيق بين الإسلام والنصرانية[٢] ، نجد أن العسري يقول : «لم ينطلق ألونسو في اهتمامه بالإسلام من النصرانية ، بل العكس هو الصحيح ، فلقد تناول النصرانية انطلاقاً من الإسلام ومن أجله ، وإن كان علينا أن نعيد إطلاقية هذا الحكم ، بالنظر إلى الغموض الذي يكتنف هذه الشخصية ، جاز لنا أن نذهب إلى أنها تمثل عنصر تمازج بين النصرانية والإسلام بامتياز كبير ، والواقع أن ألونسو ديل الكاستيو يحتل مكانة فريدة وملغزة ومعقدة في تاريخ صراع الهويات وتدافعها في علاقات النصرانية بالإسلام في إسبانيا خلال هذه الحقبة ، فبالإضافة إلى كونه ينحدر من أبوين موريسكيين ومنصرين فلقد استثمر معرفته الواسعة باللغات والأديان وتواريخها ، فدس -حسب الرواية النصرانية- على النصرانية بإسبانية طيلة سنوات عديدة ، وجعلها تقدس ما تحيل عليه مضامين كتب انتحلها ، اشتهرت باسم الكتب الرصاصية ، والظاهر أن الرجل لم يرم بعمله هذا -كما قيل عنه- توحيد النصرانية والإسلام ، بل رام به الانتصار إلى انتمائه الإسلامي الأصلي ، والانتقام

=

وأعقب ذلك العثور على أشياء أخرى تخبر عن الشهداء والقديسين ، وحتى نهاية عام (١٠٠٦هـ/١٥٩٧م) كان قد عثر على لوحات وكتب باللغة العربية ذات دوائر متداخلة مع الكتابة ، أو ذات تراكيب من المثلثات والنجوم وعملات تقول الكتب إنها خاتم سليمان عليه السلام ، وقد كان هناك اعتقاد بأن المخطوطات الأولى ترجع نسبتها إلى ميغيل دي لونا ، وبأن المخطوطات الأخرى ترجع نسبتها إلى ألونسوديل كاستيو . انظر : الحجري : ناصر الدين ، ٢٣-٣٥ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٤٩-٥٠ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ٥٠١ .

(١) الحجري : ناصر الدين ، ٢٥-٢٦ .

(٢) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٥٠ ؛ هورتز وبنثنت : تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، ١٩١ .

من النصرانية ، بالزج بها في طريق التحول الذاتي إلى الإسلام عبر خلخلة بعض تواريخها وأساطيرها المؤسسة لها»[١] .

ومما يؤكد غرض ألونسو في كتاباته الرصاصية هو أن الحجري -أحد المترجمين الموريسكيين- بعده استفاد من هذه الكتابات في مجادلة النصارى ودحضهم[٢] .

وعلى مدى سبعة وثمانين عاماً كانت هذه المخطوطات هدفاً لمناقشات عنيفة بين المؤيدين والمعارضين ، وقد درسها الخبراء والباحثون وأساقفة الكنيسة حتى أرسلت في النهاية عام (١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) إلى روما ، وأعلن البابا أنها افتراءات محضة من مخلفات الإسلام ، وأن الكنيسة تدينها[٣] .



(١) الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ٢٣٠ ، هامش (١٦) .

(٢) الحجري : ناصر الدين ، ٧٧-٧٨ .

(٣) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٥٠ ؛ عنان : نهاية الأندلس ، ٥٠١ ، ويقول أحد الباحثين أنها – أي الكتب الرصاصية- ما زالت موجودة حتى يومنا هذا ، حيث تم إعادتها إلى غرناطة عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، بعد أن ظلت بروما قروناً عديدة . (http://Fedaa.alwehda.gov.sy) .

٤ - أحمد بن قاسم الحجري الذي مرَّ ذكره مراراً في هذا البحث ، فقد كان من أعظم المترجمين الموريسكيين ، وله جهود لا تنكر في نقل التراث الإسلامي إلى الغرب في مختلف جوانبه .

فبدءاً من بلاد الأندلس مسقط رأسه زاول الحجري مهمة الترجمة من العربية إلى اللاتينية لاسيما الكتب الرصاصية التي وجدت في غرناطة سنة (١٠٠٤هـ/١٥٨٨م) ، فأرسل إليه أسقفها لترجمة ما وجد فيها من كتابات ، وكانت باللغة العربية والإسبانية واللاتينية ، وقد قام الحجري بترجمة الرقيمات الرصاصية ، فحصل على مكافأة من الأسقف العظيم الذي أطلق عليه الحجري اسم (Pedro de vacay quinones) ، ومنحه رخصة بالترجمة من العربية إلى الإسبانية وبالعكس[١] .

وبعد أن استطاع أن يهاجر إلى بلاد المغرب فراراً بدينه ، تم تعيينه سكرتيراً ومترجماً للإسبانية في بلاط السلطان مولاي زيدان بعد أن برزت موهبته في إجادة اللغات والترجمة[٢] .

وقد حافظ على منصبه في عهدي ولدي مولاي زيدان ، وهناك أدلة تشير إلى عمله هذا من خلال المصادر الأخرى ؛ إذ توجد بضعة ترجمات بالإسبانية لرسائل كتبها السلطان مولاي زيدان إلى الدول الأخرى ، وبعضها موقع من قبل الحجري تحت الترجمة الإسبانية باسم (Ehmed ben cacim) وعنوان وظيفته سكرتير صاحب الجلالة (Secretary to his majesty) ، ومنها رسالة موجهة إلى دوق (Duke of medina sielonia) ، ومؤرخة في (١٤/محرم/١٠٢٣هـ /الموافق٢٤ /شباط/ ١٦١٤م)[٣] .

وقد ساهم الحجري في تعليم علماء أوروبا اللغة العربية –كما رأينا من قبل-

---

(١) الحجري : ناصر الدين ، ٢١ ؛ عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٧ .

(٢) الحجري : ناصر الدين ، ١٨٧ ؛ عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٧٨-٧٩ .

(٣) عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٨ .

وذلك من خلال رحلاته السفارية إلى بلدانها المختلفة[١] ، فتتلمذ على يديه عدد من المستشرقين العظام في نظر بلدانهم ، كهلبرت الفرنسي ، والمستعرب الهولندي توماس اربنيوس أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن مستقبلاً ، وقد ورد تدريسه لهلبرت في مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم (Arab ٤١١٩) ، ومؤرخة في (٤/صفر/١٠٢١هـ/ الموافق ٦/نيسان/١٦١٢م) ، وهي بعنوان : «قصيدة ابن مالك في أبنية الأفعال» ، حيث قام الحجري بنسخ المخطوطة خصيصاً لهلبرت[٢] . خصص الحجري جزءاً كبيراً من عمره لترجمة مؤلفات ونصوص إسلامية إلى اللغة الإسبانية لخدمة الموريسكيين المقيمين في المنفى ، والذين لا يجيدون العربية ، بل بلسان اللغة الإسبانية ، فقد قام بترجمة فصل من كتاب «الشفا في تعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)[٣] حيث أتم الترجمة بتاريخ (١١/ربيع الأول/١٠٤٤هـ /الموافق٤أيلول/سبتمبر ١٦٣٤م) في القصبة بتونس ، كما قام بترجمة صلاة عيد الفطر ، وكتب ملخصاً بالإسبانية لكتابه : «ناصر الدين على القوم الكافرين» ، ضمنه قصة رحلته ومناظراته مع المستشرق الهولندي أربنيوس في ليدن ، ومع أحد الأطباء حول معجزات الرسول ﷺ ، وقد قاده ذلك إلى ترجمة مقاطع من كتاب الشفا إلى الإسبانية ، وتطرق أيضاً إلى نقاشاته مع السياسيين الأوروبيين فيما يتعلق بشؤون الموريسكيين ، والنبوؤات المتداولة بينهم ، وأخيراً الرقيمات الرصاصية المكتشفة تحت الصومعة ، ويبدو أنه اعتقد أن هذه الموضوعات تثير اهتمام الموريسكيين المنفيين[٤] .

---

(١) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٥٠ .

(٢) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٥١ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٨ ؛ العقيقي : المستشرقون : ٣٠٣/٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٧ .

(٣) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٥٢ ؛ عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ، ١٢ .

(٤) الحجري : ناصر الدين على القوم الكافرين ، ٥٢ ؛ عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ، ١٢ ؛ المنوني : قبس من عطاء المخطوط المغربي ، ١٠٢٨/٢ .

المبحث الثاني :

النصارى وتوجـهـــاتهم

تحتل طائفة المترجمين النصارى أعلى نسبة بين مترجمي العلوم من العربية إلى اللاتينية ، وهو أمر غير مستغرب عند النظر إلى تاريخ الترجمة التي بدأت أصلاً على أكتاف هؤلاء النصارى سواءً ، أفراداً أم مؤسسات أم فوميات شاركت في أعمال النقل ودعم النقلة ، فضلاً عن إلمام كثيرٍ من أبناء هذه الطائفة في مراكز الترجمة باللغتين معاً : أعني العربية واللاتينية ، وتوفرهم على مصادر العلوم الإسلامية ، ومن ثم الاستفادة منها في إيصال مكنونها إلى بني قومهم بواسطة الترجمة بكل يسر وسهولة .

لم يكن هناك عقبات تحول دون اضطلاع أبناء الدين النصراني من الاشتغال بالترجمة في أي مكان من مراكزها ، لا سيما الأندلس التي كانت تضم أكبر عدد منهم ، وكانوا على جانب من الانتظام أكثر مما كانوا عليه في أي بقعة إسلامية أخرى ، وقد جرى بينهم وبين الفاتحين من الاختلاط والتأثير المتبادل الطويل ما لم يجر مثله في أي صقع إسلامي آخر ، كما أظهر الإسلام تجاههم كثيراً من التسامح ، حيث ترك لهم حرية العقيدة والتعبد ، وممارسة شعائرهم دونما عناء[1] .

وتبعاً لذلك فقد انتشرت اللغة العربية بين أبناء النصارى ، وبهرت الحضارة الإسلامية جماعة منهم ، فقلدوا المسلمين في كثير من مظاهر ثقافتهم من أزياء ، ونمط حياة ، ولغة ، وأدب ، على الرغم من احتفاظهم بدينهم ، فسموا لذلك بالمستعربين (los mozarabos)[2] ، والمستعربون هو لفظ أطلق على العناصر

---

(١) بروفنسال : الحضارة العربية في إسبانيا ، ص٩٩-١٠٠ ؛ بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، ١٩٦ ؛ إبراهيم بوتشيش : محطات في تاريخ التسامح بين الأديان في الأندلس ، مجلة دراسات أندلسية ، ع٣١ ، جمادى الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ٨٥ .

(٢) إن كلمتي الاستعراب والمستعربين ذوات أصل عربي هو : عرب ، فيقال : عرب لسانه ، وأعرب فلان كان فصيحاً في العربية ، وإن لم يكن من العرب ، وتعرب : تشبه بالعرب ، وتعرب : أقام بالبادية وصار أعرابياً ، واستعرب : صار دخيلاً في العرب ، وجعل نفسه منهم ، وكذلك عربته =

=

العرب ، وأعربته أيضاً وأعرب العجم ، وعرب لسانه بالضم عروبة ، أي : صار عربياً ، وتعرب واستعرب أفصح ، قال الشاعر : ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا ، وعلى الرغم من أنه لا جدال حول أصله العربي ، وذلك لأن المصادر الأندلسية لم تطلقه على هذه الطائفة من رعايا الدولة الإسلامية بها ، وإنما أطلقت عليهم أسماء تعبر عن أصولهم العرقية والثقافية ، أو وضعيتهم السياسية والاجتماعية ، ومن أبرز هذه الأسما العجم –أي ذوي الأصول غير العربية- وقد كان هذا الاسم مقبولاً ومستعملاً بينهم ، والدليل على ذلك ظهورهم متلقبين به في بعض الوثائق التي كتبوها في طليطلة بعد سقوطها سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، كما أطلق عليهم اسم النصارى والروم والمشركون ، وهو اسم يشاركهم فيه نصارى دار الحرب .
أما في لغة الفقه والقضاء ، فقد عرفوا بأسماء عديدة كالمعاهدة والذمة وأهل الذمة نسبة للحماية التي توفرها لهم الدولة الإسلامية مقابل الجزية التي يدفعونها إليها ، وهذه الأسماء والامتيازات يشاركهم فيها اليهود ، الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية ، وقد انتبهت بعض المصادر إلى هذه المسألة ، فأطلقت عليهم أسماء أكثر تحديداً كنصارى الذمة ، والنصارى المعاهدين ، ومن الأسماء التي أطلقت عليهم أيضاً المسالمة الذين يعيشون في سلم مع أنفسهم ومع الآخرين ، للتفريق بينهم وبين نصارى دار الحرب .
أما الوثائق الإسبانية واللاتينية والقشتالية والقروسطية ، فلم تستعمل أي واحد من الأسماء سابقة الذكر ، إما لعدم معرفتها بها أو لتجاهلها لها ، وإنما استعملت لهم اسماً واحداً ، ولكنها اختلفت في نقطه وفي كتابته وهو المستعربون ، بيد أن الأصل للفظ المستعربين الذي استعمل في الوثائق الإسبانية واللاتينية هو «مُسْتَعْرَبَ» ، وهو اسم مفعول مبني للمجهول مأخوذ من الفعل «عَرُبَ» ، وربما كان ورود هذا الاسم بهذه الصيغة مقصوداً من قبل المستعربين ، وذلك لإبعاد تهمة الاستعراب والاندماج في الحضارة الإسلامية ومجتمعها عن أنفسهم ، أو إظهار أن العروبة كانت مفروضة عليهم من قبل الدولة الإسلامية ، ويؤيد وجهة النظر هذه عدم استعمالهم لمصطلح «مُسْتَعْرِبْ» الذي هو عبارة عن اسم فاعل مأخوذ من الفعل «عَرُبَ» في كتاباتهم وألقابهم ، وذلك لأنه يعني أن الاستعراب قد نتج عن رغبة منهم ، ومع مرور الزمن وتطور مفهوم الاستعراب وصيرورته ذا طابع علمي يختص بدراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة وآداب ولغة وتاريخ وفلسفات وأديان ، وله أصوله وفروعه ومدارسه وخصائصه وأتباعه ومنهجه وفلسفته وتاريخه وأهدافه ، والمستعرب هو : من تبحر من غير أهل العرب في اللغة العربية وآدابها وتثقف بثقافتها وعني بدراستها . انظر : الزبيدي : تاج العروس ، ٢/٢١٧ ؛ المعجم الوسيط ، ٥٩١ ؛ مؤنس : فجر الأندلس ، ٤٧٩ ؛ ابن خلدون : المقدمة ، ٢/٢٦٥ ؛ كحيلة : تاريخ نصارى الأندلس ، ١٩٩ ؛ سمايلوفيتش : فلسفة الاستشراق ، ٣٢-٣٣ ؛ ميكيل دي إيبالزا : المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس ، الحضارة العربية في الأندلس ، ١/٢٣٤-٢٣٩ .

النصرانية التي استعربت في لغتها وعاداتها ، ولكنها بقيت على دينها النصراني محتفظة ببعض تراثها اللغوي والحضاري ، كما أطلق على هذه الطائفة أيضاً لفظ العجم أو عجم الذمة[١] ، وقد شكلت هذه الفئة جمهرة سكان البلاد في السنوات الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي ، واختلطوا بالمسلمين واتخذوا العربية لساناً ، ونهجوا نهجهم في كثير من العادات ، وتسموا بأسمائهم ، وحتى طقوسهم كانت مختلفة عن أبناء ملتهم ، واتسموا بالطقوس المستعربة ، ولشدة انصراف الشباب المستعرب نحو الثقافة الإسلامية واللغة العربية وطرح ما عداها من معارف اضطر رجال الدين النصراني إلى ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، واستحداث قواميس لاتينية عربية في نفس الوقت ، بل قد شكى أحدهم وهو الفارو القرطبي ببالغ الأسى والحزن عن حال هؤلاء الذين انصرفوا عن لغتهم وثقافتهم إلى غيرها[٢] .

وقد عومل هؤلاء المستعربون منذ الفتح الإسلامي معاملة طيبة اتسمت بالتسامح ، فتمتعوا بحرية كبيرة في ممارسة شعائرهم الدينية كغيرهم من النصارى ، فكانوا يحتفظون بقوانينهم القوطية غالباً تحت سلطة الأساقفة وأمراء النصارى ويدفعون الجزية ، وكان رئيسهم يسمى قومس (comes)[٣] ، وبعد انتهاء الخلافة الأموية وبروز الطوائف استمرت حريتهم الدينية والاجتماعية ، فكانت برشلونة قيادتهم الروحية إبان القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي إضافة إلى عدة مدن أخرى أندلسية[٤] .

---

(١) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ٤٤ ؛ دوزي : المسلمون في الأندلس ، ١٦٢/٣ ؛ بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، ١١٠ ؛ ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ٢٥٠ ؛ عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ٢٧ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٤٨٦ ؛ ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ٢٥٠ ؛ عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ٢٨ ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١٢١ ؛ خميسي بولعراس : الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجزائر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ والآثار ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ٥٤ .

(٣) القومس : هو رئيس الجماعة النصرانية ، والمفوض في شئونهم المدنية إلى جانب أنه يعتبر حلقة اتصال بينهم وبين الحكومة الإسلامية ، كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، ٨٥-٨٦ .

(٤) بدر : دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها ، ١١٠ ؛ غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية =

والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة كانوا أداة اتصال بين شطري إسبانيا ، وهم منذ الفتح لم ينقطعوا عن الهجرة إلى الأراضي النصرانية ، وقد كثر ذلك على عهد المرابطين والموحدين ، حيث هاجر سكان بلنسية منها إلى قشتالة سنة (٤٩٦هـ/١١٠٢م) ، وخرجت طائفة كبيرة من غرناطة مع جيش ألفونسو الأول ملك أراغون سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) ، وقد كان من شأن هذه الهجرات وأمثالها انتشار الثقافة الإسلامية بين نصارى الشمال الإسباني وجنوب فرنسا ، وبخاصة عن طريق ترجمة كتب المسلمين ونقلها إلى اللغة اللاتينية[1] .

وبعد الزحف النصراني على المدن الأندلسية والاستيلاء عليها بقيت فئات كثيرة من المستعربين الذين انضموا إلى المجتمع الإسباني محافظين على استعرابهم مدة من الزمن ، كما هو الحال بالنسبة لمدينة طليطلة التي سقطت بيد ألفونسو السادس سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، فاستمر مستعربوا المدينة في استعمال اللغة العربية كلغة رسمية مدة تزيد على قرنين من الزمن[2] .

فمن خلال ما وصلنا من وثائق مستعربي مدينة طليطلة إبان القرنين السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، والتي قاربت الألف ومائتي وثيقة مخصصة لأغراض شتى منها : عقود البيع والشراء ، ومنها الهبات والقروض ، وعقود الإيجار والنكاح والوصايا وهلم جرا ، نجد أنه لا تزال هناك شريحة إجتماعية نصرانية يتخذ أفرادها أسماء عربية ، أو أنهم ما يزالون يكتبون

=

١/٢٦٩ ؛ بولعراس : الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥ .

(١) عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ٣٠-٣١ ؛ السامرائي : علاقة المرابطين بالممالك الإسبانية ، ٣٨٠ ؛ طه : دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ص١٥٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٢٥ . Hitcoco:mozarabs in medieval and eraly modern spain,٩٩-١٠٠

(٢) غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية ، ١/٢٧٩ ؛ فيراندو : اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين ، ص١٦٢ ، (Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,II,١١)

بالعربية ويتكلمون بها في أحاديثهم اليومية وفي الطرقات[١] رغم مرور مائتي سنة على عودة الهيمنة النصرانية إليهم[٢] .

وقد أسهم هذا الأمر بدوره في تأخر اندماج المستعربين في محيطهم الاجتماعي الجديد إلى درجة أن الكثيرين منهم تأخروا قرنين من الزمن في ذوبانهم داخل المجتمع النصراني المحيط بهم ، فلم يكن العديد من مستعربي طليطلة قد خاضوا بعد معركتهم الأخيرة في ميدان الطقوس الدينية ضد رهبان دير كلوني المتزمتين المنحدرين من فرنسا مع الفرسان الذين ساعدوا الملك ألفونسو السادس في حروبه مع المسلمين[٣] .

وكان لهؤلاء المستعربين في طليطلة دور فعال في ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية في أول مدرسة للترجمة في المدينة نظمها رئيس الأساقفة ريموندو ، والتي ضمت فيمن ضمت من المترجمين يوحنا الإشبيلي الشهير الذي يقال : إنه ولد القومس المستعرب سيزناندو دافيديز (sisnando Davidis) ، وقد عاش في بلاد المعتمد حاكم إشبيلية في عهد دويلات الطوائف ، وتولى الوزارة لديه قبل أن يعمل تحت حماية ريموندو في طليطلة[٤] .

وعلى كلٍّ فمترجموا النصارى أدو دوراً كبيراً لا يستهان به في عملية الترجمة والنقل من العربية إلى اللاتينية مع اختلاف عناصرهم وتوجهاتهم على النحو التالي :

١ - قسطنطين الأفريقي (constantinus AFricanus) ، (ت٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) ، والذي على ما يبدو أنه من المستعربين الذين نشأوا في الشمال الأفريقي

---

(١) انظر الملحق رقم (٥) لإحدى هذه الوثائق .

(٢) عنان : نهاية الأندلس ، ٦٧ ؛ فيراندو : اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين ، ١٦٢ ؛ Ferrando:testamento y comparventa en Toledo canos ١٢١٤y١٢١٥,Dos docometos de los mozarabs de toledo,collectanea christiana orientalia,٤,٢٠٠٧PP-٤٤-٤٧. Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١١

(٣) غوميز : المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية ، ١/ ٢٨٠ .

(٤) المرجع نفسه ١/ ٢٧٩ ؛ (Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١١) .

وتحديداً في تونس ، ثم التحق بنصارى صقلية ، وطفق يترجم كتب المسلمين إلى اللغة اللاتينية[١] .

كان التوجه السائد في بداية الأمر لهذا المترجم هو التوجه العلمي ؛ إذ إنه كان لا يفتأ عن مواصلة العمل الدؤوب في النقل والترجمة ، والاستعانة بمن يحسن اللغة اللاتينية[٢] ؛ لإخراج الكتب المترجمة بصورة واضحة للقراء ؛ حيث طبقت شهرته الآفاق ، وظلت باقية على مدى أربعين سنة متمثلة في مؤلفاته المترجمة عن العربية[٣] .

إلا أن هذا الإجلال والإكبار لقسطنطين الأفريقي اضمحلَّ ، لتظهر الحقيقة واضحة للعيان بأن توجهه العلمي كان مشوباً بالخيانة والسرقة فيما نقله ، فعلاوة على ضعف الترجمات وعدم دقتها انتحلها لنفسه دونما حياء أو تأنيب ضمير من ضرورة نسبتها لمؤلفيها[٤] .

وهكذا تحول ذلك التوجه العلمي لقسطنطين بعد أربعين سنة من ذيوعه إلى تاجر غشاش يطمع إلى الكسب وجمع المال من وراء ما ينقل ، حيث ساعدت الحملات الصليبية في تعرف الغربيين على مؤلفات المسلمين الطبية ليكتشف أحدهم وهو ستفين الأنطاكي الذي ترجم كتاب : الكتاب الملكي لعلي بن

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٣ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ،٥١٧ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ص٢٠١-٢٠٢ ؛ ابن ميلاد : الطب التونسي العربي ، ص٨٣ ؛ العقيقي ، المستشرقون ، ١/١١٠ .

(٢) ذكرت المصادر أنه استعان باثنين في الترجمة أحدهما عربي يدعى يحيى بن عقلة ، كان قد اعتنق النصرانية ، وتسمى بـ«يوحنا أفلاسيوس» (Johanes Afflatius) ، أو يوحنا الفاسي ، وثانيهما هو تلميذه أتو (Atto) الذي أصبح فيما بعد طبيب الإمبراطور أغناس الخاص . ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٢ ؛ هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٩ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٦ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ١/١٢٥ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ص٢٠٠ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ،٥١٧ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٢ ؛ هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ،٥١٧ ؛ العقيقي ، المستشرقون ، ١/١١٠ ؛ (leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٦٠-٣٦٥) .

العباس ، أن قسطنطين قد انتحل الكتاب ولم يكن من بنات أفكاره ، ثم توالت الحقائق بعد ذلك لتنسب جميع النقول إلى مؤلفيها الأصليين بعد أن نسبت إلى هذا المترجم .

وعلى الرغم من ذلك فقد استحسن الأوربيون حينئذٍ أعمال قسطنطين استحساناً كبيراً ، وذاعت واشتهرت في العالم اللاتيني ، واستمر الإقبال عليها ؛ إذ إنه في الواقع كان أول من قدم الطب اليوناني والإسلامي إلى العالم اللاتيني بواسطة هذه الترجمات[١] التي كان منها : الكتاب الملكي لعلي بن العباس ؛ حيث ترجم القسم النظري منه في حين أضاع أقسامه الثلاثة الأولى في البحر ، وكتاب زاد المسافرين لابن الجزار ، وكتابٌ للرازي في الكيمياء ، سماه كتاب التجارب ، والعشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق ، وكثير من كتب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي في البول والحميات والحمية عن الطعام والأدوية المفردة ، وغيرها .

إضافة إلى نقله عدداً من الكتب اليونانية الأصل ، المترجمة إلى العربية مثل : الفصول لأبقراط مع شرح جالينوس ، وهو عن النقل العربي الذي قام به حنين بن إسحاق ، وشرح لأقوال جالينوس المأثورة[٢] .

---

(١) بلسنر : تراث الإسلام ، ١٢٥/١ ؛ المدني : المسلمون في جزيرة صقلية ، ص٢٠٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ،٥١٧ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب في تقدم الطب ، ٢٩٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٣٢-٤٣٧ ؛ هونكة : شمس العرب ، ص٢٩٣-٢٩٩ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ،٥١٧ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ١٢٣/٣ ؛ وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ٨٣ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٤٧/١ ؛ لويجي ولاند : صقلية الإسلامية ، ٦١ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى ، ١٢٢٦/٣ ؛ (jourdan:recherches sur les anciemnes traductions latines aristote,٩٦-٩٧) .

(wusten Feld:die ubersetzung Arabischer lateinescne,١٧-١٩) ،

(leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٦٠-٣٦٥) .

٢ - بدرو ألفونسو (Pedro AL fonso) (ت بعد ٥٠٤هـ/١١١٠م)[١] :

واسمه هذا هو الذي اصطنعه بعد تنصره ، إذ أنه يهودي الأصل ، من منطقة اراغون ، رحل إلى إنجلترا وأصبح طبيباً خاصاً للملك هنري الأول في سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م) ، واشتغل هناك بتدريس علوم الفلك ، وكان له دور كبير في نقل المعارف الفلكية العربية إلى إنجلترا ، كما أنه اشترك في الإشراف على الترجمة التي قام بها إدلارد الباثي لأزياج الخوارزمي بتنقيح مسلمة المجريطي[٢] .

أما بخصوص كتابه (تعليم العلماء) أو ما عرف (بمحاضرات الفقهاء) فيبدو أنه ألفه أولاً بالعربية ثم ترجمه إلى اللاتينية بعد ذلك ، وهو يزخر في مجمله باقتباسات كثيرة إن لم تكن معظمها من مؤلفات عربية كأمثال حنين بن إسحاق ، وكتاب مختار الحكم للمبشر بن فاتك ، وكليلة ودمنة ، والكتاب في ظاهره عبارة عن قصص وأمثال يهدف منها على حد قوله ترويح النفوس والتخفيف على القراء . ولكنه في حقيقته ألف لخدمة رجال الدين النصارى إذ يحثهم من خلاله على الفضائل ومحامد الأخلاق والابتعاد عن الرذائل من خلال هذا السرد القصصي ، ولم ينس أن يحيكه بأسلوب مشوه للإسلام وهذا هو غرضه الأول إذ انتقى من الأدب العربي قصصاً ماجناً تشوه صورة الإسلام في أعين الغرب آنذاك[٣] .

ومنه فهذا المترجم ذو توجه ديني لا محالة من خلال مؤلفاته التي نقل مصادرها من ترجمات عربية وكيفها وفق توجه ديني بحت .

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٩ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٦ ؛ Haskins:studies in the history of mediaval science,١١٧

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٠ ؛ القلماوي ومكي ، ٦٤ .

(٣) بيدال : إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ، ١٤-١٥ .

٣ - أدلارد أوف باث (Adelard of bath) ، (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م) :

وهو من أوائل الذين ساهموا في نشر علوم المسلمين في الغرب ، وكان يطلق عليه أيضاً أديلاردوس باثونيسيس (Adelardus Bathoniensis) أو أكتل هارد (Acthelhard) ، كما أُطلق عليه فيلسوف الإنجليز ، وهو -كما عرفنا- انجليزي الأصل ، كان نشاطه في الفترة ما بين عامي (٥١٠-٥٣٧هـ/١١١٦-١١٤٢م) ، حيث أصبح رائداً في حقل الترجمة من العربية إلى اللاتينية بعد أن ارتحل إلى المشرق وتعلم اللغة العربية به[١] .

وعلى ما يبدو إن هذا المترجم كان ذا توجه علمي بالرغم من انخراطه في سلك الرهبان البندكتية منذ صغره ، وإهدائه إحدى ترجماته لأسقف سرقسطة[٢] ، إلا أن السائد في مؤلفاته وترجماته هو التوجه العلمي إذ إنه صرح -من خلالها- بتفضيله لمذهب المسلمين العلمي على المذهب الفرنجي ، بل افتخر من خلال أحد مؤلفاته وهو كتاب : المسائل الطبيعية بتتلمذه على يد المسلمين حيث قال مخاطباً لابن أخيه : «إنني -وقائدي هو العقل- قد تعلمت من أساتذتي العرب غير الذي تعلمته أنت ، فبهرتك مظاهر السلطة بحيث وضعت في عنقك لجاماً تقاد به قياد الإنسان الحيوانات الضارية ، ولا تدري لماذا؟ ولا إلى أين؟»[٣] .

وقد لخص هاسكنز شخصية أدلارد بأنه كان رجلاً ذا حضور مميز في تاريخ العلوم في العصور الوسطى ، وأنه قد تنحى جانباً عن المعارف المكتسبة من المدارس الكاتدرائية ، بينما أخذ يشق طريقه إلى معارف المسلمين وعلومهم ، ويشحن الهمة

---

(١) أربري : المستشرقون البريطانيون ، ص١٢-١٣ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٤-٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ .

Haskins:studies in the history of mediaval science,٢٥, Palencia, EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٩ .

(٢) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٩٧ .

(٣) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ص٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ١/١١٠ . (Haskins:studies the history of mediaval science,٤٠)

في الوصول إليها بتنقلاته الواسعة إلى المشرق عبر الأندلس ، فكان أول من حاكى المنهج العلمي المتبع عند المسلمين ، وقدم نظريات أقليدس الجديدة وعلم الفلك بمنظوره الإسلامي إلى الغرب[١] .

بيد أن أهمية أدلارد تظهر فيما ترجم من علوم عن العربية كان لها قيمتها الخاصة في الغرب منها : الجداول الفلكية للخوارزمي ، بتنقيح مسلمة المجريطي سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، وهو المعروف بزيج الخوارزمي أو «السند هند» .

وكان لنقله أهمية في إدخال علم المثلثات إلى أوروبا لأول مرة وبشكل خاص وظائف الجيب والمماس[٢] .

كما يُعزى إليه ترجمة رسائل رياضية أخرى للخوارزمي شرح فيها استخدام نظام الأعداد والأرقام الهندية ، وقد فقدت أصولها العربية وبقيت ترجمتها اللاتينية[٣] .

وإليه يعود الفضل في ترجمة كتاب الأصول لإقليدس التي فرغ منها سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) ، فكان عمله هذا أول تعريف لأوروبا بموضوع مهم كل الأهمية فُقد نصه الأصلي وحُفظ نصه العربي[٤] .

---

(١) Haskins:studies the history of mediaval science,٤٢

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١ ؛ سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠١ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٥ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٨-٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٤٤ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٤ ؛
wustenFeld:die ubersetzungen Arabischer werke in lateiniscne,٢٠-٢٢
jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,٩٧-٩٩
Haskins:studies the history of mediaval science,٢٦

(٣) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٤٩ ؛
Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥١ .

(٤) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٥٢ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ٢/١٤٤٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٩٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٥٠ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ٣/١٣٥ ؛

=

كـما تـرجم بمعاونـة يوحنـا الإشـبيلي أربـع كتـب لأبي معـشر البلخـي سـنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م)[١] .

وقد ألف أدلارد عدداً من الكتب مبيناً فيها تأثره بعلوم المسلمين ، ككتـاب في مسائل الطبيعـة (Qustions naturalia)[٢] الـذي يظهـر فيـه تـأثره الواضـح بعلـوم المسلمين .

كذلك ألف مختصراً في العلوم العربية[٣] وغيرها[٤] .



=

jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,٩٩ .

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ .

(٢) نشره مارتن موللر ، في مونستر سنة ١٩٣٤م ، العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ .

(٣) طبع بعد سنة ١٤٧٢م ، العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٤٩ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ١١٠ ؛ Haskins:studies the history of mediaval science,٢٦-٣٨ .

٤ - يوحنا الإشبيلي (John of seville) (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)[١] :

الذي كان من أشهر المترجمين وأكثرهم إنتاجاً بعد جيرارد الكريموني بالرغم من أن أعماله لم تلق نفس الأهمية التي حظيت بها أعمال جيرارد ؛ حيث كان يتناول فيها الفلسفة المنبوذة في الكنيسة آنذاك ، إلا أن الغالبية العظمى منها ترتكز على علمي الفلك والتنجيم ، ومؤلفات قام بجمعها وتصنيفها .

والخلاف شديد حول هوية يوحنا وبلده واللغة التي كان يترجم إليها ، أهي الإسبانية أم اللاتينية : فقد قيل إنه هو يوحنا بن داود الذي تحول من اليهودية إلى النصرانية ، وكان اسمه قبل تحوله : سليمان بن داود ، وكان ابن دواد هذا يترجم من العربية إلى الإسبانية ؛ ليتولى بعد ذلك صديقه : جنديسالفي الترجمة إلى اللاتينية .

وقيل : إنه من إشبيلية ، وقيل من لونا(Luna) مدينة في إقليم أراغون من إسبانيا[٢] .

وقد انتهى ثورنديك إلى «أنه من الواجب الاقتصار على اسم يوحنا الإشبيلي ، وأنه ترجم مباشرة من العربية إلى اللاتينية ، وأن تراجمه وتصنيفاته تدخل في ميدان علم النجوم بأوسع معانيه ، وعبء البرهان سيقع على أولئك الذين ينسبون إليه ترجمات في ميادين أخرى ، مثل الفلسفة والطب ، وأكثر من هذا يقع عبء البرهان على أولئك الذين لا يزالون يصرون على أسماء أخرى هي أيضاً أسماء ليوحنا

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧-٤٦٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢-١١٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١-٦٣٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١-١٠٢ ؛
jourdan:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٢٠ .
leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٣٦٧-٣٧٠ . (Palencia, EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٢١-١٧٣) (Alonso:notas sobre los traductores toledanos domingo Gundisalvo y Juan hispano,١٥٦-١٨٨) .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١ ؛
jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٢٠ .
Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٢٢ .

الإشبيلي»[١] .

إلا أنه بعد النظر في كثير من المراجع التي تناولت شخصية يوحنا وسيرته تبين لنا أن يوحنا الإشبيلي هو نفس الشخص الملقب بيوحنا بن داود الإسباني ، وهو يهودي متنصر ، كان يسمى قبل تنصره بـ«سليمان بن داود» ثم تحول إلى يوحنا بن داود ، وعاش حياته على ما يبدو في الأندلس وتحديداً في مدينة طليطلة ؛ إذ إنه ما لبث أن دخل في خدمة رئيس أساقفتها ، ومؤسس مدرسة الترجمة بها ريموندو ، وقد ساعده التقاؤه بتلميذه النصراني دومنجو جنديسالفي إلى الارتقاء في مجال النقل والترجمة ، فكان يوحنا ينقل العلوم من العربية إلى الإسبانية ثم يقوم دومنجو بنقلها إلى اللاتينية مباشرة[٢] .

ولا يعني هذا أنه لم يكن يتقن اللاتينية ؛ لأن مترجماته التي تركها تدل على اطلاع وعلم بهذه اللغة ، ولكن لعل جهل دومنجو بالعربية جعل يوحنا يضطلع بهذه المهمة في الترجمة ، لاسيما وهو يهودي متنصر بينما دومنجو أسقف نصراني أصيل ، وفي المقابل كان يوحنا يترجم بعض المؤلفات العربية إلى اللاتينية بمفرده .

إلا أن هذا الأمر لم يقعد به عن التدرج في المناصب ، فبفضل اعتناقه النصرانية ، ومعرفته العلمية ، ظهر أمام المجمع الكنسي إنساناً جديراً بثقة الأساقفة ؛ وبذلك اختاره الحبر الأكبر لمنصب كرسي كنيسة سيجوفيا سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، وبعد وفاة ريموندو تم نقل خدماته إلى إشبيلية ، -ومن هنا نعرف سر اتخاذه لقب الإشبيلي- ، ولم تمنعه مهامه الكنسية عن دراسة العلوم ، لكنه وجد نفسه منزعجاً بهموم السياسة بعد تدخل ملك ليون في شؤون طليطلة ، وقد قبل ذلك على مضض ، واستمر معه حتى وفاته سنة (٥٦٢هـ/١١٦٦م)[٣] .

---

(١) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٤ ؛
Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ Haskins:studies the history of mediaval science,١٨
Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧ .

أما فيما يخص مجال العلوم التي قام بنقلها فيبدو أنها كانت متنوعة إلا أن الفلسفة هي المتصدرة لها ، فيوحنا نفسه كان يزاول دراسة وتعليم الفلسفة في طليطلة ، إلى جانب تأليفه كتاباً في المنطق والفلسفة ، لخص من خلالها المذاهب المأخوذة من الكتب اليونانية المترجمة إلى العربية ، وكذلك على الكتب التي بنا عليها علماء المسلمين مؤلفاتهم ؛ حيث نجد أن توجهات ابن سينا كانت تشكل أساس مذهبه الفكري[1] .

بيد أن يوحنا كان ثنائي التوجه في ترجماته ، فهو صاحب توجه ديني فيما ينقله من علوم فلسفية تفيد الدين النصراني في مناقشة ودحض المسلمين ، إضافة إلى تعليمها للعالم اللاتيني عبر مؤلفات الفلسفة المترجمة التي كانت تفتقر لتوجيهات كاثوليكية ، ومن هنا جاءت الحاجة إلى تأليف وتعقيب على هذه المؤلفات لكي تتناسب مع الطابع النصراني ، وترتبط بالمذهب الكاثوليكية ، وهذا ما نلاحظه في مؤلفاته التي اعتمد فيها على كتب الفلسفة المترجمة بإضافات منسجمة مع العالم الغربي[2] .

ولا نعلم عن حقيقة هذا التوجه الديني الذي كان يتبناه يوحنا في ترجماته ، أهو نابع من قناعة تامة تجاه الدين الجديد الذي اعتنقه أم أنه أخفى وراءه حب الحياة والبذل من أجلها فاعتنق النصرانية لكي يحظى برغد العيش مقابل ذلك ، لاسيما واليهود كانوا منبوذين في تلك الفترة ومجبرين على التنصر في إسبانيا .

أما التوجه الثاني الذي نلاحظه على هذا المترجم فهو التوجه العلمي ؛ حيث كان عالماً في الفلسفة إلى جانب ترجمته لمؤلفاتها ، ثم أخذ في تدريسها والتأليف فيها بعدد من المؤلفات التي تأثر فيها بعلوم الفلسفة المترجمة تأثراً واضحاً ، ويعد بلا منازع أول من أدخل كتب الفلسفة المترجمة إلى العالم الغربي عبر ترجمة كتبها

---

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٦ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ٣/١٣٢ ، Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧ .

Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧

(٢) Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧

والتأليف عليها[١] .

وقد نقل يوحنا بمساعدة دومنجو ، وبمفرده أيضاً كثيراً من المؤلفات ، منها : فصل في الطب انتزعه من كتاب : «سر الأسرار» المنسوب لأرسطو ، ويمكن افتراض أن هذه الترجمة قد تمت في العقد الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، (٥١٤-٥٢٥هـ/١١٢٠-١١٣٠م) ، ويأتي بعده ترجمة كتاب : «المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم» لأبي معشر الذي أتم ترجمته سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م) ، ثم كتاب في «المدخل إلى علم هيئة الأفلاك» للفرغاني ، الذي فرغ منه سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م) في مدينة لونا[٢] .

إضافة إلى ترجمة رسائل مختلفة في الفلك والتنجيم لماشاء الله ، والمواليد لأبي علي الخياط (ت حوالي ٢٢٠هـ/٨٣٥م)[٣] ، وعدة رسائل للكندي ، وكتاب المواليد لعمر بن الفرخان الطبري (ق٣هـ/٩م)[٤] ، وتفسير كتاب الثمرة لبطليموس لابن الداية (ت حوالي ٣٣٠هـ/٩٤١م)[٥] ، والزيج للبتاني ، ودلائل الفلك لثابت بن قرة ، والزيج لمسلمة المجريطي ، وكتاب الفصل بين الروح والنفس لقسطا بن لوقا ، وإحصاء العلوم للفارابي ، وجزء من كتاب الشفاء لابن

---

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٦ ؛ ألونسو : ابن سينا وآثاره الأولى في العالم اللاتيني ، ص٤١ .

Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٩ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛

jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٨١-٢٠٠

leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٧٣ .

(٣) أبوعلي الخياط : يحيى بن غالب ، وقيل إسماعيل بن محمد ، كان تلميذ لماشاء الله ، له عدة مؤلفات فلكية . النديم : الفهرست ، ٣٣٧ .

(٤) عمر بن الفرخان الطبري : أبوحفص ، شرح كتاب الأربعة لبطليموس ، وله كتب عدة . نفس المصدر ، ٣٣٤ .

(٥) ابن الداية : أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصري ، عالم بالفلك والهندسة والطب . نفس المصدر ، ٣٢٩ .

سينا ، وينبوع الحياة لابن جبيرول ، ومقاصد الفلاسفة للغزالي[١] .

وقد قام يوحنا الإشبيلي بأغلب ترجماته بالتعاون مع دومنجو جنديسالفي ، كما أعيد ترجمة كثير منها من العربية إلى اللاتينية بعد ذلك ، وتشمل تلك المترجمات أربعة حقول :

الحساب والفلك والطب والفلسفة ، ومن أهمها كتاب : مختصر الجبر والمقابلة للخوارزمي ، ويبدو أنه لمؤلف مجهول أتى بعد الخوارزمي اختصر فيه عمليات الحساب الهامة التي ذكرها الخوارزمي في كتابه كالصفر والجذور التكعيبية والعشرية وغيرها ، وكتاب علل الأفلاك ، وسر الأسرار للفرغاني .

أما المؤلفات الفلسفية فمن أهم ترجماتها : مؤلفات الفارابي وابن سينا والغزالي التي كانت إلهاماً للعالم اللاتيني ، ومؤثراً عميقاً في تطور الفلسفة السكولائية[٢] .

ومن أهم مؤلفات يوحنا التي تأثر فيها بالعلم الإسلامي : كتاب الروح وعلم النفس ، ويتكون من عشر أطروحات ، تظهر دوافع فلسفية متأثر فيها بابن سينا[٣] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٩ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٥-٩٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١ ؛ (jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٢٠)

(steinschneider:dei europaischen ubersetzunge aus dem arabischen bis mittedes,١٧)

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٦ .

(٣) Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٨٧

٥ - دومنجو جنديسالفي (Domingo Gondisalvi) : (ت بعد ٥٧٧هـ/ ١١٨١م)[١] :

وكان على رأس المترجمين في مدرسة طليطلة ؛ إذ يعتبر منشيء هذه المدرسة وباعثها الأول ، ويعمل كاهن كاتدرائية طليطلة ، ويحمل لقب كبير شماستها ، ونائب أسقف سيجوفيا يوحنا الإشبيلي ، ونتاجه يمكن أن نضعه بين سنتي (٥٢٥-٥٦٦هـ/ ١١٣٠-١١٧٠م) ؛ إذ يجب أن يكون قد توفي بعد عام (٥٧٧هـ/ ١١٨١م)[٢] .

ويُعَدُّ دومنجو أشهر رجال الترجمة في العصر الوسيط من العربية إلى اللاتينية عن طريق الإسبانية العامية ، وبفضله شاعت في الغرب الأوروبي للمرة الأولى الأرسطوطاليسية ، والأفلاطونية الجديدة للفارابي وابن سينا والغزالي وابن جبيرول صاحب كتاب «ينبوع الحياة» الذي ضاع أصله العربي ، وعرف من خلال ترجمة جنديسالفي ، وهو مؤلف بعث مذهب الصدور الأفلاطوني ، واشتهر كثيراً ، وأصبح موضع شروح شتى في الدراسات المدرسية[٣] .

كان جنديسالفي تلميذاً ليوحنا الإشبيلي ، وتربطهما علاقة حميمة لدرجة أصبح فيها من الصعب الإشارة إلى الأعمال الخاصة بكل واحد بمعزل عن الآخر ، ولا بد أن جنديسالفي قد تبنى مذهب أستاذه وتوجهه في الترجمة ، يظهر ذلك من خلال مؤلفاته التي تركها ، وكان متأثراً فيها بما ترجم ، ويتضح هذا التوجه

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٤ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٧ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٤ ؛

leclerc:history de la medicine arabe,II,٣٧٦-٣٩٧ ,Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٣٨-١٤٣,Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٥٩-١٦٠.

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٤ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٧ ؛

Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٥٩-١٦٠ .

(٣) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٤ ؛ بدوي : دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ٧ ؛

Alonso:las fuentes literarias de domingo gundisalvo,Al-andalus,VXI,١٧٢ .

المشترك أيضاً بما قام به الإثنان من نقل كتاب النفس لابن سينا ، ثم قدماه إهداءً لرئيس الأساقفة ريموندو[1] .

ومما يجب الإشارة إليه هنا هو أن جنديسالفي لم يكن مستعرباً كأستاذه يوحنا ، بل نجده ينقل من الإسبانية إلى اللاتينية ، ولكن مع مرور الوقت تعلم العربية حتى أصبح بعد سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) يعتمد على نفسه في الترجمة والاطلاع[2] .

وهذا ما جعل كثيراً من الباحثين يشككون في أن دومنجو كان اسماً لشخصين مختلفين ، وجعلوا وفاة المترجم في طليطلة سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، وتناقل هذا التاريخ كثير منهم بحجة أن هذا الناقل اضطلع بالترجمة من الإسبانية إلى اللاتينية فقط ، ثم بعد سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) أتى دومنجو آخر وترجم من العربية مباشرة[3] .

إلا أن الأمر اتضح للعيان بواسطة الوثائق الطليطلية العائدة للقرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، والتي تذكر من خلال إحداها أن دومنجو مترجم طليطلة كان على قيد الحياة سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) ، هذا بالإضافة إلى اعتماده على كتاب «العقيدة الرفيعة» لمؤلفه إبراهيم بن داود الذي ألفه فيما بين سنتي (٥٥٦-٥٦٤هـ/١١٦٠-١١٦٨م) في مقالته في خلود الروح التي ألفها على أقل تقدير سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) ، وهي بلا شك لدومنجو مترجم طليطلة[4] .

وإلى جانب الترجمات التي اشترك فيها دومنجو مع أستاذه يوحنا نجد لديه العديد من المؤلفات الأصيلة التي تأثر فيها بالفارابي وابن سينا وآخرين .

أهمها مؤلفاته الثلاثة التي ظهر أثر هؤلاء فيها واضحاً وهي : خلود النفس

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٤ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ .

(٢) Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٦١

(٣) Alonso:las fuentes literarias de domingo Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٩٣ gundisalvo,١٧٢.

(٤) Alonso:notas sobre los traductores toledanos,١٦١,Alonso:las fuentes literarias de domingo gundisalvo,١٧٢

التي لخص فيها نظرية النفس لابن سينا ، وابن جبيرول .

وكتاب تقسيم الفلسفة ، وتأثر فيه بالفارابي إلى حد كبير في كتابه إحصاء العلوم .

ومقالة حول خلق الدنيا ، تأثر فيه بكتب الفلسفة العربية[١] .

وجميع هذه المؤلفات أثرت في كبار مؤلفي القرن التالي أمثال : ألبرت الكبير ، ومايكل سكوت ، وروبرت كيلواردباي[٢] .

٦ - هرمان الدلماتي ، (Hermaunus Dalmatian) (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م)[٣] :

والذي عرف بعدة ألقاب ، كهرمان الكارنثي (de Carinthia) نسبة إلى مدينة كارينثيا (carinthia)[٤] ، أو هرمان الثاني تمييزاً له عن سابقه : هرمان الكسيح ، وهرمان الدلماتي نسبة إلى دلماتيا غرب يوغسلافيا الآن ، كما أطلق عليه لقب هرمان السلافي (le slave)[٥] .

هذا التعدد في الألقاب بالنسبة لهرمان جعل أعماله الحقيقية تخسف بسبب الخلط مع آخرين اثنين لهما نفس الاسم ، وقاما في الترجمة أو الكتابة في موضوعات

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ١٣٦/٣ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٣٨ .

Alonso:traducciones del arcediano domingo gundisalvo,٢٩٥-٣٣٦ .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤٤ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ .

(٣) انظر مصادر ترجمته كلاً من : ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧-٤٦١ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٣٩ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ١٤٥٥/٢-١٤٥٦ ؛

jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٣٥-١٤٧,leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٢ ,Haskins:studies in the history of mediaeval science,٤٣,Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٣

(٤) كارينثيا : ولاية تقع جنوب جمهورية النمسا ، عاصمتها مدينة كلاكنفورت . الموسوعة العربية العالمية ، ٥١١/٢٥ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ ؛

leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٣٨٢,jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine,١٣٥

مماثلة ، وهما : هرمان كونتراكتوس –الكسيح- راهب ريشينو إبان القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ، وهرمان الألماني مترجم الأعمال الفلسفية في القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي[١] .

وعلى الرغم من ذلك فإن هرمان يعتبر من الرواد البارزين في مجال نقل علوم المسلمين إلى الغرب ، وإن كانت أعماله لا توازن مع ترجمات يوحنا الإشبيلي وأفلاطون التيفولي ، إلا أنه كان كثير الإنتاج في عدة علوم كالرياضيات والفلسفة وعلم التنجيم والفلك ، وقد درس في شارتر ، أو باريس مما جعله على اتصال مع المدارس الكاتدرائية في بداية القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي ، ومن ثم على اطلاع بالمذهب الأفلاطوني والأرسطوطالي الذي أخذ يبحث عنه أكثر عبر مصادره العربية[٢] .

ولا يعرف تحديداً متى زار هرمان الأندلس ، ولكنه في سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) ، ترجم كتاباً في علم الفلك بها ، ثم دخل في مشروع ترجمة القرآن الكريم مع صديقه روبرت تشستر وانتهيا منه سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، وعليه فيكون مقامه في الأندلس ما بين (٥٣٣-٥٣٨هـ/١١٣٨-١١٤٣م) تقريباً ، ثم انتقل بعدها إلى لانجدوك[٣] ، ومن المؤكد أنه زار طليطلة في هذه الفترة واستفاد من مكتباتها العربية ، ولكنه لا يعرف إذا كان له علاقة مع مترجمي مدرستها أم لا؟ ، فقد كان ينجز معظم ترجماته في منطقة الإبرو ، وتحديداً في مدينة تطيلة التي أوصلته على ما يبدو إلى مكتبة بني هود للاستفادة من ذخائر التراث الإسلامي بها[٤] .

---

(١) Haskins: studies in the history of mediaeval science,٤٣

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٣ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,٤٣ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ٢/١٤٥٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٣ ؛

Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٣

(٤) بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ٢/١٤٥٥ ؛

. Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٤ .

كان هرمان مترجماً بارعاً في رأي معاصريه ، فهو كما وصفه بطرس المحترم ماهراً باللغتين ، عالماً متقناً ، تجمعه مع المترجم روبرت تشستر علاقة ود وعمل ؛ حيث اشتركا في نقل كثير من المصنفات عن العربية إلى اللغة اللاتينية ، وقد أهداه هرمان عدداً من ترجماته ، ككتاب المدخل لأحكام النجوم للبلخي ، وآخر للكندي ، ومن بين ما اشتركا في ترجمته القرآن الكريم بعد طلب من بطرس المحترم الذي صرفهما عن الدراسات الفلكية والرياضية إلى هذا العمل الذي أتماه سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، والذي يظهر من خلاله التوجه الديني لهرمان الدلماتي ، إضافة إلى نقله عدداً من الرسائل المزعومة ضد الإسلام ، ورسوله ﷺ[١] .

ولم تقتصر نقول هرمان على علم معين ، إنما شملت عدة علوم ، كالفلك والرياضيات والفلسفة والتنجيم الذي استأثر أغلب ترجماته ؛ حيث ترجم فيه : المدخل لعلم أحكام النجوم لأبي معشر البلخي سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) ، وهي التي قدمها لروبرت تشستر –كما ذكرنا- وكانت هذه الترجمة أكثر إتقاناً من الترجمة التي أنجزها يوحنا الإشبيلي[٢] .

وإلى جانب ذلك فقد ترجم حوالي سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢م) رسالتين ضد الإسلام : الأولى هي : قرآن محمد ، والثانية : ترجمة لمحاورة مزعومة بين رسول الله ﷺ واليهودي عبدالله بن سلام ، ولربما أنه ضمن كلتا الرسالتين في الترجمة التي أتمها هو وروبرت للقرآن الكريم بعد ذلك سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)[٣] .

هذا وإن ترجمته لكتاب قبة الفلك لبطليموس يعتبر من أهم إنجازاته ، ذلك

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ١٤٥٥/٢ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,٤٥ ,leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٢, Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٤

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٣/١ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٣-١٤٤

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٣/١ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٤٤ .

أن هذا الكتاب نقله إلى العربية مسلمة المجريطي مع شروح وافية ، وقد وصلنا عن طريق هذه الترجمة فقط ؛ لفقدان النصين : العربي واليوناني ، واكتملت هذه الترجمة سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، وتم تخصيصها لتييري دي شارتر : أستاذ هرمان ، وقد نسبت هذه الترجمة في بعض النسخ المخطوطة إلى تلميذ هرمان : «رودلف دي بروجس» ، إلا أن بعض الباحثين يجزم بنسبتها إلى هرمان نفسه ، أما تلميذه رودلف فقد ترجم رسالة في الاسطرلاب للمجريطي ، وشروح المجريطي أيضاً على النظام الرياضي لبطليموس[١] .

وينسب إلى هرمان العديد من المقالات والمخطوطات في العصور الوسطى عن الأحوال الجوية ، وعلم الحساب والجبر والاسطرلاب ، ولكنها تحتاج إلى تحقيق أهي له أم لا ، من ذلك ترجمته لجداول الخوارزمي حوالي سنة (٥٣٥هـ/ ١١٤٠م) ؛ حيث إن كتابه الوحيد الذي ألفه بعنوان «نشأة الكون» وسماه في الأرواح والجواهر كان يضم هذه الجداول الفلكية[٢] .

٧ - هوغو سنكتلا أو سنكتالنسيس (Hogo fo sanctalla ou sanctallensic) (ق٦هـ/١٢م)[٣] :

يعتبر هوغو من المترجمين الأولين الذين نقلوا من العربية إلى اللاتينية ، ولا نعرف الكثير عن سيرته وزمانه ، فتضارب الآراء في نسبته إلى فرنسا أو إسبانيا

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧-٤٦١ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ١٤٥٦/٢ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٧ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٣/١ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١٠٦ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ١٤٥٦/٢ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٨.

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٤ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ١٤٥٠/٢ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ١٣٥/٣ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,٦٧, Palencia,EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٨

تبعث الشك في الأمر ، إلا أنه من المحتمل استناداً إلى نسبته سنكتالنسيس أنه من بعض شعوب السانتا التي كانت تعيش في الشمال الشرقي من إسبانيا ، ولا يمنع هذا الرأي أنه كان على صلة بالبلاد الفرنسية[١] .

أما بالنسبة للفترة التي عمل فيها هذا المترجم فتمتد من (٥١٣-٥٤٦هـ/١١١٩-١١٥١م) ، وهي الفترة التي عين فيها القس ميخائيل الطرزوني على أسقفية هذه المدينة ، وكان هوغو يعمل تحت إشرافه وبطلب منه ، وقد أشار هوغو في إحدى مقدمات ترجماته إلى ذلك[٢] .

لم يكن هوغو على اتصال مع أحد المترجين ، فمعرفته باللغة العربية أغنته عن الاستعانة أو الاتصال بأحد النقلة ، فكان كل همه أن يتمثل أوامر راعيه ميخائيل الذي ساعده كثيراً في الحصول على المؤلفات المراد ترجمتها ، فكان ميخائيل يوفر له منها الشيء الكثير بواسطة مكتبة بني هود في سرقسطة ؛ حيث عهد إليه بترجمة ما انتقاه منها ، وكانت مجموعة الشمال الشرقي من إسبانيا والتي يمثلها هوغو سابقة في عهدها مدرسة المترجمين في طليطلة التي تأسست بعد ذلك[٣] .

وقد ترجم هوغو الكثير من الكتب العربية إلى اللاتينية ، التي لم يصلنا منها إلا النزر اليسير ، والبعض منها أشار إلى عزمه على نقلها من خلال الكتب الموجودة لدينا ، ولكنها لم تصلنا ، فلا نعلم : أترجمها وفقدت أم أنه توفي قبل الشروع في

---

(١) سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٤ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ٣/١٣٥ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,٧٠, Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٨

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٤١ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٤ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ٢/١٤٥٠ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,٧٠

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٥ ؛ بيرنيت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٥٠ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ٣/١٣٥ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١٠٥ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٨

نقلها[١] ، وعلى كل حال فكان في مقدمة المصنفات التي أولاها اهتمامه هي كتب التنجيم التي نقل منها عدداً من المؤلفات ، ومنه فقد وصف بأنه عالم في التنجيم وعلم الصنعة[٢] .

أما عن منهجه السائد في نقل كل المترجمات فهو نفس مسلك سلفه المترجم قسطنطين الأفريقي ؛ حيث كان يلخص مقدمة المصنف العربي الأصيل للكتاب ويدخل التلخيص في المقدمة التي يكتبها هو حتى ليكاد يتعذر على المرء أن يميز بين عبارات المصدر الذي أخذ منه المترجم وبين عبارات المترجم نفسه ، وخاصة أن الأصل العربي غير متيسر للمقارنة[٣] .

وكما نعلم فإن هوغو كان دائماً يدين لراعيه وسيده ميخائيل الطرزوني الذي أهداه كل مترجماته[٤] ، منها : تعليق البيروني على كتاب الفلك للفرغاني ، رسالة لأرسطوطاليس ، كتاب الأمطار والرياح ، لماشاء الله ورسالة في الهندسة بعنوان علم الرمل ، رسالتان في علم الحيوان ، كتاب بعنوان (Centiloguium) لبطليموس ، أقدم نسخة لاتينية من نص السيمياء اسمه «الجدول الزمردي» لجابر بن حيان[٥] .

(١) Haskins:studies in the history of mediaval science,٦٧-٧٤ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ .

(٣) بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٥١ .

(٤) البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١٠٤ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٧-٩٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١١ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,٧٤-٨٠ , Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٩-١٠٦ .

٨ - روبرت أوف تشستر(Robert of chester) ، (حوالي منتصف ق٦هـ/ ١٢م)[١] :

إن الاسم السائد لهذا المترجم هو روبرت تشستر ، إلا أن المخطوطات التي ترجمها كان يكتب فيها روبرت الكيتوني ، (Robert of ketton) ، وروبرت ريتنس (Robert retines) ؛ ولهذا السبب فقط جعله بعض مترجمي سيرته أكثر من شخصية واحدة ، ولعل ذلك يعود إلى انتمائه إلى مناطق عدة في آن واحد[٢] .

ولكنه بالنظر إلى سيرته نجد أن الأمر متقبلٌ ومعقولٌ أن يكون هذا المترجم هو نفسه صاحب الألقاب الثلاث ، فقد ولد في كيتون ، ثم تلقى تعليمه في تشستر (chester)[٣] ، ونسب إليها ، ودخل في سلك الرهبانية البندكتية ؛ حيث أخذ في الرحلة والتجوال فعبر البحر إلى فرنسا وإيطاليا ، وقصد الأندلس التي استهوته بالتنقل بين مدنها كطليطلة ومنطقة الأبرو التي أتم بها هو وصديقه هرمان بعض ترجماتهم وعلى رأسها القرآن الكريم ، فانتهيا منه سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، وهي نفس السنة التي تم تعيينه فيها رئيساً لشماسة بمبلونا[٤] .

ويبدو من الواضح أن روبرت لم يطل مقامه في بمبلونا كما يقال عنه ، إنما انتقل منها إلى سيجوفيا سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، ثم استقر في لندن في الفترة ما بين

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧-٤٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٥٨-٥٩ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة ، ٨٤ ؛

jourdain:recherches critiaues sur lage et lorigine des traductions latines,١٤٠,leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٣٨٠-٣٨١ ,Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٢٠ Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦١ .

(٢) leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٠, Haskins:studies in the history of mediaeval,١٢٠

(٣) تشستر : وتنطق جستر ، بلدة تقع في مقاطعة تشيشير في غرب إنجلترا بالقرب من ويلز . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٤/١٥٢ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٥٨ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة ، ٨٤ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٠

عامي (٥٤٢-٥٤٥هـ/١١٤٧-١١٥٠م) لينقطع الحديث عنه بعد هذا العام[١] .

كان روبرت من أوائل الطلبة الإنجليز الذين قدموا من شمال أوروبا إلى الأندلس للاستزادة من علوم المسلمين ، وبعد أن تجول فيها واستقر في الأبرو وتعلم اللغة العربية بدأ يمارس أعمال الترجمة والنقل من العربية إلى اللاتينية ، وقد ساعده في إنجاز قسم كبير من أعماله زميله هرمان الدلماتي[٢] .

وكانت الأعمال الفلكية والرياضية أول نقول روبرت ، حيث إنه كان يهتم بهذا النوع من العلوم ، والتي وافقت ذكاءه الفطري وسرعة تعلمه ، هذا الذكاء هو الذي لفت نظر بطرس المحترم ، مما جعله يثنيه إلى ترجمة القرآن الكريم بدلاً عن الفلك والرياضيات التي كان منهمكاً في نقل كتبها ، ولا يعني هذا أنه انصرف كلياً عن موهبته الأولى ، بل استمر في عطائه في هذا المجال -وهو الفلكي والرياضي- حتى بعد أن استقر في لندن ، فأخذ يترجم عدداً من الكتب المهتمة بهذه العلوم ويؤلف عليها[٣] .

ويمكن أن نقسم نشاط روبرت في حقل الترجمة إلى مرحلتين :

الأولى : وتبدأ من سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) إلى (٥٤٠هـ/١١٤٥م) في إسبانيا .

ثم تأتي المرحلة الثانية التي استمرت ما بين (٥٤٢-٥٤٥هـ/١١٤٧-١١٥٠م) في لندن[٤] ، وقد قدم خلال هاتين المرحلتين عدداً مهماً من الترجمات ، منها : ترجمة القرآن الكريم بالاشتراك مع صديقه هرمان الدلماتي ، وانتهيا منها سنة

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦١-١٦٢

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٥٨ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة ، ٨٤ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٠,Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٠

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦١

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦١-١٦٢ .

(٥٣٨هـ/١١٤٣م)[١] ، ترجمة كتاب الأحكام للكندي ، وقد نسبت هذه الترجمة لروبرت آخر بسبب التاريخ المدرج في بعض النسخ وهو سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، ولعله تاريخ طباعة النسخة ؛ لأن ترجمة روبرت مؤكدة عليه باسم (cotton ms)[٢] ، رسالة خالد بن يزيد في الكيمياء ، وترجمتها سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)[٣] ، أول ترجمة لجبر الخوارزمي سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) في سيجوفيا ، وهي الترجمة التي من خلالها اخترق اسم علم الجبر والطرق المتعلقة به أوروبا اللاتينية ، إضافة إلى رسالة في الاسطرلاب لبطليموس نقلها سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)[٤] .

ومن إنجازات روبرت العظيمة في هذا المجال ترجمته ، وإصلاحه ، ودمجه لجداول البتاني ، والزرقالي الفلكية سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) مع زميله هرمان ، كذلك عدل الألواح الفلكية التي ترجمها إدلارد الباثي مع جداول الخوارزمي ، وقد عدل روبرت الجداول الفلكية الطليطلية وطبَّقها على زمان ومكان مدينة لندن سنة (٥٤٤- ٥٤٥هـ /١١٤٩-١١٥٠م) مستعيناً بكل من البتاني والزرقالي والخوارزمي في ذلك[٥] .

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص٥٣٩ ؛ محمد البنداق : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ٩٥ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٠-٤١ .

(٢) leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٢

Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٢١

(٣) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٨ ؛ ديورانت قصة الحضارة ،١٤/١٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦١ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢١,Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٨١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٨ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٢

(٥) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة ، ٨٤ .

=

وبعد أن عرفنا أعمال روبرت ونشاطه نستطيع القول : إنه كان في توجهه يشبه إلى حد بعيد زميله هرمان الدلماتي ذا التوجه الديني المحض ، إلا أن روبرت -إلى جانب ذلك- أثبت أنه كان محباً للعلم وتطبيقه في عالمه الأوروبي بعد إيصاله له بواسطة الترجمة ؛ لذا فهو يجمع بين توجهين : أحدهما : ديني ، بحكم انتمائه لطائفة الرهبان البندكتيين ، واضطلاعه بترجمة القرآن بهدف تفنيده ، وذو توجه علمي ، بما تم على يده من إنجازات علمية .

٩ - رودولف بروجس (Rudolph of bruges)[١] :

والمعلومات عنه نادرة جداً ، وكل ما نعرفه أنه التلميذ الوحيد المعروف لهرمان الدلماتي ، وعاش في الربع الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وكما هو واضح من اسمه أنه من مدينة بروجس (Bruges)[٢] ، وقد عاش فترة من حياته في الشمال الإسباني ، ونسب إليه -لفترة طويلة- ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس ، والذي كان مترجمه هو أستاذه هرمان في تولوز سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)[٣] .

أما رودولف فقد ترجم رسالة عن الاسطرلاب لمسلمة المجريطي ، إضافة إلى ترجمته لشروح مسلمة المجريطي المذكور آنفاً على النظام الرياضي لبطليموس[٤] .

=

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦٣

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٤ ؛

leclerc:histoire de la medicine traductions latines,٤٣٢, Haskins:studies in the history of mediaval scienc,٧٥, Palencia:EL arzobispo don raimundo,١٦٤

(٢) بروجس : مدينة بلجيكية ، قاعدة مقاطعة فلاندرا الغربية ، على بعد ١٣ كلم من بحر الشمال . الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٥/٢٥٠ .

(٣) leclerc:histoire de la medecine traductions latines,٤٣٢

Palencia:EL arzobispo don raimundo,١٦٤

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛

=

١٠ - أفلاطون التيفولي (Platon of Tivoli) (ق٦هـ/١٢م)[١] :

ويسمى أيضاً أفلاطون طبرطنوس (Tiburtinus) ، وهو إيطالي عاش في إسبانيا ، واتسعت أعماله في الترجمة ، فأخرج ترجمات كثيرة نفيسة القيمة ، نالت رواجاً وانتشاراً عظيماً ، وقد عاش في برشلونة من (٥٢٩-٥٤٠هـ/١١٣٤-١١٤٥م) ، ويوصف بأنه رياضي فلكي منجم ، وكان يساعده في ترجمته إبراهيم برحيا كثيراً ، بالطريقة نفسها التي ساعد فيها دومنجو جنديسالفي يوحنا الإشبيلي[٢] .

ومن مترجماته خمس رسائل معروف تاريخ ترجمتها كالتالي :

رسالة العمراني ترجمها بين سنتي (٥٢٨-٥٢٩هـ/١١٣٣-١١٣٤م) .

رسالة لأبي علي الخياط ، تم نقلها سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) .

رسالة تعزى إلى شخص اسمه المنصور ، نقلها أفلاطون سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٦م) .

كتاب الأربعة لبطليموس سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م) ، وكانت هذه الترجمة أول نقل له إلى اللاتينية[٣] .

إضافة إلى ذلك فقد ترجم أفلاطون كتباً غير موثقة التواريخ منها :

بعض مؤلفات البتاني في الفلك ، كتاب المواليد لأبي بكر الحسن بن الخصيب (ق٣هـ/٩م)[٤] ، ورسالة في الاسطرلاب لابن الصفار ، وعدة رسائل في

=

Palencia:EL arzobispo don raimundo,١٦٤

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٨-٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ .

Palencia:EL arzobispo don raimundo,٣٨٩

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،٩٩ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo,٣٨٩

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٨-٤٦٢ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،٩٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٤-٦٥ .

(٤) الحسن بن الخصيب : عالم بالفلك له عدة مؤلفات فيه . النديم : الفهرست ، ٣٣٧ .

الهندسة[١] .

أما عن ترجماته من العبرية فأهمها : ترجمته لكتاب معاصره إبراهيم برحيا بعنوان «الهندسة التطبيقية» سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، وكان لهذه الترجمة أهمية كبيرة في نمو الرياضيات في الغرب اللاتيني[٢] .

١١ - ستيفن الأنطاكي (stephen of Antioch))(ق٦هـ/١٢م) :

ويعرف أيضاً باسم : ستيفن الفيلسوف ، وباسم أتين الأنطاكي ، (Etienn of Antioch) نسبة إلى موضع إقامته حوالي سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) ، وهو من مدينة بيزا الإيطالية ، وكان مترجماً محترفاً من العربية إلى اللاتينية ببلاد الشام ، كما أنه كان على معرفة باللغة اليونانية[٣] .

وقد اشتهر بسبب ترجمته الجديدة تماماً والأقرب كثيراً إلى النص الأصلي من ترجمة قسطنطين الأفريقي للكتاب الملكي لعلي بن العباس ، وقد أضاف إليها كشافاً يونانياً ، عربياً ، لاتينياً للمصطلحات الفنية التي استعملها ديوسقريدس[٤] .

١٢ - يوجين الأمير أو يوجينو من بلرمو (Eugenio of Plermo) (ت بعد ٥٥٦هـ/١١٦٠م) :

سويسري الأصل من مدينة بازل ، وقد نشأ تحت رعاية روجر الثاني ، ووليم الأول ملكي صقلية ، وبحكم طبقته الاجتماعية -حيث إنه من النبلاء- فقد كان عضواً في الهيئة الإدارية لوليم الأول ، وفي نفس الوقت فقد أكسبته صفاته الفكرية

---

(١) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،٩٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٥/١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ص١٠٩ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo,١٦٦

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٢٤٣ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،٩٩ ؛

leclerc:histoire de la medecine traductions latines,٤٤٦,Haskins:studies in the history of mediaval scienc١٣١.

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٢٤٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٧٩/١ .

لقب الفيلسوف ، إلى جانب اضطلاعه في علمي الرياضيات والفلك[١] .

ومن الواضح أن لغة يوجين الأم هي اللغة اليونانية ، التي كان يتقنها ويسطر بها قصائده المتنوعة المواضيع ، الأمر الذي أكسبه مكانة عظيمة بين الكتاب اليونانيين في العصور الوسطى ، إضافة إلى معرفته الجيدة باللغة العربية ، وكلتا اللغتين استفاد منها في عملية الترجمة والنقل إلى اللغة اللاتينية التي كان يتقنها أيضاً بشكل جيد[٢] .

عمل يوجين في مدرسة بلرم إبان حكم روجر الثاني ، ونقل عدداً من المؤلفات بأمر هذا الملك ، واستمر في نشاطه إلى عهد وليم الأول ، ثم تنقطع أخباره بعد ذلك ، فلا ندري أكان حياً في عهد وليم الثاني أم لا؟ ولكن من المؤكد أن نشاطه كان يشغل حيزاً ما بين (٥٤٥-٥٥٦هـ/١١٥٠-١١٦٠م)[٣] ترجم خلاله عدداً من الكتب كالتالي :

كتاب المناظر المنسوب لبطليموس ، من العربية إلى اللاتينية .

وكتاب المجسطي لبطليموس ، من العربية إلى اللاتينية أيضاً ، وكانت هذه الترجمة بمساعدة انريكو وزير وليم الأول ، وتمت سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م) تقريباً .

في حين نجده ينقل كتاب كليلة ودمنة من اليونانية إلى اللاتينية ، فكان مساعداً في نقل هذا الأدب الشرقي إلى الغرب[٤] .

وكما رأينا أن يوجين كان من أهم رجال البلاط في العهد النورماني في صقلية ،

(١) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٤٥٠ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،١١٠ ؛
Haskins:studies in the history of mediaval science,١٧١

(٢) مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،١١٠ ؛
Haskins:studies in the history of mediaval science,١٧٢

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٤٥٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٨ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ،١٩ ؛
Haskins:studies in the history of mediaval science,١٧٢

(٤) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٤٥٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٨ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ،١١٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ،١٩ ؛
Haskins:studies in the history of mediaval science,١٧١-١٧٥ .

وأتم كثيراً من ترجماته بأمر ورعاية من هؤلاء الملـوك ؛ لـذا فـلا يـستبعد أن يكـون صاحب توجه سياسي في أعماله التي أنجزها ، وتراجمه التي قام بنقلها لصالح ملوك البلاط النورماني .

١٣ - انريكو اريستبو (Enrico Aristippo) :

(ق٦هـ/١٢م) وهو كما ذكرنا وزير وليم الأول ، وكـان مـن كبـار وزرائـه ، واشتهر بترجمته لكتاب المجسطي لبطليمـوس مـن العربيـة إلى اللاتينيـة ؛ إذ عمـل مساعداً ليوجين الأمير ، فأتما النقل سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م)[1] .

ويبدو أن توجهه لا يبعد عن توجه معاونه يوجين الأمير .



---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٨ ؛ هونكـة ، شـمس العـرب ، ٣٠٣ ؛ مـايرز : الفكـر العـربي ، ١١٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩ .

١٤ - جـــيرارد الكريمـــوني (Gerard of cremona)[١] (ت٥٨٣هـــ/ ١١٨٧م) :

ولد بمدينة كريمونا (cremona)[٢] سنة (٥٠٨هــ/١١١٤م) ، ونـسب إليهـا وليس إلى قرمونية الموجودة في الأندلس كما يظـن الـبعض[٣] ، وبعـد أن انخـرط في سلك الرهبان البندكتية ، واطلـع عـلى شيء مـن الطـب الإسـلامي واليونـاني أراد الاستزادة من علوم المسلمين أو ما ترجم بواسـطتهم عـن اليونـان ، ولكنـه واجـه عقبة عدم معرفته باللغة العربية ، وفي نفس الوقت كانت تدفعه رغبة جامحـة لمعرفـة كـل جديـد ومفيـد ، فقـرر شـد الرحـال إلى الأنـدلس وتحديـداً طليطلـة سـنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م) التي فتحت له آفاقاً كثيرة من الحضارة الإسـلامية وعلومهـا ، فأتقن العربية ثم عكف بقية سني عمره على النقل والترجمة ، فاختار مـن كـل علـم أنفس ما كُتب فيه ، واستمر على نقل ومناولة هذا الإنتاج إلى العالم اللاتيني إلى آخـر حياته ، فكان يترجم الكتب التي يراها أرقى وألطف وأنفع في أي موضـوع كانـت بدقة وبساطة[٤] .

يعتبر جيرارد أعظم المترجمين من العربية في عصره عـلى الإطـلاق ؛ إذ وصـفه

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٨ ؛ هونكة ، شمس العرب ، ٣٠٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة٧-٨ ؛ أحمد : تاريخ صقلية ، ١٠١ ؛ مظهر : حضارة الإسـلام ، ص٥٢٣ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١١٦/١ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩-١٠ ؛ جحا : الدراسات العربية في أوروبا ، ٨٠ ؛
jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٢٤,leclerc:histoire de la medicine traductions latines,٤٢٤, Haskins:studies in the history of mediaval science,١٤,Palencia:EL arzobispo don raimundo,١٤٦

(٢) كريمونا : مدينـة في مقاطعـة لومبارديـا الإيطاليـة ، عـلى نهـر البـو ، الخونـد : الموسـوعة التاريخيـة الجغرافية ، ٣٢٥/٤ .

(٣) جيرا : تاريخ دراسة اللغة٧ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٢٣ ؛ سويسي : انتقال العوم العربية ، ٩٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٧٣/١ ؛
Palencia:EL arzobispo don raimundo,١٤٦ .

(٤) أحمـد : تـاريخ صـقلية ، ١٠١ ؛ بـدوي : دور العـرب ، ٩ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١١٦/١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٧٣-٧٤ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ١٣٦/٣ .

البعض بأنه الأب الحقيقي لحركة الاستعراب في أوروبا ، بالرغم من أنه لم يكن أول مستعرب ، ولكنه كان بحق أول من حقق ترجمات أمينة جيدة نوعاً ما[١] .

وقد اختلفت إحصائية عدد مترجمات جيرارد ، وهي من خلال القائمة التي وضعها تلاميذه من بعده تصل إلى واحد وسبعين مصنفاً[٢] ، بينما يوصلها البعض إلى سبعة وثمانين وإلى تسعين مصنفاً تم نقلها[٣] ، وأغلب هذه الترجمات كانت بين عامي (٥٦٦-٥٨٣هـ/ ١١٧٠-١١٨٧م) ، أي أنها تمت في سبع عشرة سنة فقط ، مما يجعلنا نعتقد أنه كان على رأس مجموعة من النقلة تعمل تحت إمرته في طليطلة ؛ حيث كانوا ينقلون النسخ ويقوم هو بتصحيحها ، منهم مستعرب يسمى غالب[٤] ، ولا يستبعد أيضاً أن يكون بينهم أحد المسلمين ؛ لأن إحدى نسخ ترجماته للمجسطي أُرِّخت بتاريخ هجري ، فكتب على المخطوط : «تم النقل بطليطلة سنة خمسمائة وسبعين للهجرة»[٥] .

إضافة إلى ذلك فقد حدث لبس بين اسم جيرارد الكريموني ، وشخص آخر يسمى جيرارد من سابيونتا (Gerard of Sabbionetta)[٦] ، وهو منجم إيطالي عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وينسب إلى

---

(١) مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٢٣ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٤ .

(٢) عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٥ ؛

Haskins:studies in the history of medaval science,١٥ ,Edward Grant:A Source Book in medieval science, gambridge,١٩٧٤٣٥-٣٨ .

(٣) هونكة ، شمس العرب ، ٣٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٨ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٥ .

(٥) سويسي : انتقال العلوم العربية ، ٩٩ .

(٦) ذهب الاعتقاد لكثير من المؤرخين أنه ابن أو ابن أخ جيرارد الكريموني ، لذا نسب إليه ، وكان يتقن اللغة العربية ، وتضلع في الطب والتنجيم ، وينسب إليه مؤلفات في الفلك وعلم الرمل ، كما ينسب إليه ترجمة كتاب القانون لابن سينا . ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٣ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٢٣ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٣٠ , Palencia:EL arzobispo don raimundo de toledo,١٤٧

سابيونتا قرب كريمونيا ، فيقال له أحياناً الكريموني ، مما أدى إلى نسبة بعض الترجمات إليه ، خاصة وأن مترجمات جيرارد الكريموني لم تكن تحمل اسمه إلا البعض منها[١] .

وعلى كل فإن جيرارد الكريموني يشبه في أعماله ناقلاً آخر سبقه بأكثر من قرنين من الزمان في العالم الإسلامي ، وهو حنين بن إسحاق الذي نقل الكثير من التراث اليوناني إلى المسلمين ، مثلما نقل جيرارد التراث الإسلامي إلى الغرب ، ففتح بعمله هذا أبواب كنوز المعرفة العلمية الإسلامية على مصراعيها ، فضلاً عن أنه أضحى مثالاً يحتذى حذوه ، وسار أتباعه وتلاميذه على نهجه[٢] .

ولعل من الصعب النص على أفضل ما ترجم من هذه الكتب ، إلا أن أهمها كان كتاب المجسطي الذي أتم نقله سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) ، وهي الترجمة الوحيدة التي كانت تحمل تاريخاً ، وهذه الترجمة كانت أقل جودة من الترجمة التي تمت لنفس الكتاب في صقلية قبل خمسة عشر عاماً ، ولكنها حازت شهرة عريضة واسعة حجبت الترجمة السابقة التي قام بها أريستبو ؛ حيث إنه احتفظ باسم الكتاب الحقيقي (Almagestum) ، ثم انتشر بهذا الاسم انتشاراً عظيماً في الغرب ، وظلت هي الترجمة المستخدمة[٣] ، أما ترجماته للكتب الطبية وعلى رأسها كتاب القانون لابن سينا ، وهو أكبر تأليف وأشمله في الطب الإسلامي فكانت أكثر أهمية من ترجماته للكتب الرياضية والفلكية ؛ حيث دخل إلى اللغات الأوروبية عن طريقها عدد كبير من الكلمات الفنية الاصطلاحية[٤] .

وبإمكاننا سرد ترجمات جيرارد على النحو التالي :

ففي المنطق نجد أنه ترجم كلاً من : كتاب أرسطو المسمى أنالوطيقا الثانية ،

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٣ ؛
leclerc:histoire de la medicine arabe II,Palencia,EL arzobispo don raimundo de toledo,١٤٧

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٧٤ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٢-٤٦٣ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥١ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩-١٠ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٧٥ .

وهما كتابان نقلهما إلى العربية متى بن يونس (ت ق ٤هـ/١٠م)[١] .

وكتاب شروح ثيميستيوس (Thesmistios) على كتاب أرسطو السالف الذكر .

وكتاب القياس للفارابي الذي هو قسم من كتابه في إصلاح منطق أرسطو المسمى «لارغانون»[٢] .

أما في مجال الفلسفة فقد نقل كلاً من : عدد من كتب أرسطو في الفلسفة ، أو أنها منحولة له ، منها : السماء والعالم ، والسماع الطبيعي ، الكون والفساد ، والآثار العلوية عن النسخة العربية ليحيى بن البطريق[٣] ، الأحجار والجواهر ، الأصول أو الخواص ، كشف الفضيلة الصافية ، في الحركة والزمان ، والحس والمحسوس ، في الفهم والمفهوم من النسخة العربية لحنين بن إسحاق ، كما أنه ترجم قسماً كبيراً من مؤلفات الكندي ، ككتاب الجواهر الخمسة ، وعلة النوم والرؤيا ، وفي العقل .

أما الفارابي فقد ترجم له : نقد الفارابي لكتاب السماع الطبيعي لأرسطو ، وإحصاء العلوم -وهو الذي سبق أن ترجمه جنديسالفي - لإسحاق الإسرائيلي ترجم كتاب الأصول ، ووصف الأشياء وتعريفها ، والفرق بين الوصف والتعريف[٤] .

وفي حقل الرياضيات والفلك نقل جيرارد عدداً كبيراً من المؤلفات منها : الأصول لأقليدس ، المعطيات لأقليدس من النسخة العربية لإسحاق بن

(١) متى بن يونس : أبوبشر ، وهو يوناني من أصل دير قني ، وكان من النقلة إلى العربية من السريانية . النديم : الفهرست ، ٣٢٣ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ص٥٢٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛ مادة : رحلة الكتاب ، ١/٧٦ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,١٣ .

(٣) يحيى بن البطريق : من الأطباء النقلة في العصر العباسي بالمشرق الإسلامي . ابن أبي أصيبعة ، ٢٨٢ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٢٤,Palencia:EL arzobispo don raimundo de toledo,١٤٨ , Grant:A Source Book in medieval science, gambridge,١٩٧٤٣٧ .

حنين ، أصلحها ثابت بن قرة ، وقياس الدائرة لأرخميدس[١] ، والمخروطات لأبولونيوس[٢] ، وكتاب أبسقلاوس[٣] من النسخة العربية لإسحاق بن حنين ، وقسطا بن لوقا ، وكتاب الأكر لثيودوسيوس[٤] ، وكتاب المساكن لنفس المؤلف من النسخة العربية لقسطا بن لوقا ، والأشكال الكريَّة لمنالاوس[٥] ، وكتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب الإخوة الثلاثة ، والجبر والمقابلة للخوارزمي ، والنسبة والتناسب لنفس المؤلف ، وشرح النيريزي (ق ٤هـ/١٠م)[٦] لكتاب الأصول لأقليدس ، والشكل القطاع لثابت بن قرة ، وتسهيل المجسطي لثابت بن قرة ، وإصلاح المجسطي لجابر بن أفلح الإشبيلي ، وكتاب في الاسطرلاب للزرقالي[٧] .

أما ما يخص علمي الطبيعة «الفيزياء» ، والحيل «الميكانيك» ، فترجم كلاً من :

كتاب المرايا المحرقة لديوقليس ، والهيئات للكندي ، وكتاب الغسق والسحب المتجمعة لابن الهيثم ، وغيرها[٨] .

وفي علم الطب ترجم ما يلي : كتاباً عن الموت لبقراط ، شرح كتاب أبقراط في تدبير الأمراض الحادة ، وكتاب تقدمة المعرفة لنفس المؤلف ، وكتاباً في معرفة قوى الأدوية المركبة للكندي ، وكتاب نوادر الطب أو الفصول الحكيمة لابن ماسويه ، وكتاب الكناش الصغير ليوحنا بن سرابيون ، الطب المنصوري للرازي ، والتقسيم والتشجير ، والمدخل إلى صناعة الطب ، وأوجاع المفاصل ، وثلاثتها للرازي

---

(١) النديم ، الفهرست ، ٣٢٨ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه ، ٣٣٠ .

(٥) نفسه ، ٣٢٩ .

(٦) النيريزي : أبوالعباس الفضل بن حاتم ، له مؤلفات في التنجيم . نفسه ، ٣٣٩ .

(٧) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛
Haskins:studies in the history of mediaval science,١٤.

(٨) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٢٨

أيضاً[١] .

ولم يغب عن جيرارد ترجمة مؤلف الزهراوي القيم المسمى «التصريف لمن عجز عن التأليف» ، فأتم نقل القسم الجراحي منه سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) ، وكتاب القانون لابن سينا ، وكتاب الأدوية والأغذية المفردة لابن وافد ، وشرح الصناعة الصغير لجالينوس ، لعلي بن رضوان[٢] .

وفي علم التنجيم نقل جيرارد عدداً كبيراً جداً من الرسائل العربية الباحثة في هذا العلم إلى اللاتينية ، منها : كتاب الفضول ، لعله للفضل بن نوبخت ، أو للفضل بن سهل السرخسي ، وعدد من الرسائل تنسب لماشاء الله ، وكتاب اللاهوت من السبعين كتاباً لجابر بن حيَّان ، والشب والملح للرازي ، وكتاب نور الأنوار للرازي ، وغيرها من الرسائل الأخرى الصغيرة الباحثة في الصنعة والتنجيم والكيمياء أقل أهمية بكثير مما ذكرنا ، مجهولة المؤلف تنسب للمترجم المذكور[٣] .

وهكذا ، نجد أن نشاط جيرارد الكريموني قد غطى على نشاط غيره ممن عاصره في مركز الترجمة في طليطلة ، كما غطت سمعته وحجبت شهرته وشخصيته زملاءه ومعاونيه الآخرين[٤] ، فما التوجه الذي كان يسير من ورائه؟ وما الدافع من ترجماته هذه؟

لا نستطيع الجزم بأن جيرارد كان ذا توجه ديني بحت ، بحكم انخراطه في سلك الرهبان البندكتيين ، فطبيعة العلم وأهله في العصور الوسطى كانت تابعة للمؤسسات الدينية لا محالة ، ولكن توجه الأفراد قد يختلف باختلاف ميولهم ، فإذا

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٢٦١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٧-١٠٨ .

(٢) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٢٦١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٢٩ .

(٣) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٢٦٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٩-١١٠ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٢ .

كان جيرارد صاحب توجه ديني لأنه سعى للتعلم من أجل خدمة مؤسسته الدينية التي كان ينتمي إليها ، ويصبو إلى الارتقاء بها ، فهو لا يخفي توجهه العلمي من خلال تعدد المؤلفات وتنوع حقول الترجمات التي انتقاها للترجمة ، والتي كانت في واقع الأمر تدل على ناقل محقق يعي ما ينقل ، ويعرف ما هو مهم في كل مجال ، فنقله للقانون ، والتصريف ، والمنصوري كلها يعطي دلالة على استشعاره بأهمية علم الطب الإسلامي ومدى تطوره آنذاك .

هذا إذا كان في الحسبان أنه نقلها ليسلب المسلمين حضارتهم في مقابل أن يفيد بني قومه في الغرب ، فلا يمنع أيضاً أن نؤكد أنه كان يحمل حساً علمياً وإعجاباً بالثقافة الإسلامية ، فاتجه لمؤلفاتها ، وأتم نقل هذا العدد الضخم منها بغض النظر عن النتائج التي كان يطمح لتحقيقها ، فرحلته للأندلس كانت من أجل كتاب واحد وهو المجسطي ، ولكنه عندما وجد مؤلفات تزخر بها طليطلة آثر البقاء والتفرغ للترجمة والنقل إلى وفاته .

إن عقلية جيرارد وذكاءه جعلت الأنظار تلتفت إليه ، فلربما أنه استغل من قبل المؤسسات الدينية والسياسية ، فأصبح يخدم في الترجمة والنقل لصالح هاتين المؤسستين ، ولكننا نؤكد أيضاً أن هذا لا ينفي عنه توجهه العلمي ؛ لذا فجيرارد قد يكون ثنائي التوجه ، بحيث إنه ذو توجه ديني وعلمي معاً ، أو أنه ثلاثي التوجه ليشمل إلى جانب هذين التوجهين التوجه السياسي .

١٥ - دانييل مورلي ، (Daniel of morley)[١] :

الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وتحديداً في إنجلترا مسقط رأسه ، وبعد أن درس في أكسفورد تركها متجهاً إلى باريس ليطلب العلم هناك ، ولكنه خاب أمله فيما وجده من معلومات متأخرة ،

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٧-٤٦١ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛
Haskins studies in the history of mediaeval science,١٢٦

وسمع أن العلم عند العرب -على حد تعبيره- يضم كل ما صُنف في العلوم تقريباً ، ويهتم به هو ، وهكذا بات في لهفة إلى طليطلة ، فهرول إلى هناك[١] .

ولما حل بها تعرف على المترجم جيرارد الكريموني ، فكان من أبرز تلامذته ، وأقرب معاونيه في الترجمة والنقل بعد تعلمه للغة العربية ، وتعرف أيضاً على كثير من علوم المسلمين التي أعجب بها ، فنقل مجموعة كبيرة من الكتب العربية إلى أنجلترا مثل كتاب المجسطي لبطليموس ، ورسائل أخرى في الفلك والرياضيات للفرغاني وغيره[٢] .

وقد تأثر دانييل بهذه المؤلفات التي حملها معه إلى وطنه ، فألف كتاباً في الطبيعة السفلية والعلوية ، وآخر في الفلسفة ، أظهر من خلالها مدى تأثره العميق بعلوم المسلمين[٣] ، وعلى ما يبدو فهذا المترجم ذو توجه علمي أيضاً .

١٦ - ماركو الطليطلي ، (Marco of Toledo) (ت حوالي ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م) :

ويبدو أن فترة نشاطه كانت حوالي نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، فمن خلال المصادر التي تحدثت عن سيرته يتبين أنه كان حياً إبان القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[٤] .

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦١ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٣٤ ,Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٦

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦١ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥١ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ٢/١٤٥٨ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٦ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ .

(٤) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ص٨٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩١ ؛ غوميز : إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس ، ٢/١٤٧٨ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ،٤١ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٣٥

فهو أحد المستعربين النصارى بمدينة طليطلة ، وكان من بين كهنة كنيستها ، ثم أصبح كاهن المدينة ، ومن المفترض أنه قام بأعمال الترجمة بين عامي (٥٨٧-٦١٣هـ/١١٩١-١٢١٦م) ؛ إذ جاء في كتاب المستعربين في طليطلة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر : أنه كان شاهداً على بيع مزرعة كرم لرجل نصراني في ديسمبر سنة (١١٩٨م)[١] ، ويظن أنه استمر حتى عام (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ؛ حيث ترجم بعض كتب جالينوس في عام (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ، وترجم القرآن الكريم ، وعدة رسائل دينية موحدية عام (٦١٠هـ/١٢١٣م) ، وكلها تمت تحت رعاية الأسقف ردريجو دي رادا[٢] .

وتذكر المصادر أنه نقل إلى اللاتينية إضافة إلى القرآن الكريم ما يلي :

كتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان ، رسائل لجالينوس بترجمة حنين بن إسحاق ، ورسائل أخرى عديدة بترجمة حنين بن إسحاق[٣] .

وواضح من سيرة هذا المترجم ونقوله أنه صاحب توجه ديني لا محالة ، فهو من الشخصيات الدينية البارزة في كنيسة طليطلة التي كانت تتخذ من هذه المدينة منطلقاً لنشر النصرانية ، ومحاربة المسلمين بواسطة الترجمة .

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de toledo,١٩٢ .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١١٠ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٢ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٣٥,Palencia:EL arzobispo don raimundo de toledo,١٩٢ .

١٧ - ألفرد دي سرشال (Alferd de sareshel)[١] :

انجليزي ، من نقلة الثلث الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وقد عاش في طليطلة وانضم إلى مدرسة الترجمة بها ، واشتغل بالنقل من العربية إلى اللاتينية[٢] .

وكان من أبرز ما ترجم : تفسير كتاب أرسطاطاليس في النبات لنيقولاوس ، والذي ترجمه إلى العربية إسحاق بن حنين ، وقد أهدى ألفرد نقله هذا إلى روجر أوف هيرفورد (Roger of hereford)[٣] ، القسم الكيماوي من كتاب الشفاء لابن سينا ، ويشار إليه عادة باسم «المعادن» ، إضافة إلى نقله عدداً كبيراً من الرسائل الصغيرة في الكيمياء والصنعة[٤] .

وينسب إلى ألفريد كتب كثيرة يظهر فيها التأثير بالعلم الإسلامي ، منها شرحه للآثار العلوية الذي استعمله روجر بيكون بعد ذلك[٥] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٧ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٧ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٧

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٧ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٧ .

(٣) روجر هيرفورد : عالم فلك إنجليزي ، كان حياً عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) ، واشتغل بعلم الفلك والتنجيم ، ولا نستطيع تحديد الفترة التي استمر فيها نشاطه ، إلا أنه أصدر جداول فلكية سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) ، ولا ندري أقام بالسفر إلى الأندلس أم لا؟ . حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٥٠ ؛

leclerc:histoire de la medecine arabe II,٤٣٨,Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٦

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٧ ؛

Haskins:studies in the history of mediaval science,١٢٧ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ .

١٨ - ميخائيل سكوت (Michael scott) ، (ت حوالي٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م)[(١)] :

وهو اسكتلندي من الرهبان البندكتية ، ولد في انجلترا سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م) تقريباً ، وتلقى العلم في أكسفورد ، وجامعة باريس ، وتحديداً علمي الفلك والرياضيات ، وبالرغم من نيله رتبة القسيس إلا أنه رفض منصب رئاسة الأساقفة بإيرلندا ، وآثر التوجه إلى طليطلة لإكمال طلب العلم بها ، فدخلها سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) ؛ حيث أتقن اللغتين العربية والعبرية ، وانكب على الترجمة والتأليف ، ثم غادرها إلى بولونيا سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) ، فأغراه الملك فردريك الثاني للمجيء إلى بلاطه في سالرنو ، فاتجه إليه سنة (٦٢٥هـ /١٢٢٧م) تقريباً ؛ ليحل في رعايته ، فأقامه منجماً له ومشرفاً على مدرسة الترجمة عنده ، وهناك أكب على الترجمة والنقل والتأليف أيضاً ، وظل بها ما تبقى من عمره[(٢)] .

ويمكن إيراد إنتاج ميخائيل سكوت على النحو التالي :

ترجمة كتاب الهيئة للبطروجي من العربية إلى اللاتينية سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) ، بمساعدة أبوداود اليهودي المتنصر باسم أندرياس «Anders»[(٣)] ، أول ترجمة لكتاب الحيوان لأرسطو ، وهو تسع عشرة مقالة ، يتضمن تاريخ الحيوان ، أجزاء الحيوان ، تناسل الحيوان ، وقد تمت الترجمة في طليطلة قبل سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) ، وظلت مستعملة حتى القرن التاسع

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٤٤٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٤٩ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٩ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٦ ؛
leclerc:histoire de la medecine traductions latines,٤٥٢ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٤٤٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٤٩ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٩ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٦ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١٢٠ ؛ leclerc:histoire de la medecine traductions latines,٤٥٢

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٤٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٦ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١٢٠ .

الهجري/الخامس عشر الميلادي[١] .

بالإضافة إلى ذلك فقد ترجم كتاب السماء والعالم لأرسطو ، مع شروح ابن رشد عليه ، ونصوصاً أخرى لأرسطو أيضاً مع شروح ابن رشد عليها ، ومختصر كتاب الحيوان لابن سينا ، وقد قدم هذه الترجمة للإمبراطور فردريك قبل سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٢] .

كما أنه أعدَّ نصاً منقحاً لكتاب جنديسالفي الذي يعد بدوره تفصيلاً لما كتبه الفارابي وغيره ، وإليه يرجع الفضل في المقام الأول في تعريف الغرب بمؤلفات ابن رشد وفلسفته ، فكان سكوت أحد مؤسسي المذهب الرشدي اللاتيني[٣] .

وله مؤلفات في الفلسفة والتنجيم ، أما الطب فله كتابه الفريد في البول[٤] .

وكان ميخائيل سكوت يمثل نموذجاً فريداً من التراجمة ، وهو يختلف عن غيره حيث إنه عني بالبحث والدرس والتأليف إلى جانب الترجمة ، وكان متلهفاً إلى المعرفة بصرف النظر عن مصدرها ، مما جعل أعماله تلقى رواجاً كبيراً في الغرب ، وصار أحد المفكرين العظماء في الغرب ، بالرغم من أن دانتي جعله في الجحيم ، واتهمه روجر بانتحال ما ترجم[٥] .

وعليه ، فهو ذو توجه علمي يهدف إلى البحث عن ميوله إلى علمي التنجيم والرياضيات ، ومن ثم الفلسفة التي وضع يده على أهم مؤلفاتها العربية ، ثم استغل من قبل الإمبراطور فردريك ، فأصبح متجهاً إلى خدمته في النقل والترجمة

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٤٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٦/١ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٤٤٨ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٦ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٤٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٦/١ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢٢١/٢ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٤٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ .

(٥) مايرز : الفكر العربي ، ١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ .

لبعض المؤلفات التي قدمها له كما ذكرنا .

١٩ - فيليب الطرابلسي ، (Philip of Tripoli)[١] :

النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، ويرتبط اسمه دائماً بعمل كان له صدى كبير في الغرب ، وهو كتاب سر الأسرار ، أو السياسة في تدبير الرياسة «المنسوب لأرسطو» .

وقع هذا المخطوط في يد فيليب أثناء وجوده مع الأسقف جيدو البلنسي ، فنقله من العربية إلى اللاتينية ، وانتشر بسرعة في الغرب ، وكان له تأثير مهم جداً على الحياة السياسية والاجتماعية في أوروبا في العصر الوسيط[٢] .



(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص١٢٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٦ ؛ بدوي : الأصول اليونانية للنظريات السياسية ، ١/٤٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ،١١٤ ؛

leclerc:histoire de la medecine traductions latines,١٣٧

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٦ ؛ بدوي : الأصول اليونانية للنظريات السياسية ، ١/٤٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢١ .

٢٠ - ثيودور الأنطاكي (Theodore of Antioche) ،

وهو نصراني يعقوبي من أهل أنطاكية ، وقد درس في الموصل وبغداد ، وكان متمكناً من العلوم المشرقية ، واللغة العربية ، فأوفده السلطان الكامل إلى الأمبراطور فردريك الثاني سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، فعينه منجماً خاصاً وكاتباً لديوان الإنشاء في بلرم ، ليشرف بنفسه على تحرير مراسلات الإمبراطور باللغة العربية إلى ملوك المسلمين[١] .

وقد كلفه فردريك أن يترجم كتاباً عربياً عن فن تدريب الصقور ، فكانت هذه الترجمة الأساس الذي اعتمد عليه فردريك في تأليف كتابه عن الصقور ، وهو أول مرجع أوروبي في التاريخ الطبيعي ، وقد استخلص ثيودور أيضاً للإمبراطور كتاباً في علم الصحة ، أخذه من كتاب سر الأسرار المنسوب لأرسطو[٢] .

وثيودور بدوره كان يمثل روح الصلات العلمية التي نتجت عن المبادلات السياسية بين المشرق وصقلية ، وبين المسلمين والنصارى ، فكان من أهم المترجمين ذوي التوجه السياسي في أعماله ، حيث أنيط إليه مهمة اعتماد أوراق سفراء تونس باللغة العربية ، والأكثر من ذلك أنه تولى مرصد النجوم للملك فردريك الثاني[٣] ، ولا يستبعد أن يكون قد أرسله في بعض مهماته السفارية .

٢١ - اصطفان السرقسطي ، (Estafan of saragossa) :

نبغ في حدود سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) ، وهو إسباني ، ومن ترجماته : كتاب الأقرباذين لابن الجزار ، وهو كتاب اعتماد الأدوية المفردة ، نقله من العربية إلى اللاتينية[٤] .

---

(١) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٤ ؛ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ٣٨٠ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٥٠ .

(٢) زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ٣٨٠ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٥٠ .

(٣) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٦٦٦/٣ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٤ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٥٠ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب =

٢٢ - ساليو من بادوا (Salio of padua) :

نبغ في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وهو ناقل إسباني ، ترجم من العربية إلى اللاتينية ، ومما نقل : رسالة في التنجيم تسمى : «كتاب المواليد» لمؤلف اسمه : أبوبكر ، وكانت هذه الترجمة سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) ، بمساعدة شخص يسمى داود ، كذلك ترجم رسالة ثانية في نفس الموضوع اسمها : «كتاب الكواكب» ، ينسب لهرمس تريمسيجستوس[١] .

٢٣ - وليام من لوني (William of lunis) :

نبغ في وقت ما خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وهو مترجم إيطالي ، نقل بعض شروح ابن رشد على منطق أرسطو ، وشرح فورفيوس له ، كذلك ترجم كتاباً في الجبر عن العربية غير كتاب الخوارزمي ، وهذا المترجم ذو اتجاه أفلاطوني حديث بمعنى أنه ذو توجه علمي فلسفي ينتمي لإحدى مدارس الفلسفة الغربية آنذاك[٢] .

٢٤ - سيمون الجنوي (Simon of Genova) (ق٧هـ/١٣م)

عاش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، ومما ترجم : القسم الصيدلي أو أقرباذين الزهراوي ، وكانت ترجمته هذه إلى اللغة اللاتينية بالاشتراك مع اليهودي إبراهيم بن شم طوب ، كما أنه ترجم لوحده كتاب ابن سرابيون : الأدوية المفردة[٣] .

٢٥ - بطرس ريجيو (Peter of Regio) :

نقل إلى اللاتينية كتاب البارع في أحكام النجوم لأبي الرجال ، وقد نقله من العربية إلى القشتالية يهودا بن موسى ، فنقله بطرس وزميله أجيديوس إلى

=

١٢٢/١ .

(١) ميلي: العلم عند العرب، ص٤٧٦ ؛ مايرز: الفكر العربي،١١٣ ؛ حمادة: رحلة الكتاب ، ١٢٣/١.

(٢) ميلي: العلم عند العرب ، ص٤٧٦؛ مايرز: الفكر العربي ، ١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب،١٢٣/١.

(٣) ميلي: العلم عند العرب، ص٣٥٥؛ مايرز: الفكر العربي،١٠٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب، ١٢٤/١.

اللاتينية[١] .

٢٦ - بطرس جاليكو (Peter Gallego) :

عاش تحت كنف ألفونسو العالم ، ثم أصبح أسقفاً لمرسية اعتباراً من سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) حتى وفاته سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) ، ويبدو أنه أسباني ، وكان يترجم من العربية إلى اللاتينية[٢] .

ومن بين ترجماته ما يلي :

كتاب أرسطو في الحيوان نقلاً عن ترجمة عربية مختصرة ، وقد استفاد في ذلك من ترجمة سابقة قام بها سكوت لنفس العمل ، كما استعان في ترجمته هذه بشروح ابن رشد على الكتاب ، وترجم أيضاً رسالة في الاقتصاد تنسب إلى جالينوس[٣] .

٢٧ - جيوفاني كامبانوس (Giovanni Kampanos) :

مترجم إيطالي لا نعرف عنه الكثير ، إلا أنه كان قسيساً لدى البابا أوربان الرابع (Urban IV) ، ثم أصبح بابا من سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) إلى سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) ، وكان يترجم من العربية إلى اللاتينية .

ولا يستبعد أنه درس في انجلترا ، وتحديداً في جامعة أكسفورد ، إذ إنه قد تأثر بروبرت كروستست أول رئيس لهذه الجامعة ، كما أن روجر بيكون أحد تلاميذ كروستست قد أثنى عليه[٤] .

ومن بين ما ترجم جيوفاني كتاب الأصول لاقليدس استناداً إلى ترجمة أدلارد الباثي ، كما أنه أفاد من مصادر عربية أخرى[٥] .

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٨ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٢ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٦٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٢ .

(٤) مايرز : الفكر العربي ،١١٧ .

(٥) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠٣ .

٢٨ - هرمان الألماني (Hermann Of German) (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م)[١] :

وهو مترجم من العربية إلى اللاتينية ، عمل أولاً مترجماً في طليطلة ، وذلك حوالي سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) ؛ حيث عكف في مذبح كنيسة الثالوث المقدس ينقل كتب ابن رشد[٢] .

إلا أن رينان يشكك في هذا التاريخ الذي وجد فيه هرمان بطليطلة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) بحجة أن ترجمته لشرح الوسيط لابن رشد كانت سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) .

ولذا يكون قد بقي في طليطلة ست عشرة سنة من غير أن يترجم سوى عملين أو ثلاثة ، وهذا ما يصعب تصديقه ، كما أن هرمان -في مقدمة شروح الفارابي- يعترف بنفسه بأنه لم يكن له غير نصيب ضئيل في أمر ترجماته ، وتوجد دلائل كثيرة على أن هرمان استخدم في عمله مسلمين عارفين باللغة العربية ؛ حيث روعيت علامات التنوين والحركات بدقة في نقل الأسماء ، ومن هنا ندرك سبب نقد روجر بيكون لترجماته حيث وصفها بأنها بربرية لا تكاد تتضح[٣] .

وقد عاصر هرمان حركة الترجمة من العربية إلى القشتالية في عهد ألفونسو العاشر ، وكان من كبار النقلة بها ، فأتم ترجمة قشتالية لكتاب المزامير عن نص عبري في لغة قوية ، ولو أن معرفته باللغة العبرية كانت متوسطة ، مما يجعلنا نظن أن شخصاً ما عاونه في عمله[٤] .

وفي نفس الوقت قد يكون هذا التحول لهرمان في لغة الترجمة هو الذي قلل إنتاجه من جانب الترجمات من العربية إلى اللاتينية مقابل انخراطه في عملية النقل

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٦ ؛ أوليري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، ٢٨٧ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ١/ ٢٢٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٠٧ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٠ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٦ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ .

(٣) ابن رشد والرشدية ، ١/ ٢٢٥-٢٢٧ .

(٤) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ،٢٦١ .

إلى اللغة القشتالية التي كان ألفونسو يشجع ويدعو إليها .

وما لبث هرمان أن ترك طليطلة سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ليتجه إلى خدمة الملك مانفريد بنابولي إلى جانب اهتماماته في الأندلس التي كان على اتصال دائم بها ، حيث عين سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) أسقفاً لأستورجة (Astorga)(١) ، وبقي في منصبه هذا حتى وفاته(٢) .

وقد نقل هرمان من العربية إلى اللاتينية كلاً من : كتاب المتوسطات ، وهي الشروح المتوسطة التي قام بها ابن رشد على كتاب الأخلاق لأرسطو ، وقد أتم ذلك في طليطلة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)(٣) ، وكتاب متوسطات ابن رشد : وهي شروحه على المتوسطة من شعر أرسطو نقله سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)(٤) ، وجزء من تلخيص الخطابة حوالي (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)(٥) ، وترجمة كتاب الفارابي ، وهو شرح على خطابة أرسطو(٦) .

٢٩ - جيوفاني الكابوي (Giovanni of capua) :

مترجم إيطالي ، ترجم عدة كتب من العبرية إلى اللاتينية منها : التيسير لابن زهر ، ومقالة في تدبير الصحة لابن ميمون ، وكتاب كليلة ودمنة ، وقد أصبحت نسخته العبرية للمؤلف الأخير هي الشائعة في الشرق والغرب(٧) .

---

(١) استورجا : مدينة إسبانية تقع في مقاطعة ليون ، شمال إسبانيا . الموسوعة العربية العالمية ، ٦٢١/١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٥٠ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١٩١/١ .

(٣) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٦ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١٩١/١ .

(٤) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١٩١/١ .

(٥) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١٩١/١ .

(٦) مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ .

(٧) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٠٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٤١٧/١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٧/١ .

٣٠ - أرنولد فيلانوفا (Arnold of villanova) (ت حوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م)[١] :

وقد ولد في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في إحدى ضواحي بلنسية فيلانوفا (Villaneuva) ، ونسب إليها ثم أخذ في التعلم ، فأتقن اللغات العربية والعبرية واليونانية ، ودرس الطب في جامعات نابولي ، وباريس ، ومونبلييه ، وبرشلونه ، وروما ، ثم عين طبيباً لملك أراغون سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)[٢] .

وقد كان صاحب آراء جريئة في انتقاد الملوك والكنيسة ، مما سبب له كثيراً من الملاحقات القضائية بسبب اتهامه بالسحر والإلحاد ، فطاردته محكمة التفتيش ، ولكن البابوات والملوك أنفسهم دافعوا عنه وحموه من أكثرها ، وأخيراً لقي حتفه في سفارة من قبل ملك أراغون إلى البابا كليمنت الخامس[٣] .

كان أرنولد بحق مترجماً من العربية إلى اللاتينية ، فقد ترجم عدداً من الكتب والرسائل مثل : الرعشة ، والنافض ، والاختلاج ، والتشنج ، لجالينوس من نسخة حبيش بن الحسن (كان حياً قبل ٢٦٤هـ/٨٧٧م)[٤] ، ورسالة في معرفة قوى الأدوية المركبة للكندي ، ورسالة في السحر لقسطا بن لوقا ، وقوى القلب لابن سينا ، وحفظ الأبدان والحمية لأبي العلاء بن زهر ، وكتاب الأدوية المفردة لأبي الصلت أمية بن عبدالعزيز[٥] .

(١) هونكة ، شمس العرب ، ٣٠٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٠ ؛ leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٦٨

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢١ ؛ leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٦٨

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢١ ؛ leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٦٨

(٤) حبيش بن الحسن : هو حبيش بن الحسن الأعسم ، ابن أخت حنين بن إسحاق ، كان نصرانياً ، وأحد النقلة من اللسان السرياني إلى العربية . النديم : الفهرست ، ٣٥٩ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١-٤٨٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٦-١١٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٠

إضافة إلى ذلك فقد ألف أرنولد عدداً من الكتب يظهر في ثناياها التأثر العميق بالعلم الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وأسهم في الدعاية للحضارة الإسلامية في الغرب بما نقل وصنف ، وكان له تلاميذ عرفوا بالأرنولديين[١] .

٣١ - أرمانغو بليس (Armanguad of blaise)[٢] ،

طبيب فرنسي ، ومترجم نبغ في مونبلييه في حدود سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ، ومات حوالي سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م) ، وقد تمت ترجماته : إما من العربية إلى اللاتينية أو من العبرية إلى اللاتينية ، أو على الأقل بمساعدة ترجمات عبرية .

ومن المحتمل أيضاً أن يكون اليهود في مونبلييه قد ساهموا في ترجماته العبرية .

ومن أهم ما نقل هذا المترجم ما يلي :

كتاب جالينوس المسمى : كيف يتعرف الإنسان على ذنوبه وعيوبه ، وكتاب منسوب لجالينوس اسمه أيقونو ميقا «الاقتصاد» أرجوزة ابن سينا في الطب ، وعنوانها الأرجوزة في الطب ، مع تعليقات ابن رشد عليها . والرأي الغالب أن المترجم نقلها من العبرية إلى اللاتينية لا من العربية ، وقد تمت الترجمة سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ، ومقالة في تدبير الصحة لموسى بن ميمون ، ومقالة أخرى في السموم لنفس المؤلف ، وقد ترجمت سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) .

٣٢ - ستيفن أرنولد (Stephen Arlandi) (ق٨هـ/١٤م) :

مترجم إسباني ، كان ينقل من العربية إلى اللاتينية في الربع الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، وله عدة ترجمات بعضها فقد ، وهناك شك حول نسبة بعضها إليه ، وبعضها ينسب لغيره .

ومن أبرز ما ترجم : كتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا ، وكتاب في

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٨١ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٣٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٠/١

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ص٤٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ ؛ ١١٧ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢٢٨/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١١٩/١ ؛ leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٤٦٨

تدبير الأبدان لقسطا بن لوقا أيضاً ، المدخل إلى تشريح أبقراط وجالينوس[(١)] .

٣٣ - جي دي شولياك ، (Guy de choliac) (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) ، وهو طبيب وجراح فرنسي ، من أعلام مدينة مونبلييه ومدرستها الطبية ، ومن أهم ما نقل : القسم الجراحي من كتاب التصريف للزهراوي ، ثم اقتبس منه الكثير هو ومؤلفات طبية منقولة عن العربية في كتابه الجراحة الكبرى[(٢)] .

٣٤ – أغستينو نيفو (Augustino nifo) : مترجم نبغ في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، ولا نعرف عنه الكثير ، ومما نقل إلى اللاتينية كتاب : تهافت الفلاسفة للغزالي ، وقد نقله من العربية إلى اللاتينية ، وعمل عليه شرحاً ، وترجمته سيئة للغاية مع تصرف شديد[(٣)] .

٣٥ – يوحنا السيجوفي (John of segovia) (ت بعد٨٦١هـ/١٤٥٦م)[(٤)] :

ولد يوحنا في السنوات الأخيرة من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي في سيجوفيا بإسبانيا ، وكان أرشيد ياكون في فلافشوسا ، ودياكون في طليطلة وسيجوفيا وبلنسية ، ثم أصبح أستاذاً في جامعة سلمنقة ، ومن ثم أرسلته هذه الجامعة إلى بازل لحضور مجمعها الذي عقد سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م)[(٥)] .

وقد أدلى برأيه في هذا المجمع فيما يخص العقيدة النصرانية ، وفي سنة (٨٤٤هـ/١٤٤٠م) أصبح كاردينالاً لكنه اضطر بعد ذلك إلى التخلي عن عمله ، واعتزل في دير أيتون (Ayton) بفرنسا ، وكرس وقته لوصف مجمع بازل في كتاب بعنوان (Historia generalis synodi Basiliensis) ، وفي خلوته في هذا الدير أيضاً ما يهمنا هنا أنه فكر في الدفاع عن النصرانية ضد الإسلام الظافر الذي بدأ يغزو

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٨-١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١٥٥ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٥ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٣١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ١٥٣ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٦-١٥٧ .

(٤) سذرن : نظرة الغرب ، ١٠١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤١ .

(٥) سذرن : نظرة الغرب ، ١٠١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ .

أوروبا خصوصاً بعد فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) ، وتبين له أنه لا جدوى من مقاومة الإسلام بالسلاح ؛ لأن الدولة العثمانية كانت في أوج قوتها وتهدد أوروبا بأسرها ؛ لهذا لم يجد أمامه غير مقاومة الإسلام بالكتابة ضده ؛ واستعداداً لذلك رأى ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ، ولما كان لا يعرف العربية استعان بالفقيه المسلم عيسى السيجوفي في الترجمة ، فكان عيسى يتولى الترجمة إلى الإسبانية ، ومن ثم يصوغها يوحنا باللغة اللاتينية[١] .

وبعد أن فرغ من ترجمة القرآن الكريم أخذ في كتابة رد على الإسلام بعنوان [طعن المسلمين بسيف الروح] ، وقد ضاع هذا الرد كما ضاعت الترجمة[٢] .

أما ما كان يكنه يوحنا من توجه في داخله فهو التوجه الديني بلا شك ، ولم يكن هذا التوجه الذي يحمله يوحنا مخفياً أو مؤقتاً ، إنما كان -كما تناولنا أعماله من قبل- بادياً للعيان ، بل إنه يعتبر من كبار رجال الدين النصراني المدافعين عنه ، المحاربين للإسلام بل الحاقدين على قوته ونصره في تلك الأيام .

٣٦ - فرنانديز فدريكو دو كاسترو : (Frenandez Federico de castroy) . مترجم لا نعرف عنه سوى أنه إسباني ، كان ينقل إلى اللغة القشتالية ، ومما نقل كتاب ابن جيرول المسمى ينبوع الحياة[٣] .

٣٧ - أندريا الباغو (Andrea AL-Pago) (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ، وهو المترجم الإيطالي -سبق الحديث عنه- الذي نقل عدداً من الكتب الهامة من العربية إلى اللاتينية أهمها : كتاب القانون في الطب لابن سينا ، وقد سبق أن ترجمه جيرارد الكريموني إلا أن الباغو أصلحه وأصدره إصداراً جديداً ، الأرجوزة في الطب لابن سينا مع شروح ابن رشد عليها ، وهي التي نقلها أرمانغو من ذي قبل إلى اللاتينية ، ولكن لوجود أخطاء كثيرة فيها أصلحها الباغو ، وأصدرها إصداراً جديداً أيضاً ،

(١) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٦ ؛ منصور : المسلمون في الفكر المسيحي ، ٢٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤١ .

(٢) سذرن : نظرة الغرب إلى الإسلام ، ١٠٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ .

وكتاب في النفس لابن سينا ، وآخـر في تقدمـة المعرفـة لـنفس المؤلـف ، وآخـر في الأدوية القلبية لابن سينا أيضاً[١] .

والمؤلف الأخير سبق وأن ترجم إلى اللاتينية على يد أرنولـد الفيلانـوفي إلا أن ترجمته كانت حافلة بالأخطاء ، مما حـدى بالبـاغو أن يـصلح الترجمـة مـن جديـد ويصدر الكتاب إصداراً جديداً[٢] .

هذا ، وللباغو ترجمات أخرى ، ككتاب الكناش ليحيى بن سرافيون ، وكتاب موجز القانون لابن النفيس ، وهو عبارة عن شرح مطول عـلى القـسم الطبـي مـن كتاب القانون لابن سـينا ، وقـد نقلـه إلى اللاتينيـة وكـان يحـوي الـدورة الدمويـة الصغرى ، وهو المؤلف الذي انتحله ميخائيـل سـارفيتوس (Michael Servede)[٣] فيما بعد[٤] .

ومن خلال تتبع سيرة الباغو وترجماته نستنتج أنه كـان مـن أصـحاب التوجـه العلمي بدليل أنه لم يكتف بالترجمات الخاطئة لعلوم الإسلام في مجال الطب وغيره ، ولم يقنع بما نقله بنو قومه من مؤلفات بحسب قصورها عن إعطاء المعنى الذي أراده نفس المؤلف في كتابه ؛ ولتحقيق هدفه اتجه إلى المشرق ، ومكث ثلاثين عامـاً لـتعلم العربية ، ليعود بعدها محملاً بعدد كبير من مخطوطات الطب الإسلامي التي أصـلح نقل الكثير منها[٥] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ٤١٦/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٥٧/١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١١٦ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١٥٧/١ .

(٣) ميخائيـل سـارفيتوس : ولـد في مدينـة فيلانوفـا ، مـن أعـمال أراجـون مـن عائلـة نبيلـة سـنة (٩١٥هـ/١٥٠٩م) ، ودرس الطب في باريس وفينـا وبـادوا ، وفي عـام (٩٥٩هـ/١٥٥١م) نـشر رسالة في أخطاء الثالوث المقدس ، فسجن ، ثـم أحـرق حيـاً سـنة (٩٦١هـ/١٥٥٣م) . هونكـة : شمس العرب ، ٢٦٦-٢٦٩ .

(٤) هونكة ، شمس العرب ، ٢٦٨ ؛ ميلي : العلم عنـد العـرب ، ص١٧٢ ؛ حمـادة : رحلـة الكتـاب ، ١٥٨/١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١١٦ .

(٥) قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ٦٣-٦٤ .

٣٨ - خوان أندريس (Juan Andres) (ق٩هـ/١٥م) :

لا نعرف كثيراً عن هذا المترجم ؛ حيث إن الغموض يحيط بشخصه ، والإهمال يكتنفه من كل جانب ، فلا المصادر الإسلامية أو الغربية تناولته بشيء من التفصيل[١] . وكل ما وصل إلينا عنه هو ما جاء في مقدمة لكتاب ألفه حول الإسلام ونبيه وكتابه الكريم .

ويتحدث من خلال هذه المقدمة بأنه قد ولد وترعرع في بيئة إسلامية بمدينة شاطبة الأندلسية ، ثم ورث منصب فقيه هذه المدينة عن والده المسمى عنده بـ«عبدالله» بعد وفاته ، وبعد استماعه إلى موعظة الراهب «ماركيث أديصورا» (Marques Adesora) في شعبان سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) بكنيسة شاطبة التي أنارت له الطريق إلى حقيقة الخلاص الديني طلب التعميد ليغادر عبره الإسلام إلى النصرانية ، وبعبارة أوضح ارتد عن الدين الإسلامي إلى الكفر[٢] .

لم يرم خوان إلى سبب ارتداده عن الإسلام غير الموعظة التي سمعها ، ولم يسرد الحديث عن حياته عندما كان مسلماً مثلما أسهب فيها بعد تحوله إلى النصرانية ؛ حيث اتخذ لنفسه اسم خوان أندريس تيمناً بالعناية الإلهية التي شملت اثنين من أول تلاميذ المسيح : يوحنا ، وأندراوس على شاطئ بحر الجليل -بحسب زعمه- ليتحول بذلك من فقيه عبد للشيطان إلى قسيس رسول للمسيح ، ولقد استطاع من خلال ممارسته لهذه الخدمة ، وبمساعدة من الرب الأعلى إنقاذ كثير من مسلمي شاطبة ، وتحويلهم إلى النصرانية قبل أن يتوجه إلى غرناطة بطلب من الملكين الكاثوليكيين فرديناد[٣] لممارسة نفس هذا النشاط التنصيري بين سكانها من

---

(١) والأعجب من ذلك أنه لم يوجد له ذكر فيما وصل إلينا من تراث الموريسكيين الأدبي والديني ، بما أنه كان يدعي أنه كان مسلماً وتنصر . انظر : العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ، ١٨٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ١٨٧ .

(٣) فرديناند : المقصود به فرديناند الخامس (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) ملك قشتالة وأراغون ، تزوج ابنة عمه إيزابيلا في عام (١٤٦٩م) وأدى هذا الزواج إلى اتحاد قشتالة وأراغون ، ومن ثم حرب المسلمين وطردهم من الأندلس . الموسوعة العربية العالمية ١٧/ ٢٩٠ .

المسلمين ، وبعد ذلك -وبطلب كذلك من نفس الملكين- انتقل إلى أراغون لمتابعة نفس النشاط[١] .

وفي هذه المنطقة -وبطلب -هذه المرة- من مفتشها وشماس برشلونة مرتين غارسيا (Martin Garcia)- ترجم القرآن وتفاسيره ، وكتب السنة إلى الأرغونية ؛ ليزود بذلك النصرانية بمختلف الوثائق الإسلامية الضرورية لتحصيل معرفة في الإسلام بقصد استثمارها في تنصير مسلمي أراغون[٢] .

وبعد إنجازه لهذه المهمة -وفي إطار وعيه بضرورة الانتقال بنشاطه التنصيري من مستوى التنصير إلى مستوى الانخراط في الفعل الإقناعي- قرر وضع كتابه المذكور لفقهاء الإسلام وعلمائه ومتكلميه وفلكييه وغيرهم من الذين يجهلون حقيقة هذا الدين وشرائعه وتاريخه . ليبين لهم مدى الخلط والتشغيب الذي طال دينهم المحمدي على حد قوله[٣] .

ولكن -وبطبيعة الحال- لم تنجح مساعيه هذه في تنصير المسلمين ، ولكنه توفق في الواقع في تزويد النصرانية بإسبانيا وخارجها بتصور عن الإسلام بوصفه مغايراً لها ، وبإمكانية وآليات تقويضه ؛ لتشييد هويتها وتدعيمها على أنقاضه[٤] .

وفي ختام حديثنا عن هذا المترجم يبدو أنه قد أصبح واضحاً توجهه في النقل والترجمة ، فهو ذو توجه ديني بحت كأسلافه من النصارى ، ولكنه تميز عنهم جميعاً في استدلاله على هذا التوجه بتقديمه لنفسه وللناس وللتاريخ بوصفه مسلماً استطاع معرفة حقيقة الإسلام من حيث شكل له هذا الدين وثقافته هويته الأصلية قبل أن يرتد عنه ليتحول عنده إلى غيرية أسس انقاضها بعد تقويضها هويته النصرانية الجديدة ، فتسجيله لتجربته في تحويل الهوية إلى غيرية والغيرية إلى هوية عبر انقلابه

---

(١) المرجع نفسه ، ١٨٨ .

(٢) يقول : د.العسري : يذكر خوان أندريس بأنه قد أنجز هذه الترجمات ، وإن كنا لم نقف على أي ذكر لها في غير كتابه ، فإننا نرجح بأنه قد قام بإنجازها ، أو على الأقل قسماً منها ، بدليل ما جاء في كتابه من نصوص تعضد ذلك . الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٨٨ ، هامش (٢١) .

(٣) المرجع نفسه ، ١٨٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ١٨٩-١٩٠ .

الديني لا يجب أن يغيب عنا بوصفه معطى دالاً في هذا المضمار[١] .

٣٩ - فالاج (G.Valla) :

مترجم لاتيني نبغ في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، وترجم كتاب الرازي الشهير : الجدري والحصبة ، وهو أول نقل لهذا الكتاب من العربية إلى اللاتينية[٢] .

٤٠ - هيرونمس راموسيوس ، (Heironymus ramusius) (ت٨٩١هـ/ ١٤٨٦م) :

وهو مترجم إيطالي ولد في البندقية ، ثم تعلم الطب ، وأصبح من كبار أطباء البندقية ، وقد زاول مهنته هذه بعد ما رحل إلى دمشق من أرض الشام سنة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) ، تعلم خلالها اللغة العربية ، وأخذ يتبحر في فلسفة ابن سينا ، وترجم الكثير من مؤلفاتها ، وعلق عليها بشروح مستفيضة بعد عودته إلى بلاده[٣] .

٤١ - ريموندي جان باتيستا ، (Raimondi Gianbatista) :

وهو مترجم من العربية إلى اللاتينية ، وجد في روما أوائل القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي ، وعرف عنه أنه نقل العمل التالي إلى اللاتينية : كتاب المخروطيات لأبولونيوس : ذلك أن أبا الفتح محمود بن محمد الأصفهاني نقح ترجمات المخروطيات هذا ، وقد بدأ ريموندي بترجمة الأجزاء الخامس والسادس والسابع من نص أبي الفتح هذا[٤] .

---

(١) المرجع نفسه ، ١٩٠ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ .

(٣) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٦ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٢١٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٠ .

٤٢ - وليم بدويل ، (william Bedwell) (ت١٠٤٢هـ/١٦٣٢م)[١] :

ويعدُّ بدويل أباالدراسات الشرقية ولا سيما العربية في بريطانيا ، وهو مستشرق بريطاني ، ولد سنة (٩٦٩هـ/١٥٦١م) ، ودرس في جامعة كمبردج ، وبعد تخرجه عيِّن مدرساً (١٠١٠هـ/١٦٠١م) ، ثم أستاذاً للعربية في أكسفورد[٢] .

وفي سنة (١٠١٣هـ/١٦٠٤م) عاون على ترجمة التوراة إلا أن شهرته في اللغة العربية والاهتمام بها فاقت أي لغة أخرى ، فوضع أسس تدريسها ، وسطر في أهميتها مقالة شائقة جاء فيها : «إنها لغة الدين والسياسة والمعاملة من الأطلنطي إلى الصين»[٣] ، ولكنه أساء فهم الإسلام وإليه بتعصبه عليه تعصباً ذمياً ، ثم انصرف عنه إلى الرياضيات ، وله فيها بضعة تواليف[٤] .

ومن أهم أعماله : جمعه معجماً عربياً في سبعة مجلدات ، لم ينشر ، وآخر يحوي المفردات العربية المستعملة في اللغات الغربية منذ الأزمنة البيزنطية حتى أيام حياته ، إضافة إلى ترجمته لرسائل القديس يوحنا من العربية إلى اللاتينية[٥] .

إلا أن أهم أعماله كلها هو : إخراجه أول ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم ، ثم تبعه آخرون بعد ذلك ، وهكذا نجد أنه كان من أوائل الذين لفتوا الأنظار إلى أهمية دراسة اللغة العربية ؛ لأن معرفتها تساعد على فهم نصوص التوراة فهماً أفضل ؛ وذلك لأنها تلقي ضوءاً جديداً على اللغة العبرية[٦] .

وقد ظهر التوجه الديني لهذا المترجم من خلال كتاباته التي كان يحمل فيها

---

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٥ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/١٢٣ .

(٢) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/١٢٣ .

(٣) جحا : الدراسات العربية في أوروبا ، ٣٠ .

(٤) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٩ .

(٥) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٩ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/١٢٣ .

(٦) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ٩ ؛ جحا : الدراسات العربية في أوروبا ، ٣١ .

حقداً دفيناً للإسلام وأهله لاسيما ترجمته للقرآن الكريم التي ألحق بها مقدمة ودراسة عن الإسلام إضافة إلى تأليفه كتاباً بعنوان «محمد» أو مصاحبة روحانية بين الشيخ سنان والعالم أحمد ، جاء فيه بافتراءات سخيفة على الرسول ﷺ[١] .

٤٣ - توماس أربنيوس : (Thomas Erpenius) (ت١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م)[٢] :

وهو مستشرق هولندي ، ولد في جوركم ، بهولندا سنة (٩٩٢هـ/١٥٨٤م) ، ودرس في ليدن اللاهوت ، ثم نصحه سكاليجر (ت١٠١٨هـ/١٦٠٩م) بتعلم اللغة العربية ، لكنه لم يجد في هولندا ولا في إنجلترا الوسائل الناجحة لتعلمها ، فيمم وجهه صوب باريس حيث وصلها في أوائل عام (١٠١٨هـ/١٦٠٩م) ، فوجد فيها من يحسن العربية ، فقد كان أستاذ اللغة العربية في جامعة هذه المدينة هو اصطفانوس هوبرتوس (Stephanus Hubertus) الذي كان طبيباً في بلاط هنري الرابع ، وكان قد تعلم اللغة العربية وبعض اللغات الشرقية أثناء مقامه بالمشرق[٣] .

كما أنه استعان بأمين مكتبة الملك هنري الرابع ، وهو إسحاق كازوبون (Isaac Casaubon) (٩٦٧-١٠٢٣هـ/١٥٥٩-١٦١٤م) ، وكان أكبر علماء اليونانية في عصره ، وعالماً موسوعي المعرفة ، ومن ثم تبين له موهبة اربنيوس لتعلم اللغات فشمله بعنايته ، ويسر له الانتفاع بما في المكتبة من مخطوطات وكتب عربية[٤] .

ومن بين الذين استعان بهم أربنيوس في باريس لتعلم العربية عالم قبطي مصري كان يعيش هناك ، يدعى يوسف بن أبي ذقن (Joseph Abudacnus) ،

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٩ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٥ ؛ شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/٦٣ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة العربية ، ٢١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٩٤ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦-٢٠ ؛ حمدان : طبقات المستشرقين ، ١٢ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٥ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/٩٤ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ .

(ت١٠٥٣هـ/١٦٤٣م)[١] ، فأخذ عنه العربية مخاطبة ولكن بالعامية المصرية ؛ لأن يوسف لم يكن يجيد الفصحى ، وقد أفاد منه أربنيوس في إتقان العربية مخاطبة وكتابة أيضاً ؛ إذ إنه استطاع بعد تسعة أشهر أن يكتب رسالة إلى بدويل باللغة العربية مع ارتكاب بعض الأغلاط اللغوية والنحوية[٢] .

ولمواصلة دراساته في اللاهوت ترك باريس سنة (١٠١٨هـ/١٦٠٩م) ، وسافر إلى سومور (Saumur)[٣] لمتابعة تعلمه ، فأقام بها عاماً ، وعقد العزم على التخصص في اللغة العربية وإتقانها نحواً وصرفاً ، فقرأ الأجرومية والكافية ، والعوامل المائة للجرجاني ، وما شابه ذلك من كتب النحو والصرف ، وراح يقرأ القرآن في مخطوط كان بين تركة هادريانوس الفلسنجني (Hadrian Filsngeni)[٤] .

وتعمق في فهم أسرار العربية ، وتبين له أن الفروق بين العربية والعبرية مطَّردة ، وتخضع لقواعد عامة في النطق ، واهتم بالفوارق بين اللغة العربية الفصحى وبين اللهجة العامية[٥] .

عاد اربنيوس إلى باريس سنة (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) ليجد صديقه كازوبون قد انتقل إلى لندن ، لكنه التقى بالموريسكي أحمد بن قاسم الحجري ، فوجدها فرصة رائعة للتخاطب مع مسلم بالعربية ، فأمضى بباريس عدة أشهر لإتقان التخاطب بالعربية على أساس اللهجة المغربية ، ولدى هذا المسلم عرف لأول مرة حقيقة الإيمان بالإسلام عند أتباعه ، ودور السنة النبوية ، إلى جانب القرآن في تشكيل

(١) يوسف بن أبي ذقن : هو أحد أعيان الأقباط ، رحل إلى روما سنة (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م) ، وتجول في البلدان الأوروبية ، ومنها فرنسا وإنجلترا ، وأفاد منه مستشرقون في تلك البلاد أخذوا عنه اللغة العربية ، ومن تواليفه : تاريخ اليعاقبة ، أي الأقباط في مصر . فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٦ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٦ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ ؛ بروخمان : هولندا والعالم العربي ، ١١ .

(٣) سومور : مدينة غرب فرنسا في منطقة لورا . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/ ٣٢٧ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٨-١٤٩ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢١ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٢/ ٩٤ .

(٥) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٦ .

العقيدة الإسلامية كما قال في رسالة إلى كازوبون بتاريخ (١٠٢٠هـ/١٦١١م)[١] .

وفي سنة (١٠٢١هـ/١٦١٢م) وصل إلى البندقية ، لكنه عاد في نفس السنة إلى بلده هولندا ، فعيِّن أستاذاً لكرسي اللغة العربية في جامعة ليدن سنة (١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م) ، واستمر في هذا المنصب حتى وفاته سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) إضافة إلى تعيينه ترجماناً في الحكومة الهولندية ، وإنشائه مطبعة شرقية في داره أنفق عليها الكثير من ماله -وهي دار بريل اليوم- فأصبح في كرسيه ومطبعته صاحب مدرسة الدراسات العربية الإسلامية ، وعُدَّ بحق مؤسس النهضة الاستشراقية في هولندا[٢] .

وبالرغم من أن أربنيوس لم يستمر طويلاً في كرسيه الاستشراقي إذ توفي بالطاعون وهو في الأربعين من عمره[٣] ، إلا أن إنتاجه كان ضخماً متنوعاً كالتالي :

أصدر كتاباً في النحو العربي يعد أول عرض منهجي للغة العربية الفصحى كتبه عالم أوروبي في خمسة أبواب ؛ ولأهمية هذا الكتاب فقد بقي طوال قرنين من الزمان الكتاب غير المتنازع فيه لتدريس اللغة العربية في أوروبا[٤] .

نشر في عام (١٠٢٣هـ/١٦١٤م) مجموع الأمثال العربية الذي سبق أن ترجمه إلى اللاتينية ، وهو عبارة عن مائتي مثل عربي ، جمعها مؤلف عربي مجهول وشرحها ، وقد طبعه في مطبعة رافيلنجيوس بليدن ، ثم نشر مجموعة أخرى من الأمثال ، وألحق بها خرافات منسوبة إلى لقمان الحكيم ، وهي في الواقع تعديل لخرافات ايسوفوس اليوناني ، حرره كاتب نصراني مصري مجهول ، وبلغة عربية ذات رطانة مألوفة لدى الكتاب النصارى الأقباط في مصر ، وظهرت هذه النشرة بعنوان : «أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب» ، وكما هو واضح من العنوان

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٧ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٥٠ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ أحمد : أوائل المطبوعات الأوروبية ، ٢٢ .

(٣) بدوي : موسوعة المستشرقين ،١٧ ؛ بروخمان : هولندا والعالم العربي ، ١٢ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ،١٧ .

فإن هذه النصوص العربية مشفوعة بترجمة لاتينية وتعليقات ، وقد ظل هذا الكتاب يستخدم للمطالعة عند تدريس العربية في أوروبا حتى منتصف القرن التاسع عشر أو يزيد[١] .

كما أنه قام بترجمة سورة يوسف إلى اللاتينية ، وكتاب الأجرومية لابن الأجرومي المغربي ، وكتاب العوامل المائة في النحو للجرجاني ، ومنتخبات من حماسة أبي تمام ، وجميعها نشرها سنة (١٠٢٧هـ/١٦١٧م) مع ترجمة لاتينية وشروح[٢] .

وقد قام بتحقيق الجزء الثاني من تاريخ ابن العميد ، وبعد تحقيق النص قام بترجمته إلى اللاتينية[٣] .

وبعد تتبعنا لسيرة أربنيوس نستنتج أنه كان من كبار المترجمين أصحاب التوجه الديني ، يظهر ذلك واضحاً من اهتمامه من البداية باللغة العربية لأجل التعرف على اللغة العبرية أكثر محاولاً بذلك ترجمة الإنجيل بكافة اللغات الممكنة ، ومن ثم نشره على نطاق واسع ، وفي أثناء إقامته بباريس وتعرفه على الحجري أيقن من خلال المجادلة التي جرت بينهما أن الإسلام ليس من السهل القضاء عليه كما يتوهم الكثيرون ، ولاحظ أن القرآن ليس الأساس الوحيد الذي يرتكز عليه الإسلام ، بل إلى السنة والتفسير أيضاً ؛ لذا فقد حث جاهداً على معرفتها ؛ لأن الحوار مع الإسلام لا يكون ممكناً من دون دراستها[٤] .

أما نظرته للقرآن والنبي ﷺ فهي لا تختلف عن النصارى السابقين له ؛ إذ اعتبر القرآن مجرد أثر لغوي مؤلف ؛ وبذلك شارك في كراهية الرسول ﷺ ؛ إذ رأى فيه مخادعاً ، وتعاليمه ملفقة[٥] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ٣٠٣/٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ،١٨ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ٣٠٣/٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٩٤/٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ،١٩ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ،١٩ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ،١٤٩ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٢ .

(٥) فوك : تاريخ الاستشراق ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٢ .

٤٤ - توماس أوبتشيني (Tommaso Obicini) (ت١٠٤٢هـ/١٦٣٢م)[١] :

وهو مترجم إيطالي من الرهبان الفرنسيسكانيون ، انضم إليهم ، فعين رئيساً لدير حلب سنة (١٠٢٢هـ/١٦١٣م) ، ثم لدير النجاة بالقدس سنة (١٠٣٠هـ/١٦٢٠م) ، وكان البابا بولس الخامس قد أوفده إلى ديار بكر سنة (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) .

وقد استفاد من العشر سنوات التي قضاها بالمشرق في إتقان العربية ، والسريانية ، والقبطية ، فعين محاضراً للغات الشرقية في معهد منتوريو بروما ، فعلَّم به السريانية والقبطية ، وكان أستاذاً للعربية قبل ذلك[٢] .

ويعد توماس أول من أحضر إلى أوروبا رسماً لنقش موجود في شبه جزيرة سينا ، وقدم للمرة الرابعة أجرومية محمد بن داود مع ترجمة لاتينية ، وهوامش شاملة سنة (١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، كما أنه نقل كتاب الترجمان في تعليم لغة السريان ، وهو عبارة عن مفردات عربي - سرياني بحسب المواد ، نقله إلى اللاتينية ، والمدخل إلى المنطق ترجمه إلى اللغة اللاتينية[٣] .

٤٥ - جون جريفز ، (John Graves) (ت١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) :

وهو رياضي شهير ، وأستاذ الفلك في أكسفورد من سنة (١٠٥٣هـ/١٦٤٣م) إلى (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) ، وكان قد وصل إلى المشرق الإسلامي في معية بوكوك سنة (١٠٤٧هـ/١٦٣٧م) ، ونزل بمصر لدراسة اللغة العربية والفارسية على أهلها ، وقام بقياس أبعاد الأهرام ، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات والنقود والمجوهرات العربية والفارسية .

ومن أهم آثاره : وصف الأهرام ، وقواعد الفارسية ، وجغرافية أبي الفداء ، متناً وترجمة لاتينية ، والزيج السلطاني لأولغ بك[٤] .

---

(١) فوك:تاريخ الاستشراق ، ١٦٧؛ العقيقي : المستشرقون ،٢٥١/٣؛حمدان:طبقات المستشرقين، ١٤ .
(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢٥١/٣ .
(٣) العقيقي : المستشرقون ، ٢٥١/٣ ؛ حمدان : طبقات المستشرقين ، ١٤ .
(٤) العقيقي : المستشرقون ، ٤١/٢ .

٤٦ - جيرائيل الصهيوني : (Gabriel Sionita) ، (ت١٠٥٨هـ /١٦٤٨م) :

يعد هذا المترجم من رجال الدين المارونيين ، ولد في سنة (٩٨٥هـ/١٥٧٧م) بلبنان ، وتوفي في باريس ، وكان من الدفعة الأولى من الطلبة الموارنة الذين تعلموا في الكلية المارونية بروما ، وبعد تخرجه في اللاهوت واللغات الشرقية قام بتدريس اللغة العربية والسريانية في جامعة روما ، ثم استدعاه الملك لويس الثالث عشر إلى باريس سنة (١٠٢٣هـ/١٦١٤م) ليكون مترجماً عربياً له ، وقد عينه أستاذاً في الكلية الملكية ؛ حيث صار أول من يشغل كرسي اللغة العربية والسريانية في هذه الكلية ، وفي سنة (١٠٣٠هـ/١٦٢٠م) حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت ، واشترك في إنجاز الكتاب المقدس المتعدد اللغات فتولى الترجمة العربية والترجمة السريانية[١] .

وله إلى جانب ذلك كتابات علمية صغيرة ، وثلاثة كتب دفاع عن العقيدة ، وكتب بالاشتراك مع يوحنا الحصروني كتاباً في اللغة العربية ، سمياه «النحو العربي للموارنة» ، وقد طبعاه على نفقتيهما في باريس سنة (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ، وهما أيضاً ترجما معاً إلى اللاتينية جغرافية الإدريسي ، وهو ما أسمياه بـ«جغرافية النوبة» ، وذلك سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م)[٢] .

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣/٣٢٠ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ٣/٣٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٢٣٥ .

٤٧ - إبــراهيم الحــاقلاني (Abraham Enchellensis) (ت١٠٧٥هــ/ ١٦٦٤م)[١] :

وهو مترجم لبناني من النصارى الموارنة العـرب ، ولـد بقريـة حاقـل جنـوب لبنان وإليها نسب ، ثم تلقـى دراسـته في الكليـة المارونيـة برومـا ، وقـام بتـدريس اللغتين العربية والسريانية في معهد التبشير والدعوة التابع للبابا في روما[٢] .

ونـال درجـة الـدكتوراة في الفلـسفة واللاهـوت ، ثـم عـين أسـتاذاً للعربيـة والسريانية بجامعة بيزا ، ومعهد الحكمة ، ثـم في مدرسـة نـشر الإيـمان ، ومترجمـاً لمجمـع نـشر الإيـمان ، وخلفـاً للمطـران سركـيس الـرزي (sarkis Rizzi) (ت١٠٤٨هــ/ ١٦٣٨م)[٣] في لجنـة تحقيـق مخطوطـات التـوراة بالعربيـة سـنة (١٠٥٠هــ /١٦٤٠م) ، فلـما انتهـت إجازتـه رجـع إلى رومـا سـنة (١٠٥٢هــ /١٦٤٢م) ، ولكنـه مـا لبـث أن اسـتدعي إلى بـاريس ، وعـين أسـتاذاً للعربيـة والسريانية في معهد فرنـسا ، ومترجمـاً للملـك مـن (١٠٥٥-١٠٦٤هــ/١٦٤٥-١٦٥٣م) ، ثم غادر باريس نهائياً إلى روما ، حيث عـين أمينـاً لقـسم المخطوطـات السريانية والعربيـة في المكتبـة الفاتيكانيـة ، فوضـع مـع ابـن أختـه مـرهج نمـرون (Merhej nmron) (ت١١٢٣هـ/١٧١١م)[٤] أول فهـرس لمخطوطاتهـا الـشرقية ، ولما توفي نقلت مخطوطاته -وعددها أربعة وستون- إليها ومـا زالـت تحمـل اسـمه فيها[٥] .

وقد نقش اسم الحاقلاني على رخامة على مدخل معهد فرنسا ، وانتقده البعض

---

(١) فـوك : تـاريخ الاسـتشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ٣/٣٢٢ ؛ بـدوي : موسـوعة المستشرقين ، ٢٢٧-٢٢٨ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٧ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ،٣/٣٢٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ٣/٣٢٤ .

(٥) فـوك : تـاريخ الاسـتشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ،٣/٣٢٢ ؛ بـدوي : موسـوعة المستشرقين ،٢٢٨ .

بينما انتصر له آخرون باعتباره من العلماء ، فيقول أحدهم : «إن ذيوع صيته ونفاسة مصنفاته يقدرها العلماء حق قدرها ، ولا يجهلون في الوقت نفسه ما أحاقه به من احترام ورعاية أنبل الأحبار وأشهر أدباء أوروبا»[١] .

ومن أهم أعماله : نشر مقتطفات من كتاب مقاصد الفلاسفة للميبودي سنة (١٠٥١هـ/١٦٤١م) متناً وترجمة لاتينية ، وكتاب تعليم المتعلم للزرنوجي (ت٥٩١هـ/١٢٤٢م)[٢] ، وتعد ترجمته هذه أول نقل لاتيني للكتاب ، وكانت ترجمته حرفية غير دقيقة[٣] .

كما أنه ترجم رسالة للسيوطي سنة (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) ، والنص العربي لتاريخ العالم لابن الراهب (ت ق٧هـ/١٣م)[٤] ، وهو تاريخ يصل إلى عام (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) ، وقد نقله إلى اللاتينية سنة (١٠٦٢هـ/١٦٥١م) مع إضافة ملحق له يتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، وفي سنة (١٠٧٢هـ /١٦٦١م) ترجم بالاشتراك مع عالم الرياضيات بورلي (Barelli) المقالات الخامسة والسادسة والسابعة من كتاب المخروطات لأبولونيوس ، وقد فقد أصلها اليوناني ولم تبق إلا في ترجمتها العربية ، إضافة إلى نقل مقدمات أرخميدس بحسب مخطوطات عربية . والمقالات الثلاث المذكورة إنما هي بتلخيص أبي الفتح الاسكندراني ، وليست الترجمة الأصلية الحرفية للنص اليوناني[٥] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ،٣/٣٢٣ .

(٢) الزرنوجي : برهان الدين ، من تلامذة الفرغاني . كحالة : معجم المؤلفين ، ٣/٤٣ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ،٣/٣٢٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٨ .

(٤) ابن الراهب : بطرس بن أبي الكرم القبطي ، قس نصراني ، كحالة : معجم المؤلفين ، ٣/٥٢ .

(٥) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ،٣/٣٢٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٨ .

٤٨ - يعقـــوب جوليـــوس ، (Jacobus Golius) ، (ت١٠٧٨هـــــ/١٦٦٧م)[١] :

مترجم هولندي ، ولد في لاهاي سنة (١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) ، وأخـذ العربيـة عن أربنيـوس في جامعـة ليـدن ، فحثـه عـلى دراسـة العلـوم الرياضـية والطبيعيـة والفلكية عند المسلمين ، وتصحيح الترجمات اللاتينية في النـصوص اليونانيـة عـلى أساسها ، وقد أتيحت له الفرصة عنـدما رافـق سـفير هولنـدا إلى المغـرب الأقـصى مترجماً ومهندساً لإنشاء ثغر تأوي إليه السفن الهولندية ، ويبدو أنه توقف عند مدينة آسفي الساحلية المطلة عـلى المحـيط الأطلـسي ، وتـدرب عـلى اسـتعمال العربيـة ، ودرس في تاريخ ابن أبي زرع (ق ٨هـ/١٤م)[٢] ، وجمع مخطوطات نفيسة[٣] .

وبعد عودته إلى ليدن سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ، ووفـاة أربنيـوس في نفـس السنة وقع الاختيار عليه لشغل كرسي أستاذ العربية بالجامعة ، لكنه بعد سنة واحدة فقط منحه مجلس الجامعة إجازة لرحلة جديدة إلى المشرق كما وضع تحت إمرته مبلغاً كبيراً من المال بهدف شراء مخطوطات عربية ، وطال به المقام في مدينة حلب ؛ حيث قضى بها ثلاث سنوات ، زار خلالها انطاكية وعدداً من المـدن الـسورية الأخـرى ، وتنقل في أرجاء آسيا الصغرى حتى وصل إلى القسطنطينية ، ومنها عاد أدراجـه إلى ليدن التي وصلها بعد غيبة دامت أربع سـنوات ، وإلى جانـب ذلـك أسـندت إليـه إدارة قسم الرياضيات فاستمر بها حتى وفاته سنة (١٠٧٨هـ /١٦٦٧م)[٤] .

إن المئتين وخمسين مخطوطاً التي عاد بها جوليوس من رحلته -وكـان معظمهـا لفائدة مكتبة ليدن العامة ، ولازالت محفوظة فيها حتى يومنـا هـذا- احتـوت عـلى مؤلفات عربية لم تكن معروفة في أوروبا آنذاك حتى بالاسم ، وقـد شـكلت النـواة

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧١ ؛ شاخت وبـوزورث : تـراث الإسـلام ، ١/ ٦٣ ؛ جـيرا : تـاريخ دراسة اللغة ، ٢٢-٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ،٢/ ٣٠٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/ ١٣٢ .

(٢) ابن أبي زرع : علي بن محمد بن أحمد ، مؤرخ فاسي . كحالة : معجم المؤلفين ، ٧/ ١٨١ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/ ٣٠٤ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧١-١٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/ ٣٠٤ . .

الحقيقية لقسم الدراسات الشرقية بالمكتبة ، وكانت الأساس لسمعته الكبيرة التي ازدادت بقوة بعد ذلك ، كما أن وفرة نفائس الكتب التي قدمها الأوروبيون أضفت على أعماله أساساً راسخاً[١] .

بالإضافة إلى ذلك فقد كان من أشهر أعمال جوليوس : نشره لكتاب مطالعة بعنوان عربي هو : شذرات الأدب من كلام العرب سنة (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م) دون أن يذكر اسمه على الكتاب ، ويشتمل على نصوص مختارة ، ومضبوطة بالشكل ، منها مائة وخمسة وستون قولاً منسوباً لعلي رضي الله عنه ، وقصيدة لامية العجم للطغرائي ، ثم خطبة لابن سينا ، ويختتمه بأبيات قليلة غير مشكولة[٢] .

وفي سنة (١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) أعاد طبع كتاب النحو العربي لأربنيوس ، وأضاف إليه نصوصاً أخرى هي سورة لقمان ، والصف من القرآن الكريم ، والمقامة الأولى من مقامات الحريري (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)[٣] ، وقصيدة لأبي العلاء المعري ، (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م)[٤] .

وفي سنة (١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) نشر كتاب عجائب المقدور لابن عربشاه ، (ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م)[٥] تحت عنوان : «كتاب عجائب المقدور في أخبار تيمور»[٦] .

وقد اشتغل وقتاً طويلاً في إعداد نشرة النص العربي لكتاب جواهر الفلك للفرغاني الذي ترجمه إلى اللاتينية من ذي قبل يوحنا الإشبيلي وجيرارد الكريموني ،

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ،٢/٣٠٤ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٨/١٣٢ .

(٣) الحريري : أبومحمد القاسم بن علي البصري ، صاحب المقامات المشهورة ، كان أحد أئمة عصره . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/ ٢٢٧ .

(٤) المعري : أحمد بن عبدالله بن سليمان ، كان متضلعاً في فنون الأدب ، وله التصانيف والرسائل المشهورة . نفس المصدر ، ١/ ٩٤ .

(٥) ابن عربشاه : أحمد بن محمد بن عبدالله ، مؤرخ ، رحالة له اشتغال بالأدب . الزركلي : الأعلام ، ١/ ٢٢٨ .

(٦) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ .

لكن أعظم أعمال جوليوس هو المعجم العربي اللاتيني سنة (١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م) الذي استعان في تصنيفه بمعاجم عربية ممتازة اقتناها من المشرق ، منها : الصحاح للجوهري ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، وأساس البلاغة للزمخشري ، ومجمل اللغة لابن فارس ، وكتاب المعرب للجواليقي ، وغيرها من المعاجم العربية والفارسية والتركية أيضاً ، ولقي معجمه هذا نجاحاً منقطع النظير في أوروبا ، واستمر طوال قرنين من الزمان المرجع الرئيسي للمستشرقين الأوروبيين[١] .

وبالرغم من التعمق في دراسة العلوم العربية لدى جوليوس إلا أنه كان قليل الفهم للإسلام بسبب تعصبه الشديد لديانته النصرانية[٢] ، ومنه نستطيع القول إنه كان ذا توجه علمي في الظاهر ، يقوده في الأساس توجه ديني داخلي يسعى إلى خدمة ديانته بمعرفة علوم أعدائه ، ومحاولة خدمة أمته النصرانية بوسيلة العلم ، دون الاهتمام بحقيقة الدين الإسلامي ، ومن ثم إنصافه ..ولا غرابة في الأمر فجوليوس تلميذ أربنيوس الذي سبق وأن تناولنا توجهه الديني في مجال النقل ، ومدى تعصبه ضد الإسلام وأهله .

٤٩ - دومينيكوس جرمانوس السيليزي (Dominicos Germanus de silesia) ، (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)[٣] :

وهو راهب منصر فرنسيسكاني ألماني ، ولد في ألمانيا عام (٩٩٧هـ/١٥٨٨م) ، وانخرط في سلك الرهبان الفرنسيسكان بدءاً من سنة (١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ، وتعلم اللغات الشرقية وخصوصاً اللغة العربية في الكلية التبشيرية بروما ، ثم سافر إلى فلسطين للتمكن من العربية أكثر ، وعاد من هناك فقام بتدريس اللغة العربية في نفس الكلية من سنة (١٠٤٦هـ/١٦٣٦م) إلى (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) .

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ،٣٠٤/٢ .

(٢) حمدان : طبقات المستشرقين ، ١٨ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ،٢٥٢/٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨٠ .

وألَّف كتاباً في نحو اللغة العربية ، وهو في اللغة العامية ، ثم توسع فيه بعد ذلك بثلاثة أعوام ، فجعل منه معجماً عربياً -لاتينياً- إيطالياً ، وهو معجم رديء ضئيل القيمة ، ومع ذلك ظل مستعملاً في أوساط المبشرين ، خصوصاً الذين يعملون في فلسطين ، حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، وفي سنة (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) ، أصدر كتاباً بعنوان : «نقائض الإيمان» ، يدافع فيه عن النصرانية ويدعو إلى اعتناقها[١] .

ثم عاد مرة أخرى إلى فلسطين سنة (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) لممارسة دوره التنصيري ، ثم عين في سنة (١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) رئيساً للبعثة التنصيرية في سمرقند لدى التتار ، ومن ثم عاد إلى روما سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٢م) ، ولكنه ما لبث أن أرسل إلى الاسكوريال بناء على طلب فيليب الرابع ملك إسبانيا لتدريس اللغة العربية لبعض رجال الدين والرهبان ، ولتأليف كتب تنصيرية تهاجم الإسلام والمسلمين ، وأهم أعماله : ترجمة القرآن إلى اللاتينية مع رد على القرآن[٢] ، كذلك اشترك في الترجمة العربية للكتاب المقدس التي نشرتها هيئة الدعوة والتبشير التابعة للفاتيكان[٣] .

أما بالنسبة لمؤلفاته فهي : مقدمة عملية في اللغات العربية والفارسية والتركية باللغة اللاتينية ، وتعليقات تتصل بالله الواحد ، وثالث الثلاثة باللاتينية ، وكتاب تعال معي إلى المسيحية الشرقية باللاتينية ، وكتاب في المنطق ، هو عبارة عن الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية لنجم الدين الكاتبي ، أعاد سبكها عن ترجمة لاتينية قديمة[٤] .

ولا أظن أننا بحاجة إلى إسهاب في تحليل توجه دومينيكوس في الترجمة ، فهو كما تبين لنا منذ نشأته إلى وفاته وهو في أحضان المؤسسات التنصيرية التي جعلته

---

(١) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨٠ .

(٢) لم تطبع الترجمة ولا الرد ، نفس المرجع .

(٣) العقيقي : المستشرقون ،٢٥٢/٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨٠ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ،٢٥٢/٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨٠ .

يسعى حثيثاً لمحاربة المسلمين بتعلم لغاتهم ، وترجمة علومهم ، والتأليف في الرد عليهم .

٥٠ - ادوارد بوكوك (Edward Pocock)(ت ١١٠٣هـ/١٦٩١م)

بعد أن رجع من رحلاته إلى المشرق نشر عدة مؤلفات إسلامية بعد ترجمتها إلى اللاتينية منها : نظم الجوهر لابن البطريق ، متناً وترجمة لاتينية ، وسماه : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، وله المختار من تاريخ العرب ، وهو مجتزءٌ من تاريخ ابن العبري ، متناً وترجمة لاتينية أيضاً ، وذيله بسلسلة من الدراسات العربية المستفيضة عن التاريخ والعلوم والأدب والدين ، وهو أول نص عربي طبع في أكسفورد ، ثم ترجم تاريخ ابن العبري إلى اللاتينية ، وأهداه إلى ملك انجلترا سنة (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م)[١] .

ومما ترجم أيضاً : لامية العجم للطغرائي ، مع تفاسير وافية سنة (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) ، وأقوال علي رضي الله عنه سنة (١٠٧٢هـ/١٦٦١م) ، والإفادة والاعتبار لعبداللطيف البغدادي ، وله مزايا القهوة نقله عن كتاب طب إسلامي[٢] .

(١) آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ١١-١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١-٤٢ .

(٢) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤٢ .

المبحث الثالث :

المترجمون اليهود وتوجهاتهم

احتل اليهود مكاناً متميزاً في عملية الترجمة والنقل من العربية إلى اللاتينية ، وتصدرت أسماء عدد كبير منهم قائمة النقلة للعلوم العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة ، بل إن عدداً من المصادر والمراجع[1] تناولت أسماء هؤلاء بكثير من الإجلال والإكبار باعتبارهم عنصراً مهماً في إيصال الحضارة الإسلامية إلى الغرب ، وقد نسب إليهم الفضل في تعريف أوروبا بالعلوم العربية والإسلامية من خلال هذه الترجمة .

وقبل أن ندخل في تفاصيل الحديث عن المترجمين اليهود نود أن نقف عند صحة هذه الآراء من عدمها . فهل يعقل أن يكون اليهود من أهم نقلة الحضارة الإسلامية إلى أوروبا؟ وكيف استطاعوا أن يتغلغلوا في المجتمع النصراني حتى أصبح لهم كيان ، وأصبح مترجموهم معترفاً بهم بخلاف المترجمين المسلمين الذين همشت أسماؤهم عمداً رغم تشابه الظروف والأحوال بالنسبة للطائفتين؟

إن الإجابة عن هذه الاستفسارات تتطلب منا أن نبحث عن طبيعة حياة اليهود في العالمين الإسلامي والنصراني ، حيث انتشرت أقلياتهم بعد سنة (٥٨٦ق.م) ، وهي السنة التي حطمت آمالهم في إنشاء أي كيان سياسي مستقل[2] .

فمن جانب العالم الإسلامي نجد أن العلاقة مع اليهود نشأت منذ وقت مبكر يعود إلى تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة ، ومن ثم حددت معالم هذه العلاقة من خلال العقد[3] الذي أبرمه المصطفى ﷺ معهم ترك لهم فيه مطلق الحرية في الدين

---

(١) انظر على سبيل المثال :

Jourdan:C.recherches critques sur lage et lorigine traductions latines aristote.

(٢) أحمد شلبي : اليهودية ، ٩١ ؛ رجا عبدالحميد عرابي : سفر التاريخ اليهودي ، ط١ ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٢٥٥ .

(٣) عقد الرسول ﷺ مع اليهود وثيقة موادعة أول مقدمه للمدينة ، كما يذكر ذلك البلاذري والطبري الذي ذكر ما نصه : «وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودها ، على أن لا يعينوا عليه أحداً وأنه إن دهمه =

والمال ، وبين ما لهم وما عليهم من حقـوق وواجبـات ، ثـم استـمر بهـم الحـال في الدولة الإسلامية باعتبارهم أهل ذمة يعاملهم المسلمون وفق ذلـك . وقـد عاشـت طوائف اليهـود في ظـل الحكـم الإسـلامي أجمـل أيـامهم وأفـضلها ، ولاقـوا مـن المسلمين أحسن معاملة ، واليهود أنفسهم يعترفون بفـضل المـسلمين[١] ؛ إذ يقـول أحدهم[٢] : «ارتفع شأن اليهود وعلا حيث ساد حكم الهلال»[٣] .

ولا نريد أن نبالغ ونسم المسلمين بأنهم كـانوا متـسامحين مـع اليهـود بخـلاف الطوائف الأخرى ، أو أنهم قد تنازلوا لهم عن أشياء لم يتنازل عنها غيرهم ، ولكنها مبادئ الإسلام السمحة مع جميع الطوائف على اختلافها ؛ ولذا يقـول لوبـون : «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب»[٤] ، وما حـدث لجماعـات اليهـود مـن رقـي وازدهار في العالم الإسلامي إنما كـان بفـضل الحـضارة الإسـلامية نفـسها ، والتـي أثرت فيهم تأثيراً بالغاً ، فأخذوا يحاكونها في كثيرٍ من إبداعاتهم العلمية مستعينين في ذلك بطبيعتهم في الإفادة من سنة التدافع الحـضاري ، والقـدرة عـلى التكيـف مـع الأحداث ، والعيش كأقلية في مجتمع تحكمه أغلبية تدين بدين مختلـف ، مـع انتهـاز الفرص للتسلل إلى الأديان ، والعقائد ، والأفكار والدول[٥] .

فحين برز المسلمون قوة عالمية سارع اليهود للتحالف معهم ، وكسب ودهم ، بل أخذوا يتجسسون لهم على الروم وغـيرهم ، وتزيـوا بـزي العلـم ، ومثلـوا دور

=

بها عدو نصروه» . الطبري : محمـد بـن جريـر (ت٣١٠هــ/٩٢٢م) : تـاريخ الأمـم والملـوك ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠م ، ٤٧٩/٢ . .

(١) عرابي : سفر التاريخ اليهودي ، ٢٥٨ ؛ علي الخربوطلي : العرب واليهود في العصر الإسلامي ، الدار القومية للنشر ، القاهرة ، ٤٧ .

(٢) هو إيسدور أبشتاين ، وقد ذكرهـا في كتابـه عـن اليهـود بعنـوان : Judaism:Penguin Book ، انظـر : عرفان عبدالحميد فتاح : اليهودية عرض تاريخي ، ط١ ، دار عمار ، عمان ، ١٤١٧هـ ، ٦٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) حضارة العرب ، ١٣٣ .

(٥) نعمان السامرائي : اليهود والتحالف مع الأقوياء ، ط٢ ، دار الحكمة ، لندن ، ١٤١٩هــ-١٩٩٩م ، ٢٢ .

العلماء في أكثر من جانب ، فأصبحت معاهدهم في العراق مراكز ثقافية لاستقطاب يهود العالم بغية دراسة التلمود[١] ، والإحاطة بمشكلاته ، وشرح مسائله ، واستنباط القواعد الفقهية منه[٢] . أما في الأندلس الإسلامية حيث حل المسلمون محل القوط النصارى فقد انتقل الحال باليهود من قتل ، وتشريد ، وظلم ، وحرمان إلى تألق فكري ، ونمو اقتصادي ، ورخاء ، وطمأنينة لم ير اليهود لها مثيلاً ، وانتشرت طوائفهم في كل المناطق على اختلاف كثافة هذا الانتشار ، حيث كان كثيفاً في المناطق الجنوبية العامرة الغنية لاسيما غرناطة التي نعتت بغرناطة اليهود ، لكن أكبر مراكز وجودهم كان في بلدة لوسيانه القريبة من قرطبة ، والتي اختصت باليهود دون غيرهم ، وأصبحت مركز إشعاع للدراسات اليهودية حتى حق لهذه الفترة أن تسمى بـ«العصر الذهبي لتاريخ الآداب اليهودية» ، وعرف علماء اليهود في هذه الفترة المتألقة من نشاطهم الفكري في ظل الخلافة الإسلامية بـ:الغوئيم ، Geonim «أي : العلماء المبرزين»[٣] .

وقد شهد القرنان الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين تشرب اليهود للحضارة الإسلامية ، وأصبحت الأندلس أهم مراكز اليهودية في العالم ، فنشأت بها حلقات دراسية دينية مستقلة عن العراق وبتشجيع من الطبقات الثرية اليهودية في الأندلس ؛ إذ كانت في حاجة إلى حلقات تتصدر فتاوى تتفق مع أوضاعها ، ومن ثم اندمجت النخبة اليهودية في محيطها الإسلامي

(١) التلمود : كلمة مشتقة من الأصل العبري «لامد» ، ويعني الدراسة والتعلم ، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية ، ويضم نقاشات الحاخامات اليهود حول الشريعة ، والأخلاق ، والأعراف ، اليهودية ، ويتكون التلمود من : المشنا : وهي الشريعة المكررة لما جاء في التوراة ، والجمارا : وهو شرح لما في المشنا ، مع حواشي كثيرة وشروح مسهبة ، ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة؟؟ ؛ شلبي : اليهودية ، ٢٧٠-٢٧١ ، المسيري : موسوعة اليهود ، ٣٣/٢ .

(٢) فتاح : اليهودية ، ٦٢ ؛ السامرائي : اليهود والتحالف مع الأقوياء ، ٨٤ .

(٣) محمد عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ص٢٢-٢٤ ؛ علي احمد : اليهود في الأندلس والمغرب من خلال العصور الوسطى ، مجلة جامعة دمشق ، السنة السابعة ، ع : ٥٧-٥٨ ، ١٩٩٦م ، ١٦٤-١٦٥ .

تماماً ، واستوعبت أعداد كبيرة منها الفلسفات التي كانت سائدة هناك ، وبلغت ثقافتهم درجة من النضج والتألق لم تعرفها من قبل ، فيكفي أن لغتهم لم تعرف النحو والصرف والمعاجم والتفاسير ، وتفصيل الأحكام الشرعية ، والكتابة في الفلك والرياضيات والفلسفة والأخلاق والكيمياء والطبيعة وكافة العلوم إلا في العصر الإسلامي ، ويكفي أن أجمل ما في العبرية من روائع الشعر والنثر وأدب الرحلات إنما كان بمجاورة المسلمين وبتأثير من أساتذتهم[١] .

وهكذا نجد أن اللغة العربية كانت لغة هؤلاء اليهود ، ومناهج البحث الإسلامي مناهجهم ، فبالعربية كتبوا ، وعلى غرار منهج أعلامها نهجوا في البحث والتأليف ، خصوصاً في علومهم المرتبطة بدينهم ولغتهم ، فألفوا بالعربية في شتى التخصصات ، ونقلوا جل مؤلفات أعلام الفكر الإسلامي من الحرف العربي إلى العبري دون ترجمتها إلى العبرية ، مثل مؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، بالإضافة إلى مؤلفات علوم العدد والهندسة والفلك والطب والصيدلة والطبيعة ، حتى إذا تمكنوا من هذه العلوم ألفوا فيها هم أنفسهم بالعربية بخط عبري ، أو بلغة عبرية أقرب إلى العربية منها إلى أي شيء آخر[٢] .

ومن الواضح أن تفوق يهود الأندلس على أقرانهم في أوروبا يرتبط بتفوق الحضارة الإسلامية على النصرانية في تلك الآونة ، ولولا احتكاكهم بالمسلمين لما عنوا بالعلم أصلاً ، ومن الأمور والدلائل على ذلك هو أن يهود الأندلس فقط كانت لهم عمارة لها ملامحها الخاصة رغم أنها تقوم على أسس الفن الإسلامي ، وهي تتحدث عن نفسها من خلال البيع[٣] اليهودية في كل من طليطلة وسيجوفيا ، وهي

---

(١) حسن ظاظا : الشخصية الإسرائيلية ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ٨٢ ؛ محمد زعيمة : التأثيرات اللغوية العربية في الشعر العبري الأندلسي ، ضمن أبحاث ندوة التأثيرات العربية في اللغة العبرية ، جامعة عين شمس ، ٢٦-٢٧ ، ديسمبر ، ١٩٩٢م ، ١٧ . بوتشيش : محطات في تاريخ التسامح بين الأديان بالأندلس ، ٨٦ .

(٢) أوليري : الفكر العربي ، ٢٦٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العربي الوسيط ، ١/ ٥٢٥ .

(٣) البيع : جمع بيعة وهي أماكن العبادة عند اليهود والنصارى . المعجم الوسيط ، ١/ ٧٩ .

أعمال ذات قوة تعبيرية لا نجد لها مثيلاً في أوروبا ، فاليهود لم يشعروا هناك أنهم في منازلهم ، كما كان عليه يهود الأندلس ناهيك عن العلم والحضارة[١] .

إن هذا الاندماج للنخبة اليهودية في محيطها الإسلامي جعلها تستوعب أعداداً كبيرة من العلوم التي كانت سائدة به ، وعليه فلا يمكن الحديث عن ثقافة يهودية مستقلة تعبّر عن وجدان أبنائها وحضارتهم ، وإنما يجدر بنا أن نتحدث عن ثقافة إسلامية يهودية بمعنى أن أبناء هذه الجماعة تعربوا بتأثير من حضارة المسلمين التي عاشوا فيها ، وأبدعوا من داخلها ، وقد أدى هذا –كما يرى الكثير- إلى أن تفقد هذه الجماعة اليهودية أية هوية دينية واضحة ؛ ولذا فإن النصارى لما استولوا على الأندلس كان من بقي من اليهود قشرة رقيقة من السهل أن تتنصر[٢] .

بيد أنه مع اشتداد المد النصراني على الحواضر الأندلسية ، ونتيجة اشتراك بعض اليهود في التجسس على المسلمين لصالح العدو فقد ضيق الموحدون عليهم الخناق واستخدموا سياسة التشدد في معاملتهم ومراقبة سلوكهم ، مما أجبر الكثير منهم إلى مغادرة الديار متجهين صوب الشمال الأندلسي وفرنسا ، ثم فيما بعد إلى إيطاليا ، وكان ذلك إبان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وقد حمل هؤلاء معهم الكثير مما تبقى بين أيديهم من مؤلفات علمية وفلسفية ودينية عربية اللغة عبرية الحرف ، وبعد أن استقر بهم المقام في الأرض الجديدة خصوصاً في جنوب فرنسا وجد هؤلاء اليهود المعربو اللسان المتسعو الآفاق إخواناً لهم كانوا في حاجة إلى الاطلاع على معارف يجهلونها ، ووجدوا بين أيديهم العدد الوافر من المخطوطات العلمية الفلسفية اليهودية المكتوبة بالحرف العبري ، أو المخطوطات العربية الإسلامية في أصولها لغة وخطاً ، أو في نقولها بالحرف العبري ، فكان لا بد لهم من البدء في أضخم عملية علمية ، تلك هي ترجمة هذه النصوص إلى اللغة العبرية ، وقد ازدادت هذه الحركة بعجمة لسان أحفاد هؤلاء ، وبتحريض من

(١) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٣٧ ؛ عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ٣٤ .

(٢) المسيري : موسوعة اليهود ، ١/٢٨٩ .

بعض ساسة أوروبا أو سلطتها الدينية أو العلمية[١] .

وقبل ذلك كله نجد أن عدداً من اليهود اضطلع بأمر الترجمة في الأندلس ، وكان هذا النقل في بدايته يتم إلى اللغة العبرية ، يدفعهم في ذلك الحاجة الدينية للطائفة اليهودية ، فانبرى كثير من مترجميهم في نقل المؤلفات التي تخدم الطقوس الدينية في ملتهم ، كتلك التي تناولت سير الزمان والمواعيد والأعياد ، وحركة الفلك وتوالي الأهلة ، أو ما يخص المواريث ، كعلم العدد والحساب وغيرها ، وقد أعجب كثيرٌ منهم بالفلسفة باعتبارها مفتاح أسرار التوراة ، فكان لهم من العناية بها حظ وافر ، فترجموا من مؤلفاتها ما كان منقولاً عن اليونانية ، أو ما ألفه علماء الفلسفة في العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، هذا عدا علوم التفسير واللغة التي اعتبروها أداة مهمة في فهم النص المقدس وأسراره ؛ بالإضافة إلى ترجمة كتب المنطق العربية التي لا يمكن الاستغناء عنها في تفسير وتأويل الكتاب المقدس ، ولا ينكرها إلا جاحد على حد زعمهم[٢] .

وعلى الرغم من الانفتاح التام في النقل لأجل سد هذه الحاجة الدينية لدى مترجمي اليهود إلا أن عدداً منهم كان ينادي بوجوب سلامة اللغة العبرية ، وقدسيتها ، وحفظها من كل دخيل ، مع محاولة تجريد الفكر اليهودي من الثقافة الإسلامية ، وحصره في حدود علم الأحبار ؛ لذا نلاحظ عدم ترجمة مؤلفات علماء اليهود التي تأثرت بالفكر الإسلامي وكالمرشد للسموأل المغربي (ق٦هـ/١٢م)[٣] ، والمحاضرة والمذاكرة في النقد والآداب والبيان ، لموسى بن عزرة (ت بعد ٥٣٠هـ/١١٣٥م)[٤] ، وكتاب إسحاق بن برون (ق٦هـ/١٢م) ، واسمه :

---

(١) أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٣-٢٧٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/١٤٨ ، ٥٢٦ ؛ ريموند شايندلين : اليهود في إسبانيا المسلمة ، ضمن «الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس» ، ١/٣١٠ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١١٤ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العربي الوسيط ، ١/٥٣٠ .

(٣) السموأل المغربي : هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، كان يهودياً فأسلم ، وهو عالم في الرياضيات والطب ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٧١ .

(٤) موسى بن عزرة : هو موسى بن يعقوب بن عزرة ، ولد بغرناطة لعائلة يهودية غنية ، وقضى معظم

«الموازنة بين اللغتين العبرانية والعربية في النحو واللغة» ، ولم يترجم من مؤلفات هؤلاء إلا ما كان خفي النحلة ، مثل كتاب داود المقمص (david AL-mukammas)[١] (ق٣هـ/٩م) «العشرين مقالة» ، وكتاب نسيم بن يعقوب (nasem Ibn Jacob) ، (ق٤هـ/١٠م)[٢] «الفرج بعد الشدة والسعة بعد الضيق»[٣] .

وإذا كان هذا التنكر للحضارة الإسلامية محصوراً في عدد من المترجمين ، أو في فترة معينة تزامنت مع نداءات إبراهيم بن عزرا (ت حوالي٥٦٠هـ/١١٦٤م) ، وداود قمحي (٧هـ/١٣م)[٤] إلا أنه كان له أثر في بعض النقلة ، فنجد أن قالونيموس يبرر في مقدمة ترجمته لرسالة الحيوان من رسائل إخوان الصفا بأن هذا النوع من الكتابات يختلف عن كليلة ودمنة ، وأخبار السندباد ، ومقامات الحريري ، فغرض هذه التسلية واللهو بينما رسالة الحيوان تتضمن مغزى أخلاقياً يتعزى به الإنسان ويواسي نفسه[٥] .

وإلى جانب هذه الحاجة الدينية الخاصة باليهود في النقل نجد أنهم حرصوا على توظيف عملية الترجمة في خدمة مصالحهم الدنيوية ، يظهر ذلك جلياً مع تقلد النصارى زمام الأمور في الدول الإسلامية التي سقطت بأيديهم في صقلية والأندلس ، فاستغل اليهود هذا الوضع للتغلغل في الحكومات الجديدة مستفيدين من إلمامهم باللغة العربية وعلومها بحكم معايشتهم للمسلمين ، إضافة إلى معرفة

=

حياته بها ، وله مؤلفات عدة في الأدب واللغة . ديورانت : قصة الحضارة ، ٩٩/١٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١١١/١ .

(١) داود بن مروان المقمص : من أوائل الفلاسفة اليهود الذين نقلوا فكر المعتزلة إلى الفكر الديني اليهودي . المسيري : موسوعة اليهود ، ٣٤١/١ .

(٢) نسيم بن يعقوب : القيرواني ، كان متكلماً له اتجاه أفلاطوني ، واستخدم صيغ المعتزلة في تفسيراته . عبدالمنعم الحنفي : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ، مكتبة مدبولي ، ٤٦ .

(٣) شحلان : ابن رشد والفكري العبري الوسيط ، ٥٣١/١ .

(٤) داود قمحي : داود بن يوسف قمحي ، يهودي عاش بنربون ، كان من علمائهم في اللغة والأدب . ديورانت : قصة الحضارة ، ٩٧/١٤ .

(٥) شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ٥٣١/١ .

البعض منهم باللغتين اللاتينية والقشتالية ، وهما اللغتان اللتان نقلت إليها كثيرٌ من العلوم .

ففي مدرسة طليطلة للترجمة برزت أسماء لامعة من النقلة اليهود أمثال : يوحنا الإشبيلي اليهودي المتنصر (ت٥٦٢هـ-١١٦٦م)[١] ، وفي عهد ألفونسو العاشر زاد عدد اليهود في البلاط الملكي ؛ إذ إنه طوَّق نفسه بحاشية منهم ، فتغلغلوا في فكره قبل دولته ، حتى إنه حرّم تهمة الدم[٢] التي كانت لصيقة بهم سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) ، ومنع أي مضايقة لليهود في يوم السبت ، أو تعطيلهم عن أداء شعائرهم ، حتى ولو وجدت أسباب قانونية لذلك ، وكانت غرامة قتل اليهودي في عهده تعادل الغرامة التي تدفع عند قتل فارس أو قس[٣] .

ونتيجة هذا الاحترام الزائد لليهود فقد اجتمع حوله عدد من علماء الفلك والرياضيات والطب ، ومن المترجمين أيضاً الذين كانوا ينقلون له من العربية إلى اللاتينية والقشتالية ، ويقال إن الذي أقنع الملك بمسألة النقل إلى هذه اللغة الأخيرة أحد مستشاريه اليهود ، ويدعى «يهودا الكاهن Jehuda elcohen» (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) ، وهو من الذين كانوا يبغضون اللغة اللاتينية لغة الكنيسة والنصرانية عامة ، ومما يبرهن على ذلك أن التلمود والقبَّالاه[٤] قد ترجما إلى هذه اللغة في عهد ألفونسو العاشر[٥] .

وإذا كان هذا الأمر يدل على مدى تسلط اليهود وتوسيع نفوذهم في عهد هذا

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ .

(٢) تهمة الدم : هي اتهام اليهود بأنهم يقتلون صبياً نصرانياً في عيد الفصح سخرية واستهزاءً من صلب المسيح ، ونظراً لأن عيدي الفصح النصراني واليهودي قريبان ، فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد أن اليهود يستعملون دماء ضحيتهم في شعائرهم الدينية وفي أعيادهم ، وبخاصة في عيد الفصح اليهودي . المسيري : موسوعة اليهود ، ١/١٥٠ .

(٣) هدى درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، دراسة عن اليهود المارانوس ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ٢٣ .

(٤) القبَّالاه : هي مصطلح للتراث الصوفي اليهودي ، وقد مرت بمراحل عديدة أهمها «قبَّالاه الزوهار» ، وتسمى أيضاً : «القبالاة البنيوية» ، أو «القبّالاه اللوريانية» . المسيري : موسوعة اليهود ، ٢/٣٩ .

(٥) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٥٠ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٦٠ .

الملك فإنه في نفس الوقت لا يدل على تأكيد تبني اليهود فكرة النقل إلى اللغة القشتالية ؛ لأن ألفونسو بحد ذاته لم يكن أقل إحساساً بهذا الاتجاه الرامي إلى علمنة الثقافة ، وقد نقلت مؤلفات كثيرة إلى اللغة القشتالية غير التلمود والقبّالاه[١] .

إلا أن الأمر المؤكد أن المترجمين اليهود لقوا كل رعاية واهتمام في عهد هذا الملك ، فخرجت أعمال كثيرة مترجمة تحمل أسماء نقلتها اليهود كالكتب الأربعة في النجوم بترجمة يهودا الكاهن ، وكتاب الصفيحة للزرقالي ترجمة إبراهيم الطليطلي (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[٢] .

واستمر دور اليهود في إسبانيا في علوم الفلك لقرون امتدت من السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي إلى التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ؛ حيث نجد بروز شخصيات يهودية شهيرة في علم الفلك ، وكان اليهود يقومون بقراءة الطالع[٣] للملوك النصارى عند تتويجهم ، كما اضطلعوا بنقل العلوم الجغرافية من العربية إلى البرتغالية خلال الفترة من (٧٧٧-٧٨٧هـ/١٣٧٥-١٣٨٥م) عن طريق رسم الخرائط[٤] .

وفي عهد فردريك الثاني استغل اليهود الانفتاح العلمي والحضاري لهذا الملك من أجل تدعيم سلطته ضد الكنيسة ، فكثرت أعدادهم في مملكته وأصبح لهم حي خاص في مدينة بلرم يسمى «بورجيتو» ، ومن ثم ظهر منهم نقلة من العربية إلى اللغة اللاتينية[٥] .

لقد أدرك اليهود بشكل كبير مبكر دور التخصص وإتقان العمل في التحكم

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٤ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٩ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٩ .

(٣) قراءة الطالع : من المعتقدات القديمة التي لا يقرها الإسلام ، وهي ادعاء علم الغيب عن مستقبل الإنسان ومعرفة حاله ، وتنسب للطالع وهو أهم البروج التي تطلع من المشرق . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ٢٣٤ ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ١٥/٥١٠ .

(٤) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٦٤ ؛ شايندلين : اليهود في إسبانيا ، ١/٣١٣ .

(٥) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٢ ؛ ظاظا : الشخصية الإسرائيلية ، ٧٣ .

في المجتمعات والتأثير فيها ، فكان منهم العلماء والمفكرون والباحثون ، وفي ذلك يقول «يعقوب بن ماهير Jacob ibn mahir» -وهو أحد المترجمين البارزين في الأندلس- : «علينا أن نبين للأغيار مدى ما لنا من معرفة عميقة فلسفية حتى لا يقال إننا عراة من كل المعارف والعلوم ، وعلينا أن ننهج منهجهم خصوصاً نهج أكثرهم تفتحاً على المعارف ، إنهم ترجموا العلوم المختلفة من مختلف اللغات ، وترجموا منها حتى تلك التي لا تتفق وعقائدهم ، إنهم يحترمون العلوم وأهلها ، ولا يعنيهم ماذا يعتقد أصحاب تلك العلوم[١]» .

وهي نفس الفكرة التي أعادها هذا المترجم حين قال في مقدمة ترجمته لكتاب العناصر لإقليدس : «بما أن الهندسة هي أساس الرياضيات فإني ألزمت نفسي بترجمة هذا الكتاب حتى نتجنب تبكيت المسيحيين الذين يدعون بأن اليهود غرباء عن كل العلوم»[٢] .

وإذا كان هذا هو دافع المترجمين اليهود من عملية النقل فهذا أمر غير مستغرب على طبيعتهم الاستغلالية ، ولعل ذلك بسبب قلة مساحتهم البشرية ، واعتقادهم بالتميز ، وافتقادهم للقوة الحقيقية[٣] ، ولكن الغريب في الأمر هو انقلاب موازين القوى لدى الدول النصرانية ، والتي عرفت باضطهادها لليهود وبغضهم منذ أقدم العصور ، فعاشوا في الشتات ، ومنعوا من العيش في المجتمعات والشعوب التي كانوا تحت سيطرتها ، وكانت لهم أعمالهم الخاصة بهم ، وهي في مجملها تعتبر من أحقر الأعمال وأوضعها كتجارة الرقيق ، والصياغة ، وفتح الحانات والإشراف عليها ، وتحصيل الأموال لرؤساء الإقطاع وغيرها ، ثم ما لبثوا أن أصبحوا هم العنصر المفضل لدى النصارى بخلاف المسلمين خاصة في الأندلس ؛ حيث سمح لهم بالعيش داخل المدن بينما كان المسلمون يسكنون خارجها مثلما كان الوضع في

---

(١) شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/ ٥٣٠ .

(٢) نفس المرجع ، ١/ ٥٣١ .

(٣) السامرائي : اليهود والتحالف مع الأقوياء ، ٢٧ ؛ حسن ظاظا : أبحاث في الفكر اليهودي ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، ٩٧ .

سرقسطة سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) ، ثم انطبق الحال على مترجميهم الذين أثبتت أسماؤهم فيما نقلوه من ترجمات ، أو ما ألفوه عليها ، وكان منهم المستشاوين المقربون للملوك النصارى المهتمين بالترجمة ، بل كان منهم العلماء والموظفون العموميون والدبلوماسيون والقائمون على أمر ملك الدولة والنبلاء ، فما الذي جعل عنصر اليهود يحظى بكل هذه الميزات لدى الدول النصرانية؟

إن ظاهرة تقديم الدعم والعون من الدول النصرانية لليهود ترجع إلى التغلغل الذي حققه اليهود في البنية التحتية لهذه الدول ، ونحن نقصد بالبنية التحتية : الناحية الفكرية والاقتصادية تحديداً ، فهما كفيلتان بالإمساك بزمام الأمور إذا سقطت في أيديهم ، والنجاح الذي حققه اليهود في هاتين الناحيتين لم يكن وليد يوم وليلة كما أنه لم يكن من إبداعاتهم الشخصية ، إنما كان بفضل تعايشهم مع المسلمين والاستفادة من خبراتهم في كلا الناحيتين ، وهذه الخبرات أفرغت في قالب الشخصية اليهودية التي تميزت بالازدواجية الدينية[١] ، أو قل النفاق بشكل أصح منذ أقدم العصور حتى استطاعوا عن طريق هذا الشكل الأخير التغلغل في المجتمع النصراني وتحقيق مآربهم المرجوة .

فمن ناحية الاقتصاد استفاد اليهود من خبراتهم التي منحها لهم المسلمون في الأندلس ، ومن ثم تغلغلوا في المرافق التجارية والصناعية للنصارى الإسبان ، واستطاعوا بذلك أن يكونوا مركزاً مهماً من مراكز الثروة في البلاد ، وكان لهم قدرة على الإنتاج تنعدم لدى الشعب الإسباني في أمور المال ، مما اضطرهم إلى توكيل اليهود مهمة جباية الضرائب ، واستثمار الأموال ، كما أولوهم مسئولية تولي الخزانة الملكية ، ومن ثم أصبح لليهود دور كبير في تمويل القوات المحاربة للمسلمين ،

(١) عرفت الازدواجية الدينية لدى اليهود منذ وقت مبكر ، وقد ظهرت شخصيات يهودية من هذا النوع منذ صدر الإسلام ، من أبرزها شخصية عبالله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان له دور كبير في إحداث الفتنة التي أدت إلى استشهاد عثمان وما حدث بعدها من خلاف . أحمد بن عبدالله الزغيبي : العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ٤ أجزاء ، ٥٣٣/٢ .

وذلك من خلال براعتهم في تجارة الأسلحة(١) .

وقد وثق النصارى المحتلون باليهود أكثر من ثقتهم بالمسلمين الذين كانوا تحت حكمهم ؛ ذلك أن كثيراً من المسلمين آثر الخروج والهجرة إلى أرضٍ إسلامية ، ومن بقي منهم بقي بعزة الإسلام وكرامته التي تأبى عليه أن يكون خادماً للصليب ، أما اليهود فقد رضوا بالذل والهوان بل قنعوا بالاستعباد مقابل العيش في هذه الحياة ، الأمر الذي مكن لهم في العالم النصراني مع مرور الوقت .

أضف إلى ذلك أن العنصر الإسلامي في المنطقة كان يشكل قوة كبيرة يخشى منها ، بسبب قوة الدول الإسلامية المحيطة ، والتي كان بإمكانها مد يد العون له متى ما سنحت الفرصة ، وخاصة القوة العثمانية التي كانت تشكل آنذاك قوة إسلامية عالمية ضد النصارى ، أما اليهود فهم شرذمة قليلة منعزلة تابعة للملك مباشرة وبإمكانه القضاء عليها في أي وقت شاء(٢) .

وكل هذه الأسباب جعلت حماية الملوك النصارى لليهود أمراً مفروضاً ؛ إذ كانوا يعتبرونهم المصدر الأساسي المحرك للثروة الملكية ، ومنذ القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي أخذ أعضاء هذه الطائفة يتغلغلون في داخل إدارة البلاد ليمثلوا مصدراً أساسياً لها ، وقد سمح لهم ببناء المعابد لممارسة شعائرهم الدينية ، واعتلاء الوظائف بهدف تنمية المجتمعات ، واستصلاح الأراضي الزراعية ، كما استخدموا سفراء ومترجمين للتراث الإسلامي(٣) .

ومع احتدام شدة الصراع فيما بين الملوك الإسبان من جهة ، والكنيسة ورجال الدين النصارى والشعب من جهة أخرى حول ما يوليه الأولون من رعاية لليهود ظهرت عدة مواقف حاسمة للحكام النصارى في الدفاع عنهم ، منها موقف الملك فرديناندو الثالث وأسقف طليطلة اللذين وجها ضراعة إلى البابا بإلغاء قرار المجمع

---

(١) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٦٩ ؛ أحمد : يهود الأندلس والمغرب ، ١٨٨ ؛ سليمان ناجي : اليهود عبر التاريخ ، ط١ ، قدم له : سهيل زكار ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ١٢٤-١٢٦ .

(٢) درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ١٦ .

(٣) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٨٣ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ١٦ .

الكنسي الرابع المنعقد في لاثيرانس (lateranse) ، سنة (٦١٢هـ / ١٢١٥م) ، والذي يقضي بأن يحمل اليهود علامة تميزهم عن النصارى ، وعند محاولة تطبيق النظام في إسبانيا هاجت حارات اليهود وماجت ، وهدد بعضهم بمغادرة أماكنهم إلى جهة المور «المسلمين» ، فما كان من هذين الإثنين «الملك والأسقف» إلا أن يتوسطا لدى البابا بإلغاء القرار فيما يتعلق بقشتالة ؛ وذلك لأن متحصلات الخزانة تأتي في معظمها من الإسهامات اليهودية[1] .

وفي عام (٨٢١هـ/١٤١٨م) أَنَّبَ الملك فرديناندو الكاثوليكي رئيس دير سيبو في سرقسطة لتصرفاته العنيفة ضد اليهود بقوله : «هؤلاء هم كنزنا وميراثنا ، ومن واجبنا الدفاع عنهم من خلال رجالات جيشنا»[2] وهنا نرى إلى أي درجة كانت فكرة الطرد بعيدة جداً عن ذهن هؤلاء الملوك الذين حاولوا جاهدين كبح جماح مشاعر العداء التي يكنها الشعب النصراني وطوائفه الدينية ورجال الدين لليهود[3] .

إلا أنه مع استمرار الحكم النصراني في إسبانيا أخذت الحاجة للجماعات اليهودية تقل بسبب ظهور قوى نصرانية محلية قادرة على أن تحل محل اليهود كتجار دوليين ومحليين ، الأمر الذي رجح معه كفة الجانب الديني المتمثل في الكنيسة ورجال الدين مع ثورة الشعب العارمة ضدهم ، التي بدأت من عام (٧٩٤هـ/١٣٩١م) ، فتنصر من جرائها الألوف من اليهود ، وقد أطلق عليهم اسم «المارانوس marranos»[4] أي اليهود المتخفون ؛ ولأن هؤلاء المتنصرين كانوا

---

(١) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٧٤-٥٧٥ .

(٢) المرجع نفسه ، ٥٧٦ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) المارانوس : اختلف في أصل كلمة مارانوس فقيل إنها تحريف من كلمتين تبدأ بهما صلاة مسيحية بالآرامية ، هما : مارن - آث ، ومعناها أنت مولانا ، والخطاب بهما موجه إلى المسيح حيث كان يفرض على اليهودي الأندلسي الأصل أن ينطق بهما كثيراً لإبعاد الشبهة عن نفسه ، ثم أصابهما التحريف فصارتا : ماراناس ، ثم : مارانوس ، وهناك رأي آخر يقول أن أصل التسمية بالعبرية تعني كلمة موما ، أي : مارق ، وتضاف اللاحقة الإسبانية : أنو ، لتصبح مومارنو ، ثم صارت : مارانو =

متهمين بأنهم يهود سراً ، فقد عمل الشعب النصراني على عزلهم ومنع الامتيازات عنهم ، وبالتالي تمييزهم عن غيرهم من النصارى ، فأطلقوا عليهم لقب : «المارانوس اليهود أو الخنازير»[1] .

وهؤلاء اليهود المتنصرون أو المارانوس قد انقسموا بدورهم إلى صنفين أساسيين هما :

١ - صنف تنصر طواعية بسبب تدهور الحالة الروحية اليهودية ؛ وذلك نتيجة انتشار الثقافة والفكر العقلاني المتمثل في فلسفة ابن رشد ، واندماج كثير من اليهود فيه ، والذي كان له تأثير على إيمان النخبة الدينية اليهودية التي فقدت هويتها إضافة إلى ارتباط المصالح اليهودية بالغالبية النصرانية ، والرغبة في اعتلاء مناصب سياسية أو دنيوية ؛ لذا كان تنصر هؤلاء تنصراً فعلياً حفاظاً على مصالحهم .

٢ - أما الصنف الآخر فقد تنصر لأجل البقاء مع إبطان اليهودية ، فأصبحوا

=

وكلمة «مارانوس» في الإسبانية والبرتغالية والفرنسية تعني : المنافق والخائن والدنيء واللص والكذاب ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة .

ويرى البعض الآخر أن الاسم (marrano)مارانو يرجع إلى الكلمة العربية محرم وهو تعبير يطلقه المسلمون على حيوان الخنزير ، فعلى الرغم من أن كلا الديانتين الإسلامية واليهودية تحرمان تناول لحم الخنزير ، إلا أنه تم إطلاق لفظ المارانوس على كل المتنصرين الذين اعتنقوا النصرانية من خارج البلاد ، بينما أبطنوا ديناً آخر ، كما أطلقوه أيضاً على كل من يحرم على نفسه لحم الخنزير .

وورد في الموسوعة اليهودية في اشتقاق هذا الاسم عدة أقوال : فقيل إنها ترجع إلى «ماترانثا» وهي كلمة إسبانية معناها الملعون ، وأيضاً بمعنى المرائي ، وهي كلمة عربية معناها منافق ، ونجد مرادفاً لهذا المعنى في العبرية بتعبير «مارئيت عيين» ومعناه : «ظاهر للعين» ، بمعنى أنه يظهر النصرانية ، ويبطن اليهودية ، كما أطلق عليه في العبرية «محوّرام اتاه» ، ومعناه : أنت مطرود من حظيرة الدين .

ولم يكن هذا المصطلح شائعاً في الأوساط الرسمية ، ولم يرد في أي من الوثائق الرسمية ، وكلمة «مارانو» باللهجة العامية الإسبانية القديمة معناها «الخنزير» فتكون «مارانوس» صفة ذم لكل الذين دخلوا الدين النصراني وهم غير أوروبيين ولا ينحدرون من أصول لاتينية ، ويلاحظ أن ذلك المعنى كان يطلق على العرب الذين ظلوا في الأندلس بعد قيام النصرانية ودخلوا فيها . درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٢٠-٢١ .

(١) المرجع نفسه ، ٥ .

متنصرين في الظاهر ، يهوداً في الباطن ، ومنهم من عاش في إسبانيا بينما لجأ البعض الآخر إلى البرتغال التي منحتهم حق اللجوء المؤقت نظير ضريبة يقدمونها[١] .

وقد كسب اليهود المارانوس بعملهم هذا مزيداً من الثقة والحرية لدى الدول النصرانية ، فكانوا يقدمون لها كل الخدمات على الصعيد التجاري والمالي العالمي ؛ ولذا استمروا في التخفي حتى يستفيدوا من الفرص الاقتصادية المتاحة أمامهم ؛ إذ كان تهويدهم يعني فقدانهم إياها ؛ ولذا نجد أن كثيراً من المارانوس حرصوا على البقاء في شبه الجزيرة الأيبيرية بحثاً عن الفرص الاقتصادية ؛ وحفاظاً على أملاكهم من المصادرة ، مؤثرين ذلك على الهجرة إلى بلد بروتستانتي أو إسلامي يمنحهم حرية العبادة ولا يمنحهم الفرصة الاقتصادية ذاتها[٢] .

ومما يجدر ذكره أن اليهود في إسبانيا اشتهروا بممارستهم للطب ، وكانوا منتشرين في البلاط الملكي ، وكان النصارى على اختلاف طبقاتهم يلجأون إلى هؤلاء اليهود لعلاجهم ، وقد اعتاد الملوك الإسبان أن يكون لديهم أطباء يهود يطلق على أحدهم «الطبيب الخاص» ، منهم : «حاييم اللاوي» ، طبيب بدرو أسقف طليطلة خلال (٧٩٢هـ/١٣٨٩م) ، وسالمون بيتون ، طبيب الملكة إيزابيلا عام (٨٨١هـ/١٤٧٦م) ، وغيرهم[٣] .

كما تذكر الملفات الخاصة بمملكة أراغون وجود سبعة وسبعين طبيباً يهودياً خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، بينما ذكرت وجود خمسة وخمسين طبيباً في قشتالة ، هذا مع وجود القوانين التي تمنع النصارى من استخدام اليهود كأطباء لهم ، إلا أنه لم يكن هناك انسجام بين القانون ومجريات الحياة اليومية[٤] .

---

(١) درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٢٠ ، سعد البازعي : المكون اليهودي في الحضارة الغربية ، ط١ ، المركز العربي الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٧م ، ٤٦ .

(٢) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٦٠٥ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٨٢ .

(٣) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٦٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ٥٦٦ .

ولم يكتف اليهود بذلك بل نجدهم قد شاركوا في التعليم للنصارى ، فكان الملوك والنبلاء الإسبان يعهدون إليهم بمهمة تربية أبنائهم تربية علمية وأدبية .

بل كان منهم خازنوا مكتبات للملوك ، وعلماء يسدون النصح ، ويبدون الآراء في كثير من الأمور ، حتى إن الملك فرديناند الخامس أحاط نفسه باليهود المتنصرين ، ومكنهم من شغل مناصب حساسة في بلاطه ، فكان عدد منهم أعضاء في المجلس الملكي ، وكان سكرتيره وقائد أسطوله البحري من هؤلاء اليهود المتنصرين ، بل إن زوجته إيزابيلا كانت تدلي باعترافاتها أمام قس نصراني من أصل يهودي ، وقد استعان هذان الملكان بالمارانوس اليهود في تمويل حروب الملكية الكاثوليكية ضد المسلمين حتى تمكنوا من طردهم سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م)[١] .

ومن الأمور المدهشة التي قام بها هؤلاء اليهود المتنصرون حرصاً على ممتلكاتهم ، وحفاظاً على مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية في الدولة ، واستمراراً لمراءاتهم للملوك والنبلاء ورجال البلاط النصارى ، أنهم قاموا بخيانة ذويهم من أبناء ملتهم تقرباً للملوك ؛ حيث قاموا بتشجيع المذابح التي كانت تقع ضدهم ، ورأو في هذه المذابح الانتقام الإلهي من اليهود الذين أهدروا دم المسيح ، وكان على رأس هؤلاء الحاخام اليهودي سليمان آل ليفي[٢] . والذي حول اسمه إلى «باول دي

(١) درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٤٠ .

(٢) ولد في برغش سنة (٧٥١هـ/١٣٥٠م) ، وكان حاخاماً يهودياً ثم أصبح أسقفاً نصرانياً ، وعمل أستاذاً في اللاهوت في باريس عام(٧٩٩هـ/١٣٩٦م) ، وكان كاهناً قانونياً في برغش ، وقساً خصوصياً لأنريكي الثالث ، وصديقاً مقرباً للبابا بندكت الثالث عشر ، وحظي بمكانة رفيعة عند الملك أنريكي الثالث ، وكان ضليعاً في التلمود ، ووصل لرتبة كبير أساقفة قرطاجنة ، ومستشار في بلاط الملك هنري الثالث في قشتالة ، بعد أن كان حاخاماً يهودياً ، واشتهر بمهاجمته للتلمود ، وتأليفه حكايات مليئة بالسخرية عن رباني إسبانيا ، وهو من أبرز الشخصيات التي مثلت تناقضاً واضحاً وازدواجاً بيناً في طبيعة الشخصية اليهودية والقدرة الفائقة على التلون ، فهو الحاخام اليهودي ، والكاهن النصراني في نفس الوقت ، واليهودي المطارد لشعبه ، والنصراني الموالي للكنيسة ، حيث تحول إلى النصرانية هو وأفراد عائلته –أبناؤه الأربعة وابنته وإخوته الثلاثة وزوجته- في عام (٧٩٣هـ/١٣٩٠م) ، فأصبح كاهناً نصرانياً وأسقفاً . كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٦٠٥ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٨٤ .

سانتا ماريا» ، ثم ترقى إلى منصب أسقف وطارد إخوانه في الدين دون هوادة[١] .

وقد سافر باول إلى باريس عام (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) ؛ حيث أصبح قسيساً ، ونال حظوة لدى البابا ، ثم بدأ حملته ضد اليهود محاولاً إقناع ملك أراغون بأن يصدر قوانين معادية لليهود ، ويلاحظ أن معظم القوانين الصادرة ضد اليهود عام (٨١٥هـ/١٤١٢م) قد استلهمت وكتبت على يديه أثناء حكمه على قشتالة ؛ حيث هاجم رجال الدين اليهودي ووصفهم بالجهل[٢] .

ومن الغريب أن باول كان يردد دائماً أن كافة النصارى الجدد هم «أهل شر» ، ويشير إليهم بأنهم أعداء سيطر عليهم الشيطان ، إلا أنه على ما يبدو قد رأى أنه الطريق الوحيد لوصوله إلى درجة رفيعة في القصر الملكي ، فاستطاع أن يحيط تنصره بسياج من التأكيد على إخلاصه للدين الجديد[٣] .

ومع اشتداد وطئة محاكم التفتيش لاسيما بعد سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) ، والتي أخذت تفتك بالمسلمين وباليهود معاً ، تركزت هجرة اليهود المارانوس إلى دول أوروبا ، خاصة فرنسا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا ، حاملين معهم الثروة العلمية ، والثروة المالية التي جمعوها من حاضرة الأندلس ، والثروتان معاً أسستا قاعدة التغلغل اليهودي في المجتمعات الأوروبية ، وقد وصل هذا التغلغل إلى الكنيسة نفسها ؛ حيث احتلت بعض أفراد الأسر اليهودية منصب البابوية في روما كأسرة بيرليوني (Berlioni)[٤] التي كان من بين أفرادها البابا جريجوري السابع ،

---

(١) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٦٠٥-٦٠٦ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٨٤ .

(٢) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٦٠٨ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٨٤ .

(٣) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٦٠٨ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٨٤ .

(٤) بير ليوني : هي إحدى العائلات اليهودية المنحدرة من طبقة النبلاء ، أصحاب الأملاك الشاسعة في روما وما حولها ، وسيطرتها على المدينة منذ أيام القياصرة ، وكان عميد الأسرة يدعى باروخ ، وهو رجل غني يعمل بالصيرفة ، الأمر الذي جمع معه ثروات طائلة ، وكانوا يسكنون في الحي اليهودي بروما حتى سنة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) عندما تحولت هذه العائلة إلى النصرانية ، ومن ثم لعبت دوراً كبيراً في أوروبا وفي الكنيسة . انظر : واكيم برنز : بابوات يهود ، من غيتو روما ، ترجمة : سهيل زكار ، دار قتيبة ، ٢١-٣٧ .

(ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م) (Gregory vII)[1] ، أنوسنت الثاني (Innocent II) (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)[2] ، وقد أسهما في نمو الكنيسة[3] ، وبوجه عام فقد وجد اليهود المارانوس المطروطون من محاكم التفتيش الكاثوليكية ملجأً في الدول والمدن التي واكبت ظهور البروتستانتية بها ، فلم تعد هذه الجماعة اليهودية تنفرد بكونها أقلية دينية في المجتمع ؛ إذ كانت توجد الفرق البروتستانتية في الدول الكاثوليكية ، والفرق الكاثوليكية في الدول البروتستانتية التي كان أعضاؤها يواجهون رفضاً ومقاومة عنيفة أكثر من تلك التي كان يواجهها أعضاء الجماعة اليهودية[4] .

وقد أكدت البروتستانتية الجانب العبراني في النصرانية على حساب ما وسمته بأنه الجانب الهيليني أو الوثني ، وهو ما خلق تعاطفاً مع اليهود ومع الثقافة الدينية اليهودية ، فأصبحت الأدبيات الدينية اليهودية تحتل الموقع الممتاز في معركة الإصلاح الديني الذي طرح فكرة الإيمان بأن اليهود هم الأمة المفضلة ، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله ، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام[5] .

وتكريساً لهذا التحول أصبح العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة النصرانية وبلورتها ، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود ، كذلك اعتبرت اللغة العبرية -باعتبارها اللغة التي أوصى بها الله ، واللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار- هي اللغة المعتمدة للدراسات

---

(١) جريجوري السابع ، القديس : ولد في توسكانيا بإيطاليا ، وكان اسمه هيلدبراند ، ثم عين بابا سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) ، وقام بتجديد العمل بمراسيم البابوية ، وحصل الخلاف الشهير بينه وبين هنري الرابع . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٧٩/٨ .

(٢) أنوسنت الثاني : انتخب سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) ، حتى وفاته . ديورانت : قصة الحضارة ، ٥٩/١٦ .

(٣) محمد السماك : الصهيونية المسيحية ، ط٤ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ٣٣ ؛ درويش : أسرار اليهود المتنصرين ، ٣٢ ؛ المسيري : الموسوعة اليهودية ، ٤٢٦/١ .

(٤) المسيري : موسوعة اليهود ، ٢١٦/١ .

(٥) السماك : الصهيونية المسيحية ، ٣٤ ؛ المسيري : موسوعة اليهود ، ٢١٥/١ .

الدينية .

ومن خلال ذلك تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية الجديدة ، ومنذ القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي تجاوزت اليهودية حدود العقيدة الدينية ، وأصبحت رمزاً للقومية ، حتى الكتاب المقدس –العهد القديم- تحول منذ ذلك الوقت المبكر من كتاب دين إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلهي بالأرض المقدسة للشعب اليهودي المختار[١] .

هذه المعتقدات الدينية النصرانية أصبحت جزءاً من عقيدة الكنيسة البروتستانتية الجديدة ومن جوهر طقوسها ، ومن خلالها تحولت إلى قاعدة عامة للتربية الدينية ، خرَّجت أتباعاً لها ومؤمنين بها من رجال السياسة والأدب والفكر الذين التفتوا بدورهم إلى الدراسات اليهودية وإلى اللغة العبرية وما كتب بها من مؤلفات كانت في أغلبها مترجمة عن العربية أو مأخوذة من مؤلفات المسلمين مباشرة[٢] ، وعليه فالمترجمون اليهود أخذوا يرتقون في الفكر الأوروبي بالعلم والمال الذي حصلوه من عيشهم مع المسلمين حتى صعدوا إلى أعلى المراتب في أوروبا ، واستطاعوا بالتالي تبني تأسيس حضارتها الحديثة ، وإن لم يكن لهم الفضل المباشر في ذلك ، إنما كان بفضل المسلمين الذين منحوهم حياة هادئة وادعة استطاعوا خلالها إبداع ما لم يبدعوه في حياة أخرى .

(١) السماك : الصهيونية المسيحية ، ٣٥ .

(٢) السماك : الصهيونية المسيحية ، ٣٨ .

أما عن أبرز المترجمين اليهود فهم على النحو التالي :

١ - إبراهيم بن عزرا (Abraham Ibn Ezra) (ت حوالي ٥٦٠هـ/١١٦٤م) :
وهو الرحالة المشهور الذي سبق الحديث عنه ، وكان يعرف بابن الماجد ، وربما أنه من المنتمين لمدرسة طليطلة ، وكل ما يهمنا عنه هنا هو أنه كان من أول من نقل من العربية إلى العبرية ، فساعد بذلك على نشر تراث المسلمين بين يهود أوروبا ، ومن ثم إلى الغرب الأوروبي[١] .

ومن أهم ما نقل إلى العبرية : ثلاث رسائل في النحو ليهودا حيوج ، (Judah Hayyuj) ، (عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) ، وهي : كتاب الأفعال ذوات حروف اللين ، وكتاب الأفعال ذوات المثلين ، وكتاب التنقيط[٢] ، كما ترجم رسالتين في التنجيم لما شاء الله ، وشروح البيروني على جداول الخوارزمي ، وذلك سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م) ، وهذه لم تعرف إلا عن طريق ترجمة ابن عزرا لها[٣] .

أما عن مؤلفات ابن عزرا التي أوصل تراث المسلمين من خلالها إلى الغرب فمن أهمها :

كتابه في النحو بعنوان : «ميزان اللسان المقدس» ، ويعرف اختصاراً بـ«الميزان»[٤] ، وتعتبر مقدمة الكتاب التي ذكر فيها خمسة عشر نحوياً من الآثار الأولى في التأريخ للنحو العبري .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ٢٥٠ . Meyerwaxman:the history of jewish literature,u.s.A,١٩٣٠,vol,I,١٧٧.

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ٢٤٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٧/١ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ،٣٧٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٧/١ .
Haskins:studies in the history of mediaval science,٧٤.

(٤) طبع الكتاب لأول مرة في البندقية ، سنة ١٥٤٦م . انظر : شحلان : التراث العبري ، ٢٤٥ ، هامش ،٨ .

وله أيضاً كتاب في النحو اسمه : «اللغة الفضلى» ، وكتاب «الفصاحة»[١] في اللغة وأوزان الشعر ، وكتاب حساب السنين[٢] ، وكتاب الأعداد[٣] ، ولغة البيان[٤] ، وكتاب الرخامة[٥] ، وكتاب أس الأعداد[٦] ، وكتاب الواحد[٧] .

أما مؤلفاته في علم النجوم فهي : رأس الحكمة[٨] ، وكتاب النقط[٩] ، وأحكام منازل النجوم ، وكتاب المنتخبات[١٠] ، وكتاب المنيرات[١١] ، وكتاب العالم[١٢].[١٣]

ويعتبر ابن عزرا أول من نقل إبان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تراث حي بن يقظان -كما أورده ابن سينا- إلى الغرب الذي تنقل ابن عزرا بين مدنه ، فهو أول من نظم قصة حي بن يقظان لابن سينا في شعر باللغة العبرية[١٤] .

وقد تميزت كتابات ابن عزرا بالوفرة ؛ إذ قيل إنه حبّر حوالي مائة وثمانين تحبيراً

---

(١) طبع بعناية ج.هـ.ليفمن في فيوريدا سنة ، ١٨٢٧م . المرجع نفسه ، ٢٤٦ ، هامش ، ١١ .

(٢) نشر بعناية شلمة حاييم ، سنة ١٨٧٤م ، نفس المرجع والصفحة ، هامش ، ١٢ .

(٣) نشر بعناية فرانكفورت سنة١٨٩٥م ، نفس المرجع والصفحة ، هامش ، ١٣ .

(٤) طبع بعناية ج.هـ.ليفمن في فيوريدا سنة ، ١٨٣٩م ، نفس المرجع والصفحة ، هامش ، ١٤ .

(٥) لعل هذا الكتاب هو ترجمة له ، وليس من تأليفه ، نفس المرجع والصفحة .

(٦) طبع في فيينا سنة ١٨٦٣م . شحلان : التراث العبري ، ٢٤٦ ، هامش ، ١٧ .

(٧) طبع في أديسا سنة ١٨٦٧م ، المرجع نفسه ، ٢٤٦ ، هامش ، ١٨ .

(٨) نشر سنة ١٩٣٩م ، المرجع نفسه ، ٢٤٧ ، هامش ، ١٩ .

(٩) نشر في القدس سنة ١٩٥١م ، نفس المرجع والصفحة ، هامش ، ٢ .

(١٠) نشر سنة ١٩٣٩م ، نفسه ، هامش ، ٢١ .

(١١) نشر في بوخرست سنة ١٩٣٢م ، نفسه ، هامش ، ٢٢ .

(١٢) نشر سنة ١٩٣٧ ، نفسه ، هامش ، ٢٣ .

(١٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧٧-٣٨٧ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٧ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٣/١٠٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ٢٤٦-٢٤٧ . waxman:the history of jewish literature,١٨٧ .

(١٤) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٣/١٠٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ٢٤٩ ؛ عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٨٣ .

غير أنها اتسمت بالاختصار في معظمها ، ولعل ذلك كـان نتيجـة لكثـرة ترحالـه ؛ ولأنه كان يكتب ليجيب عن قضايا كان يثيرها تلامذته وبعض أصدقائه ، ومعظـم مؤلفاته لم تكن إضافات جديدة وإنما منقولة عن المعـارف العربيـة الإسـلامية التـي كانت تمثل في ذلك الوقت أوج ما وصل إليه الفكر الإنساني ، وحتى إبداعه الجريء في التفسير ونقد التوراة كان صدى للتجديد الذي جاء به ابـن حـزم في الدراسـات الدينية المقارنة ، كما عدت أعماله الخاصة بالنحو واللغة العبريـين ذات أهميـة كـبرى باعتبارها أولى التآليف العبرية التي نقلت علم النحو واللغة العبريين المكتوبة أصـلاً بالعربية وعلى منهج المسلمين إلى يهود أوروبا ، أمـا أعمالـه الأكثـر تـأثيراً في الثقافـة الغربية عامة ، وفي الفكر النصراني خاصة فهي كتبـه الفلكيـة والرياضـية والعدديـة التي ترجمت مبكراً إلى اللغة اللاتينية وإلى لغات أخرى[١] .

أما عن توجه هذا الناقل فهو في أغلب الظن ذو توجـه دينـي ؛ لأنـه في أصـل ديانته كان ذا منزلة دينية عالية ؛ حيث كان من كبار الحاخامات اليهود ، وقـد ألـف -كما رأينا- مؤلفات عدة في شروح التوراة ، ودانيـال ، والمـزامير ، وإذا كـان بهـذه المكانة الدينية بين أبناء ملته فهي ولا بد أن تؤثر في توجهـه الشخـصي إلى الثقافـات الأخرى ، لا سيما الثقافة الإسلامية ، فنجده كان من أبرز المنادين إلى سـلامة اللغـة العبرية وقدسيتها وحفظها من كل دخيل ، ونقـاوة أو تجريـد الفكـر اليهـودي مـن الثقافة الإسلامية وحصره في حدود علم الأحبار[٢] ، وكأنه بهذا المبدإ يظهـر تنكـره لتأثير المسلمين على ثقافته ، محاولاً إخفاء فضلهم في انتشال اليهـود مـن الجهـل إلى عصرهم الذهبي في الإسلام .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ٢٤٧-٢٤٩ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٣/ ١٠٠ ؛ شحلان : الـتراث العـبري ،٢٤٦ ؛ شـحلان : ابـن رشـد والفكر العبري الوسيط ، ١/ ٥٣١ .

٢ - إبراهيم برحيَّا ، (Abraham Barhiyya) (ت بعد ٥٣٢هـ/١١٣٧م)[١] :

والـذي كـان يـسمى غالبـاً بحكـم وظيفتـه سافاسـوردا (savasorda) أي : صاحب الشرطة ، وهو مترجم عاش في برشلونة ، ولا نعرف عـن حياتـه الكثـير ، وكل معلوماتنا التي تتناول شخصيته من خلال كتاباته ، فهو لم يكن ناقلاً فقط إنـما كان مؤلفاً أيضاً ، وترجماته التي اضطلع بهـا شـملت اللغتـين العبريـة واللاتينيـة ، فكان ينقل إليهما من اللغة العربية[٢] .

وكثيراً ما اقترن اسم إبراهيم برحيا باسم أفلاطون التيفولي ؛ إذ اشـتركا سـوياً في ترجمة مجموعة من المؤلفات ، وقـد نقـل أفلاطـون إحـدى مؤلفـات إبـراهيم إلى العبرية ، ومن المحتمل أن أفلاطون تعلم العبرية والعربية على يد برحيا الـذي كـان يتقنهما ، وقد عدَّه البعض بأنه منشأ لغة العلم في العبرية[٣] .

بالإضافة إلى ما نقل إبراهيم من مؤلفات من العربية إلى اللاتينية بالتعـاون مـع أفلاطون التيفولي وآخرين ، نجده ترجم من العربية إلى العبرية رسالة في الموسيقى ، وجميع مؤلفاته ألفها بالعبرية ، واستقى مادتها كلياً من مـصادر عربيـة ، مـن أهمهـا كتابه عن «الهندسة التطبيقية» ، ألفـه سـنة (٥١٠هــ/١١١٦م) ، ونقلـه أفلاطـون التيفولي إلى اللاتينية سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، وكان لهذا الكتـاب أعمـق الأثـر في الغرب ؛ إذ إنه كان يحوي الحل الكامل للمعادلة من الدرجة الثانية[٤] .

---

(١) انظر عن ترجمته : ميلي : العلم عند العـرب ، ٣٨٤ ؛ مـايرز : الفكـر العـربي ، ١٠٠ ؛وات : فـضل الإسلام ، ٥٢-٥٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٦٧ ؛

Leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٧-٣٨٩ , Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦٠.

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٨٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛وات : فضل الإسلام ، ٥٢-٥٣ .

Leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٧ .

(٣) ميلي : العلم عنـد العـرب ،٣٥٨ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١/ ١١٤ ؛ سويـسي : انتقـال العلـوم العربية ، ١٠٥ ؛

Leclerc:histoire de la medecine arabe,II,٣٨٩ , Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٦٠.

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠١ ؛ سويسي : انتقال العلـوم العربيـة ، ١٠٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٦٧ ؛

Leclerc:histoire de la medecine arabe,II, ٣٨٧.

٣ - يوسف بن إسحاق قمحي ، (Joseph bin Isaac qamhi) (٥٦٦هـ/١١٧٠م)[١] ، ويسمى أيضاً الأستاذ الصغير ، ولد في جنوب الأندلس سنة (٤٩٩هـ/١١٠٥م) ، ونبغ على الخصوص في نربونه ، وهو نحوي ، ورجل دين ، وناقل من العربية إلى العبرية ، وقد تابع نشاط إبراهيم بن عزرا وإبراهيم برحيا في نقل الفكر العبري اليهودي إلى أوروبا .

ومما ترجم من العربية إلى العبرية كتاب الهداية إلى فرائض القلوب تأليف يحيى بن يوسف (النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ، وترجم أيضاً شعراً منظوماً باللغة العبرية لكتاب الجواهر لابن جبيرول[٢] .

٤ - يهودا شاؤول ابن طبون (Judah Ibn Tibbone) (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م)[٣] ، وهو عميد أسرة آل طبون ، والمؤسس الحقيقي لمدرستهم في النقل والترجمة ؛ ولذا فقد أطلق عليه بأبي النقلة اليهود ، وقد ولد في غرناطة سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) ، ونبغ بها واستمر بقاؤه حتى حوالي (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، ثم سافر إلى إقليم البروفانس ، واستقر به حتى وفاته[٤] .

وقد نقل عدداً من الكتب العربية إلى العبرية بين سنتي (٥٥٧-٥٨٦هـ/١١٦١-١١٩٠م) ، وأدخل إلى اللغة الأخيرة عدداً من المصطلحات العلمية الجديدة ذات الأصل العربي[٥] ، ومن أهم ما ترجم ما يلي :

كتاب الأمانات والاعتقادات تأليف سعديا الفيومي (ت

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٥-٩٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٥-٩٦ .

(٣) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/١٩٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٦-٩٧ ؛ زبيدة عطا : اليهود في العالم العربي ، دراسة تاريخية ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ١/٢٥٠ .

(٤) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/٤٨٨ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٦ .

٣٣٢هـ/٩٤٣م)[(١)] ، وكان ذلك حوالي سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م) ، وكتاب إصلاح الأخلاق لابن جبيرول ، وكتاب مشكاة الجواهر لنفس المؤلف ، ولكن ليس هناك براهين كافية على أنه قام بهذه الترجمة .

وكتاب ابن جناح (ت ق٥هـ/١١م)[(٢)] المسمى كتاب اللمع ، وهو كتاب في القواعد نقله سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) ، وكتاب آخر للمؤلف بعنوان الأصول ، وهو قاموس عبراني ، وكتاب الحجة ليهودا بن لاوي ، ترجمه سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م) ، كتاب الهداية إلى فرائض القلوب ليحيى بن يوسف ، نقله حوالي (٥٦٤هـ/١١٦٨م) ، وقد حجبت هذه الترجمة ترجمة نفس الكتاب التي قام بها يوسف قمحي[(٣)] .



(١) سعديا الفيومي : ولد سعديا بن يوسف في مصر في قرية الفيوم ، ويدعى أيضاً سعديا جاءون ، انتقل إلى فلسطين ، ثم إلى العراق ، وألف عدة مؤلفات ، وترجم التوراة إلى العربية . المسيري : موسوعة اليهود ، ٣٨/٢ .

(٢) ابن جناح : أبوالوليد مروان ، ولد بقرطبة ، وتعلم العربية ، وكان له عناية بالطب واللغة العربية والعبرية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٨ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١١٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٩٦/١-٩٧ .

٥ - صمويل بن يهودا بن طبون : (samuel Ibn Tibon)

(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[١] ، يرجح أنه ولد بلونل(Lunel) سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، واستقر بها طويلاً ، ثم أخذ يتنقل بين آرل ومرسيليا وطليطلة وبرشلونة ، وربما زار الاسكندرية كما اتضح من بعض خواتم ترجماته[٢] .

ويعتبر صمويل من أشهر التراجمة في عصره وأجودهم ترجمة ، فقد خلف والده في هذا المجال ، وكان قد أوصاه قبل موته بأن يقرأ كثيراً في العربية لكي يحافظ على المكتبة الضخمة في العربية والعبرية والتي سيورثها له ، وأن يترجم منها قدر ما يستطيع ، وإلى جانب ذلك فقد كان فقيهاً في شرعته ، فيلسوفاً ، ويعزى انتشار فلسفة ابن ميمون في الغرب إلى جهوده[٣] .

وأول ترجمة قام بها صمويل هي جمعه لنصوص فلسفية لعدد من أشهر الفلاسفة وبشكل خاص ابن رشد ، ونقله لها إلى العبرية في كتاب أسماه «آراء الفلاسفة» ، وقد استعمل هذا الإنتاج باعتباره متناً متداولاً حتى حلت الترجمات الكاملة للنصوص ذاتها مما أدى إلى وضع هذا الكتاب خارج الاستعمال[٤] .

ثم نقل إلى العبرية الكتب التالية :

الفن الصغير لجالينوس مع شرح علي بن رضوان ، أتم هذه الترجمة سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) ، الآثار العلوية لأرسطو ، واعتمد فيه النص العربي الذي نقله يحيى بن البطريق ، وعلق عليه هو نفسه ، كما أضاف إلى تعليقه بعض أقوال

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥-٤٦٦ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ١٩٧/٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ،١١٤ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٦/١-١٢٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ٤٨٩/١-٤٩٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ،١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ٤٨٩/١ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ،١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٦/١ .

(٤) أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٥-٢٧٦ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الإسلامي ، ٥٠٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٦/١ .

الإسكندر الأفروديسي[١] ، وكان الفراغ من الترجمة على ظهر إحدى السفن سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) عندما كان راجعاً من رحلته من الإسكندرية[٢] .

ومما ترجم أيضاً : ثلاث رسائل لابن رشد من تلخيصاته الفلسفية ، وكتاب الإسكندر المقدوني[٣] وتاريخه ، وهو كتاب كتب أصلاً بالإغريقية ، ويعتقد أنه لبطليموس ، وكانت له شهرة في العصر الوسيط ، وتوجد له ترجمة عبرية أخرى ، أنجزها يهودا الحريزي اعتماداً على نص لاتيني ، وهي غير جيدة ، أما ترجمة صمويل فقد اعتمدت النص العربي ، وكتاب دلائل الحائرين لابن ميمون ، ترجمه سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ، ونال الكتاب شهرة واسعة بفضل هذه الترجمة ، وتفسير الألفاظ الغريبة لنفس المؤلف ، أتمها سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) ، وهو شرح للألفاظ الغريبة الواردة في مؤلف ابن ميمون دلائل الحائرين ، كما ترجم لابن ميمون عدداً من الرسائل الأخرى[٤] .

ولصمويل مؤلفات خاصة منها : آراء الفلاسفة الآنف الذكر ، وشرح فلسفي لسفر الجامعة ، وهو الشرح الذي ألحق به ترجمته لاتصال العقل المجرد بالإنسان ، ومقالة لتجميع المياه ، وهي شرح فلسفي للآية الأولى والتاسعة من سفر التكوين في واحدٍ وعشرين فصلاً ، ومجموعة رسائل جلها بالعربية ، ومعظمها مراسلات خص بها موسى بن ميمون[٥] .

وتتجلى أهمية صمويل في توجهه العلمي ؛ إذ إنه كان أول المترجمين الذين

---

(١) الإسكندر الأفروديسي : من فلاسفة اليونان ومفكريهم ، متقناً للعلوم الحكمية والطبيعية ، له مؤلفات كثيرة . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ١٠٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٤ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ١٩٧/٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٧/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ٤٩٠/١ .

(٣) الإسكندر المقدوني : ويسمى الأكبر ، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ، أحد كبار القادة العسكريين في التاريخ ، اشتهر بفتوحاته . الموسوعة العربية العالمية ، ٢١/٢ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٢٧/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ٤٩٠/١

(٥) رينان : ابن رشد والرشدية ، ١٩٧/٢ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ٤٩١/١ .

اعتبروا الترجمة مسؤولية يجب ألا يستهان بها ؛ ولهذا كانت معظم مراسلاته مع موسى بن ميمون تدور حول هذا الموضوع ، ومن أجل هذا عد صمويل أحد العارفين بلغة ابن ميمون ، ولعل وقوفه عند بعض المسائل المبهمة في كتابات هذا الأخير هو الذي جعله يخصص النص التوراتي بتفاسير فلسفية اعتمدت الأرسطية المعروفة إذ ذاك ، من ذلك مسألة العناصر الأربعة ، ومسألة بدء العالم ونهايته ، وقصة الخلق ، وهل يحق للعامة أن تطَّلع على حقيقة النص أم لا؟ ورأي الأحبار والفلاسفة في العقول المفارقة ، ومسألة تنبؤ الأنبياء والعناية الإلهية ، وغيرها من المسائل[1] .

وإذا كان هذا التوجه العلمي الواضح للمترجم صمويل فهو يتركز على الفكر اليهودي المتأثر بالحضارة الإسلامية ، أما عن توجهه الخاص في ترجمة علوم المسلمين فهو أمرٌ لا نستطيع بيانه لأنه أصلاً ركز على علوم فلسفية ، ومؤلفات ذات لغة عربية كتبت بالعبرية لعلماء يهود ؛ لذا فهو ساهم في نقل الفكر العربي عن طريق هذه المؤلفات ولكن توجهه كان علمياً في مجال تخصصه ودينه ، فهو كان يعتمد على ابن رشد في كثيرٍ من آرائه ، وشروحه وتفاسيره التوراتية .

٦ - يهودا بن سليمان الحريزي ،

(ت حوالي ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[2] ، المولود -غالباً- في غرناطة سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) ، وارتحل إلى عدة بلدان مثل المشرق وفرنسا ، وترجم الكثير من الكتب من العربية إلى العبرية ، وذاع صيته كأول مؤلف للمقامات الأدبية باللغة العبرية[3] ، وكان من أهم ما ترجم :

رسالة تنسب إلى جالينوس في النفس سنة(٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، ورسالة

---

(١) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩١-٤٩٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٦-٤٠٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٩ ؛ عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٩٢ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في الأدب ، ٩٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في الأدب ، ٩٠ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١٢٢ . waxman:the history of jewish literature,٢٣٨

أخرى تنسب إلى جالينوس أيضاً ، كتاب حنين بن إسحاق المعروف باسم : آداب الفلاسفة ، فقد أصله العربي ، رسالة في التربية ، وهي رسالة أخلاقية تنسب إلى أرسطو شرحها علي بن رضوان ، مقامات الحريري ، ولم يبق من هذه الترجمة إلا القسم من المقامة الأولى ، والمقامات الست والعشرون التالية لها ، وكتاب السراج لابن ميمون نقل قسماً منه فقط ، كتاب دلائل الحائرين لابن ميمون[١] ، وقد كان صمويل بن طبون قد نقله إلى العبرية قبل فترة قصيرة . ويبدو أنه استخدم في ترجمته هذه نصاً لاتينياً ، ولجأ فيها إلى ما يسمى بالأسلوب الحر ، وقد انتقدت هذه الترجمة كثيراً وأهملت ، وحل محلها ترجمة ابن طبون ولكنها مهمة ؛ لأنها نقلت فلسفة ابن ميمون إلى الغرب ، وكان الأساس الذي استندت إليه الترجمة اللاتينية المجهولة المؤلف لنفس الكتاب تلك الترجمة التي استعملها كثيرٌ من المؤلفين اللاتين ، وكانت هي الأصل للترجمة القشتالية للكتاب ، والتي أنجزها بدرو الطليطلي ، ورسالة في البعث لابن ميمون ، ويبدو أنها نقلت أولاً من العربية إلى العبرية على يد صمويل بن طبون ، ثم نقلها من العبرية إلى العربية ابن جول ، وأخيراً نقلها الحريزي من العربية إلى العبرية[٢] ، وكتاب الأخلاق لأرسطو ، وكتاب السياسة لأرسطو[٣] .

أما عن أهم مؤلفات يهودا فهي المقامات التي عارض بها مقامات الحريري ، وجعلها باللغة العبرية ، وكان يهودا قد بدأ بترجمة مقامات الحريري إلى العبرية ، ولكنه ما لبث أن انصرف عن هذا العمل قبل إتمامه مؤثراً أن يؤلف كتاباً أصيلاً في معارضة المقامات بعنوان : «تَحْكِمُوني» الذي كتبَ جانباً منه شعراً ، وجانباً آخر بالنثر المسجوع ، واجتهد فيه لتقليد أسلوب مقامات الحريري وموضوعاته ، وقد بدأ كتابتها في الشام ، وهي تتضمن خمسين مقامة ، يروي هذه المقامات «هيمان هاازراحي» ، وبطل المقامات «حبر هاقيني» ، وهما اسمان اقتبسهما الحريزي من العهد القديم . وفي هذه المقامة أثبت الحريزي أنه أديب ممتاز يستطيع أن يتلاعب

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٩

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٠ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/٤٩٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٠ .

بالألفاظ ويحسن استعمال المحسنات اللفظية والبديعية ، وتشتمل مقاماته على فكاهة وفلسفة وحكم وأمثال ، ومما زاد في أهميتها اشتمالها على مقامتين ضمنهما تأريخ الأدب العبري في الأندلس ، وقد جمع الحريزي في المقامة الأخيرة مجموعة من أشعاره التي قرضها في مناسبات مختلفة[١] .

إضافة إلى ذلك فقد كتب الحريزي مقامة بالعربية بخط عبري يسرد فيها رحلته إلى المشرق الإسلامي ، وتنقله بين مدنه[٢] .

والظاهر من سيرة الحريزي ومؤلفاته أنه لم يكن لديه شيء غير الاشتغال بالأدب والترجمة ، فرحل من أجلهما إلى المشرق والمغرب ، ولكننا لو حققنا في الأمر لوجدنا أنه كان يطلب من هذين العملين كسب المال ، فكان يتجول ليترجم ما يطلب منه ، ويمدح كل من يغدق عليه ، ويهجو كل من يمسك عنه ، حتى إنه عقد العزم في أواخر أيامه أن يقوم برحلة إلى المشرق ليمدح أثرياء اليهود أملاً في الإغداق عليه ، فزار مصر والشام والعراق ، وكان في كل بلد يحل بها يمدح وجهاء اليهود فيها ، وفي الشام بدأ كتابة مقاماته بالعبرية ليهديها إلى من يمدون له يد المساعدة المالية[٣] .

وإذا كانت جهود الحريزي هذه كلها من أجل المال كما هو دأب اليهود وديدنهم فإنه لم ينس أيضاً توجهه الديني وإيقاظ همته فيه بواسطة الترجمة ؛ حيث إنه حرص في ترجمته لمقامات الحريري أن يصبغها بصبغة يهودية ، بمعنى أنه لم يتقيد بالنص العربي الأصل الذي يشير أو يقتبس آيات القرآن الكريم أو أمثالاً أو تقاليد إسلامية ، أو أسماء لقبائل أو شعراء عرباً[٤] .

---

(١) عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٩٢-٩٣ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في الأدب ، ٩٠ ؛ شايندلين : اليهود في إسبانيا المسلمة ، ١/٣١٤ .

(٢) عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٩٤ .

(٣) عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٩٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ٩٢ .

٧ - إبراهيم بن صمويل بن حسداي ، (Abraham ibn Samuel Ibn hasdai) (ت في حدود سنة٦٣٨هـ/١٢٤٠م)[١] .

ولد في قطلونيا وبرز في برشلونة ، ونقل عدداً من الكتب العربية إلى العبرية ، أهمها الكتب التالية :

كتاب التفاحة المنسوب خطأً إلى أرسطو ، وقد فقد الأصل العربي للكتاب وبقيت الترجمة العبرية بعنوان : (sefer ha-Tappuha) ، ثم نقل الكتاب إلى اللاتينية مانفريد ملك صقلية ، وذلك نقلاً عن ترجمة إبراهيم للكتاب ، رسالة العناصر المنسوبة لإسحاق الإسرائيلي ، ويسمى هذا الكتاب أيضاً كتاب الإسطقيسات ، وقد فقد النص العربي للكتاب ، وبقيت الترجمة العبرية تحت مسمى (sefer ha-yesodot) ، كتاب ميزان العمل للغزالي ، وقد ترجم تحت اسم الميزان الصادق ، رسالتان لابن ميمون في المحرمات والواجبات[٢] .

ويعتبر البعض بأن إبراهيم حسداي واحدٌ من أعظم النقلة اليهود مدى العصور[٣] ، ومؤلفاته أتت متنوعة شاملة لكل العلوم ، فهل نستنتج من هذا أنه ذو توجه علمي في ترجماته؟

بالنظر إلى بعض ترجمات إبراهيم بن حسداي لاسيما نقله لكتاب ميزان العمل للغزالي يتبين لنا أنه لم يكن ذا توجه علمي نزيه ، فهو بالرغم مما أبداه في مقدمة الكتاب من إجلال وإكبار للغزالي ومؤلفه إلا أنه كان يهدف من ترجمة هذا الأثر العظيم أن يكون أداة يمكن أن تستعمل في الصراع الدائر بين الأحبار وأنصار ابن ميمون ؛ ولأنه -أي الغزالي- أحاط في كتابه بموضوع أخلاقي مجتمعي إحاطة شاملة ، وهو الأمر الذي لم يتحقق في كتب الفقهاء اليهود ، كما أشار إلى ذلك

---

(١) مايرز : الفكر العربي ،١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٠-١٣١ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٢ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ،١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٠-١٣١ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٠ .

المترجم في المقدمة[١] .

ولكي يوصل هذا الناقل الكتاب إلى بني ملته بكل يسر وسهولة فقد عمد إلى حذف كل ما له علاقة بالله ورسوله ﷺ ، ونسب أقوال القرآن الكريم والرسول عليه الصلاة والسلام إلى بعض الحكماء ، بل بتر بعض النصوص والمقاطع عمداً مما جعل النص مبتوراً غير مفهوم لقارئه[٢] .

والكتاب في حقيقته مليء بالاستشهادات سواء القرآنية أو الأحاديث النبوية ، بل إن هذه الاستشهادات هي التي تكوِّن بناءه الأساسي وفكرته الكبرى ، ومن دونها لا يعدُّ للكتاب فائدة تذكر ؛ إذ بدونها لا يمكن فهم المقصود بالفكرة كاملة[٣] .

وبعد ذكر مثال واحد عن ترجمات حسداي نستطيع القول إنه كان يحمل توجهاً دينياً بين ثنايا ترجماته لا سيما في نقل كتب علوم الدين الإسلامي .



(١) شحلان : التراث العبري ، ١٩٢ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣١/١ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٢ .

(٣) شحلان : التراث العبري ، ١٩٢ .

٨ - يعقـوب اليهـودي (Jacobus Hebraeus) ، وجـد في القـرن الـسابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، ونحن نجهل كل شيء عن هذا المترجم سـوى أنـه نقل كتاب التيسير لابن زهر ، وقد تـم هـذا النقـل في البندقيـة ، وكـان مـن اللغـة العبريـة إلى إحـدى اللهجـات المحليـة الأوروبيـة ، ومـن ثـم نقلـه طبيـب يـدعى باتـافينوس (Patavinnus) إلى اللغـة اللاتينيـة ، وكـان بـدوره معاونـاً ليعقـوب في الترجمة التي أتماها سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)[١] .

٩ - يعقــوب أنــاطولي (Jacobus Anatoli) ، وجــد في القــرن الــسابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[٢] ، يعتبر يعقوب بن أبامري بن شمشون بن أناطولي أول مترجم اهتم بنصوص ابن رشد ، وهـو ناقـل مـن إقلـيم البروفـانس جنـوب فرنسا ، ولا يوجد ما يثبت أنه ولد بمدينة مرسـيليا كـما يـرى ذلـك الـبعض ، ولا يعرف متى ولد ولا متى توفي ، وكل ما نعرفـه عنـه أنـه كـان صـهراً لـصمويل بـن طبون ، وتلميذاً له ، ونبغ في نربون وبيزا ، ثم انتقل إلى نـابولي ، ودخـل في خدمـة الإمبراطور فردريك الثاني الذي كان آنذاك شديد الرغبة في تقـديم الكتـب العربيـة إلى الغرب ، وهكذا نجده يرعى يعقوب هذا ويجري عليه رزقاً[٣] .

اهتم يعقوب أول ما اهتم بدراسة التلمود غير أن اتصاله بآل طبون جعله يهتم بالفلسفة ، وخصوصاً فلسفة ابن ميمون ، وانكب على غرار صـمويل بـن طبـون ، وابن ميمون على دراسة التوراة ، والقسم التاريخي من التلمود ، فـشرحها شروحـاً فلسفية تأويلية أخرجها في كتابه «معلم المتعلمين ، أو مهماز المتعلمـين» ، وقـد ذكـر

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٩٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٢٤ ؛ البشري : أثر الدراسات الطبية في الأندلس على أوروبا ، ١٦٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨-٤٧٠ ؛ مايرز : الفكـر العـربي ، ١١٤-١١٥ ؛ رينـان : ابـن رشـد والرشدية ، ٢/ ١٩٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٣٢-١٣٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/ ٤٩٢-٤٩٥ ؛

Haskins: studies in the history of mediaeval science,٢٥١.

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨-٤٧٠ ؛ مايرز : الفكـر العـربي ، ١١٥ ؛ حـمادة : رحلـة الكتـاب ، ١/ ١٣٢؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/ ٤٩٢ .

يعقوب من بين العلماء الذين اتصل بهم رجل يدعى ميخائيل ، ويبرهن رينان على أن المقصود هو ميخائيل سكوت المترجم المشهور(١) .

وغير بعيد أن يتعرف سكوت على يعقوب لشهرة آل طبون التي يحتمل أن تكون بلغت بعض أساتذة جامعة باريس ، أو تعرف عليه عندما مرَّ بلونل أثناء رحلته إلى إسبانيا ، فأخذه معه ليساعده في ترجماته ، وغير بعيد أيضاً أن يكون سكوت هو الذي أوعز إلى الإمبراطور فردريك الثاني باستدعاء يعقوب ليساهم في الترجمات التي أمر بها الإمبراطور(٢) .

ويعتقد أن يعقوب هذا هو الذي ساعد سكوت في ترجماته من العربية إلى اللاتينية غير أن رينان يشك في هذه المسألة ؛ إذ تعود ترجمات سكوت إلى سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) أي إلى فترة لم يتم الاتصال فيها بعد بين سكوت ويعقوب ، والواقع -كما يقول رينان- : أن التعاون بين الرجلين كان متبادلاً بل أفاد اليهود كثيراً من ترجمات سكوت اللاتينية ، كاعتمادهم ترجمته اللاتينية في نقل مختصر ابن سينا لتاريخ الحيوان ، بل اعتمد يعقوب نفسه في بعض تفاسيره المجازية التوراتية أقوال سكوت أفكاراً ونصوصاً(٣) .

اشتهر يعقوب أناطولي بوصفه مترجماً لا بوصفه فيلسوفاً على الرغم من أهمية مؤلفه : معلم المتعلمين ، وكان هو وسكوت المحركين الأساسيين لحركة الترجمة التي كان يرعاها فردريك الثاني ، والتي مكنت مدارس الغرب من المعرفة بالمعلمة الأرسطية التي تعذر أن تطلع عليها من قبل(٤) . وهذه أهم ترجمات يعقوب إلى العبرية :

تلخيص المدخل والمقولات والعبارة والقياس والبرهان . أنجز الترجمة بنابولي

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/١٩٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٥ ؛أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٢ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٢ .

(٣) نفس المرجع ، ١/٤٩٣ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، مختصر المجسطي لابن رشد ، انتهى منه بنابولي سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م) ، مجسطي بطليموس ، أنهاه سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، المدخل إلى علم هيئة الأفلاك للفرغاني ، واعتمد فيه النص اللاتيني بترجمة جيرارد الكريموني ، وصححه على النص العربي ، ثم ترجم مرة أخرى إلى اللاتينية اعتماداً على ترجمة يعقوب[١] .

وليعقوب مؤلف خاص وهو (معلم المتعلمين) السالف الذكر ، وصرح في مقدمته بأنه لا يدعي التفلسف وإنما كتب كتابه ليحث من يحب هذه العلوم ، ويريد أن يطلع على طرق التأويل والبحث في النص ، على اتخاذ المنهج الفلسفي المؤدي إلى ذلك ، وكأنه يشير بهذه المقدمة إلى تبيان العلاقة الموجودة بين النص التوراتي والفكر الأرسطي[٢] .

١٠ - يهودا بن سالم الكاهن ، (Judah Ibn cohen) ، وهو المعروف بابن متقة الذي أقام سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) في بلاط فردريك الثاني عندما كان في توسكانا ، وألف كتابه «البحث عن الحكمة» في نفس السنة المذكورة ، وهو دائرة معارف لآراء أرسطو وغيره ، وقد عالج في القسم الأول منه مسائل فلسفية ، أما القسم الثاني فكان عن المسائل الرياضية وهي مقتبسات من إقليدس ، وبطليموس ، وجابر بن أفلح ، والبطروجي ، كما توجد به تطبيقات لعلم النجوم ، والمراسلة بين ابن متقة وفيلسوف فردريك الثاني[٣] .

وفي سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م) يظهر بطليطلة ، ويترجم شروح ابن رشد على كتب أرسطو : المتوسطات ، التفاسير[٤] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٣؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٣ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٩٥ .

(٣) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/١٩٧-١٩٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٦-٤٠٨ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,٢٤٧

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤ .

١١ - سليمان بن يوسف بن أيوب ، (soloman Ibn Ayyub) (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[١] ، يهودي أندلسي ، ولد وتثقف في غرناطة ، ولكنه انتقل إلى بيزا ، وهناك نبغ وبرز كطبيب وناقل من العربية إلى العبرية ، ومما ترجم : كتاب الفرائض لابن ميمون ، وقد أنجزه سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) ، كتاب التنبيه ، وكتاب التسوية ، وكلاهما لابن جناح في النحو وقواعده ، أنجزهما سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، كتاب ابن رشد : المتوسطات على أرسطو ، وهو شرح ابن رشد على كتاب الطبيعة والسماء والعالم لأرسطو ، وقد تم ذلك سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) ، أرجوزة ابن سينا الطبية ، وقد نقلها إلى العبرية شعراً سنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م) ، وله مؤلف في البواسير في سبعة فصول ، أنهى تأليفه سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م)[٢] .

١٢ - موسى بن طبون ، (mosses Ibn Tibbon) (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[٣] ، تابع موسى بن صمويل بن طبون جهود والده وأسرته في الترجمة من العربية إلى العبرية ، وأنجز أعماله بين سنتي (٦٤٢-٦٧٣هـ/١٢٤٤-١٢٧٤م) ، وجل ترجماته كانت في مونبلييه حيث استقر ، باستثناء فترة زمنية من (٦٤٢-٦٤٣هـ/١٢٤٤-١٢٤٥م) قضاها بنابولي مع خاله يعقوب أناطولي السالف الذكر[٤] ، ونظراً لكثرة ترجماته وتنوعها فقد قسمت إلى أربعة أقسام[٥] كالتالي :

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/١٩٩ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٠ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٩ .

(٣) سارتون : تاريخ العلم ؛ ٢/٣٠٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٥ وما بعدها .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٥-٤٩٦ .

(٥) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤ .

أولاً : الفلسفة واللاهوت : ترجم من مؤلفاتها : كتاب السماع الطبيعي سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، وكتاب السماء والعالم ، وكتاب الكون والفساد وهو تلخيص فلسفي تم نقله سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، وكتاب الآثار العلوية ، وكتاب النفس تم إنجازه سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) .

وكتاب في النفس ، وهو الشرح الأوسط «التلخيص» ، وهي المتوسطات التي أنجزها ابن رشد سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) ، وتمت الترجمة العبرية لها سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، كتاب الطبيعيات الصغير ، أنجزه سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، الميتافيزيكا «ما وراء الطبيعة» سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، وجميع هذه المؤلفات كانت عبارة عن شروح ابن رشد على أرسطو ، وهي أهم ترجماته الفلسفية[1] .

أما بقية ترجماته في هذا المجال فهي : شرح ثمسيطيوس للكتاب الأول من كتاب ما وراء الطبيعة المسمى «انا مستيوس» ، نقلها من الترجمة العربية لإسحاق بن حنين وإصلاح ثابت بن قرة ، وقد أتم ترجمته سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) ، وكتاب الحدائق تأليف السيد البطليوسي ، (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)[2] ، وقد فقد نصه العربي وبقيت الترجمة ، كتاب المبادئ للفارابي ، وهو رسالة فلسفية وسياسية ، أتم نقله سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) هذا بالإضافة إلى ترجمته مجموعة مؤلفات لابن ميمون منها : كتاب السراج وهو شروح على المشناة ، وكتاب الفرائض أتم ترجمته سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) ، وقد سبق أن نقله ابن حسداي ، مقالة في صناعة المنطق أتمها سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)[3] .

ثانياً : الرياضيات والفلك : ترجم منها عناصر إقليدس سنة (٦٦٩هـ

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٢-١٢٣ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٥ .

(٢) السيد البطليوسي : أبومحمد عبدالله بن محمد ، من كبار أئمة اللغة والأدب في الأندلس ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢/٢٨٢ .

(٣) سارتون : تاريخ العلم ؛ ٢/٣٠٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٦ .

/١٢٧٠م) في مونبلييه ، ويبدو أنه ترجم شروحاً على نفس العمل للفارابي وابن الهيثم من العربية إلى العبرية ، وكتاب الأفلاك لثيودوسيوس ، وذلك نقلاً عن الترجمة العربية التي قام بها قسطا بن لوقاوآخرون ، وأتم ترجمته في مونبلييه سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) ، وكتاب الهيئة أو إصلاح المجسطي لجابر بن أفلح ، نقله سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) ، وكتاب الحساب والجبر لمحمد الحصار (النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ، وأتمه سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) في مونبلييه ، وكتاب الهيئة للبطروجي ، نقله سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)(١) .

ثالثاً : الميكانيكا والطبيعة : نقل منها : مسائل أرسطو ، وهي مسائل الطبيعة التي نقلها إلى العربية حنين بن إسحاق ، وأتم ترجمتها سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)(٢) .

رابعاً : الطب : نقل من مؤلفاته كلاً من : أرجوزة ابن سينا مع شرح ابن رشد عليها ، القانون الصغير لابن سينا سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، زاد المسافر لابن الجزار سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) ، وكتاب الإيساغوجي لجالينوس بترجمة حنين بن إسحاق ، وكتاب الأقرباذين للرازي سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) ، وكتاب التقسيم والتشجير ، ويسمى أيضاً كتاب العلل للرازي أتمه سنة (٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ، ومقالة في تدبير الصحة لابن ميمون ، وتسمى أيضاً الرسالة الأفضلية ، وقد فرغ من ترجمتها سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) ، وكتاب السموم والتحرز من الأدوية القتالة لابن ميمون(٣) .

أما عن مؤلفات موسى بن طبون الخاصة فقد كتبت بالعبرية منها : شرح الأخماس «التوراة» ، شرح سفر نشيد الأناشيد ، وكتاب الزاوية ، ولقط النسيان ، وهو ملحق للكتاب السابق ، شرح للمعايير والأوزان التي ورد ذكرها في التوراة

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٦ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣-١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٨ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣-١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٨-١٣٩ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٧ .

والتلمود ، وكتاب التنين ، وهو شرح مجازي لسفر التكوين ، ورسالة في المسائل العويصة ، والعالم الصغير ، ويدور حول النفس وخلودها[١] .

وبذا ، فقد كان موسى بن طبون واحداً من أشهر النقلة في العصور الوسطى ، وأعظمهم من العربية إلى العبرية ، وقد ورث عن والده صمويل أهمية الترجمة حيث إنها مسئولية يجب ألا يستهان بها ، فقد انتقد نقول قسطنطين الأفريقي لا سيما ترجمته اللاتينية لكتاب زاد المسافر لابن الجزار ، وذلك أثناء ترجمته لنفس الكتاب إلى العبرية[٢] ، فهل يكون موسى بهذا العمل ذا توجه علمي في ترجمته؟؟

إن النزاهة العلمية ، والنظرة الثاقبة التي ألزم موسى نفسه بها في نقده للترجمات والمترجمين لم تنهه حين أقدم على تبديل الآيات القرآنية المستشهد بها في كتاب الحدائق للسيد البطليوسي ليُحل محلها مقتبسات من التوراة ، فظهر الكتاب وطبع[٣] بعد زمن من ترجمته بهذا الحال ، وقد فقد أصله العربي وبقيت هذه الترجمة المحرفة[٤] ، وإذا كان هذا الناقل بهذه الصفة فأي توجه علمي كان يسلكه؟ وإذا كانت ديانته لا ترى بأساً في إقحام كتابها الديني في كل مؤلف فإنه مسلك غير منطقي ، وتوجه لا يخلو من التعصب الديني ؛ لأنه ربما أراد بهذا العمل أن ينتشر الكتاب بين جماعة الطائفة اليهودية ، ويلقى رواجاً كبيراً ، الأمر الذي لا يحققه الكتاب بنصوصه القرآنية الأصلية ، إلا أنه لا يعفيه مما فعل من تصحيف كبير حين محى الأثر الإسلامي المتمثل في الآيات القرآنية ، وأبدلها بنصوص من التوراة ، وكأنه كان يسعى إلى تنفيذ فكرة أسلافه النقلة اليهود الذين أوصوا بأن يجرد الفكر اليهودي من الثقافة الإسلامية ، فإنه لم يتناول الفكر اليهودي ، إنما قام بنهب الفكر الإسلامي ، وجرده من هويته الدينية لكي يرضي بني ملته ، كغيره من النقلة الآخرين الذين كانوا دائماً يحرفون النصوص الإسلامية «آيات -أحاديث» لصالح

---

(١) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٤٩٨ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٣٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٤٩٨ .

(٣) طبع الكتاب بتحقيق كوفمان ، وصدر في بودابست سنة ١٨٨٠م ، حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٣٦ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

دينهم .

١٣ - شم طوب بن إسحاق (shem – tob Ibn Isaac) (ت بعد ٦٦٦هـ /١٢٦٧م)[(١)] ، ويعرف أيضاً بأبي الطرطوسي ، يهودي أندلسي ، ولد بطرطوس سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م) ، واشتغل بالتجارة بعد أن أتم دراسته ، ورحل براً وبحراً ، ولما رجع من عكا سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) -وكان عندها ابن ثلاثين سنة- تخلى عن التجارة ، وانكب على دراسة التوراة ، والتلمود ، وغيرهما من العلوم ، فأخذ ببرشلونة عن الربي إسحاق بن مشلم ، ثم استقر أخيراً في مرسيليا ، وامتهن الطب بعد عشرين سنة من الطلب ، وقد هيأته هذه المهنة لينجز ترجمة أمهات ما اختص به ، فبدأ في سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) بمرسيليا وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة ترجمة كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي ، ثم أتبعه ببقية الترجمات التي من أهمها :

متوسطات ابن رشد المسمى الشرح الأوسط على كتاب «في النفس لأرسطو» ، وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم الزهراوي ، وقد أتم الترجمة بمرسيليا سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، أي بعد أربع سنوات من بدايته للنقل ، ثم عدَّلها سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) ، وقد ترجم بحرية ، وقدم للترجمة بفصول عن العناصر الأربعة ، وكتاب المنصوري للرازي ، وأكمل ترجمته سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) ، وبهذا جعل الطب الإسلامي في متناول الأطباء اليهود المتزايدين في العدد والذين لا يعرفون العربية[(٢)] .

كذلك ترجم كتاب أمثال وحكم بقراط ، بدأه عن العربية سنة (٦٦٦هـ /١٢٦٧م) ، وأنهاه في نفس السنة ، وعلى الرغم من أن هناك على الأقل خمس

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٩٦/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٩/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٤٩٩/١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣-٤٧٤ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٢/١٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٩٥/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٩/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٠/١ .

ترجمات لنفس العمل ، إلا أن هذه الترجمة تمتاز بوضوحها واشتمالها على شروح بالاديوس (Palladios) على بقراط وكتابه[١] .

وقد ألف في سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) كتابه «جنة الرمان» ، وهو تأويل فلسفي لقصص التوراة نهج فيه منهج التفسير المجازي على غرار ما فعله أبناء طبون[٢] .

١٤ - فرج بن سالم اليهودي (Farag Ibn salim) ، والمعروف بـ : (فراجوت أو فراريوس Farrachius, Farragut) (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[٣] ، وهو مترجم يهودي اسمه بالعربية فرج بن سالم بينما أطلق عليه اسم آخر وهو موسى فرخي (moses Farachi) ، واشتغل بالنقل من العربية إلى اللاتينية في صقلية ، وكان أحد المنتمين لمدرسة سالرنو ، ثم ما لبث أن أصبح من أعظم التراجمة في عصره ، فاستدعاه الملك شارل آنجو ليشتغل بالترجمة عنده ، وقد ترجم له كتاب الحاوي في الطب للرازي سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ، وألحق بالترجمة معجماً طبياً[٤] .

ومما ترجم أيضاً : رسالة منسوبة إلى جالينوس في الطب التجريبي من ترجمة حنين بن إسحاق ، ونصها اليوناني مفقود ، كتاب ابن جزلة : «تقويم الأبدان» ، وقد أنجزه حوالي سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) ، كتاب الجراحة المنسوب لابن ماسوية ، وقد نقل نفس الكتاب إلى العبرية المترجم يعقوب بن يوسف اللاوي سنة

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ٣٠٤/٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٩/١ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٠/١ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون : ١٠١/١-١٠٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٠ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ، ٢٢ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٦-٨٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٨/١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ١٧٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون : ١٠١/١ ؛ حتى : تاريخ العرب ، ٤٤٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٠٨/١ .

(٦٩٦هـ/١٢٩٦م) ، والنص العربي للكتاب مفقود[١] .

١٥ - يهودا بن موسى الكاهن (Judah Ibn Moses) (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[٢] ، طبيب وفلكي يهودي ، ومترجم برز في طليطلة ، وهو أحد المترجمين الذين استخدمهم ألفونسو العاشر لترجمة الكتب العربية إلى القشتالية ، وينسب إليه أنه ترجم الأعمال التالية :

كتاب العمل بالكرة لقسطا بن لوقا ، نقله بالاشتراك مع جان داسبا (John Daspa) سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) ، ثم عدل الترجمة وأصلحها سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، وكتاب صور الكواكب لعبدالرحمن الصوفي (ت٣٧٦هـ/٩٨٦م)[٣] ، ترجمه سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، ثم عدله ونقحه سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) بالاشتراك مع صمويل هاليفي وآخرين ، وكتاب البارع في أحكام النجوم لابن أبي الرجال ، وهي رسالة في التنجيم نقلها سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٤م) ، وكتاب الأحجار الكريمة الذي نقل للملك ألفونسو عن كتاب لأبي العيش[٤] .

ولعل يهودا هذا هو مترجم كتاب بطليموس (Tetrabililos) مع شروح وتعليقات علي بن رضوان عليه ، وقد سبق لأفلاطون التيفولي ، وإبراهيم برحيا أن نقلا نفس الكتاب إلى اللاتينية[٥] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ العقيقي : المستشرقون : ١/١٠١ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٦-٨٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٠٨-١٠٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢-٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٠ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٦ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٤٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٤ ؛

Leclerc:histoire de la medecine arabe, ٤٤٢ .

(٣) عبدالرحمن الصوفي : أبوالحسين عبدالرحمن بن عمر الرازي ، من مشاهير علماء الرياضيات والفلك . الفهرست ، ٤٥٠ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢-٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٤ ؛

Leclerc:histoire de la medecine arabe, ٤٤٢ .

(٥) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٤ ؛

=

١٦ - صمويل هاليفي : (samuel ha-levi) ، (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[1] ، ويعرف بأبي العافية ، وهو أحد العلماء الذين استخدمهم ألفونسو العاشر لترجمة علوم الفلك العربية إلى القشتالية ، نبغ في طليطلة ، وينسب إليه أنه نقل من العربية إلى القشتالية كتابين عربيين مجهولي المؤلف الأول في الساعات ، والثاني في النقل . وينسب العمل الثاني أيضاً إلى إسحاق بن سيد المترجم ، وقد ساعد في سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) يهودا بن موسى في تنقيح وإصلاح النص القشتالي لكتاب عبدالرحمن الصوفي في الكواكب الثابتة .

١٧ - إسحاق بن سيد (Isaac Ibn sid) (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) ، فلكي يهودي أندلسي متخصص في الأدوات الفلكية وناقل من العربية إلى القشتالية ، وقد برز في طليطلة بين عامي (٦٦٢-٦٧٦هـ/١٢٦٣-١٢٧٧م) ، وكان أحد مؤلفين اثنين ألفا الجداول الفلكية الألفونسية الشهيرة سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، وقد ترجم كتاب الزيج للبتاني ، وكان المؤلف أو المترجم أو الملخص لتسعة كتب أدرجت في مجموعة ألفونسو الشهيرة ، وإليك أسماءها باختصار :

١ - كتابان في الأدوات المستعملة في الخسوف والكسوف والقياسات الفلكية .

٢ - كتابان في الأسطرلاب .

٣ - كتابان في الصفيحة العالمية لعلي بن خلف .

٤ - كتاب في قياس ربع دائرة النهار .

٥ - كتابان في الساعات[2] .

=

Leclerc:histoire de la medeine arabe, ٤٤٢ .

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٥ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٥ .

١٨ - إبراهيم الطليطلي ، (النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[(١)] ، يهودي أندلسي كان الطبيب الخاص للملك ألفونسو العاشر ، وأحد العلماء الذين استخدمهم الملك في الترجمة ، وقد نقل ما يلي :

رسالة ابن الهيثم في هيئة العالم ، وقد ترجمها إلى العبرية ثم نقلها أحدهم إلى اللاتينية ، وقد ترجم نفس الرسالة إلى العبرية أيضاً يعقوب بن طبون ، ونقلت ترجمته هذه إلى اللاتينية على يد إبراهيم بن بالمز (de balmes) ، (النصف الثاني من القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) ، رسالة الزرقالي في العمل بالصفيحة الزيجية ، ولقد نقل نفس الرسالة إلى الملك ألفونسو من العربية إلى القشتالية فيراندو الطليطلي ، وقد أكمل إبراهيم ترجمة رسالته في بورغوس سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، وهي أجود ترجمة وأدق معنى من سابقتها ونقلت بدورها إلى اللاتينية والإيطالية[(٢)] .

بالإضافة إلى ذلك فقد نقل إبراهيم سبعين سورة من القرآن بينها سورة المعارج إلى القشتالية بأمر الملك ألفونسو ، وهذه الترجمة مفقودة ، ولكن موثق بلاط الملك -ويدعى بونا بنتورا دي سيينا- قام بعمل ترجمة لاتينية لها ، وأخرى فرنسية ، وهذه الأخيرة تحمل تاريخ سنة (٦٦٣هـ / ١٢٦٤م)[(٣)] .

ونحن لا نعلم -لما أقدم إبراهيم الطليطلي على ترجمة القرآن- ، أهو إرضاءٌ للملك ألفونسو فقط بعد طلبه إياه ، أم أنه كان ذا توجه ديني في الاطلاع على القرآن الكريم وترجمته؟

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٦٠ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٥-١١٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٥-١١٦ .

(٣) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٦ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٤ .

١٩ - زرحيا بن شألتئل جراسيان (zarahiah Ibn sealtiel gracian) (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م)[1] ، يعود أصل زرحيا بن إسحاق بن شألتئل إلى برشلونة ، فيقال له البرشلوني ، وقد هاجر إلى مدينة روما بإيطاليا ، وأنجز كل أعماله بين سنتي (٦٧٦-٦٩٠هـ/١٢٧٧-١٢٩١م) ، وكان يعتبر نفسه الشارح الأول لابن ميمون ، واشتغل بتدريس فلسفته لأبناء الطائفة الذين أعجبوا بأفكاره وآراءه كما يقول ، وكل ترجماته كانت من العربية إلى العبرية دون غيرها[2] ، وهي كالتالي :

كتاب الفصول في الطب لابن ميمون ، مقالة في الجماع لابن ميمون ، كتب جالينوس في الطب ، وقد نقل هذه الكتب الطبية إلى العربية حنين بن إسحاق ، ثم نقل زرحيا الكتابين الأولين من هذه الكتب ، كتاب القانون لابن سينا ، نقل منه الكتابين الأولين في روما سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ، كتاب الأمثال والحكم لموسى بن ميمون ، وتمت الترجمة في روما أيضاً سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، كتاب ماهية النفس للفارابي ، وشرح الفارابي لكتاب أرسطو ، متوسطات ابن رشد في شرح الطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والنفس لأرسطو[3] .

ولزرحيا مؤلفات خاصة منها : شرحه لدلائل الحائرين لابن ميمون ، وقد وضعه بأسلوبين مختلفين ، أحدهما يناسب المبتدئين في المعارف الفلسفية ، والثاني يخص المتضلعين فيها ، ولم يبق من شرحه هذا إلَّا القسم الأوفر من المقالة الأولى ، وله أيضاً شرح لسفر الأمثال وسفر أيوب .

ومجمل فلسفة زرحيا مستقاة من فلسفة ابن ميمون والفلسفة العربية في الأندلس ، وهو يعتمدهما في آرائه الفلسفية في تأويل النصوص التوراتية وغيرها[4] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٠ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٢٠ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٠ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٢٠-٥٢١ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٠-١٤١ .

(٤) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٢١ .

٢٠ - أحطوب بن إسحاق (Ahitub Ibn Isaac) ، (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) ، نبغ في بلرم أواخر هذا القرن ، واشتهر كطبيب وناقل من العربية إلى العبرية ، ونقل من المؤلفات : كتاب موسى بن ميمون : مقالة في صناعة المنطق ، وعلى الرغم من أن هذه الترجمة أجود من بعض الوجوه من ترجمة موسى بن طبون لنفس العمل التي تمت سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) إلا أنها لم تحل محلها[١] .

٢١ - يعقوب بن يوسف اللاوي (Jacob Ibn Joseph ha-levi) (ت بعد٦٩٦هـ/١٢٩٦م) ، نقل رسالة في الجراحة ألفها ماسوية الثالث فقد نصها العربي ، وبقيت في ترجمتين : إحداهما لاتينية والأخرى عبرية ، واسم ماسويه يطلق على ثلاثة أشخاص نصارى وجدوا في عالم الإسلام ، الأول : ظهر في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، والثاني : ظهر في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، والثالث : هو مؤلف الرسالة المذكور ظهر في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، ولا يوجد معلومات كافية عنه ، وقد نقل ابن لاوي هذا الرسالة المذكورة إلى العبرية[٢] .

٢٢ - ناثان المئوي ، (nathan ha-meati) (أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)[٣] ، يبدو أن ناثان هذا من أصل إيطالي ، وقد برز في روما أواخر القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ونقل إلى العبرية عدداً لا بأس به من المؤلفات العربية من أهمها :

أمثال وحكم أبقراط ، وهي حكم مأثورة ترجمها مع شروح جالينوس عليها ، وقد نقلها عن العربية ، القانون لابن سينا ، وهو أهم ما نقله إلى العبرية من مؤلفات عربية ، وقد تمت الترجمة في روما سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) ، وعلى الرغم من أن زرحيا جراسيان نقل الكتاب إلى العبرية أيضاً متعاصراً تقريباً مع هذا النقل ،

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤١ .
(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٢ .
(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٢ .

إلَّا أنه يبدو أن ترجمة زرحيا وقفت عند الكتاب الثاني من القانون ، وقد عدَّل ترجمة ناثان هذه يوسف بن فيفس من لوركا قبل سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) . وترجم أيضاً كتاب المنتخب في أمراض العيون لعمار بن علي ، نقله في روما إلى العبرية خصيصاً للطبيب البابوي مسترجيجو (Maestro Gajo) ، وكتاب الفصول في الطب لموسى بن ميمون ، ولا بد من ذكر أن نفس الكتاب نقله إلى العبرية أيضاً زرحيا بن إسحاق في زمن متقارب مع هذا النقل ، كتاب الأمثال والحكم لموسى بن ميمون ، كتاب للرازي في الأوعية الدموية ، كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف لأبي القاسم الزهراوي ، كتاب الأغذية لابن زهر ، كتاب مجهول المؤلف عن أسباب الكسوف ، كتاب بقراط في خواص الأهوية والمياه والأماكن مع شروح جالينوس عليها ، وقد بدأ بترجمته ولكنه لم يتمه ؛ إذ وافاه أجله المحتوم فأتمه ابنه سليمان سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)[١] .

٢٣ - يعقوب بن ماهر بن طبون (Jacob Ibn Mahir Ibn Tibbon) ، (ت بين ٧٠٣-٧٠٦هـ/١٣٠٣-١٣٠٦م)[٢] ، واسمه المحلي بجنوب فرنسا هو (Don Prophet Tibbon) ، وعرفه العلماء اللاتين باسم بروفاتيوس أو بروفاسيوس اليهودي ، (Profatins,prifacins Judoeus) ، وهو من عائلة آل طبون ، ولا يعرف تاريخ ولادته ، ويحتمل أن يكون حوالي سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، أما تاريخ وفاته فيقع بين (٧٠٣-٧٠٦هـ/١٣٠٣-١٣٠٦م) ، والظاهر أنه ولد بمرسيليا ، وقضى وقتاً في لونل بين ظهراني عائلة آل طبون ، وهو حفيد صمويل بن يهودا بن طبون المترجم ، وابن أخت الناقل موسى بن طبون ؛ لذا فقد قدر له أن يتعلم اللغة العربية التي أصبحت نادرة الاستعمال بين يهود البروفانس إذ ذاك[٣] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٢ .

(٢) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠٣ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٠ .

استقر يعقوب بعد ذلك في مونبلييه ، ومن ثم اشتهر بالفلك ، والرياضيات ، وعلم الحيوان ، وبشكل خاص مترجم من العربية إلى العبرية ، كما أنه ترجم بعض الكتب العربية والعبرية إلى اللاتينية والقشتالية ، وتبعاً لتعدد اللغات التي كان يعقوب ملماً بها ، فقد اتسعت ترجماته[1] لتشمل التالي :

نقل الأصول لأقليدس في خمسة عشر مقالاً ، وقد بدأ الترجمة بمقدمة يقول فيها : «بما أن الهندسة هي أساس الرياضيات ، فإني فرضت على نفسي ترجمة هذا الكتاب ، حتى نتجنب تبكيت المسيحيين الذين يدعون بأن اليهود غرباء عن كل العلوم»[2] ، ثم يعتذر عن قلة معرفته بالعربية ، ويتابع : «ليس من الضروري معرفة الكثير من الألفاظ لترجمة هذا الكتاب»[3] . ويثق ابن ماهر «في الذي يجود بالحكمة والمعرفة على البسطاء ، ودقة الفكر للأغرار»[4] . أي أنه يرجو الفتح من الله في عمله ، ويظهر من كلامه أن كتاب الأصول هو أول ترجماته ، وقد أنجزه حوالي سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م)[5] .

ومما نقل أيضاً كتاب الكرة المتحركة بترجمة إسحاق بن حنين ، وقسطا بن لوقا ، وقد نقله إلى العبرية سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ، وقد سبق لجيرارد الكريموني أن نقل نفس الكتاب من العربية إلى اللاتينية ، وكتاب إقليدس : المعطيات ، نقله من ترجمة إسحاق بن حنين ، وتنقيح ثابت بن قرة بعنوان كتاب المفروضات ، وتمت ترجمته سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م) ، وسبق لجيرارد أن نقل نفس العمل إلى اللاتينية ، كتاب مينلاوس الإسكندري في الفلك ، وذلك نقلاً عن الترجمة العربية لإسحاق بن حنين وتنقيح ثابت بن قرة ، وقد فقد النص اليوناني ، وأتم الترجمة بالعبرية سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ، وسبق لجيرارد أن نقل نفس الكتاب إلى

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/١٩٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٠ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠١ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفسه .

(٥) نفس المرجع والصفحة . حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٤ .

اللاتينية ، وكتاب العمل بالكرة الفلكية لقسطا بن لوقا ، أتمه سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، وقد نقل نفس الكتاب إلى الإسبانية يهودا بن موسى سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)[١] .

كما أنه نقل كتاب ابن الهيثم في هيئة العالم إما سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) أو سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) ، ترجمه إلى العبرية ، وقد نقل نفس الكتاب من العبرية إلى اللاتينية إبراهيم بالمز ، ونقله أيضاً عن العربية إلى القشتالية إبراهيم الطليطلي بتكليف من ألفونسو العاشر[٢] .

وترجم كتاب ابن الصفار المسمى «كتاب العمل بالأسطرلاب» ، وقد سبق لأفلاطون التيفولي أن نقله إلى اللاتينية في النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، وكتاب الزرقالي المسمى «كتاب العمل بالصفيحة» ، نقله إلى اللاتينية بالاشتراك مع يوحنا البريسجي (حوالي ٦٦٢هـ/١٢٦٣م) ، فكان يعقوب يترجم من العربية إلى العامية ويكتبها يوحنا في ما يقابلها إلى اللاتينية .

وقد نقل نفس الكتاب إلى الإسبانية فيرارندو الطليطلي بين سنتي (٦٥٣-٦٥٤هـ/١٢٥٥-١٢٥٦م) ، ثم نقله نقلاً ثانياً إبراهيم الطليطلي وكان ذاك سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، ثم نقله يعقوب بن ماهر إلى العبرية في وقت غير محدود هل هو قبل الترجمة اللاتينية أم بعدها؟[٣] .

كما ترجم كتاب : «القسطاس المستقيم» للغزالي .

وترجم كذلك كتاب جابر بن أفلح : «إصلاح المجسطي» إلى العبرية ، من دون ذكر تاريخ النقل ، ولكن ترجمة يعقوب هذه أصلحها وأكملها صمويل بن يهودا سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ، كذلك ترجم نفس العمل من العربية إلى العبرية

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠١-٥٠٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٢ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ .

موسى بن طبون سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) ، وسبق لجيرارد نقل نفس العمل إلى اللاتينية ، وترجم كتاب ابن رشد خلاصة المنطق «منطق أرسطو» إلى العبرية سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) ، وعدل الترجمة مرسيلي بن يهودا في طركونة سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) ، وقد نقل هذه الترجمة العبرية إلى اللاتينية إبراهيم بن بالمس (ق ٩هـ/١٥م) ، وكانت هذه الترجمة هي الأصل لجميع الإصدارات المطبوعة ، وشروح ابن رشد على كتاب الحيوان لأرسطو أنجزه سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)[١] .

أما عن مؤلفات يعقوب الخاصة فهي على النحو التالي :

كتاب ربع الدائرة ، ألفه بالعبرية ، وجاء عنوانه بصيغ متعددة على التوالي : تفسير الآلة المسماة ربع إسرائيل ، تفسير الآلة الربع ، تفسير الآلة المسماة ربع الدائرة .

أمَّا الكتاب الثاني فهو : تقاويم فلكية ، عين فيه خطوط الطول لمدينة مونبلييه اعتباراً من سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) فما بعدها . وهذه الجداول هي تعديل لجداول الزرقالي ، وقد ألفها بالعبرية ثم نقلت إلى اللاتينية[٢] .

وإذا كان آل طبون قد عملوا على نشر العلوم الفلسفية والاستفادة منها في مؤلفاتهم خصوصاً الدينية منها مما أحدث ضجَّةً في المجتمع اليهودي ، فإن يعقوب بن ماهر ساهم في الدفاع عن العلوم والآراء الفلسفية مساهمة فعلية ، وغير بعيد أن يكون وجوده في مونبلييه هو الذي جعل من هذه المدينة معقلاً قاوم الأرثوذكسية اليهودية التي كان يمثلها أبومري بن موسى[٣] .

ومن ثم نستطيع القول إن يعقوب كان ثنائي التوجه في نقوله ؛ حيث إنه ترجم كثيراً من المؤلفات بحماس مواجهة الخصوم من الناحيتين الدينية والعلمية ، وهذا ما أثبته بقوله : «علينا أن نبين للأغيار مدى ما لنا من معرفة فلسفية ، حتى لا

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٥ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٣ .

(٣) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٤ .

يقال بأننا عراة من كل المعارف والعلوم»[١] .

٢٤ - إبراهيم بن شم طوب (Abraham Ibn shem-Tob) ، وهو ابن شمطوب بن إسحاق الذي كان مترجماً وطبيباً أيضاً ، وقد ولد على الأرجح في مرسيليا سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، ولكنه عرف بالطرطوسي ، ولا نعرف تاريخ وفاته تحديداً ، وقد قام إبراهيم بترجمة الكتاب الثامن والعشرين من كتاب أبي القاسم الزهراوي «التصريف لمن عجز عن التأليف» من العبرية إلى اللاتينية ، بمساعدة سيمون الجنوي ، كما قام الاثنان بترجمة كتاب ابن السيرافي في الأدوية المفردة نقلاً من العبرية إلى اللاتينية أيضاً ، وترجم إبراهيم بمفرده كتاب حنين بن إسحاق في البول[٢] .

٢٥ - إسحاق بن يوسف الفاسي (Isaac AL Fasi) ، ربما كان في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، وقد ترجم كتاب مشكاة الأنوار للغزالي ، وهناك ترجمة أخرى لمترجم مجهول[٣] .

٢٦ - إسحاق البلاج ، (Isaac al-Balag)(حوالي نهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) ، نقل إلى العبرية أقساماً من كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي من العربية . وعلى الرغم من أن الترجمة لم تكن كاملة ولم تشمل سوى قسم المنطق ، والإلهيات ، وقسم من شرح الطبيعيات فقد مارست نفوذاً واسعاً جداً في الغرب ، وأثرت بعمق شديد في الفلسفة اليهودية ، وقد أعطى المترجم القسم المترجم عنواناً هو «مراتب الفلاسفة»[٤] .

٢٧ - شم طوب بن فلكرة ، (shem Tob Ibn Falaquera) ، (ت بعد ٦٨٩هـ/١٢٩٠م) ، يهودي فيلسوف ، ومترجم من العربية إلى العبرية ، وكان فيلسوفاً أكثر منه مترجماً ، وهو من أنصار ابن رشد ، وابن ميمون ، وقام بجهد كبير

(١) نفس المرجع والصفحة .
(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٦ ، ١٥٤ .
(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٢٢٢ .
(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٧٠٧ .

في سبيل جعل فلسفتها الأرسطوطالية تتلاءم مع العقيدة اليهودية ، ولقد مارست ترجمته لكتاب ينبوع الحياة لابن جبيرول بعض النفوذ على الفلاسفة المتأخرين ، وقد نقل إلى العبرية الكتب التالية : مستخلصات طويلة من كتاب ينبوع الحياة لابن جبيرول ، شروح ابن رشد على كتب أرسطو في الطبيعة وما وراء الطبيعة[١] .

أما عن مؤلفاته فقد ألف عدداً من الرسائل الفلسفية مستقاة بشكل كلي من مصادر مترجمة عن العربية دون أن يشير إلى ذلك ، ومما ألف : «رسالة المجادلة»[٢] ، وهي حوار بين فيلسوف وفقيه حول توافق الدين مع الفلسفة ، «رأس الحكمة» : عرض فيه للفضائل التي يجب أن يتحلى بها دارسو العلوم الفلسفية ، كما عرض فيه لمراتب العلوم ، وبين فيه أنَّ الاطلاع على الفلسفة يمكِّن من بلوغ السعادة ، و«كتاب المراتب» ، وقد عرض فيه لما ينبغي أن يتحلى به الإنسان والمجتمع لبلوغ الكمال[٣] .

ويبدو أن توجه شم طوب في ترجمته كان دينياً بحتاً ، يهدف من ورائه خدمة العقيدة اليهودية ، والارتقاء بها عن طريق ترجمة المؤلفات الفلسفية وجعلها تتلاءم معها قدر المستطاع ، ومن ثم انتحال ما ترجم باسمه وكأنها من تأليفه لعلها تجد قبولاً أكبر بين بني ملته الذين يرغبون في الاطلاع على الفلسفة عن طريقها ، فبعض مؤلفاته تكاد تكون ترجمة كاملة للكتب العربية التي سبق وأن نقلها إلى العبرية[٤] ، ونحن لا نعلم هل أقدم شم طوب على هذا الانتحال بدافع اقتصادي أيضاً ، كما هو حال بني قومه الذين كانوا يترجمون علوم المسلمين ، ثم ينسبونها لأنفسهم ليكسبوا من ورائها ، أم انه كان يهدف من ذلك طلب الشهرة ، والتعالم بين جماعة الطائفة اليهودية؟

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٧٠٦ .

(٢) طبع سنة ١٩١٠م ، شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٧٠٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ٢/٧٠٧ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٨ .

٢٩ - سمسون بـن سـليمان (samson Ibn solamon) ، (النـصف الأول مـن القرن الثامن الهجـري /الرابـع عـشر المـيلادي) ، ناقـل مـن العربيـة إلى العبريـة ، تخصص في نقل كتب الطب ، ازدهر حوالي سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) ، حيـث أتـم ترجمة قانون جالينوس الطبي من العربية إلى العبرية ، وهي كتـب جـالينوس الـستة عشر ، وقد عزيت الترجمة خطأ إلى قالونيموس بن قالونيموس[١] .

٣٠ - صمويل بن يعقوب الكـابوي ، (samuel Ibn Jacob) مـترجم يهـودي مقل لا نعرف عنه إلا أنه نقل إلى العبرية مـن العربيـة رسـالة ماسـوية المـارديني في الأدوية المسهلة والمقيئة والأشربة . وابن ماسويه هذا هو ابن ماسويه الكبير تمييزاً له عن ابن ماسويه الأوسط والصغير[٢] .

٣١ - موسى بن سليمان البوكيري ، (Moses AL-Beaucaire) .

النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وبـوكير بلـد تقع على ضفاف نهر الرون في فرنسا ، ومن ثم نسب إليها موسى ؛ لأنه سكنها ، ثم انتقل إلى مدينة سالون في فرنسا أيضاً واستقر بها ، وكـان أسـتاذاً لقـالونيموس بـن قالونيموس ، وترجم من العربية إلى العبرية مـا يـلي : التفـسير أو شرح ابـن رشـد الكبير لكتاب ما وراء الطبيعة ، كـما أنـه اختـصر شرح ابـن رشـد لكتـاب الطبيعـة لأرسطو[٣] .

٣٢ - قالونيموس بن داود بن تدروس الكبـير (Qalonymos Ibn david the elder) ، ظهر في فرنسا وترجم كتاب ابن رشد المشهور تهافت التهافت إلى العبريـة سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) ، وكذلك نقل النص العبري لكتاب الهيئـة للبطروجـي ، وقـد تـم نقلـه مـن العربيـة سـنة (٦٥٨هــ/١٢٥٩م) ، فنقلـه قـالونيموس إلى

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٦٠ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٤٨ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ حمـادة : رحلـة الكتـاب ، ١/ ١٧٠ ؛ شـحلان : ابـن رشـد والفكـر العبري ، ١/ ٥٠٤ .

اللاتينية[١] .

٣٣ - قالونيموس بن قـالونيموس (Qalonymos Ibn Qalonymos)[٢] ، ولـد قالونيموس بن قالونيموس بن مئـير سـنة (٦٨٦هــ/١٢٨٧م) ، وكـان يعـرف في جنوب فرنسا بـ(Maestro calo) ، كما أن أباه كان شاعراً ، لقـب بالنـاسي الأمـير ، ولقب قالونيموس أيضاً بهذا اللقب .

ودرس بـ:سالون وربما درس الطب أيضاً واشـتغل بـه ، وسـاهم في ترجمـات مختلفة في روما التي ذهب إليها بتوصـية مـن روبـرت أنجـو ، بـين سـنتي (٧١٨-٧٢٢هـ/١٣١٨-١٣٢٢م) ، وبعدها رجع إلى جنوب فرنـسا مـروراً بـــ:قطالونيـا ليستقر بآرل (Arles) مسقط رأسه[٣] وقد نُقل عن معاصريـه أقـوالٌ تبـين مـدى مـا يكنون له من احترام واعتراف بالفضل والعلم ؛ حيث كان يحفـظ بطليمـوس عـن ظهر قلب ، وكذا مؤلفات غيره في الفلك ، وكان بارعاً في الترجمـة مـن العربيـة إلى العبرية ، وفيلسوفاً ، وكان ذا أسلوب رائع في النثر المسجوع ، ويقـول عنـه سـميه قـالونيموس بأنـه كـان يعـرف الآراميـة والإغريقيـة والمـصرية ، وأنـه تـرجم إلى اللاتينية ، وقد أنار عقول علماء جنوب فرنسا اليهود بترجماته الرائعة[٤] .

وكانت أول ترجماته هي ترجمة كتاب العماد في أصول الطب لعلي بـن رضـوان الذي ترجمه سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ، ولكنه فقد أثناء النفي ، أما ترجماته الأخرى فقد أنجزها بين سنتي (٧٠٧-٧١٧هـ/١٣٠٧-١٣١٧م) ، وقام بها جميعـاً في آرل

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٠١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ مـايرز : الفكـر العـربي ، ١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٢ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٠٠ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٣ ؛ مـيلي : العلـم عنـد العرب ، ٣٦٩ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩-١٣١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٥-١٦٩ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٥-٥١١ .

(٣) آرل : مدينة تقع جنوب شرق فرنسا . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/٣٢٧ .

(٤) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ حمـادة : رحلـة الكتـاب ، ١/١٦٥ ؛ شـحلان : ابـن رشـد والفكـر العبري ، ١/٥٠٥ .

باستثناء واحدة فقد ترجمها في أفينيون (Avignon)[١] كما سنرى[٢] .

عاش قالونيموس مرارة الأحداث التي عاشها اليهود إذ ذاك في جنوب فرنسا ، وتردد صدى ذلك في لهجته الحزينة التي كان يصطبغ بها أسلوبه بين الفينة والأخرى ، وعبَّر عن هذه الأحداث صراحة عندما تعرض لأحداث سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) في كتابه المحك[٣] .

ويتضح من الأوصاف التي وصفه بها معاصروه أنه أصبح ذا شهرة كبيرة ، وهذا ما دعا روبرت ملك نابولي إلى الاستعانة بخدمته ، وذلك بعد سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) عندما رجع روبرت إلى روما ، ولعل هذا ما يفسر انقطاع ترجمات قالونيموس من العربية إلى العبرية بعد تلك السنة ، بينما وجدت له ترجمات لاتينية بعد هذا التاريخ[٤] .

وقد ترجم قالونيموس عدداً مهماً من الأعمال العربية إلى العبرية منها :

كتاب العماد في أصول الطب لعلي بن رضوان في أربع مقالات ، ضاعت منه ترجمته الأولى سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) أثناء نفيه ، ثم أعاد الترجمة مرة أخرى فأتمها بآرل سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) ، كتاب جالينوس في الشرج والإسهال اعتمد فيه ترجمة حنين بن إسحاق وأنهاه في (٧٠٨هـ/١٣٠٨م) عندما بلغ سن الثانية والعشرين ، كتاب جالينوس في الفصد في ثلاثة أبواب ، ربما اعتمد في ترجمته العبرية ترجمة حنين بن إسحاق العربية ، يقول : إن النص الذي اعتمده كان سيئاً ، ولأهمية المقالة رأى قالونيموس ضرورة نقله إلى إخوانه اليهود ، أنهى الترجمة في آرل سنة (٧٠٨هـ/١٣٠٨م) ، مقالة في الأجسام الهندسية الخمسة من الكتاب الرابع عشر لأقليدس ، والكتاب شرح سبليقوس لأقليدس ، وأنهى الترجمة بآرل

---

(١) أفينيون : مدينة تقع جنوب شرق فرنسا . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/ ٣٢٧ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/ ٢٠٠-٢٠١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٠٥ .

(٣) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٠٦ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٠٦ .

سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)[1] .

وترجم أيضاً كتاب المسائل في الكسور ، أنهاه سنة (٧١١هـ/١٣١١م) ، وفي الشكل القطاع لثابت بن قرة ، أنهاه سنة (٧١١هـ/١٣١١م) ، مقالة في الاسطوانات والمخروطات ، وهي مقالة ابن السماح ، أنهى الترجمة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، وتلخيص كتاب الجدل لابن رشد ، أنهاه سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م) ، وتلخيص السفسطة لابن رشد أنهاه سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م) ، وشرح كتاب البرهان لابن رشد ، أنهاه سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، كتاب في العقل والمعقول لأبي نصر الفارابي ، أنهى ترجمته سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، وكتاب إحصاء العلوم للفارابي ، أنهى ترجمته سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، وكتاب الثمرة لبطليموس بشرح أحمد بن يوسف المصري (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، انتهى من ترجمته سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، مختصر مقالة المواليد للكندي ، انتهت ترجمته سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، رسالة في تكوين المطر للكندي أيضاً ، انتهى من ترجمته (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، تلخيص السماع الطبيعي لابن رشد ، انتهت ترجمته في آرل سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) ، تلخيص كتاب الكون والفساد لابن رشد ، تمت ترجمته في آرل سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) ، كتاب الآثار السماوية المعروف بالآثار العلوية لأرسطو ، وهو تلخيص ابن رشد تمت ترجمته في آرل سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) ، رسالة الحيوان ، وهي الرسالة الواحدة والعشرون من رسائل إخوان الصفا ، ترجمها في أسبوع من أسابيع سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) بطلب من بعض إخوانه ، كتاب ما بعد الطبيعة تلخيص ابن رشد لما بعد الطبيعة ، اعتمد فيه قالونيموس نصاً عربياً مشوشاً وغير كامل ، وأنهى ترجمته سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م) ، أو (٧١٨هـ/١٣١٨م) ، كتاب الأرثماطيقي في مقالتين ، وهو كتاب نقوماخ مع شرح أبي سليمان الربيع بن يحيى ، أنجزت الترجمة سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) ، الكواكب السيارة لبطليموس في مقالتين . أنجزت الترجمة في سنة (٧١٧هـ/١٣١٧م) ،

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩-١٣٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٥-١٦٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٦ .

ويعتذر قالونيموس في المقدمة عن الأخطاء التي قد ترد في الترجمة لاعتماده نصاً مشوشاً . أنجز الترجمة بطلب من بعض أصدقائه ، كتاب أرخميدس في الكرة والاسطوانة بترجمة قسطا بن لوقا . ترجم قالونيموس النص مرتين كما يتضح من مخطوط أكسفورد «١و٢٠٠٧» ، الذي جاء فيه : «الترجمة الأخيرة التي أنجزها قالونيموس بن قالونيموس ؛ إذ ترجم النص مرتين»[1] . ويحتمل أن يكون تاريخ الترجمة هو (٧١١هـ/١٣١١م) ، وكتاب الهندسة لأبولونيوس ، والرسالة الكافية للكندي ، وفيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة للفارابي ، وتهافت التهافت لابن رشد ، نقله إلى اللاتينية وأتم ترجمته سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) ، رسالة جابر بن حيان في السموم نقل نتفاً منها ، وقد تمت الترجمة غالباً في أفينيون سنة (٧١٩هـ/١٣١٩م)[2] .

أما عن تواليف قالونيموس فمنها : رسالة في الرد على ابن كبسي[3] ، وهي رسالة يرد فيها على كتاب الفيلسوف اليهودي يوسف بن كبسي في كتابه «السر» ، في ثلاثين مقالة ، وتتجلى أهمية هذه الرسالة في عرض مناهج التفسير المعروفة إذ ذاك ، كما أنها تطالعنا على مكتبة قالونيموس الذي كان يبجل أرسطو ، وكان يمتلك ماكتبه عنه شارحوه مثل الإسكندر الأفروديسي وتامسطيوس والفارابي وابن الصائغ ، وكان له من كتب ابن رشد : السماء والعالم ، والتهافت ، ومختصر المنطق ، والكليات ، والنفس ، وفصل المقال ، كما كان يملك كتاب الثمرة لأبي أفلح ، وكتاب علي بن رضوان في الطب ، ومقالة السياسة لأبي الطيب البغدادي ، ويطلعنا في الرسالة أيضاً على ثقافته اليهودية ، إذ يذكر من علماء اليهود إبراهيم بن عزرا ، وابن ميمون ، ويهودا ابن بلعم ، وتتطرق الرسالة إلى كثرة المترجمين من اللغة

---

(١) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٩/١ .

(٢) رينان : الرشد والرشدية ، ٢٢٨/٢ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٣٠-١٣١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٦٦/١-١٦٩ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٨/١-٥١٠ .

(٣) نشرت سنة (١٨٧٩م) ، شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥١٠/١ ، هامش (٩٤) .

العربية وإلى حال قالونيموس المالية حيث يظهر أن هذه المهنة لم تكسبه كثيراً[١] .

ومما ألف أيضاً كتاب الملوك وهو في الرياضيات والهندسة والفلك ، ويعتقد أنه ألفه لروبرت ملك نابولي ، وفيه يعيد أيضاً ذكر معارفه الفلسفية ومعارفه في العلوم العربية حيث يذكر أفلاطون وأرسطو كما عرفه ابن رشد ، وأقليدس ، وأبولونيوس ، وأبقراط ، والفارابي ، وابن سينا ، وابن أفلح ، وإخوان الصفا ، مسمياً الكتب بأسمائها العربية ، وكتاب «المحك»[٢] في الأخلاق ، ألفه سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) ، وكتاب «اختبار العالم» ، كتبه بأسلوب مسجوع ، وكان الغرض منه هو تمجيد الله ، والإشادة بعشرة من فضلاء اليهود كانوا بقطالونيا ، ويتضمن الكتاب تجربة المؤلف ومعاناته من زمان لا يخلو من عبث مُرٍّ أصابته فيه رقة الحال وقلة المال ، وعاصر فيه أجيالاً لم تعد تحسب للأخلاق الفاضلة أي حساب ، فتدنى سلوكها عما كانت عليه الأجيال السالفة[٣] .

ومن أهم فقرات الكتاب الفقرة الثانية والأربعون ، والسادسة والخمسون ، حيث تحدث المؤلف عن الطبقات الاجتماعية المعاصرة له ، وخصوصاً طبقة مدعي المعرفة من متفلسفة وأدباء وأطباء ومنجمين ؛ وإذا كانت هذه الفقرات تتسم بنقد مر لهذه الطبقات فإنها في نفس الآن تعرض لما كان يشغل الطبقة المفكرة من يهود القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي بجنوب فرنسا[٤] .

وأخيراً فقد كتب «مقالة بوريم» ، وهي مقالة هزلية هاجم فيها كل شيء بما في ذلك نفسه ، وانتقد فيها كثيراً من أحبار إيطاليا[٥] .

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) طبع الكتاب مراراً ، وكانت أولى طبعاته بنابولي سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ، والثانية بالبندقية سنة (٩٥٣هـ/١٥٤٦م) ، والثالثة بكريمون سنة (٩٦٦هـ/١٥٥٨م) ، والرابعة سنة (١١١٧هـ/١٧٠٥م) ، والأخيرة كانت في لمبردج سنة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) . شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١١ ، هامش (٩٥) .

(٣) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) نفسه .

وقد يتبادر إلى الذهن بعد النظر إلى سيرة قالونيموس وأعماله أنه ذو توجه علمي فيما نقل وألَّف ، ولكنه في حقيقة الأمر كان ذا توجه ديني متعصب ؛ إذ كان يظهر هذا التوجه بين ثنايا مترجماته التي نقلها إلى العبرية كما سنرى في أساليب الترجمة .

٣٤ - صمويل بن يهودا المرسيلي (Samuel Ibn Judah AL- marseille) ، (النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، ويعرف إضافة إلى اسمه الأول بـ : (Barbaveire و miles Bangodos) ، وهو مترجم يهودي ولد في مرسيليا سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) ، وكان شديد الولع منذ صغره بدراسة العلوم والفلسفة ، وانكب على دراستها في سن الثامنة عشرة ، فدرس الفلك بسالون ، ثم سجن سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) مع مجموعة من اليهود بمدينة بوكير ، كما يشير إلى ذلك في بعض مؤلفاته لأسباب لم يذكرها ، وتنقل فيما بعد بين مرسيليا وترسكون وبروفانس ما بين (٧٢٥-٧٣٧هـ/١٣٢٤-١٣٣٦م) ، ولا يعرف بالدقة مكان وتاريخ وفاته[1] .

كان صمويل مترجماً بارعاً ، لم يتوان في اقتناء أفضل النصوص العربية حتى يتمكن من أداء مهمته على أحسن وجه ، كما عرف بمراجعة ترجماته مراراً ، وعندما كان يعتمد نصاً مشوشاً فإنه يعتذر عما يعتري الترجمة من سوء ، واشتغل بمهنة الطب كما جاء في مخطوط (برلين٣٣٢)[2] .

وقد نقل صمويل ترجماته من العربية إلى العبرية ، ومن أشهر ما نقل :

تلخيص ابن رشد لجمهورية أفلاطون ، أتم الترجمة سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) ، ثم راجعه المراجعة الأولى سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م) ، والثانية سنة (٧٢٢هـ/١٣٢٢م) ، المسائل المنطقية من مباحث أرسطو ، والمعروف بجامع ابن رشد الذي تناول فيه أورغانون أرسطو ، أتم ترجمته سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) ، تلخيص ابن رشد لكتاب الأخلاق لأرسطو ، أتمه سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م) ،

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٣ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٣ .

مختصر الأورغانون لابن رشد ، ترجمه في ترسكون سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) ، ترجمة نص الشكلين الثلاثين والواحد والثلاثين من مقالة أقليدس في الأجسام الخمسة ، ترجمه ليتمم ترجمة قالونيموس التي خَلَتْ من هذين الشكلين ، وأنهى الترجمة سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) ، كتاب المجسطي لبطليموس شرح ابن رشد ، المقالة الأولى والثانية ، وقد أنهى ترجمة المقالة الأولى سنة (٧٣١هـ/١٣٣٠م) ، والثانية (٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، كتاب إصلاح المجسطي لجابر بن أفلح ، ترجمه من العربية إلى العبرية يعقوب أناطولي ، وصححه صمويل هذا ، وقدمه بمقدمة لها أهميتها التاريخية ، الكتاب الأول من رسالة عن الروح من تأليف الإسكندر الأفروديسي ، وقد نقل الرسالة من اليونانية إلى العربية إسحاق بن حنين ، فنقلها صمويل إلى العبرية بمرسية سنة (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) ، ثم أعاد تعديلها حتى أصدرها أخيراً سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م) ، رسالة في الكسوف الكامل الواقع يوم الإثنين في آخر يومٍ من أيام سنة (٤٧١هـ/١٠٧٩م) في إشبيلية لأبي عبدالله محمد الإشبيلي ، رسالة في الفجر لم يذكر اسم مترجمها ولكن الغالب أن المترجم هو صمويل ، حيث وجدت الرسالتان في نفس المخطوط ، مختصر ابن رشد لكتاب النفس ، وقد أتمه في حدود سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م)(١) .

ويظهر توجه صمويل العلمي واضحاً من خلال ترجماته ، لاسيما ترجمته لمختصر المجسطي الذي تناول فيه حياته العلمية مفصلة ؛ حيث ذكر أنه تعاطى الفلسفة منذ سن الثامنة عشرة ، وقصد التأليف فيها ، فدرس الفلك على مشيخة أبامري ، وهناك اطلع على مؤلف ابن أفلح ، أما مختصر ابن رشد في الموضوع فلم يره ، وإنما بلغه خبر ترجمته التي يقال عنها بأنها غير سليمة ، وأنها في حكم المفقود لعدم انتشارها ؛ ولهذه الأسباب عدل صمويل عن مختصر ابن رشد الذي يعتقد أنه كثير التفاصيل وعويص الفهم لمبتدئ مثله(٢) .

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣-١٦٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٣-٥١٤ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٤ .

ولما بلغ الثلاثين من عمره عاد مرة أخرى إلى مجسطي بطليموس الذي كان قد بدأه أيام الصبا ، فدرسه هو وأخوه الذي كان له اطلاع كبير في هذه المباحث ، بالرغم من أنه أصغر منه سناً ، فدرسا المؤَلف كله باستثناء القسم الأخير ؛ لأن الوقت بعد ذلك لم يعد يسمح بالدرس العميق ، ولما بلغ سن الخامسة والثلاثين اطلع على ابن رشد ، ثم غادر هو وأخوه إلى إحدى ضواحي آرل ، وهناك استعار نصاً عربياً للمجسطي ، فنسخا منه بسرعة خلال يومين ، وقد أقاما خلالهما بمدرسة يعيشان على الخبز والماء ، ويسرعان في النسخ حتى يرجعا الكتاب إلى صاحبه ويعودا إلى بلدهما لقضاء بعض الأغراض ، كانت أوراق النسخة بدون ترتيب ، ولم يعرفا كيف يرتبان أوراقها ، ولم تكن تحتوي إلا القسم الثامن من الأصل ، وبعد رحلة طويلة اطلع صمويل على ترجمة يعقوب بن مخير ، ووُعد بأن يحصل على نسخة منها ، كانت النسخة منسوخة بخط مترجمها ، ومع ذلك ظهر لصمويل بأنه اكتشف فيها بعض الأخطاء ، ثم راجع مرة أخرى النص العربي فوجد فيه اختلافاً مع الترجمة في كثيرٍ من المواضع ، بالإضافة إلى أن ترجمة ابن مخير لم تكن تتضمن فصل المجرة وبعض الكواكب الأخرى ، فصحح صمويل أخطاء ابن مخير وأتم المؤلف . وعلم أيضاً بأن موسى بن طبون كان قد ترجم الكتاب غير أنه لم يطلع عليه ، وأتم صمويل مراجعته في سن الثانية والأربعين سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)[١] .

أما ترجمته لرسالة الاسكندر الأفروديسي فقد ذكر في خاتمتها ما نصه : «انقضى كتاب الإسكندر الأفروديسي في النفس ، وانقضت ترجمته حمدا لله ، وكان أصلاً بلغة يونانية علمية ، فنقله من هذا اللسان إلى اللسان العربي إسحاق بن حنين كما ترى في أول المقالة ، ثم نقلته أنا من اللسان العربي إلى اللسان العبري ، والكتاب عميق صعب الفهم ؛ لأن المؤلف استعمل فيه جملاً عميقة كما يفترض في هذا العلم الذي هو علم النفس العظيم والعميق بطبعه ، ويزيد في عمقه وصعوبته هو ما قلناه أي أنه نقل من لسان إلى لسان مراراً ، كما أنه عميق وصعب لسببين اثنين : السبب

(١) نفس المرجع ، ١/ ٥١٥ .

الأول من جهته ، والثاني بسبب ترجماته كما وصفنا هنا ، والمتمرس بهذا العلم يستطيع أن يفهمه الفهم الكامل الملائم له ، ويبلغ مرمى أقواله...نقلته -أي الرسالة- في سن الثلاثين من عمري في مدينة مورسيا ، وانتهت ترجمته في شهر طيبت (٥٠٨٤) للخليقة ، وكان النص الذي نقلت منه مصححاً مدققاً ، كتب في خاتمته أنه صحح ودقق على نسخة محققة ، غير أنني أثناء ترجمتي لم أعتمد التصحيحات الهامشية ؛ إذ اكتفيت بالمتن الذي لي فيه ثقة كبيرة ، وكان الكل أقرب إلى الصواب حسب اعتقادي ، ثم بقيت المقالة بعد ترجمتها حبيسة عندي ، مضروبة عليها أختامي ، فلم تنتشر بين النظار من أهل ملتنا المعاصرين لنا حتى اليوم ، لانشغالي الكبير الذي منعني من فهم عمق هذه المقالة وما غمض منها ، مما منعني من تدقيق ترجمتي هذه على أحسن وجه وبميزان النظر والتقصي ، ولما طالت الأيام وبلغت سن الرابعة والأربعين..تدبرت هذه المقالة ، ونظرت فيها من أولها إلى آخرها مراراً ، ثم غيَّرت فيها كثيراً وصححت ، واعتمدت في الكثير مما صححته على ما ارتأيت وتيقنت ، وجرى ببالي بعد النظر العميق ، وبما أن نص ترجمتي القديم أصبح بالياً اليوم ، وباهتاً لطول العهد ، فإني كتبتها من جديد على أحسن وجه وأوضحه حسب قدرتي ، حتى يستمتع بها القارئ ، وتعم فائدتها أهل العلم والمتعشقين له من أهل ملتنا ، وتتيسر بين أيديهم»[1] .

وهكذا نرى أن صمويل كان متفانياً في أعماله التي اضطلع بترجمتها متتبعاً لأصولها المؤلفة ، مراجعاً مصححاً لما نقله ، متأنياً في نقله حتى يتم له مراجعتها لتخرج على أكمل وجه قدر المستطاع ، ولكنه كان يخص بها أهل ملته كما ذكر في خاتمته ، فهل كان توجهه العلمي هذا توجهاً خالصاً أم أنه مشوب بعنصريته اليهودية؟

لا نعلم أكان صمويل مخلصاً في توجهه مثلما كان مخلصاً في نقوله أم أنه كان يفعل ذلك لصالح ملته وأهل ملته ، فهو يتكلم بنعرة يهودية معتزة طبقاً لما سطره بآخر صفحة بقوله : «أنا المتكلم ناقل هذه المقالة من اللسان العربي إلى اللسان

---

(١) نفس المرجع ، ١/٥١٥-٥١٦ .

العبري اسمي صمويل بن يهودا طاب ذكره...بن مشلم بن إسحاق بن الوقور الربي شلمه بن الوقور الربي يعقوب..وبفضل المؤلف الإلهي المحترم الذي هو من أعظم علماء الأمم وأتقيائهم وبفضل آبائي الأقدسين ، شد عزمي وأعانني الله تبارك اسمه أبد الآبدين ، آمين»[1] .

كان صمويل شديد الإشادة بمؤلف هذه الرسالة الإسكندر الأفروديسي ، بينما انتقد ابن رشد في تلخيصه لبطليموس ، ورغم أنه جرده من أقواله مما اضطره إلى ترجمته نصاً عربياً آخر لنفس المؤلف ، وكثيراً ما كان صمويل يشكو من صعوبة الترجمة ؛ لأنها تمت عن النص العربي إضافة إلى ذكره أنه زاد ورتب في الترجمات ، وهو ما كانت تنقصه النقول العربية فيها[2] ، فهل كان صمويل متحاملاً على العربية وأهلها أم لا؟؟

٣٥ - تدروس بن تدروسي (Tadros Ibn Tadrose) ، يعود أصل تدروس بن مشلم بن داود تدروسي إلى مقاطعة البروفانس بفرنسا ؛ حيث ولد في مدينة آرل سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، ولا يعرف متى مات بالضبط ، ولكنه استقر في منطقة نهر الرون ، وكان يعرف بـ«تدروس التدروسي» ، ويظهر أنه تنصر مرغماً في فترة من فترات حياته ؛ لذا فإنه يردد في تواقيع ترجماته : «تدروس تدروسي من نسل اليهود» ، كما يتبع تواريخ ترجماته بعبارة من تاريخ بني إسرائيل .

وقد اشتهر تدروس كمترجم من العربية إلى العبرية ، ومما نقل ما يلي :

كتاب عيون المسائل للفارابي ، ويتضمن ستين مسألة من المنظومة الأرسطية ، أنجز الترجمة في سن العشرين ، فصول من كتاب النجاة لابن سينا ، والنصوص المترجمة هي المتعلقة بالطبيعة والإلهيات ، ترجمه ما بين (٧٣١-٧٤١هـ/١٣٣٠-١٣٤٠م) ، تلخيص ابن رشد لخطابة أرسطو ، وقد أكمله سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) ، ويقول تدروس : إنه استفاد من كتاب العين للخليل[3] ،

---

(١) نفس المرجع ، ٥١٦/١ .

(٢) نفسه ، ٥١٥/١-٥١٦ .

(٣) الخليل بن عبدالرحمن بن أحمد الفراهيدي الأزدي ، (ت ١٧٣هـ/٧٩١م) ، أحد أئمة اللغة والأدب =

وإن عمله بفضل هذا الكتاب كـان أسـهل ، وقـد غـير تـدروس بعـض الـشواهد العربية ، فوضع مكانها أخرى عبرية اقتداءً بالفارابي وابن رشد اللذين غيَّرا شواهد كتاب الشعر اليونانية فوضعا مكانها أخرى عربية؟[1] .

كـما نقـل كتـاب ابـن رشـد «مختـصر كتـاب الـشعر لأرسـطو» ، وأتمـه سـنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) ، وثلاثة كتب لابن رشد اثنان يبحثـان في نظريـة ابـن سـينا في طبائع الكائنات الثلاثة ، والثالث يبحث في عالم الغيب أو عالم البصائر ، نتـف مـن رسالة لابن رشد تبحث في المادة الأولى «الهيولى» ، يوجد فيها بحث لآراء عدد مـن حكماء اليونان كفيثاغورس ، وأفلاطون[2] .

٣٦ - سـليمان بـونيراك (Solomon Bonirac) ، (النـصف الأول مـن القـرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، يهودي من قطالونيا ، مـترجم مـن العربيـة إلى العبرية ، نقل من الكتب :

كتاب جالينوس ، والكتاب من نقل حنين بن إسحاق ، وقد استعمل سـليمان في ترجمته كثيراً من المصطلحات والتعابير العربية[3] .

٣٧ - إسحاق بـن ناثـان القرطبـي (Isaac AL-qurtubi) ، نبـغ حـوالي سـنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، وهو مترجم يهودي أندلسي ، نقل مـن العربيـة إلى العبريـة ، منها ثلاثة أعمال مهمة ، هي :

رسالة أسئلة وأجوبة للغزالي ، فقد أصلها العربي وبقيت الترجمة ، تعليق محمد التبريزي على مقدمة القسم الثاني من كتاب ابن ميمون : «دلالـة الحـائرين» ، ذلـك أن محمد التبريزي وهـو مـسلم فـارسي بـرز في النـصف الثـاني مـن القـرن الـسابع

=

وسيد أهل الأدب قاطبة في علمه وزهده . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢/ ١٥ .

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣١-١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٥٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥١٧-٥١٨ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٥٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥١٨ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٦٠ .

الهجري/الثالث عشر الميلادي ، كتب في العربية تعليقاً وشروحاً على مقدمة القسم الثاني من كتاب دلالة الحائرين ، وقد نقل هذا التعليق إلى العبرية مرتين ، الأولى : بقلم إسحاق هذا في ميورقة سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، والثانية : بقلم مجهول ، وترجم أيضاً مقالة في التوحيد لموسى بن ميمون(١) .

٣٨ - صمويل بن سليمان هاميئاتي (samuel Ibn solomon ha-meati) : مترجم إيطالي يهودي ، نبغ في حدود سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ، كان ينقل من العربية إلى العبرية ، ويعتبر آخر المترجمين في عائلته من العربية إلى العبرية بإيطاليا ، ومما نقل :

كتاب تدبير الأمراض الحادة لجالينوس ، عن النسخة العربية لحنين بن إسحاق ، وكان والد المترجم صمويل قد بدأ في نقل الكتاب من العربية إلى العبرية ، ولكنه توفي قبل إكماله فأتمه ابنه هذا من بعده ، كتاب ابن زهر المسمى مصباح الشفاء ، سبق أن نقله يعقوب بن طبون إلى العبرية ، ولكن ترجمته فقدت ولم يبق إلَّا ترجمة صمويل هذه(٢) .

٣٩ - يهودا بونسنييور (Judah Bonsenyor) ، (النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، يهودي إسباني سليل أسرة معروفة بخدمتها لملوك أراغون ، وقد استخدمه ملك أراغون خايمي الثاني كشارح ومترجم عنده ، وقد نقل له من العربية إلى القطلونية مجموعة من الأمثال العربية بعنوان : « Liber de paraule et ditssavis efilasofs »(٣) .

٤٠ - يوسف بن يشوع الأول اللورقي (Josph Ibn Joshua ih-lorqi) ، (النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، طبيب يهودي إسباني ، وباحث ومترجم ، توفي قبل سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، أعاد ترجمة كتاب موسى بن ميمون المسمى مقالة في المنطق من العربية إلى العبرية ، وكان موسى بن

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٦ .
(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦١-١٦٢ .
(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٧٢ .

طبون قد نقلها إلى العبرية سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) ، إلا أنَّ ترجمة يوسف هذه حجبتها ، وظلت هي الترجمة المعتبرة والمستعملة في دوائر التعليم اليهودية فترة طويلة من الزمن[١] .

٤١ - يوسف بن فيفس اللورقي (Joseph Ibn vives ha-lorqi) ، (النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، يهودي إسباني عرف كطبيب ومترجم من العربية إلى العبرية ، توفي قبل سنة (٨١١هـ/١٤٠٨م) ، ولعله حفيد يوسف الأول ، ترجم قسماً من قانون ابن سينا قبل سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) ، وما ترجمه كان يشتمل على الأقل على الكتاب الأول والمقالة الأولى من الكتاب الثاني ، كما أنه عدَّل ترجمة ناثان المئوي للقانون[٢] .

٤٢ - صمويل بن موطوط (samuel Ibn motot) ، (النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ، يهودي قشتالي ، ترجم من العربية إلى العبرية عدة كتب منها :

كتاب الحدائق لأبي محمد البطليوسي ، وهي ترجمة ناقصة ، بخلاف الترجمة التي أتمها موسى بن طبون قبله لنفس الكتاب ، كتاب العقيدة الرفيعة لإبراهيم بن داود هاليفي ، كتاب المادة المنحول لأرسطو[٣] .

٤٣ - يهودا بن سليمان بن لابي (Judah Ibn solomon) (ت٨١٤هـ/١٤١١م) ، أحد زعماء اليهود في مملكة أراغون وأغنيائهم ، نشأ بسرقسطة ، وتوفي بقادس (Cadiz)[٤] ، وكان حامياً للعلوم ومشجعاً لها ، ساعد في إنجاز الأعمال التالية :

ساعد زرحيا بن إسحاق لإكمال ترجمة كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي من

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٧٤ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٧٤ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٦٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٣٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٦٢ .

(٤) قادس : جزيرة بالأندلس ، وهي اليوم مدينة وميناء في إسبانيا على الأطلسي . الحميري : الروض المعطار ، ٤٤٨ ؛ الخوند : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ١/ ٣٠٨ .

العربية إلى العبرية ، كما ساعد يوشع بن يوسف الثاني اللورقي لإكمال ترجمة رسالة عربية في قوى ونوعية الأطعمة المختلفة والأدوية البسيطة والمركبة[١] .

٤٤ - داود بن يعيش ، (David Ibn yaieh) ، (النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، يهودي من إشبيلية ، ترجم من العربية إلى العبرية ، ومما ترجم : رسالة حول الاقتصاد المنزلي ، فُقِدَ نصها اليوناني وحفظت في ترجمتها العربية ، ومن ثم العبرية واللاتينية ، ومؤلف الرسالة شخص اسمه بروشن «bryson» ، وعنوان الرسالة هو : «رسالة بروشن في تدبير الرجل منزله» ، وسبق أن نقلها أرمانغو بن بليس من العربية إلى اللاتينة ، وقد نسبت لجالينوس[٢] .

٤٥ - سرخيا هاليفي بن إسحاق الجيروني (ت ٨٩١هـ-١٤٨٦م) ، لا يعرف عنه سوى أنه نقل من العربية إلى العبرية كتاب الغزالي الشهير المسمى كتاب «تهافت الفلاسفة» ، وهذه هي الترجمة الوحيدة المستقلة للكتاب ؛ إذ جرت عادة النقلة اليهود بشكل خاص أن ينقلوا كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي وينقلوا معه كتاب تهافت التهافت لابن رشد[٣] .

٤٦ - شامبير سينغوريان (sympohorien chmpier) ، نبغ في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، وهو مترجم لا يعرف عنه سوى أنه نقل كتاب الكليات في الطب لابن رشد ، وتمت ترجمته سنة (..هـ-١٥٣٧م)[٤] .

٤٧ - إبراهيم بن بالمس (debalmes) ، (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، مترجم لا نعرف عنه الكثير ، نقل ما يلي :

رسالة ابن الهيثم المعروفة باسم كتاب «هيئة العالم» ، وكانت هذه الرسالة قد نقلت إلى القشتالية بواسطة إبراهيم الطليطلي ، ثم نقلها إلى العبرية من العربية

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٥-١٤٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٧٣-١٧٤ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٩ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٠ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٠ .

يعقوب بن طبون ، ثم أتى إبراهيم هذا ونقلها من العبرية إلى اللاتينية ، رسالة «الوداع» لابن باجه ، نقل هذه الرسالة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حاييم بن فيف (Hayyim Ibn vives) ، ثم قام إبراهيم هذا بنقلها إلى اللاتينية ، رسالة ابن رشد المسمَّاة «خلاصة المنطق» ، وقد نقلت هذه الرسالة إلى العبرية سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) ، ثم عدَّلها مرسيل بن يهودا سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) ، وقد نقل هذه الترجمة العبرية المعدلة إلى اللاتينية إبراهيم المذكور ، وكانت ترجمته هذه أصل جميع الإصدارات المطبوعة[1] .

وبعد أن أنهينا حديثنا الطويل عن المترجمين وتوجهاتهم ، لا بد لنا من خاتمة مختصرة نبين فيها أهم نقاط هذا الفصل :

١ – تعددت أجناس المترجمين والنقلة من العربية إلى اللاتينية وتوجهاتهم ، ولعبت العوامل الدينية والسياسية دورها في بروز بعضهم على حساب البعض الآخر ، فكان للمترجمين النصارى قصب السبق والعدد الأكثر بين كل الأديان الأخرى ، ولعل ذلك يعود إلى أن الترجمة أصلاً نشأت في أحضان الدول النصرانية ، وتحت رعايتها .

٢ - نلاحظ أن دور المترجمين المسلمين قد هضم بجانب المترجمين أصحاب الديانات الأخرى ، وأن أسماءهم أغفلت عمداً أو بسبب تحول الكثير منهم إلى النصرانية اسماً وديانة بالإكراه مما صعب الأمر عند الحديث عن مترجميهم في هذا الفصل .

٣ - في المقابل لم يغفل دور المترجمين اليهود ، ولم تهمش أسماؤهم من الترجمة وذلك بسبب التغلغل الذي أحرزه اليهود في المجتمع النصراني ، بواسطة الطرق الملتوية المعهودة لدى هذا العنصر ، والتي مكنت لهم شيئاً من النفوذ والسلطان عبر فترات الترجمة ، مما أتاح لمترجميهم أن يؤدوا دورهم بكل أريحية ، وأن تثبت أسماؤهم في تاريخ هذه العملية .

٤ - بالنظر إلى توجهات المترجمين نجد أنَّ التوجه الديني كان السائد لدى كثيرٍ

(١) المرجع نفسه ، ١/١٥٤ ، ١٥٥ .

منهم ، لا سيما اليهود والنصارى ، وهذا يثبت ما ذكرناه سابقاً من أن الدافع الديني للترجمة هو المتصدر لبقية الدوافع ، وأن الترجمة نشأت لأجل الدين ولخدمته ، فحتى المترجمون اليهود أخذوا يعملون داخل حركة الترجمة بوصفهم تابعين للنصارى حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم ؛ ولهذا عملوا بوصفهم مترجمين أوروبيين لاسيما في عصور الترجمة المتأخرة ، وبذلك كسبوا مرتين : كسبوا أولاً فرض أنفسهم على حركة الترجمة كلها ، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام ، ومحاولة إضعافه بالتشكيك في قيمته بدعوى فضل اليهودية عليه ، وذلك بادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول[١] . ونحن في الواقع لسنا في حاجة إلى دليل لإثبات كراهية اليهود للإسلام ؛ وذلك لأن هذه الكراهية قد ظهرت واضحة كالشمس منذ ظهور الإسلام ، وقد أكد القرآن ذلك في قوله تعالى : ﴿ ~ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾[٢] .

(١) زقزوق : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ٤٩-٥٠ .

(٢) سورة المائد ، الآية : ٨٢ .

الفصل الثالث : مناهج الترجمة من العربية إلى اللاتينية

المبحث الأول : أساليب الترجمة .

المبحث الثاني : لغة الترجمة .



تُعَدُّ ترجمة علوم المسلمين من العربية إلى اللاتينية حدثاً عظيماً في تاريخ الفكر ، بل إنها من أعظم الأحداث على نطاق العالمين الإسلامي والنصراني ، فهي قد كشفت عن مدى التقدم العلمي الذي كان يملكه المسلمون في عصورهم الخوالي ، وكيف أن هذا الكنز العظيم سلب من أيديهم بواسطة هذا النقل الذي تناول كافة العلوم على اختلاف تخصصاتها ، فخلال حقبة تاريخية طويلة استغرقها هذا النقل مع تعدد المراكز وتوزعها في مساحة جغرافية كبيرة ، وتوزع المترجمين والنقلة على هذه المراكز بأعداد هائلة على اختلاف لغاتهم ودياناتهم وجنسياتهم ، فشرعوا في العمل ما يقرب من ستة قرون[١] -من فترة الدراسة- أدوا فيها أعمالاً عظيمة غيَّروا فيها مجرى التاريخ فيما قدمت بين جنباتها من تراث إسلامي عربي إلى أوروبا .

ومما يزيد المرء تشوقاً هو معرفة الطريقة التي كانت تتم بها هذه الترجمات والاطلاع على مناهج هؤلاء النقلة في أداء مهمتهم ومدى كفاءة نقولهم للكتب العربية إلى اللاتينية؟

كل هذه التساؤلات سوف نتناولها في هذا الفصل بالشرح والتحليل ، وعن طريقها نستطيع التوصل إلى مناهج الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، سواءً من ناحية الأساليب ، أو اللغة المترجم إليها ، مع ذكر أمثلة لعدد من المترجمين ومناهجهم من خلال ما نقلوه من مؤلفات .

---

(١) استمرت عملية الترجمة إلى ما بعد القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، وهي ما زالت إلى هذا الوقت ، ولكن أهم ما ترجم وزمان نشاطها كان خلال الفترة المحددة للدراسة .

المبحث الأول :

أســـــاليـــب الـــترجـمــة

تنوعـت أسـاليب الترجمـة مـن العربيـة إلى اللاتينيـة تبعـاً لظـروف المترجمـين أنفسهم ، وإتقانهم للغتين المنقول إليها ، والمنقول عنها ، إضافة إلى تأثير التوجهات في اتخاذ الأسلوب الذي يراه الناقل مناسباً لخدمة توجهه ، وعليه فأسـاليب الترجمـة كانت تخضع لدوافع دينية أو سياسية أو علميـة ، أو ضرورة ملحـة ، والأهـم مـن ذلك العلم باللغة من عدمه .

ومن الملاحظ أن نجاح الترجمة في الأندلس كـان أكثـر شـمولاً وأعمـق وأدق وأكثر وضوحاً من الترجمات التي تمت في صقلية ، ولعل ذلك يعود إلى أن المترجمـين في الأندلس كانوا أقدر على معرفة العربية واللاتينية وعلى معرفة العلوم نفسـها مـن مترجمي صقلية[١] ، وعلى كل حال فجميع مراكز الترجمة اتخذت أسـاليب عديـدة في عملية النقـل إلا أنَّ أشـهرها -مـن خـلال مـا وصـل إلينـا مـن المترجمـات وسـيَر المترجمين- أسلوبان هما :

أ - أسلوب الترجمة المزدوجة :

وهو أن يقوم اثنان من المترجمين بالاشـتراك في عمليـة الترجمـة ، فيقـوم الأول ينقل النص من العربية إلى اللغة الوسيطة سواء عبرية أو قـشتالية ، ثـم يقـوم الثـاني بنقل النص من اللغة الوسيطة سواء العبرية أو القشتالية إلى اللغـة اللاتينيـة ، أو أن يقوم أحدهما بالترجمة ، ومقابلة الكلمات العربيـة باللاتينيـة ، ويـأتي الآخـر ويقـوم بمراجعتها ، وصياغتها في لغة لاتينية مرتبة[٢] .

وهذا الأسلوب هو الذي اتبعه كثير من المترجمين في نقل النصوص العربيـة إلى

---

(١) حسين : في الطب والأقرباذين ، ٢٩١ .

(٢) أوليري : الفكر العربي ،٢٨١-٢٨٢ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٤ ؛ شيخة : دور مدرسـة الترجمـة بطليطلة ، ١٣٧/٣ ؛

Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٢٢

اللاتينية ، ومن أبرز من استخدمه من المترجمين : يوحنا الإشبيلي ، ودومنجو جنديسالفي ، فالأول كان يحسن العربية والقشتالية ، والثاني يعرف اللغتين الرومانية واللاتينية ، فكانت الترجمة تتم على النحو التالي : عربية ، قشتالية ، لاتينية[١] .

وهو الأسلوب الذي اتبعه المترجم ميخائيل سكوت ، سواء كان ذلك في ترجماته بطليطلة أو خارجها ، لاسيما في ترجمته لمؤلفات ابن رشد ؛ حيث استعان بمن يتقن العربية لمعاونته في الترجمة ، وسار على نفس المنوال هرمان الألماني ، فقد كان يترجم إلى الألمانية والقشتالية عن طريق العربية والعبرية اللتين لم يكن ضليعاً فيهما[٢] .

وكانت الطريقة في الترجمة الوسيطة تتم شفوياً ، وهذا ما حصل لكل من يوحنا الإشبيلي ، ودومنجو جنديسالفي ، فكان الأول يقرأ النص بالقشتالية ، ويقوم الثاني بمقابلته بلغة لاتينية[٣] .

أما إذا كانت الترجمة مشتركة بين اثنين فهما ينقلانها من العربية إلى اللاتينية ، أو يقوم الأول بالنقل ، والآخر بالمراجعة . وقد استخدم هذا الأسلوب هرمان الدلماتي ، وروبرت تشستر في ترجمتيهما للقرآن الكريم ، كما عمل به أفلاطون التيفولي ، وإبراهيم برحيا اللذين اشتركا في ترجمة مجموعة من الأعمال من العربية إلى اللاتينية والعبرية[٤] .

وقد انتقد أوليري هذا الأسلوب بقوله : «كانت الطريقة المستخدمة في هذه المدرسة «طليطلة» أو المتبعة في القرون الوسطى هي : أن يستخدم الموظفون في الترجمة فيضعوا الكلمات اللاتينية فوق الكلمات العربية التي في الأصل ، ثم تراجع

---

(١) وات : فضل الإسلام ، ٨٤ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ١٣٧/٣ ؛

jourdain:recherches critiques sur lage Et lorigine des Traductions,١٢٠.

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦١ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ١٣٨/٣ .

(٣) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ،٢٤٤ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛ بيرنت : حركة الترجمة من العربية ، ١٤٤٥/٢ ؛ مايرز : الفكر العربي والعالم الغربي ، ٩٩ .

اللاتينية على يدي كبير الموظفين ، وتحمل الترجمة بعد انتهائها اسم من راجعها ، وكانت هذه الطريقة آلية للغاية ، فكان المترجم يعامل معاملة الأقل في الأهمية ، ويبدو أن إعداد الترجمات كان يحدث بحسب الأوامر بالطريقة نفسها التي كان يحدث بها نسخ النصوص ، فلم تكن تعتبر أكثر اتصالاً بالمعرفة من عملية النسخ ، كما لم تكن مهمة المراجع أكثر من أن يتأكد من أن الجمل اللاتينية كانت صحيحة من الناحية النحوية ، أما تركيب الجملة فكان لا يزال عربي الطابع ، وكان -في الأغلب- في منتهى الصعوبة في الفهم على القارئ اللاتيني ، ولاسيما حين تكون الكلمات الصعبة مجرد ترجمة للكلمة العربية»[١] .

وممن استغل هذا الأسلوب لصالحه قسطنطين الأفريقي الذي عاونه في ترجماته عدد من تلامذته ، ولكن جميع الترجمات نسبت له دون غيره[٢] .

ب - الأسلوب المباشر :

وهو أن يقوم المترجم بنقل النص العربي إلى اللاتينية مباشرة ، وغالباً ما يكون مستخدموا هذا النوع من متقني اللغتين معاً المنقول منها وإليها ؛ إذ يعتمدون على أنفسهم في نقل النص من لغته الأم «العربية» إلى اللاتينية دون وسيط ، وممن استخدم هذا النوع جيرارد الكريموني ؛ ولذا كانت أغلب مترجماته موفقة نسبياً . وقد قام بإعادة بعض ترجمات يوحنا الإسباني ، ودومنجو جنديسالفي لاعتقاده بوجود بعض السلبيات في ترجمة الثنائي ، ولأنه كان يميل إلى إزالة الوسيط وهو اللغة القشتالية الشفوية[٣] .

وقد كان المترجمون يقومون بهذه المهمة بكل صبر وجلد ؛ إذ يعمدوا إلى نقل المؤلف من العربية أولاً ، ثم بنسخه ثانياً بخط اليد ، فلم يكن فن الطباعة الذي

---

(١) الفكر العربي ، ٢٨٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٩ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٦ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ١٣٨/٣ .

ظهر في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي قد اكتشف بعد[١] .

وبالرغم من هذه المشقة في النقل فقد حفلت المترجمات بكثير من العيوب المتنوعة الأسباب كالتالي :

أولاً : عيوب ناتجة عن أخطاء في المترجمات :

وهي أخطاء ناتجة عن القراءة ، فكثيراً ما يقع المترجم في خطإ قراءة النص العربي الأصلي ، سواء كان ذلك عن جهل باللغة العربية ، وضعف في فهم معانيها ، أو لعدم إثبات النقط في النص ، أو لتشابه الحروف ، أو لاعتبار كلمتين كلمة واحدة ، أو الكلمة كلمتين ، أو جهل بموضوع الكتب التي ينقلون منها[٢] .

والأمثلة الناتجة عن أخطاء القراءة كثيرة عند مترجمي العلوم العربية ، منها :

الأخطاء التي وردت في ترجمة كتاب القانون لابن سينا الذي عدله جيرارد الكريموني ؛ إذ إنه ترجم كلمة فرانيتس (Phrenitis) ، إلى اللاتينية تحت شكل (Karabitus) ، ووفقاً للمعجم الطبي لسيمون الجنوبي فإن الكلمة(Karabitus) تعني دملاً حاراً في غشاء الدماغ ، في حين أن كلمة فرانيتس (Phrenitis)التي دخلت إلى اللاتينية تشير إلى الجنون الهائج ، وهو العارض الأساسي للمرض ، ومع أن الكلمتين مشتقتان من التصور نفسه فإن كلمة (Phrenihs) ترجع إلى الوصف القديم لمرض عقلي يمكن أن يكون موضعه الحجاب ، في حين أن كلمة (Karabitus) ترجع إلى تفسير ابن سينا الذي يحدد مصدر الجنون في الدماغ[٣] .

إضافة إلى ذلك فقد ترجمت كلمة الصداع في باب الصداع من الكتاب نفسه بـ«soda» ، كأنها مصطلح طبي خاص ، وكلمة العشق في بابها بـ«Ishaak» ، كأنها مصطلح أيضاً[٤] .

وقد أدت هذه الأخطاء في القراءة إلى حرفية الترجمة ؛ إذ إن عجز الناقل أحياناً

---

(١) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٥ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٥٦٧ .

(٣) جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ٣/١٢٤٣-١٢٤٦ .

(٤) حسين : في الطب والأقرباذين ، ٢٩١ .

عن إيجاد مرادف للكلمة العربية في اللغة الأخرى يضطره إلى نقلها كما هي أسلوباً وتركيباً ، أو يقوم بنقلها كيفما اتفق تاركاً مسؤولية حل الغموض للقارئ[١] ، وهذه الصعوبة هي التي واجهت هرمان الألماني الذي اعتذر عنها بقوله : «بما أنني حاولت القيام بترجمة صناعة الشعر فقد وجدت في هذا السبيل كثيراً من المصاعب بسبب اختلاف الأوزان اليونانية عن الأوزان العربية ما يئست معه من النجاح ؛ ولذا فقد تناولت كتاب ابن رشد... ، ونقلته إلى اللاتينية ضمن استطاعتي»[٢] .

ولذا فقد انتقد روجر بيكون ترجمات هرمان بشدة ؛ إذ إنه حافظ على التنوينات وحركات أواخر الكلمات الطارئة بدقة ، وذلك في نقل أسماء الأعلام[٣] .

ثانياً : الحذف :

تعد عملية الحذف من أخطر عيوب الترجمة ؛ إذ إن هذا الحذف ينقص من أهمية الكتاب ، أو يشوش الفهم لدى القارئ ، مما يتسبب في أخطاء فادحة عن الكتاب ومؤلفه ، وهو ما حصل فعلاً مع مقاصد الغزالي في ترجمته إلى اللاتينية التي نشرت دون مقدمة مؤلفه ، فعدَّ اللاتين تلك الأفكار التي أراد الغزالي انتقادها آراءه الخاصة به ، وهذا ما سيحول الغزالي إلى غزالي آخر عندهم[٤] .

وكثيراً ما قام المترجمون بحذف كلمات أو جمل أو مصطلحات أو أسطر أو أبواب بكاملها من النصوص المترجمة ، وتتلخص أسباب الحذف فيما يأتي :

أ - وقوع الجملة أو الفقرة المحذوفة بين كلمتين متشابهتين ، مثاله : ترجمة قالونيموس بن قالونيموس لكتاب فصل المقال لابن رشد ؛ إذ جاء في الأصل العربي ما نصه : «كما يعذر الطبيب الماهر إذا أخطأ في صناعة الطب والحاكم الماهر إذا أخطأ في الحكم» ، فأصبحت بعد الترجمة : «كما يعذر الطبيب الماهر إذا أخطأ في

---

(١) أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٢ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ١/٢١٦-٢١٧ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٨ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ١/٢٢٤ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) شحلان : التراث العبري اليهودي ، ١٨٣ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ٣/١٣٨ .

الحكم»[١] .

ب - غموض المعنى واستعصاء الفهم على المترجم ، مثاله : ترجمة روبرت تشستر للقرآن ؛ إذ عمد في نقله لسورة الهمزة إلى حذف كلمة (يحسب) من الآية (الثالثة) ، فبعد أن كان الأصل وهو قوله : ﴿ > = < ? ﴾ جعله : «الذي سيخلده ماله» ، وبذلك أعطى عكس المعنى المراد من الآية[٢] .

جـ - دافع ديني يحتم على المترجم حذف كل ما له علاقة بالإسلام ، أو ما يمس عقيدته سواء نصرانية أو يهودية ، والأمثلة لهذا النوع كثيرة متنوعة ، منها :

ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية التي قام بها روبرت تشستر ، وهرمان الدلماتي ، فبالنظر إلى الترجمة نجد أنها تحاشت كل اسم أو فعل فيه معنى التسليم والإسلام ، مثل : مسلمون ، مسلماً ، إن الدين عند الله الإسلام ، فأسقطت الكثير من هذه المصطلحات التي تدل على الدين الإسلامي[٣] ، بالرغم من أن الترجمة كانت للقرآن الكريم كتاب المسلمين؟

ومن الأمثلة أيضاً للحذف بدافع الدين ما ترجمه قالونيموس بن قالونيموس اليهودي في كتاب فصل المقال لابن رشد ، فقد حذف كل ما يمت للرسول ﷺ من لفظ وقول ، مثاله : ما جاء في الأصل العربي من قوله : «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين» ، حذفت هذه الفقرة كاملة من المقدمة بعد الترجمة ، وقوله في الأصل العربي : «ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في السوداء التي أخبرته أن الله في السماء : أعتقها فإنها مؤمنة» ، ثم أصبحت بعد الترجمة : «ولذلك قال : فإنها مؤمنة»[٤] .

أما عن حذف كل ما يمس عقيدة المترجم أو يخالفها فمنه ما قام به جيرارد

---

(١) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٥٧٧ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٠ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٥٧٧ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٧ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٦٣ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٢٥ .

(٤) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٥٧٩ .

الكريموني ، الذي أسقط من ترجمته لكتاب القانون لابـن سـينا بابـاً كـاملاً يتنـاول طرق منع الحمل وإسقاط الأجنة ، وذلك إرضاءً لرجال الدين النصراني[١] .

د - العجز عن إيجاد المقابل للفظة أو الكلمة العربية في اللغـة المـترجم إليهـا ، مثاله : ترجمة كتاب الشعر لتدروس التدروسي جاء فيه : «الموافقة اتحاد ، وذلك أنـه لا تخلو الموافقة أن تكون في كل اللفظ وكل المعنى ، وهذا مثل قول الشاعر : طويـل النجاد طويل العماد» ، ثم حذف البيت من الترجمة لعدم وجود المقابل[٢] .

هـ - حذف غير مفهوم السبب ؛ لأن المحـذوف في الأصـل بـسيط ، مثالـه : ترجمة قالونيموس أيضاً لكتاب فصل المقال لابن رشد ؛ إذ جـاء في الأصـل العـربي قوله : «لكون ذلك ممتنعاً» ، ثم أصبحت بعد الترجمة : «لكـون ممتنعـاً» ، و«مـسألة من المسائل النظرية» ؛ إذ أصبحت بعد الترجمة : «مسألة من المسائل» فقـط ، ولعـل سبب هذا النوع من الحذف هو السهو سواء من المترجم أو الناسخ[٣] .

ثالثاً : الزيادة في الترجمة :

وهذا النوع من العيوب كثيراً ما يطالعنا في الترجمات للعلـوم العربيـة ، وهـذه الزيادات تكون أحياناً بحرف واحـد قـد يكـون حـرف عطـف ، أو حـرف جـر ، وأحياناً بلفظ واحد ، وتضمنت أحياناً أخـرى جملـة أو جملتـين بـل نـصاً طـويلاً . وهكذا نجد أن هذه الزيادات أتت على أنواع كالتالي[٤] :

أ - زيادة في المقدمات والخواتم : مثاله : ما فعله قسطنطين عند ترجمته لكتاب زاد المسافر لابن الجزار ، فقد كتب في المقدمة : «إذا خطر لأناس أن يـضعوا أنيـابهم على كتابي هذا لأدفعنهم ينامون في بلاهتهم ، فقد رأيت من واجبي التوقيـع عليـه ؛ لأن الناس يحسدون أعمال الغير ، ويتملكون اختلاساً كل كتاب أجنبـي يـصل بـين

---

(١) السامرائي : فضل العرب في الطب العربي ، ٨٩ ، هامش (١٤) .
(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٥٨٠ .
(٣) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/٥٨١ .
(٤) نفس المرجع .

أيديهم ، وقد سميته زاد المسافر لصغر حجمه ، لا يثقل ولا يعطل المسافر»[١] .

أما مثال الزيادة في الخاتمة فترجمة يعقوب أناطولي لكتاب المقولات لابن رشد جاء فيها : «انتهى كتاب ابن رشد لكتاب المقولات ، حمداً لخالق الكل بكلماته التي هي وحدها الطاهرة»[٢] . ويكمن العيب في هذا النوع من الزيادات أن المترجم لم يفرِّق بين مقدِّمته ومقدمة المؤلف ، والخاتمة بالمثل ، ممَّا يحدث اللبس للقارئ ، وكثيراً ما استغلت هذه الزيادات في انتحال المؤَلف نفسه ، وكأنَّه من عمل المترجم مثلما فعل قسطنطين .

ب - زيادة لتفصيل القول في البناء الشكلي للمؤلف ، مثاله : ترجمة تدروس التدروسي لكتاب الشعر لأرسطو ، حيث جاء في الأصل قوله : «إذ كثيرٌ مما فيه — كتاب الشعر - هي قوانين خاصة بأشعارهم وعاداتهم فيها ، إما أن تكون نسباً موجودة في كلام العرب ، أو موجودة في غيره من الألسنة» ، فزاد تدروس ما يلي : «ونضمن هذا سبعة فصول ، الفصل الأول» . ثم جاء في الأصل العربي قوله : «قال : إن قصدنا الآن التكلم ...الفصل» فزاد تدرس أيضاً كلمة «الثاني»[٣] .

جـ - زيادة عقدية : مثالها ترجمة قالونيموس لكتاب تهافت التهافت لابن رشد ؛ إذ جاء في الأصل العربي : «هكذا ينبغي أن يكون حال صاحب البرهان في كل شريعة وبخاصة شريعتنا» ، فزاد قالونيموس : «شريعة موسى هذه الإلهية» ، ثم جاء في الأصل العربي : «أنكروا وقوع إبراهيم عليه السلام في النار» ، فأضاف قالونيموس : «نار الكلدانيين» ، وفي موضع آخر في الأصل العربي : «الاعتراض على معجزة إبراهيم عليه السلام» ، فزاد قالونيموس : «جدنا» ، قبل عليه السلام[٤] .

د - زيادة تفسيرية : حيث يفسر بها المترجم نفس المؤلف ، مثاله : ترجمة

---

(١) ابن ميلاد : تاريخ الطب العربي ، ٨٧-٨٨ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٢٩٥ .

(٣) نفس المرجع .

(٤) نفس المرجع ، ٢/٥٨٥-٥٨٦ .

قالونيموس لكتاب تهافت التهافت لابن رشد ؛ إذ جاء في الأصل العربي ما نصه : «والعلم لو قدر عدمه لم ينعدم المعلوم ، والمعلوم إذا قدر انتفاؤه انتفى العلم» ، فزاد المترجم : «وهو الممكن بل يبقى الممكن ممكناً وأن يعلم» ، وجعلها بعد جملة : «ينعدم المعلوم» ، ثم أكمل بقية الكلام[1] .

هـ - الزيادة سهواً : كإعادة جملة سابقة ، أو جملة لاحقة ، وقد تكون هذه الزيادة من المترجم ، كما أنها قد تأتي من الناسخ أيضاً ، مثاله ترجمة تدروس التدروسي لكتاب الشعر لأرسطو ، فجاء في ترجمته : «يجب ضرورة أن تكون الأمور التي تقصد محاكاتها إما فضائل وإما رذائل ، وذلك أن كل فعل وكل خلق إنما هو تابع لأحد هذين ، أعني الفضيلة والرذيلة» ثم كرر : «وعندما كان كل ما يقصد محاكاته من الأفعال الإرادية هو إما فضائل أو رذائل ، فقد يجب ضرورة أن تكون الرذائل تحاكى بالرذائل»[2] .

و - زيادة من الناسخ أو المترجم نفسه يوضح فيها رأيه في النص المنقول ، مثاله : كتاب تهافت التهافت ، [مخطوط ٩١٠] ، ولا توجد في غيرها من النسخ ، جاء فيها : «قال الناسخ : في هذا الموضع قد أتى ابن رشد بأقوال عن الحدوث ، ..ولم أرد نسخها ، ويلزمك أنت أيضاً أن لا تبلبل ذهنك ؛ إذ لا عجب أن يأتي هذا الأمر من ابن رشد ، وإنما العجب أن يأتي من بعض علمائنا الذين تبلبلت أفكارهم بهذا كما ذكر الربي موسى بن ميمون في الفصل الثاني من الدلالة»[3] .

أما عن الزيادة التوضيحية من المترجم مثالها : ترجمة كتاب ميزان العمل للغزالي ؛ إذ أضاف المترجم إبراهيم بن حسداي تعليقاً شبيهاً بهذا في موضوع علم المتصوفة يقول : «وأقول أنا المترجم : يظهر أن الصوفية لم يحيدوا عن هذا الإيمان الفاسد ، وإنما هو إيمانهم بمحمد وما قالته عنه أمته ؛ إذ قالوا إنه كان أمياً لم يطلع

---

(١) نفس المرجع ، ٢/٥٨٧ .

(٢) نفس المرجع ، ٢/٥٩٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ٢/٥٩٣-٥٩٤ .

على الحكمة مطلقاً...قال المؤلف»[١] .

رابعاً : التبديل :

من عيوب المترجمات للعلوم العربية أيضاً التبديل ، وهو غالباً ما يكون بهدف ديني ؛ إذ إن كثيراً من المترجمين عمدوا إلى تبديل كل المفردات التي تحيل على معاني الإسلام والتسليم والمسلمين ، وتبديلها بمفردات ومعاني الإسماعيلية والسراسنة والملحدين[٢] .

أما في موضوع أسماء الأعلام فإن المترجم يحافظ دائماً على أسماء أعلام الإغريق دون تغيير ، ويختلف الأمر عند ذكر أسماء الأعلام الإسلامية ؛ حيث حاول الكثير منهم تبديلها ما أمكنهم ذلك ، لاسيما إذا كانت تحمل صبغة دينية كاسم محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي بدل باسم موسى ، أو ببعض الحكماء ، وأسماء الصحابة عوضت بأسماء من التاريخ اليهودي أو النصراني ، وحتى الأسماء التي لها مدلول عربي فصيح كـ«زيد» الذي بدل بـ«رؤوفن» ، و«عمرو» الذي بدل إلى «شمعون» ، وجميعها أسماء يهودية وجدت في مترجمات اليهود خاصة[٣] .

ومن الملاحظ أن المترجم الواحد لا يحتفظ بالاسم المحول عن العربي ، إنما يختار الأسماء جزافاً ، فيظل يبدل الاسم العربي بأكثر من اسم في نفس الكتاب المترجم ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، كما هو الحال في ترجمة تهافت التهافت لابن رشد ؛ حيث كان الناقل قالونيموس يضع مقابل اسم «عمرو» «رؤوفن» ، وفجأة يضع مقابله «شمعون» وهكذا[٤] . وكثيراً ما بدل المترجمون أسماء الأماكن المقدسة إلى أسماء أماكن دينية في ملتهم ، فحول «المسجد الحرام» إلى «كنيسة» ، و«مكة» إلى

---

(١) نفسه ، ٢/٥٩٤ ، هامش(٣٦) .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٧ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٦٣ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٢٥ .

(٣) شحلان : التراث العبري ، ١٨٣-١٨٤ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ١٣٨/٣ .

(٤) شحلان : التراث العبري ، ١٨٣ .

«أورشليم» وهلم جرًّا[1] . ولم يكتف هؤلاء بتبديل الأماكن والأسماء ونحوها إنما جرؤ البعض منهم وخاصة النقلة اليهود إلى تبديل الآيات القرآنية في النص العربي بآيات توراتية في النص المترجم ، والأحاديث النبوية بأقوال مأخوذة من التلمود ، وهذا ما كان واضحاً في ترجمة إبراهيم بن حسداي لكتاب ميزان العمل للغزالي[2] .

خامساً : انتحال المترجمات المنقولة :

وهي صفة لوحظت بوضوح لدى بعض المترجمين ، وانبرى لها عدد من العلماء المتخصصين في بحوث كثيرة ؛ إذ أظهروا كيف انتحل مترجموا التراث الإسلامي كتباً أو بحوثاً أخذوها من مؤلفات علماء الإسلام زاعمين أنها من إبداعهم أو تأليفهم ، كما أنهم نقلوا كتباً عربية أخرى ثم زعموا أنها لمشاهير من الإغريق مثل أرسطوطاليس وجالينوس وروفس وسواهم[3] .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، أولها قسطنطين الأفريقي الذي انتحل كثيراً من المترجمات التي أتمها بسالرنو ، منها كتاب ابن الجزار «زاد المسافر» ، فقد كتب في مقدمة الكتاب ما يلي : «إذا خطر لأناس أن يضعوا أنيابهم على كتابي هذا لأدفعنهم ينامون في بلاهتهم فقد رأيت من واجبي التوقيع عليه لأن الناس يحسدون أعمال الغير ويتملكون[4] اختلاساً كل كتاب أجنبي يحصل بين أيديهم ، وقد سميته زاد المسافر لصغر حجمه ، لا يثقل ويعطل المسافر»[5] .

أما المترجم هوغو السنتالي فكان يلخص مقدمة المصنف العربي الأصيل للكتاب ويدخل التلخيص في المقدمة التي يكتبها هو ، حتى يكاد ليتعذر على المرء أن يميز بين عبارات المصدر الذي أخذ منه المترجم وبين عبارات المترجم نفسه ،

---

(١) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ١٠١ .

(٢) شحلان : التراث العبري ، ١٨٤ .

(٣) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٢٣ .

(٤) وقد انطبق على قسطنطين بفعله هذا المثل القائل : «رمتني بدائها وانسلت» ، الميداني : أبوالفضل ، أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/١١٢٤م) : مجمع الأمثال ، ط١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١/١٠٢ .

(٥) ابن ميلاد : الطب العربي ، ٨٧-٨٨ .

وبخاصة أن الأصل العربي غير متيسر للمقارنة[١] .

ومن الأمثلة على انتحال الكتب كتاب ابن النفيس المشهور الذي سرقه ميخائيل سارفيتوس ، ولم تقتصر صفة الانتحال على الكتب بل طالتها إلى الأفكار التي كانت تتضمنها هذه المؤلفات ، فقد اقتبس روجر بيكون جميع ما نسب إليه من نتائج علمية من الكتب العربية المترجمة إلى اللاتينية . أما ريموند لول فقد ألف عدداً كثيراً من كتب الكيمياء ، ثبت أخيراً أن معظمها مأخوذ من الكتب العربية[٢] .

سادساً : تعدد عناوين المؤلف الواحد في الترجمات :

ومرد هذا الأمر إما الجهل باللغة العربية وبالتالي الخطأ في قراءة العنوان في لغته الأم ، أو التبديل والتحوير للعنوان ، وغالباً ما يكون بهدف ديني أو شخصي للمترجم كرغبته في انتحال الكتاب ، أو نسبته إلى مؤلف آخر ، أو اجتهاد منه بأن هذا العنوان غير لائق بالمؤَلف ، فيقوم باستخلاص عنوان جديد بعد أن قام بالاطلاع على الكتاب عن طريق ترجمته .

والأمثلة كثيرة على تعدد عناوين الترجمات ، يأتي في مقدمتها القرآن الكريم ، الذي تفنن النقلة الحاقدون على الإسلام وأهله فوضع هؤلاء على أغلفة ترجمات القرآن الكريم عناوين تشكل بذاتها مادة في الجدل ضد القرآن ؛ حيث تحاشت عقد أية صلة بين القرآن الكريم وبين الوحي السماوي ، وأبقت على النص المترجم كتاباً طائفياً لمؤلف عربي ، ومن أمثلة ذلك : «قانون المسلمين لمحمد بن عبدالله ، قوانين الأتراك ، قرآن محمد ، مسامرات محمد ، محمد ومؤلفه»[٣] .

أما بقية المؤلفات الأخرى فقد تعددت ترجمات عناوين بعضها ، منها : «كتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي ، الذي ترجمه إسحاق البلاج بعنوان ، مراتب

---

(١) بيرنت : حركة الترجمة ، ٢/١٤٥١ .

(٢) فؤاد سزكين : محاضرات في تاريخ العلوم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٧٩م ، ١٧-١٨؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٢٤ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٤١ .

الفلاسفة»[١] .

إن هذه العيوب المذكورة في الترجمات كانت ناجمة عن أسباب عدة ، منها :

١ - أن معرفة هؤلاء المترجمين باللغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف ، أو أن البعض منهم ضعيف في اللغة المنقول إليها[٢] ، وفي ذلك يقول السامرائي : «أما في حالة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية فيحدث أن يكون الكتاب العربي منقولاً عن اليونانية ، فإذا ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية فإنه يمر بمرحلتين من النقل ، وفي ذلك كثير من الاحتمال أن لا تطابق الترجمة الأخيرة مضامين الكتاب الأصل ، أو تكون على الأقل مرتبكة وكثيرة الأخطاء .

هذا بالإضافة إلى أن المترجمين إلى اللاتينية لا يحسنون هذه اللغة أو لا يحسنون العربية ، فتكون نقولهم تبعاً لذلك مشوشة وركيكة ، وهذا ما حدث في ترجمة كتاب «كامل الصناعة الطبية» للمجوسي ، وحتى في كتاب القانون في الطب لابن سينا»[٣] .

٢ - أن معلومات بعض هؤلاء النقلة بالعلوم المترجمة جزئية متناقضة وضحلة وغير كافية ، وهم يرمون بأنفسهم في متاهات لتفسير مصطلحات العلم دون الرجوع إلى أصولها العلمية ، وفي هذا ذكر محمد حسين قوله : «وكان أكثر المترجمين لا علم لهم بالطب ، وأوقعهم ذلك الجهل في أخطاء مضحكة»[٤] .

٣ - أن ما يحرك أكثر هؤلاء المترجمين هو دافع الضغينة والحقد على الإسلام مما أفقدهم وأعمى بصيرتهم بطريقة أو بأخرى .

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٤٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٢/ ٧٠٧ .

(٢) السامرائي : الطب العربي ، ٨٨ .

(٣) الطب العربي ، ٨٨ .

(٤) في الطب والأقرباذين ، ٢٩١ .

المبحث الثاني :

لـــــــغـــــــة الـــــــترجمـــة

تكمن أهمية الحديث عن لغة الترجمة عند النظر إلى عنوان البحث ككل ، فهـو يتناول الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ولكننا في حقيقة الأمر أدخلنا لغات أخـرى كالقشتالية والعبرية ، وأدرجنا جميع المؤلفات التي كتبت بهذه اللغات ومـن ثـم إلى اللغة اللاتينية في قائمة العلوم المترجمة ، وأفسحنا حيزاً واسعاً للنقلة الذين نقلوا من العربية إلى هذه اللغـات أيـضاً ولـو لم يترجمـوا مـن العربيـة إلى اللاتينيـة مبـاشرة ، واعتبرناهم من مترجمي فترة الدراسة ، وداخل إطار الموضوع ، فما هي العلاقة بـين الترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية ، وهذه اللغات لاسيما : القشتالية ، العبرية؟

كانت اللغة العربية هي اللغة الأم التي ترجمت منها كثير من المؤلفات في شـتى التخصصات ، وكانت اللغة اللاتينية هي اللغة الأخيرة التـي وصـلت إليهـا ترجمـة المؤلفات من العربية ، أما بقيـة اللغـات الأخـرى فهـي لغـات وسـيطة في النقـل ، فترجمت مؤلفات من العربية إلى القشتالية ومن ثم إلى اللاتينية ، وترجمـت مؤلفـات من العربية إلى العبرية ، ومن ثم إلى اللاتينية ، أما ما ترجم عن اللاتينيـة بعـد ذلـك إلى اللغات الأوروبية الأخرى كالفرنسية والألمانية والإنجليزية وغيرها ، أو ما نقل عن هذه اللغات الأوروبية بعد ذلـك إلى أي لغـة أوروبيـة ثانيـة ، فهـي في مجملهـا تعتمد على اللغة اللاتينية التي وصل إليها كم هائل من الـتراث الإسـلامي ، وعـن طريقهما انتشر ليتلقفه النقلة بأي لغة أخرى .

تكمن أهمية اللغة اللاتينية بأنها كانت لغة الاستعمال اليومي لأغلب أوروبا في العصور الوسطى ، وقد محت مع مرور الوقت عدداً من اللغات المحلية الأخرى مثل الأوسكانية[١] ، والأترسكانية[٢] ، والليغورية[٣] ، ولم تقتصر على هذا الأمر ، بل ارتقت حتى أصبحت لغة دولية ، ولغة الإدارة والحكم ؛ ولأنها -كما يعتقد- هي اللغة التي استخدمها شيشرون[٤] وغيره من أعلام الأدب الروماني للتعبير ، قدر لها أن تصبح فيما بعد -بالرغم مما أصابها من تغيير -لغة كنيسة عظيمة ، وأن تبقى حتى العصور الوسطى ليستخدمها آباء الكنيسة ومترجموا الإنجيل ، وهذا -إلى حد- ما هو سر انتشارها في العالم الغربي آنذاك ، وبجانب كونها لغة الباحثين وعلماء الدين والفلاسفة ورجال السياسة في العصور الوسطى ، كما بقيت أيضاً لغة المراسم للكنيسة الرومانية[٥] .

ومعنى هذا أن الترجمات اللاتينية لعلوم المسلمين قد لقيت شريحة كبيرة من المجتمع الأوروبي يستطيع الاطلاع عليها بكل يسر وسهولة ومنذ وقت مبكر من تاريخ الترجمة .

إلا أنه مما يجدر ذكره أن هذه اللغة اللاتينية -رغم انتشارها وتطورها مع مرور الوقت- فقد كانت ضعيفة في قواعدها ونحوها ؛ لأنها كانت من نوع اللاتينية البروفنسية في أغلب الترجمات ، وهي لاتينية مطموره ممجوجة ، وعاجزة عن التعبير بالمفاهيم العلمية ، وخصوصاً المصطلحات الطبية وأسماء الأدوية ، وكان

---

(١) الأوسكانية : لغة تنتمي إلى عائلة اللغات الهندوأوروبية ولا تمت للغة اللاتينية إلا بصلة بعيدة . الموسوعة العربية العالمية ، ٤٠٥/٣ .

(٢) الأترسكانية : لغة تنتسب إلى لغات غامضة من آسيا الصغرى مثل الليدية ، وحروفها تشبه الإغريقية . نفس المرجع ، ١٣٤/١ .

(٣) الليغورية : لغة تنتمي إلى اللغات الإيطالية القديمة . نفس المرجع ، ٢٩٤/٢١ .

(٤) شيشرون : ماركوس توليوس (ت٤٣ ق م) ، خطيب روماني ورجل دولة ، كان لخطبه ومقالاته الفلسفية والدينية تأثير في الأدب اللاتيني . الموسوعة العربية العالمية ، ٣٠٥/١٤ .

(٥) ويت : اللغة اللاتينية وآدابها ، ٥٥٧/٣-٥٦٣ ؛ سارتون : تاريخ العلم ، ١٤٠/٦-١٤١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨ .

من نتيجة ذلك كثير من الأغلاط التي مسَّت جوهر المادة الطبية المترجمة إلى اللاتينية[١] .

وقد ترجمت أغلب الترجمات من العربية إلى اللاتينية مباشرة ، ولم يكن استخدام اللغات الوسيطة إلا في فترات تاريخية معينة ، ومع ظروف خاصة حتمت استخدام هذه اللغات ، لاسيما اللغة العبرية التي نقلت إليها عدد من المؤلفات العربية بواسطة المترجمين اليهود خاصة الذين اضطلعوا بهذه المهمة[٢] .

وفي حقيقة الأمر نجد أن اللغة العبرية كانت واردة في الترجمة ؛ لأن كثيراً من المؤلفات اليهودية المكتوبة بالعربية بالحرف العبري ، أو المترجمة من العربية أو العبرية أو المكتوبة أصلا بالعبرية كانت انعكاساً كاملاً للفكر العربي الإسلامي كما رأينا سابقاً ، وقد لقي بعضها شهرة واسعة حتى إنها ترجمت إلى اللغة اللاتينية ، وهو أمر غير مستغرب ؛ إذ كانت الثقافة اليهودية متبلورة أصلاً من الثقافة الإسلامية[٣] .

إلا أن المستغرب أن نجد نصوصاً عربية تترجم إلى اللغة العبرية بالرغم أنه سبق لها أن ترجمت مباشرة إلى اللغة اللاتينية؟

يمكن إجمال أسباب هذه الإعادة بما يأتي :

١ - أن جل الأعمال المترجمة كانت خصوصية ، وكانت محصورة بين أيدي أشخاص معينين ، وظلت غالباً قابعة في مكتبات الأديرة وبين أيدي رجال الدين ، ولم يرغبوا في إشاعتها .

٢ - أنه كان من السهل في تلك الفترة إعادة ترجمة نص من النصوص في حين يصعب العثور على نسخة من ترجمة سابقة .

٣ - غموض النصوص المترجمة وابتعادها عن الأصول ، خصوصاً إذا علمنا أن هذه الترجمة كانت عبارة عن تفسير لنص عربي يمليه مترجم يهودي أو مسلم

---

(١) السامرائي : الطب العربي ، ٨٨ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٠١ ؛ المقداد : الدراسات العربية في فرنسا ، ٢١ .

(٣) شحلان : التراث العبري ، ١٨٠ .

باللغة القشتالية ، ثم ينقله مترجم ثان إلى اللغة اللاتينية ، وفي أحسن الأحوال كانت الترجمة حرفية ، وغالباً ما يعتريها كثير من العيوب كما رأينا سابقاً[١] .

فهل كانت هذه الأسباب مجتمعة هي التي دعت إلى إعادة الترجمات من اللغة العبرية إلى اللاتينية؟ وهل أزالت هذه الترجمات العبرية نفسها هذا الغموض وأوضحت النص العربي؟ لا نعتقد ذلك ، فقد كانت هذه الترجمات ذات اللغة العبرية هي بدورها حرفية إلى أبعد الحدود ، وبقيت المصطلحات العربية في أصولها الأولى ، وحاول المترجم الإبقاء على الجذر العربي المشابه صوتاً للجذر العبري ، ولو كان المعنى يختلف أو كان متناقضاً ، بل خرج المترجم العبري عن قواعد النحو العبري ، فخلق نحواً جديداً هو عبارة عن نحو عربي «معبرن» ، ولم يكن المترجم يكلف نفسه عناء البحث عن العبارات النادرة الاستعمال ، بل كان يتركها كما هي[٢] .

ولا يكمن خطر هذه الترجمات في الأسباب التي أشرنا إليها أعلاه ، أو في حرفيتها المتطابقة ، بل يكمن في حذفها فقرات كاملة لا يمكن فهم النص بدونها ، وفي تغييرها الشواهد العربية ؛ ليصبح النص العربي الإسلامي مألوفاً لدى القارئ اليهودي ، فآيات القرآن الكريم تصبح آيات توراتية ، وأحاديث الرسول ﷺ تتحول إلى أقوال مأخوذة من التلمود أو المدراش[٣] ، والأقوال العربية السائرة ، والأشعار تتحول إلى أقوال ومأثورات السلف اليهودي ، واسم الجلالة أو اسم الرسول ﷺ يصبح أحد الحكماء ، واسم محمد ﷺ يصبح موسى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة[٤] .

---

(١) أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٣ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٨٢-١٨٣ .

(٢) شحلان : التراث العبري ، ١٨٣ .

(٣) المدراش : مأخوذة من الكلمة العبرية درش ، أي : بحث ودرس ، وتستخدم الكلمة للإشارة إلى منهج تفسير العهد القديم ، وهي مجموعة كتب ألفت لشرح وتفسير العهد القديم . رشاد شامي : موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ٦٦ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

إن هذه الترجمات المحرفة باللغة العبرية التي نقلت التراث العربي الإسلامي إلى الغرب ، وكانت دائماً توصم بالغموض ، وكان نجاحها القليل هو الذي دعا إلى إعادة ترجمتها في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، والغريب أن مونك لا يشك في مصداقية أحكامه في هذا الموضوع ، ويقول : «إذا كانت الترجمات اللاتينية الأخرى تشكو بعض الاضطرابات فإنه يمكننا تقويمها بالرجوع إلى الترجمات العبرية ، وهي ترجمات شديدة الدقة وصائبة»[1] .

وقد فند شحلان رأي مونك هذا بقوله : «إن هذا الحكم الذي أصدره مونك في حق الترجمات العبرية التي تناولت الفكر العربي الإسلامي غير صحيح ، ولا ندري هل كانت نتيجة لدرس سريع غير متأنٍ ، أم كان نتيجة لعاطفة إنسانية؟ ونحترم الإنسان في عواطفه .

إن ما توصلنا إليه من نتائج أثناء اشتغالنا بمخطوطات عبرية متعددة وفي مواضيع مختلفة ، وإن مقارنتنا هذه المخطوطات بأصولها ، دلت على أن ما قاله مونك لم يكن صحيحاً ، وقد مكننا هذا الاشتغال بوضع عديد من الملاحظات هي :

أولاً : أن اللاتين حاكموا الفلسفة العربية الإسلامية انطلاقاً من النصوص اللاتينية ، وهي نصوص ترجمت من العبرية أو اعتمدتها ، وفيها ما فيها ، فلا بد إذن أن يتهموا الفكر العربي الإسلامي بعدم فهمه الفكر اليوناني والعجز عن هضمه بل وبتشويهه .

ثانياً : أن مفكري عصر النهضة لا بد أن تزعزع ثقتهم في ابن رشد ، مع أنهم قالوا فيه : «إن أرسطو شرح الطبيعة وابن رشد شرح أرسطو» .

ثالثاً : أن هناك نصوصاً عربية إسلامية في ترجمات لاتينية أو أجنبية ، وعلينا أن نعود إليها لمقارنتها بالأصول ؛ لنبين أن ما فيها من خلل لا يرجع إلى طبيعتها بقدر ما يرجع إلى طريقة ترجمتها .

رابعاً : أن هناك نصوصاً ضاعت أصولها العربية ، ولم تبق منها إلا ترجماتها

---

(١) المرجع نفسه ، ١٨٤ .

العبرية ، فعلينا أن نخرجها وأن نتخذ الحيطة في إخراجها انطلاقاً من ملاحظاتنا السابقة .

خامساً : يجب الرجوع إلى النصوص العبرية نفسها للتأكد من محتوياتها دون الاعتماد على ما ذكرته الفهارس المختصة ، وقد تأكدنا من أغلاطها في مناسبات مختلفة..الخ»[١] .

ومما يجدر ذكره أن الشروع في النقل إلى اللغة العبرية بدأ منذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، لكنه كان ضئيلاً بالنسبة للنقل المباشر إلى اللغة اللاتينية ، ثم ما لبث أن نشط وازدهر إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ؛ إذ انتشر بين اليهود ترجمات المؤلفات الفلسفية العربية إلى العبرية ؛ حيث يعتبر هذا التاريخ أول نقل لها ، بالإضافة إلى غيرها من التخصصات[٢] .

ومع هذا القرن أيضاً ازدهرت الترجمة من العربية إلى اللغة القشتالية ، وإلا فالبدء في النقل إلى القشتالية كلغة وسيطة كان منذ بداية الترجمة ؛ إذ ذكرنا سابقاً كثيراً من النقلة ، أحدهم يترجم بلغة قشتالية والآخر يقوم بنقلها إلى اللغة اللاتينية ، ومما زاد على نشاط النقل من العربية إلى اللغة القشتالية هو ألفونسو العاشر الذي أسس مدرسة ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغة القشتالية ، تواكب مدرسة الترجمة في طليطلة التي كانت تنقل إلى اللاتينية ، فأصبحت مدرسته مكملاً لها امتداداً منها[٣] .

وبالرغم مما قيل إن معاوني ألفونسو العاشر من اليهود هم الذين أقنعوه بأن يستخدم اللغة القشتالية لغة تعليمية في المؤلفات المذهبية ، وكان هؤلاء اليهود يشعرون بنفور غلابٍ لا يقاوم من اللغة اللاتينية الأداة العظمى للكنيسة النصرانية في نشر تعاليمها ، فشجعوه على ترجمة العهد القديم إلى اللغة القشتالية إبان القرن

(١) التراث العبري ، ١٨٥ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٠١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٥ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٧٤ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦ ؛ الخطيب : حول مدرسة المترجمين بطليطلة ، ٥٨ .

السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وهم الذين غذوا فكرة كتابة المؤلفات التاريخية والعلمية بهذه القشتالية[١] .

بالرغم من ذلك كله فقد كان هذا العصر هو عصر نمو دولة قشتالة العظمى في رأي مؤسسها ، فكان معه إبراز لغة للدولة الجديدة يدرس بها في مؤسساتها التعليمية ، ويعمل بها في دوائرها ومؤسساتها السياسية والدينية ، حتى ألفونسو العاشر بدوره لم يكن يغفل عن هذا الجانب الرامي إلى دفع القومية القشتالية لدولته من خلال لغتها ، والنقل إليها ، أضف إلى ذلك أن اللغة اللاتينية في هذا العصر أصابها شيءٌ من الركود ، وهذا ما عبر عنه روجر بيكون في أن ما كتب فيها قيمتُه زهيدة للغاية ، وطبقاً له فلا بد من اللجوء إلى الجهود التي حررها علماء من المسلمين في لغات أخرى . ولما لا تكون اللغة الأم للدولة هي وسيلة النقل كلغة بديلة[٢] .

وهكذا نجد أن لغة النقل إلى القشتالية كانت متداخلة مع لغة النقل إلى اللاتينية ، فترجمت مؤلفات من العربية إلى اللغة الوسيطة القشتالية ومن ثم إلى اللاتينية ، بينما ترجمت مؤلفات في عصر ازدهار اللغة القشتالية من العربية إلى القشتالية دون الاستعانة بالخطوة التالية وهي الترجمة إلى اللاتينية[٣] .

وبعد أن عرفنا أساليب الترجمة ولغتها يجدر بنا أن نضرب عدة أمثلة لمناهج عدد من المترجمين إبان فترة الدراسة :

أولاً : ترجمة روبرت أوف تشستر للقرآن الكريم سنة **(٥٣٨هـ /١١٤٣م)**

تعتبر هذه الترجمة هي الأولى من نوعها للقرآن الكريم كاملاً إلى اللغة اللاتينية ، وكان الراعي للعمل هو بطرس المحترم الذي كلف كلاً من روبرت تشستر الذي كان بدوره المسئول الأول عن الترجمة بناءً على ما جاء في مقدمتها ، والملاحق المرفقة بها ، وقد عاونه في عمله هرمان الدلماتي الذي اضطلع بالمراجعة مع ترجمة رسائل

---

(١) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٤٨ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٨ .

(٢) كاسترو : إسبانيا في تاريخها ، ٥٥١ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٩ .

(٣) وات : فضل الإسلام ، ٨٦ ؛ مانثناريس : المستعربون الإسبان ، ٢٥ .

أخرى ألحقت بالترجمة فيما بعد[١] .

بدأ روبرت عمله بمقدمة كانت عبارة عن خطاب موجه إلى الراعي الرسمي للعمل «بطرس المحترم» ، ثم أخذ في الترجمة حسب السور ، ولكنه لم يراع الترتيب الأصلي لها ؛ إذ قسمت السور الطوال من البقرة إلى الأنعام وفق بداية الحزب إلى أقسام ، وعنونت بسورة أيضاً ، فأصبحت سورة الإسراء تقابل سورة الأعراف وهكذا إلى سورة الناس[٢] .

والترجمة في مجملها تحمل دافعاً دينياً يهدف إلى التشويه المتعمد للكتاب العزيز ، وهذا ما يلاحظ في ثنايا الترجمة التي كانت تزخر بأخطاء جسيمة سواء في المعنى أو في المبنى ؛ إذ وصفها كثير من المستشرقين أنفسهم بأنها لا تستحق اسم الترجمة ، فالأخطاء الكثيرة والحذف والإضافة والتصرف بحرية شديدة في مواضع يصعب حصرها يجعل هذه الترجمة لا تشتمل أي تشابه مع الأصل[٣] ، وقد انتقدها يوحنا السيجوفي صاحب إحدى ترجمات القرآن بأنها : «أدخلت في النص القرآني آراء اللاتين ، واستعملت كلمات وآراء تتفق مع النصرانية وليس مع الإسلام»[٤] .

أما بلاشير فيقول عنها : «لا تبدو الترجمة الطليطلية للقرآن بوجه من الوجوه ترجمة أمينة وكاملة للنص»[٥] .

أما فوك فيقدم وصفاً دقيقاً للترجمة مدعوماً بالأمثلة فيقول : «وفي ترجمة روبرت عيوب خطيرة ؛ فقليلاً ما حافظ على تكوين جملة الأصل ؛ إذ إنه قد تخلى

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٥ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٨٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤٤١ ؛ أحمد مهنا : دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، مطبوعات مكتبة دار الشعب ، القاهرة ، ٨١ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٧ ، هامش(١) .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٠ ؛ عليان : أضواء على الاستشراق ، ٩ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ص٢٣ ؛ محمود الربداوي : أهداف ترجمات القرآن وأنماطها عبر التاريخ ، ١٤٠ .

(٤) سذرن : نظرة الغرب ، ١٠٢ .

(٥) الربداوي : أهداف ترجمات القرآن ، ١٤٠ .

عن الأمانة اللفظية ، فكانت أقرب إلى الجمل المفسرة منها إلى الترجمة ، ونادراً ما وضع في الاعتبار خصائصه الأسلوبية ، بل إنه اجتهد في أن يجرد مضمون الفكرة من أجزاء المعنى المتفرقة لسورة ما ويقدمها منطقية في تشكيلها»[١] .

ثم يورد فوك مثالاً لسورة الهمزة ، فيقول : «ففي السورة (١٠٤) مثلاً «ويلُ لكلِّ همزة لمزة ، الذي جمع مالاً وعدَّده ، يحسب أنَّ ماله أخلده» ، أورد الذي سيخلده ماله ، فحذف «يحسب» ، وبذلك أعطى عكس المعنى المراد من الآية تماماً»[٢] .

ويمكن تلخيص عيوب ترجمة القرآن الكريم لروبرت في نقاط عدة كالتالي :

أ - ضعف الترجمة ، ومردُّ ذلك جهل المترجمين -سواء روبرت أو معاونيوه- بأسرار اللغة العربية ومعانيها ، وهذا واضح من خلال الأخطاء والتحوير الذي حفلت به الترجمة ، إضافة إلى الحذف الناتج عن غموض المعنى بالنسبة للمترجم في سور عدة[٣] .

أضف إلى ذلك الجهل بالإسلام وأحكامه ، وهو مرتبط بالجهل باللغة العربية لغة القرآن ، ومترجموا القرآن لم يكونوا جهلاء بالإسلام ؛ لأنهم بعيدون عنه ، بل على العكس من ذلك تماماً ، فقد كانوا في داخله ، فروبرت ، وهرمان ممن عاشا في الأندلس فترة من حياتيهما ، فإذا رأو فهموا القليل مما كان يدور حولهم ، وإذا لم يعرفوا شيئاً عن الإسلام باعتباره ديناً فما ذاك إلا لأنهم أرادوا ألا يعرفوا عنه شيئاً[٤] .

يقول الأب روبير كاسبار : (Robert caspar) : «إن الغرب لم يفهم الإسلام على حقيقته أبداً ، بل ولم يحاول ذلك مطلقاً ، وحتى خيرة المسيحيين القلائل الذين

---

(١) تاريخ الاستشراق ، ٨٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) بدوي : دفاع عن القرآن ، ٧ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٦٠ ؛ محمد شيخاني : المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم ، ضمن «الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم» ، ط١ ، ١٣٩٥هـ ، ١٣٨ .

(٤) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٧١-٧٢ .

كانوا يعيشون على مقربة من الإسلام..لم يتمكنوا من إدراك جوهر الإسلام وعظمته ، والتي تتمثل في السمو إلى الله الواحد الأحد ، ولعل ذلك يرجع أساساً إلى أن الغرب المسيحي قد اكتفى -لعدة قرون طويلة- بتشويه الإسلام ومؤسسه بأسخف الأقوال دون أن يكلف نفسه عناء دراسة هذه العقيدة»[1] .

كما يميل كثير من الباحثين في علم اللغة إلى استحالة نقل نص من لغة إلى أخرى نظراً لاختلاف طبيعة اللغات ، وصعوبة نقل خصائص الأصل ، ومن ثم يرون عدم إمكانية الترجمة ، ويذهبون إلى أن هناك شروطاً للترجمة يندر أن تتوفر في حالات كثيرة ؛ لذلك لديهم مباحث متعددة في ترجمة ما لا يترجم ، وفي حالة النصوص المقدسة بصفة عامة والنص القرآني بصفة خاصة فإن إمكانية الترجمة تزداد استحالة ؛ لأن خصوصية اللغة تكون فريدة ؛ لأن التأثير العميق لكلمة الوحي يرتبط بلغة التنزيل[2] ، وذلك التأثير الذي يسميه «فريتجوف شيون» ، بالسحر ، فيقول : «ويرتبط ذلك السحر ارتباطاً وثيقاً بلغة التنزيل ذاتها ، أي : بالعربية ، ومن هنا لا شرعية للترجمات من الناحية المذهبية وعدم جدواها من الناحية الطقسية . إن لغة من اللغات تكون مقدسة حين يتكلم بها الله ، ولكي يتكلم بها الله ينبغي أن تتجلى ببعض الخصائص التي لا توجد في أي لغة تالية عنها»[3] .

ومما لا شك أن النص القرآني يأتي على رأس «ما لا يترجم» بسبب دلالات كلماته الثرة ، وتعبيراته المشحونة ، وتراكيبه المخصوصة ، ومفرداته الواسعة ، مما لانظير له في أية لغة أخرى ؛ لذلك يجمع المسلمون على أن كل ما يكتب عن القرآن في اللغات الأخرى فهو ليس قرآناً أبداً ، بل هو تفسير للقرآن أو معانٍ له ، أو

---

(١) المرجع نفسه ، ٧٢ .

(٢) المرجع نفسه ؛ محمد بن شقرون : نبذة تاريخية حول ترجمات معاني القرآن الكريم ، ضمن : «الندوة الدولية حول ترجمات معاني القرآن الكريم» ، ط١ ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي١٣٧٠هـ ، ٩٨-٩٩ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٧٣ .

تعريف به ، أو شرح ، أو دراسة إلى غير ذلك[١] .

ب - الحرية في الترجمة : إذ أتت هذه الترجمة مثالاً بارزاً على العشوائية المنهجية المدفوعة بالأهداف الدينية في تشويه النص القرآني ، مما سوغ التغاضي عن أصول عملية الترجمة وأخلاقياتها ، فجاءت ترجمة حرة دون قيد أو التزام منهجي يجنبها التناقض والتضارب[٢] .

وتجسدت العشوائية المنهجية للترجمة في عدد من الظواهر منها :

الحذف الذي عمد إليه روبرت ومعاونوه ، وقد أوردنا مثالاً واحداً يعطي تصوراً عن هذه العشوائية . أما عن عدم التزامهم بترتيب السور على الأصل ، ومن ثم تغيير أسمائها فهو واضح في الترجمة ، مما يعطي دليلاً قاطعاً على التشويه المتعمد للقرآن ؛ وذلك لأن جميع أسماء سور القرآن المائة والأربعة عشر هي توقيفية ، وإن كان هناك عدد من السور لها تسميات أخرى عُرفت بها بين الصحابة ، إلا أن أبجديات الترجمة تعني التزام المترجم نقل نظام المادة المترجمة وترتيبها كما جاءت في الأصل ، وذلك في النص الإنساني ، ناهيك عن حرمة هذا الالتزام في الكتب المقدسة[٣] .

ومن مظاهر العشوائية أيضاً في هذه الترجمة الزيادة المخلة ؛ حيث أضيفت مقدمات وملاحق على النص الأصلي للقرآن بهدف إدانته ، ولم يكتف المشروع بإخراج النص القرآني المشوه لوحده ، فأضافوا مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة ليست لمضمون النص المترجم ، بل إنها طعون في أصالته ، وسخرية في محتواه ، ومحاولات للحط من قدره ، فقد تضمنت هذه الترجمة عدداً من المقدمات والملاحق سميت بمجموعة «ديركلوني» ، وهي :

١ - خطاب بطرس إلى القديس برنار رئيس دير كليرفو .

٢ - مجموعة مختصرة من الوثائق ضد طائفة السراسنة والإسماعيلية الكافرة .

---

(١) نفس المرجع ؛ بن شقرون : نبذة تاريخية حول ترجمات معاني القرآن الكريم ، ١٠٣-١٠٤ .

(٢) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٧٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ٧٦-٧٧ .

٣ - مقدمة روبرت تشستر .

٤ - تعاليم محمد بترجمة هرمان الدلماتي .

٥ - تاريخ السراسنة[١] .

وقد لخص فوك أخطاء الترجمة هذه في أربعة أنماط هي : هنات ، إهمال ، عدم دقة ، سهو عن إعطاء ترجمة سليمة للأفكار الرئيسية[٢] .

ثانياً : ترجمة قسطنطين الأفريقي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) لكتاب الماخوليا لإسحاق بن عمران .

عُرف عن قسطنطين الأفريقي صفة الانتحال في جميع الأعمال التي ترجمها ، وذلك عن طريق تقديمه للكتاب بمقدمة يوحي بها للقارئ بأن العمل من تأليفه وليس ترجمة ، فهو يتحدث من خلال هذه المقدمة عن طريقة تأليفه للكتاب ، وأسباب تسميته ، كما أنه يحذر من اختلاس الكتاب ، ويخشى من أن تؤول مؤلفاته التي بذل من أجلها المشاق إلى هؤلاء المختلسين[٣] .

أما في ترجمته لكتاب الماخوليا لابن عمران فنجده لا يبعد كثيراً في منهجه عن بقية الترجمات كالتي نسب فيها النصوص إلى نفسه ، مقدماً إياها كإعادة اكتشاف العلم اليوناني مطلقاً على نفسه صفة المنسق أو الجامع لهذه العلوم[٤] . وإرادته هذه في صبغ الصفة الهيلنستية على النصوص تبدو واضحة من خلال اختياره للعناوين لهذه المؤلفات ، والتي تبدو وكأنها لمؤلفين من كبار أطباء اليونان قام بتحقيقها ، أو من عمله مقتدياً بهم في التأليف[٥] .

ومما يلاحظ على قسطنطين في ترجمته لهذا الكتاب عدة استنتاجات منها :

١ - احتفظ قسطنطين بترتيب الكتاب وأقسامه ، وهو ديدنه في أغلب

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٧-٧٩ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٨١ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨١ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٢٩٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ ؛ ابن ميلاد : تاريخ الطب العربي ، ٨٧ .

(٤) ابن ميلاد : تاريخ الطب العربي ، ٨٨ .

(٥) نفس المرجع والصفحة ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ١٢٢٦/٣ .

ترجماته ، الأمر الذي سهل اكتشاف سرقاته للكتب بعد ذلك ، ومن ثم معرفة مؤلفيها الأصليين ونسبتها لهم[(١)] .

٢ - لغة الترجمة بصفة عامة كانت لغة لاتينية ركيكة ، مما يثبت أن قسطنطين لم يكن يجيد اللاتينية بسهولة ، بل استعان بتلامذته كـ«أوتو» مثلاً في تصحيح هذه الترجمات[(٢)] . ومما يدلل أيضاً أن قسطنطين لم يكن على علم واسع باللغة المنقول إليها هو استعانة ستيفن الأنطاكي بنسخة أخرى مترجمة للكتاب الملكي لعلي بن عباس سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) ، بعد أن اكتشف انتحال قسطنطين له[(٣)] .

٣ - غياب الوجوه الكبرى للطب الإسلامي من خلال الترجمة ، إذ إن قسطنطين قد أغفل كل اسم عربي في الكتاب ونسبه لنفسه ، بينما نجده خلاف ذلك مع الأسماء اليونانية التي أثبتها كما هي ، ومن هنا نفهم لماذا نسبت آنذاك الكتب التي ترجمها قسطنطين إلى أطباء اليونان التي فقدت بإيطاليا ، وقيل إنها رجعت على يده من اللسان العربي[(٤)] .

٤ - الحذف الواضح في الترجمة ؛ إذ إن المترجم كان يحذف كل ما عسر عليه فهمه ، أو كل ما يوحي أن أصل الكتاب عربي ، وأدى بصيغة مبهمة لكل التجارب والخدمات العربية المنصوص عليها فيه[(٥)] .

ثالثاً : ترجمة إبراهيم بن حسداي (ت بعد٦٣٨هـ/١٢٤٠م) لكتاب ميزان العمل للغزالي ، قام إبراهيم بالترجمة بين سنتي (٦٢٢-٦٣٨هـ/١٢٢٥-١٢٤٠م)[(٦)] ، والظاهر أن المترجم كان شديد التقدير للغزالي ؛ إذ ذكره في مصاف أرسطو وابن ميمون ، ورأى فيه علماً لا يمكن للملة اليهودية أن تستغني عن كتبه ،

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ ابن ميلاد : تاريخ الطب العربي ، ٨٨ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٩ .

(٣) حسين : في الطب والأقرباذين ، ٢٨٨ .

(٤) ابن ميلاد : تاريخ الطب العربي ، ٨٨ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ١٢٢٧/٣ .

(٥) ابن ميلاد : تاريخ الطب العربي ، ٨٨ .

(٦) مايرز : الفكر العربي ، ١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٠/١ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٢ .

خصوصاً عندما يتعلق الأمر بجانب الأخلاق والشرع[١] ؛ وليدل على أهمية الغزالي فقد قدم للترجمة بقوله : «وهذه سنوات قد مضت ، فيها تفتق وأزهر وأنار وأشرق ، وظهر في أرض المشرق رجل حكيم مبرور ، وعالم كبير مشهور ، له في كل علم باع ، وفي كل فن قدرة ومستطاع ، إنه أبوحامد الغزالي ، وقد ألف كتابه هذا أكمل تأليف ، وفسره أجمل تفسير ، وسماه ميزان العمل والفضائل ، تلك الفضائل التي بها يجني الإنسان ، فتكلم فيه بالشيء العجيب ، وأظهر قدراً كبيراً وعلماً كثيراً ، وهو العالم الكبير والفيلسوف المفكر الذي لم يتأفف من أخذ الحجة والبرهان من كتبهم الدينية «أي المسلمين» وأخبارهم التي ذكرها حكماؤهم»[٢] .

إن هذا النص يوضح -إذا كان الأمر يحتاج إلى توضيح- أهمية الغزالي في المجتمع اليهودي الذي كان يعيش صراعاً فكرياً ثقافياً عقائدياً في هذه الفترة من تاريخه ، ولا شك أن منهاج الغزالي نال رضى في أعين أولئك الذين تأملوا الشرع والفلسفة معاً[٣] .

وإذا كانت الترجمات العبرية للكتب العربية غالباً ما يشملها الغموض والتشويش فإن كتاب ميزان العمل كان محظوظاً نسبياً ؛ إذ لا نعتبر عمل حسداي مجرد ترجمة نص إلى نص ، ولكنه كان بحثاً في الفكر والأدب والشرع والتقاليد اليهودية ، لم يوفق فيه صاحبه كل التوفيق ، وقد وضع ابن حسداي في ترجمته أمام عينيه هدفين اثنين :

أ - نقل هذا الأثر العظيم ذي الفائدة القصوى إلى اللغة العبرية ؛ لأن الغزالي كان في أعين اليهود مفكراً إنسانياً ؛ ولأنه أداة يمكن أن تستغل في الصراع الدائر بين الأحبار وأنصار ابن ميمون ؛ ولأنه أحاط في كتابه بموضوع أخلاقي مجتمعي إحاطة شاملة ، وهو الأمر الذي لم يتحقق في كتب الفقهاء اليهود ، كما أشار إلى ذلك المترجم في المقدمة .

---

(١) شحلان : التراث العبري ، ١٩٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ١٩٠-١٩١ .

(٣) نفسه .

ب - تغيير كل الآثار الدينية الإسلامية ، وهو عمل صعب بالنسبة لهذا المترجم ؛ لأن تغيير الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ، والأقوال والأمثال السائرة ، ووضع مقابلات لها من الملة اليهودية يعتبر عملاً ضخماً نظراً لما يتسم به هذا النص من ميزات تجعله كتاباً مليئاً بالاستشهادات الإسلامية من مختلف الأنواع ، بل هذه الاستشهادات هي التي تكون بناءه الأساسي وفكرته الكبرى ، ولكن المترجم كان في حاجة ماسة لا يمكن التراجع عنها إذا أراد أن يصل الأثر الذي يقدره حق قدره إلى أبناء ملته[١] .

وقد أكد قيمة الكتاب عند المترجَم إليهم أيضاً ناشره جولدنثال (goldenthal) ؛ حيث قال في المقدمة ما ترجمته : «أما من ناحية اللغة فإن هذا النص أكثر النصوص فصاحة وسهولة من كل الكتب التي ترجمت من العربية إلى العبرية ، فلغته جميلة مثل سيل من عسل ، تستهوي كل من أراد نهج مسالك المتأملين ، ولغته أيضاً تمكن من قمم الصعوبات ، وتهون من شدة صخرة أقوال العلماء ، حتى يسير السائر على نهجهم ويقتدي بهديهم ، وهكذا فقد بلغ فيه المترجم الغاية في حسن التأويل...على الرغم من عمق موضوعه وخفاء مباحثه ، فلغته رائعة سهلة تشفي غليل المتروض في رياض الفلسفة فيستظل بظلها ويستأنس بجمالها»[٢] .

فهل نهج ابن حسداي في ترجمته للكتاب نهجاً سليماً ، يستحق الأوصاف التي وصفه بها الناشر أعلاه؟

على الرغم مما قاله جولدنثال عن فصاحة هذا النص وعن سلامة الترجمة ، إلَّا أنه لم يخلُ من العيوب الواضحة كالآتي :

١ - رغماً عن الجهود التي بذلها ابن حسداي في ترجمته ومحاولته النفاذ إلى دقائق اللغة العربية فإنه كان يصطدم في كثيرٍ من الأحيان بدقة تعابير الغزالي وباستعمالاته الدقيقة لمصطلحاته الدينية ، مما جعله يقوم بحذفها ، إما لأنها عبارات

---

(١) نفسه ، ١٩١-١٩٢ ؛ عبدالرحمن بدوي : مؤلفات الغزالي ، ط٢ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧م ، ٨٠ . .

(٢) شحلان : التراث العبري ، ١٩٢ .

عن مفاهيم إسلامية حضارية ، أو لأنها منظومة من لغة وجدها المترجم غريبة عنه أو نادرة الاستعمال غير مألوفة لديه ، وقد كان هذا البتر ذا خطورة على الفهم الشامل للنص في كثيرٍ من الأحيان[١] .

كما أنه لم يستطع النفاذ إلى استعمال المصطلح ، وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالحالات النفسية ، مثلاً حذف الأضداد في الفقرة الآتية : «...فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ، ويضاده : الجزع والهلع ، وإن كان في احتمال غنى سمي ضبط النفس ، ويضاده : البطر ، وإن كان في حرب سمي شجاعة ، ويضاده : الجبن ، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي سعة الصدر ، ويضاده : الضجر والبرم وضيق الصدر ، وإن كان فضول العيش سمي زهداً وقناعة ، ويضاده : الحرص والشره»[٢] .

ولا شك أن حذف هذه الأضداد سيحدث خللاً في البناء العام للفكرة التي يريد الغزالي عرضها .

٢ - أكبر عيب في هذه الترجمة لحسداي هو التبديل للشواهد القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والحكم والأمثال كما ذكرنا ذلك سابقاً ؛ حيث قدم مصلحة ملته وأهل ملته بهذا التحوير لأجل فهمهم للنص المترجم مقابل الإخلال بالأمانة العلمية في نقل الشواهد من النص الأصلي كما هي دون تغيير ، فحور وحذف وبدل وزاد في كثيرٍ منها .

والأمثلة على هذا التبديل كثيرة جداً في الكتاب ، حتى أصبح يضرب به المثل بين الدارسين للترجمات عن العربية ، إذا ما استشهدوا بمسألة التبديل والتحوير في المترجمات[٣] ، منها :

أ - ذكر المترجم اسم ثلاثين علماً بما في ذلك اسم المؤلف ، وهي حسب

---

(١) نفس المرجع ، ١٩٦ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠ .

(٢) شحلان : التراث العبري ، ١٩٦ .

(٣) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠-٨١ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٨٤ ؛ شيخة : دور مدرسة طليطلة ، ٣/١٣٨ .

تكرارها في النص كالآتي :

جاء ذكر اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه اثني عشرة مرة ، وضع المترجم مكانه مرة «سقراط» ، وعشر مرات «الحكيم» ، وذكر اسم أبي بكر رضي الله عنه ثلاث مرات ، فمرة بالصديق ، ومرة بالربي حنينيا ، وحذفه مرة ، وذكر اسم زيد مرتين ، غيره مرة بـ«شمعون» ، ومرة بـ«لاوي» ، وذكر اسم عمر رضي الله عنه مرتين ، عوَّضه مرة بـ«الربي عقيبيا» ، ومرة بـ«يهوشوع بن ليفي» ، والأئمة من قريش غيرها بـ«الملوك من بني داود»[١] .

أما عن المصطلحات الشرعية كأركان الإسلام وغيرها فقد بدلها كثيراً ، فالصلاة والزكاة كان يترجمها بـ«النذر» ، أما الصوم فقد تركها كما هي ؛ لأن لفظها العبري مثل العربي ، وترجمها مرة أخرى بـ«الابتعاد عن النساء» ، وترجم الحج مرتين بـ«الرحلة على الأرجل» ، ومرة بـ«العبادة» ، وترجم السلف الصالح بـ«الأمم السالفة» ، والشرع بـ«التوراة» ، وتكررت ترجمة ما قال الله أو قال الرسول أو النبي ﷺ في كل الكتاب إلا نادراً جداً بـ«قال أحد الحكماء»[٢] .

أما عن الشواهد الشعرية فقد ورد في كتاب الغزالي الأصل في أحد عشر موضعاً ، وقد تصرف فيها المترجم جميعاً ، فمن هذه الشواهد ما ترجم منه جزءاً ثم أضاف إليه ، ومنها ما غيره أصلاً ، وقد أخذ أشعاره من كتاب الأدب اليهودي[٣] .

وقد ورد في نص الميزان سبعة وسبعون قولاً تفاوتت طولاً وقصراً ، منها الجملة البسيطة ، والقصة الطويلة ، وقد ترجمت جميعاً دون استثناء مع تغيير أسماء قائليها ؛ إذ يصبح مثلاً أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أحد الحكماء ، وقد يضيف المترجم إلى هذه الأقوال أقوالاً أخرى من المأثورات اليهودية وأقوال حكماء بني إسرائيل[٤] .

---

(١) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨١ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٣-١٩٤ .

(٢) شحلان : التراث العبري ، ١٩٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣٦/٢ .

(٣) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٥ .

(٤) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٥ .

أما الاستشهادات القرآنية فقد كانت كثيرة في أصل الكتاب ؛ إذ إن الغزالي استشهد بحوالي مائة وأحد عشر استشهاداً قرآنياً ، وقد تصرف المترجم في هذه الاستشهادات كالتالي :

أ - استشهادات قرآنية ترجمها كما هي ، بمعنى أنه نقل النص حسب استطاعته ؛ إما لأنها جاءت في نص الغزالي دون أن تسبقها عبارة قوله تعالى ، وإما لأنه لم يجد لها بديلاً ، وفي هذه الحالة تصبح عبارة قوله تعالى ، «كما قال أحد الحكماء» ، أو «كما جاء في كتب الحكماء» ، أو «كما جاء في كتب الأديان» ، وحدث هذا التصرف في سبعة وثلاثين استشهاداً .

ب - استشهادات قرآنية محذوفة نهائياً ، وعددها ستة وأربعون .

جـ - استشهادات قرآنية وضع المترجم مقابلها نصوصاً توراتية أو من أقوال التلمود أو المأثورات اليهودية ، وعدد هذه الاستشهادات ثمانية وعشرون ، وجُلُّها مأخوذة من التوراة من الأسفار الآتية : التكوين ، الأعداد ، التثنية ، الجامعة ، الأمثال ، المزامير ، أيوب[1] .

وقد نهج المترجم نفس النهج في تعامله مع الأحاديث ؛ إذ جاء في كتاب ميزان العمل مائة حديث ترجم منها المترجم تسعة وستين حديثاً مع استعماله دائماً : «قال أحد الحكماء» ، وحذف منها خمسة عشر حديثاً ، وأبدل منها ستة عشر ، وأخذ جُلَّ مقابلاتها من التوراة ، والقليل من المأثورات اليهودية . وأخذ الجُلَّ من أسفار : التكوين ، والأعداد ، والتثنية ، والجامعة ، والأمثال ، والمزامير ، وأيوب[2] .

كما أضاف المترجم إلى الاستشهادات التي أتى بها الغزالي في الميزان مائة وأربعة استشهادات أخذها من المأثورات اليهودية ، ومن التوراة ، ولم يترك في هذا القسم سفراً من أسفار العهد القديم إلا وأخذ منه ، وقد كان يأتي في بعض الأحيان بثلاثة استشهادات للفكرة الواحدة ، وكان أحياناً يضيف من مأثورات التقاليد اليهودية

---

(١) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٥-١٩٦ .

(٢) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٦ .

والنصوص التوراتية معاً[١] .

ولم يكتف المترجم ابن حسداي بهذا الجرم الذي وضعه في ثنايا نقله للكتاب ، بل نجده يبدي رأيه بكل ثقة ، ويزيد من عنده كلاماً عجيباً مريباً قاصداً منه نفي صفة الإعجاز لنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك بعد أن تكلم الغزالي في الميزان عن : «طرق الصوفية في جانب العلم طريق غيرهم» ؛ إذ ذكر المؤلف قوله : «أعلم أن جانب العمل متفق عليه ، وأنه مقصود لمحو الصفات الرديئة وتطهير النفس من الأخلاق السيئة ، ولكن جانب العلم مختلف فيه ، وتباين فيه طرق الصوفية طرقَ النظار من أهل العلم ، فإن الصوفية لم يحرصوا على تحصيل العلوم ودراستها ، وتحصيل ما صنفه المصنفون في البحث عن حقائق الأمور ، بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والإقبال بكل الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك فاضت عليه الرحمة وانكشف له سر الملكوت وظهرت له الحقائق . وليس عليه الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار النية مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بالانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة ؛ إذ الأنبياء والأولياء انكشفت لهم الأمور وسعدت نفوسهم بنيل كمالها الممكن لهم لا بالتعلم ، بل بالزهد في الدنيا والإعراض ، والتبري من علائقها والإقبال بكل الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له...»[٢] .

فزاد المترجم : «وأقول أنا المترجم : إن الصوفية لم يحيدوا عن هذا الإيمان الفاسد ، وإنما هو إيمانهم بمحمد وما قالته عنه أمته ؛ إذ قالوا إنه كان أمياً لم يطلع على الحكمة مطلقاً ، ولم يقرأ كتباً ، ولم يشغل نفسه إلا بالصلاة والتعبد ؛ وهذه حيلة منه حتى يؤمن العامة بنبوته ويتبعوه»[٣] .

---

(١) شحلان : التراث العبري ، ١٩٦ .

(٢) الغزالي : محمد بن محمد بن محمد ، (ت٥٠٥هـ/١١١١م) : ميزان العمل ، ط١ ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ٢٢١-٢٢٢ .

(٣) شحلان : التراث العبري ، ٢٠٠ .

وبعد أن تناولنا من خلال السرد السابق مناهج الترجمة من العربية إلى اللاتينية نود أن ننوه إلى نقطة مهمة ، وهي أنه لأي نقل أو ترجمة من لغة إلى أخرى سيئات وسلبيات إلى جانب الحسنات ؛ لأن تلك العلوم المنقولة لا تصل إلى اللغة المترجمة إليها كما يضعها أصحابها كاملة غير منقوصة نتيجة لتأثر المترجمين ببعض العوامل أو الضغوط العقائدية واللغوية والأخلاقية ، إلا أن المتتبع لحركة الترجمة يجد تفاوتاً بيناً بين تأثير تلك الضغوط في عصور الترجمة المختلفة عبر مراحل انتقال الحضارات ، وإذا ما قارنا بين الترجمات العربية للمؤلفات اليونانية وبين الترجمات اللاتينية للمؤلفات العربية نجد فرقاً شاسعاً في تأثير تلك الضغوط على الترجمات بين الاثنين[1] .

ولعل مقارنة قصيرة أيضاً بين هؤلاء المترجمين وبين المترجمين المسلمين ، أو حتى النصارى الذين ساكنوا المسلمين تكفي بياناً للبون الشاسع بينهما ، فهذا أحمد بن عبدالله بن سلام يقول عن نفسه : «ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابئية ، وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية حرفاً حرفاً ، ولم أتبع في ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه مخافة التحريف ، ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص»[2] .

أما عن مناهج الترجمة في العالم الإسلامي فقد كانت في غاية الوضوح وفي ذلك يقول سزكين : «أما عن المسلمين فقد هيأت قضية المعارف الأجنبية منذ بداية الأمر دون أي اضطراب معنوي ، أو عقدة نفسية ، أو حرج ما موقفاً واضحاً من أسلافهم ، وتبدو قيمة هذا الموقف العظيم - إذا قارناه بموقف اللاتين من أساتذتهم العرب - كما وأنه كان نتيجة التزام المترجمين العرب بالأسس الأخلاقية السليمة للنقد استخلاص المؤلفين منهم المهم من الكتابات اليونانية ووضعها في قالب واضح تاركين كل ما كان لا لزوم له»[3] .

---

(١) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١١٩ .

(٢) النديم : الفهرست ، ٣٧ .

(٣) محاضرات في تاريخ العلوم ، ١٢ .

أما في مجال إتقان اللغة المنقول منها وإليها فنجد أن النقلة والمترجمين في المشرق الإسلامي كانوا يجيدون اللغة العربية كما يجيدون بجانبها اللغات التي يترجمون منها ، وكانوا يعتمدون على الحفظ والحافظة في استخدام الرصيد اللفظي من اللغة الأجنبية التي ينقلون عنها[١] .

أما في تعريب المصطلحات الأعجمية فلم يكونوا بحاجة إلى حفظ ولا حافظة وإنما كانوا يأخذون اللفظة الأجنبية ويعربونها على بنية اللسان العربي ، وكان المترجم يتصرف في اختيار اللفظ المترجم وفقاً لفهمه وذوقه وقدرته على إدراك المعنى المراد ، ومقدرته في اللغة العربية ذاتها ، كما أنهم كانوا يشترطون لصحة النقل إلى جانب معارضة النسخ وتصحيحها بعضها ببعض فهم اللغة المنقول منها والمنقول إليها ، ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل كانوا يشترطون أيضاً فهم الموضوع وتصوره كتصور قائله والإحاطة به إحاطة تامة[٢] .

وعن أوجه المقارنة بين أساليب الترجمة من اليونانية إلى العربية ومن العربية إلى اللاتينية يقول الجميلي : «إن هناك اختلافاً كبيراً بين الترجمة من اليونانية والترجمة من العربية . فالترجمة من العربية كانت حية ، فأهلها موجودون ولغتهم سائدة ومعارفهم تتقدم وتنتشر ...وأما مستوى الترجمة إلى اللاتينية فيبدو أنها كانت على أنواع ، فبعضها حرفي أبقى الكلمات العربية في مواطن كثيرة ، وبعضها كانت لغته اللاتينية جيدة»[٣] .

بينما يقول أمين خير الله عن ذلك : «إن بين ما ترجم العرب من اليونانية إلى العربية ، وبين ما ترجم الإفرنج من العربية إلى اللاتينية نجد البون الشاسع بين أمانة أولئك وصدق ترجمتهم ، وبين تقصير هؤلاء وعدم أمانتهم ، فالمترجمون من العربية إلى اللاتينية لم يكونوا عادة من العلماء وأن فهمهم للغة العربية ضعيف ، بل كان بعضهم لا يعرف العربية مطلقاً ، واكتفى بالنقل عن ترجمة عبرانية سقيمة ، أو

---

(١) الجميلي : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع ، ٣٧ .

(٢) نفسه ، ٣٨ .

(٣) حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع ، ٣٧ .

عن اللغات الدارجة ، كما أن نزاهتهم كانت موضع الريبة الشديدة»[١] .

ويقول في موضع آخر : «لقد اتصفت الترجمات العربية بصدق النقل وصحة التعبير ، عربوا من المؤلفات اليونانية وأضافوا إليها حسن التبويب وإيضاح القصد ، بينما فعل الأوروبيون بترجماتهم من العربية إلى اللاتينية عكس ذلك تماماً ، فقد قصروا في الترجمة ولم يحسنوا نقل العلوم العربية إلى اللاتينية»[٢] .



(١) أمين خير الله : الطب العربي ، المطبعة الأمريكانية ، بيروت ، ١٩٤٦م ، ٤٩ .

(٢) نفس المرجع ، ٢٠٦ .

الفصل الرابع : أبرز العلوم المترجمة من العربية إلى اللاتينية

المبحث الأول : القرآن الكريم والعلوم الشرعية .

المبحث الثاني : العلوم الإنسانية .

المبحث الثالث : العلوم العلمية والتطبيقية .

هذا الفصل بجميع مباحثه يمثل جزءًا شاملاً لكافة العلوم المترجمة والمنقولة إلى أوروبا عبر مراحل الترجمة المختلفة ، بدءاً من القرآن الكريم وحتى العلوم العلمية والتطبيقية التي كانت تكوِّن في الواقع أغلب ما ترجم ، هذا بالإضافة إلى العلوم الإنسانية التي مثلت الفلسفة فيها جل ترجمات هذا النوع من العلوم ، ولم نغفل بقية العلوم الأخرى ، وإن لم يترجم منها إلا القليل .

ومع شمولية الحديث عما ترجم من علوم المسلمين فإننا في هذا العمل لم نشر إلى كل ما نقل ، ولم نعط إلا أمثلة لما ترجم من علوم الإسلام ، وإلا طال الأمر كثيراً .



المبحث الأول :
القرآن الكريم والعلوم الشرعية

أولاً : القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل على رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس ، وهو معجزة الإسلام الخالدة ، ورسالة الله سبحانه وتعالى إلى الإنسانية كافة[١] ، وقد تكفل الله بحفظه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ g h i j k l m ﴾[٢] .

وقد جذب هذا الكتاب العزيز بطريقته المثلى في عرض عقيدته وشريعته ، وبأسلوبه المتفرد في صياغة موضوعاته ومبادئه اهتمام كثير من الأوروبيين ، وبخاصة القساوسة والرهبان ، فدعوا إلى ترجمة معانيه أولاً قبل دراسته ، ومنافحته بعد ذلك[٣] .

وهذه الترجمات التي اختلف في تقويمها المهتمون بالدراسات الاستشراقية بعد أن أتيح لهم الاطلاع عليها ، فوقفوا على جوانب الضعف فيها ، والطعون ما ظهر منها وما بطن ، ورصد الأخطاء التي ارتكبوها عمداً وبسوء نية أو بغير عمد ، وما أكثر القضايا التي تطرحها ترجمة القرآن الكريم ، كاستحالة نقل إعجازه إلى لغة أخرى ، ومسألة الكتابة والقراءة بصفتها تأويلات إلى غير ذلك من القضايا[٤]

---

(١) الزرقاني : مناهل العرفان ، ١/ ١٠ ؛ القطان : مباحث في علوم القرآن ، ٩ .

(٢) الحجر : (٩) .

(٣) البنداق : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ٨٩ ؛ بن شقرون : نبذة تاريخية حول ترجمات معاني القرآن الكريم ، ١٠٠ .

(٤) اتفق الفقهاء على أن القرآن الكريم كلام منزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته ، لذا فإن ترجمة القرآن الكريم إلى أي لغة غير العربية ليس قرآناً ، سواء أكانت الترجمة غير حرفية أم معنوية . محمد أبوليلة : القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ، دراسة نقدية تحليلية ، ط١ ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ٣٦٥-٣٧٩ ؛ محمد القاضي : الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، التاريخ

والغريب في الأمر أن ترجمة القرآن الكريم في أوروبا سبقت طبع القرآن نفسه .

وإذا ما أغفلنا محاولة مبكرة لترجمة معاني القرآن ترجمات جزئية[١] قبل القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، فإن أول ترجمة كاملة لمعاني القرآن الكريم باللغات الأوروبية كانت باللاتينية ، وهي التي تمت بإيعاز وإشراف رئيس دير كلوني بطرس المحترم ، وكان ذلك سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، وعلى يد المترجمين روبرت تشستر ، وهرمان الدلماتي ومعاونيهم[٢] .

ولم تخرج هذه الترجمة بمفردها ؛ إذ أُتبعت بعدد من المقدمات والملاحق سميت بـ«مجموعة طليطلة» ، (Toledan collection) ، أو «مجموعة دير كلوني» ، (clunia ccorpus) ، ثم أرسلت بعد إنجازها إلى رئيس دير كلوني برنارد الذي وضعها تحت تصرف رجال الكنيسة ليستفيدوا منها في استكمال دراساتهم اللاهوتية أو القيام بأعمال التبشير ، وكان ظهور هذه الترجمة بعد الحملة الصليبية الثانية على =

العربي ، ع٢٦ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ١٨٩ .

(١) تعددت الترجمات الجزئية للقرآن الكريم ، واستمرت لوقت طويل ، وكثيراً ما ضمنها المترجمون ثنايا مؤلفاتهم التي كثيراً ما وضعوها للرد على القرآن الكريم نفسه أو لدحض الإسلام منها : ترجمة آيات من القرآن لبطرس ألفونسو (ت٥٠٤هـ/١١١٠م) ، ضمنها كتابه «تربية العلماء» ، والمحاولة الجزئية للترجمة التي تمت إبان عصر ألفونسو الأول ، (٤٩٨-٥٢٩هـ/١١٠٤-١١٣٤م) ، هذا بالإضافة إلى الترجمة الجزئية إلى القشتالية لسبعين سورة من القرآن قام بها إبراهيم الطليطلي (ق ٧هـ/١٣م) ، بأمر الفونسو العاشر . وترجمة سورة يوسف للمستشرق توماس أربنيوس وغيرها .
انظر : القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية في الأدب ، ٤٦ ؛ بيدال : إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ، ١٢-١٨ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ،٣٩ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٦٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٦ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٩ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٥ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤٤١ ؛ عليان : أضواء على الاستشراق ، ٩ ؛ البنداق : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ٩٥ ؛ مهنا : دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، ٨١ ؛ محمد الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ٤٧ ؛ شيخاني : المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم ، ١٣٨ .

المشرق بأربع سنوات[١] .

وبالرغم من الهدف التنصيري الـذي تمـت الترجمـة مـن أجلـه إلا أن الـدوائر الدينية النصرانية جابهت هذه الترجمة ، باتخاذها من مخطوطتها موقفاً حازمـاً ، وهـو منعها من الظهور بعد أن اعتبرتها عاملاً مهماً من شأنه أن يسهل التعريف بالإسـلام وانتشار هذا الدين[٢] .

وتقول المصادر التي بين أيدينا إنه بعد صدور طبعة من هـذه الترجمـة عـلى يـد العالم الإيطالي (باغانيني Paganini) في البندقية سنة (٩٣٧هـ/١٥٣٠م) أمـر البابـا بولس الثالث بإتلافها ، ولم تسمح الكنيسة بطبع ترجمة القرآن الكريم باللاتينيـة إلا في عهد البابا الكسندر السابع (٩٦٣-٩٧٥هـ/١٥٥٥-١٥٦٧م)[٣] .

بينما تورد رواية أخرى أن هذه الترجمة ظلت ضمن مخطوطات الدير ولم تصدر إلا في سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ، أي بعد مئات السنين على وضعها ، حتى قيض لها الظهـور في مدينـة بـال بسويـسرا عـلى يـد الطـابع ثيـودور بيبليانـدر (ت ٩٧٢هــ /١٥٦٤م) ، وبعد أن أتم طبعها اعتمدت هذه الترجمة لمدة طويلة أساساً للترجمـات إلى عدد من اللغات الأوروبية[٤] .

وقـد ظهـرت فـيما بعـد طبعـات أخـرى لطبعـة بيبليانـدر وذلـك سـنة (٩٥٧هـ/١٥٥٠م) ، وسنة (١١٣٤هـ/١٧٢١م) في مدينـة ليبـزج(Leipzig)[٥] ،

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٥ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٨٣ ؛ غـراب : رؤيـة إسـلامية للاستشراق ، ٣٣ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٧٨ ؛ بدوي : موسـوعة المستـشرقين ، ٤٤١ ؛ ومـن الطريـف أن رجـال الدين النصارى في أوروبا حاربوا القرآن الكريم ، عن طريـق إطـلاق الـشائعات بـأن مـن يطبعـه أو يحاول طبعه فإنه يلاقي الموت الزؤام قبل أن يحـل أجلـه الطبيعـي . الـولي : الإسـلام والمـسلمون في ألمانيا ، ٣٨ .

(٣) البنداق : المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ٩٦ .

(٤) فوك : تاريخ الاستـشراق ، ٨١ ؛ بـدوي : موسـوعة المستـشرقين ، ٤٤١ ؛ البنـداق : المستـشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ٩٥ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤١ .

(٥) مدينة ليبزج : مدينة ألمانية ، مركز صـناعي وتجـاري ، وتبعـد نحـو ٤٥كلـم عـن بـرلين . الخونـد : الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ٣/١١١ .

وثمـت اعتقـاد بـأن الكتـاب الـذي نـشره العـالم الإيطـالي أنـدريا أريفايانيـه سـنة (٩٥٤هـ/١٥٤٧م) بعنوان : (قرآن محمد) (Lalcorno de macometto) لم يكـن في الواقع سوى الترجمة الإيطالية من الأصل اللاتيني الذي وصـفه روبـرت تشـستر ، وهـذه الترجمـة بالـذات هـي التـي نقلـت فـيها بعـد إلى الألمانيـة وطبعـت سـنة (١٠٢٥هـ/١٦١٦م) ، وإلى الهولنديـة سـنة (١٠٥٧هــ/١٦٤٧م) ، وطبعـت في هامبورج (Hambourg)[1] [2] .

فعن هذه الترجمـة خرجـت الترجمـات الغربيـة للقـرآن الكـريم إلى سـت مـن اللغات الأوروبية الحية تظهر من خلال المخطط[3] التالي :

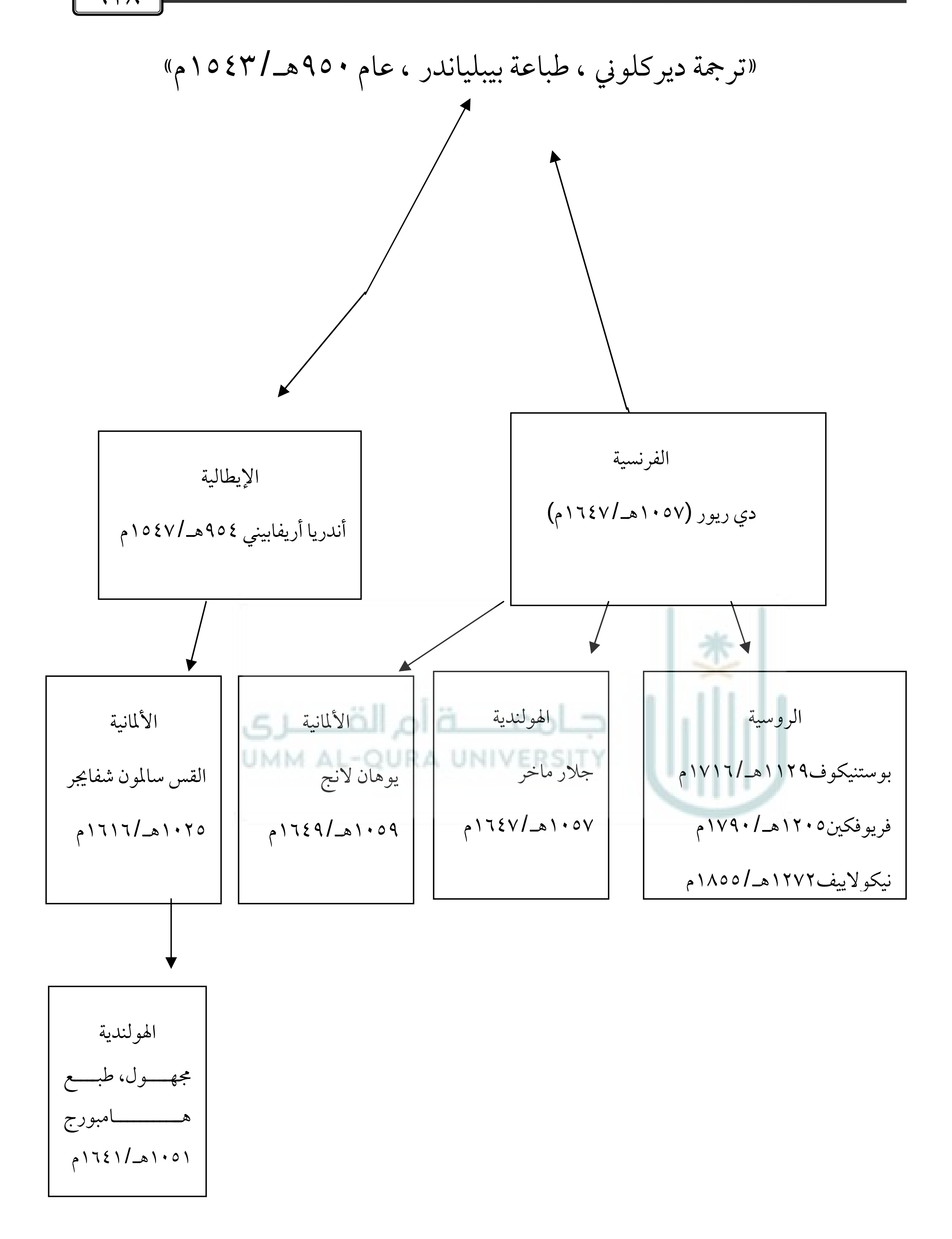


---

(١) هامبورج : مدينة ومرفأ في ألمانيا على نهر إلب ، وعاصمة ألمانيا التجارية . نفس المرجع ، ١١٣/٣ .

(٢) السيد أحمد أبوالفضل عوض الله : انتشار ترجمات معاني القرآن الكريم في مشرق العالم ومغربه ، مجلة البحوث الإسلامية ، ع٣٠ ، ربيع الأول ، جمادى الآخر ، ١٤١١هـ-٢٥٩-٢٦٠ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٢ ؛ عوض الله : انتشار ترجمات معاني القرآن الكريم في مشرق العالم ومغربه ، ٢٦٠ .


«ترجمة ديركلوني ، طباعة بيبلياندر ، عام ٩٥٠هـ/١٥٤٣م»
الإيطالية
أندريا أريفابيني ٩٥٤هـ/١٥٤٧م
الفرنسية
دي ريور (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م)
الألمانية
القس سالمون شفايجر
١٠٢٥هـ/١٦١٦م
الألمانية
يوهان لانج
١٠٥٩هـ/١٦٤٩م
الهولندية
جلار ماخر
١٠٥٧هـ/١٦٤٧م
الروسية
بوستنيكوف١١٢٩هـ/١٧١٦م
فريوفكين١٢٠٥هـ/١٧٩٠م
نيكولاييف١٢٧٢هـ/١٨٥٥م
الهولندية
مجهول، طبع هامبورج
١٠٥١هـ/١٦٤١م

أمـا الترجمـة اللاتينيـة الثانيـة لمعـاني القـرآن الكـريم وكانـت سـنة (٦١٠هـ/١٢١٣م) ، وقد قام بها مـارك الطليطلي برعايـة الأسـقف ردريجـو دي رادا ، وتختلف هذه الترجمة عن سابقتها بأمانتهـا نوعـاً مـا للأصـل ، وقيـل إنهـا : «تتبعت ترتيب الكلمات في اللغة العربية مما جعلها تبدو غـير مترابطـة ومـشوشة» ، وهي رغم ما لقيته من تقدير بالنسبة لأمانتها فإنها لم تنجح نجاح سابقتها في الـذيوع والانتشار[١] .

وتواصلت ترجمات معاني القرآن الكريم خلال الربع الثاني من القـرن التاسـع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ؛ إذ قام يوحنا السيجوفي بنقله إلى اللاتينية خـلال الخمس سنوات الأخيرة من حياته ، ويبدو أنها أنجزت سنة (٨٣٠هـ/١٤٢٦م) ، وبعد ما درس ترجمة روبرت تشستر دراسة نقدية خرج بنتيجة مفادها أنه يتعين عليه البدء من الصفر ، ونعلم من مراسلاته الطريقة التي استفاد بها مـن المخطوطـات ، فنرى أنه اعتمد على نسخته الخاصة وعلى نسخة أخـرى ، ونـسخة ثالثـة تخص دار الرهبان الشحاذون (Mendicant Friars)[٢] بمدينة بازل ، التي جلبها مـن أيتـون ، ومما لا شك فيه أنه أراد الحـصول عـلى أكـبر قـدر مـن المـصادر ، وأعلمـه نيقـولا الكوسي بوجود ثلاث نسخ أخرى : الأولى في بافاريا ، والثانية في كولونيا ، والثالثة في رورموند (Roermund)[٣] ، وقد استفاد في عمله ككل بخبرة الفقيه المسلم عيسى الجيدلي الذي قضى مـدة أربعـة أشـهر بـسافوي ، نـسخ فيهـا القـرآن ومعـه ترجمـة إسبانية[٤] .

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ٢٥٦ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغـرب ، ٤١ .

(٢) الرهبان الشحاذون : فئة رهبانية تنتمي في الأسـاس إلى الرهبـان الفرنسيـسكان ، ولكـنهم كـانوا في تجوالهم يفتقدون الطعام فيشحذون فسموا بذلك . رستم : الفرق والمذاهب المسيحية ، ١١٢ .

(٣) رورموند : مدينة هولندية في الجزء الجنوبي الشرقي منها ، مهمـة مـن الناحيـة التاريخيـة . الموسـوعة العربية العالمية ، ٢٦/٢٦٩ .

(٤) سذرن : نظرة الغـرب ، ١٠١ ؛ بـدوي : موسـوعة المستـشرقين ، ٤١ ؛ ديـروش : القـرآن الكـريم وترجمته في الغرب ، ٤١ .

وقد خرجت الترجمة باللون الأحمر متوازية مع ترجمة إسبانية ، وجاء النص العربي في الصفحة المقابلة ، والعمل في مجمله انتهى دون إدخال أي تحسينات عليه ، ثم ما لبثت هذه الترجمة أن فقدت ولم يصلنا إلا جزء من مخطوطتها في المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم : (D/١١٣)[١] .

وليس ببعيد من عمل يوحنا السيجوفي من حيث المدة ، وفي ظروف مشابهة خرجت ترجمة لاتينية أخرى في إيطاليا لمعاني القرآن الكريم برعاية إيكيديو الفيتربي وتظهر كل صفحة في أربعة أعمدة تحتوي على النص العربي ، وترجمته بالحرف اللاتيني ، وتعليقات ، وقام بهذا العمل شخص يدعى جيوفاني كابرييلي التيروالي الذي أكمل العمل سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م) ، والشخصية المعروفة : ليون الأفريقي كانت لها علاقة بهذا العمل ؛ إذ عمل محرراً ومصححاً له[٢] .

وهذه الترجمة للقرآن الكريم ربما اعتمدت على المخطوطة القرآنية ذات الرقم «٤٠٥» الموجودة في المكتبة الوطنية الفرنسية ، وهذه المخطوطة التي كانت بإيطاليا في ذلك الوقت عام (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) ربما شكلت جزءاً من مكتبة إيكيديو الفيتربي ؛ لأن فهرس مكتبته يذكر أربعة مجلدات مكتوبة إما بالعربية أو التركية[٣] .

وخلافاً للترجمات السابقة التي خرجت باللغة اللاتينية ، وكان المعني بها طبقة القراء المتعلمين ، فقد خرجت ترجمة للقرآن الكريم باللغة الأراغونية على يد خوان أندريس إبان القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، وكانت هذه المرة بطلب من شماس برشلونة ومفتشها مرتين غارسيا الذي أمره بترجمة القرآن وتفاسيره ، وكتب السنة إلى الأراغونية ، ليزوده بمختلف الوثائق الإسلامية

---

(١) سذرن : نظرة الغرب ، ١٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤١ ؛ ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٢ ؛ سيف الهلالي : ثبت مراجع ترجمات القرآن الكريم الصادرة في إسبانيا ، حصيلة ستة قرون ، ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٦-١٨/١٠/١٤٢٧هـ ، ص٥ .

(٢) ديروش : القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، ٤٤ .

(٣) نفس المرجع ، ٤٤-٤٥ .

الضرورية لتنصير مسلمي أراغون[١] .

ومن بين ترجمات معاني القرآن المحاولة التي قام بها سكاليبه شريبه عام (٩٨٧هـ/١٥٧٩م) ، وتلتها الترجمة الجزئية التي قام بها جبرائيل الصهيوني سنة (١٠٤٠هـ/١٦٣٠م) ، وترجمة كريستليانوس رآفوس عام (١٠٥٦هـ/١٦٤٦م) التي كتب النص فيها بالخط العبري[٢] .

أما ترجمة الراهب دومينيكوس جرمانوس (ت١٠٨١هـ/١٦٧٠م) فقد كانت إلى اللاتينية أيضاً ، وتضمنت نقلاً للقرآن الكريم مع رد عليه ، ومع حسن الحظ أن الترجمة والرد لم يطبعا[٣] . والتي طبعت هي ترجمة إبراهام هينكلمان سنة (١١٠٦هـ/١٦٩٤م)[٤] .

وتقع طبعة هينكلمان في خمسمئة وستين صفحة ، وقد لقي هينكلمان الاحترام من الجميع بسببها ، لاسيما وهي تحوي مقدمة له في ثمانين صفحة تضمنت آراءه الشخصية عن الإسلام والمسلمين ، وبين من خلالها ضرورة معرفة القرآن معرفة دقيقه لأجل مكافحته ، ومن ثم تمهيد السبيل لانتشار النصرانية في الشرق ، وفي نهاية المقدمة أبدى أسفه لقلة معرفة الأوروبيين بصورة عامة عن العرب واللغة العربية ولا تزال نسختان من طبعته هذه للقرآن الكريم موجودتين في ألمانيا إحداهما في المكتبة العامة بمدينة هامبورج ، والأخرى بمكتبة جامعتها[٥] ، تحت عنوان :

AL-coranus,le x Islamica Muhammedis,Filii Abdellae PseudoProph et ad Optimorum codicum Fidem edita ex Musea Abrahami Hinkelmanni

---

(١) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٨٨ ؛ الهلالي : ثبت مراجع ترجمات معاني القرآن الكريم ، ص٥ .

(٢) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٤ ؛ حسن المعاريجي : المحرفون للكلم ، الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم ، مجلة المسلم المعاصر ، ع٤٨ ، شوال ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧ ، ٧٧ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٤ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٨٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢٥٢/٣ .

(٥) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٨٩ ؛ جحا : الدراسات العربية ، ٢٥٨ ؛ الجندي : المستشرقون والقرآن ، ٢٠٥ ؛ عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٤ .

Hamburgi ١٦٩٤.[1]

ونختتم ترجمات معاني القرآن بالترجمة التي أعـدها القـس الإيطـالي لودفيجـو ماراتشي (Ludwigo marracci) ، وقد شرع فيها بناءً على توجيهات البابـا إنوسـنت العاشر ، واستغرق إعدادها أربعين سنة ، وطبعت عام (١١١٠هـ/١٦٩٨م) ، في مدينة بادوا الإيطالية ، ثم في مدينة ليبزج الألمانية ، سنة (١١٣٤هـ /١٧٢١م)[2] .

وكانت هذه الترجمة أدق من الترجمات السابقة ، بسبب ما توفر للمـترجم مـن مصادر ومراجع في مكتبة الفاتيكان وغيرهـا مـن المكتبـات الإيطاليـة ، يـضاف إلى ذلك الوقت الطويـل الـذي اسـتغرقته الترجمـة ممـا أتـاح لماراتـشي فرصـة التجويـد والتحسين[3] .

لكن رغم كل ذلك فقد بقيت الترجمة عملاً سـاذجاً بعيـداً عـن معـاني الـنص الأصلي حافلاً بالأخطاء والمجادلات اللامعقولة ، يقول الفرنـسي سـافاري الـذي اعتمد على ترجمة ماراتشي : «ماراتشي هذا الراهب المثقف ، والـذي أمـضى أربعـين سنة في الترجمة والرد على القرآن سار في ترجمته المسار الصحيح في تقـسيم عملـه إلى الآيات كما في النص الأصلي غير أنه ترجمها ترجمة حرفية ، ونسي أن النص الـذي في يده عمل فريد غير عادي ، فهو لم يعبر عن معاني القرآن ؛ بل نقل الكلـمات إلى لغـة لاتينية بربرية ، وبعد أن فقد الأصلُ كل جماله فإن ترجمته ما زالت أفضل من ترجمـة دي ريور»[4] .

ولم يكن التأثير الذي خلفته ترجمة ماراتـشي يقـل عـن تـأثير ترجمـة ديركلـوني

---

(١) الجنـدي : المستـشرقون والقـرآن ، ٢٠٥ ؛ عـوض الله : انتـشار ترجمـات القـرآن الكـريم ، ٢٦١ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٤ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٩ ؛ مهنا : دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، ٨١ ؛ الـولي : الإسـلام والمسلمون في ألمانيا ، ٣٨ .

(٣) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٥ ؛ علي الصادق حـسنين : لمحـة تاريخيـة عـن تـراجم معاني القرآن الكريم ، ضمن الندوة العالمية حول ترجمات معـاني القـرآن الكـريم ، ط١ ، ١٣٩٥م ، ١٦٩ .

(٤) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٥-٢٦ .

بحال ، فقد وجهت حركة الترجمات الأوروبية طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين[١] .

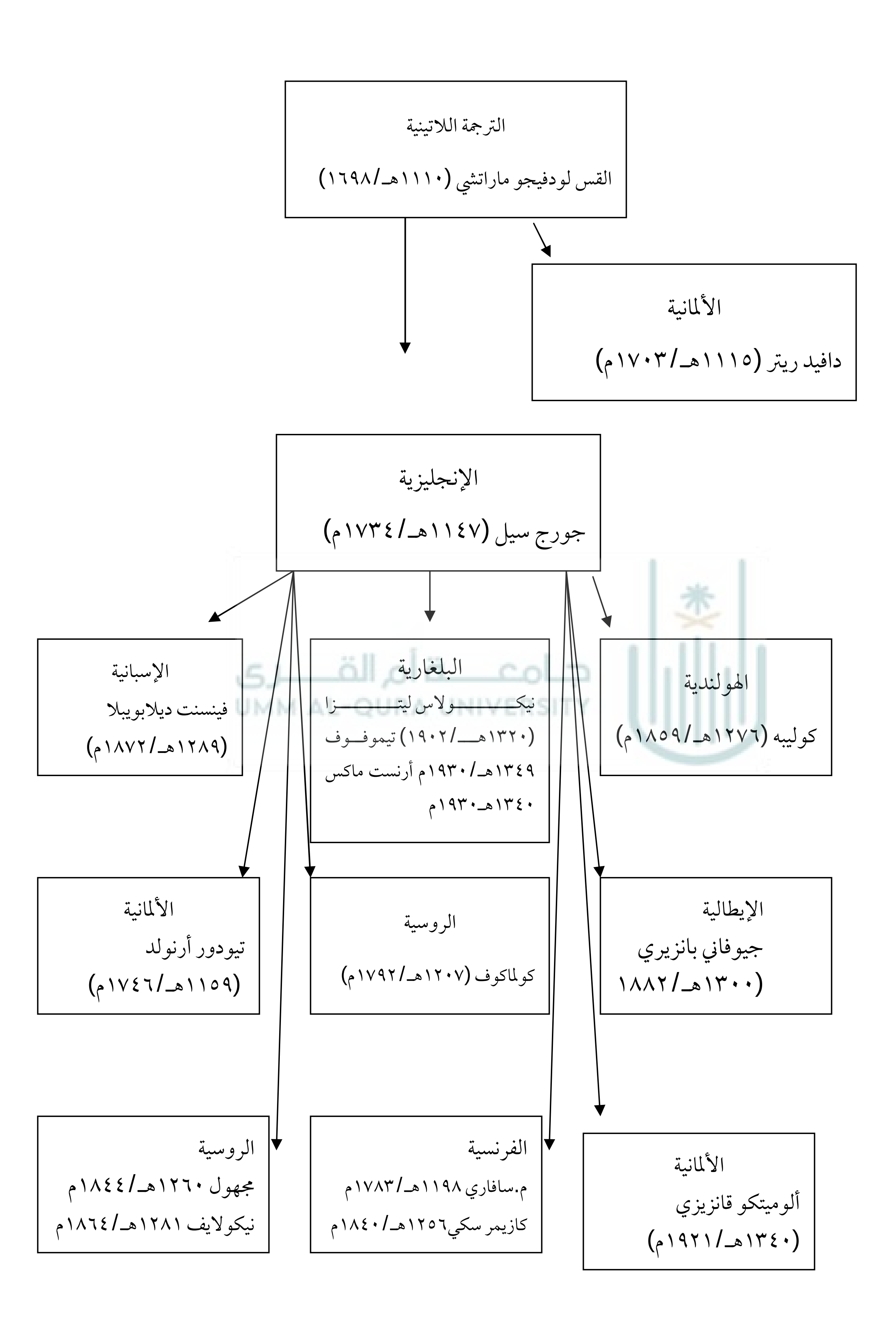
ويقول عنها سيرإدوارد دينسون روز (S.E.D.Ross) في مقدمته لترجمة جورج سيل (Sale) : «لا توجد ترجمة لمعاني القرآن في اللغة الأوروبية إلا وهي مدينة لفضل ماراتشي ، وإن مقدمة ماراتشي لترجمة معاني القرآن تجمع جميع ما عرفه أهل أوروبا عن الإسلام ومحمد والقرآن آنذاك»[٢] .

أما مجال تأثير الترجمة فيتمثل في اتجاهين ، أولهما : المقدمات والحواشي والتعليقات الجدلية التي تضمنتها ، والتي بلغت مجلداً كبير الحجم ، والثاني : كمّ الأخطاء التي شملتها الترجمة[٣] .

ويمكن تتبع أثر ترجمة ماراتشي في اللغات الأوروبية من خلال المخطط[٤] التالي :



(١) نفس المرجع ، ٢٦ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٩ .
(٢) عبدالمحسن : ماذا يريد الغرب من القرآن ، ٢٦ .
(٣) نفس المرجع والصفحة .
(٤) المخطط مأخوذ من نفس المرجع ، ٢٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤٤٣-٤٤٤ .


الترجمة اللاتينية
القس لودفيجو ماراتشي (١١١٠هـ/١٦٩٨)
الألمانية
دافيد ريتر (١١١٥هـ/١٧٠٣م)
الإنجليزية
جورج سيل (١١٤٧هـ/١٧٣٤م)
الإسبانية
فينسنت ديلابويبلا
(١٢٨٩هـ/١٨٧٢م)
البلغارية
نيكـــولاس ليتـــزا
(١٣٢٠هـــ/١٩٠٢) تيموفــوف
١٣٤٩هـ/١٩٣٠م أرنست ماكس
١٣٤٠هـ-١٩٣٠م
الهولندية
كوليبه (١٢٧٦هـ/١٨٥٩م)
الألمانية
تيودور أرنولد
(١١٥٩هـ/١٧٤٦م)
الروسية
كولماكوف (١٢٠٧هـ/١٧٩٢م)
الإيطالية
جيوفاني بانزيري
(١٣٠٠هـ/١٨٨٢
الروسية
مجهول ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م
نيكولايف ١٢٨١هـ/١٨٦٤م
الفرنسية
م.سافاري ١١٩٨هـ/١٧٨٣م
كازيمر سكي١٢٥٦هـ/١٨٤٠م
الألمانية
ألوميتكو قانزيزي
(١٣٤٠هـ/١٩٢١م)

ثانياً : العلوم الشرعية :

لم تهتم أمة بدينها مثلما فعلت الأمة الإسلامية ، وتجسد ذلك في ابتكار علوم إسلامية خالصة لا مثيل لها عند أمة من الأمم ، وكانت كل هذه العلوم تدور في فلك الكتاب والسنة وكل ما يختصُّ بهما .

وإذا كان القرآن الكريم من أوائل ما ترجم إلى اللغة اللاتينية فإنه من المتوقع أن تكون العلوم الشرعية الأخرى المتصلة به في مقدمة ما نقل ، خاصة والعالم النصراني في تلك الآونة متعطش إلى معرفة أكثر لهذا الدين وشريعته ؛ لأجل محاربته والنيل منه بواسطة علومه المختصة به .

ولكن ، هل حقق الغرب هذا الهدف الديني عن طريق ترجمات علوم الشريعة الإسلامية من فقه وأصول وحديث وتفسير وغيرها ، أم أن هذه العلوم قد تأخرت كثيراً في مجال النقل عن بقية العلوم الأخرى ، وإذا كان الجواب بنعم ، فلم كان هذا التأخر وما هي أسبابه؟

لن نتناول هنا سبب عدم إمكانية مثقفي الغرب الاطلاع على علوم المسلمين الشرعية المنقولة إلى اللغة اللاتينية ، فمجال الحديث عنه في الباب القادم -إن شاء الله- ولكن نود أن نبيِّن أنَّ النظرة العدائية للإسلام كانت سائدة منذ بدء الاحتكاك بين العالمين الإسلامي والنصراني ، الأمر الذي نتج معه كراهية كل شيء يخص الدين الإسلامي وشريعته ، وكان ذلك بفعل الكنيسة ورجالها . يقول برنارد شو : «لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك ، إما جهلاً وإما تعصباً ، إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بغض محمد ودينه ، فعندهم أنَّ محمدا كان عدواً للمسيح»[١] .

وعليه فلا يمكن أن تظهر ترجمات لكتب الدراسات الشرعية الإسلامية في مثل هذه الأجواء المتعصبة ، وإذا ما ظهر البعض منها على سبيل المثال ، فما الذي يرجوه المجتمع الغربي منه ؛ لأنهم في تلك الأثناء لم يكونوا يتوقعون أنَّ في الشريعة

(١) العاني : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ٩ .

الإسلامية وعلومها أي فائدة تخصهم في حياتهم العامة ، ناهيك عن الدين الذي كانوا يحاربونه بكل ما يملكون .

وإذا ما تساءلنا ، لِـمَ لَـمْ يستخدم هؤلاء مؤلفات الدراسات الشرعية لمحاربة الإسلام فكرياً مثلما فعلوا بالقرآن الكريم حيث ترجموه لهذا الغرض؟ نقول : إن هذه المسألة لم تكن بعيدة عن تفكير كثيرٍ منهم ، فقد درس عدد من أوائل المترجمين والمستشرقين علوم الدين الإسلامي ، واستفادوا من مؤلفاتها في استخدامها كنقول يأخذون منها نصوصاً لمقارعة المسلمين ، وطالما ضمن هؤلاء مؤلفاتهم الجدلية ما أخذوه من كتب الحديث النبوي ، والفقه وغيرها ، أشاروا في بعضٍ منها بأسماء المؤلفات ، والبعض الآخر لم يشيروا إليه ، ولكن مع المقارنة عرفت مصادرها .

وبغض النظر عن فهم النصوص المنقولة التي أخذت من علوم المسلمين الشرعية من عدمه ، إلا أنها في كلا الحالتين استخدمت لغرض سيء وهو محاربة الدين الإسلامي ، والطعن فيه .

ونحن هنا لا نستطيع الجزم بأن هذه المؤلفات التي أُخذ منها ككتب السنة والتفاسير قد نقلت من العربية إلى اللاتينية كلها ، ولا نستطيع القول أيضاً إنَّ هذه المؤلفات تم الاطلاع عليها في نقولها اللاتينية منذ وقت مبكر ؛ لأنَّ كثيراً من هؤلاء الذين أخذوا عنها ، أمثال ريموند مارتيني ، وريموند لول كانوا يعرفون اللغة العربية ويقرأون بها فلا يلزمهم الأمر إلى لغة أخرى تكون واسطة بينهم وبين ما يقرأون ؛ لذا فاطلاعهم هذا -ومن ثم نقلهم لما قرأوا من هذه الكتب إلى اللاتينية- كان بمثابة ترجمة غير مباشرة لها[1] .

وعلى كلٍّ فالاتجاه السائد لدى أوروبا للدين الإسلامي وعلومه كان هدفه التشويه والخروج بصورة مفادها أنَّ الدين الإسلامي دين باطل ، وعليه فقد كانت ترجمة القرآن الكريم ترجمة محرَّفة كما رأينا ، وتم العمل فيها في حدود ضيقة ، ولدى فئة معينة من رجال الدين النصراني ، وقد منعت من التداول بل والطباعة قروناً

(١) فوك:تاريخ الاستشراق ، ٩٢ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٩٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٩ .

كثيرة ، حتى قيض لها أن تطبع لأول مرة سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م)[١] .

والذي حصل مع القرآن الكريم كتاب المسلمين حصل مع علوم الشريعة الأخرى ، فكان الاطلاع عليها يقتصر على فئة معينة من الرهبان والقساوسة بغرض تفنيدها ، وما ترجم منها لم يكن يمثل الجانب الصحيح لعقيدة المسلمين وشريعتهم ، بل اختيرت المؤلفات التي تناولت شطحات عقدية كرسالة ابن تومرت التي نقلها إلى اللاتينية مارك الطليطلي سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)[٢] ، أو ما لفق بأيدي مؤلفيهم من نصارى العرب ، كتلك الرسالة التي عنوانها «رسالة عبدالمسيح الكندي إلى الهاشمي» ، وقد ترجمت مع مجموعة طليطلة ، واضطلع بترجمتها بطرس الطليطلي سنة (٥٣٦هـ/١١٤١م) لحساب مشروع بطرس المحترم في ترجمة القرآن الكريم ورسائل أخرى[٣] .

ومما ترجم أيضاً في وقت مبكر من تاريخ الترجمة من مؤلفات ضد الإسلام رسالتين هما : قرآن محمد ، والثانية : محاورة مزعومة بين رسول الله ﷺ وعبدالله بن سلام ، قام بها هرمان الدلماتي سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢م)[٤] ، وهكذا نجد أنَّ هذا النوع من المؤلفات هو الذي نقل إلى اللاتينية إبان عصور الترجمة الأولى لغرض تشويه الإسلام ، والنيل من محمد ﷺ ، وما عدا ذلك فإن دراسة العلوم الشرعية في أوروبا لم يلتفت إليها إلا في العصر الحديث ، حيث أخذ علماء الغرب المستشرقون يعنون بكتب العقائد والأديان والعلوم الشرعية[٥] دراسة وتحقيقاً ونشراً[١] .

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٤٤١ .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٥٦ ؛ أبا الخيل : جهود علماء الأندلس ، ٣٧٤ .

(٣) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٤٤ ، الألوسي : الجواب الفصيح ، ١/٣-٦ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٧ ؛

(٥) لم يبعد هؤلاء المستشرقون في دراساتهم للعلوم الشرعية عما كان عليه أسلافهم في العصور الوسطى ، فحجم إنتاجهم في مجال العلوم الإسلامية لا يكاد يذكر مقارنة بإنتاجهم في بقية التخصصات ، كما أنهم عنوا بالنشر في كل ما يخص الفرق والإحن ، وكل ما يؤدي إشاعته ونشره إلى تجديد النزاع بكل صوره ، الفكري والمذهبي والسياسي ، وكل ما يفقد الأمة الإسلامية الثقة بماضيها وأمجادها ورجالها وقادتها .

وما أخرجوه من مؤلفات شرعية نافعة ، كان منهجهم في تحقيقها يفتقد الأمانة والدقة ، ويحفل بكثير

ولعل السبب في التفات الغرب كله إلى العلوم الشرعية بعد إهمال طويل هو إيقانهم -بعد مجادلاتهم مع المسلمين- أن الإسلام ليس من السهل القضاء عليه كما يتوهم الكثيرون ، ولاحظوا أن القرآن ليس الأساس الوحيد الذي يرتكز عليه الإسلام ، بل إلى السنة والتفسير أيضاً ؛ لذا فقد عملوا جاهدين على معرفتها ، وهذا ما نادى به توماس أربنيوس(ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ، حيث رأى أن الحوار مع الإسلام لا يكون ممكناً من دون دراستهما[٢] .

وكل ما تحصلنا عليه من ترجمات العلوم الشرعية إلى اللاتينية كانت عبارة عن نقول ضمنها بعض المترجمين مؤلفاتهم ، منها :

خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود (Pugio Fidei adversus Mauros el Judeos) لمؤلفه ريموند مارتين (ت٦٨٣هـ/١٢٤٨م)الذي ضمنه نصوصاً من صحيحي مسلم والبخاري[٣] ، وذلك ليقوم بمقارنتهما بشريعة التوراة والإنجيل ، وقد رجع فيهما إلى أبواب الطلاق والنكاح والجهاد في سبيل الله ، وبطبيعة الحال لم يقدم مختلف الأحكام الشرعية الواردة ، بل اكتفى بالوقوف عليها وتوليفها بشكل يسمح له بتشويه الشريعة الإسلامية ؛ حيث اختزل هذه الشريعة في الطلاق وتعدد الزوجات والجهاد ، ليجعل منها مجرد دعوة شهوانية وشبقية وعدوانية ؛ إذ تخالف الفطرة الإنسانية ، فإنها تخالف تبعاً لذلك الشريعة النصرانية[٤] .

=

من الأخطاء المقصودة ، وهم في النهاية يهدفون إلى معرفة المسلمين من خلال علومهم . انظر : الديب : المستشرقون والتراث ، ٤٣ .

(١) انظر لأسماء بعض هذه الكتب المحققة على سبيل المثال : كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ط٣ ، نقله إلى العربية : عبدالحليم النجار ، دار المعارف ، ٣/١٥١-٣٥٩ ، ٤/١-٨٨ ، ٦/١٧٢-٣٦٦ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، المجلد الأول بأجزاءه الأربعة ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٦٧-٩٧ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٩ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٢ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٩ ، ٩٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣٠٩ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٤٠ .

(٤) العسري:الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني،١٧١ ، ١٧٣ ؛السامرائي:الاستشراق ٨٩-٩٠ .

وفي باب العقيدة والدفاع عنها استعان بباب الأنبياء ، وتحديداً في حديث أورده ، مفاده : «أنَّ كل مولود مسَّه الشيطان ما عدا مريم وابنها عيسى»[١] .

وكتابه هذا الذي تضمن مؤلفات علم الحديث كتبه باللغتين اللاتينية والعبرية ، وأتم تأليفه بعد سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) ، وطبع منذ وقت مبكر ، فكانت طبعته الأولى سنة (١٠٦٢هـ/١٦٥١م) في باريس ، قام بها يوسف دي فوازان (Joseph de voisin) مع مقدمة مسهبة وملاحظات مستفيضة ، ثم أعيد طبعه سنة (١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) ، تحت عنوان : (Introduction in theologiam Judaicam)[٢] .

أما المؤلف الآخر الذي كان يحوي نصوصاً من العلوم الإسلامية فهو كتاب «تاريخ الشرقيين لمؤلفه : يوحنا هاينريخ هوتنجر» (Johann heinrich hottinger) (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)[٣] ، وهذا الكتاب يحتوي على ستة فصول ، تناولت سيرة الرسول ﷺ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام ، وحالة النصارى واليهود زمن الإسلام ، كما تناولت الفرق الإسلامية المتعددة ، والمذاهب المختلفة بين المسلمين حسب العقائد الدينية وأنظمة الحكم ، ثم أفرد الفصل الأخير بالحديث عن تاريخ البشرية من خلال الأعمال العربية ، سير وقصص حياة الأنبياء والبطارقة والرسل ،

---

(١) بين الطباق مع نص البخاري ومسلم فنسنك (wensinck) في دائرة المعارف الإسلامية ، ٣/٣٦٩ ، وذلك في باب الأنبياء ، (٤٤) ، شرح القسطلاني على البخاري ، ٥/٤٠٦ ، فوك : الدراسات العربية ، ٩٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣٠٩ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٩٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣٠٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني ،١٧٥ .

(٣) هوتنجر : مستشرق سويسري ، ولد في زيورخ سنة (١٠٣٠هـ/١٦٢٠م)ودرس في جنوى ، وجزوننجن وليدن اللغات الشرقية واللاهوت بعد ان سافر إلى انجلترا وفرنسا وعين أستاذاً في زيورخ سنة (١٠٥٣هـ/١٦٤٣م) للاهوت ، ثم أستاذاً للغات الشرقية بجامعة هايدلبرج بألمانيا ، ثم عاد إلى زيورخ رئيساً لجامعتها . ولما دعته جامعة ليدن للتدريس بها وعند عبوره نهر لمنات انقلب به الزورق فمات غرقاً مع ثلاثة من أبنائه . جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣-٢٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣/١١ .

ومملكة فارس ، وأحداث أخرى من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ[١] .

وكل ما يهمنا في موضوع هذا الكتاب هو المصادر الإسلامية التي اعتمد عليها مؤلفه ، لاسيما ما يخص علوم الشريعة والدين عامة ؛ حيث اعتمد على عدد لا بأس به من هذه المصادر ، منها : كتب التفاسير ، وبالأخص تفسيري البيضاوي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)[٢] ، والزمخشري(٥٣٨هـ/١١٤٣م)[٣] ، فكان هوتنجر يذكر القرآن الكريم مشفوعاً بتفسير البيضاوي كثيراً ، وأحياناً مشفوعاً بتفسير الزمخشري ، وذلك بصورة متكررة وبعد كل استشهاد يذكر الترجمة اللاتينية لما أورده ، وهي صحيحة في مجملها[٤] .

وليس معنى هذا أنه كان يعتمد على هذين المصدرين في إيجاد تفسير صحيح وواضح للآيات ، إنما كان يستعين بها في دحض آراء المسلمين ومعتقداتهم ، فهو في حديثه عن معجزات الرسول ﷺ ذكر في نهاية الكلام أنه ليس هناك معجزة للنبي ﷺ سوى القرآن ، ثم ساق قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ *وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَل للهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾[٥] .

---

(١) بدوي : دفاع عن محمد ﷺ ، ٢٤ .

(٢) البيضاوي : عبدالله بن عمر ناصر الدين الشيرازي ، صاحب التصانيف المشهورة . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٧/٢٠٦ .

(٣) الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤/٢٥٤ .

(٤) بدوي : دفاع عن محمد ﷺ ، ٢٨ . ومن الملاحظ أنه اعتمد على تفاسير الفرق المنحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، كالمعتزلة ، فالزمخشري ألف تفسيره بعد طلب من أتباع مذهب الاعتزال وافتقارهم إلى تفسير في مذهبهم يرجعون إليه ، والبيضاوي رغم أنه أصولي إلا أنه اعتمد أيضاً على تفسير الزمخشري ولخصه ، كما اعتمد على تفسير فخر الدين الرازي وكلاهما يحمل تأويلات تخالف منهج أهل السنة والجماعة ، وبالرغم من أنه رد عليهم في كثير من المسائل إلا أنه كان أشعرياً جلداً ، فملأ تفسيره بالتأويل للصفات وغيرها من عقائد الأشاعرة . انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢٠/١٥١-١٥٦ .

(٥) سورة الرعد ، الآيات : ٣٠-٣١ .

ثم ساق تفسير البيضاوي مُصَدِّراً به الآيات الكريمة ، وهدفه في ذلك تحييد دور المعجزات المسندة إلى الرسول ﷺ من قبل الكتاب المسلمين .

ويذكر من بينهم على الأخص «أحمد بن إدريس القرافي» (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م)[١] ، صاحب كتاب «الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة»[٢] .

وإلى جانب هذه المصادر نجده يعتمد على الأربعين حديثاً النووية ، لأبي زكريا محيي الدين النووي (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، وعلى كتاب «الرسالة للشافعي» (ت٢٠٤هـ/٨١٩م) ، إضافة إلى ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وكتابه «وفيات الأعيان» ، و«الفهرست للنديم» (ت٣٥٨هـ/٩٩٥م) ، وجميع هذه المصادر نقل منها في الفصل الخاص بالفرق والمذاهب والمدارس الفقهية الإسلامية[٣] .أما فيما يخص اللغات الأخرى المساعدة كالقشتالية ، فقد ترجمت إليها مؤلفات عامة ، منها : كتاب مختصر السنة (لعيسى بن جابر) ، كتبه سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٢م) ، وهو يتضمن بالإضافة إلى ترجمة القرآن قواعد السنة الشرعية ، وأقوالاً واردة عن النبي ﷺ مفسراً إياها باللغة القشتالية ، ومنه فقد أطلق على الكتاب أيضاً مسمى «مجموع الأوامر والنواهي في الشرع والسنة»[٤] .

ونحن لا نعلم على وجه التحديد ما هي المصادر الإسلامية التي تضمنها كتابه غير القرآن ، إلا أنه من المؤكد أنَّ هذا الكتاب كان مرجعاً فقهياً للموريسكيين في تلك الفترة العصيبة من تاريخهم ، لا سيما وقد كتب باللغة الألخميادية ، عدا التفسيرات والشروح التي تركها عليه ، فهي بالقشتالية[٥] .

أما في مجال الأديان والفرق فأهم ما ترجم مؤلفات الغزالي

---

(١) القرافي : أحمد بن إدريس ، الإمام العالم الفقيه الأصولي شهاب الدين الصنهاجي الأصل ، عالماً بالفقه وأصوله والتفسير . الصفدي : الوافي ، ١٤٦/٦ .

(٢) بدوي : دفاع عن محمد ﷺ ، ٢٩ .

(٣) بدوي : دفاع عن محمد ﷺ ، ٢٩ .

(٤) مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٣ ؛ إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ٦٥ ؛ خضر : علاقة الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة ، ٥٢/٢ .

(٥) خضر : علاقة الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة ، ٥٢/٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٤ .

(ت٥٠٥هـ/١١١١م) لاسيما كتابيه : إحياء علوم الدين ؛ حيث نقل إدوارد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) القسم الخاص بقواعد العقائد ، ونشرها في كتابه المسمى : لمع من أخبار العرب (Specimen historiae Arabum) ؛ حيث أورد من خلاله نصوصاً مقتبسة من مؤلف الغزالي المذكور ، بالإضافة إلى مقتطفات من كتاب «الملل والنحل» ، للشهرستاني (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م)[١] .

وقد طبع كتاب اللمع لبوكوك سنة (١٠٦٠هـ/١٦٥٠م) في أكسفورد في مائتين وأربع وسبعين صفحة[٢] .

أمَّا المؤلف الثاني للغزالي الذي نقل إلى أوروبا فهو كتاب «القسطاس المستقيم» ، وقد نقل بواسطة اللغة العبرية ، واضطلع بهذه الترجمة يعقوب بن طبون (ت بعد ٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ، وقد نشر منه ديوكس (Dukes) الفصلين العاشر والثاني عشر في الكنز البهيج (Ozar nechmad,briefe und Abhandlungen,judische literatur betre FFend,her von lgnaz BlumenFeld:jg I-Iv,wien ١٨٥٦.٦٤)[٣]

وحلل الترجمة العبرية أشتينشنيدر في فهرست برلين (ص١٠٤-١٠٦) ، وأثبت أنه لا توجد للكتاب ترجمة عبرية لموسى بن طبون بعنوان «ميزان النظر» ، كما -ظن ذلك- جوشه ؛ إذ أشار إلى أن الأصل العربي مفقود[٤] ، وإنما توجد ترجمة عبرية قام بها يعقوب بن طبون ، ويوجد من هذه الترجمة مخطوطات عدة[٥][٦] .

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٨٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١٠٣ .

(٢) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٤٠ ؛

(٣) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٦٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٢٢٠ .

(٤) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٦٤ .

(٥) وتوزعت هذه المخطوطات كالتالي : برلين «١٢١ ، بودلي أورى ٣٩٢ ، أوبنهيمر ٨٣٤ ، ميخائيل ١٨ ، ١٧٦ ، ليبتسك : ٣٤ ، الأمبروزيانا ، ص٢٠ ، باريس ٨٩٣ ، بارما روسي ٣٣٨ ، تورينو ، ١٠١ ، الفاتيكان ٢٠٩ ، فينا ١٣١ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٦٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري١/٢٢٠-٢٢١ . »

(٦) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٦٤ .

المبحث الثاني :

العلـــوم الإنســـانيـــة

أولاً : التاريخ :

حظي علم التاريخ بالأصالة والاستقلال في ظل الحضارة الإسلامية ، وذلك نتيجة نشوئه داخل المجتمع المسلم ؛ حيث نشأ تلبية لحاجات هذا المجتمع وأغراضه ، وعلى العكس مما كان عليه هذا العلم في الحضارات السابقة للإسلام ، وما أداه من دور محدد في ماضيها ، نجده يسطر دوراً رئيساً في تكوين الحضارة الإسلامية ، مكوناً بذلك منهجية متفردة ، وقواعد ومعايير راسخة يلتزم بها القائمون به .

وقد كان للمؤرخين المسلمين قدم راسخة في إبراز هذا المنهج ، من خلال مؤلفاتهم التي تناولت شتى أطوار الحقب التاريخية منذ بدء الخليقة إلى عصر كل مؤلف ، وكان للقواعد التي ساروا عليها في تحقيق صحة الخبر وتدوينه أبعد الأثر في إنتاجهم التاريخي وتنوعه ، وهو بدوره قد لفت انتباه الأوروبيين فحاكوه من خلال الترجمة والتأليف[1] .

ولعل لنا وقفة في مجال الحديث عن علم التاريخ عند فرع السيرة النبوية ؛ إذ إن ترجمة هذا النوع من المؤلفات سارت على نفس الطريقة والهدف الذي ترجمت من أجله المؤلفات الشرعية ، فكانت كتب السيرة النبوية الصحيحةتترجم لغرض تشويه شخصية المصطفى ﷺ والنيل منها ، ومن ثم تضمين هذه النصوص المترجمة مؤلفات المغرضين ضد الإسلام ونبيه ﷺ ، ليحيكوا حولها الأساطير والروايات الواهية المكذوبة التي تسوغ لهم الهجوم[2] على شخصه ﷺ .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ٢٦٨/١ .

(٢) إنَّ كثيراً من النصارى الذين هاجموا شخص النبي ﷺ لم يكونوا يجهلون من هو؟ بل كانوا يعرفونه حق المعرفة ، ألم يخبرنا الحق سبحانه أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ

ومن بين الذين نقلوا نصوصاً من كتب السيرة في مؤلفاتهم بواسطة الترجمة ريموند مارتين (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ، الذي ضمن كتابه «خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود» نصوصاً من سيرة ابن إسحاق ، وصحيح مسلم ، والبخاري ، حيث انتقى من هذه المصادر جميعاً أجزاء من تاريخ حياة المصطفى ﷺ ليقارنها بأجزاء من سيرة عيسى عليه السلام[١] .

أما ما ترجم مباشرة من كتب السيرة النبوية ككتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ﷺ للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، وقد تناول فيه واجبات المسلم نحو رسول الله ﷺ ، وبيان عظيم قدره وعلو منزلته ، مع إفراد باب كامل عن حكم شانئه ومؤذيه ومنتقصه وعقوبته[٢] .

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الإسبانية سنة (١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) ، نقل فصلاً منه أحمد بن قاسم الحجري بالقصبة بتونس[٣] .

= آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة : ١٤٦] ، وهي تدل بوضوح أن علماء وقادة أهل الكتاب يعرفون محمداً ﷺ ، وهي معرفة حقيقية ومستمرة كما تدل الآية الكريمة ، ولم تقتصر هذه المعرفة من خلال القرآن الكريم ، بل وردت في كتبهم قبل ذلك ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾[الأعراف : ١٥٧] ، ولا شك أنهم يعرفون النبي ﷺ وهم يهاجمونه .
وليس من المتوقع إذن أنَّ بابوات أوروبا في الماضي والحاضر لا يعرفون من هو محمد ﷺ؟ فمن المفترض إن كان البابا بنديكت السادس عشر -مثلاً- الذي هاجم نبي الإسلام مؤخراً في شهر سبتمبر عام (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) مطلعاً على الإنجيل ، ومهتماً بالحوار بين الثقافات والأديان ، ومعاصراً لزماننا ، وهو بلا شك كل ذلك فهو يعرف محمداً ﷺ حق المعرفة ، ولا يعذر بجهل أو بخطأ ، ومثله الكثير ممن تهجموا على نبينا طوال الأعوام والقرون الماضية ؛ باسم خفاجي : لماذا يكرهونه ، الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ ، ط١ ، مطابع أضواء المنتدى ، لندن ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ٩-١٠ .

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٩-٩٠ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٤٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣٠٩ ؛ العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ١٧١-١٧٣ .

(٢) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١/١-١١ .

(٣) الحجري : ناصر الدين ، ١٠٧ ؛ عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين ، ١٢ .

ولعل أول ما يطالعنا من مؤلفات تاريخية ترجمت إلى اللاتينية هو كتاب «أخبار ملوك الأندلس» لمؤلفه : أحمد بن محمد الرازي القرطبي (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م)[١] ، الذي قال عنه الحميدي : «له في أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وركبانهم وغزواتهم كتاب كبير»[٢] .

والكتاب بالرغم ما وصف به من قيمة علمية لم يصل إلينا كاملاً ، إنما بقي منه قطعة في صفة الأندلس نقلها أول الأمر عن العربية إلى اللغة البرتغالية قس يسمى «جيل بيريز»(Jil Perez) ، بأمر الملك البرتغالي : دينيس (٦٧٨-٧٢٦هـ/١٢٧٩-١٣٢٥م) ، وكان يساعده في الترجمة جماعة من المغاربة يدعى أحدهم المعلم محمد (Maese mohamed)[٣] .

ويرى عدد من الباحثين أن هذا الكتاب في ترجمته البرتغالية ، وعنوانه «تاريخ إسبانيا منذ وصول إشبان بن يافث إليها إلى دون رود ريجو الملك لذريق» ، إنما هو من وضع «جيل بيريز» نفسه ، أما القسم الثالث والذي يتحدث عن تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصر الحكم المستنصر فهو ترجمة مختصرة لكتاب الرازي[٤] .

وقد نقلت هذه الترجمة البرتغالية إلى اللغة الإسبانية تحت عنوان (Coronica del moro Rasis) ، أي : تاريخ المسلمين للرازي ، وناقلها إلى اللغة الإسبانية مجهول الاسم[٥] .

---

(١) أحمد بن محمد بن موسى الرازي القرطبي ، أبوبكر الكناني : مؤرخ اندلسي من أهل قرطبة ، أصله من الري ، وولد بقرطبة سنة (٢٧٤هـ/٨٨٧م) ، له مؤلفات عدة منها : كتاب في أنساب أهل الأندلس ، وكتاب في صفة قرطبة وخططها . الحميدي : جذوة المقتبس ، ١٥٥ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ٢/١٦٣ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١/٢٠٨ .

(٢) جذوة المقتبس ، ١٥٥ .

(٣) سزكين : تاريخ التراث العربي ، مج٢/٢٥٠ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ،٢٤ .

(٤) الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٢٤ .

(٥) وقد نشر جاينجوس قسماً من هذه الترجمة في سنة (١٢٥٦/١٨٤٠م) ، وأكمل نشرها فيما بعد رامون منندث بيدال ، في «فهرس المدونات في المكتبة الملكية بمدريد : Cataloge de cronicas de la real biblioteca » ، ووصلت من الكتاب بعض المقتبسات في المصادر الأندلسية الأخرى ، وقد حاول ليفي

وإذا كانت هذه الترجمة لكتاب الرازي قد تمت إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي فإن مؤلف الحولية القوطية (La Cronica gothorum) في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي كان قد نقل عنه مقتطفات في ثنايا حوليته ، وقد أثبت ذلك كل من المؤرخين الإسبانيين المحدثين مننديث بيدال ، وسانشيث البرنت ، حيث ذكروا أن التأثير الإسلامي في هذه الحولية واضح تمام الوضوح فمؤلفها مستعرب من طليطلة ، وقد بدأها بتقديم وصف عام لإسبانيا ، أتبعه بتاريخ مختصر للرومان ، والقوط ، والفتح الإسلامي للبلاد ، ولأول مرة في المراجع التاريخية الإسبانية نجد ذكراً لقصة ابنة يوليان[1] ، مع الملك غيطشة[2] من خلال هذه الحولية ، وهي القصة التي روتها المؤلفات التاريخية الإسلامية الأولى عن الأندلس[3] .

ولا يقف الاقتباس من مؤلف الرازي القيم عند هذا الحد بل نجده يرد في الحولية الطليطلية (cronica Toledana) ، أو كتاب تاريخ القوط والعرب ، لمؤلفه ردريجو دي رادا (٦٤٥-١٢٤٧م) أسقف مدينة طليطلة ، وكان يتقن لغات كثيرة من بينها اللغة العربية وساعده هذا على الإفادة من المصادر العربية وكتابة القسم الإسلامي من كتابه مستعيناً بها ، وقد بدأه بالكلام عن سيرة الرسول ﷺ ، وانتهى فيه عند سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) ، ومما يلفت النظر ويؤكد رجوعه إلى المصادر

=

بروفنسال إعادة تكوين الكتاب اعتماداً على المقتبسات والترجمة ، ثم ترجمه إلى الفرنسية بعنوان (la description de I Espagne Ah.ar-razi,in:al Andalus ١٨-١٩٥٣-٥١-١٠٨) . سارتون : تاريخ العلم ، ٦٤٣/١ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، مج٢/٢٥٠ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٢٥ .

(١) يوليان : ورد هذا الاسم في المصادر الإسلامية بالأشكال الآتية : يليان ، وليان ، جليان ، إليان ، البان ، كذلك اختلفت هذه المصادر في أصل هذا الرجل ، فالبعض يرى أنه قوطي ، والبعض يرى أنه رومي ، والبعض يرى أنه بربري من غمارة ، ولكنها جميعاً تتفق على أنه كان صاحب سبتة ونواحيها . ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ، ٣٦ ، هامش(٤) .

(٢) غيطشة : ورد في المصادر الإسلامية لذريق ، وهو آخر ملوك الإسبان قبل الفتح الإسلامي لها . نفس المصدر ، ٣٧ .

(٣) الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٢٩ ؛ كحيلة : تاريخ النصارى في الأندلس ، ١٢٢ .

التاريخية الإسلامية أنه استعمل في هذا القسم التاريخ الهجري لا الميلادي ، وكان أكثر اعتماده على تاريخ أحمد بن محمد الرازي المذكور[1] .

وتستمر النقول المترجمة عن هذا الكتاب في عدد من المؤلفات الغربية ، كالتاريخ الأول لإسبانيا (Primera cronica General de Espana)[2] ، وهي الحولية التاريخية الكبرى التي أشرف على كتابتها باللغة القشتالية ألفونسو العاشر إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، واعتمد مؤلفوها على عدد كبير من المصادر التاريخية الإسلامية وغيرها ، ولا سيما حولية الطليطلي هذه التي اعتمد هو أصلاً في تأليفها على كتاب الرازي[3] .

ومما يجدر ذكره أن هذه الموسوعة حوت نقولاً كثيرة عن كتب التاريخ الإسلامي ، فالدارس لها يلاحظ تشابهاً يكاد يكون تاماً بينها وبين بعض المصادر التاريخية العربية مثل كتاب «البيان الواضح في الملم الفادح»[4] ، للمؤرخ البلنسي ابن عبدالله الصدفي ، المعروف بابن علقمة (ت٥٠٩هـ/١١١٥م)[5] ، وكتاب «الاكتفاء في أخبار الخلفاء»[6] ، لأبي مروان عبدالملك بن الكردبوس الذي عاش في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، والمقارنة تدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن هذه الموسوعة الإسبانية قد نقلت أخباراً وروايات كثيرة من هذين الكتابين ، وبصفة خاصة الأخبار المتصلة بالسيد القمبيطور ، وأحداث

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٩٧ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤٠ ؛ بيرنت : حركة الترجمة ، ٢/ ١٤٦١ .

(٢) نشرها مينيديث بيدال سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م ، مدريد ، الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤١ .

(٣) الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤٠ .

(٤) كتاب البيان الواضح في الملم الفادح لابن علقمة مفقود للأسف ، لكن نقل عنه عدد من المؤرخين اللاحقين أمثال ابن الكردبوس ، وابن عذاري ، وابن الأبار ، وابن الخطيب . الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤١ .

(٥) ابن علقمة : محمد بن الخلف بن الحسن ، مؤرخ أندلسي من أهل بلنسية . الصفدي : الوافي ، ٣/ ٤٣ .

(٦) كتاب الاكتفاء ، نشر منه القسم الخاص بالأندلس ، د.مختار العبادي ، في العدد الأخير من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مج١٣ ، ١٩٦٥-١٩٦٦م . وقد نقلنا منه في هذا البحث .

بلنسية في ذلك الوقت «٤٧٨-٤٩٥هـ/١٠٨٥-١١٠٢م»[١] .

أما المؤلف الثاني من المؤلفات التاريخية التي ترجمت فهو كتاب «نظم الجوهر» لمؤلفه سعيد البطريق (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، وهو المعروف أيضاً بـ«أنتيشيوس» ، (Eutychius) ، ومؤلفه هذا من كتب الحوليات تناول فيه دون تصنيف منهجي تاريخ العهد القديم ، وتاريخ الكنيسة ، وتاريخ الحكام منذ عهد المسيح ، ثم تاريخ خلفاء العصر الإسلامي بعد ذلك حتى سنة(٩٣٨هـ/١٣٥٧م)[٢] .

ومؤلفه بالرغم من ديانته النصرانية إلا أنه نشأ وترعرع في مصر ، وبين ظهراني الدولة الإسلامية في المشرق ، وبالتأكيد أنه استفاد من مصادر التاريخ الإسلامي التي كتبت قبله ، خاصة فيما يخص العصر الإسلامي وخلفاءه[٣] .

وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية مباشرة بواسطة ادوارد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) ؛ إذ نشر الكتاب متناً وترجمة لاتينية سنة (١٠٦٩-١٠٧٠هـ/١٦٥٨-١٦٥٩م) في أكسفورد[٤] ، كما أن هذا الكتاب نُقل قبل هذا التاريخ إلى اللاتينية بطريقة غير مباشرة ، وذلك بواسطة المؤرخ وليم الصوري (ت حوالي ٥٨١هـ/١١٨٥م)[٥] حيث ضمنه كتابه الموسوم بـ«أعمال أمراء المشرق» (Gesta orientalium principum) ، ذلك أن أجزاء كبيرة من هذا المؤلف ما هي إلا ترجمة لكتاب ابن البطريق ، وإذا كان كتابه «أعمال أمراء المشرق» قد فقد ولم يصل إلينا فإن

---

(١) بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ١٦٨ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤١ .

(٢) Contextio gemmarum A.Eutychii Annales,interprete.Epocockio,oxon١٦٥٨ p٩.
سزكين : تاريخ التراث ، مج٢/١٧٠ .

(٣) contextio gemmarum,p٩ .

(٤) تم طبع الكتاب مرتين بعد ذلك بقرنين ونصف قرن من الزمان في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ، الأولى منها سنة (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) ، والثانية سنة (١٣٢٧هـ/١٩٠٩م) . سزكين : تاريخ التراث ٢/١٧٠ .

(٥) وليم الصوري : مؤرخ نصراني ، ترقى في المناصب السياسية زمن الحروب الصليبية ، فكان مشرفاً على ديوان الرسائل في بلاط مملكة بيت المقدس ، وسفيراً للملك عموري إلى الإمبراطور البيزنطي ، إلى جانب شغله لمراكز دينية حتى أصبح رئيس أساقفة صور . وليم الصوري : تاريخ الأعمال ، تحقيق : حسن حبشي ، ١٩٩١م ، ١/١١ .

وليم قد صرَّح في كتابه الآخر ، وهو «تاريخ الأعمال التي تمت في ما وراء البحار»[١] ، أنه قد رجع إليه بقوله : «إنني قمت بوضع تاريخ آخر غير هذا التاريخ استجابة لأمر الملك –يقصد الملك عموري الأول- الذي أمدني بالوثائق العربية الضرورية ، وكان المصدر الرئيسي الذي اتخذناه لذلك هو استعمالنا كتاب تاريخ بطرك اسكندرية الموقر سعيد بن البطريق الذي يبدأ من زمن محمد [ﷺ] متضمناً أحداث خمسمائة وسبعين سنة ، أي حتى عامنا الحالي هذا الذي هو عام ١١٨٤م من مولد المسيح»[٢] .

ولم يكن غريباً أن يعتمد وليم –وهو أسقف نصراني على مؤلف عربي نصراني مثله ؛ ولذا فإنه صرح بالاعتماد عليه باسمه ، ولكن الغريب أنه لم يذكر أسماء المصادر التاريخية الإسلامية الأخرى التي اعتمد عليها في مؤلفه هذا ، لا سيما عند وصفه للمساجد والمدن الإسلامية[٣] .

وفي مجال التاريخ أيضاً تُرجم كتاب «تاريخ المسلمين» لمؤلفه : جرجس بن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ، وقد نقله إلى اللاتينية المترجم توماس أربنيوس (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) ، واقتصر على الجزء الثاني منه ، وهو القسم الذي يتحدث عن بدء الإسلام إلى عصر الملك الظاهر بيبرس سنة (٥١٢هـ/١١١٨م) ، وترجمته هذه كانت عقب تحقيقه للمخطوط نفسه ، ونشره في ليدن سنة (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)[٤] .

وقد جاءت هذه الترجمة مع التحقيق بعنوان : «كتاب المجموع المبارك : تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية» .

Historia sarecenica qua res gestae muslimorum inde amuhammeds

---

(١) حققه ونشره د.حسن حبشي ، بعنوان : «الحروب الصليبية» في جزئين ، سنة ١٩٩١م ، عن الطبعة الإنجليزية التي نشرت سنة ١٩٤٣م .

(٢) الصوري : تاريخ الأعمال ، ١/ ٥٣ .

(٣) الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٧٤ .

(٤) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٠ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١١٦/٢ .

primo Imperu et religionis muslimicae auctore …arabice olin exarato a georgio Elmacino Fil-AbuliaFari Elamidi…et lat reditto op.et st.thomas Erpnu.leiden,Brill,١٦٢٥.[١]

وقد نقل منه هوتنجر (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) مقتطفات في كتابه «تاريخ الشرقيين» ، واعتمد عليه اعتماداً كلياً في الجزء التاريخي من كتابه[٢] .

ومما ترجم أيضاً كتاب «تاريخ العالم» ، لابن الراهب (ت بين سنتي ٦٥٧-٦٦٦هـ/١٢٥٩-١٢٦٨م) ، وهو راهب قبطي كتب تاريخاً يعرف بتاريخ ابن الراهب أيضاً ، ذكر فيه موجزاً للتاريخ العام يبدأ بآدم عليه السلام ، وتاريخ بني إسرائيل ، ثم الإغريق ، والرومان حتى عهد المسيح عليه السلام ، ثم يأتي المؤلف بقوائم كاملة لأسماء أباطرة الرومان ثم البيزنطيين ، ثم الخلفاء المسلمين منذ ظهور الإسلام حتى عهده ، وأسماء الملوك الأيوبيين حتى سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) ، ثم ينهي تاريخه بقائمة تحوي أسماء بطارقة القبط في الاسكندرية مع تراجم مقتضبة جداً[٣] .

وقد نقل الكتاب إلى اللاتينية بترجمة إبراهيم الحاقلاني (ت١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) مع إضافة ملحق له يتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، وكان نقله له سنة (١٠٦٢هـ/١٦٥١م) بعنوان : Chron.or.nunc primum latinitale donatum ab Abr .Ecchelensi,paris ١٦٥١.[٤]

---

(١) وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية أيضاً سنة (١٠٦٨هـ/١٦٥٧م) ، نقله فاتيه ؛ وإلى الإنجليزية بقلم صموئيل بورشيس ، لندن سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) ، ثم ترجم القسم الأيوبي منه كلود كاهن . في صحيفة المعهد الفرنسي ، مج١٥ ، سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) . بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١٤٥/٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١١٦/٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣٥٨/٢ .

(٢) بدوي : دفاع عن محمد ، ٢٨ .

(٣) مصطفى : التاريخ العربي ، ٤٥٣/٢ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣٢٣/٣ .

(٤) وقد نشرت الترجمة بعد ذلك في الحولية القوطية سنة (١٠٩٧هـ/١٦٨٥م) ، ثم أعيد نشرها في الطبعة الجديدة سنة (١١٤٢هـ/١٧٢٩م) ، ونشر لويس شيخو الأصل العربي ، والترجمة اللاتينية معاً في بيروت سنة (١٣٢١هـ/١٩٠٣م) .

بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١٤٦/٦ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون=

أما كتاب «عجائب المقدور في نوائب تيمور» لمؤلفه ابن عربشاه (ت٨٥٤هـ /١٤٥٠م) ، وهو يتحدث عن حياة تيمور لنك ومعاركه واحتلاله بلاد المسلمين ، والجرائم التي حدثت على يديه ، وقد ترجم إلى اللاتينية سنة (١٠٤٦هـ /١٦٣٦م) ، ترجمه يعقوب جوليوس (ت١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) مع نشره إذ أرفق بالكتاب هذه الترجمة اللاتينية تحت عنوان : Ahmedis Arabsiadis vitae et rerum gestrarum Timuri histor-ia,ed.lat.vert.J.golious-leiden,Brill,١٦٣٦.[١]

وقد ترجم أيضاً كتاب : «مختصر الدول» لأبي الفرج ابن العبري (ت٦٨٥هـ /١٢٨٦م) ، والكتاب في نسختين الأولى سريانية ، ثم الأخرى ترجمتها بالعربية وبينهما اختلاف يسير ، ويبدؤه منذ عهد آدم عليه السلام ، ثم بني إسرائيل وملوكهم ، ثم الكلدانيين ، والفرس ، واليونان ، والروم ، ليصل إلى ملوك العرب ، ثم الدول الإسلامية لينتهي بملوك المغول ، وتأخذ الدول الأولى كلها ثلث الكتاب ، بينما يحتل التاريخ الإسلامي ثلثيه الأخيرين ، عدا حوالي خمس وعشرين صفحة للفترة المغولية ، والكتاب مطبوع باللغتين فأما النص العربي فقد طبع أول مرة في أكسفورد سنة (١٠٧٤هـ/١٦٦٣م) مع الترجمة اللاتينية للمستشرق ادوارد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) تحت عنوان : Historia or.auctore Gregorio Abul-pharagio,ed.E.Pocock,oxonii ١٦٦٣[٢]

= ٣٢٣/٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٨ .

(١) ثم نشرت الترجمة بعد ذلك في باريس سنة (١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) ، وسنة (١٣٠٠هـ/١٨٨٢م) . فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣٤٣/٢ .

(٢) ونشرت نفس الترجمة مع النص سنة (١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) ، ثم ترجم الكتاب إلى الألمانية سنة (١١٩٨هـ/١٧٨٣م) ، ثم طبع في بيروت بعناية أنطون الصالحاني اليسوعي سنة (١٣٠٨هـ /١٨٩٠م) ، ثم أعيد طبعه سنة (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ، بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١٤٩/٦ ؛ آربري : المستشرقون البريطانيون ، ١٦ ؛ لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٤١/٢ ؛ مصطفى : التاريخ العربي ، ٤٥٦/٢ .

ثانياً : الجغرافيا والرحلات الجغرافية :

كان لإنجازات علماء المسلمين أثر عظيم في الارتقاء بعلم الجغرافيا ، فبالرغم من اطلاعهم على مؤلفات من سبقهم من الجغرافيين لا سيما بطليموس ، إلا أنهم ما لبثوا أن فاقوا أساتذة هذا العلم على حسب عادتهم ، فصححوا كثيراً من الأخطاء السابقة عليهم ، وأضافوا اكتشافات جديدة لم يسبقوا إليها ، وأبدعوا في الوصف المتميز للمعالم ، والبلدان ، فخرجت على يديهم مؤلفات جغرافية أصيلة كانت جديرة بالترجمة والنقل فيما بعد[١] .

وإذا ما تناولنا المؤلفات الجغرافية التي ترجمت في فترة الدراسة فإن مؤلف المؤرخ أحمد الرازي القرطبي (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م) كان يضم إلى جانب معلوماته التاريخية وصفاً للأندلس وطرقها ومرافئها ومدنها الكبرى ، فعد بعمله هذا أول من أدخل نمط الجغرافيا الإقليمية إلى الأندلس ، وقد ترجم كتابه هذا كما ذكرنا إلى البرتغالية ، ومن ثم إلى الإسبانية ، وضمته كثيرٌ من الحوليات الإسبانية المختلفة ، التي ألفت بعده ، كالحولية القوطية ، والطليطلية ، وموسوعة التاريخ العام لإسبانيا ، الذي أمر ألفونسو العاشر بتأليفها إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي[٢] .

وإلى جانب مؤلف الرازي يطالعنا مؤلَّف جدير بالذكر ، وهو كتاب : «المسالك والممالك» لأبي عبيد الله البكري ، (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، الذي تناول فيه الطرق والمسالك والمراحل بين البلدان الإسلامية وشعوبها ، واستفاد من مصادر جديدة توفرت لديه ، كمذكرات إبراهيم بن يعقوب[٣] في وصف أراضي

---

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ١٩٠ ؛ مينورسكي : الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ترجمة : عبدالرحمن حميدة ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ربيع الثاني (١٩٨٥م-١٤٠٥هـ)ع٧٣/٥-٦ .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ١٨٦ ؛ حسين مؤنس : تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس ، ط٢ ، مدريد ، ١٩٨٦م ، ٥٥ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، مج٢/٢٥٠ .

(٣) إبراهيم بن يعقوب : اليهودي الطرطوشي ، نسبة إلى طرطوشة بالأندلس ، رحالة وتاجر ، كتب =

الصقالبة وغيره[١] .

وقد نقل الكتاب إلى اللغة القشتالية بواسطة كتاب «التاريخ العام الكبير» ، لألفونسو العاشر أيضاً ، (General estoria o estoria universal) ، ويتضمن تاريخاً عاماً للعالم منذ بدء الخليقة وتاريخ الأنبياء والشعوب القديمة ، ويلاحظ أنه استمد معلوماته عن تاريخ الإغريق والرومان والهنود ، والمصريين القدماء من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين ، بل قد نصَّ صراحة على أنَّ ما ذكره عن مصر منقول عن كتاب المسالك والممالك للبكري[٢] .

ومن أهم المؤلفات الجغرافية التي تمت ترجمتها كتاب «وصف أفريقيا» ، للحسن الوزان المعروف بـ«ليون الأفريقي» (ت بعد٩٥٧هـ/١٥٥٠م) ، وكتابه هذا يمثل القسم الثالث من كتاب آخر اسمه «الجغرافيا العامة» ألفه الحسن باللغة العربية ، ثم ترجم المؤلف هذا القسم إلى اللغة الإيطالية ، أو اعتمد عليه في إنشاء وصف أفريقيا بالإيطالية إنشاءً ، وأتمه عام (٩٣٣هـ/١٥٢٦م) في روما ، وقد اعتمد المؤلف في تأليفه على المشاهدة ، وذلك ما يفسر خلو الكتاب من نقول حرفية بعكس غيره من الجغرافيين المسلمين ، وأكثر ما نقل الوزان عن ابن رقيق القيرواني ، وابن خلدون ، ولو أنه ذكر عشرات المؤلفين المسلمين كالبكري ، والشريف الإدريسي ، وابن فضل الله العمري ، وأضرابهم ، ومع ذلك يبقى معظم مادة الكتاب من مشاهدات المؤلف وخبراته الشخصية[٣] .

وقد قسم الوزان كتابه إلى تسعة أقسام أو كتب ، تناول فيها بلاد أفريقيا ومناخها ، وجغرافيتها وشعوبها وأخلاقهم ، ومميزاتها النباتية والاقتصادية .

= رحلاته إلى بلاد أوروبا ، وبلاد الصقالبة ، عاش في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي . كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ٢٠٩ .

(١) نفس المرجع .

(٢) بيدال : إسبانيا تنقل العلم ، ٢٦٣ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٤١ .

(٣) الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٨ ؛ الفاسي : وصف أفريقيا ، ١/٢-٣-٤ ؛ الصفار : كتاب وصف أفريقيا ، ٤٣٩-٤٤٠ .

ولعل من أبرز مزايا الكتاب الذهنية المتفتحة التي كتب بها ، حتى قال عنه بعض النقاد الأوروبيين : إنه تأليف عربي بتفكير أوروبي ، أو في إطار مصطبغ بالصبغة الأوروبية[١] .

وبالرغم من وجود بعض الهفوات الجغرافية والتاريخية التي وقع فيها المؤلف إلا أنَّ كتابه لقي تقديراً كبيراً لدى علماء أوروبا ، فأقبلوا عليه بالنشر والشرح والنقل إلى لغاتهم اللاتينية وغيرها ، من لدن عصر المؤلف إلى أيامنا هذه[٢] . وكانت أول ترجمة لاتينية له على يد فلوريان (Florian) ، ونشرت في بلجيكا سنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) ، ثم أعيد نشرها بعد سنتين ، ثم نشر مرة ثالثة في زيوريخ بعد سنة أخرى ، ورابعة في لايدن سنة (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) ، وعلى هذه الترجمة اللاتينية اعتمدت الترجمة الهولندية المنشورة في امستردام سنة (١٠٧٦هـ/١٦٦٥م) ، والترجمة الإنجليزية المنشورة في لندن سنة (١٠٠٩هـ/١٦٠٠م)[٣] .

أما بالنسبة للكتاب الجغرافي المشهور «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» ، لمؤلفه : الشريف محمد بن محمد الإدريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م) ، فهو كتاب قيم للغاية ، اعتمد في تأليفه على عدة مصادر جغرافية مهمة ، بالإضافة إلى مشاهداته الشخصية من خلال ترحاله ، وإلى التقارير التي وصلت من جانب أولئك الذين أوفدهم روجر الثاني إلى أنحاء مختلفة من العالم لجمع المعلومات اللازمة لهذا العمل الجغرافي الكبير[٤] .

ومما اعتمده من مصادر جغرافية كتاب الهمذاني (ت٣٣٤هـ/٩٤٦م) ، وابن

---

(١) الفاسي : وصف أفريقيا ، ١/١٥ ، ١٨ ، ٢٠ .

(٢) راجع الفصل الخاص بالرحلات .

(٣) الزركلي : الأعلام ، ٢/٢١٨ ؛ الفاسي : وصف أفريقيا ، ١/٣-٤ ؛ الصقار : كتاب وصف أفريقيا ، ٤٣٩-٤٤٠ .

(٤) خليفة : كشف الظنون ، ٢/١٩٤٧ ؛ كحالة : معجم المؤلفين ، ١١/٢٣٦ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي ، ٣٢٦ ؛ حسن : الرحالة المسلمون ، ٦٧ ؛ محمد عوض : الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث ، ١٩٩٥م ، ١٩ .

حوقل (ت ق٤هـ/١٠م) «صورة الأرض» ، والمقدسي (ت٣٩٠هـ /٩٩٦م) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ، وقد اتسم في كتابته بالعمق والشمول ، وزود مؤلفه بسبعين خريطة ، عدت من أدق ما وصل إلينا من جغرافية المسلمين ، ووصفت بأنها خرائط حقيقية تعطي للناظر إليها تصوراً واضحاً عن المواضع التي تصورها ، وهي بالتأكيد كانت أدق من خرائط الجغرافيين اليونان القدامى ؛ لأنها من عمل جغرافي خرائطي موهوب[١] .

ونظراً لهذه الأهمية التي حظي بها كتاب نزهة المشتاق فقد استفاد منه الغرب استفادة عظيمة ، فترجم إلى عدة لغات أوروبية[٢] من أولها الترجمة اللاتينية التي قام بها راهبان مارونيان هما : جبرائيل الصهيوني (ت١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) ويوحنا الحصروني ، ونشرت الترجمة في باريس سنة (١٠٢٩هـ/١٦١٩م) ، تحت عنوان جغرافية النوبة ، وعنوان الترجمة اللاتينية هو :

Geographia Nubensis (so nach der falschen la aradna fur ardha in der Beschreibung der nilque llen) ex.ar.in lat.versa a gaber-sionita.paris, ١٦١٩[٣].

واختار المترجمان هذا العنوان «جغرافية النوبة» ؛ لأن الجزء الذي نشراه يبدأ بالكلام عن النوبة ، ووردت فيه عبارة «أرضها» ، فقرآها «أرضنا» ، فظنا أن المؤلف نوبي يكتب عن بلاده ، ولم يتبين أن الكتاب للإدريسي إلا فيما بعد ، وقد ذيَّلاه بدراسة عن بعض مدنها وأديانها وعادات أهلها[٤] .

---

(١) حسن : الرحالة المسلمون ، ٦٥-٦٦ ؛ رمضان : الرحلة والرحالة المسلمون ، ١٦٣ ؛ عوض : الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ٢٠-٢١ .

(٢) لم يترجم النص الكامل للكتاب إلا في ترجمته الفرنسية التي قام بها المستشرق جوبير سنة (١٢٥٢-١٢٥٦هـ/١٨٣٦-١٨٤٠م) ، كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٣٢٤ ؛ عوض : الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ٤٨ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣١٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٩١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣٢٢/٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣٠٥/٢ .

(٤) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٣١١ ؛ مؤنس : تاريخ الجغرافية ، ٢٢٨ .

وفي مجال الجغرافيا أيضاً ترجم كتاب «تقويم البلدان» لأبي الفداء (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، الذي تناول فيه تقسيم الأراضي وأقاليمها ، والمصطلحات المستعملة في الجغرافيا ، مع وصف للبحار والأنهار والجبال ، مع تبويب للبلدان الجغرافية من المشرق والمغرب[1] .

ولم ينس المؤلف أن يشير إلى مصادره التي استقى منها معلوماته «كصورة الأرض» لابن حوقل ، و«نزهة المشتاق» للإدريسي ، و«الجغرافيا» لابن سعيد ، و«فتوح البلدان» للبلاذري ، وياقوت الحموي خاصة كتابه المشترك وضعاً والمفترق صقعاً ، وإذا كانت هذه المصادر قد وصلت إلينا فإن أبا الفداء اعتمد أيضاً على مصدر جغرافي هام فقد ، ومعرفتنا به صارت متمثلة في النقول التي أوردها في كتابه هذا ، ونعني بذلك ما ألفه المهلبي (ت٤هـ/١٠م) ، تحت عنوان : كتاب المسالك والممالك ؛ إذ أكثر من الاستعانة بما أورده المهلبي في كتابه المذكور على نحو يعطي كتابه قيمة خاصة ، إضافة إلى قيمته الأصلية[2] .

ويمثل كتاب أبي الفداء واحداً من المصنفات الجغرافية التي ترجمت عن اللغة العربية وحاز التقدير ، فورد ذكره منذ منتصف القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، وتحديداً في عام (٩٦٩هـ/١٥٦١م) لدى المستشرق وليم بوستل (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م)[3] ، وفي القرن التالي لذلك شغل كثيراً بدراسته المستشرق الألماني شيكارت (schickardt) (ت١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) ، ثم وضع المستشرق الإنجليزي جون جريفز (JohnGraves) أول ترجمة لا تينية للكتاب بنشره قسماً منه بعنوان :

Abulfedae chorasiniae et mawaralanahrae descriptio,ed.j.gra-

(١) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٢٣-٤٢٤ ؛ عوض : الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ١٩٦ .

(٢) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٢٥ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٥٨ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٣٥ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٢٧ .

vius.london,١٦٥٠[١].

أما في مجال الرحلات فقد ترجمت رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر ، المسمّاة «كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» ، وهو يتحدث فيه بأسلوب علمي عن رحلته إلى مصر ووصفها ووصف أهلها ونباتها وآثارها[٢] ، وقد نقله إلى اللاتينية إدوارد بوكوك (ت١١٠٣هـ /١٦٩١م) ، ولكنه توفي قبل إنهائه فنشره توماس هايد (Hyde th) ، (ت١١١٥هـ /١٧٠٣م)[٣] متناً وترجمة لاتينية في أكسفورد سنة (١١١٤هـ /١٧٠٢م) بعنوان : مختصر أخبار مصر أو العبر والخبر في عجائب مصر[٤] .

ومن كتب الرحلات أيضاً ترجم كتاب «ناصر الدين على القوم الكافرين» ، على يد مؤلف الكتاب نفسه : أحمد بن قاسم الحجري ؛ إذ وضع ملخصاً للكتاب باللغة الإسبانية ضمنه رحلته ومناظرته مع المستشرق الهولندي أربنيوس ، والكتاب الأصلي يحوي اثني عشر باباً ، يتناول فيه نشأته بالأندلس ، وفراره بدينه إلى العدوة المغربية ، ثم اتصاله بأمراء السعديين ، ورحلته إلى مصر والحج ، ومن ثم رحلاته السفارية إلى أوروبا بكافة بلدانها[٥] .

---

(١) وأول ترجمة كاملة للكتاب كانت إلى اللغة اللاتينية أيضاً عام (١١٨٥هـ/١٧٧١م) على يد ريسكه (Reiske) ، كما أنه نشر كاملاً على يد رينو ودي سلان ، وذلك في باريس سنة (١٢٦٥هـ/١٨٤٨م) . كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٤٢٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٤١/٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣٠٤/٢ .

(٢) عبداللطيف البغدادي ، (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) : رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر ، أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط٢ ، إشراف : عبدالرحمن الشيخ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ٩-١٢ .

(٣) توماس هايد ، مستشرق إنجليزي ، تخرج من كلية الملك في كمبريدج ، وعين باحثاً للغة العبرية في كلية الملكية بجامعة أكسفورد ، وأستاذاً للغة العربية بها ، والمترجم الحكومي للغات الشرقية ، العقيقي : المستشرقون ، ٤٤/٢ .

(٤) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٤١/١ ، ٤٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣١٦/٢ .

(٥) الحجري : ناصر الدين ، ٥٧ ؛ عبدالرزاق : قراءة في كتاب ناصر الدين ، ١٢ ؛ المنوني : قبس من

ثالثاً : الدراسات التربوية :

ظهـرت العنايـة بالتربيـة والدراسـة التربويـة في عـدد مـن المؤلفـات التـي ترجمت لعلماء الإسلام ، وكان كثيرٌ منهم له إسهام في هذا المجـال سـواء مـن أفـرد مؤلفه للتربية وحدها ، أو من ضمنها أحد مؤلفاته الـشرعية أو الفلـسفية أو الطبيـة وغيرها .

ومن أوائل ما ترجم من مؤلفات تناولت الدراسات التربوية بالتفصيل كتـاب القانون في الطب لابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، وهو مؤلف في أساسه يتحدث عن الطب ، ولكنه خصص في الكتاب الأول من القانون فـصلاً خاصـاً للحـديث عن تربية الأطفال وأمراضهم ، وقد سماه : التعلـيم الأول في التربيـة ، وقـسمه إلى أربعة مقالات : تتحدث كلها عن الطفل منـذ ولادتـه إلى بلوغـه ، وكيفيـة تـدبيره وتربيته ومراعاة نفسيته وصحته[1] .

وكانت أول ترجمة للكتاب إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر المـيلادي على يد المترجم جـيرارد الكريمـوني (ت٥٨٣هــ/١١٨٧م) ، الـذي نقـل الكتـب الخمسة من القانون إلى اللغة اللاتينية[2] ، وقد طبعت هذه الترجمة طبعـات متعـددة في مـدن مختلفـة ؛ حيـث طبـع في ستراسـبورج سـنة (٨٧٨-٨٨٥هــ/١٤٧٣-١٤٨٠م) ، وفي ميلانـو سـنة (٨٧٨هــ/١٤٧٣م) ، وفي بـادوا سـنة (٨٨١-٨٨٤هــ/١٤٧٦-١٤٧٩م) ، وفي البندقيـة سـنة (٨٩١هــ/١٤٨٦م) ، و(٨٩٥هـ/١٤٨٩م)و(٨٩٦هـ/١٤٩٠م) ، وفي نابولي سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) ، وكانت آخر طبعة أوروبية للقانون في الطب سنة (١٠١٧هـ/١٦٠٨م) ، تـضمنت =

عطاء المخطوط المغربي ، ٢/١٠٢٨ .

(١) ابن سينا : علي بن الحسين ، (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) : القانون في الطب ، تحقيـق : سـعيد اللحـام ، دار الفكر ، بيروت ، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ، ١/٢٧٦ وما بعدها .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٤ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغـة ،٨ ؛ مـايرز : الفكـر العـربي ، ١٠٨ ؛ Leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٤٢٩ .

بعض اللوحات المصورة[١] .

وقد أعاد الطبيب المستعرب أندريا الباغو (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ترجمة الكتاب من الأصل العربي إلى اللاتينية ، وطبع بعد وفاته في البندقية سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) تحت عنوان : medicaments cordialibus,revu et.publie par Andren Alpago de Belluno en ١٥٢٧ ، كما طبع سنة (٩٥١هـ/١٥٤٤م) ، ثم أعيد طبعه مع بعض التعليقات لابن أخ المترجم سنة (٩٦٣هـ/١٥٥٥م) ، وطبع في بازل سنة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م)[٢] .

أما عن ترجمات الكتاب إلى اللغة العبرية فأولها ترجمة زرحيا جراسان (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) ، الذي نقل الكتابين الأولين من القانون سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) بروما ، ثم نقل الكتاب نقلاً متعاصراً مع هذا التاريخ على يد ناثان المئوي (أواخر ق٧هـ/١٣م) الذي أكمل نقل الكتاب ، ثم عدلت هذه الترجمة قبل سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) على يد يوسف اللورقي[٣] .

وقد طبعت هذه الترجمة العبرية سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م) بعنوان : Hebrew version Of the qanun by Joseph troqi and Nathan ha-me,ati.naples,١٤٩١-١٤٩٢[٤] .

أمَّا عن كتاب «الأرجوزة في الطب» لابن سينا أيضاً فهو بمثابة اختصار لكتاب القانون في الطب ، يسهل على طلاب الطب قراءتها وحفظها ، وتعرف أيضاً بالألفية ، وتتراوح أبياتها ما بين ١٣٢٦ - ١٣٣٤ بيتاً قسم ابن سينا أبياتها إلى قسمين : نظري وعملي ، تناول من خلال قسمها العملي تدبير الطفل في مراحل نموه المختلفة . وقد وضعت عدة شروحات لهذه الأرجوزة ، أشهرها التي وضعها

---

(١) بلسنر : تراث الإسلام ، ١٢٤/٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢٥٢/٢ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ٤١٦/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢٥٣/٢ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١١٦ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ، ١٣٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٤٠/١ ، ١٤٢ ، ١٧٤ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ٢٥٢/٢ .

ابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) ، وترجمت الأرجوزة والشرح إلى اللغتين اللاتينية والعبرية أيضاً[١] .

وكان أول نقل للأرجوزة على ما يبدو إلى اللغة العبرية سنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م) على يد المترجم سليمان بن أيوب (النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) ، ثم نقلت للمرة الثانية إلى العبرية أيضاً بواسطة موسى بن طبون (النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) ، وكانت في هذه المرة مع شرح ابن رشد عليها[٢] .

أما عن ترجمتها اللاتينية فقد تمت سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) على يد أرمانغو بليس (القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) حيث نقلها مع شرحها لابن رشد ، والرأي الغالب أنه نقلها من العبرية إلى اللاتينية لا من العربية ، أي أنه اعتمد ترجمة موسى بن طبون على ما يبدو ، ولكن هذه الترجمة كانت حافلة بالأخطاء مما حدا بأندريا الباغو إلى إعادة ترجمتها وإصدارها إصداراً جديداً تحت عنوان : De venenis ..ed by Bptista de Avolio Bolagna.١٤٩٧-١٥٠٠[٣] . وقد اشتمل كتاب «تهافت التهافت» لابن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) على أراء تربوية تناولت : وجوب تنشئة الناشئة على فضائل الأخلاق مع الاهتمام بالتربية العقلية ، ومراعاة الفروق الفردية في التعليم[٤] . وأول ترجمة للكتاب كانت إلى اللغة العبرية على يد قالونيموس بن داود الكبير الذي أتمها قبل سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) بعنوان (Happalat ha - happala) ، وعن هذه الترجمة العبرية نقل الكتاب إلى اللاتينية

---

(١) شحاتة قنواتي : تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ، ط٢ ، مطبعة الأوراق ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ١٧٥ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٤ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٠ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ، حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٤-١٣٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٧ ، ٤٩٩ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٦ .

(٤) ابن رشد : محمد بن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) : تهافت التهافت ، ط١ ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ٣١٩ .

ونشر سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م)[١] .

أما ترجمة الكتاب من العربية إلى اللاتينية مباشرة فقد اضطلع بها قالونيموس بن قالونيموس سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م)[٢] .

وهناك رسالة في التربية ، وهي عبارة عن رسالة أخلاقية تنسب لأرسطو شرحها علي بن رضوان ، وقام بترجمتها إلى العبرية يهودا الحريزي (ت حوالي ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[٣] ، أما بالنسبة لكتاب «ميزان العمل» للغزالي فكان مؤلفاً تربوياً من الطراز الأول ؛ إذ جمع فيه آراء تربوية ، وفوائد أخلاقية عظيمة تخص المرء في جميع مراحل حياته ، لا سيما ما يتعلق بالعلم العملي أو الأخلاق ؛ إذ جعل الموضوع الحقيقي لعلم الأخلاق هو السعادة ، والسعادة إما دنيوية وإما أخروية ، والعاقل بنظر الغزالي هو الذي يؤثر الأخرى ؛ لأنها أكثر دواماً وأعم سروراً[٤] .

وقد نقل الكتاب إلى اللغة العبرية إبراهيم بن حسداي (ت في حدود ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) بعنوان : «الميزان الصادق» ، وقد حقق هذه الترجمة ونشرها جولدنثال ، وصدَّرها بمقدمة عن حياة الغزالي ومؤلفاته وعنوانها هو :

Mozene sedeq compendium doctrinae ethicae auctore al-gazali tusensi di Arabic hibraice conversum ab Abrahamo ben chasdai barcinonensi Ed.J.golden thal.lipsiae Parisiis,١٨٣٩ .

والترجمة سيئة ورديئة ، وحذف منها كل ماله علاقة بالله ورسوله ونسب أقوال القرآن الكريم إلى بعض الحكماء[٥] .

واخيراً يطالعنا في مجال الدراسات التربوية المؤلف التربوي المهم : «تعليم

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٠١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٢ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٠١ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٩ .

(٤) الغزالي : ميزان العمل ، ٩-١١ .

(٥) مايرز : الفكر العربي ، ١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٣٦ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٨٠ .

المتعلم طريق التعلم» ، لمؤلفه برهان الدين الزرنـوجي (ت٥٩١هـــ/١٢٤٢م) ؛ إذ احتوى على خلاصة وصايا لطالب العلم ، وواجبات التعلم ، والشروط الواجـب توفرها في ركائز التعليم الثلاث : المعلم والمتعلم والمـنهج المـدرَّس ، أتـت كلهـا في ثلاثة عشر فصلاً ابتـدأها بتعريـف للعلـم وفـضله ، واختتمهـا بموجبـات الـرزق وطول العمر[١] . وقد ترجم الكتاب لأول مرة سنة (١٠٥٦هـ/١٦٤٦م) عـلى يـد إبراهيم الحاقلاني ، (ت١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) الـذي نقلـه إلى اللغـة اللاتينيـة تحـت عنوان : «طريق الحكمة أو طريق تحصيل العلوم» ، يترجم إلى اللاتينية لأول مرة .

Semita sapien-tiae,sive ad scientias comparandas methodus nunc primum latini juris Facta ab Abrahamo Ecchelensi

إلا أنَّ ترجمته هذه حرفية لدرجة أنها غير مفهومة[٢] .



(١) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ، ط١ ، الـدرا الـسودانية للكتـب ، الخرطـوم ، ١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م ، ٥-٧ .

(٢) فـوك : تـاريخ الاستـشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ٣/٣٢٣ ؛ بـدوي : موسـوعة المستشرقين ، ٢٢٨ .

رابعاً : الفلسفة والمنطق وعلم الكلام :

عرف العالم الإسلامي الفلسفة عن طريق ترجمة مؤلفاتها لفلاسفة اليونان الأوائل إبان القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي وما بعده ، كما أن عدداً من علماء الفلاسفة المنتسبين للإسلام قاموا بشرح هذه المؤلفات المنقولة إلى اللغة العربية ، أو التأليف على نمطها في هذا العلم ، فظهرت -نتيجة لذلك- كتابات متنوعة لعلم الفلسفة وفروعه ، بادر الغرب إلى ترجمتها والاطلاع عليها منذ وقت مبكر من تاريخ الترجمة .

ومن أهم ما ترجم من مؤلفات فلاسفة اليونان المنقولة أصلاً إلى اللغة العربية مؤلفات أرسطو ؛ إذ إنه كان يحظى بمنزلة عند الفلاسفة العرب ، فترجموا كثيراً من كتبه الفلسفية[١] ، التي نقلت بدورها إلى اللاتينية . منها :

كتاب «سر الأسرار» ، أو المعروف بـ«السياسة في تدبير الرياسة» ، وهو من الكتب المنسوبة لأرسطو ، فكان له أهمية كبيرة لدى فلاسفة الشرق والغرب ، وليس أدل على ذلك مما حظي به هذا المؤلف من تعدد في ترجماته وكثرتها سواء باللغة اللاتينية أو بقية اللغات الأخرى ، وذلك عن النص العربي المنقول بواسطة يحيى بن البطريق[٢] .

وأول ترجمة للكتاب كانت في العقد الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، على يد يوحنا الإشبيلي الذي لم يترجم فيه إلا فصلاً واحداً يخص علم الطب ، وقد سميت ترجمته هذه «الرواية المغربية» ؛ لأنها كانت شائعة عند يهود إسبانيا ، إضافة إلى أنَّ للكتاب ترجمة أخرى عرفت بـ«الرواية المشرقية» ، تمت في المشرق على يد فيليب الطرابلسي (القرن السابع الهجري ، الثالث عشر

---

(١) عبدالرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ، دراسات ونصوص غير منشورة ، ط٢ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٨م ، ٦-٧ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ١٢٨ ؛ بدوي : الأصول اليونانية ، ٤٢ .

الميلادي)[١] .

وكلا الترجمتين كانت من العربية إلى اللاتينية ؛ إلا أنَّ الأكثر شهرة هي ترجمة فيليب الطرابلسي ؛ إذ اعتمدت عليها المخطوطات اللاتينية الأخرى ، وهذه الترجمة -بخلاف الترجمة الأولى للكتاب- كانت كبيرة جداً ، ومحشوة بالإضافات السحرية والعلمية والفوائد الطبية الغريبة ؛ لذا فقد ظفرت بنجاح وانتشار في أوروبا منقطع النظير ، فتعددت النسخ ، وبعضها يتمشى مع الأصل العربي كما هو ، فيما عدا بعض اختلافات جزئية ضئيلة الشأن ، أو حذف بعض عبارات ابتغاء الإيجاز ، وبعضها الآخر مرتب بترتيب مختلف ، ونوع ثالث جمع بين ترجمة يوحنا الإشبيلي ، وترجمة فيليب الطرابلسي ، ونوع رابع وقع له ما وقع لمخطوطات المشرق من إضافة فقرات مأخوذة عن كتب تناولت نفس الموضوعات[٢] .

وكان هذا الكتاب من أوسع الكتب انتشاراً بعد ترجمته ، ومن ثم نقل إلى معظم اللغات الأوروبية ، وكثيراً ما نظمه الناظمون شعراً ، والسر في هذا الانتشار هو المؤلف «أرسطو» الذي كان مبجلاً لدى فلاسفة العالمين الإسلامي والغربي ، ولم يشك أحدٌ من هؤلاء أنه ليس له ، واستمر الحال حتى أواخر القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي حين بدأ الناس يشكون في صحة نسبته إلى أرسطو ، إلا أن الكتاب نفسه قد جمع فأوعى في مجال الفلسفة ؛ لهذا تعددت ترجماته من اللاتينية في ترجمة فيليب الطرابلسي إلى اللغات الأوروبية الحديثة نثراً ونظماً ، فترجم إلى الفرنسية القديمة ، والإنجليزية ، والغالية ، وكثير من اللهجات الألمانية والإيطالية ، والإسبانية ، والقطالونية ، والهولندية ، وطبع الكثير منها قبل سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، ونشر الباحثون المحدثون بعض هذه الترجمات ودرسوها دراسة مستفيضة ، وتعددت الترجمات إلى اللغات الحديثة في اللغة الواحدة ، ويكفي أن نذكر أنه ترجم على الأقل ثماني ترجمات إلى اللغة الفرنسية فيما بين القرنين

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٦ ؛ بدوي : الأصول اليونانية ، ٤٢ .

(٢) بدوي : الأصول اليونانية ، ٤٤-٤٥ .

السابع والثامن الهجريين ، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين[١] .

وينبغي أن نذكر من بين الترجمات العديدة للكتاب الترجمة اللاتينية التي كتبها -مباشرة أو بواسطة لغة أخرى- روجر بيكون ونشرت حديثاً تحت عنوان :

Secretum secretorum cun glossis et notulis…Fratris Rogeri nune primun edidit robert steele Accedunt versio anglicana ex arabico edita par A.s. fulton . versio vetusta anglo –normanica nunc pri-mun edita.oxford ,١٩٢٠[٢]

أما عن نقل الكتاب إلى اللغة العبرية فقد كان إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وعلى يد يهودا الحريزي (ت حوالي٦٣٢هـ/١٢٣٤م) الذي نقل الكتاب من العربية إلى العبرية مباشرة[٣] .

أما كتابه في المنطق وهو المسمى «أنا لوطيقا الثانية» ، وشرحه لـ«ثيمستيوس» ، فجميعهما نقلا إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي على يد جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)[٤] .

ومما نقل لأرسطو أيضاً كتاب «الآثار العلوية» ترجمة جيرارد الكريموني ، إلى اللاتينية عن النسخة العربية ليحيى البطريق ، أما ترجمته العبرية فكانت على يد صمويل بن طبون (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، واعتمد أيضاً على النص العربي لابن البطريق ، ثم علق عليه بنفسه ، وأضاف إلى تعليقه بعض أقوال الإسكندر الأفروديسي ، وقد فرغ من ترجمته سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م)[٥] .

أما كتاب «التفاحة» والمنسوب أيضاً لأرسطو ، وهو عبارة عن حوار جرى

---

(١) نفس المرجع ، ٤٦-٤٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ١٢٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/ ٢٥ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٣٠ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٤٩٠ .

بين أرسطو وبين تلاميذه قبيل وفاته ، وفيه دعوة لمؤلفات أرسطو خصوصاً «ما بعد الطبيعة» ، وقد أشار موسى بن ميمون إلى أنه منحول ، وترجم إلى العبرية بعنوان : «Sefer ha-toppuha» ، على يد إبراهيم بن حسداي (ت في حدود ٦٣٨هـ /١٢٤٠م) ، ثم نقل الكتاب إلى اللاتينية مانفريد ملك صقلية ، وذلك نقلاً عن ترجمة إبراهيم هذه[١] .

ونشر النصين العبري ، واللاتيني معاً سنة (١١١٨هـ/١٧٠٦م) تحت عنوان :

Biga dissertationum quarum prims exhibet sefer ha-tappuah sive librum de poma Aristotelis quod moribundus in manu (gestoverit, giessen,١٧٠٦)[٢]

ومن مترجمات كتب أرسطو الفلسفية «ما وراء الطبيعة» الذي ترجم إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نقله إلى العبرية موسى بن طبون ، حيث نقل الكتاب الأول من المؤلف وهو المسمى «أنامستيوس» ، نقله عن الترجمة العربية لإسحاق بن حنين ، وإصلاح ثابت بن قرة ، وأتم الترجمة سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م)[٣] .

وقد نقلت هذه الترجمة العبرية إلى اللاتينية على يد موسى فينزي ، وطبعت في البندقية سنة (٩٨٤هـ/١٥٧٦م) ، وقد نشر الترجمتين معاً صمويل لانداور بعنوان :

The mistii:in Aristotelis metaphy sicrum Librum A paraphrasis ,Hebraice et latine ,edidit Samuel tandauer [٤]

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١١٤ ؛ بدوي : أرسطو عند العرب ، ٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٠-١٣١ .

(٢) بدوي : أرسطو عند العرب ، ٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٢٤ .

(٣) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٣٠٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٦ .

(٤) بدوي : أرسطو عند العرب ، ١٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١٣٦ .

وإذا ما وصلنا إلى مؤلفات الفلاسفة الذين عاشوا في العالم الإسلامي نجد في مقدمتها مؤلفات الكندي ، حيث عرفت مؤلفاته منذ وقت مبكر في أوروبا ، وعلى الرغم من ذلك فلم تعرف كتبه الفلسفية كلها ، ويبدو أن علمه غلب على فلسفته في العالم اللاتيني ، ولم يترجم من كتبه الفلسفية إلا أربع رسائل صغيرة[١] ، هي :

في ماهية العقل ، التي نمَّى فيها الكندي لأول مرة مذهب العقل متابعاً الإسكندر الأفروديسي ، وهو المذهب الذي صار أساساً لنمو الفلسفة الأفلاطونية الجديدة-الأرسطاطاليسية عند الفلاسفة العرب[٢] ، وقد ترجمت هذه الرسالة إلى اللغة اللاتينية مرتين : الأولى قام بها الثنائي يوحنا الإشبيلي ، ودومنجوجنديسالفي ، إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، والثانية تمت على يد جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)[٣] .

رسالتاه الآخرتان ، وهما : «في ماهية النوم والرؤيا»و«الجواهر الخمسة» التي تناول فيها بعض الأفكار الأساسية في علم الطبيعة الأرسطالية ، وبخاصة في المقالة الرابعة من كتاب السماع الطبيعي لأرسطو ، فكلتاهما نقلهما إلى اللغة اللاتينية جيرارد الكريموني أيضاً[٤] .

وقد نقلت رسائله الثلاث بالإضافة إلى رسالة رابعة في البرهان المنطقي إلى اللغة اللاتينية ، ونشرها (البينو ناجي) (A.nagy) بعنوان :

Die philosophischen Abhandlugnen des jaqub ishaq Al-kindi Beitrage,١٨٩٧[٥]

(١) الكندي : يعقوب بن إسحاق (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) : رسائل الكندي الفلسفية ، ط٢ ، تحقيق : محمد عبدالهادي أبوريده ، مطبعة الإحسان ، القاهرة ، ١/ ٤ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/ ١٦٩ .

(٢) عبدالرحمن بدوي : الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية ، دار المعارف ، تونس ، ١٨٧ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٢ ؛ Alonso:traducciones del arcediano domingo gundisalvo,٣٠٨

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ١٣١ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/ ١٦٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٥ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ١٢٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/ ٤١-٤٢ .

وقد كانت مؤلفات حنين بن إسحاق الفلسفية كثيرة ومتنوعة ، منها ما ألفه بنفسه ، ومنها ما كان ترجمة ، ومن ثم شرح إلى اللغة العربية لمؤلفات فلاسفة اليونان[١] ، ويأتي في مقدمة هذه المؤلفات كتاب «آداب الفلاسفة» الذي فقد أصله العربي ، وبقي في ترجمته العبرية التي قام بها يهودا الحريزي (ت حوالي٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) ، بعنوان : «سفر موسري هيلوسوفيم» ، وطبعت هذه الطبعة تحت عنوان :

Safar museri hello sophim…hsg.v.A,loewenthal.Frank furt,١٨٩٦[٢]

وتعدُّ فلسفة الفارابي من أهم ما نقله المترجمون في هذا العلم ؛ إذ كانت صورته أوضح من غيره لدى اللاتين ، فترجمت مؤلفاته منذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي[٣] ، ومما ترجم من كتبه الفلسفية ما يلي :

إحصاء العلوم ، وهو من أهم كتبه في الفلسفة ، تناول فيه العلوم المعروفة في زمانه وعرَّف بها ، وحصرها في مائة وثمانية وعشرين علماً[٤] ، وقد ترجم الكتاب مرتين : الأولى : قام بها جنديسالفي ، ويوحنا الإشبيلي ، والثانية : كانت على يد المترجم جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وكلتا الترجمتين كانت إلى اللغة اللاتينية[٥] .

وهناك ترجمة عبرية لنفس الكتاب قام بها قالونيموس بن قالونيموس ، وأتمها سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م)[٦] ، ويذكر سارتون أن ترجمة جنديسالفي ويوحنا ليست

---

(١) أحمد محمد الدبيان : حنين بن إسحاق ، دراسة تاريخية ولغوية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ ، جزأين ، ١/١١٥-١١٦ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٠٧-١٠٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٩ .

(٣) مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٦٩ .

(٤) بدوي : الفلسفة والفلاسفة ، ٢٠١ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٥-٩٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛

Alonso:traducciones del arcediano domingo,٣١٨.

(٦) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٨ .

ترجمة حرفية للكتاب ، إنما كانت اقتباساً حراً ، على أنَّ باحثاً آخر مثل ألدوميلي يذكر أن ما قام به جنديسالفي وزميله إنما هو ترجمة لكتاب آخر للفارابي اسمه العربي «مراتب العلوم» ، وعنوانه اللاتيني : (De orto scientiarum) ، ويجب ألا يخلط بينه وبين سابقه .

ولا يوجد منه نص عربي أصلي بل حفظ في الترجمة اللاتينية المذكورة ، وحققه ونشره بويمسكر في مونستر سنة (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)[١] ، وقد حقق النص الذي ترجمه جيرارد ونشره في باريس سنة (١٠٤٨هـ/١٦٣٨م) جوليلموس كاميراريوس ، أما الترجمة العبرية فقد نشرت في برسلاو سنة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م)[٢] .

أمَّا كتابه في القياس - والذي هو قسم من كتابه في إصلاح منطق أرسطو ، بين فيه ما قيل من خلافات بين أرسطو وأفلاطون في بعض فضائل المنطق ، وخصوصاً القياس - فقد نقله جيرارد الكريموني أيضاً إلى اللغة اللاتينية[٣] .

وإذا ما تطرقنا لكتابه «شرح خطابة أرسطو» الذي بحث فيه تعريف كتاب الخطابة وأقسامه ، وأصبح شرحه هذا المرجع ككتاب الخطابة نفسه فنجد أنه ترجمه هرمان الألماني (ت٦٧١هـ/١٢٧٢م) إلى اللغة اللاتينية سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) بعنوان : Declaratio compendiosa supra libris rhetoricorum Aristotiuis

وطبع في البندقية سنة (٨٨٩هـ/١٤٨٤م) ، وسنة (٩٢١هـ/١٥١٥م)[٤] .

ومن بين مؤلفات الفارابي الفلسفية كتاب المبادئ ، وهو رسالة فلسفية وسياسية ، ونقل إلى العبرية سنة (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) ، والذي نقله المترجم اليهودي موسى بن طبون (النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ وانظر : بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٤٦ .
(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٤٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٧٨ .
(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ .
(٤) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ طاليس : أرسطو : الخطابة ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٣٧ .

الميلادي) ، بالإضافة إلى كتاب «ماهية النفس» الذي تناول فيه أنواع النفوس وقواها ، وقد نقل إلى العبرية أيضاً بواسطة زرحيا بن جراسان (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) ، وهذا المترجم هو الذي نقل كتاب «شرح الفارابي لكتاب أرسطو» عن النفس أيضاً[١] .

أما «ماهية العقل» فقد كرس الفارابي له رسالة خاصة حظيت بعناية بالغة عند فلاسفة العصور الوسطى الأوروبية ، وتحدث فيها عن العقل وتقسيمه ، وماهيته عند الفلاسفة الأوائل وغيرهم[٢] ، وكان أول نقل للرسالة سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) على يد قالونيموس بن قالونيموس الذي نقلها إلى اللغة العبرية ، وقد نقل نفس المترجم للفارابي «رسالة فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة» ، إلى العبرية أيضاً[٣] .

وقد نشرت هذه الرسالة مع كتاب آخر للفارابي بعنوان «عيون المسائل» الذي نقله إلى العبرية تدروس التدرسي (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، ويتضمن ستين مسألة من المنظومة الأرسطية ، وكان نشر الاثنين على يد شمولدرز بون سنة (١٢٥٢هـ/١٨٣٦م) ، في كتاب «مبادئ الفلسفة القديمة» ، حيث حوى رسالة ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ، وكتاب «عيون المسائل» ، تحقيقاً وترجمة لا تينية[٤] .

وإذا كانت مؤلفات الفارابي قد لقيت كل عناية واهتمام من قبل المترجمين والنقلة ، فإن ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) لا يقل عنه في ذلك ؛ حيث عني به الغرب عناية كبرى ، وتلقفوا مؤلفاته الفلسفية بالنقل والترجمة منذ وقت مبكر ،

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٣٠٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦-٤٧٤ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٦-١٤١ .

(٢) بدوي : الفلسفة والفلاسفة ، ٢٣٣ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩-١٣١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العربي ، ١/٥٠٨-٥٠٩ .

(٤) مايرز : الفكر العربي ، ١٣١-١٣٢ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٤٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٣٩ .

وألفوا عليها فدَرَسوها ، بل قد درَّسوها في جامعاتهم كذلك[١] .

ومن أول مؤلفاته الفلسفية التي ترجمت موسوعته الفلسفية الشفاء التي تضمنت قدراً هائلاً من المعارف الفلسفية والرياضية والفلكية والفيزيائية والكيميائية وغيرها ، ونظراً للحجم الذي كانت تحتله هذه الموسوعة فقد قضى الغرب زمناً في ترجمتها ، فكان نقلها إلى العالم اللاتيني على مرحلتين[٢] .

الأولى -وهي مرحلة مبكرة من مراحل الترجمة- في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي عندما نقل دومنجوجنديسالفي بمعاونة يوحنا الإشبيلي أجزاءً من الكتاب هي : النفس ، الإلهيات ، والطبيعيات إلى اللغة اللاتينية[٣] .

وإذا أتينا إلى المرحلة الثانية التي كانت منذ القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وما بعدهما ، إذ أخذت أجزاء الكتاب تنقل تباعاً إلى اللغة اللاتينية ، فنقل ألفرد دي سرشال القسم الكيميائي والجيولوجي من الشفاء ، ويشار إليه عادة باسم المعادن[٤] .

كما أن كتاب «النجاة» لابن سينا أيضاً لقي اهتماماً من الغرب بالرغم من أنه مختصر لكتاب الشفاء السالف الذكر ، فترجم من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي على يد جنديسالفي الذي نقله نقلاً جزئياً بعنوان : [ترجمة جزئية لكتاب النجاة] ، وقد طبعت هذه الترجمة سنة(٩٧٦هـ/١٥٦٨م) في باريس بعنوان : Un traduction partielle d, al-nagat:par comi nicus gundisalvi.paris ١٥٦٨,.[٥]

---

(١) مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٧٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٤٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٧ ؛ بالنثيا : التاريخ في الفكر الأندلسي ، ٥٣٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٠٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٧ . Haskins:studies in the history of mediaeval science ١٢٧.

(٥) وهناك ترجمة جزئية حديثة للكتاب ، بقلم نعمة الله كرامة ، الذي حقق النص العربي من القسم =

وهناك ترجمة عبرية للكتاب قام بها تدروس التدرسي (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ؛ حيث نقل فصولاً من الكتاب ، وهي المتعلقة بالطبيعة والإلهيات ، ترجمها ما بين سنتي (٧٣١-٧٤١هـ/١٣٣٠-١٣٤٠م)[١] .

وإذا ما تطرقنا لبقية المؤلفات الفلسفية لابن سينا كبعض المقالات والرسائل فيأتي في مقدمتها «مقالة النفس» ، نقلها إلى اللاتينية أندريا الباغو ، وطبعت في البندقية سنة (٩٥٣هـ/١٥٤٦م)[٢] .

وتعتبر قصة «حي بن يقظان» لابن سينا من أنواع القصص الفلسفي ، فهي - بالرغم من أدبيتها - جاءت بأسلوب فلسفي ، وتعمق غامض كل الغموض ، وهو ما كان يحدث في المؤلفات الفلسفية[٣] ، وأول نقل للقصة كان إلى اللغة العبرية ؛ إذ إن المترجم إبراهيم بن عزرا (ت حوالي ٥٦٠هـ/١١٦٤م) كان أول من نظم هذه القصة شعراً باللغة العبرية[٤] .

وتعد مؤلفات الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م) من الكتب التي ترجمت في عهد مبكر ، فنقل كتابه «مقاصد الفلاسفة» الذي تحدث فيه عن آراء وأفكار ونظريات الفلاسفة مع تضمينه شيئاً من علومهم المنطقية والإلهية والطبيعية ، بهدف مناقشتهم في مسائل تخص الفلسفة من خلال هذه العلوم ، وهكذا جاء تقسيم

= الثالث للكتاب ، وأرفقه بترجمة لاتينية بعنوان : مختصر ما وراء الطبيعة لابن سينا ، وطبع بروما سنة (١٩٢٦م) . ميلي : العلم عند العرب ، ٢٠٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١٨ .

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٣١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥١٧ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١١٦ .

(٣) ابن سينا : علي بن الحسين (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، قصة حي بن يقظان ، تحقيق : احمد أمين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ١٧ .

(٤) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٣/١٠٠ ؛ شحلان : التراث العبري ، ٢٤٩ ؛ عبدالمجيد : اليهود في الأندلس ، ٨٣ .

الكتاب إلى ثلاثة أقسام تبعاً لهذه العلوم : (المنطق ، الإلهي ، الطبيعي)[١] .

وأول نقل للكتاب إلى اللغة اللاتينية كان على يد دومنجو جنديسالفي (ت بعد ٥٧٧هـ/١١٨١م) ، وقد طبعت هذه الترجمة في البندقية سنة (٩١٢هـ/١٥٠٦م) بعنوان :

M.al-F.logica et philosophico Algazelis ,trad.latin,par dominicus gundisalvi.venetiae,١٥٠٦.[٢]

وقد شاع أن مقدمة كتاب المقاصد لم يعرفها أهل العصور الوسطى ، ويظهر أنها ترجمت إلى اللاتينية ، ولكنها لم تقع في أيدي كثيرين منهم ، فعزو إلى الغزالي كل ما ورد في هذا الكتاب ، وعدوه واحداً من المشائين العرب –على حد زعمهم- ولكن وجدت هذه الترجمة اللاتينية ونشرها سلمان سنة (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) بعنوان :

Algazel et latins,ed.par D.H.salman:in:Archives ١٠,١٩٣٦.P.١٠٣-١٢٨.[٣]

وإلى اللغة العبرية ترجم الكتاب ثلاث مرات : أولها فيما يبدو -وهي ترجمة إسحاق البلاج- (حوالي نهاية ق٧هـ/١٣م) ، ولكنها لم تكن ترجمة دقيقة للأصل ، بل ترجمة لمضمونه ، وعنوانها «مراتب الفلاسفة» ، ولا تمثل غير قسمي المنطق والإلهيات ، ثم شرع في الطبيعيات ولم يتمه ، فأتمه بعد ذلك بقليل إسحاق بن بلجر .

وهذه التتمة توجد في مخطوطات[٤] ترجمة البلاج ، وفي كثير من هذه المخطوطات يضاف إلى ترجمة البلاج وتتمة ابن بلجر شرح موسى النربوني ، وإن

---

(١) الغزالي : محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) : مقاصد الفلاسفة ، ط١ ، تحقيق : محمود بيجو ، مطبعة الصباح ، دمشق(١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ١٠-١٤ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٠ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ١٧١/٢ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٥٤ .

(٣) مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ١٧١/٢ ؛ بدوي : الغزالي ، ٥٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٣٥/٢ .

(٤) مخطوطات هذه الترجمة حسبما ذكرها اشتينشنيدر هي : بودلي بأكسفورد ، (١٠٣٩٦) ، وهمبرج ، فهرست دافيد أو بنهيمر (١١٧٣) ، همبرج ، فهرست مكتبة ميخائيل (٣:٣٣٢) ، ليدن ، فهرست المخطوطات العبرية (٦: ٢،١) ، مودينا (١٥) ، باريس (٩٠١) ، الفاتيكان (٣٤٦ :١-٣) ، كرمولي (٢٨١) ، رابينو (٣٨) ، ميرز بشر (٤٧) . بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٥٩ .

كان النص الذي يرد في شرح موسى النربوني من ترجمة البلاج[١] .

أما الترجمة العبرية الثانية فقد كانت على يد يهودا ناثان (ق٨هـ/١٤م) الذي نقل الكتاب بعنوان يقابل الأصل «مقاصد الفلاسفة» ، وقدم للترجمة بمقدمة طويلة ، كان قصده منها حماية القارئ من الفلسفة ، وأحل محل الآيات القرآنية في النص اقتباسات من التوراة ، وقد انتشرت هذه الترجمة انتشاراً واسعاً جداً[٢] .

وهناك ترجمة عبرية ثالثة لكتاب المقاصد ، تختلف عن ترجمتي البلاج ويهودا ناثان ، ولا نعرف تاريخها ولا من قام بها ، ويقول اشتينشنيدر : إن من المحتمل جداً أن تكون أقدم من ترجمة إسحاق البلاج ، وهذه الترجمة هي التي اعتمد عليها موسى النربوني في شرحه على المقاصد ، وتبعاً لهذا يمكن تأريخها ما بين سنتي (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) و(٧٤١هـ/١٣٤٠م)[٣] .

ومن أهم مؤلفات الغزالي الفلسفية المترجمة كتاب «تهافت الفلاسفة» الذي ناقش فيه عدة مسائل لتبيين مذهب الفلاسفة وبطلانه[٤] . وأول ترجمة للكتاب هي : ترجمة قالونيموس بن قالونيموس (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) إلى اللغة اللاتينية ، ويظهر أنه نقلها عن ترجمة عبرية ، وأنجزها سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) من أجل الأمير روبرت ، وطبعت هذه الترجمة في البندقية مرتين سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) و(٩٧٠هـ/١٥٦٢م) ، بعنوان :

Destructio philosophiae trad .par.C.calonymos.venetiae,١٥٢٧,١٥٦٢.[٥]

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٧ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٥٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٧٠٧ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٧٣ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٥٩ ؛ ومن مخطوطات هذه الترجمة التالي : بودلي ، ميخائيل (٣٣٠) ، برلين (١١١) ، لندن (٣٨) ، باريس (٩٠٤) ، بارما فهرست روستي (١٤٣ ، ٢٨٦ ، ٤٣٧) ، تورينو (١٥٠) ، زونز (١،٢:٢٣) . بدوي : مؤلفات الغزالي ،٥٩-٦٠ .

(٣) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٠ ؛ شحلان : التراث العبري اليهودي ، ١٨٨ ؛ ومن مخطوطات هذه الترجمة : بودلي أوري (٣٩٦) ، همبرج مكتبة ميخائيل (٣٢٢) ، ميونخ (٦٤) .

(٤) الغزالي : محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) : تهافت الفلاسفة ، ط٦ ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ ، ٨٦-٨٩ .

(٥) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٩ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٧ .

ثم ترجم الكتاب إلى اللاتينية عن نص عربي ، نقله أوجستينو نيفو ، وشرحه ، وذلك في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وقد طبعت هذه الترجمة في بادوا سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) بعنوان :

Tahafut al-falasifa,latin trad . par. Augustino nifo paduot,١٤٩٧.[1]

وفي كلتا الحالتين كانت الترجمة ضمن ترجمة «تهافت التهافت» لابن رشد ؛ ولهذا فإن طبعات الترجمة اللاتينية لـ«تهافت التهافت» تتضمن في ثناياها نصوص ترجمة «التهافت» ، لكن يلاحظ على هاتين الترجمتين اللاتينيتين أنهما سيئتان للغاية ، وفيهما تصرف شديد وعبث كبير بالنص ؛ لهذا لا قيمة لهما في تحقيق نص «التهافت» ، ولا «تهافت التهافت»[٢] .

ولم يترجم كتاب «تهافت الفلاسفة» إلى العبرية إلا مرة واحدة ، وذلك بعد مرور نصف قرن على ترجمة «تهافت التهافت» إلى العبرية . ويعزو اشتينشنيدر ذلك إلى ندرة كتاب «التهافت» نفسه وقد قام بهذه الترجمة للكتاب سرخيا الجيروني (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) ، وهي أول ترجمة مستقلة للكتاب عن تهافت التهافت ، وهي نادرة الوجود جداً[٣] ؛ إذ لا يعرف من مخطوطاتها[٤] إلا القليل .

ومما ترجم أيضاً من كتب الغزالي الفلسفية «مشكاة الأنوار» الذي تناوله بأسلوب تصوفي فلسفي إشراقي عن أسرار الأنوار الإلهية ، ومعنى قوله تعالى : ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ[٥]﴾[٦] ، وقد ترجم الكتاب إلى العبرية على يد إسحاق

---

(١) حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٣٢ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٧ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/٣٢ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٨ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٠ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٨ .

(٤) من مخطوطات هذه الترجمة : ليدن : (٣٥:٦) ، باريس (٩١٣ ، ٩١٤) ، بارما فهرست روسي (٤٩٦) . بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٨ .

(٥) سورة النور ، من الآية (٣٥) .

(٦) الغزالي : محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ/١١١١م) : مشكاة الأنوار ، تحقيق : أحمد عزت ، وفرح الكردي ، مطبعة الصدق ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ ، ١-٢ .

الفاسي (ربما في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي)[١] ، وتوجد للكتاب ترجمة عبرية أخرى[٢] لمترجم مجهول[٣] .

ومما نسب إلى الغزالي من مؤلفات «كتاب العيون» الذي شكك[٤] كثير من الباحثين في نسبته إليه ، ولم يعرف إلا في ترجمته العبرية بعنوان (كتاب أبي حامد الغزالي في الجواب عن سؤالات سئلت منهم) نقلها من العربية إسحاق بن ناثان القرطبي (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، ونشر النص سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) على يد تصفي مالتر (H.maltr) مع ترجمة ألمانية[٥] .

والحق أنَّ ابن رشد كان أكبر الفلاسفة حظاً من الترجمة ، فنقلت شروحه على أرسطو في صورها المختلفة ، من صغيرة وكبيرة وتلخيصات ، ويبلغ عددها نحو ثمانية وثلاثين شرحاً . ترجمت مرتين : أولاهما في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وعول فيها على الأصول العربية ما أمكن ، والثانية في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، وقامت كلها على العبرية خاصة . وترجمت له غير الشروح كتب أخرى ، أهمها «تهافت التهافت» الذي ترجم إلى اللاتينية في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، عن أصلٍ عربيٍّ مرةً ، وعبري مرة أخرى[٦] . وترجع هذه العناية إلى أسباب ، أهمها :

١ - تعلق فردريك الثاني بالعلوم الطبيعية ، وقد وجد منها مادة غزيرة في شروح ابن رشد على طبيعيات أرسطو ، ولا شك في أن ما ترجم من هذه الشروح

(١) توجد لهذه الترجمة مخطوطتان في مكتبة بودلي بأكسفورد (٣٢٥ ، ٢) ، (٣٩٢ ، ٦) ، مخطوطات عبرية ، والأول ينقصه آخره . بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٩٦ .

(٢) توجد لهذه الترجمة مخطوطة بالفاتيكان ، (٢٠٩) ، بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٩٦ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٧ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ١٩٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٢٢٢ .

(٤) انظر لهذه الآراء ومناقشتها : بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٣٤٨-٣٤٩ .

(٥) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٦ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٣٤٨ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٩٠ .

(٦) رينان : ابن رشد والرشدية ، ١/٧٣ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٧٢ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/١٨٩ .

في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي مدين له في قدر كبير منه ، تمت ترجمته في بلاطه ، وتحت إشراف مترجمه الأول ميخائيل سكوت (ت حوالي ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) ، وقد حرص على أن ينشره في البيئات العلمية الأوروبية .

٢ - تمسك اليهود بفلسفة ابن رشد وتبنيهم لها ، فجمعوا كل مصادرها ، وترجموها إلى العبرية وكانوا واسطة بينها وبين الفلسفة النصرانية ، فقد أسهموا في الحركة الفلسفية في القرون الوسطى وإبان عصر النهضة ، ويمكن أن يقال إن فلسفتهم كانت رشدية خالصة . هذا إلى أنه كان منهم مترجمون ألموا بالعربية والعبرية واللاتينية .

٣ - ارتباط ابن رشد بأرسطو ، وإذا كان بعض دارسيه قد طلبوه لذاته فإن فريقاً منهم كان يرجو أن يفهم في ضوئه الفيلسوف اليوناني ، وكم خلطوا آراءهما ، وعزَّ عليهم التفرقة بينهما ، وإعادة ترجمة ابن رشد في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي لم تكن تصوب إليه في الغالب بقدر فكانت تهدف إلى إلقاء ضوء على أرسطو[١] .

والثابت أن أول ترجمات ابن رشد تمت على يد المترجم ميخائيل سكوت (ت حوالي ٦٣٤هـ/١٢٣٦م) عندما نقل مجموعة من مؤلفاته[٢] ، إلا أنَّ شحلان يذكر أنَّه : «غير بعيد أن تكون مؤلفات ابن رشد قد عرفت في طليطلة أيام حياته ؛ ولهذا اعتقد أن جيرارد الكريموني الذي توفي سنة ١١٨٧م كان قد ترجم بعضاً منها إلى اللاتينية»[٣] .

والمؤكد أنَّ سكوت ترجم : «السماء والعالم» بعد سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) ، عندما كان بقصر فردريك الثاني ، وكانت هذه الترجمة ضمن الكتب التي أرسلها هذا الملك إلى جامعة بادوا سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، وعليه فيكون هذا هو التاريخ

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ١/٧٣ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٧٢ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٨ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٦ ؛ ماجد فخري : ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ١٣٩ .

(٣) ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ١/١٨٩ .

الذي عرف فيه الغرب مؤلفات ابن رشد المترجمة إلى اللغة اللاتينية[١] .

وقد ترجمت مؤلفات ابن رشد بنابولي بين سنتي (٦٢٥هـ /١٢٢٧م) و(٦٢٨هـ/١٢٣٠م) ، وهي : السماء والعالم والنفس ، وربما الكون والفساد ، والآثار العلوية ، والحس والمحسوس ، وجوهر الفلك ، وبعض كتب أخرى . وكانت أغلبها على يد سكوت ، وربما شارك غيره من تراجمة فردريك في ترجمتها إلى اللغة اللاتينية[٢] .

ولم تأت سنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) حتى عرفت جل أعمال ابن رشد كما تدل على ذلك المخطوطتان الباريسيتان ، أولاهما من أصل إيطالي مؤرخة بسنة (٦٤١هـ/١٢٤٣م) ، وتتضمن تلخيص الطبيعة والسماء والعالم والنفس وما بعد الطبيعة ، وتلخيص الكون والفساد والآثار العلوية ، ومختصرات الحس والمحسوس والتذكر والتذكير والنوم واليقظة ، وفي أسباب طول العمر وفي جوهر الفلك .

وثانيتهما مخطوطة تعود إلى القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وتتضمن نفس النصوص السابقة بزيادة شذرات من الحيوان ، ومقالة صغرى من مقالات ابن رشد في اتصال العقل المفارق بالإنسان[٣] .

وهناك ترجمات أخرى غير هذه ، مثل ترجمة هرمان الألماني (ت٦٧١هـ /١٢٧٢م) لكتاب الأخلاق ، التي أنجزها في طليطلة سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) ، وتلخيص الشعر سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، وجزء من تلخيص الخطابة حوالي (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) ، وهاتان الترجمتان اللاتينيتان لخصهما كل من إبراهيم بالمس (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م) وأوجستينو ، واستخدمتا أولاً لنشر كتب ابن رشد ، ونذكر

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٤٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٩٠ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢١٨-٢١٩ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٩٠ .

(٣) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٠-٢٢١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٩٠-١٩١ ؛ فخري : ابن رشد ، ١٣٩ .

الطبعة الأصلية لأرسطوطاليس المصحوبة بشرح ابن رشد ، والتي نشرت في بادوا (٨٧٧هـ/١٤٧٢م) و(٨٧٩هـ/١٤٧٤م) ، وطبعة نيفو في البندقية سنة (٩٠١هـ/١٤٩٥م) ، و (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)(١) .

أما عن ترجمات مختصرات شروح ابن رشد إلى اللغة العبرية فقد كانت كثيرة متعددة ، منها : ترجمة كتاب : «مختصر المنطق» الذي ترجم إلى اللغة العبرية ثلاث مرات : الأولى على يد يعقوب بن طبون ، سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) ، ثم ترجمه يعقوب اناطولي سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، ثم ترجمه صمويل بن يهودا المرسيلي سنة (٧٣٠هـ/١٣٢٩م) ، وقد طبعت ترجمة يعقوب بن طبون سنة (٩٦٧هـ/ ١٥٥٩)(٢) . أما كتابه تلخيص المدخل والذي فقد نصه العربي وبقي في ترجمته العبرية التي قام بها يعقوب أناطولي أيضاً الذي نقل المدخل والمقولات سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ونشرتا سنة (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ، بالإضافة إلى كتاب العبارة والقياس والبرهان التي نقلها نفس المترجم سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) بنابولي(٣) .

أما تلخيص الخطابة والشعر فقد نقلهما إلى العبرية تدروس التدرسي سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) وعن ترجماته العبرية هذه نقل النصين إبراهيم بن بالما إلى اللاتينية بعد ذلك ، وهذه الترجمة العبرية هي التي نشرها لازينو مع النص العربي بعنوان : II commentomedio alla roterica .Ed.por F.lasinio.Flor-ence,١٨٨٧(٤)

أمَّا الشرح الكبير أو التفسير فقد نقله إلى العبرية قالونيموس بن قالونيموس ،

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٥ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٦٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٣١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٣ ، ٥٩٣ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٥ ؛ شحلان : التراث العبري ١٥٧-١٥٨ .

(٤) مايرز : الفكر العربي ، ١٣١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١٢ ؛ شحلان : التراث العبري ، ١٥٩ ، هامش (٢٧) .

وأتم ترجمته سنة (٧١٥هـ/١٣١٥م)[١] .

وإذا ما وصلنا لكتاب «تهافت التهافت» لابن رشد أيضاً ، والذي كان بمثابة ردِّ اعتبار للفلسفة بعد أن نقدها الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» ؛ إذ قسم ابن رشد مؤلفه على نحو ما فعل الغزالي في كتابه قسمين : الإلهيات ، والطبيعيات مع الرد والشروح والتعليق على ما ذكر الغزالي[٢] ، ونجد أن أول ترجمة للكتاب كانت إلى اللغة العبرية قبل سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) بقليل قام بها قالونيموس بن داود (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) بعنوان : Happalat ha-Nappala ، وعن هذه الترجمة نقل الكتاب إلى اللاتينية على يد قالونيموس بن قالونيموس (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) الذي أتم ترجمته سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) ، ونشر سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) بالبندقية[٣] .

وهناك ترجمة عبرية أخرى للكتاب مجهولة المترجم ، وجدها أشتينشنيدر في مكتبة ليدن برقم (٦ ، ١٥)[٤] .

أما بخصوص مؤلفات ابن ميمون الفلسفية فكانت كثيرة ومتنوعة ، وقد تأثر في مجملها بالفلاسفة المنتسبين للإسلام ، لاسيما ابن رشد ، ونقلت أكثرها على يد مترجمين يهود ، منها : كتاب «دلائل الحائرين» الذي حاول فيه التوفيق بين الفلسفة والدين ، وبين الفلسفة والتقاليد اليهودية من جانب ، والفلسفة الأرسطية من جانب آخر ، والكتاب خلاصة للفكر اليهودي المتشبع بالروح العلمية الفلسفية كما عرفها مؤلفه[٥] .

والكتاب مدون بلغة عربية بحرف عبري ، وهذا ما جعل الكتاب مجهولاً عند

---

(١) من مخطوطات هذا الشرح الباقية : مخطوطة ميونخ ، رقم ٢/٣٢ ، وفيينا (١١٤) ، وبارما (٢٩٥) (١٣٦) ، والبودليين (٩٨٥) . شحلان : التراث العبري ، ١٦٠ .

(٢) ابن رشد : تهافت التهافت ، ١/١٥ .

(٣) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٩ .

(٤) بدوي : مؤلفات الغزالي ، ٦٩ .

(٥) رينان : ابن رشد والرشدية ، ١/١٨٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٣٥ .

معاصري ابن ميمون من المسلمين ، فقد كـان ابـن أبي أصـيبعة لا يعـرف محتـواه ، وذكر بأنه : «كتاب كبير على مذهب اليهـود»[١] ، إلا أنَّ ولفنـسن يـرى أن الكتـاب كان معروفاً عند المسلمين ، وأنه نقل بحروف عربية ، وأن صمويل بن طبون أحـد مترجمي الكتاب كان يستعمل نسخاً مختلفة بحروف عربية أثناء ترجمتـه للكتـاب إلى اللغة العبرية غير أنَّ اليهود المغاربة لم يطلعوا على هذه النسخ العربية ، وربـما كانـت نسخة بالحرف العربي نادرة جداً لا توجـد إلا في حـوزة بعـض ذوي الاهـتمام بهـذا الموضوع[٢] .

وإذا كان الكتاب مجهولاً عند المسلمين فإنه كان معروفاً عند اليهود بالطبع منذ أن ألفه المؤلف ، فقد قرأه معاصروا ابن ميمون في أصله العربي ، ثم ترجمـه في حيـاة المؤلف إلى اللغة العبرية صمويل بن طبون سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م) ، وترجمه يهـودا الحريزي في نفس الفترة ، وطبعت ترجمة الحريـزي طبعـة أولى بعـد ظهـور المطبعـة بقليل ، ثم أعيد طبعها عام (٩٥٩هـ/١٥٥١م)[٣] .

وقد ترجم فقرات من الكتاب إلى العبرية أيضاً شم طوب بن فلكرة في شرحـه المسمى «دليل الدليل» ، ونشر سنة (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م) ، أمـا أول ترجمـة لاتينيـة للكتاب فكانت لمترجم وتـاريخ مجهـولين ، وترجمـه أيـضاً إلى اللاتينيـة أوجـستينو اعتماداً على نص الحريزي ، وطبع بباريس سنة (٩٢٧هـ/١٥٢٠م) كما ترجمـه إليهـا اعتماداً على ترجمة ابن طبون : جيان ، وطبع ببال سنة (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م)[٤] .

وترجمـت لـه أيـضاً مقالـة في صـناعة المنطـق نقلهـا موسـى بـن طبـون سـنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) ، ثم نقلها أحطوب بن إسحاق ، وعلى الـرغم مـن أن ترجمتـه أجود من بعض الوجوه من ترجمة موسى بن طبون إلا أنها لم تحل محلها[٥] ، أمـا ابـن

(١) عيون الأنباء ، ٥٨٣ .

(٢) من بين النسخ النادرة المكتوبة بالخط العربي ، نسخة مكتبة جار الله ، باستنبول المحفوظة ضمن مجموع يحمل رقم (١٢٧٩) . شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ١٣٦ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) المرجع السابق ، ١٣٧ .

(٥) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٤١ .

جبيرول (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) فكان أيضاً ضمن الفلاسفة اليهود المتأثرين بالفلسفة الموجودة في العالم الإسلامي في عصره ، ومن أبرز مؤلفاته الفلسفية التي سطرها باللغة العربية كتابه «ينبوع الحياة» الذي تأثر فيه بمذهب الأفلاطونية المحدثة آنذاك . ولم ينتشر الكتاب بين اليهود بسبب لغته العربية ، وبسبب ما ذهب إليه من القول بوحدة الوجود[١] . والكتاب على هيئة حوار بين شيخ ومريده ، وقد ضاع أصله العربي ولم يبق منه إلا نتف يسيرة[٢] .

وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية منذ وقت مبكر من تاريخ هذه الحركة إبان القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، على يد الثنائي دومنجو جنديسالفي ، ويوحنا الإشبيلي ، واشتهرت ترجمته هذه جداً في الغرب اللاتيني ، ونشرت سنة (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) على يد كليمانس باومكر بعنوان :

CL.Baeumker .Avencebrolis fons vitae ex Arabico in latinum trans latus Munster ١٨٩٥[٣].

كما ترجم له مختصرٌ بالعبرية على يد شم طوب بن فلكرة .

وقد بين في مقدمة الترجمة أنه لم يخلَّ بمضمون الكتاب بالرغم من اختصاره ، وقد نشر هذا الاختصار مع ترجمة فرنسية بباريس سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) على يد مونك بعنوان :

J.shlanger . salomon Ibn Gabirol,liver de la source de vie:Paris.١٩٧٠[٤]

ومن بين المؤلفات الفلسفية التي نقلت إلى اللغة اللاتينية كتاب «مقاصد الفلاسفة» للميبودي ، وهو المسمى «مختصر مقاصد حكمة فلاسفة العرب» ، نقله إلى اللاتينية إبراهيم الحاقلاني بعنوان :

---

(١) وحدة الوجود : مذهب يقول إن الله والعالم حقيقة واحدة . المعجم الفلسفي ، ٢١٢ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٤٩٣ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٨ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٢ ؛ بدوي : دور العرب ، ٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/ ٤٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٨ .

(٤) حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/ ٤٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٨ .

Synopsis propositorum sapientiae Arabum philosophorum inscripta speculum mundum repraesentans ex.ar.sermone.lat.Juris facto ab Arb-Ecchellensi.Paris,١٦٤١[(١)]

خامساً : الدراسات اللغوية :

أثبتت اللغة العربية قدرتها الفائقة على استيعاب العلوم والفنون والحضارات الوافدة بجوانبها المختلفة ، وأضافت إليها وبنت عليها حضارة إسلامية متميزة ، يقول فيليب حتي : «ظلت هذه اللغة لعدة قرون لغة العلوم والآداب والتقدم الفكري في جميع أنحاء العالم المتمدن آنذاك»[(٢)] .

وقد أخذت علوم اللغة العربية بنحوها وأدبها تشق طريقها إلى أوروبا عبر الترجمة كبقية العلوم الأخرى ، وكان جل اهتمام الغرب بالعربية في بداية الترجمة متصلاً اتصالاً وثيقاً بما عرف عندهم باسم «المشكلة الإسلامية» ، أو «الخطر الإسلامي» ، وهو أكبر ما يؤرق أوروبا آنذاك ؛ لذا فقد ألفت معاجم لاتينية عربية منذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وبالرغم من عدم ذكر مصادرها التي استقت منها مادتها اللغوية ؛ إلا أن أغلب الظن أنها كانت مؤلفات عربية تخص عالم اللغة العربية ونحوها[(٣)] .

ولما جاء القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي أدرك كثير من رجال الدين النصارى ومفكريهم ضرورة الاتصال ثقافياً بالحضارة الإسلامية ، ومن ثم ضرورة تعلم اللغة العربية بل التسلح بأفكار المسلمين وطرائقهم في المحاججة والرد عليهم ، وقد ظل هذا الاتجاه يتنامى إلى أن عقد مؤتمر فينا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م الذي أوصى أن تدرس اللغة العربية في كبرى المراكز العلمية

---

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣٢٣/٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢٧/٢ .

(٢) حتي : تاريخ العرب ، ١١٢ .

(٣) إسماعيل عمايرة : بحوث في الاستشراق واللغة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ٣٧٢ .

الأوروبية[١] .

وتعد هذه الخطوة بداية المحاولات الأوروبية رسمياً للاهتمام بالعربية ، فكان الأمر يتطلب وجود كتب لتدريس قواعد هذه اللغة ونحوها في هذه الجامعات مما جعل ترجمة مؤلفاتها ضرورة ملحة .

ومع تنامي خلافات المذاهب النصرانية إبان القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي رأى هؤلاء أنه لا بد لهم من العناية باللغات السامية التي وردت فيها النصوص النصرانية المقدسة كالعبرية والسريانية والحبشية ، ولما كانت هذه اللغات مندثرة غامضة في كثيرٍ من مفرداتها وتراكيبها فقد بات لزاماً عليهم أن يستعينوا على معرفة ألغازها وغوامضها بالاستئناس بالعربية ، وهكذا أصبحت العربية لغة عدوهم الإسلامي معيناً لهم في معرفة نصوص كتبهم المقدسة[٢] .

وقد ازدادت حاجة أوروبا في القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، إلى أن تعرف العربية معرفة أوثق ، تتناسب ومصالحها في الشرق ، فقد آن الأوان للاتجاهين السابقين أن يمارسا نشاطهما بطلاقة : الاتجاه الذي كان يدعو إلى استخدام القوة العسكرية في التعامل مع الشرق ، وممثله الاستعمار ، والاتجاه الذي يدعو إلى الحرب الثقافية ، ويتمثل في التنصير ، وواكب الاتجاهين معاً الرغبة في تحقيق المكاسب التجارية التي تصارع عليها المستعمرون[٣] .

ومن خلال ما اطلعنا عليه من مراجع نلاحظ أن الترجمات المبكرة لعلوم اللغة العربية كانت إلى اللغة العبرية ، وهو أمرٌ غير مستغرب ؛ لأن اليهود كما ذكرنا سلفاً لم يبنو ثقافتهم إلا بعد تعربهم ومعايشتهم للمسلمين ، إضافة إلى أن معرفة قواعد العربية تخدمهم في فهم النص المقدس وأسراره[٤] ، فانبرى كثيرٌ من علمائهم لتأليف وترجمة كثير من كتب اللغة العربية وعلومها ، أمثال :

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٤٩ ؛ الشيال : التاريخ الإسلامي ، ٩٢ .

(٣) عمايرة : بحوث في الاستشراق ، ٣٨٠ . Norman daniel:islam and the west,٢٧٢ .

(٤) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٣٠ .

يهودا بن حيوج الذي اشتهر في نهاية القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي في الأندلس ، وألّف مؤلفات عدة في النحو واللغة منها : كتاب الأفعال ذاوت حروف اللين ، وكتاب الأفعال ذوات المثلين ، وكتاب التنقيط ، وجميعها ترجمت إلى العبرية على يد إبراهيم بن عزرا (ت حوالي٥٦٠هـ/١١٦٤م)[١] . أما ابن جناح فكان أيضاً من علماء اللغة والنحو اليهود في الأندلس ، ومن أبرز مؤلفاته : كتاب التنبيه ، وكتاب التسوية ، اللذان نقلهما سليمان بن أيوب سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)[٢] ، أما كتابه التنقيح -وهو أشهر كتبه على الإطلاق ؛ إذ إنه رجع فيه للكثير من المصادر اللغوية العربية- فقد قسمه إلى قسمين :

قسم خاص بالنحو والصرف ، وسمّاه «اللمع» ، وقسم خاص بالمعجم واللغة سمّاه «الأصول» ، وهذه العناوين جميعها تنبيء بالأثر العربي ، فعنوان التنقيح عنوان معروف في الآداب اللغوية والنحوية العربية ، مثل تنقيح الصحاح للجوهري (ت٣٩٦هـ/١٠٠٥م)[٣] ، وتنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لابن خروف الإشبيلي (ت٦٦١هـ/١٢١٣م)[٤]، ولابن جني كتاب اللمع في النحو وعقود اللمع ، ولابن الأنباري (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)[٥] اللمع في صناعة الشعر وغيرهم[٦] .

ولم يخترع ابن جناح عنوانه «الأصول» اختراعاً ، فقد سبقه به أبان بن غالب

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦٦ ؛ شحلان : التراث العبري ، ٢٤٥ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٠ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ .

(٣) الجوهري : إسماعيل بن حماد ، إمام في اللغة والأدب ، القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) : إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ط١ ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، أربعة أجزاء ، ١/٢٢٩ .

(٤) ابن خروف الإشبيلي : أبوالحسن علي بن محمد ، عالم بالعربية ، أندلسي من إشبيلية ، السيوطي : جلال الدين بن عبدالرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : أبوالفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ٢/٢٠٤ .

(٥) ابن الأنباري : محمد بن القاسم ، كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، القفطي : إنباه الرواة ، ٣/٢٠١ .

(٦) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٢٤ .

(ق٢هـ/٨م) في الأصول وابن فارس والرماني في أصول الفقه والأصمعي في أصول الكلام ، وقد كان أصحاب الفقه هم السباقين إلى هذا الاستعمال ؛ إذ يقول ابن جني في خصائصه : «وذلك أنا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه»[1] . ولعل أبا بكر بن السراج (ت٣١٦هـ/٩٢٨م) هو أول من أطلق هذه التسمية في علم اللغة والنحو ، وكان لكتابه شهرة كبيرة في الأندلس ، وليس ببعيد أن تكون هذه الشهرة هي التي أوحت لابن جناح بهذه التسمية[2] .

وكتاب «اللمع» يحوي ستة وأربعين باباً من أبواب النحو والصرف . ووضح ابن جناح منهجه في المقدمة بأنه بدافع ما رآه من عناية علماء المسلمين الأندلسيين بلغتهم والتأليف فيها ، في حين أن بني جلدته أهملوا لغتهم وقواعدهم ، وكان معتمداً فيه على كتب التراث النحوي الإسلامي ، وخصوصاً كتاب سيبويه ، وإن لم يشر إلى مصادره التي أخذ منها ، وقد ذكر سيبويه بالاسم في حديثه عن الجذر ، ولكنه اكتفى بذكر أسماء العلماء اليهود دون غيرهم[3] .

وألف كتابه بالعربية بحروف عبرية ، وترجمه يهودا بن طبون (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) إلى اللغة العبرية سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) ، تحت مسمى (Sefer ha-riqmah) ، وحققه داود كولدبرك سنة (١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م) في فرانكفورت[4] .

أما كتابه الأصول فقد ألفه أيضاً باللغة العربية بحروف عبرية ، وترجمه إلى العبرية يهودا بن طبون سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) تحت اسم (sefer ha-shorashim) ، وقد نشر في برلين سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) .

كما ترجمه قبل ابن طبون ثلاث مترجمين كل على حدة ، وهم : إسحاق بن

---

(١) أبوالفتح : عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) : الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٥٢م ، ثلاثة أجزاء ، ١/٢ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٢٥ .

(٣) نفس المرجع ، ١/١٢٦-١٢٨ .

(٤) نفسه ، ١/١٢٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٩٦-٩٧ .

يهودا البرشلوني ، الذي ترجم نصفه الأول فقط ، وإسحاق اللاوي الذي انتخب منه مقتطفات ، وشلمو بن فرحون الذي ترجم نتفاً لعديد من النحاة من بينهم ابن جناح(١) .

ومنهم موسى بن ميمون الذي نقل كتابه «الأمثال والحكم» إلى العبرية أيضاً سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) على يد زرحيا جراسيان (ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) ، وترجم نفس الكتاب ناثان المئوي (أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) إلى العبرية أيضاً(٢) .

أمَّا عن مترجمات اللغة العربية وعلومها إلى اللاتينية فجلها كانت في العصر الحديث ، منها : «مجموع الأمثال العربية» التي ترجمها توماس أربنيوس (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) إلى اللاتينية ، ويحوي مائتي مثل عربي ، جمعها مؤلف عربي مجهول ، وطبعت سنة (١٠٢٣هـ/١٦١٤م) في ليدن(٣) كما أنَّ نفس المترجم نقل كتاب «متن الآجرومية» في النحو لأبي عبدالله الآجرومي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) ، وهو عبارة عن متن في علم النحو ، بيَّن فيه مؤلفه أنواع الكلام وإعرابه ، وعرض كل ذلك بإيجاز ، فبين في باب الإعراب باب علامات الإعراب ، ثم باب الأفعال أنواعها وأحوالها ، ثم باب المرفوعات من الأسماء ، ومن ثم الفاعل والمفعول ، ثم المبتدأ والخبر حتى ختمه بالمخفوضات من الأسماء(٤) .

وتعتبر هذه التحفة النحوية من أهم ما ألف في النحو العربي ، وقد نقلها أربنيوس إلى اللاتينية بعد أن استعان بأربع مخطوطات عربية لتحقيق نص الكتاب ، مما جعل الترجمة تبدو صحيحة ، وأعان على فهم النص بما زوده من تعليقات

---

(١) مايرز : الفكر العربي ، ١١٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٩٧/١ . شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١٢٩/١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٤٠/١-١٤٢ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ٣٠٣/٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٨ .

(٤) الآجرومي : محمد الصنهاجي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) : متن الآجرومية في قواعد علم العربية ، ط١ ، تحقيق : أحمد الأمين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ ، ١-٢١ .

وشروح ، وترجمة المصطلحات النحوية العربية ، استعان بنظائرها في اللاتينية إن وجدت في النحو اللاتيني[١] .

وقد سبق للكتاب أن ترجم ترجمة لاتينية سقيمة على يد كرستن (Kersten) في القسم الثالث من كتابه في النحو العربي سنة (١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م) ؛ إذ أعاد نشره في هذه السنة مع الترجمة معتمداً على النص العربي المطبوع بروما ، إلا أنَّ ترجمته كانت حافلة بالأخطاء[٢] .

أما ترجمة أربنيوس فقد نشرها مع ترجمته لكتاب «العوامل المائة» للجرجاني (ت٤٧١هـ/١٠٧٨م) ، وهو كتاب في النحو أيضاً ، تناول فيه المادة اللغوية وكيفية علاجها ، وقد حظي هذا الكتاب بمكانة عظيمة لما حققه من فائدة في مجاله ، كما نال حظاً من عناية الدارسين والشراح والمترجمين[٣] .

وكان أول نقل له إلى اللغة اللاتينية على يد أربنيوس أيضاً حيث نشر النصين معاً «الآجرومية والعوامل» سنة (١٠٢٦هـ/١٦١٧م) ، بعنوان :

Grammatica Arabica dicta Gjarumice ,ex libellus centum regentium cum versione Latina et commentarijs thomae Erpenii –leidae,ex Typogra Phia erpeniana linguarum orientalium,١٦١٧[٤]

وقد ترجمت الآجرومية مرة أخرى على يد توماس أوبتشيني (ت١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) الذي نقلها إلى اللاتينية مع تعليقات مستفيضة ، ونشرها سنة (١٠٤١هـ/١٦٣١م) ، بعنوان :

Gram matica Arabica agrumia appellata .cum versione Latina ac diludica expositione.adm.R.P.E.tho-mae obicini Noniensis ,dioec.novariae,

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ٢/٣٠٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٩ .

(٢) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٩ .

(٣) الجرجاني : عبدالقاهر (ت٤٧١هـ/ م) : العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية ، شرح الشيخ خالد الأزهري الجرجاوي (ت٩٠٥هـ/م) ، ط٢ ، تحقيق : البدراوي زهران ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ٤-٦ .

(٤) بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٩ .

ord.minorum,theologi,ac linguarum oriertalium. magistri.Romae .١٦٣١[١]

وإلى اللاتينية أيضاً نقلت عدة معاجم وقواميس عربية مهمة «كالصحاح» للجوهري ، و«القاموس المحيط» للفيروزأبادي ، و«أساس البلاغة» للزمخشري ، و«مجمل اللغة» لابن فارس ، و«المعرَّب» للجواليقي ، و«السامي في الأسامي» للميداني ، وجميعها نقلت بواسطة «المعجم العربي اللاتيني» الذي ألفه يعقوب جوليوس (ت١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) ، واستعان في تصنيفه بهذه المعاجم التي اقتناها من المشرق ، لا سيما «الصحاح» الذي جعله الأساس الأول ، وفي الأحوال المشكوك فيها ، أو للتوسع يرجع إلى المعاجم الأخرى ويكمل منها ، وكان يقدم شواهد من هذه المعاجم على كل كلمة يسوقها ، ويشير إلى مصدرها ، وقد طبع معجمه هذا في ليدن سنة (١٠٦٤هـ/١٦٥٣م) بعنوان :

Jacobi Golii:lexicon Arabico –latinum,contextum ex.probatioribus orientis lexicographis .Accedit index latinus copiosissimus,qui lexici latino –Arabici vicem explere possit .lugd.Batav –orum,١٦٥٣[٢]

أما إذا تطرقنا إلى الحديث عن الأدب بفرعيه الشعر والنثر ، فنجد أنَّ انتقال الشعر العربي إلى أوروبا كان بطرق عدة ، ولكن هذا لا يمنع من وجود دواوين شعرية عربية نقلت إلى اللاتينية فترة الدراسة ، منها : حماسة أبي تمام ، وهو ديوان شعري جمع بين دفتيه قرابة أربعة آلاف بيت ، اختارها أبوتمام من أشعار العرب ، لعشرات من الشعراء في أغراض مختلفة ، وقسمه إلى عشرة أبواب هي : الحماسة ، المراثي ، الأدب ، النسيب ، الهجاء ، الأضياف والمديح ، الصفات ، السير النعاس ، الملح ، وأخير باب ذم النساء[٣] .

---

(١) نفس المرجع ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣/٢٥١ : حمدان : طبقات المستشرقين ، ١٤ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٢٠٤ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٠٥ .

(٣) المرزوقي : علي بن أحمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) : شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، ط١ ، تحقيق : عريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م ، ١/٤ .

وقـد نقـل منتخبـات منـه إلى اللاتينيـة المستـشرق : تومـاس أربنيـوس (ت١٠٣٤هـ /١٦٢٤م) ، ونشرها سنة (ت١٠٢٧هـ/١٦١٧م)[١] .

أما لامية العجم للطغرائي (ت٥١٥هــ/١١٢١م) ، وهـي قـصيدة ضـمن ديوان هذا الشاعر ، لكنها كانـت مـن أشـهر قـصائده ، وقـد ترجمهـا إلى اللاتينيـة المستشرق يعقوب جوليوس (ت١٠٧٨هـ/١٦٦٧م) ؛ حيث ألف كتابـاً بعنـوان : «شذرات الأدب من كلام العرب» ، وهو مجموع يحوي أمثالاً تنـسب لعـلي بـن أبي طالب رضي الله عنه ، ولامية العجم للطغرائي ، وخطبة لابن سينا منقولة كلهـا إلى اللاتينية ، ونشرها سنة (١٠٣٩هـ/١٦٢٩م) دون أن يذكر اسمه على الكتاب ، بل جعله بمثابة كتاب مطالعة لطلابه[٢] .

وقد نقل نفس القصيدة إدوراد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) ، حيث حقق النص العربي لها مع ترجمة لاتينية وتعليقات شافية ، استعان فيهـا بـشرح الـصفدي المسمى «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» ، فحلل الكلـمات لغويـاً واشـتقاقياً وبيَّن معانيها ، ونشرها سنة (١٠٧٢هـ/١٦٦١م)[٣] .

وفي جانب النثر نجد أنه من أوائل ما انتقل إلى أوروبا عن طريق الترجمة كانت أقاصيص من أصل شرقي ، أولاها : «كتاب كليلة ودمنة» ، وهي من أصلٍ هنـدي موغل في القدم غير أنها لم تعرف في أوروبا إلا عن طريق النص العربي الـذي ترجمـه في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي : عبدالله بن المقفع بشيء من التصرف عـن الفهلوية ، وقد ضاع الأصل الهندي للقصة كما ضاعت الترجمة الفارسـية ، ولم تبـق إلا هذه الترجمة العربية[٤] .

---

(١) العقيقي : المستشرقون ، ٣٠٣/٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ٩٤/٢ ؛ بـدوي : موسـوعة المستـشرقين ، ١٩ .

(٢) فوك : تاريخ الاستـشراق ، ١٧٢ ؛ جـيرا : تـاريخ دراسـة اللغـة ، ٢٣ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ٣٠٤/٢ ؛ الزركلي : الأعلام ، ١٣٢/٨ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٠٥ .

(٣) لـويس : تـاريخ اهـتمام الإنجليـز ، ١٢ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ٤٢/٢ ؛ بـدوي : موسـوعة المستشرقين ، ١٣٩ .

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨١ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٦ ؛ القلماوي ومكي : أثـر العـرب

وأول النقول عن الترجمة العربية للكتاب كانت إلى اللغة العبرية ، وهي ترجمتان : الأولى تنسب إلى حبر يهودي يدعى (جويل Joel) كان يعيش في إيطاليا ، والثانية اضطلع بها يعقوب بن العازار (Jacob ben Elazar) ، وهو نحوي ولغوي كان يعيش في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، والترجمة مختلطة بمادة كثيرة من الشروح والتعليقات على التوراة[1] .

ولهذا فقد كانت ترجمة جويل الأولى هي التي ظفرت بقدر أعظم من القبول فقام بترجمتها إلى اللاتينية لأول مرة جيوفاني كامبانوس ، إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي بعنوان : «المرشد إلى الحياة الإنسانية» (Directorium vitae humanae) ، ونشرها درينبورج بباريس سنة (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) ، والغريب -كما يقول ناشر الكتاب- أن هذه الترجمة على ضعف مستواها وقلة نصيب صاحبها من العلم إلا أنها اشتهرت في أوروبا ، وترجمت إلى لغاتها عبر هذه الترجمة[2] .

ومما هو جدير بالذكر هو أن النص العربي الأصلي ترجم إلى الإسبانية مباشرة منذ سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م) بأمر ألفونسو العاشر ، وهذه هي أول ترجمة مباشرة إلى لغة أوروبية[3] . هذا ويمكننا تتبع ترجمة كتاب كليلة ودمنة إلى اللغات الأوروبية من خلال المخطط التالي[4] :

=

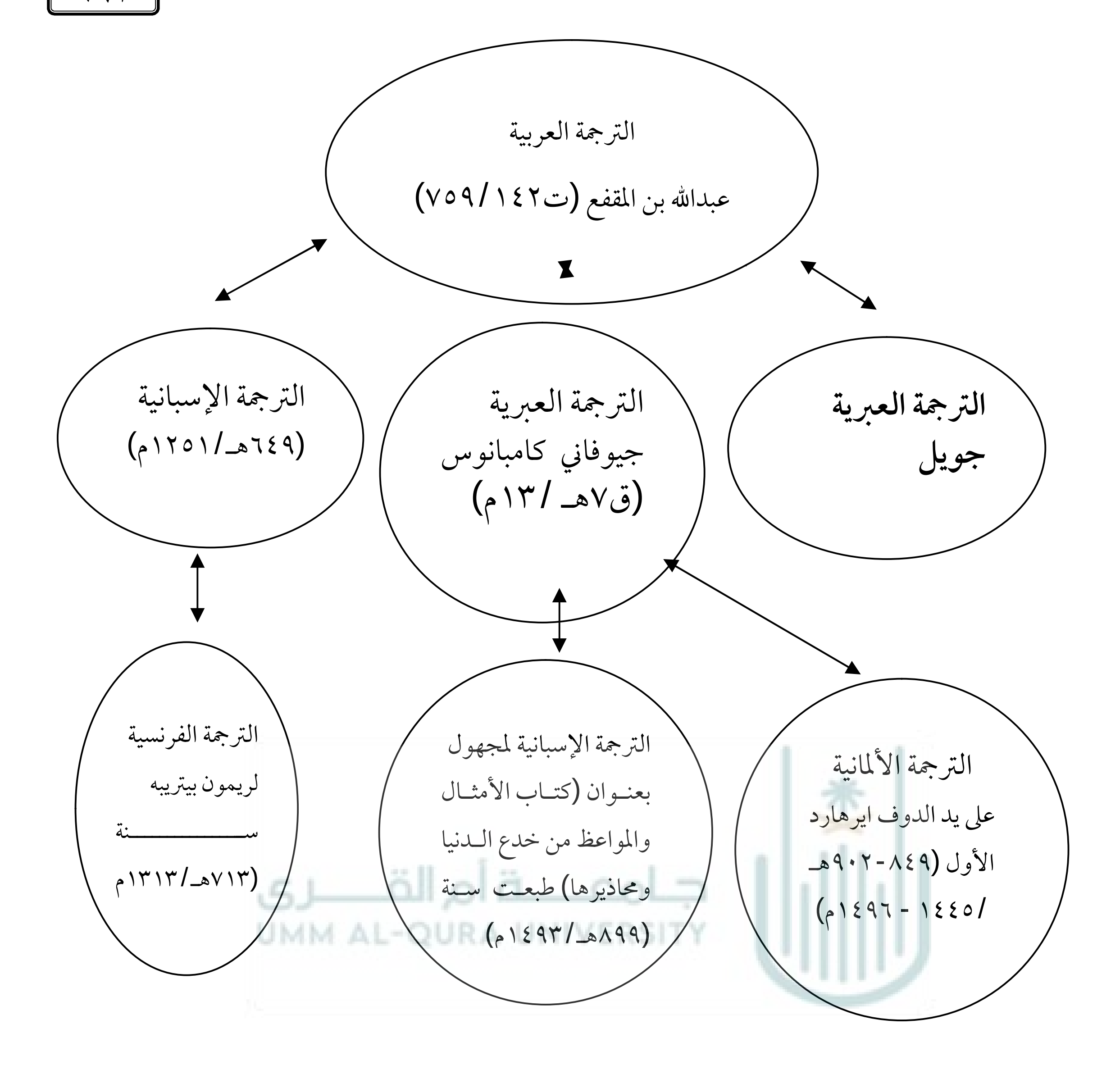
والإسلام في النهضة الأوروبية ، ٧٤ .

(١) عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ١٣٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٧ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب ، ٧٥ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٥٨١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٧ ؛ عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ١٣٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب ، ٧٥ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٥٨١ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٠ .

(٤) مراجع المخطط ما يلي : بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٥٨١ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٧ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب ، ٧٥-٧٦ .



الترجمة العربية
عبدالله بن المقفع (ت١٤٢/٧٥٩)
الترجمة الإسبانية
(٦٤٩هـ/١٢٥١م)
الترجمة العبرية
جيوفاني كامبانوس
(ق٧هـ /١٣م)
الترجمة العبرية
جويل
الترجمة الفرنسية
لريمون بيتريبه
سـنة
(٧١٣هـ/١٣١٣م
الترجمة الإسبانية لمجهول
بعنوان (كتاب الأمثال
والمواعظ من خدع الدنيا
ومحاذيرها) طبعت سنة
(٨٩٩هـ/١٤٩٣م)
الترجمة الألمانية
على يد الدوف ايرهارد
الأول (٨٤٩-٩٠٢هـ
/١٤٤٥ - ١٤٩٦م)

أما المجموعة الثانية من القصص الشرقية فهي : «قصة السندباد» ، وهي مثل سابقتها هندية الأصل ، وتعتمد أيضاً على خطٍّ واهٍ يربط بين عدد متنوع من الأقاصيص الصغيرة وكان الآمر بترجمة هذه المجموعة هو الأمير فادريكي (Fadrigue) أخو الملك ألفونسو العاشر ، فنقلت إلى اللغة القشتالية سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) ، أي بعد ترجمة كليلة ودمنة بسنتين ، تحت عنوان «كتاب مكائد النساء وحيلهنَّ» ، وهذه الترجمة هي التي حفظت الكتاب إلى اليوم ، حيث إن أصله الهندي أو الفارسي قد فقد ، وفقدت كذلك الترجمة العربية التي نقل منها إلى القشتالية ، وإن كان قد دخل في مجموعات قصصية أخرى مثل «ألف ليلة وليلة»[١] .

كما ترجمت قصة السندباد إلى العبرية بعنوان «مشليه سندباد» ، وعلى أساس هذه الترجمة وضع الراهب الإسباني خوان دي ألتا سيلفا (Juan de alta silva) (القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) باللاتينية مجموعة يقلد فيها كتاب السندباد تحت عنوان : «تاريخ حكماء روما السبعة» ، وهي بمثابة ترجمة حرة للكتاب ، وعن طريقها نفذ الكتاب إلى بقية اللغات الأوروبية شعراً ونثراً[٢] .

وقد ضمَّ كتاب «تعليم العلماء» الذي ألفه بدرو ألفونسو (ت بعد ٥٠٤هـ/١١١٠م) بالعربية ثم ترجمه بنفسه إلى اللاتينية ليكون في خدمة رجال الدين النصراني في عظاتهم للجمهور ، ويقول إنه جمع فيه عدداً من الأمثال والقصص العربية والخرافات المتعلقة بالحيوان والطيور حتى يكون كتابه مروحاً للنفوس خفيفاً على القراء ، ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء : الأول يتحدث فيه بالأمثلة والعظات عن مراقبة الله وخشيته ، والرياء والعلم والصمت ونبل النفس ، والثاني عن النساء وخطر الانقياد لهن ، والثالث عن الحياة الاجتماعية والسياسية

---

(١) بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٦٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٧ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٦٧ ؛ عبدالبديع : الإسلام في الأندلس ، ١٣٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٧ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب ، ٧٨ .

وعلاقة الملوك برعاياهم[1] .

وكل القصص الثلاثين التي أوردها بطرس ألفونسو شرقية عربية كما صرَّح هو بذلك ، وهي في أغلبها مأخوذة عن «كليلة ودمنة» وبعضها مأخوذ من مجموعة أمثال لحنين بن إسحاق ، أو من كتاب مختار الحكم لمبشر بن فاتك وغيرها[2] .

ومن بين القصص العربية التي ترجمت قصة «حي بن يقظان» الفلسفية التي ألفها أولاً ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) ، وخلاصتها أن جماعة خرجوا يتنزهون ، إذ عنَّ لهم شيخ جميل الطلعة حسن الهيئة مهيب ، قد أكسبته السنون تجارب ، والرحلات خبرة ، وهذا الشيخ اسمه «حي بن يقظان» ، وهو يرمز للعقل ، وهذه الرفقة ليست أشخاصاً إنما هي الشهوات والغرائز والغضب وسائر الملكات الإنسانية ، والقصة في مجملها تدور حول موضوع الفلسفة ، ولكنها تتخذ أسلوباً قصصياً مما جعلها تنتشر في المشرق والمغرب ، فأعاد بناءها ابن الطفيل (ت٥٨١ هـ/١١٨٥م) ، ثم السهروردي (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م) ، وأخيراً ابن النفيس (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) ، وعنوان قصته «الكامل»[3] .

وكل ما يهمنا هنا في هذه القصة الفلسفية ترجمتها وانتقالها إلى الغرب عبر هذه الترجمة ، فكان أول ناقل لها : إبراهيم بن عزرا الذي ترجم قصة حي بن يقظان لابن سينا إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، فهو أول من نظم هذه القصة شعراً باللغة العبرية[4] .

أما قصة حي بن يقظان لابن الطفيل فترجمت هي الأخرى إلى اللغة العبرية أيضاً لناقل مجهول ، ولم يعثر على نص هذه الترجمة منفرداً ، وكل النسخ الموجودة

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٥٧٩-٥٨٠ ؛ بيدال : إسبانيا تنقل العلم العربي ، ٢٤٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب ، ٧١-٧٢ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,١١٧.

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر ، ٥٨٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب ، ٧٢ .

(٣) نشر القصة لمؤلفيها الأربعة أحمد أمين ، ضمن ذخائر العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص١٧ .

(٤) شحلان : التراث العبري ، ٢٥٠ .

منها كانت مرفقة بالشرح الذي وضعه موسى النربوني على القصة[١] . والنربوني كان من أبرز تلاميذ ابن عزرا ؛ لذا يقول شحلان : «ليس ببعيد أن يكون هو – إبراهيم عزرا- مترجم حي بن طفيل التي اعتمدها النربوني في شرحه ، خصوصاً وأنه يعتبره استاذاً له ، وشرح بعض شروحه»[٢] .

أما ترجمة القصة إلى اللاتينية فقد جاءت متأخرة نوعاً ما ، وأول ترجمة كانت على يد بيكوديلا ميراندولا (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ؛ وثاني ترجمة لاتينية كانت على يد إدوارد بوكوك الابن (ت١١٤٠هـ/١٧٢٧م) عندما حقق النص العربي «لحي بن يقظان» لابن طفيل مع ترجمة لاتينية سنة (١٠٨٢هـ/١٦٧١م) بعنوان :

Philosophus autodidactus .. ed and transl .E. pococke Oxford ١٦٧١[٣]

وعن هذه الترجمة نقلت القصة إلى كثير من اللغات الأوروبية والإنجليزية التي نقلت إليها ثلاث مرات آخرها سنة (١١٢٠هـ/١٧٠٨م) ، والهولندية التي نقلت إليها سنة (١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) ، والألمانية التي ترجمت إليها مرتين ، الأولى : سنة (١١٣٩هـ/١٧٢٦م) ، والثانية سنة (١١٩٨هـ/١٧٨٣م) ، أما الإسبانية فكانت سنة (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) ، وهي نفس السنة التي ظهرت فيها القصة مترجمة إلى الفرنسية[٤] .

ومن أهم ما نقل من أنواع النثر الفني مقامات الحريري (ت٥١٦هـ/١١٢٢م) ، وهي عبارة عن خمسين مقامة كتبها بأسلوب جميل ، واشتملت على كثيرٍ من كلام العرب وأشعارهم ، وقد فاقت بشهرتها مبلغاً عظيماً ، وتلقفها العلماء بالشرح والتعليق ، وترجمت إلى لغات عدة منها الترجمة العبرية التي قام بها يهودا

---

(١) شحلان : التراث العبري ، ٢٧٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، هامش (٤٣)

(٣) جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٥٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤٥ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٤٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١٩ .

(٤) ابن طفيل : محمد بن عبدالملك ، (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) : حي بن يقظان ، ط١ ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ١٤-١٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٠٠ .

الحريزي (ت حوالي ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ، وهو وإن لم يكمل العمل إذ انصرف إلى تأليف مقامات مستقلة باللغة العبرية وصلت إلى خمسين مقامة أيضاً ، إلا أنها كانت تقليداً كاملاً لمقامات الحريري وكأنها ترجمة حرة لها مع تغيير الأسماء[1] .



(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٩٠ ؛ البشري : ترجمة الكتب ، ١٢٢ .

المبحث الثالث : العلوم العلمية والتطبيقية

أولاً : الرياضيات والفلك :

نبغ المسلمون في جميع فروع الرياضيات والفلك ، فكانوا رياضيين وفلكيين من الطراز الأول ، أخضعوا علوم الإغريق للنقد ثم أضافوا إليها إضافات كثيرة ، وزاوجوا بين علوم الهنود والإغريق فأنتجوا مباحث جديدة ، وفتحوا آفاقاً جديدة في الفلك بقياساتهم وأرصادهم ونظرياتهم ، وقد ضربوا بسهم وافر في هذين العلمين ، ففي الرياضيات ظهرت دراسات متميزة في فروع الجبر والحساب والمثلثات والهندسة ، فكان لهم في علم الجبر تطبيقات مفيدة ، وهم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم ، كما أنهم عنوا بعلم المثلثات في مجال الرياضيات أيضاً وهو مدين للمسلمين بما أدخلوا إليه من تحسينات كثيرة أكسبته شكلاً جديداً[1] .

ولقد كانت الحاجة ماسة لدى المسلمين في ظل الحضارة الإسلامية إلى الاستناد على علم الفلك ؛ ذلك لما تتطلبه ضرورات الدين : من تحديد القبلة ، وأوقات الصلوات الخمس ، ومعرفة الشهور القمرية ، ناهيك أن علم الفلك يستدل به إلى وحدانية الله سبحانه ومعرفة عظمته ، وكمال خلقه ، فقام المسلمون بنقل الكتب الفلكية عن الأمم السابقة ، وصححوا بعض أغلاطهم ، وتوسعوا فيها ، ولم يقفوا في هذا العلم عند حد النظريات بل خرجوا إلى العمليات والرصد فأنشئت المراصد في أنحاء مختلفة من البلاد الإسلامية ، وقاموا برصد الكواكب ، كما أنهم اخترعوا آلات متنوعة للرصد والقياس[2] .

وعلى كلٍّ فإن كل هذه الإنجازات الإسلامية نقلت إلى أوروبا ، وترجمت إلى لغاتها ، وكانت أساساً لنهضتها ، منها :

---

(١) سيديو : تاريخ العرب العام ، ط٢ ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، ٣٥٨ .

(٢) قدري طوقان : العلوم عند العرب ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ٦٢ .

مؤلفات بطليموس ، وهي كثيرة ومتعددة ، ومنها ما نسب له خطأً ، منها :

١ - كتاب الأربعة ، أو الأربع مقالات ، أو المقالات الأربع ، أو كتاب القضاء على الحوادث ، وهذه العناوين تمثل الترجمة لكتاب بطليموس الأصلي الذي لم يثبت له عنوان ، وقد نقل الكتاب إلى اللاتينية على يد أفلاطون التيفولي سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م) بعنوان : (quadripartitum) ، وهذا أول نقل للكتاب عن الترجمة العربية التي قام بها إبراهيم بن الصلت ، ونقحها حنين بن إسحاق(ت٢٦٠هـ/٨٧٥م)[1] .

٢ - كتاب الثمرة ، وهو كتاب نجومي مزيف ، وغالباً ما يسمى الكتاب - بسبب المائة موضوع ، التي تشمل الأركان الخمسة الأساسية لعلم أحكام النجوم- بـ«Centiloquium» ، ويُعدُّ أقدم كتاب نجومي عرفه المسلمون في ترجمة من الترجمات ، وتم نقل الكتاب إلى اللغة اللاتينية على يد يوحنا الإسباني مع شرح ابن الداية .

٣ - المجسطي : وهو أهم كتب بطليموس التي نقلت إلى العربية أكثر من مرة ، ويحوي ثلاث عشرة مقالة .

الأولى : في المقدمات ، مثل البرهان على كروية السماء والأرض . والثانية : في المباحث فيما يختلف باختلاف عروض البلدان . والثالثة : في تعيين أوقات نزول الشمس في نقطتي الاعتدال ونقطتي الانقلاب ، ثم في مقدار السنة الشمسية وتحركات الشمس ، الرابعة : في حركات القمر المعتدلة في الطول والعرض ، الخامسة : في بيان اختلاف حركات القمر وحسابها ثم في اختلاف المنظر في الارتفاع والطول والعرض ، السادسة : في اجتماعات النيرين واستقبالاتهما وكسوفاتهما . السابعة : في الكواكب الثابتة والأشكال العارضة لها مع الشمس ، الثامنة : في جريدة الكواكب الثابتة ، ومواضعها في الطول والعرض ، التاسعة والعاشرة والحادية عشرة : في بيان حركات الكواكب الخمسة المتحيرة في

---

(١) النديم : الفهرست ، ٣٢٩ ؛ سزكين : تاريخ التراث العربي ، ٥٧/٧-٥٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٤/١ .

الطول ، الثانية عشرة : في الرجوع والاستقامة والمقامات العارضة للكواكب الخمسة ، الثالثة عشرة : في عروض الكواكب الخمسة المتحيرة وظهورها واختفائها[١] .

ومن ترجمات الكتاب إلى اللغة اللاتينية :

الأولى : قام بها يوجين الأمير (ت بعد٥٥٦هـ/١١٦٠م) ، وبمساعدة انريكو اريستبو سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م) .

والثانية : أنجزها جيرارد الكريموني سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) ، وهو يجهل أن نفس الكتاب نقل سابقاً ، وقد حجبت ترجمته هذه الترجمة الأولى ، وطبعت في البندقية سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م)[٢] ، كما أن دانييل مورلي (النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) تعرف على الكتاب بعد أن كلف أحد النصارى بترجمته ويدعى غالب سنة (٥٩٤هـ/١١٩٧م)[٣] ، أما عن الترجمة العبرية للكتاب فقد قام بها يعقوب أناطولي سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) عن العربية مباشرة[٤] .

مؤلفات اقليدس ، ومن أهمها كتاب «الأصول» الذي يقع في خمسة عشر جزءاً ، الأجزاء الأربعة الأولى منها مع الجزء السادس للهندسة المستوية ، وانصرف الجزء الخامس بوجه عام للتناسب ، وأما الأجزاء : السابع والثامن والتاسع فقد كانت حول خواصِّ الأعداد ، وكان الجزء العاشر للكميات غير المتقاسمة ، وكانت الأجزاء الثلاثة الأخيرة للهندسة الفضائية[٥] .

---

(١) النديم : الفهرست ، ٣٢٩ ؛ كرلو نلينو : علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٢١-٢٢٢ .

(٢) أماري : تاريخ مسلمي صقلية ، ٣/٥٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣-١١٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٨٠ ؛

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤-١١٥ ؛ البشري : ترجمة الكتب العربية ، ١١٤ . Haskins:studies in the history of mediacal science,١٧١

(٤) مايرز : الفكر العربي ، ١١٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٣ .

(٥) النديم : الفهرست ، ٣٢٧ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١١١ .

وقد نقل الكتاب إلى اللاتينية بقلم أدلارد الباثي سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) ، ولكن جزءاً من الترجمة يشكل نقلاً قريباً من النص العربي لإسحاق بن حنين وتنقيح ثابت بن قرة ، والبعض من مقاطعه أقرب إلى تقليد الحجاج بن مطر ، الأمر الذي جعل الشك يراود كثيراً من الباحثين في وجود نسخة هجينة وضعت على الأرجح في الربع الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، ويبدو أنها غير عائدة لأدلارد نفسه ، وتحتوي على الكتابين الرابع عشر والخامس عشر غير الإقليدسيين ، ولكنها لا تضم الكتاب التاسع ، ولا «القضايا» من الأولى إلى الخامسة والثلاثين من الكتاب العاشر للأصول . بينما عرفت نسخة ثانية يبدو أنها فعلاً عائدة لأدلارد ، ولقيت نجاحاً واسعاً في الغرب آنذاك ، ولكن تاريخها نادر التعقيد ، وما نعرفه اليوم يدل على أنها تعرضت لعدد من الترميمات ، وعلى الرغم من أن اسم أدلارد مذكور فيها فقد تكون مختلفة المصادر ، وهذا أمرٌ غير مستغرب بالنسبة لترجمات القرون الوسطى[١] .

أما بالنسبة للترجمة التي قام بها هرمان الدلماتي (ت٥٦٨هـ/١١٧٢م) لنفس الكتاب فكانت ناقصة وأقرب إلى الاختصار ، حيث تنقصها الكتب من الثالث عشر إلى الخامس عشر ، ولقيت نجاحاً أقل بكثير من سابقتها[٢] ، وإذا ما تطرقنا لترجمة جيرارد الكريموني فنجد أن نقله كان كاملاً للكتاب ومأخوذ عن النسخة العربية لإسحاق بن حنين ومراجعة ثابت بن قرة ، وعلى الرغم من كمال هذه الترجمة فإنها لم تنتشر انتشار ترجمة أدلارد الباثي الأولى[٣] .

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ١٠١/٤ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٥٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١١/١ ؛ شيخة : دور مدرسة الترجمة بطليطلة ، ١٣٥/٣ ؛ أندريه آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى ، إشراف : رشدي راشد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ٧٠٧/٢-٧٠٨ . jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions. latines,٩٩

(٢) آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٧١٠/٢ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١٧١/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ٧١٠/٢ . Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٤

ثـم نقـل الكتـاب جيوفـاني كامبـانوس (النـصف الثـاني مـن القـرن الـسابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) استناداً إلى ترجمة أدلارد المذكورة ، مع الرجوع إلى مصادر عربية أخرى ، وقد بقيت هذه الترجمة في نسخة مطبوعة يعود طبعها إلى سنة (٨٦٦هـ/١٤٨١م) في البندقية[١] .

أما بالنسبة للترجمات العبرية للكتاب فمنها : ترجمـة موسـى بـن طبـون سـنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) ، وترجمة يعقوب بن طبون سـنة (٦٥٣هــ/١٢٥٥م) ، وقـد استغرب ستينشنيدر كيف ينقل مترجمان في نفـس الفـترة ومـن نفـس العائلـة نـصاً واحداً مرتين ، وافترض أن يكون يعقوب بدأ بالترجمة ، ثم أتمها موسى ولكن «كد بن عمي» لم يوافقه في أطروحته «المصطلحات الرياضية» ، وذهـب إلى أن كـلاً مـن الرجلين ترجم العناصر ترجمة كاملة ؛ إذ توجد كثير من النسخ تحمل اسم كل منهما على حدة[٢] .

ومن مؤلفات اقليدس أيضاً كتاب «المعطيـات» (The Data) ، وهـو مجموعـة من المبرهنات الهندسية ، وفيه يبرهن على أنه إذا ما أعطيت عناصر معينـة في شـكل هندسي فإن العناصر الأخرى تكون محددة تلقائياً[٣] . وتم نقل الكتاب إلى اللاتينيـة بقلم جيرارد الكريموني استناداً على النص العربي المنقول لإسحاق بن حنين وتنقيح ثابت بن قرة ، ثم نقله عن نفس الـنص العـربي يعقـوب بـن طبـون بعنـوان كتـاب «المفروضات» ، وتمت ترجمته سنة (٦٧١هـ/١٢٧٢م)[٤] .

ولأرخميدس عدَّة كتب في الرياضيات والفلك ، نقل منهـا إلى اللغـة اللاتينيـة كتاب «قياس الزاوية» ، ويحسب فيه نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ، وهـو يـصل إلى

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ١٠٣/٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ .

(٢) سارتون : تاريخ العلم ، ١٠٣/٤ ؛ ميلي : العلـم عنـد العـرب ، ٤٦٧ ؛ حمـادة : رحلـة الكتـاب ، ١٤٤/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٤٩٦/١ ، هامش (٣٣) .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٤٤/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠١/١-٥٠٢ ؛

Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٤

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٠/١ .

تربيع الدائرة بأن يوضح بطريقة إفناء الفرق أن مساحة الدائرة تساوي مساحة مثلث قائم الزاوية ارتفاعه يساوي نصف قطر الدائرة وقاعدته يعادل طول محيطها ، وقد نقل الكتاب إلى اللاتينية جيرارد الكريموني عن الترجمة العربية التي قام بها إسحاق بن حنين وتنقيح ثابت بن قرةنخقف بعنوان : (De mensura Cireuli)[١] .

أما كتابه «في الكرة والاسطوانة» -والذي يبحث فيه عن قوانين رياضية لإيجاد أحجام الهرم ، والأسطوانة والكرة ومساحة سطوحها- فقد نقله إلى العبرية قالونيموس بن قالونيموس في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي عن الترجمة العربية لقسطا بن لوقا ، وقد نقل قالونيموس النص مرتين كما هو واضح من مخطوط أكسفورد (١، ٢٠٠٧) ، ويحتمل أن يكون تاريخ الترجمة هو سنة (٧١١هـ/١٣١١م)[٢] .

أما كتاب أبسقلاوس المسمى «كتاب المطالع» الذي يتحدث فيه عن الطلوع والغروب فقد ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني بعنوان (De Asconsion bus) عن النقل العربي الذي قام به إسحاق بن حنين وثابت بن قرة[٣] .

ولأبولونيوس عدة كتب في الرياضيات ترجمت أيضاً إلى اللغات الأخرى ، منها :

«كتاب المخروطات» الذي اعتمد فيه على كتاب أقليدس بنفس الاسم ، وهو يبحث فيه -من خلال ثلاثمائة وسبع وثمانين نظرية- خواص المنحنيات التي تنشأ من تقاطع مخروط مع سطح مستوٍ ، وأطلق على ثلاث من هذه المنحنيات والدائرة هي رابعتها أسماءها المعروفة بها الآن ، وهي : القطع المكافئ ، والقطع الناقص ، أو الإهليلجي ، والقطع الزائد .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ .

(٢) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٩ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛
Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٤.

والكتاب نقل أكثر من مرة إلى اللغة اللاتينية منها : ترجمة جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وهي نسبة غير مؤكدة لهذا الناقل أو أنه مشكوك فيها[١] ، أما الترجمة الثانية فكانت على يد ريموندي جان باتيستا (إبان القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي) ، وهي النسخة التي كانت بتنقيح أبي الفتح الأصفهاني ، وقد نقل ريموندي الأجزاء الخامس والسادس والسابع من النص المنقح[٢] . أما الترجمة الثالثة فكانت في العصر الحديث ، وقام بها إبراهيم الحاقلاني بالاشتراك مع الرياضي بورلي ، وكان ذلك في سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م) ، وصدرت بعنوان :

Apollonii Pergaei lib.v.vI. vII. Paraphraste Abalphate Asphanensi ,١٦٦١[٣]

بالإضافة إلى ذلك نجد أن كتاب الأفلاك لثيودوسيوس قد نقل إلى اللاتينية على يد جيرارد الكريموني بعنوان : (De lotis Habitabilibus) نقلا عن ترجمة عربية بقلم قسطا بن لوقا[٤] .

وإذ ما تركنا مؤلفات القدماء المنقولة إلى العربية لنصل إلى المؤلفات العربية نفسها نجد في مقدمتها ما يلي :

مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي (ت بعد ٢٣٢هـ/٨٤٦م) الذي يعد أول من أَلَّف في الرياضيات ، لا سيما كتابه «مختصر من حساب الجبر والمقابلة» ، وهو مؤلف في الرياضيات ، وضع فيه الخوارزمي أسس علم الجبر كونها أول دراسة منهجية لحل معادلة من الدرجة الأولى والثانية ، وقد ترجم الكتاب منذ وقت مبكر إلى اللغة اللاتينية ، واعتمد عليه كثيرٌ من علماء الغرب في دراساتهم وأبحاثهم[٥] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٢١٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٦٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٢١٧ ؛ فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٦٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٣/٣٢٣ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٨ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ .

(٥) منتصر : تاريخ العلم ، ٢٦٢ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٥٤ .

ومن أول ترجماته هي التي قام بها روبرت تشستر سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، وكانت ترجمة حرة ، وقد نشرها لويس كاربينسكي في نيويورك سنة (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) مع مقدمة طويلة بعنوان :

C.karpinski,R.of.ch. latin Transl .etc. with an introduction ,chit.notes and an English version ,newyork ١٩١٥[1]

وقد أورد عمر فروخ[2] أن هناك اختلافاً بين النسخة العربية المطبوعة ، والنسخة اللاتينية لروبرت ، وبيَّن أوجه الاختلاف كالتالي :

١ - إن الديباجة المطولة وسبب التأليف كما هو مذكور في النسخة العربية ، غير موجود في النسخة اللاتينية .

٢ - يبدو أن النسخة اللاتينية ترجع إلى أصل عربي كان أوسع من النسخة العربية التي بين أيدينا .

٣ - النسخة اللاتينية تقف عند آخر باب المعاملات قبل باب المساحة في النسخة العربية المطبوعة ؛ وبذا تكون المادة الموجودة في النص اللاتيني أقل من نصف المادة الموجودة في النسخة العربية المطبوعة ، فهل معنى ذلك أن النسخة العربية التي نقل منها روبرت ناقصة؟ أم أنه ترك القسم الأخير من الكتاب لأنه كان يتضمن باب الوصايا وهي أمورٌ تتعلق بأوجه الإرث في الإسلام ، ولم يكن لأوروبا حاجة إليها؟ أم أنَّ هناك كتابين للخوارزمي أحدهما : في الجانب النظري من علم الجبر والمقابلة ، والثاني منهما تطبيق ذلك على الإرث في الإسلام ، فنقل روبرت الكتاب الأول منهما ثم جمعت النسخة العربية المتأخرة بين الكتابين؟

كل هذه التساؤلات التي طرحها فروخ في حديثه عن ترجمة روبرت لكتاب الخوارزمي «الجبر والمقابلة» نجد إجابتها لدى أندريه آلار الذي تحدث عن هذه

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٨ ؛ Haskins:studies in the history of mediaeval science,٩٨.

(٢) ناقش هذه المسألة في كتابه : تاريخ العلوم عند العرب ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ٣٣١-٣٣٣ .

الترجمة بما نصُّه : «من الصعب منح ثقة من دون تحفظ لصيغة النص المنشورة باسمه «روبرت تشستر» والمستندة بشكل شبه حصري إلى مخطوطة نسخها عالم الرياضيات الألماني يوهان شوبل (Johan scheubel) في القرن السادس عشر للميلاد ، وهي ترميم عائد لشوبل نفسه . وهذا الأخير أضاف إلى النص عدة حسابات ، واستبدل بعض التعابير الأصلية بتعابير أكثر تداولاً في زمانه ، فلا يسعنا سوى أن ننسب إليه عدة مقاطع غير موجودة لا في النسخات اللاتينية الأخرى ولا في النص العربي»[١] . أما الترجمة الثانية فهي من عمل جيرارد الكريموني ، وهي ترجمة جيدة بالنسبة لسابقتها ، ونشرت في باريس سنة (١٢٥٤هـ/١٨٣٨م) بعنوان :

Gerhard v. cremona ed Gugl.libri,Histoire des sciences mathematiques en Italie ,vol .I Paris ١٨٣٨.[٢]

أما كتابه «الجداول الفلكية» ، أو ما عرف بـ«زيج الخوارزمي» ، أو «السند هند» ، وعرف في أوروبا بـ«las Astronomicas» ، فهو عبارة عن تقاويم رياضية احتوت الصفر الذي عرفته أوروبا عن طريق هذا الكتاب ، والذي نقل إلى اللاتينية عن طريق تنقيح مسلمة المجريطي الذي استبدل التواريخ الفارسية في الكتاب بتواريخ هجرية ، وعلَّق عليها ، ثم قام أدلارد الباثي حوالي سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) بنقلها عن طريق هذا التنقيح إلى اللغة اللاتينية ، وقد نشرت في كوبنهاجن سنة (١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[٣] .

أما عن الترجمة العبرية للكتاب فكانت على يد إبراهيم بن عزرا الذي نقله بشرح البيروني سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م) ، وهذا الشرح لم يعرف إلا عن طريق ابن عزرا ؛ إذ فقد نصه العربي ، وقد نشر سميث : (D.E.smith) ، وجنسبرج

---

(١) الآر : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/٧٢٣ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٦٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ الآر : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/٧٢٣ .

(٣) سارتون : تاريخ العلم ، ٤/١٠١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٥ ؛ بدوي : دور العرب ، ٨ ؛ بيرنت : حركة الترجمة ، ٢/١٤٤٤ ؛

.wustenFeld:die ubersetzungen Arabischer werke in lateinesche,٢٠.

(J.Ginsburg) هذه الترجمة في المجلة الأمريكية بعنوان :

Rabbi ben Ezra and Hindu –Arabic Problem ,vol ٢٥,٩٩ ١٩١٨.[1]

ومما يجدر ذكره أن روبرت تشستر قد عدل ترجمة أدلارد الباثي لأزياج الخوارزمي ، وطبقها على زمان ومكان مدينة لندن سنة (٥٤٤هـ-٥٤٥هـ/ ١١٤٩-١١٥٠م) مستيعناً بالإضافة إلى هذه الأزياج بالبتاني والرزقالي أيضاً[2] .

وللخوارزمي مؤلف في الحساب فقد نصُّه العربي ، ولم يبق إلا في ترجمته اللاتينية التي نقلها أدلارد الباثي ، ويظهر من خلال الترجمة أن الخوارزمي شرح فيه استخدام نظام الأعداد والأرقام الهندية ، كما شرح طرق الجمع والطرح والقسمة والضرب وحساب الكسور ، وقد حمل هذا الكتاب إلى ألمانيا ، وترجع أقدم نسخة منه إلى سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، وهي مكتوبة بخط اليد ، وموجودة في مكتبة البلاط في فينا[3] .

كذلك نقل أدلارد للخوارزمي كتاباً آخر في الحساب تحت عنوان : Liber alghoarismi de practica arismetrice ، وهذا الكتاب ليس كتاب الخوارزمي عن الحساب ، إنما هو ترجمة لنسخة مصلحة معدلة لنفس العمل قام بها مؤلف مسلم آخر ، إنها رسالة لوغارتيميية مشتقة من مصادر هندية ، ولقد كان ذلك أول إدخال لهذا العلم إلى أوروبا ، وتطور العلم وأصبح هناك جداول لوغارتيمييه ، وهي في الحقيقة جداول الخوارزمي العالم المسلم العظيم ، وكان الواجب إطلاق اسمه عليها[4] .

ثم ترجم نفس الرسالة يوحنا الإسباني وضمنها مصنفه بعنوان «كتاب الخوارزمي في الحساب العملي» (Liber Algorismi di pratica arimetice) ، وهو في

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٧٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٦٧ .

(٢) العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١١٣ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة ، ٨٤ ؛

Palencia : EL arobispo don raimundo de Toledo,١٦٣.

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ٩٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٤٩ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ١٥٨ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٤٩ .

الوقع عبارة عن ترجمة وتفسير لكتاب الحساب للخوارزمي ، واشتمل على الأرقـام العربية والصفر ، وطريقة استخراج الجذر التربيعي بواسطة الكسور العشرية ، وقد حقق الكتاب بونكومباني (B.Banconpagni) في روما سنة (١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) ، ونشره بعنوان :

Trattati d,Aritmetica ,Joannis Hispalensis liber Algorismi de practica arismetrice(١)

ولبني موسى بن شاكر مؤلفات رياضية عدة اشتركوا في أكثرها ، منها :

كتاب «مساحة الأسطح المستوية والكروية» ، وهو يتعلق بربط مستوى التناسب العددي ، وقد ترجمه جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) إلى اللغة اللاتينية ، وأسماه : «كتاب الأخوة الثلاثة في الهندسة» Liber Trium Fratrum de geometria ثم حقق هذه الترجمة ونشرها ماكس كورتز (Max Curtez) سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٥م)(٢) .

ولما شاء الله (ت حوالي ٢٠٠هـ/٨١٥م) عدة مؤلفات في الفلك والتنجيم ، منها عدة رسائل لا نعرف عناوينها العربية تحديداً ، وقد نقلت إلى اللاتينية والعبرية بعناوين مختلفة ، منها رسالة بترجمة يوحنا الإسباني التي جاءت بعناوين مختلفة كالتالي :

- Epistola de rebus eclipsium et conctionibus planetarum.
- Epistola messehalla in rebus eclipsis lune.
- Liber messehalla in radicibus revolutionum.(٣)

والرسالة ككل تتألف من اثني عشر باباً :

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ١٥٨ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٨ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠١ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٦٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛ سويسي : انتقال العلوم العربية ، ١٠٠ .

(٣) سزكين : تاريخ التراث العربي ، ٧/١٤٧-١٤٨ .

الأول : في فعل الأفلاك والكواكب على العالم . الثاني : سمات التغيرات التي تتولد عن الأقاليم ، الثالث : طبائع البروج ، بارد أم حار وأيها يتقلب وعلاقتها بالليل والنهار ، الرابع : تحاويل السنين ، الخامس : خسوف القمر ودلالته ، السادس : تغيرات فصول السنة . السابع : ظهور خسوف الشمس ودلالته ، الثامن : فعل قرانات الكواكب ، التاسع : في قرانات الكواكب العليا ، العاشر : في القرانات الكبرى ، الحادي عشر : في القرانات الوسطى ، الثاني عشر : في القرانات الصغرى .

أما عنوان الرسالة في ترجمتها العبرية التي قام بها إبراهيم بن عزرا فهو :

Sefer li-masa allah bi-quadrut ha-levanah weha - semes

وهو يعني : كتاب في خسوف القمر وكسوف الشمس إلا أن المحتوى لا يستوعب هذا بما فيه الكفاية[١] .

ولما شاء الله أيضاً كتاب : «المواليد الكبير» ، ذكر النديم أنه يتألف من أربعة عشر كتاباً[٢] ، ليس له وجود إلا في الترجمة اللاتينية التي قام بها هوغو الستالي بعنوان :

Libellus de nativitatibus distinctus capituis hugonis sanctalliensis trans- latio[٣]

ومما ترجم في هذا المجال مؤلف «المواليد» لعمر بن الفرخان الطبري (القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي) الذي اعتمد فيه على مؤلفات هرمس وبطليموس وغيرهما من القدماء ، وقد نُقل الكتاب إلى اللغة اللاتينية بواسطة يوحنا الإسباني إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، بعنوان : De nativitatibus et interrogationibus وطبع لأول مرة في البندقية سنة (٩٠٩هـ/١٥٠٣م)[٤] .

---

(١) نفس المرجع .

(٢) الفهرست : ٣٣٥ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٩٧ ؛ سزكين : تاريخ التراث العربي ، ٧/١٤٤ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١٩٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ سزكين : تاريخ التراث

وللفضل بن سهل (ت٢٠٢هـ/٨١٨م) كتاب عن الأبراج ، ويتناول اثنى عشر برجاً بأسماء الحيوان ، وقد ألفه للخليفة هارون الرشيد إذ جاء في صدره ما نصه : «إني لما فكرت في عظم النعمة في خلافته فضلاً للذة العيش..الخ»[١] .

ونقله إلى اللاتينية جيرارد الكريموني بعنوان liber AL-Fadhol[٢]

ومن بين المؤلفات التي ترجمت إلى اللاتينية في التنجيم : «كتاب المواليد» لأبي علي الخياط (ت حوالي ٢٢٠هـ/٨٣٥م) ، وجاء مؤلفه هذا في ثمانية وثلاثين باباً تناولت ما يحتاج إليه في علم المواليد كمعرفة سني الكواكب ، وشواهد تدل على مواليد الملوك ، ومعرفة أصحاب السعادة ، وعدد الإخوة ، ووقت الولد ، وأمر التزويج ، والفروسية ، ودلالات الأبراج على صاحبها ؛ وغيرها من الأمور التنجيمية[٣] .

وترجم الكتاب إلى اللاتينية مرتين : إحداهما قام بها أفلاطون التيفولي سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) ، والثانية نقلها يوحنا الإسباني (٥٤٨هـ/١١٥٣م) ، وقد ترجمها تحت اسم : Albohali de judiciis nativitatum liber unus

وطبعت هذه الترجمة في نورنبرج سنة (٩٥٣هـ/١٥٤٦م) ، و(٩٥٦هـ/١٥٤٩م) تحت نفس الاسم[٤] .

أما بالنسبة للمؤلفات التنجيمية التي وضعها أبومعشر البلخي (ت حوالي ٢٧٢هـ/٨٨٥م) والمعروف عند اللاتين بـ(AIbumasar) ، وهي كثيرة ومتعددة ومن أهمها كتابه : «المدخل الكبير إلى علم أحكام النجوم وعللها وكيفيتها» ، وضعه في ثمانية أبواب ، ويظهر أنه كان أكثر الكتب النجومية شعبية في بلاد

= العربي ، ١٥٧/٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ١/ ١١٢ .

(١) سزكين : تاريخ التراث العربي ، ١٦٢/٧-١٦٣ .

(٢) نفس المرجع ، ١٦٣/٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٠ .

(٣) النديم : الفهرست ، ٣٣٧ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، ١٧٠/٧-١٧١ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ٢٠٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، ١٧٢/٧ .

الغرب ؛ إذ وضع فيه نظرية عن المد والجزر ، وترجم إلى اللغة اللاتينية أكثر من مرة ، إحداها قام بها يوحنا الإسباني سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م) ، وثانية مختصرة قام بها هرمان الدلماتي حوالي سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) ، وهي رغم اختصارها أكثر إتقاناً من الترجمة التي عملها يوحنا ، وقد طبعت تحت عنوان : Introductorium in astronomian Albumasaris Alabachii وتكرر طبعها ما بين عام (٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) ، وعام (٩٢١هـ/١٥١٥م) سبع مرات[١] .

أما بخصوص كتابه الموسوم بـ«المدخل الصغير» فيبدو أنه يتطابق مع الكتاب المحفوظ «مختصر المدخل» ، وهو مؤلف في سبعة فصول ، وقد ترجمه أدلارد الباثي إلى اللاتينية إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، بعنوان : ysagogo minor in astronomiam[٢] . وله أيضاً كتاب تحاويل سني العالم ، واسمه كما يفيد ابن النديم «كتاب النكت»[٣] ، وله ترجمة لاتينية قام بها يوحنا الإسباني بعنوان :

De revolutionibus annorum mundi sive liber experimentorum

وطبعت في أوجسبرج عام (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) وعام (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ، وعام (٩٠١هـ/١٤٩٥م) ، وفي البندقية عام (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) ، و(٩١٥هـ/ ١٥٠٩م)[٤] .

ومما ترجم له أيضاً كتاب في جمل من دلالات الأشخاص العلوية على الأحداث الكائنة في عالم الكون والفساد أو كتاب القرانات ، وترجمه يوحنا الإسباني إلى اللاتينية بعنوان :

De magnis coniunctionibus et annorum revolutionibus eorum

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢٠٦/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ١٦٩ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، ٢٠٤/٧ .

(٢) حتي : تاريخ العرب ، ٤٦٢ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، ٢٠٥/٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١١/١ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٩ .

(٣) الفهرست : ٣٣٨ .

(٤) سزكين : تاريخ العرب ، ٢٠٧/٧-٢٠٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٢/١ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٩ .

Profectionibus

وطبع في أوجسبرج سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ، و البندقية سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م)[١] .

وإلى ثابت بن قرة (ت٢٨٨هـ/٩٠١م) يعزى كثير من الكتب الفلكية منها ما ترجم إلى اللغات الأخرى ككتاب «الشكل القطاع» الذي ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني بعنوان : liber thebi de figura alchata وقد نقل نفس الكتاب إلى العبرية قالونيموس بن قالونيموس سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)[٢] .

أما بالنسبة لمحمد البتاني (ت٣١٧هـ/٩٢٩م) فمن أهم مؤلفاته الفلكية زيجه المشهور ، وقد ذكر النديم له نسختين أولى وثانية ، والثانية أجود من الأولى[٣] ، وهو أول زيج يحتوي على معلومات صحيحة دقيقة ، وأرجاز كان لها أثر كبير في علم الفلك ، وقد قسمه إلى سبعة وخمسين باباً ، تشمل الثلاثة الأبواب الأولى المقدمة ، وطريقة العمليات الحسابية في النظام الستيني ، وأوتار الدائرة ، وقد خصص الأبواب الأولى للكرة السماوية ودوائرها ، ويبحث في الباب الرابع مقدار ميل فلك البروج عن فلك معدلي النهار أي الميل الأعظم ، وكانت القيمة التي وصل إليها من أرصاده وهي (٢٣و٣٥) درجة صحيحة في حدود دقيقة واحدة ، ويعتبر البتاني أول من حصل على هذه القيمة لزاوية الميل الأعظم ثم وافقه من جاء بعده .

وثمت أبواب في الكتاب تبحث في قياس الزمن برصد ارتفاع الشمس ، ثم تسعة أبواب تبحث عن موضوع الكواكب الثابتة ، وفي باب آخر تناول طول السنة الشمسية ، وفي باب آخر عن حركة الشمس ، والقمر والخسوف والكسوف ، أما

---

(١) سزكين : تاريخ التراث ، ٢١٥/٧-٢١٦ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢٠٩/٤ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١٧٤/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٦٩/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٩/١ .

(٣) الفهرست : ٣٤٠ .

البابان الأخيران فخصصهما للآلات الفلكية وطرق صنعها[١] .

وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية على يد روبرت تشستر سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) ، إلا أن ترجمته فقدت وبقيت ترجمة أفلاطون التيفولي التي أنجزها سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) بعنوان : De motu stellarum ، وقد نشرت هذه الترجمة في نورمبرج سنة (٩٤٤هـ/١٥٣٧م) مع ترجمة كتاب الفرغاني «العناصر» ؛ كما ترجم الكتاب بعد ذلك بقرن ، أي في عهد ألفونسو العاشر وأمرٍ منه ، واضطلع بنقله مترجم يدعى إسحاق السيد ، وكان النقل من العربية إلى القشتالية[٢] .

ولعلي بن العمران (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م) «كتاب الاختيارات» الذي ترجم إلى اللاتينية بقلم أفلاطون التيفولي ، وهذه الترجمة وصلت في مخطوطات متعددة ، ويتألف الكتاب من رسالتين ، استشهد فيه بجالينوس ، وما شاء الله ، وعمر بن الفرخان ، والكندي ، وأبومعشر ، والخياط . ونقله أفلاطون بين سنتي (٥٢٨-٥٢٩هـ /١١٣٣-١١٣٤م) ، ونشر جزءٌ منها في مدريد سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م)[٣] .

ومن المؤلفات الهامة في علم الفلك كتاب «الكواكب الثابتة» لعبدالرحمن الصوفي (ت٣٧٦هـ/٩٨٦م) الذي يمتاز برسومه الموضحة للأبراج والكواكب ، وقد مثلها على هيئة الكواكب الأناسي والحيوانات[٤] ، ونقل الكتاب إلى اللغة القشتالية بقلم يهودا الكاهن سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، ثم عدل هذه الترجمة ونقحها في سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) بالاشتراك مع صمويل هاليفي وآخرين ، وكان هذا النقل بأمر من ألفونسو العاشر ولصالحه ، ثم طبعت هذه الترجمة ضمن

---

(١) خليفة : كشف الظنون ، ٩٧٠/٢ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٤/١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٦٥/١ .

(٣) سزكين : تاريخ التراث ، ٢٤٧/٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٩ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٤/١ .

(٤) منتصر : تاريخ العلم ، ١٨٥ .

الموسوعة الفلكية لهذا الملك بعنوان : Libros del saber[١] .

أما كتاب المدخل إلى علم النجوم لأبي الصقر القبيصي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) والذي يتكون من خمسة فصول : تتحدث عن أحوال فلك البروج ، وطبائع الكواكب السبعة ، وما يعرض لها ، وتفسير سمات المنجمين ، وغيرها ، فكان من ضمن المؤلفات التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية ، حيث نقله يوحنا الإسباني بعنوان liber intro-ductorius ، وقد طبع مع شروح وتعليقات عليه بقلم يوحنا السكسوني (النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) في البندقية عدَّة مرات[٢] .

وقد كان كتاب «البارع في أحكام النجوم» لابن أبي الرجال (ت بعد سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م) من أكثر كتب التنجيم شعبية في العالم الإسلامي وبلاد الغرب النصراني ، وعرف صاحبه عند اللاتين باسم (Abenragel أو ALbohazen) ، وقد امتدح حاجي خليفة مؤلفه بقوله : «كتاب كبير مشهور ، معتبر..جمع فيه معاني علم النجوم ، وغرائب أسرارها من كتب علمائها ، وأضاف إليه ما انتخبته فكرته ، وأتت عليه تجربته ، فذكر البروج وطبائعها والكواكب وأحوالها ، ثم المسائل ، ثم المواليد ، ثم تحويل سني المواليد مع الاختيارات ، ثم تحويل سني العالم في جزء ، فيكون جميع ذلك ثمانية أجزاء»[٣] .

وللكتاب ترجمة قشتالية قام بها يهودا بن موسى الكاهن ترجع إلى سنة (٦٥٢هـ/١٢٤٥م) بعنوان : EL libro conplido en los iudizios de las estrellas ثم نقل عن هذه الترجمة إلى اللغة اللاتينية بقلم بطرس الرجوي ، وأيجيديوس بعد سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) بعنوان :

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١١٤ ؛ leclerc:histoire de la medicine arabe,٤٤٢.

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ٢١٩ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، ٧/٢٥٤-٢٥٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٢١٥ .

(٣) كشف الظنون ، ١/٢١٧ .

Praeclarissimus liber completus in judiciis astrorum ,quem edidit Albohazen haly.F.Abenragel

وطبع خمس مرات ، منها طبعة البندقية سنة (٨٩٠هـ/١٤٨٥م) ، وبازل (٩٥٨هـ/١٥٥١م)[١] .

وللفرغاني (ت بعد٢٤٧هـ/٨٦١م) ، كتاب «المدخل إلى علم هيئة الأفلاك» ، الذي ترجمه يوحنا الإسباني سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥م) ، وطبعت هذه الترجمة في فراره سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) ، وفي نورمبرج سنة (٩٤٤هـ/١٥٣٧م) ، وفي باريس سنة (٩٥٣هـ/١٥٤٦م)[٢] .

وترجم نفس الكتاب جيرارد الكريموني بشكل أكثر إتقاناً إلا أنها لم تطبع ، ولكنها نقلت إلى الفرنسية ومنها إلى الإيطالية سنة (٧١٣هـ/١٣١٣م) ، كما أن ترجمة جيرارد نقلت إلى العبرية بقلم يعقوب أناطولي سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، ثم قام يعقوب كريستمان بترجمتها مجدداً عن العبرية إلى اللاتينية ونشرها في فرانكفورت سنة (٩٩٩هـ/١٥٩٠م)[٣] .

وقد ترجم هوغوسانتلا كتاب البيروني (ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) الذي هو شرح وضعه على كتاب الفرغاني السالف[٤] .

ولقسطا بن لوقا مؤلفات عدة في الفلك ترجم البعض منها إلى اللغات الأخرى ، ككتاب العمل بالكرة الذي نقله ستيفن آرنولد (النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، إلى اللاتينية[٥] ، كما ترجم الكتاب إلى اللغة القشتالية على يد يهودا الكاهن ومساعدة جان داسبا سنة (٦٥٨هـ/

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢٢٦/٤ ؛ سزكين : تاريخ التراث ، ٢٨٤/٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١١٤/١ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢٠١/٤ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٦٣١ ؛

jourdain:recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines,١٨١.

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٨٧/١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١١/١.

(٥) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٨-١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٥٥/٢ .

١٢٥٩م) ، وقد عدل يهودا هذه الترجمة سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، ونشر في المجموعة الفلكية للفونسو العاشر Libros del saber de astronomia[1] أما بالنسبة لـ«رسالة في علم هيئة العالم» لابن الهيثم (ت بعد ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، والمعروف عند اللاتين بـ (AL hazeni) فقد لقيت هي الأخرى رواجاً في الغرب ، وتعددت لغات ترجمتها ، منها تلك الترجمة التي قام بها إبراهيم الطليطلي (النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) لأجل ألفونسو العاشر ، حيث ترجم الرسالة من العربية إلى العبرية ، ثم نقلها أحدهم إلى اللاتينية بعنوان : De mundo et coelo ، ثم ترجم نفس الرسالة من العربية إلى العبرية أيضاً يعقوب بن طبون إما سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) أو سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) ، ومن ثم نقل هذه الترجمة إبراهيم بالمس إلى اللاتينية في (النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي)[2] .

وكان لمسلمة المجريطي (ت بعد ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) جهود في التأليف في علم الفلك ، وقد نقل له عدة كتب إلى اللغات الأخرى ، منها : «رسالة في الاسطرلاب» ، ترجمها إلى اللغة اللاتينية رودولف بروجس في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي[3] ، أما بالنسبة لشرحه لكتاب «قبة الفلك» لبطليموس فقد نقله إلى اللاتينية هرمان الدلماتي سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) ، وحفظ الكتاب عن طريق هذه الترجمة ؛ إذ فقد النصان العربي واليوناني ، وطبعت هذه الترجمة ضمن مجموعة من المصنفات الفلكية في بازل سنة (٩٤٣هـ/١٥٣٦م) ، بعنوان : Shaerae atque astroum coelestium ratio,naturaetmotus أي : «سرعة أفلاك السماء ونجومها وطبيعتها وحركاتها» ، وكذلك طبعت في

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢/١١٤ ؛ leclerc:histoire de la medicine arabe,٤٤٢.

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١١٥ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٤. Palencia:EL arzobispo don raimundo de ,٦٤ .

البندقيـة سـنة (٩٦٦هــ/١٥٥٨م) ، ونـشرها هـايبرج في كتـاب الهيئـة الـصغير لبطليموس سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)[١] .

وإذا ما وصلنا إلى مؤلفه «غاية الحكيم» الـذي ضـمنه الكثـير مـن المعلومـات الفلكية ، ولكنه صبغ ذلك بصبغة تنافي حقائق هذا العلم ، إذ شاب كتابـه المـذكور الكثير من النصوص المتعلقة بالطلاسم والتعاويذ ، وقـد قـسمه إلى مقـالات مـزج فيها علم الفلك بالتنجيم وألوان الشعوذة التي تنافي حقـائق العلـم وتعـاليم الـدين الإسلامي[٢] .

وقد نقل الكتاب إلى اللغة اللاتينية ، وضمَّ ضمن المؤلف الموسوم بـ(Picatri) للفونسو العاشر[٣] .

ومن أشهر التواليف الرياضـية والفلكيـة التـي نقلـت إلى الغـرب كتـب ابـن السمح أصبغ القرطبي (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤م) ولكننا لم نظفر بترجمة كاملـة لمؤلـف مـن مؤلفاتـه ، وإنـما ذكـر لـه رسـالة في الاسـطوانات والمخروطـات ، ترجمهـا قالونيموس بن قالونيموس إلى اللغة العبرية سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) ، وقد تكـون قسماً من إحدى مؤلفاته الفلكية المشهورة ، أو أنَّ أصـلها العـربي مفقـود[٤] . إلا أن ألدوميلي يـذكر أن ألفونـسو العـاشر ضـمن موسـوعته الفلكيـة : (los libros del saber) قسماً من أزياج ابن السمح وهـو القـسم المعنـون بــ(De cuemo puede ell ome Fazer una Iamina acada planeta)[٥] ، ونحن نعلم أنَّ ابـن الـسمح صـنَّف زيجاً على طريقة الهند المعروفة بالسند هند ، وهو كتاب كبير يقع في جـزأين أحـدهما

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٣٢٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٧ ؛ بيرنت : حركة الترجمة ، ٢/١٤٥٦ ؛ Palencia:EL arzobispo don raimundo de Toledo,١٥٧

(٢) البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة ، ٣٦٣ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٣٢٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٢ .

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١ ؛ أوليري : الفكر العـربي ، ٢٨٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٣١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٥٠٨ .

(٥) العلم عند العرب ، ٣٥٢ .

في الجداول ، والآخر في رسائل الجداول[١] ، فلعلَّه جزءٌ منه؟!

ولعل كتاب «العمل بالإسطرلاب» لابن الصفار (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤م) ، من الكتب الجديرة بالذكر في الدراسات الفلكية ، حيث تحدث فيها عن الإسطرلاب وآلاته ومهمة كل منها ، ويبين كيفية معرفة الأوقات ، ومن ثم تعيين وقت الظهر والعصر ، كما أنه تناول مواضع البروج والكواكب ، وتعيين الطول والقبلة والسنين العجمية وشهورها .

والكتاب في مجمله أتى بأسلوب تعليمي توجيهي في آن واحد ؛ إذ إنه موجه للدارسين والمشتغلين بعلوم الفلك وما يتعلق بها[٢] . وعن ترجمات الكتاب نجد أنَّه نقل إلى اللغة اللاتينية على يد أفلاطون التيفولي (النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) ، كما كان للكتاب ترجمة عبرية قام بها يعقوب بن طبون (ت بعد ٧٠٦هـ/١٣٠٦م)[٣] .

ويعتبر أبوإسحاق إبراهيم الزرقالي ، (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م) والمعروف عند اللاتين باسم (Arzachel) ذا تأثير عميق في الدراسات الفلكية ؛ حيث اخترع وألف عن الآلات الفلكية مؤلفات قيمة نقلت إلى كافة اللغات ، منها : «الأزياج الطليطلية» ، أو ما عرف بـ«جداول الزرقالي» أو «جداول طليطلة» ، التي لم تصلنا إلا في ترجمتها اللاتينية التي أتمها جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) . وهذه الترجمة عرفت في أكثر من خمس عشرة مخطوطة ، الأمر الذي يدل على سعة انتشار الكتاب[٤] .

أما كتابه «الصفيحة» فقد جاء في مائة باب ألفها للمعتمد بن عبَّاد وحوت

---

(١) ابن أبي أصيبعة ، ٤٨٤ .

(٢) البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٤٨٥ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٢٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١-٣٥٢ ؛ العقيقي : المستشرقون : ١/١١٤ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ١٥٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٩ ؛ العقيقي : المستشرقون : ١/٨٣ .

كثيراً مـن الفوائـد[١] . ويبـدو أنهـا نقلـت إلى اللغـة اللاتينيـة ؛ إذ إنهـا وجـدت في المجموعة المعنونة بـ :

Saphaeae recentis res doctrinae patris Abrysakh Azarchelis summi astronomi a.joanne schonero,les libros del saber

كما توجد في : d Alfonso el sabio[٢] .

وقد أثار كتابه «العمل بالصفيحة الزيجية» كثيراً من التساؤلات في تراجمه إلى العبرية واللاتينية ، فهناك مثلاً ترجمة في مائة فصل ، وأخرى في ستة عشر فصلاً[٣] . ومن ترجمات الكتاب تلك الترجمة التي تمت بأمر ألفونسو العاشر ، وقام بها فيراندو الطليطلي بين سنتي (٦٥٣-٦٥٤هـ/١٢٥٥-١٢٥٦م) إلى اللغة القشتالية ، وقد نشر قطعاً منها فاليكروزا سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) ضمن دراسة للزرقالي في كتابه الصفيحة[٤] .

أما الترجمة الأخرى فقد قام بها إبراهيم الطليطلي إلى اللغة القشتالية في أغلب الظن ، وأتمها في سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) ، وهي أجود من سابقتها ونقلت بدورها إلى اللاتينية والإيطالية ، أما ترجمة يعقوب بن طبون فكانت إلى اللغة اللاتينية ، حيث كان يعقوب يترجم من العربية إلى العامية ، ويكتبها مساعده «يوحنا البريسجي» فيما يقابلها من اللاتينية ، وكان تاريخ النقل سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) . ولم يكتف يعقوب بن طبون بهذه الترجمة ؛ إذ إنه بحكم يهوديته نقل الكتاب إلى العبرية في سنة غير محددة[٥] .

وقد نشر فاليكروزا أيضاً النص العبري مع ترجمة قطلونية لمقتبس بن طبون من كتاب الصفيحة المكتوب بالعبرية مع ترجمة لاتينية ومقدمة وتعليقات ، بعنوان :

---

(١) خليفة : كشف الظنون ، ٩٧١/٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٦٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) المرجع السابق ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١١٥/١ .

(٥) حمادة : رحلة الكتاب ، ١٤٤/١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ .

Don Profeit Tibbon ,Tractat de I,Assafea d,Azraquiel, Barcelona, ١٩٣٣[1].

وقد نقل «كتاب الحدائق» لأبي محمد عبدالله البطليوسي (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م) إلى اللغة العبرية على يد موسى بن طبون في (النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) ، وهو عبارة عن موازنة العالم الأرضي بعالم خيالي مثالي ، وحوى بين ثناياه معلومات ونظريات الفلك ، ولهذه الترجمة أهمية حيث إنها حفظت الكتاب ؛ لأن أصله العربي مفقود ؛ إلا أن ناقله استبدل الاستشهادات القرآنية بمقتبسات من التوراة . أما الترجمة الثانية فكانت إلى العبرية أيضاً ، قام بها صمويل بن موطوط إبان النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، ولكن ترجمته ناقصة ، بخلاف سابقتها[2] .

وقد نشر الترجمتين معاً دافيد كاوفمان سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م) ، وصدرت في بودابست سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م)[3] .

أما جابر بن أفلح الأشبيلي (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م) والمسمى عند اللاتين بـ«Geber» فقد صنَّف كتباً في الفلك ، منها : «كتاب إصلاح المجسطي» ، وهو يضع فيه آراء بطليموس هدفاً للنقد العنيف ، وبين فيه معارفه المتعلقة بحساب المثلثات الكروية[4] . ونقل الكتاب إلى اللغة اللاتينية جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ، وطبعت ترجمته هذه في نورنبرج سنة (٩٤١هـ/ ١٥٣٤م) بعنوان :

Gebri Filii Afla hispalensis de Astronomia libri IX in quibus ptolemaeum aliqui doctissimum, emendavit[5]

وللكتاب ترجمة عبرية قام بها موسى بن طبون سنة (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) ،

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٦٣ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٦٥ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٣٦ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٦٧ .

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٤٥٦ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٨٣ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٨٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ٨٣ .

وأخرى قام بها يعقوب بن طبون لا يعرف تاريخها إلى العبرية أيضاً ، إلا أن صمويل بن يهودا أكملها سنة (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) .

كما نقل كتاب «الهيئة» لأبي إسحاق البطروجي (٦٠٠هـ/١٢٠٤م) إلى عدَّة لغات ، وقد حوى نظرية فلكية جديدة عارض بها تعاليم بطليموس ، وأثرت بدورها فيمن بعده ، ونقل كتابه هذا إلى اللغة اللاتينية على يد ميخائيل سكوت سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) بمساعدة اليهودي المتنصر باسم أندرياس ، وإلى العبرية نقله موسى بن طبون حوالي (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) ، ثم نقل النص العبري إلى اللاتينية قالونيموس بن داود سنة (٩٣٥-٩٣٦هـ/١٥٢٨-١٥٢٩م) وطبعت هذه الترجمة الأخيرة بعنوان :

Alpetragii arabi planetarum theorica phisicis rationibus probata nuperrime latines litteris mandata A calo Calonymos hebre noplitano[١] ,venezia,١٥٣[٢]

ومما ترجم من المؤلفات الفلكية «الزيج السلطاني» لأولغ بك (ت٨٥٣هـ/١٤٤٩م) ، وهو في أربع مقالات ، الأولى : في معرفة التاريخ ، وبها مقدمة وخمسة أبواب ، والثانية : في معرفة الأوقات والطالع ، وبها اثنان وعشرون باباً ، الثالثة : في معرفة سير الكواكب ومواضعها ، وهي ثلاثة عشر باباً ، الرابعة : في موافي الأعمال النجومية ، وهي على بابين . وقد ذكر عنه حاجي خليفة أنه : «من أحسن الزيجات وأقربها إلى الصحة»[٣] . وقد ترجمه إلى اللغة اللاتينية المستشرق : جون جريفز ، ونشره في لندن سنة (١٠٦١هـ/١٦٥٠م)[٤] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٨٤-٣٨٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٠٦ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٥ .

(٣) خليفة : كشف الظنون ، ٢/٩٦٦ .

(٤) العقيقي : المستشرقون ، ٢/٤١ .

ثانياً : العلوم الطبيعية :

أخذ المسلمون مبادئ علوم الطبيعة من اليونان بعد ترجمة كتبهم ، كأرسطو وأرخميدس وهيرون ، وطوروا نظرياتهم وأفكارهم في علم الميكانيكا .

وبينما كان اليونانيون يعتمدون كلياً على الأفكار الفلسفية المجردة والاستنباط العقلي نجد أن علماء المسلمين اعتمدوا على التجربة والاستقراء ، وتبنوا الطريقة العلمية في البحث والاستقصاء ، وطوروا ما ورثوه عن اليونان معتمدين على التجربة العلمية التطبيقية ، وقد أكسبت هذه الطريقة أعمالهم العلمية الوضوح ، ثم الانطلاق والإبداع في مختلف العلوم .

وقد استفاد علماء الطبيعة في العالم الإسلامي من كتب القدماء التي تتحدث عن هذا العلم مثل كتاب «الآثار العلوية» لأرسطو الذي كان مرجعاً أساسياً في الطبيعة عند اليونان ثم المسلمين حتى استطاع علماء المسلمين شرحه ثم نقده والتأليف عليه ، وقد تناول فيه علم البخار المضاعف الذي أخذه عن أسلافه وجعله أصلاً للكتاب[١] .

والكتاب نقل بترجمة جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) إلى اللاتينية عن النسخة العربية ليحيى البطريق ، ثم نقله إلى العبرية أيضاً صمويل بن طبون (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) مع شروح وتعليق وأتمه سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م)[٢] .

ثم ترجم شرح الكتاب لابن رشد على يد ميخائيل سكوت إلى اللاتينية ، وبقلم موسى بن طبون ، وقالونيموس إلى اللغة العبرية (إبان القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي)[٣] .

أما كتابه المعروف بـ«مسائل أرسطو في الطبيعة» فقد نقل هو الآخر إلى العبرية

---

(١) سزكين : تاريخ التراث ، ٧/٣٢٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٥ .

(٣) سزكين : تاريخ التراث ، ٧/٣٢٢ ؛ فخري : ابن رشد ، ١٣٩ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/١٩٠ .

بقلم موسى بن طبون عن النسخة التي نقلها إلى العربية حنين بن إسحاق ، وأتم الترجمة سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)[١] .

ولما شاء الله كتاب «الأمطار والرياح» الذي نقله إلى اللاتينية هوغو سنكتالا (إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) بعنوان : Espistola in pluviis et ventis[٢] .

وتعتبر مؤلفات الكندي (ت ق٤هـ/١٠م) رائدة في مجال العلوم الطبيعية ، فنقل بعضها إلى اللاتينية مثل «رسالة الكندي في البصريات القياسية الهندسية والفيزيائية» ، ترجمها جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وطبعت بعنوان :

De aspectibus et de umbris et diversitate aspecturm qui ent ote edite par Bjornbo et vogel ,Leipzig ١٩١١[٣].

أما رسالته الموسومة بـ«الكافية في الرطوبة والمطر» فقد نقلها إلى العبرية قالونيموس بن قالونيموس سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م) ، وهي أجود من الترجمة اللاتينية لنفس الرسالة ، والمحفوظة بعنوان : (De pluviis de imbribus) والتي طبعت في البندقية سنة (٩١٣هـ/١٥٠٧م) وفي باريس سنة (٩٤٧هـ/١٥٤٠م)[٤].

وقد عالج ابن سينا في موسوعته «الشفاء» مواضيع كثيرة عن الطبيعة ، منها : سرعة الضوء ، وتولد السحب ، وقال : إنها تتولد من الأبخرة الرطبة إذا تصعدت بالحرارة فوافقت الطبقة الباردة من الهواء ، كما تناول الثلج والظل والجليد ، والنيازك والبرق وغيرها[٥] .

وقد ترجمت موسوعته إلى عدَّة لغاتٍ وطبعت عدَّة طبعات .

---

(١) سزكين : تاريخ التراث ، ٣٢٣/٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٨/١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١١/١ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١١٥/١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥١ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٨٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٨/١ .

(٥) الشحري : العلوم والفنون ، ١١٣ .

ولعلنا نختم العلوم الطبيعية بأهم مؤلف ، وهو «كتاب المناظر» للحسن بن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، وكتابه المناظر بلا شك أضخم وأهم ما صنف في البصريات ، وقد نحا فيه مؤلفه نحواً جديداً كان يهدف منه إلى وضع هذا العلم على أسس جديدة ، فوفق فيه توفيقاً لم يسبق إليه ، وتضمن نظريات جديدة عن المرايا المستوية والمخروطية والأسطوانية والكروية والبيضاوية ، وفي الانحراف والانكسار والإنجبار ، والغرفة المظلمة وهو أول من استخدمها لرصد الخسوف ، وقال : إن الضوء خاصة جوهرية ذاتية لبعض الأجسام مثل الكواكب والنار والشموع والفحم المحترق ، وصفة عرضية في الأجسام المعتمة أو الشفافة التي تعكس ضوء الأجسام الأخرى ، وقال : إن الضوء ينبعث في خط مستقيم وفي كل الاتجاهات ، ونقد نظرية القدماء التي كانت تقول إن الشعاع ينبعث من العين ويتجه إلى الشيء ثم يرتد إلى العين ، واستبدل بها نظرية أخرى تقول أن الأجسام هي التي تبعث ضوءها الخاص أو المنعكس في كل اتجاه ، وما تتلقاه العين هو الذي يجعلها تبصر[١] .

والترجمة اللاتينية للكتاب لا يعرف تاريخ ومن قام بترجمتها ، والمحتمل أنها عملت في إسبانيا في مطلع القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، أو أواخر السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ؛ إذ جاء ذكرها لأول مرة في مقال : «المثلثات» لجوردنوس دي فيموري (٦١٧-٦٢٨هـ/١٢٢٠-١٢٣٠م) ، وكذلك يوجد للكتاب ترجمة إيطالية عن اللاتينية ترجع إلى القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[٢] .

وقد طبع الكتاب مع مؤلف آخر لابن الهيثم «كتاب الفجر والشفق» ترجمه جيرارد الكريموني ، ونشرت الطبعة في بال سنة (٩٨٠هـ/١٥٧٢م) بتحقيق فريد ريسنر ، ثم نشر كتاب المناظر في بال أيضاً سنة (٩٩٠هـ/١٥٨٢م) بعنوان :

---

(١) ابن الهيثم : كتاب المناظر ، ط١ ، تحقيق : عبدالحميد صبرة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م ، الكويت ، ٣٣-٣٤ .

(٢) ابن الهيثم : المناظر ، ٤٦ .

Opticae thesaurus libri septem nune primum edifi Alhazeni Arabis[١].

ثالثاً : الطب والصيدلة :

تطورت العلوم الطبية ومناهج دراستها في العالم الإسلامي في العصور الوسطى تطوراً هائلاً ، وذلك نتيجة طبيعية للمنهج العلمي الذي اتبعه الأطباء في أبحاثهم ودراساتهم الطبية ، تلك الدراسات التي ألغت الكثير من النظريات اليونانية القديمة ، وكشفت عن الكثير من الظواهر الطبية التي لم تكن معروفة من قبل ، وأصبح تعلم الطب مبنياً على العلم النظري ، والعملي في آن واحدٍ . وقد أنتجت هذه الدراسة كتباً طبية رائدة حلت محل كتب القدماء في تعليم الطب ودراسته[٢] ، وامتدت إلى أوروبا عبر الترجمة لتصبح هي المصدر المعتمد لتعليم هذا العلم في الجامعات الأوروبية حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي .

وما نقله المسلمون عن مؤلفات الأقدمين كان قد اصطبغ بالصبغة الإسلامية عن طريق الشرح والتعديل ، كما أنَّ كثيراً من هذه المؤلفات الطبية فقدت في لغتها الأصلية ولم تحفظ وتصل إلى أوروبا إلا عبر هذه الترجمة العربية لها ، ومن هذه المؤلفات : كتب جالينوس الطبية وشروحه على مؤلفات بقراط كالتالي :

١ - شرحه لكتاب بقراط بعنوان : «خواص الأهوية والمياه والبلدان» ، وهو ثلاث مقالات ، الأولى : يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة البلدان وما تولد من الأمراض البلدية ، والثانية : يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة المياه المشروبة وفصول السنة ، وما تولّد من الأمراض البلدية ، والثالثة : يعرف فيها كيفية ما يبقى من

---

(١) المصدر السابق ،٤٧ ؛ الحسن بن الهيثم رائد علم الضوء ، مجلة الدارة ، عدد تذكاري٤٣ ، السنة الثانية ، شوال ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م ، ٢٤١ .

(٢) مريزن عسيري : تعليم الطب في المشرق الإسلامي ، نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري ، معهد البحوث العلمية ، مكة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ٩٧ .

الأشياء التي تولد الأمراض البلدية كائنة ما كانت[١] .

وقد ترجم الكتاب مع شرحه لجالينوس إلى اللغة العربية على يد حنين بن إسحاق[٢] ، وهذا النقل هو الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية على يد ماركو الطليطلي (ت حوالي ٦٣١هـ/١٢٣٤م)[٣] ، أما ترجمة الكتاب العبرية فكانت إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي عندما بدأ بنقله ناثان المئوي ، لكنه لم يتمه بسبب وفاته ، فأنهى ترجمته ابنه سليمان سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م) ، وعلى الرغم من أنَّ هذه الترجمة العبرية ناقصة إلا أنها نقلت للمرة الثانية إلى اللغة اللاتينية على يد موسى ألاتينو (Moses Alatino)[٤] . وأقدم طبعة للنص اللاتيني للكتاب تعود إلى سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م)[٥] .

٢ - شرحه لكتاب بقراط المسمى «التدبير الصحي في الأمراض الحادَّة» وهو خمس مقالات ، ولم يترجم إلى اللغة العربية إلا ثلاث ، تضمنت : تدبير الغذاء ، والمداواة والفصد ، وتركيب الأدوية ، والاستحمام ، والذي نقله هو عيسى بن يحيى بن إبراهيم[٦]،[٧] ، ومن ثم ترجم نقله إلى اللغة اللاتينية على يد جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، والنص اللاتيني للكتاب وجد في طبعات الأطروحات (Articella)[٨] القديمة ، وعددها ستة (قبل سنة٨٨١هـ/١٤٧٦م)

---

(١) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ٥٤ .

(٢) النديم : الفهرست ، ٣٥١ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ٩٢/١ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٤٢/١ ؛ مصطفى لبيب عبدالغني : مصادر طبية يونانية مفقودة حفظتها الترجمات العربية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج(٦٤) ع٣ ، السنة ٢٠٠٤ ، ٧٦ .

(٥) سارتون : تاريخ العلم ، ٢٨٣/٢ .

(٦) انظر ترجمته في النديم : الفهرست ، ٣٤٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٧٧ .

(٧) النديم : الفهرست ، ٣٤٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٤ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١١٨/٤ .

(٨) (Articella) : هي عبارة عن مجموعة من الأطروحات الطبية في مجلد واحد ، واستخدمت أساساً للكتب المدرسية ودليل مرجعي بين القرنين ١٣ و١٦م في العصور الوسطى ، ووزعت عدة

حتى (٩٠٦هـ/١٥٠٠م)[١] .

٣ - شرحه لـ«تقدمة المعرفة» لبقراط أيضاً ، وهو ثلاث مقالات ، ضمنه تعريف العلامات التي يقف بها الطبيب على أحوال المرض في أزمانه الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل ، وقد ترجم حنين بن إسحاق النص الأصلي للكتاب إلى العربية ، بينما ترجم تفسير جالينوس عيسى بن يحيى[٢] ، ومن ثم نقلت الصيغ العربية للكتاب إلى اللغة اللاتينية بقلم قسطنطين الإفريقي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، ثم أعاد ترجمتها مرة أخرى جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)[٣] .

٤ – شرحه لكتاب الفصول لبقراط ، وهو يحوي سبع مقالات ، وضمنه تعريف جمل الطب لتكون قوانين في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من أعمال الطب ، وهو يحتوي على مجمل ما أودعه في سائر كتبه[٤] .

ونقل الكتاب إلى العربية على يد حنين بن إسحاق ، ثم نقله إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م)[٥] ، وكثرت شروح الكتاب على هاتين الترجمتين من العربية واللاتينية ، ومن ثم ترجمت الشروح جميعها إلى العبرية واللاتينية كذلك[٦] .

=

إصدارات منها ما بين طلاب الطب بين سنتي ٨٨١هـ/١٤٧٦م و٩٤١هـ/١٥٣٤م ، سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٢٦١ .

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٢٦١ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ جيرا : دراسة اللغة ، ٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ .

(٢) النديم : الفهرست ، ٣٤٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٤ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/١١٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٠ .

(٤) النديم : الفهرست ، ٣٤٩ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٤ .

(٥) النديم : الفهرست ، ٣٤٩ ؛ سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٣٠١ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢/١١٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٣ .

(٦) سارتون : تاريخ العلم ، ٢/٣٠٢-٣٠٣ .

٥ - مقالة لجالينوس في الرعشة والنافض والاختلاج والتشنج ، نقلها إلى اللاتينية أرنولد فيلانوفا (ت حوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م) من نسخة حبيش بن الحسن المنقولة إلى العربية[١] .

٦ – كتاب جالينوس في التجربة الطبية ، وهو مقالة واحدة ، نقله إلى اللاتينية فرج بن سالم (النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) ، وذلك نقلاً عن ترجمة حنين بن إسحاق للكتاب من اليونانية إلى السريانية ، ثم نقل حبيش بن الحسن له من اللغة الأخيرة إلى العربية[٢] .

٧ – كتب جالينوس الستة عشر ، وهي المعروفة بـ«جامع الكتابات» الاسكندرانية التي اعتبرت أساساً للدراسات الطبية ، وقد جمعت فيما يبدو وفي وقت مبكر يرجع إلى العصر الاسكندري ، وقسمها أطباء الإسكندرية في سبع مراتب ، المرتبة الأولى : أربعة كتب ، وجعلت بمثابة المدخل إلى الطب ، هي : كتاب الفرق ، كتاب الصناعة الصغير ، كتاب النبض الصغير ، الكتاب المسمى بأغلوقن ، المرتبة الثانية : أربعة كتب ، يستفاد منها في الأمور الطبيعية ، وهي : كتاب الأسطقسات ، كتاب المزاج ، كتاب القوى الطبيعية ، كتاب التشريح الصغير ، المرتبة الثالثة : كتاب واحد وهو كتاب العلل والأمراض ، ويستفاد منه في معرفة الأمراض وأعراضها . المرتبة الرابعة : كتابان ، هما : التعرف على علل الأعضاء الباطنة ، النبض الكبير ، المرتبة الخامسة : ثلاث كتب ، هي : الحميات ، البحران ، أيام البحران ، المرتبة السادسة ، كتاب واحد ، وهو : حيلة البرء ، المرتبة السابعة : كتاب واحد ، وهو : تدبير الأصحاء[٣] .

وقد نقلت هذه الكتب إلى اللغة العربية على يد حنين بن إسحاق وتلميذه

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص١٤٢ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١١٨/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٦ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ،١٤٦ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١١٨/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٠ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة الطبية ، ٨٧ .

(٣) النديم : الفهرست ، ٣٥١ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ١٣٦-١٣٧ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ٩٠/٣ .

حبيش بن الحسن ، ومن ثم ترجمت إلى اللغة العبرية بقلم سمسون بن سليمان (النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، ولكن هذه الترجمة نسبت خطأً إلى قالونيموس بن قالونيموس[١] .

ومن أهم المؤلفات الطبية أيضاً المنقولة إلى اللاتينية كتب يعقوب بن إسحاق الكندي ، وفي مقدمتها رسالة عن الأدوية المركبة أو اختيارات أبي يوسف الكندي للأدوية المجربة ، وهي الأقرباذين ، وقد أخذ عنها الرازي في كتابه الحاوي ، وتُعد هذه الرسالة أول محاولة لتقدير الأدوية المركبة على أساس رياضي .

والنظرية التي يذهب إليها الكندي في هذا التقدير أن وزن الدواء يتناسب هندسياً مع تأثيره على البدن[٢] .

وترجمت الرسالة إلى اللاتينية من قبل جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ، ويقال إن الذي ترجمها هو أرنولد فيلا نوفا (ت حوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م) ، ولا يمنع أن تكون الرسالة ترجمت من قبل الاثنين كل على حده ، وطبعت في سنة (٩٣٨هـ/١٥٣١م) بعنوان :

De medicinarum compositarum gradibus investigandis libellus, Argentorati ١٥٣١.[٣]

أما كتابه في قدر منفعة صناعة الطب فنقله هو الآخر جيرارد الكريموني (٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وطبع مع ترجمة لاتينية لكتاب تقويم الصحة لابن بطلان في ستراسبورج سنة (٩٣٨هـ/١٥٣١م)[٤] .

وإذا ما أتينا إلى مؤلفات يوحنا بن ماسويه (ت٢٤٣هـ/٨٥٧م)[٥] نجد أنها

---

(١) النديم : الفهرست ، ٣٥١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٦٠ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٩١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٣٥ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ١٣٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٣٥ .

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٩١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ .

(٥) يوحنا بن ماسويه : أبوزكريا ، طبيباً ، عالماً بالطب سرياني الأصل ، نشأ ببغداد ، وكان نصراني الديانة ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٤٦ .

كثيرة ومتنوعة ، وقد نقلت مؤلفاته الطبية منها : نوادر الطب ، ألفه لحنين بن إسحاق ، وترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وطبع في بولونيا سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) بعنوان : (Apharismi Johnnis Damasconi) سنة (٨٩٥هـ/١٤٨١م) ، ومع كتاب المنصوري في الطب للرازي طبعات متعددة منها طبعة البندقية (٨٨٩هـ/١٤٨٤م) ، و(٨٩٨هـ/١٤٩٢م) ، و(٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، وطبعة ليدن (٩١١هـ/١٥٠٥م)[١] .

كما ترجم كتابه في الحميات إلى اللغة العبرية عن ترجمة لاتينية بقلم بطرس الإسباني ، وطبع في البندقية سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٣م) بعنوان :

De Febribus aus ciner lat uebers .mit cmt.des patrus Hispa –mus,hebr.

له أيضاً (الكناش) ، قام بترجمته جيرارد الكريموني إلى اللاتينية وطبع في البندقية سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)[٢] . وقد نقلت المؤلفات الطبية الخاصة بحنين بن إسحاق (ت٢٦٠هـ/٨٧٥م) منها : كتاب العشر مقالات في العين ، وهو أقدم كتاب مؤلف على الطريقة العلمية في طب العيون . والذي تناول طبيعة العين وتركيبها ، وطبيعة الدماغ ومنافعه ، والعصب والإبصار كيف يكون ، وفي جمل الأشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها ، وأسباب الأعراض الكائنة في العين ، وعلامات الأمراض التي تحدث في العين ، وقوى جميع الأدوية عامة ، وأجناس الأدوية للعين وأنواعها ، ومداواة أمراض العين ، والأدوية المركبة الموافقة لعلل العين[٣] .

وقد نقل الكتاب إلى اللغة اللاتينية مرتين : الأولى على يد قسطنطين الأفريقي الذي نسبه لنفسه ، وطبعت تسع مقالات منه ضمن : «كليات إسحاق الإسرائيلي»

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٥٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢٦٥/٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٣٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٢٥٥ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٢٦٥/٤ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٣٧ .

(٣) حنين بن إسحاق (ت٢٦٠هـ/٤٧٣م) : كتاب العشر مقالات في العين ، ط١ ، تحقيق : ماكس ماير هوف ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢٨م ، ٧ .

سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) ، تحت عنوان : «كتاب قسطنطين الأفريقي في العين» ، Liber de oculis constantini AFricani[(١)] .

أمَّا الثانية فقد أنجزها مترجم يوناني من صقلية يدعى ديمتريوس ، الذي نسب الكتاب خطأً إلى جالينوس ، وطبع تحت عنوان : «كتاب جالينوس في العين» ، Galeni liber de oculis Translatus a Demettrio في البندقية في الجزء الثامن من مجموعة جالينوس المطبوعة بتسعة أجزاء سنة (٩٤٨هـ/١٥٤١م) ، و(٩٥٢هـ /١٥٤٥م)[(٢)] .

أما كتابه المدخل إلى صناعة الطب ، أو مسائل في الطب للمتعلمين فهو من كتبه التي لقيت انتشاراً كبيراً في العالم الإسلامي ، وقد نقله مارك الطليطلي إلى اللغة اللاتينية في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، ثم ترجمه أيضاً روفينو للاتينية في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وقد طبعت ترجمته بعنوان : Isagage Johannitii in Tegni Galeni في البندقية سنة (٨٩٣هـ/١٤٨٧م) ، وفي ليبزج سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ، ثم طبعت طبعات أخرى[(٣)] .

وترجم له أيضاً رسالة في البول نقلها إبراهيم بن شم طوب إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وربما كان النقل من العربية إلى العبرية ، ونشرت في نورنبرج سنة (٩٤٤هـ/١٥٣٧م)[(٤)] .

أما قسطا بن لوقا البعلبكي (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) فترجم من مؤلفاته كتاب

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ١٢٣/٣ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ١٢٢٦/٣ ؛

jourdain:recherches sur les anciemmes latines aristote,٩٦ , leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٣٦

(٢) ابن إسحاق : العشر مقالات ، مقدمة المحقق ، ٣-٤ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ١٠٥/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ١٤١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٣٨ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ١٢٥٢/٣ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٥٤/١ .

تدبير الأبدان الذي ألفه أساساً لأحد الوزراء وهو الحسن بن مخلد ، وقد نقله إلى اللاتينية ستيفن آرنولد إبان القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي[١] .

كذلك نقلت مقالة في المالينخوليا لإسحاق بن عمران (ت٢٩٤هـ/٩٠٦م)[٢] ، وهي مقالة مبنية على التجارب الشخصية ومشاهداته ودراساته على المرضى إضافة لما كتبه سابقوه ، وهو قيم في بابه ، وقد نقله إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، ونسبه لنفسه باسم «كتاب قسطنطين في المالينخوليا»[٣] .

ومن أشهر الكتب الطبية مؤلفات أبي بكر الرازي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) ، ويأتي في مقدمتها كتاب «الحاوي» ، وهو دائرة معارف طبية كبرى ، وتعد من أوسع كتب الرازي على الإطلاق ، يقول عنه ابن أبي أصيبعة : «هو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب ؛ وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ، ومن أتى بعدهم إلى زمانه ، ونسب كل شيء نقله فيه إلى قائله»[٤] .

هذا مع أن الرازي توفي ولم يفسح له الأجل أن يحرر هذا الكتاب ، إلا أنه لأهميته حرر بعد وفاته ، ومن ثم ترجم إلى اللاتينية ، وكان أول نقل له على يد فرج بن سالم الذي أتمه سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) بأمر من شارل آنجو ، وألحق بالترجمة معجماً طبياً ، ونشرت هذه الترجمة باسم : (liber Eihavi) في بريشا سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م) ، ونشرت له ترجمة لاتينية أخرى باسم : (Continens Rasis) في البندقية سنة (٩٤٩هـ/١٥٤٢م) ، وطبع في البندقية أيضاً في السنوات :

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٣٣٠ ؛ بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٩٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٩ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٥٥ .

(٢) إسحاق بن عمران : طبيب مشهور ويعرف باسم ساعة ، بغدادي الأصل ، ثم دخل أفريقية ، واستوطن القيروتن ، وألف عدة مؤلفات ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٧٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٧٩ ؛ ابن ميلاد : الطب العربي التونسي ، ٣٣-٣٤ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤١ .

(٤) عيون الأنباء ، ٤٢١ .

(٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، (٩١٢هـ/١٥٠٦م) ، (٩١٥هـ/١٥٠٩م) ، وهذا يعني أنه طبع حتى سنة (٩٤٩هـ/١٥٤٢م) خمس طبعات إضافة لطبع أجزاء منه كثيرة منفصلة[١] .

أما كتابه «المنصوري»[٢] الذي كان هو الآخر يتناول علم الطب ولكنه تحرى فيه الاختصار والإيجاز مع جمعه لجمل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علمها وعملها ، وهو عشر مقالات : المقالة الأولى في المدخل إلى الطب ، وفي شكل الأعضاء وخلقها ، والمقالة الثانية : في تعرف مزاج الأبدان وهيأتها ، والأخلاط الغالبة عليها ، واستدلالات وجيزة جامعة من الفراسة ، المقالة الثالثة : في قوى الأغذية والأدوية ، المقالة الرابعة : في حفظ الصحة ، المقالة الخامسة : في الزينة ، المقالة السادسة : في تدبير المسافرين ، المقالة السابعة : جمل وجوامع في صناعة الجبر والجراحات والقروح ، المقالة الثامنة : في السموم والهوام ، المقالة التاسعة : في الأمراض الحادثة من القرن إلى القدم ، والمقالة العاشرة : في الحميات وما يتبع ذلك مما يحتاج معرفته في تحديد علاجها[٣] .

وقد ترجم الكتاب لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بقلم جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) بعنوان : (Liber ad Almansurem) ، وطبعت هذه الترجمة في ميلانو سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) ، وفي البندقية سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) وليون سنة (٩٢٧هـ/١٥٢٠م) وبازل سنة (٩٥١هـ/١٥٤٤م) ، كذلك قام بترجمته إلى اللغة العبرية شم طوب بن إسحاق سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)[٤] .

وطبعت الترجمة اللاتينية للمقالة التاسعة بالبندقية في السنوات : (٨٨٨هـ

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ١٧٥ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ١٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ .

(٢) سمي الكتاب بهذا الاسم «المنصوري» ؛ لأنَّ الرازي ألفه للأمير منصور بن إسحاق بن إسماعيل صاحب خراسان (ت٣٦٦هـ/٩٧٦م) ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٢٣-٤٢٤ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٥ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري : ١/٥٠٠ .

/١٤٨٣م) ، و(٨٩٦هـ/١٤٩٠م) ، و(٨٩٩هـ/١٤٩٣م) ، و(٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ، وفي بادوا سنة (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) . وشرحه أندريا فيساليوس(١) ، ونشره عام (٩٤٤هـ/١٥٣٧م)(٢) .

بالإضافة إلى ذلك نجد أن كتابه «الجدري والحصبة» الذي جاء في أربعة عشر فصلاً تحدث من خلالها عن أسباب المرض ، وأوقاته ، والعلامات الدالة عليه ، مع ذكر أعراضه ، وطرق الاحتراس منه ، والعوامل المساعدة على انتشاره ، والعناية بالبدن ونحوه ، وفيما يعجل باشتداد المرض ، وطرق العلاج والغذاء المأخوذة تجاهه ونحو ذلك(٣) .

وكانت ترجمة الكتاب إلى اللغة اللاتينية بواسطة فالا (القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي) ، ونشرت بالبندقية تحت عنوان : De varioiset et morribillis ou de peste وطبعت هذه الترجمة نحو أربعين مرة بين سنتي (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) و(١٢٨٣هـ/١٨٦٦م) ، منها على سبيل المثال : البندقية (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) ، وبازل سنة (٩٣٦هـ/١٥٢٩م) ، وستراسبورج سنة (٩٥٦هـ/١٥٤٩م) ، ولندن (١١٦٠هـ/١٧٤٧م) ، وغيرها(٤) .

أما كتابه «الفصول في الطب ، أو المرشد» والذي يعد بمثابة مقدمة طبية مبنية على التجربة فقد ترجم إلى اللغة اللاتينية بقلم موسيس بوتون تحت عنوان (Aphorismi Rasis) طبع في ليدن سنة (٨٩٥هـ/١٤٨٩م) ، وترجم إلى العبرية كذلك(٥) ، وله رسالة في «تدبير الصبيان» ، ترجمت إلى اللاتينية من قبل سومون ،

---

(١) أندريا فيساليوس : طبيب اشتهر بعلم التشريح (٩٢٠-٩٧٢هـ/١٥١٤-١٥٦٤م) . قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٣ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٣ .

(٣) الرازي : محمد بن زكريا (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) : كتاب في الجدري والحصبة ، المدرسة الكلية السورية الإنجيلية ، بيروت ، ١٨٧٢م ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٧ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٤ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٥ .

وطبعت باللاتينية لأول مرة سنة (٨٨٦هـ/١٤٨١م) بعد ذلك طبعت مرات عديدة ، وعلى الأغلب كانت تلحق بكتاب المنصوري للرازي أو فصول الطب لابن الهيثم[١] .

وله مقالة «الحمى المتولد في الكلى والمثانة» : ترجمت إلى اللاتينية ، وطبعت في باتافيا سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م)[٢] ، وكتاب «أقرباذين» : ترجمه إبراهيم اليهودي إلى اللاتينية سنة (٧٥٠هـ/١٣٤٩م) ، كما ترجمه إلى العبرية موسى بن طبون سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)[٣] . أما كتابه «تقسيم العلل ، أو التقسيم والتشجير» فقد نقله إلى اللاتينية جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) تحت عنوان : Antidotarium divisito morborum introductio in medicam opporismi medici ونقله أيضاً إلى العبرية موسى بن طبون ، وأتم الترجمة سنة (٦٨٢هـ/١٢٨٣م)[٤] .

أما كتابه «المدخل إلى الطب» فقد نقله إلى اللغة اللاتينية جيرارد الكريموني أيضاً ، وهو يؤلف القسم الثاني عشر من الحاوي ، وترجمه تحت عنوان : Liber introduce Torus in medicina a parvus[٥] .

ومما نقل من المؤلفات الطبية كتب أحمد بن الجزار (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م) ، وفي مقدمتها كتاب «زاد المسافر» ، وهو مختصر جمع فيه فوائد في علم الطب ، يتكون من جزأين وسبع مقالات ، ويشمل الأمراض من الرأس إلى القدم[٦] . وأول ترجمة للكتاب كانت على يد قسطنطين الأفريقي (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م) إلى اللغة اللاتينية

---

(١) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٦ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٨٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٦ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٨ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٢٧٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٣٨ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٧ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٨ .

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٨٢ ؛ ابن ميلاد : الطب العربي التونسي ، ٥٥ .

بعنوان : Viaticunm Peregrinatis وعمد المترجم -لإخفاء انتحاله- إلى تلخيص النص في مواضع كثيرة من عمله ، وحذف أسماء العلماء العرب الذين اعتمدهم ابن الجزار . وقد انتبه عدد من الباحثين الأوروبيين -منذ القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي إلى أمر انتحاله ، ولكنهم لم يتفقوا على نسبة الكتاب إلى صاحبه الأصلي ؛ لأن منهم من نسبه إلى إسحاق الإسرائيلي (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م) فلقيت هذه الترجمة كثيراً من التبديل[١] .

كما ترجم زاد المسافر إلى اللغة العبرية من العربية رأساً بقلم موسى بن طبون ، وأتمه سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)[٢] .

أما كتابه «الاعتماد في الأدوية المفردة» ذكر فيه أنواع الأدوية التي يمكن الاعتماد عليها ، ونقله إلى اللاتينية اصطفان السرقسطي إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، كما ترجمه إلى العبرية أيضاً موسى بن طبون[٣] .

ويعتبر كتاب «كامل الصناعة الطبية» أو ما عرف عند اللاتين باسم «الكتاب الملكي» (liber Regius) لمؤلفه علي بن العباس (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ، وهو أيضاً المسمى باللاتينية (Haly Abbas) ، من أهم المؤلفات الطبية ، وكان المرجع الأول في الطب إلى أن حلَّ محله كتاب «القانون» لابن سينا ، وقد جاء هذا المؤلف في عشرين مقالة ، العشر الأولى احتوت على النظريات الطبية ، أما العشر الأواخر فاحتوت على الشرح العملي بالطب ، وأتمه سنة (٣٦٩هـ/٩٨٠م)[٤] .

وأول نقل للكتاب كان على يد قسطنطين الإفريقي سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، الذي نقل منه الجزء النظري ، ونشره باسمه ، أما الترجمة الثانية فكانت بعد أربعين سنة من النقل الأول ، وقام بها ستيفن الأنطاكي سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) ، وكانت

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ٢٩٧ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ ابن ميلاد : الطب العربي التونسي ، ٥٨ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٩ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١٢٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٣٨ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ٢٩٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨ ؛ ابن ميلاد : الطب العربي التونسي ، ٧١ .

(٤) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ٢٩١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٩ .

للكتاب كاملاً ، ونسبه إلى مؤلفه الأصلي ، وطبعت ترجمته في البندقية سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) بعنوان : (Liber regalis dispositio nominatus) ، وفي ليون سنة (٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، مع تعليقات ميشيل دي كابيلا (Mechael de capella) ، أما ترجمة قسطنطين فقد نشرت سنة (٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م)[١] .

ولأبي القاسم عمار بن علي الموصلي(كان حياً ٣٨٦هـ/٩٩٦م) المعروف عند اللاتين باسم (Cana Mosali) كتاب «المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد» ، ذكر فيه عدة وصفات لأمراض العين ، وطرق علاجها ، وقد نقل هذا المؤلف إلى العبرية أولاً بقلم ناثان المئوي ، وأتمه في روما خصيصاً الطبيب مسترجيو إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي[٢] .

ونقله أيضاً داود هرمانوس (David Hermanus) إلى اللغة اللاتينية في سنة غير معلومة[٣] .

وكان للطبيب ماسويه الماريديني –الثالث- (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م) والمعروف عند الغربيين بـ(Mesue Iunior) عدة مؤلفات في الطب نقلت بواسطة الترجمة ، منها : كتاب المبادئ العامة والخاصة للطب ، وكان في مقدمة الكتب المترجمة ، وقد طبع في البندقية سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) باسم : (De Medicinis Loxativis antidotaium sive gabraddin medicammum compositum)[٤] . أما كتابه «جراحة ماسويه» والذي فقد نصه العربي وبقي في ترجمتين : إحداهما لاتينية ، قام بها فرج بن سالم ، بعنوان : (Cyrurgia joannis mesue) ، والترجمة الثانية كانت إلى اللغة العبرية بقلم يعقوب اللاوي سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) ، ونشرت في برلين سنة

---

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/ ٢٩٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٢٤٣ ، ٤٣٢ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ٣/ ١٢٣ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي في الغرب ، ٣/ ١٢٢٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٧٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٤٢ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٤٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٠ .

(٤) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥١ .

(١٣١١هـ/١٨٩٣م)[١] .

وكان أبوالقاسم الزهراوي (ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) من أشهر الأطباء على الإطلاق ، وقد عرف في الغرب باسم (Abulcassis) ، ومما زاد من شهرته هو مؤلفه الموسوم بـ«التصريف لمن عجز عن التأليف» ، الذي جعله في ثلاثين مقالة ، تناول فيها كثيراً من صور العلاج الطبي وأوصاف الأدوية المختلفة والأغذية والأشربة الممنوعة ، وأما مقالته الثلاثون فتحدث فيها عن الجراحة وقسمها إلى ثلاثة أبواب :

- الباب الأول : في الكي بالنار والكي بالداوة ، مرتب من القرن إلى القدم وصور آلات حديد الكي وكلما يحتاج إليه .

- الباب الثاني : في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحة وإخراج السهام مبوب ومرتب ، وصور آلاته في سبعة وتسعين فصلاً .

- الباب الثالث : في الجبر والخلع وعلاج الكسر مبوب ومرتب من القرن إلى القدم ، وصور آلاته في خمسة وثلاثين فصلاً[٢] .

ومما زاد الكتاب أهمية ما زود به من صور الآلات الجراحية ، وأوضحها بالرسوم على مائتي آلة جراحية هو مبتكرها ، تناولت جراحة الحصاة ، والتشريح ، وجراحة الفم ، والقصبة الهوائية ، وربط الشرايين ، وكيفية تخييط الجروح بشكل داخلي لا يترك أثراً والتدريز المثمن لجراحات البطن ، واستخدام إبرتين في خيط واحد ، واستخدام الخيوط المستمدة من أمعاء القطط في جراحات الأمعاء ، وغيرها[٣] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٢١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ ؛ عنتابي : مدرسة طليطلة ، ٨٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥١ .

(٢) أبوالقاسم الزهراوي : (ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) : الجراحة ، وهي المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف ، تحقيق : عبدالعزيز الناصر ، وعلي التويجري ، ط٢ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ٥٥-٥٧ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس ، ٣٣٠-٣٣٤ .

(٣) لوبون : حضارة العرب ، ٤٩٠ ؛ مونكة : شمس العرب ، ٢٧٨ ؛ ريسلر : الحضارة العربية =

ويعدُّ مؤلَّفه هذا بمثابة حجر الأساس للجراحة في أوروبا ، بعد نقله إلى عـدة لغات ، وأول ترجمة له كانت إلى اللغة اللاتينيـة عـلى يـد جـيرارد الكريمـوني سـنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) ، ونقل منه القسم الجراحي ، وطبعت ترجمته بعنوان :

Liber theoricae nec non practicae ALsaharavii,qui vulgo Acararius dicitur,Aug vindel.١٥١٩[1]

ثم ظهر القسم الخاص بالصيدلة بترجمـة سـيمون الجنـوي وإبـراهيم بـن شـم طوب إلى اللغة اللاتينية أيضاً سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) في البندقية بعنوان :

Liber servitoris sive liber XXVIII Bulchasin Benberacerin

وهناك من يشك كثيراً في أنَّ هذه الترجمة فعلاً قسم من الكتاب[٢] .

ثم توالت بعد ذلك الترجمات اللاتينية للكتاب ، منها : ترجمة لاتينية بعنوان : (جراحـة أبي القاسـم Chyrurgia Abulcasis) ضـمن كتـاب لجـي دي شـولياك (٧٧٠هـ/١٣٦٨م) ، تناول فيه استشهادات من أبي القاسم عددها الـبعض بـأكثر من مائتين ، وطبع الكتاب بالبندقية سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ، كـما طبـع القـسم الخاص عن أمراض النساء سنة (٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ، ثـم توالـت طبعاتـه بلغـات متعددة[٣] .

ويذكر فريد سامي حداد بأنه يوجد سبع وعشرون مخطوطة في اللغـة اللاتينيـة من أقسام التصريف ، ست منها في إنجلترا ، وخمس في كـل مـن إيطاليـا وألمانيـا ، وأربع في النمسا ، ونسختان في كـل مـن الفاتيكـان وفرنـسا والولايـات المتحـدة ،

=

٢٠٧-٢٠٨ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٣٦ .

(١) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٣٠٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٥ ؛ لوبون : حـضارة العـرب ، ٤٩٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٣ .

(٢) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٣٠٣ ؛ ميلي : العلم عنـد العـرب ، ٣٥٥ ؛ مـايرز : الفكـر العـربي ، ١٠٨ ؛ leclerc:histoire de la medicine arabe,II٤٢٩ .

(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٤/٣٠٢-٣٠٣ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٥ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٣ .

وهناك نسخة في بودابست[١] .

أما إلى اللغة العبرية فقد نقل الكتاب شم طوب بن إسحاق الذي نقل الكتاب وأتم ترجمته بمرسيليا سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ، أي بعد أربع سنوات من البدء في العمل ، وأعطى الكتاب العنوان العبري التالي : (Sefer ha -shimmush) ، ثم عدَّله سنة (٦٦٠هـ/١٢٥٨م) ، وترجم بحرية ، كما قدَّم له بفصول عن العناصر الأربعة ، أما الترجمة العبرية الثانية فكانت على يد ناثان المئوي الذي ورد أنه نقل جزءاً من الكتاب بعنوان «رسالة في التشريح والتوليد لأبي القاسم»[٢] .

وممن لهم مساهمات كبيرة في علم الطب ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) الذي ترجمت معظم مؤلفاته الطبية منذ وقت مبكر ، يأتي في مقدمتها كتابه «القانون في الطب» الذي قسمه إلى خمسة كتب : الكتاب الأول في الأمور الكلية في علم الطب ، والكتاب الثاني : في الأدوية المفردة ، والكتاب الثالث : في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان ، والكتاب الرابع في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت لم تختص بعضو وفي الزينة ، والكتاب الخامس في تركيب الأدوية وهو الأقراباذين[٣] .

وكانت أول ترجمة للكتاب إلى اللغة اللاتينية على يد جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وطبعت طبعات متعددة في عدة مدن أوروبية من سنة (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) إلى (١٠١٧هـ/١٦٠٨م) ، ثم أعاد الطبيب أندريا الباغو (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ترجمة الكتاب من الأصل العربي مباشرة إلى اللاتينية أيضاً ، وطبع في البندقية سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ، ثم أعيد طبعه عدة مرات[٤] .

---

(١) الزهراوي : الجراحة ، ٦٠ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ،٤٧٣-٤٧٤ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٢/١٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١ ، ١٢٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٩٥/١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١٣٩/١ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٥٠٠/١ .

(٣) ابن سينا : القانون في الطب ، ٢٧/١-٢٨ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٤ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ١٢٤/٣ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٢٥٢/٢ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١١٦ ، Dunlop:Arab civilization to

كما نقل الكتاب إلى اللغة العبرية على يد كلٍ من : زرحيا جراسان (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) الذي نقل الكتابين الأولين منه سنة (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) بروما . ثم نقله أيضاً نقلاً متعاصراً مع هذا التاريخ ناثان المئوي أواخر القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ثم عدلت ترجمته قبل سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) على يد يوسف اللورقي ، وطبعت هذه الترجمة سنة (٨٩٧هـ/١٤٩١م)[١] .

وقد لخص ابن سينا قانونه في قالب شعري فألف «الأرجوزة في الطب» ، وهي تشمل ما بين ١٣٢٦ إلى ١٣٣٤ بيتاً ، تناولت جزأين : نظري وعملي ، وأول نقل لها كان إلى اللغة العبرية سنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م) بقلم سليمان بن أيوب ، ثم نقلت للمرة الثانية إلى العبرية أيضاً على يد موسى بن طبون في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وكانت هذه المرة مع شرح ابن رشد عليها[٢] .

وإلى اللغة اللاتينية تم نقل الأرجوزة سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م) على يد أرمانغو بليس الذي ترجمها مع شرحها لابن رشد أيضاً ، والغالب أنه نقلها عن الترجمة العبرية لموسى بن طبون ، ثم أعاد ترجمته هذه أندريا الباغو (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ، وطبعت ما بين سنتي (٩٠٣-٩٠٦هـ/١٤٩٧-١٥٠٠م)[٣] .

أما كتاب «الأدوية القلبية» لابن سينا أيضاً فيحوي خمس مقالات ، بدأه بفصل عن الروح والقوى النفسانية والجسد والأعضاء والأخلاط ، ثم عقد فصلاً عن الفرح والغم والخوف والغضب وسبب ذلك . ثم الأدوية التي تدخل في أدوية =

A.b>١٥٠٠,١٩٢

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤٠ ، ١٧٤ .

(٢) قنواتي : تاريخ الصيدلة والعقاقير في العصر القديم والعصر الوسيط ، ط٢ ، مطبعة الأوراق الشرقية ، بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ١٧٥ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٢٠ ؛ أوليري : الفكر العربي ، ٢٧٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢١-١٢٤ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/٤٩٧ ، ٤٩٩ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ .

القلب ، ثم الأدوية القلبية المفردة منها ، ثم المركبة مرتبة على حروف المعجم . ثم الأدوية المختصة بالإنسان المجربة ، ثم الاستفراغات[١] .

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة اللاتينية على يد أرنولدفيلانوفا (ت حوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م) ، ثم ترجمه أندريا الباغو (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ، وطبع في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي[٢] .

ولأبي الحسن بن بطلان (ت٤٥٨هـ/١٠٦٦م)[٣] كتاب في الطب اسمه «تقويم الصحة بالأسباب الستة» ، تناول فيه أنواع الأطعمة المختلفة من الفواكه واللحوم والبقول والحبوب والسوائل والحلويات ، وآثارها على الجسم ، وكيف أن بعضها يسبب الأمراض والالتهابات ، ومدى تأثير الأكل على الإنسان ، ولزوم تنوعه بتنوع الفصول وتأثير ذلك على الصحة ، ذاكراً كيف يمكن للإنسان تحديد أنواع وكميات طعامه للاستفادة منه في تقويم صحته بدلاً من الأدوية ، ويختم كتابه عن الرياضة البدنية وأثرها في تكوين الجسم الصحيح ، ومكافحة الأمراض[٤] .

وقد اتبع المؤلف في كتابه هذا منهجاً طريفاً أشبه ما يكون بالطريقة الحديثة في العروض والتعليم ، حيث نهج طريقة خاصة في عرض النظريات الطبية ، وفي وصف العلاج ، وفي تنظيم جداول إجمالية للأدوية ، توضح مواعيد الاستعمال العملي ، ولقد لقيت هذه الطريقة نجاحاً كبيراً حتى صارت نموذجاً متبعاً لمنهج التأليف الطبي[٥] .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٥٧ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٤ .

(٣) أبوالحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان البغدادي ، طبيب نصراني من أهل العراق ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٣٢٥ .

(٤) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ط١ ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، مكة المكرمة ، ٤٩٢-٤٩٣ .

(٥) عمر رضا كحالة : العلوم البحتة في العصور الإسلامية ، ط١ ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٧٢م ، ٢٥ .

وقـام بنقـل الكتـاب إلى اللغـة اللاتينيـة جـيرارد الكريمـوني (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ، ثم ترجم في عصر النهضة ترجمة لاتينية أيـضاً نـشرت سـنة (٩٣٨هـ/ ١٥٣١م) في مدينة ستراسبورج بعنوان : Takuini sanitatis Elluchasem medico de Baldath[1]

أمَّا كتاب «تقويم الأبـدان في تـدبير الإنـسان» ليحيـى بـن عيـسى بـن جزلـة (ت٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م) فقد نهج فيه مسلك ابن بطلان في كتابه السالف ، فقسمه إلى جداول عامة ، تشمل شرحاً وافياً لكل نوع من الأمراض التي يتعـرض لهـا ، وهـو يستعرض أنواع الأوبئة والأمراض وأوقات ظهورها ، ثم البلدان التي ينتـشر فيهـا المرض ، وطرق تشخيصها ثم كيفية علاجها[2] ، وترجم الكتاب إلى اللغة اللاتينيـة بقلم فرج بن سالم سنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) ، وطبعت هذه الترجمـة في ستراسـبورج سنة (٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م)[3] .

ولكتاب «تذكرة الكحالين» لعلي بن عيسى (ت ق٥هـ/ ١١م) والـذي عـرف لدى اللاتين باسم (Jesu Haly) أهمية عظيمة ؛ لأنه يعتبر أحـسن كتـاب صـنف في طب العيون وأمراضها ، وهو يتألف من ثلاث مقالات :

- المقالة الأولى : خاصـة بتـشريح العـين وتركيبهـا ووظائفهـا ، وبهـا واحـدٌ وعشرون فصلاً .

- المقالة الثانية : مخصصة لأمراض العين التي يـستطيع الطبيـب مـشاهدتها ، وبها أربعة وعشرون فصلاً .

- المقالة الثالثـة : مخـصـصة لأمـراض العـين الخفيـة ، وبهـا سـبعة وعـشرون فصلاً ، وفي آخر هذه المقالة الأخيرة ذكر المؤلف الأدوية المفردة التي تفيد في عـلاج

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٥٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٧٩ ؛ قاسم : انتقال الطب العـربي ، ١٥٦ .

(٢) عسيري : الحياة العلمية ، ٤٩٤ .

(٣) حتي : تاريخ العرب ، ٣٥١ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١/ ٧٦ ؛ قاسـم : انتقـال الطـب العـربي ، ١٥٦ .

أمراض العين مرتبة وفقاً لحروف الهجاء ، ذكر منها مائة وثلاثة وأربعين عقاراً ، لمعالجة مائة وثلاثين مرضاً من أمراض العين[١] .

والكتاب نقل إلى اللاتينية مرتين : إحداهما في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وقام بها دومينيكوس ماروشينوس المرسي (Dominicus Marrochinus Al-murcie) ، والثانية في العصر الحديث قام بها المستشرق هل مع نشر الكتاب سنة (١٢٦١هـ/١٨٤٥م) ، كما أنه نقل إلى اللغة العبرية[٢] .

ولأبي الحسن علي بن رضوان (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) كتاب شرح الصناعة لجالينوس ، نقله إلى اللاتينية جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، وطبعت هذه الترجمة سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ، كما نقله إلى العبرية صمويل بن طبون بعنوان : «الفن الصغير» ، وأتمه سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م)[٣] ، وله أيضاً كتاب «العماد في أصول الطب» جاء في أربع مقالات ، وترجمه إلى العبرية قالونيموس بن قالونيموس الذي أتم ترجمته الأولى سنة (٧٠٦هـ/١٣٠٦م) ، ثم فقدت فأعاد ترجمته مرة ثانية وأتمها سنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م)[٤] .

أما عبدالرحمن بن وافد -(كان حياً ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) وعرف عند اللاتين بـ(Eben Guefith)- فله كتاب في غاية الأهمية اسمه «الأدوية المفردة» ، ضمَّ فيه ما قاله القدماء عن الأدوية إضافة إلى ما توصل إليه هو ، واستغرق في تأليفه عشرين سنة ، جمع فيه أسماء الأدوية وصفاتها ، وتفصيل قواعدها وتحديد درجاتها ، وجاء مؤلفه في أحسن ترتيب[٥] ، ونقل الكتاب إلى اللاتينية على يد جيرارد الكريموني

---

(١) الكحال : علي بن عيسى (ت٥هـ/١١م) : تذكرة الكحالين ، تصحيح وتعليق : غوث فخر الدين القادري ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ، ١ .

(٢) حتي : تاريخ العرب ، ٤٥١ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٧ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٢٧ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٤٩٠ ؛ leclerc:histoire de la medicine arabe,II,٤٢٩ .

(٤) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/ ١٦٦ ؛ شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ١/ ٥٠٦ .

(٥) صاعد : طبقات الأمم ، ٨٤ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٤٩٦ .

(ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) باسم (De medicin et cibis) ، وطبع مع تقويم الصحة لابن بطلان في ستراسبورج سنة (٩٣٨هـ/١٥٣١م)[١] .

وله أيضاً كتاب «الوساد» الذي يتحدث فيه عن الأدهان والأشربة والأدوية بمختلف ألوانها وأشكالها ، كما يتطرق إلى العين وما يعتريها من أدواء وما يصلح لها من أعمال تعتمد على النباتات والأعشاب ، ويستمر في ذكره لطرائق العلاج لكل عضو كالأذن والفم واللثة والأسنان والحلق عامة ثم القلب ، ومن ثم الأمراض النفسية بأنواعها ، ثم يتطرق إلى الجهاز الهضمي والتناسلي والأمراض التي تعتورها وطرق علاجها ، كما أنه تناول الأمراض الجلدية بالتفصيل ، ثم يختتم حديثه عن كيفية عمل الأشربة والمربيات[٢] .

وقد نقل كتابه من العربية إلى العبرية على يد يهودا بن سليمان سنة (٧٥٣هـ/١٣٥٢م)[٣] .

ولأبي العلاء زهر بن أبي مروان (ت٥٢٦هـ/١١٣١م)[٤] «كتاب التذكرة» ، وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالأدواء الغالبة في مراكش والأدوية المناسبة[٥] ، وقد ترجم جان دوكابو هذا الكتاب من العبرية إلى اللاتينية ، ثم توالت التراجم عام (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) ، والمطبوعات عشر مرات بين (٨٩٦/١٤٩٠هـ و٩٦٢هـ/١٥٥٤م)[٦] .

أما أبومروان عبدالملك بن زهر (ت٥٥٨هـ/١١٦٢م) والذي سماه الغربيون بـ(Avenzoar) وكان طبيباً أيضاً ألف في هذا العلم مؤلفات جليلة من أهمها كتابه

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٨ .

(٢) البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٤٦٤-٤٦٦ .

(٣) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٥ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٧٣ .

(٤) أبوالعلاء زهر بن أبي مروان عبدالملك بن محمد ، له تواليف في الطب . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥١٧ .

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥١٩ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٨ .

(٦) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٨ .

«التيسير في المداواة والتدبير» كتبه بطلب من ابن رشد لكتابه «الكليات» ، واهتمَّ فيه بأمراضٍ جديدة لم تدرس قبله كالأمراض الرئوية ، والجرب ، والجهاز الهضمي وغيرها[١] . وله أيضاً رسالة في «أمراض الكلى» لا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) .

وقد ترجم الكتاب أولاً إلى اللغة العبرية ترجمتين لا يعرف كاتبهما ، وقد ترجم إحداهما إلى اللاتينية يعقوب اليهودي بالاشتراك مع طبيب يدعى «باتافينوس» إلى اللغة اللاتينية ، وكان بدوره معاوناً له وأتما النقل سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) ، ثم طبعت هذه الترجمة طبعات عديدة مع كليات ابن رشد ، وطبعت لأول مرة في البندقية سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م)[٢] .

وقد عمل جيوفاني الكابوي ترجمة لاتينية أخرى للكتاب ، ولكن ترجمته -مع أنها أحسن من السابقة- لم تطبع[٣] ، أما كتابه «مصباح الشفاء» -الذي لم يذكره أحدٌ من المؤرخين الذين ترجموا له إنما انفرد سارتون بذكره بعد اطلاعه على ترجمته العبرية لا على أصله العربي المفقود- فذكر سارتون أن هذا الكتاب ترجمه إلى العبرية يعقوب بن طبون ، في النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، إلا أن هذه الترجمة فقدت ، ويبدو أن هذا الكتاب اشتهر عند المترجمين من اللغة العربية إلى اللغات التي كانت شائعة حينذاك في أوروبا الغربية مما دعا مترجماً آخر إلى ترجمته ثانياً إلى العبرية أيضاً ، وهو صموئيل بن هاميئاتي إبان النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[٤] .

ولأبي الوليد محمد بن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) مجموعة كتب طبية اشتهر

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ،٥٢١ ؛ البشري : أثر الدراسات الطبية ، ١٦٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٣٩٩-٤٠٠ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٤ ؛ البشري : أثر الدراسات الطبية في الأندلس على أوروبا ، ١٦٩ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٤١٧ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٦ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٠٧ .

(٤) مايرز : الفكر العربي ، ١٣٢ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦١-١٦٢ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٩ .

منها كتاب «الكليات في الطب» الذي تناول فيه علم الطب في جانبه النظري بإيجاز واختصار ، وقسمه إلى سبعة أجزاء أو كتب ، التشريح ، الصحة ، المرض وأنواعه وأعراضه ، علامات الصحة والمرض ، الآلات ، الأغذية والأدوية ، حفظ الصحة ووجوهه ، الحيلة في إزالة المرض(١) .

وقد نقل الكتاب إلى عدة لغات ، منها : الترجمة اللاتينية للكتاب التي قام بها بوناكوزا ، وهو نقل إما من العربية أو العبرية إلى اللاتينية سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) باسم (الجامع colliget) ، وطبعت هذه الترجمة في البندقية سنة (٨٨٧هـ/١٤٨٢م) ، ثم طبعت عدة طبعات أخرى إحداها مع كتاب التيسير لابن زهر في البندقية سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م) ، ونسب إلى أرمينجو (Armengud) ، وتوجد أيضاً طبعة أخرى مع كتب الرازي ، وابن سيرافيون في ستراسبورج سنة (٩٣٨هـ/١٥٣١م)(٢) .

كما أن الكتاب نقل إلى اللغة العبرية على يد مترجم يهودي لا نعرف عنه غير اسمه : «سليمان بن إبراهيم بن داود» ، وكان ذلك في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، والترجمة من العربية مباشرة ، كذلك نقله مترجم آخر اسمه «شامبيير سينفوريا» (نبغ في النصف الأول من القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي) ، وتمت الترجمة سنة (٩٤٤هـ/١٥٣٧م) ، ويبدو أنها إلى العبرية أيضاً(٣) .

وإذا ما أتينا إلى يوحنا بن سرافيون (القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) فإن من أهم مؤلفاته الطبية كتاب «الأدوية المفردة» الذي ترجم عدة ترجمات لاتينية منها ترجمة جيرارد الكريموني (٥٨٣هـ/١١٨٧م) ، ثم ترجمه أندريا الباغو (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ، وترجمه سيمون الجنوي بالاشتراك مع إبراهيم شم طوب من العبرية إلى اللاتينية ، ونشرت هذه الترجمات في البندقية

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥٣٠-٥٣١ .

(٢) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٢-١٢٣ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٦٠ .

(٣) حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٦٠ .

خلال السنوات (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) إلى (٩٥٧هـ/١٥٥٠م) ، وفي فيرار سنة (٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م) ، وليون سنة (٩١٦هـ/١٥١٠م) ، وبال بسويسرا (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م)[١] .

أما أبوالصلت أمية بن عبدالعزيز (ت٥٢٩هـ/١١٣٤م) فله في الطب «كتاب الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية» ، وهو مختصر رتبه أحسن ترتيب ، ونقله إلى اللغة اللاتينية على يد أرنولد فيلانوفا (ت حوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م) ، وأعطاه العنوان التالي : (Simplieia) ، ثم نقله إلى العبرية يهودا بن سليمان ناثان إبان القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وساعده في الترجمة عمه ناثان[٢] .

وكان لموسى بن ميمون (ت٦٠١هـ/١٢٠٤م) مؤلفات كثيرة متنوعة ، شمل الطب جملة منها وقد ترجمت هذه المؤلفات الطبية إلى لغات متعددة منها : «فصول موسى» ، وهي مجموعة من الحكم الطبية تكاد تكون مستمدة من جالينوس ، ومن المرجح أن تشتمل أيضاً على ملاحظات من حكم بقراط ، وتشمل خمسة وعشرين فصلاً ، تشتمل على ألف وخمسمائة عبارة قصيرة تتناول كل فروع الطب ، وهي أكبر مؤلفاته الطبية حجماً ، وأكثرها شهرة .

وقد نقلت إلى العبرية مرتين إحداهما على يد زرحيا بن جراسيان (ت٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) ، والثانية على يد ناثان المئوي في فترة متقاربة مع ترجمة زرحيا[٣] .

أما شرحه لحكم بقراط الطبية فكتاب آخر أقل شهرة من ذلك ، وقد ترجمه إلى العبرية أيضاً صمويل بن طبون (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٤] ، وله مقالة في تدبير الصحة ، وتسمى أيضاً «الرسالة الأفضلية» ، ونقلت إلى العبرية على يد موسى بن

---

(١) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٦١ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ٥١٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٨٢ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢١ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٢٠ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٤ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/١٤١ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٢٥ .

(٤) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٦ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٤ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٦٢ .

طبون سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م) ، كما ترجمت إلى اللاتينية في مونبلييه على يد أرمانغو بلـيس سـنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) ، بعنـوان : (De regimine sanitatis ad sultanum) ، وكانت معروفة جداً في الغرب حيث طبعت قبل عـام (٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) بفلورنـسا ، وفي البندقيـة عـام (٩٢٠هـ/١٥١٤م) وعـام (٩٢٨هـ/ ١٥٢١م) ، وليون عام (٩٤٢هـ/١٥٣٥م)[١] .

وله كذلك مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتالـة ، ترجمهـا إلى العبريـة موسى بن طبون ، ثم نقلها إلى اللاتينية أرمـانغوبليس سـنة (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) ، ولعله نقلها من العبرية إلى اللاتينية مثل سابقتها[٢] .

ولكتـاب «الاعتبـار في الأمـور المـشاهدة والحـوادث المعاينـة بـأرض مـصر» لعبداللطيف البغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) أهمية خاصـة في علـم الطـب ؛ لأنـه مبني على المشاهدات الشخصية للمؤلف ، ومن أهم ما جاء فيه من مشاهدات طبية إثباته بأن عظم الفك الأسفل عظم واحد وليس عظيمين كما ذكر جـالينوس وغـيره من الأطباء[٣] .

ومن خير الكتب في مجال الصيدلة كتاب «الجامع في الأدويـة» لابـن البيطـار ، (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م) حيث عدد له مـايرهوف (١٤٠٠) عقـار ، منهـا (٤٠٠) لم يعرفها اليونان ، وقد اعتمد في تأليف كتابه على الأطباء المسلمين كـداود الأنطـاكي وغيره ، وترجم مؤلفه إلى اللاتينية ، وطبع في البندقية سنة (١٠٠٧هـ/١٥٩٨م) ، ثم في بقية المدن الأوروبية .

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة اللاتينية على يد بوكوك (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م) ثم نشرها توماس هايد متنا ، وترجمه في أكسفورد سنة (١١١٤هـ/١٧٠٢م)[٤] .

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ،٤٧٢ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغـة ، ٩ ؛ مـايرز : الفكـر العـربي ، ١١٧ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٦١ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٧٢ ؛ رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٨ ؛ حمادة : رحلـة الكتـاب ، ١/١١٩ .

(٣) البغدادي : الاعتبار ، ٩-١٢ .

(٤) لـويس : تـاريخ اهـتمام الإنجليـز ، ١٢ ؛ العقيقـي : المستـشرقون ، ١/٤١ ، ٤٤ ؛ حمـادة : رحلـة

ونختم حديثنا عن العلوم الطبية بمؤلف مهم غاية الأهمية لعلاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) الذي وضع مؤلفه الموسوم بـ«شرح تشريح القانون» ، أو القسم الخامس لقانون ابن سينا ، وهو عبارة عن شرح مطول على هذا القسم من الكتاب ، ونقله إلى اللاتينية أندريا الباغو (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ، وطبع سنة (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ، وأعيد طبعه بعد ذلك مرات متعددة ، كما ترجم إلى العبرية والإنجليزية والتركية .

وقد أثبت ابن النفيس في هذا الكتاب مخالفته لآراء ابن سينا وجالينوس في مسألة الدورة الدموية الصغرى واكتشافه لها ، واطلع ميخائيل سارفيتوس على آرائه ونسبها لنفسه[1] .



=

الكتاب ، ٢/٣١٦ .

(١) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٦٣ .

رابعاً : الكيمياء :

كان علم الكيمياء من أهم العلوم التطبيقية التي اهتم بها المسلمون ، فكان لهم فيها فضلٌ كبيرٌ واكتشافات رائعة ، نكاد نجزم بها أنهم هم الذين أسسوا هذا العلم . يقول درابر : «العرب هم الذين أنشأوا في العلوم العملية : علم الكيمياء ، واكتشفوا بعض أجزائها المهمة كالحامض الكبريتيك ، وحامض النتريك ، والغول ، وهم الذين استخدموا ذلك العلم في المعالجات الطبية فكانوا أول من نشر تركيب الأدوية والمستحضرات المعدنية»(١) . وعن طريق التجارب الهامة ، والملاحظات الدقيقة ، والمستحضرات الجديدة التي قدمها المسلمون لهذا العلم فقد تأسس علم الكيمياء الحديثة .

وقد خرجت مؤلفات كيميائية عربية قيمة ترجمت إلى اللغات الأخرى ، منها : «رسائل في الكيمياء» تنسب إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، (ت في حدود٩٠هـ/٧٠٨م) ، والاختلاف حول نسبتها إلى خالد بن يزيد كثيرٌ جداً ، حيث إن المصادر العربية التي ترجمت له لم تذكر أسماء الكتب التي نقلت بأمره إلى العربية عن اليونانية ، وأفادت ثلاث ترجمات محفوظة بمخطوطات أنها ترجمت بإيعاز من خالد ، والرسائل الثلاث تنسب إلى قراطيس وأبولونيوس التياني ومهراريس(٢) .

ومما لا شك فيه أن خالداً كان أول من اهتم بهذا العلم وأمر بترجمة كتبه إلى اللغة العربية ، وتفرعت مؤلفاته فيها ما بين نظم ونثر ، وشهد له كثيرٌ من علماء المسلمين وغيرهم بعلو كعبه في هذا المجال(٣) ، إلا أن بعض المستشرقين شك في

---

(١) محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٣٤م ، ٢/٢١٧ .

(٢) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/١٧٩-١٨٠ .

(٣) انظر : الجاحظ : أبوعثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) : البيان والتبيين ، ط٧ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، أربعة أجزاء ، ١/٣٢٨ ؛ النديم : الفهرست ، ٤٣٤ .

صحة اشتغاله بالكيمياء وتأليفه فيها ، أمثال ألدوميلي الـذي يقـول : «رفـع بعـض المؤرخين العرب ، ثم بعض الكتاب المحدثين من بعدهم من ذكر خالد بن يزيد بـن معاوية الذي لقب كثيراً بالحكيم أو الفيلسوف.. ، ولم يقتـصر –كـما زعمـوا- عـلى تشجيع علماء اليونان وحثهم على ترجمة الكتب المؤلفة بلغتهم إلى العربية ، بـل كـان هو نفسه أيضاً عالماً أصيلاً -على الأخص- بعلم الـصفة «الكيميـاء القديمـة» التـي تعلمها -إن صحَّ ذلك- من راهب يوناني اسـمه : ماريـانوس ، أو : مورينيـوس ، وليس ذلك كله إلا أسطورة محضة ، عـلى الأخـص مـا ذكـروه مـن تجـرده في علـم الصنعة ، وفوق ذلك كانت ترجمة كتب اليونان إلى العربية متأخرة كثـيراً عـن ذلـك العهد ، كما أن المؤلفات العربية الأصيلة أحدث من ذلك عهداً»[١] .

ووافقه في ذلك المستشرق الألماني يوليوس روسكا ؛ إذ ذهب إلى زيف الكتـب المنسوبة إلى خالد ، وأنها كتبت بعده بحجة أن هذه المخطوطات كانت تحمل تاريخـاً بعد وفاة خالد بكثير[٢] . ويظهر أن كتاب السير لم يعرفوا سنة وفاة خالد بدقة ، فلم يحددوها بتاريخ معين ، بل إن بعضهم سكت عنهـا وذكـر آخـرون أنهـا في حـدود (٨٤هـ/٧٠٣م) ، أو عام (٩٠هـ/٧٠٨م) ، ثم جاء ستابلتون (Stapleton) واطلع على مخطوطة كان قد عثر عليها يذكر فيها أن خالداً صنَّف كتابه «في الصنعة الشريفة وخواصها» في دمشق سنة (١٠١هـ/٧١٩م) ، فاستطاع أن يتخذ هذه الـسنة حـداً أدنى في تحديد سنة وفاته ، وعزز هذا التحديد كشف آخر عثر عليه ستابلتون نفـسه جاء فيه أن خالداً نظم لابن عمه يزيد بن عبدالملك قصيدة في الـصنعة وذلـك سـنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) . ونظراً للتضارب الزمني الذي تراءى لـ : ستابلتون بـادئ ذي بدء مما دعاه إلى اعتبار المخطوطة تلك ضرباً من الزيف ، ولم يتسطع أن يقـدر أهميـة التاريخ المذكور في تلك المخطوطة تقديراً صحيحاً ، وتساهل روسكا فيها بعد كثـيراً حينما اعتبر ذلك التاريخ علامة زيف الكتاب المنسوب إلى خالد[٣] .

---

(١) العلم عند العرب ، ٩٩ .

(٢) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/ ١٨٠ .

(٣) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/ ١٧٩-١٨٠ .

وكما ذكرنا آنفاً تردد المصادر في تاريخ وفاة خالد فإنه لا يمكن إنكار الكتب المنسوبة إليه وإن اختلفت تواريخها ، لا سيما وكثيرٌ من المصادر العربية المتقدمة التي تناولت سيرته تحدثت عن اشتغاله بهذا العلم وترجمته لكتبه : كالجاحظ[١] ، والمسعودي[٢] ،والنديم[٣] وغيرهم[٤] .

وعلى كل فقد ترجمت إحدى رسائل خالد الكيميائية إلى اللغة اللاتينية بقلم روبرت تشستر سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ، وهي تروي بالتفصيل التدريب الذي تلقاه خالد بن يزيد في الكيمياء على يد الراهب مريانوس تلميذ إتيان الإسكندري ، والأصل العربي للرسالة ضائع[٥] . ومن أهم المؤلفات الكيميائية التي نقلت إلى الغرب كتب جابر بن حيَّان (ت٢٠٠هـ/٨١٥م) ، وهي تفوق الحصر ، وقد أثبتت الدراسات المتعلقة بها أن فهرس الكتب موثوق ، وأن عدداً كبيراً من العناوين التي ذكرها النديم توثق عن طريق الكتب التي وصلت إلينا ، وأن الكتب يحيل بعضها على بعض ، وعلاوة على ذلك فقد أكدت نتائج الدراسات ذلك التتابع الزمني الذي بيَّنه النديم على ضوء فهرس جابر نفسه[٦] . وعليه -وكما ذكر كرواس- فإنه : «لا يمكن انتزاع أي كتاب من هذا المجموع واعتباره مزيفاً دون أن تتعرض أصالة المجموعة كلها للشكوك»[٧] .

ومن بين الكم الزاخر من هذه المؤلفات لجابر والتي نقلت إلى الغرب كتاب : «الأسطقس الأس» وعلى الأخص «الجدول الزمردي» منه الذي نقله إلى اللاتينية

---

(١) البيان والتبيين ، ١/٣٢٨ .

(٢) المسعودي : علي بن الحسين ، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، تحقيق : سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، ٤/٢٥٦ .

(٣) الفهرست : ٤٣٤ .

(٤) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/١٨٠-١٨١ .

(٥) المرجع السابق ، ٤/١٨٨ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ٩٨ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٤/١٨ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ١/٦١ .

(٦) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/٢٠١ .

(٧) نفس المرجع الجزء والصفحة .

هوغو سنكتلا إبان القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، ليعتبره بعض الباحثين أقدم نسخة لاتينية من نص خاص بالكيمياء[١] . أمَّا بالنسبة «للكتب السبعين» والتي تشكل عرضاً منهجياً للكيمياء الجابرية فقد ترجمها إلى اللغة اللاتينية جيرارد الكريموني (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م) ونشرها برتلو بالرجوع إلى المخطوطة اللاتينية بالمكتبة الوطنية بباريس رقم (٧١٥٦) في مجلة : Archeolgie et Histoire des Sciences سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) العدد (٤٩)[٢] .

ومن المؤلفات الكيميائية كتب أبي بكر الرازي (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) ؛ حيث نقل له قسطنطين الأفريقي مؤلفاً سمَّاه «التجارب» ونحله لنفسه[٣] .

أما كتاب «غاية الحكيم» لمسلمة المجريطي (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م) فهو الآخر حوى معلومات هامة عن علم الكيمياء كخواص المعادن وتأثيرها وما ينجم عن المزج بينها ، فيقول في ذلك : «واللازورد إذا جمع مع الذهب ازداد حسناً..والفضة إذا شيبت برائحة الكبريت اسودت»[٤] ، وقد نقل كتابه إلى اللاتينية ضمن المجموعة (Picatrix)[٥] . وقد تناول ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) في كتابه الشفاء مسائل عن الكيمياء ، فاهتم بالمعادن وتكوينها ، وأشار إلى عدد من العمليات الكيماوية ، وقد ترجم الجزء الخاص بالكيمياء من الكتاب على يد ألفرد دي سرشال ، والذي يشار إليه عادة باسم «المعادن»[٦] .

---

(١) سزكين : تاريخ التراث ، ٣١٠/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٠ ؛ Haskins:studies in the history of mediaeval science,٧٤ .

(٢) سزكين : تاريخ التراث ، ٣٢٣/٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١٠٩ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٧ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٢٩٣ ؛ حمادة : رحلة الكتاب ، ٤٧/١ .

(٤) البشري : الحياة العلمية في عصر الخلافة ، ٣٨٢ .

(٥) بروكلمان : تاريخ الأدب ، ٣٢٤/٤ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٣٥٢ .

(٦) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٤ ؛ مايرز : الفكر العربي ، ١١٢ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٢٥١ ؛ Haskins:studies in the history of mediaeval science,١٢٧.

خامساً : النبات والفلاحة والحيوان :

اهتم المسلمون منذ وقت مبكر بالزراعة ، وذلك عن طريق إحياء الأرض الموات ، وزيادة مساحة الأراضي المزروعة ، وتشجيع الفلاحين على الزراعة ، وتقديم التسهيلات الكثيرة لهم ، إضافة إلى إقامة السدود ، وشق الجداول والقنوات وبناء الجسور ، فانتشرت نتيجة لذلك كثيرٌ من الخبرات الزراعية والمؤلفات العلمية التي كان لها أثرٌ كبير في تقدم علم الزراعة ، فدرس المسلمون أنواع النباتات وصلاحية التربة ، واستعملوا الأسمدة المختلفة ، وقد أوجبت خبرة المسلمين بالعالم النباتي أن يضيفوا أنواعاً كثيرة من النباتات لم تكن موجودة من ذي قبل ، فاشتهرت أنواع جديدة من النباتات لدى المسلمين ، ولم تقف معرفتهم عند حد الفواكه والبقول وإنما تعدتها إلى الزهور التي اهتموا بها فزرعوها في مزارع واسعة للاستفادة منها في تصدير العطور والأدهان والصناعة[١] .

ومن أهم المؤلفات التي تناولت هذا المجال كتاب «النبات» المنحول لأرسطو ، والذي ترجمه إلى اللغة اللاتينية ألفرد سرشال في الثلث الأول من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وقد نقله عن الترجمة العربية التي قام بها إسحاق وإصلاح ثابت بن قرة بعنوان : «تفسير كتاب أرسطاطاليس في النبات لنيقولاؤس» . ثم ترجمه قالونيموس بن قالونيموس إلى اللغة العبرية سنة (٧١٤هـ/١٣١٤م)[٢] .

وقد حوى كتاب «الاعتماد في الأدوية المفردة» لابن الجزار (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م) معلومات عن النباتات والأعشاب وأنواعها ، ونقل كتابه كما ذكرنا إلى اللاتينية بقلم اصطفان السرقسطي إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وترجم أيضاً إلى العبرية بقلم موسى بن طبون (النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي)[٣] .

---

(١) سيديو : تاريخ العرب ، ٣٨٢ ؛ حتي : تاريخ العرب ، ١/٤٣١ .

(٢) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/٤٦٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٤ ؛ سويسي : انتقال العلوم ، ١٠٧ .

(٣) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/٥١٠ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٦٨ ؛ ابن ميلاد : الطب العربي

وقد تناول كتاب «القانون في الطب» لابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) علم الزراعة بالتفصيل ، حيث خصص له كتاباً في الأدوية المفردة ، تناول فيه النباتات التي تتخذ منها الأدوية ، إضافة إلى وصفه لها وصفاً دقيقاً مقارناً نوع النبات بنظائره ، مورداً صفاته الأساسية من أصل أو جذر أو زهر ، أو ثمر أو ورق ، ناقلاً ما ذكره من تقدمه من العلماء أمثال : «ديسقوريدوس» ، أو «جالينوس» ، أو غيرهما ، ثم يذكر بعد ذلك الاختبار والطبع والخواص لكل نبات ، وقد استقصى في مؤلفه هذا نسبة كبيرة من النباتات الشجرية والعشبية والزهرية ، والفطرية والطحلبية والمتشابه من النبات وغير المتشابه ، ومواطن النبات والتربة التي ينمو فيها ، واعتمد في وصفه للنبات على مصدرين : الطبيعة ، وما يباع من النبات الجاف عند العطارين[1] .

وكتابه كما ذكرنا مراراً في هذا البحث ترجم عدة مرات إلى لغات عدة ، وطبع ونشر أكثر من مرة .

ومن الكتب التي تناولت النبات بشيء من التفصيل كتاب «كامل الصناعة الطبية» لعلي بن العباس (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ، الذي عالج فيه النباتات الطبية وجعلها فصائل على حسب الموضوع ، ونقله إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقي سنة (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) ، ونشره باسمه ، ثم ترجم بعد أربعين سنة على يد ستيفن الأنطاكي سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) ونسبه إلى مؤلفه ، وطبعت ترجمته في البندقية سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) وغيرها ، أما ترجمة قسطنطين فقد نشرت سنة (٩٤٦هـ/١٥٣٩م)[2] .

ومن أهم المؤلفات الزراعية المنقولة إلى الغرب كتاب «المجموع في الفلاحة» لعبدالرحمن بن وافد ، كان حياً (٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الذي حظي بشهرة وذيوع

=

التونسي ، ٧١ .

(١) منتصر : تاريخ العلم ، ١٤٢ .

(٢) سزكين : تاريخ التراث ، ٤/٥١٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤٣٢ ؛ بلسنر : تراث الإسلام ، ٣/١٢٣ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٧٩ .

كبيرين ، ونقل مرتين باللغتين القشتالية والقطلانية وبدليل تأثيره اللاحق في أعظم عمل في الزراعة لعصر النهضة : الزراعة العامة (Agricultura General) ، لغابرييل ألونسودي هيريرا الذي اعتمد عليه اعتماداً واضحاً[١] .

أما مؤلف «الفلاحة» لمحمد بن إبراهيم بن بصال (ق٥هـ/١١م) فهو من أهم المصادر الزراعية الوثيقة ، والتي تعتمد على التجربة الشخصية دون الرجوع إلى أي مصدر آخر ، إضافة إلى أنه لم يدرج في كتابه مسائل غريبة عن الممارسة الزراعية ، كعادة سواه من علماء الزراعة[٢] .

ومحتويات الكتاب مقسمة إلى ستة عشر باباً ، تناولت : الأرض بأنواعها ، والسماد وأنواعه ، والطرق الزراعية ، في الغراسة والتلقيح والبذور والرياحين ، ثم يدرج في الباب الأخير معلومات هامة عن الفلاحة وأصولها وكيفية جعلها يسيرة وناجحة[٣] وقد نقل الكتاب إلى اللغة القشتالية في العصور الوسطى ، ونشر سنة (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) بمجلة الأندلس : الجزء ١٣ ، ثم نشره وترجمه وعلق عليه مياس بيكروسا ، ومحمد عزيمان ، ونشره في تطوان سنة (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)[٤] .

أما عن علم الحيوان فعرفت أربعة أنواع من المؤلفات في علوم الحياة عند المسلمين ، شملت : الكتابات عن علوم الحياة من حيث أهميتها في اللغة ، والكتابة من حيث أهميتها في الطب ، والكتابة عن علوم الحياة بصفة حرفة بحتة ، والكتابة من حيث أهميتها في الزراعة[٥] .

من المؤلفات المترجمة في هذا المجال «كتاب الحيوان لأرسطو» ، وهو في عشرة أجزاء ، تناولت تاريخ الحيوان ، أجزاء الحيوان ، تناسل الحيوان ، ونقله إلى اللاتينية ميخائيل سكوت سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م) ، وقد نقل نفس المترجم كتاب

---

(١) إكسبيراثيون غارثيا سانشيز : الزراعة في إسبانيا المسلمة ، ٢/ ١٣٧٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

(٥) جليل أبوالحب : علم الحيوان عند العرب ، المورد ، بغداد ، ع٤ ، م١٤ ، ١٧٨٥م ، ٩٩ .

مختصر الحيوان لابن سينا ، وقدمها لفردريك قبل سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) وأدرجت هذه المجموعة ضمن مجموعة ارسطو ونشرت في البندقية سنة(٩٠٢هـ/١٤٩٦م) بعنوان : Latin Arstotle ، ثم ترجم الكتاب مرة ثانية على يد بطرس جاليكو (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) نقلاً عن ترجمة عربية مختصرة ، كما استعان بالترجمة السابقة لميخائيل سكوت ، وشروح ابن رشد على الكتاب .

وفي كتاب الإفادة والاعتبار للبغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) وصف لكثير من الحيوانات والطيور التي وصفها وصفاً دقيقاً ، بالإضافة إلى معلوماته الواسعة عن النباتات والأعشاب والأشجار ؛ حيث وصف نباتات الموز والنخل والأترج والليمون والخرنوب ، كما وصف أنواعاً من السمك وفرس النهر وغير ذلك من حيوانات برية وبحرية ، وكان يشير أحياناً إلى الخصائص الطبية لبعض الأعشاب[١] .

وقد ترجم كتابه -كما ذكرنا- إلى اللغة اللاتينية[٢] .

وفي ختام هذا الفصل نود أن ننوه إلى أن العلوم التي ترجمت ونقلت إلى أوروبا كانت شاملة ومتنوعة ، وهي في مجملها تغذي جميع أهداف ودوافع الترجمة التي نشأت من أجلها .

---

(١) البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ٨٠ وما بعدها ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٢٥٧ .

(٢) لويس : تاريخ اهتمام الإنجليز ، ١٢ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ٤٢/٢ .

الباب الثالث :

أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية في أوروبا ، وأبرز نتائجها ،

وبه فصلان :

الفصل الأول : أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية في أوروبا .

الفصل الثاني : نتائج الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

الباب الثالث : أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية في أوروبا ، وأبرز نتائجها

إن عنوان هذا الباب واسعٌ جداً ، فهو يتحدث عن كل ما أحدثته المؤلفات العربية المترجمة في أوروبا عبر مراحلها المختلفة وما بعدها أيضاً ، وقد شمل هذا الأثر كافة المجالات والعلوم ، فكان للعلوم المترجمة تأثير في الكنيسة الكيان الديني للغرب ، وتأثير في المجالات الاجتماعية ، والعلوم التطبيقية والطبيعية ، وفي الأدب والتعليم ، والجامعات أيضاً .

أما بالنسبة للنتائج فقد شملت مجال الدين والفكر والاقتصاد .



الفصل الأول :

أثر الترجمة من العربية إلى اللاتينية في أوروبا

المبحث الأول : أثر الترجمة في الكنيسة .

المبحث الثاني : أثر الترجمة في اللغة والأدب الأوروبي .

المبحث الثالث : أثر الترجمة في العلوم الاجتماعية .

المبحث الرابع : أثر الترجمة في العلوم التطبيقية والطبيعية .

المبحث الخامس : أثر الترجمة في التعليم والجامعات .

سوف نتناول في هذا الفصل أثر الترجمة في أوروبا ، أو أثر العلوم المترجمة على أوروبا ، وهذا يدل على أننا لن نسهب في الحديث عن أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا عامة ، إنما يقتصر حديثنا على الأثر الذي أحدثته الحضارة الإسلامية في أوروبا بواسطة ترجمة علوم المسلمين كمؤلفات فقط ، وما عدا ذلك فهو باب واسع يصعب استقصاؤه في هذا المقام ، ولن نتطرق للتأثيرات الإسلامية إلا ما كان عن طريق نقل العلوم وهي بدورها كثيرة متعددة ، وقد أحدثت تغييراً جذرياً في حياة أوروبا بأسرها في كافة المجالات : الدينية والمتمثلة في الكنيسة ، والأدبية ، والاجتماعية ، والعلوم التطبيقية والطبيعية ، ومن ثم التعليم والجامعات .

بيد أنَّ هناك تأثيرات للحضارة الإسلامية كان محتملاً أنها تمت عن طريق الترجمة ، ولكننا لم نجد لها دليلاً يدل على أنها وصلت إلى أوروبا بواسطة مؤلف من المؤلفات سواءً في العلوم الإنسانية أو العلمية ، فذكرناها تجاوزاً ؛ لأنها ربما نقلت عن طريق الترجمة ولكنها فقدت بعد ذلك ، أو همشت عمداً ، أو أن أحد المترجمين ضمنها أحد مؤلفاته دون أن يشير إلى المصدر الإسلامي الذي أخذ عنه ، فهي في هذه الحال تكون ضمن العلوم المترجمة والتي أثرت بدورها في أوروبا بهذه الوسيلة ، فذكرناها لهذا السبب .

المبحث الأول :
أثـــــر الـــترجمــة في الكـنيسة

لم تكن أوروبا تدين بدين صحيح حتى تبحث عن مـصادر تدعمـه وتقويـه ، ولما ظهر الإسلام واتسع نطاقه حاربته بكل ما تملك من فكر وسلاح ، وبذلت كـل السبل في منعه من التغلغل داخل أراضيها ولـو عـن طريـق المؤلفـات ، ولكنهـا في نفس الوقت سعت جاهدة -وعلى رأسها جهازها الديني «الكنيسة»- للبحث عـن مصادره الشرعية والعقدية ، وترجمتها لأجـل محاربتـه بهـذه المـصادر ، ومنـذ سـنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) عرفت أول ترجمة لمعاني القـرآن الكـريم إلى اللغـة اللاتينيـة في الغرب ، وفي تلك الفترة كان الإسلام قد عرف في أوروبا خاصـة بعـد أن انتـشرت أقسام تعليم اللغة العربية في معظم جامعاتها بعد موافقـة الكنيـسة عـلى ذلـك عـام (٧١٢هـ/١٣١٢م) بغرض محاربة الإسلام ونشر النصرانية[1] .

وبذلك تيسر للغربيين الاطـلاع عـلى إنتـاج المـسلمين الفكـري بالإضـافة إلى التعرف على الإسلام من مصادره ، مما يعطي دلالة واضحة عـلى أن الإسـلام كـان معروفاً بشكل جيد في الغرب خاصة عنـد رجـال الكنيـسة المهتمـين بالتنـصير ، أو معظم العلماء من غير رجال الكنيسة ، ولم تقتصر معرفة هؤلاء على كتب الفلسفة أو العلوم الطبيعية كما هو شائع في مصادر تاريخ الفلسفة ، ولكن كانت كتب العقيـدة الإسلامية وأولها القرآن الكريم ، وكتب السنة النبويـة مـن أوائـل مـا اهتمـوا بـه ، وترجموه إلى لغتهم اللاتينية ؛ حيث سبقت ترجمة معاني القرآن الكـريم إلى اللاتينيـة كتب فلسفة ابن رشد التي يعزو إليها كثير من المؤرخين التأثير القوي للإسلام عـلى الفكر الغربي ، وهذا الواقع يثبـت خطـأ ادِّعـاء مفكـري الغـرب بـأن أسـلافهم في العصور الوسطى كانوا يهتمون فقط بترجمة كتب الفلسفة اليونانية التي كان العـرب

---

(١) سـعيد : الاستـشراق ، ٩٠ ؛ غـراب : رؤيـة إسـلامية للاستـشراق ، ٣٣ ؛ العـسري : الإسـلام في تصورات الاستشراق ، ١٥٤ .

قد نقلوها إلى العربية ، وقد فقدت أصولها اليونانية بعد ذلك[١] .

يمكننا القول بأن الفلسفة والعلوم العربية والإسلامية قد أثرت في الفكر والعلوم الغربية ، بينما كان أثر العقيدة الإسلامية أبعد في إيقاظ الفكر الغربي بشكل عام ، والفكر الديني بشكل خاص ، وقد كان لانتشار المعرفة بالإسلام عقيدة وفكراً ولغة بين العلماء والمهتمين بأمور الدين أن وجدت الكنيسة نفسها في مواجهة جبهتين : جبهة داخلية يمثلها بعض العلماء وكثيرٌ من أفراد الشعب البسطاء ، وجبهة خارجية يمثلها الإسلام والفكر الإسلامي عن طريق من تأثروا به وأعجبوا بمبادئه وقوة حجته[٢] .

ولم ينج بعض رجال الكنيسة من هذا التأثر والإعجاب ، فهذا جربرت (ت٣٩٤هـ/١٠٠٣م) ، والذي أصبح بابا باسم (سلفستر الثاني) كان من أعظم المتأثرين بالإسلام وثقافته ، بحكم رحلته إلى بلاد المسلمين وتعلمه في مدارسهم وغيرها ، وقد بدأ يظهر هذا التأثر في روما عندما تصدى للفساد الكنسي خاصة فساد الأساقفة والرهبان[٣] . وفي الواقع أن كثيراً من رجال الدين كانوا سنداً لمعارضي الكنيسة دون قصد في أغلب الأحيان ، وكانت النتيجة الحتمية أن ثارت ثائرة الكنيسة على الذين يتلقون علوم الكفار «المسلمين» ويعرضون عن التعاليم المقدسة ، فأعلنت حالة الطوارئ ضدهم ، وشكلت محاكم التفتيش في كل مكان ، وأصدرت منشورات بابوية تؤكد العقائد السابقة وتلعن وتحرم مخالفيها[٤] .

ونتيجة هذا الطغيان والتشدد في محاربة كل ما من شانه دفع عجلة التقدم والتحضر ومحاولة اللحاق بالحضارة الإسلامية احتدم صراع مرير بين الكنيسة ومعارضيها الذين حاولوا إصلاحها من الداخل دون جدوى ، فنشبت الحروب

(١) السيد محمد الشاهد : أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستنتية ، البيان ، ع٢٢ ، ربيع الأول ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ، ٨٢ .

(٢) عبده : الإسلام والنصرانية ، ٣٢ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٧٧ ؛ أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ٤٣ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٥٤ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٧٨ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٧٥ .

(٤) قطب : مغالطات ، ٢٩ ؛ الشاهد : أثر الإسلام ، ٨٢ .

الشهيرة التي قادها مارتن لوثر سنة (٩٢٨هـ/١٥٢١م) ، واستمرت حوالي ثلاثين عاماً[١] ، وما تبعها من ثورات أخرى أدت في نهاية الأمر إلى انشطار الكنيسة الكاثوليكية إلى كنيسة كاثوليكية وأخرى بروتستانتية[٢] .

لم تكن هذه الثورة نتيجة سوء الأوضاع الداخلية وفساد الكنيسة الاجتماعي والخلقي فحسب ، إنما كان السبب الرئيسي هو انتقال العلوم العربية والإسلامية عن طريق الترجمة ، فكانت هذه العلوم المنقولة هي المحرك للفكر الأوروبي ، لاسيما العلوم الإسلامية التي أيقظت العقل الغربي من سبات دام طوال عصور الظلام والعصور الوسطى . وقد ذكر لوبون في كتابه حضارة العرب أن مارتن لوثر كان يعرف القرآن معرفة جيدة وله كتابات[٣] تدل على اهتمامه وتأثره به -وإن لم

---

(١) وتعرف أيضاً هذه الحروب بحرب الثلاثين عاماً ، والتي استمرت من (١٠٢٨هـ/١٦١٨م) إلى (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) ، بدأت معاركها من ألمانيا ، ثم اشتركت فيها معظم القوى الأوروبية آنذاك ما عدا أنجلترا وروسيا ، والحرب في بدايتها نشبت من أجل الدين ثم ما لبثت أن تطورت إلى صراع سياسي ؛ البطريق ونوار : التاريخ الأوروبي الحديث ، ١٧٠ .

(٢) سذرن : نظرة الغرب ، ١٢١ ؛ الأميني : الإسلام تشكيل جديد للحضارة ، ٣٠ ؛ الشاهد : أثر الإسلام ، ٨٣ .

(٣) أهم الآراء التي نادى بها مارتن لوثر وكانت تعكس أثر الإسلام فيها هي :

١ - منع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها .

٢ - رفضه لوساطة رجل الكنيسة بين العبد وربه عند طلب المغفرة ، والصلاة على القديسين ، وعصمة الباباوات .

٣ - إيمانه بالقضاء والقدر مع مسؤولية الإنسان عن أفعاله .

٤ - رفضه لعقيدة الذنب الموروث ، وإيمانه بأن رحمة الله تسع كل شيء .

٥ - اعتماده على العقل في فهم النصوص الدينية مع تفضيله الإيمان بالنص إذا تعارض مع العقل .

٦ - اعتماده الكتاب المقدس الذي جاء به عيسى عليه السلام المصدر الوحيد للإيمان ، وليس ما صدر عن الباباوات .

أضف إلى ذلك أن ما كان يقوله عن بابا الكنيسة : «إن المسيح الدجال الحقيقي في الواقع ليس محمداً بل البابا في روما ، وإن كنيسة روما هي كنيسة الشيطان» ، وقد ألف في ذلك كتاباً أسماه : «ضد البابوية التي أسسها الشيطان» . إلا أنه من المفارقات أن مارتن نفسه كان من ألد أعداء الدين الإسلامي ، فهو وإن كان يحارب الكنيسة وفسادها الديني والإداري فهو يرى أيضاً من الإسلام عدواً خارجياً يجب أيضاً الحذر منه ولكن ليس بالحرب ، إنما بالخضوع للأمر الواقع بالنسبة للجانب

يُسلم -[١] .

ويتضح لنا تأثير العلوم الإسلامية بشكل أدق إذا ما عرفنا أن التجربة[٢] ، والقياس[٣] ، والبرهان[٤] التي عمل بها كثير من علماء الغرب ، وكانت بدورها سبباً في تقدم أوروبا إنما هي اكتشاف إسلامي خالص عمل بها علماء الشريعة الإسلامية لا سيما في أصول الفقه والحديث ، ومن ثم طبقت على بقية العلوم الأخرى العلمية كالطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء وغيرها ، وليس بصحيح ما ردده كثير من المستشرقين ومن تابعهم من أن المسلمين احتضنوا منهج الحضارة اليونانية ، والمنطق الأرسطاليسي ، وأنهم لم يكن لهم ثمة منهج غيره[٥] .

وعلى العكس من ذلك نجد أن المنطق الأرسطاليسي لقي معارضة عنيفة من جانب علماء المسلمين ، ووقف فقهاء أهل السنة والجماعة منه بل من المنطق اليوناني كله موقف العداوة التامة ، واصطنع بعضهم حجج الشكاك اليونانيين وأضاف عليها حججاً ابتدعوها ، ولكن كان لهم بجانب موقفهم العدائي موقف آخر

=

النصراني ، فهو في رأيه يرى أن الإسلام سوف يطبق على العالم النصراني ليس لأن المسلمين على حق ، وإنما تصديقاً للنبوة القائلة بأن دم المسيح سيظل يسفك من بداية العالم إلى نهايته ، ولأن هؤلاء المسلمين نزل عليهم غضب الرب فهم يحاربون النصرانية . سذرن : نظرة الغرب ، ١٢١ ؛ أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ٤٤ ؛ الشاهد : أثر الإسلام ، ٨٤ .

(١) سذرن : نظرة الغرب ، ١٢١ ؛ الشاهد : أثر الإسلام ، ٨٣ .

(٢) التجربة : هي التدخل في مجرى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض أو للتحقق من صحته . مجموعة مؤلفين : المعجم الفلسفي ، ٣٨ ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ٦/١٠٦ .

(٣) القياس : هو عبارة عن رد الشيء إلى نظيره ، وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم المنصوص عليه إلى غيره ، وهو الجمع بين الأصل والفرع في الحكم . الجرجاني : التعريفات ، ١٨١ .

(٤) البرهان : هو القياس المؤلف من اليقينيات ، سواء كانت ابتداءً وهي الضروريات ، أو بواسطة وهي النظريات . نفس المصدر ، ٤٤ .

(٥) علي النشار : مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ، ٣٣٢ .

إنشائي[١] .

وقد مارس الصحابة رضوان الله عليهم الاجتهاد متمثلاً في القياس الأصولي الذي يظن البعض أنه يقابل التمثيل عند أرسطو مع أنه يخالفه في بعض الوجوه ، فبفضل توجيهات عقيدة التوحيد وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ توجه فكر المسلمين منهجياً نحو الجزئي أولاً ، فالقضية الوحيدة التي يعترف بها مفكرو الإسلام هي «القضية الجزئية» التي لا يتحقق فيها سوى رابطة بين محسوس ومحسوس ، وكذلك ارتبط العلم عندهم بالعمل فأعطوا عنايتهم للأمور العملية ذوات الفوائد التطبيقية المحققة لسيادة الإنسان في الأرض بتسخير الأحياء والأشياء الطبيعية ، وقد أدى بهم هذا ثالثاً إلى العلل والمعلولات من حيث إن الفائدة العلمية تتمثل في ضرورة اكتساب العلة للحصول على المعلول[٢] .

وقد دخلت هذه القضية -قضية الأخذ بالأسباب- كجزء من عقيدة المسلم في التوكل على الله عز وجل ، فأوجبت عقيدة المسلم عليه أن يتوجه إلى الأسباب والعلل بجوارحه واستطاعته لاكتسابها إذا أراد أن يحصل على المعلولات والنتائج مع توجه قلبه ومشاعره إلى الله ، إيماناً منه بأن الله خالق العلل والمعلولات ، ومن ثم أصبح هم المعرفة الأول عند المسلمين هو معرفة العلل الصحيحة التي يؤدي اكتسابها إلى الحصول على المعلول . وقد مارس المسلمون كما ذكرنا منذ عهد الصحابة القياس الأصولي منتقلين من الجزئي إلى الجزئي ، وذلك كمنهج تلقائي ، حتى أصبح بعد ذلك منهجاً إدراكياً . ويعتبر القياس الأصولي هو جوهر العملية المنطقية الإسلامية التي أبدعها المسلمون وقدموها هدية لسائر البشرية بفضل توجيهات القرآن والسنة الخلقية والعقلية[٣] .

ومن ثم نشأت قواعد المنهج التجريبي على أيدي علماء الفقه وأصوله ، ثم انتقلت إلى سائر العلوم ، ففي العملية الأصولية نجد أنها تتكون من أربعة أركان :

---

(١) نفس المرجع ، ١٨٠ .

(٢) نفسه ، ١١١ ؛ الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ١٧٠ .

(٣) الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ١٧٠ .

الأصل[١] ، والفرع[٢] ، والعلة[٣] ، والحكم[٤] .

وهكذا يصبح القياس الأصولي نوعاً من الاستقراء العلمي الدقيق القائم على فكرتين أو قانونين :

الأول : فكرة أو قانون العلية القائل بأن لكل معلول علة ، وبناء عليه تصل إلى النتيجة بأن الحكم ثبت في الأصل لعلة كذا .

الثاني : فكرة أو قانون الاطراد في وقوع الحوادث ، وتفسيره أن العلة الواحدة إذا وجدت تحت ظروف متشابهة أنتجت معلولاً مشابهاً . أي أننا نستطيع أن نقطع بحدوث المعلول في الفرع إذا حدثت العلة بناء على اطراد حدوث المعلول عن العلة الأصل ، وبذلك تعطي الفرع حكم الأصل[٥] .

وهنا نرى كيف اكتشف المسلمون طرق المنهج التجريبي لا عند جون ستيورات مل (John stuartmill)(ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م)[٦] فحسب ، بل عند من تلاه من فلاسفة المنهج التجريبي ، وقد انتقل هذا المنهج من فقهاء المسلمين إلى أيدي علماء الطبيعة والفلكيين والكيميائيين والطب وغيرهم ، فمارس المسلمون التجربة والمنهج الاستقرائي في عهد مبكر جداً ، والرابطة الجامعة بين العلوم الفقهية بخاصة والدينية بعامة من ناحية وبين العلوم الطبيعية والتطبيقية من ناحية أخرى هي ارتباط العلم في كلا المجالين بالفائدة العلمية ، والنتيجة التطبيقية المتمثلة في تحقيق العبودية لله عز وجل بالنسبة لمجال العلوم الدينية والإنسانية ، وفي

---

(١) الأصل : هو ما يبتني عليه غيره ، الجرجاني : كتاب التعريفات ، ٢٨ .

(٢) الفرع : خلاف الأصل ، وهو اسمٌ لشيءٍ يبنى على غيره . نفس المصدر ، ١٦٦ .

(٣) العلة : هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ، ويكون خارجاً مؤثراً فيه ، نفس المصدر ، ١٥٤ .

(٤) الحكم : إسناد أمرٍ إلى آخر إيجاباً أو سلباً ، نفس المصدر ، ٩٢ .

(٥) الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ١٧٠-١٧١ .

(٦) جون مل : هو ابن جيمس مل ، المفكر البريطاني المعروف ، وقد أشرف على تعليمه بنفسه ، بعد أن ولد في لندن سنة (١٢٢١هـ/١٨٠٦م) ، فأتقن اللاتينية وهو في الثامنة ، وقرأ كتب الفلسفة ، ثم ما لبث أن أصبح ذا منطق استقرائي وفلسفة تجريبية ، وهو من أبرز دعاة مذهب المنفعة ، ومن رواد الفلسفة الليبرالية . كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ٣٤١-٣٤٩ .

تحقيق سيادة الإنسان على الأشياء والأحياء في الأرض بالنسبة لمجال العلوم الطبيعية . وهذان المجالان تجمعهما حقيقة الخلافة كهدف وجودي أسمى وغاية قصوى للإنسان[1] .

وقد نقل هذا المنهج إلى أوروبا عن طريق الترجمة ، فنقلوه وترجموه ونسبوه إلى أنفسهم .

وإذا كنا لم نذكر مؤلفات فقهية أو أصولية بصفة عامة ترجمت إلى اللاتينية لكي تنقل هذا المنهج إلى أوروبا فإننا تطرقنا لكم هائل من المؤلفات التي تخص العلوم العلمية والطبيعية والتي كانت تسير وفق هذا المنهج الذي وضعه علماء الشريعة الإسلامية وعمل به من بعدهم من علماء العالم الإسلامي في كافة العلوم .

وما المانع في اطلاع مفكري الغرب على كتب الشريعة الإسلامية ونقلها إلى اللاتينية ، ولكن هذه الترجمات فقدت أو أتلفت عمداً حتى لا يطلع عليها عامة الناس في أوروبا ، أو أنهم ضمنوها مؤلفاتهم ولم يشيروا إلى مصادرها قصداً وبدون قصد . فهذا ألفونسو العاشر يؤلف أول مدونة قانونية في أوروبا سماها (las siete Partidas) ، وكل مصادرها مستمدة من فقه الولايات الإسلامية في الأندلس الراجع إلى عام (٦٧٩هـ/١٢٨٩م) ، فكان اقتباساً فعلياً من الشريعة الإسلامية ، ولا يخفى على المختصين الذين يحاولون التنظير بين فحوى النصوص وتاريخ صدور هذه النصوص ما كان من أثر لهذا الكتاب اللاتيني في نشوء القانون الدولي الأوروبي في العصر الحديث[2] .

وقد وضع فردريك الثاني ملك صقلية الكثير من التنظيمات التي تخص الضرائب وأنواع البيوع واحتكار الدولة للمعادن وبعض البضائع ، مما كان يعرف في الشريعة الإسلامية ، واستقاها كلها من مصادر إسلامية وأصبحت نموذجاً احتذته أوروبا كلها ، كما ترجم الكثير من الدراسات الأكاديمية في القانون

---

(١) الدسوقي : الإسلام والعلم التجريبي ، ١٧٢ .

(٢) عبدالعزيز بنعبدالله : معلمة الفقه المالكي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، ٤٧ .

والإدراة بإيطاليا من النصوص العربية ، وراجت بأوروبا كلها على يد الأساتذة الذين كانوا يتنقلون حسب العادة من جامعة إلى أخرى ، وكان لهذا الطابع الخلقي في الشريعة الإسلامية أثره الأسمى في أوروبا في عصورها الوسطى مما رقق الشعور والحاسة القانونية ، وكان هذا المظهر بدون شك الميزة المثلى في الآثار الإسلامية التي كيفت نظرية العدالة وتطبيقاتها العملية عند الغربيين ، من ذلك اعتبار كل من تتجه إليه التهمة بريئاً إلى أن يتحقق العكس ، وهذا هو مبدأ براءة الأصل الذي جاء به الإسلام منذ البداية[١] .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى المسلمين الذين بقوا في الأندلس بعد جلاء الإسلام عنها ؛ إذ أن أكثرهم كانوا يطبقون الشريعة الإسلامية سراً ، وظهر أثر هذا التطبيق في المؤلفات التي سطرها فقهاؤهم باللغة القشتالية أو الألخميادية ، وكانت تحوي كثيراً من الأحكام الفقهية المستقاة من كتب الشريعة الإسلامية لا سيما الفقه المالكي ، وهي بدورها انتقلت إلى أوروبا عبر هذا الوسيط الإسلامي[٢] .

وإذا كان القانون الفرنسي الذي يعتبر من أعرق القوانين المعاصرة وأوسعها انتشاراً وتأثيراً ؛ إذ تعود بدايته إلى سنة (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م) قد تأثر بالفقه الإسلامي في كثير من جزئياته ، وهذا ما أثبته عدد من علماء التشريع الإسلامي مقارنة مع هذا القانون وعلى رأسهم سيد عبدالله حسين الذي أقر أن تطبيق الفقه الإسلامي لاسيما المالكي في الأندلس كان هو المناسبة التاريخية التي تعرفت منها أوروبا على أحكام الفقه الإسلامي خاصة وأن الأندلس كانت منارة للعلم والمعرفة ، على حين كانت أوروبا تعيش في جهالة عمياء ، فالأخذ والتأثر من الفقه الإسلامي كان وليد مئتي سنة بالنسبة للقانون الفرنسي ، عندما دخلت الحضارة الإسلامية فرنسا بكل مقوماتها وانتشر الفقه الإسلامي في أوروبا ، ودخل فرنسا وتأثر به علماء القانون ، ووفد على الأندلس جميع سكان أوروبا يغترفون من النور والعلم ، وأسس الحياة الصحيحة المتنورة بنور الإيمان والعقل ، ومن تلك الفترة

---

(١) نفس المرجع ، ٤٧-٤٨ .

(٢) إيبالثا : الموريسكيون في إسبانيا ، ٦٥ ؛ مانثاناريس : المستعربون الإسبان ، ٣٣ .

تغلغل مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله في العقود والمبايعات والأنكحة والأهلية ، وأصبحت أصول المذهب هي الحاكمة التشريعية في الغالب لتلك الدول ، وبعد رسوخها فترة من الزمن أصبحت عرفاً أو ما يسمى العادة الشفوية وأعيد في ضوء ذلك صياغة القوانين المدنية والجنائية ، ومن ذلك انعقاد البيع ولزومه وإتمامه بالإيجاب والقبول فقط ، وتنتقل الملكية للمشتري بذلك ، وأيضاً انتقال الملكية للموكل بمجرد تعاقد الوكيل ، كما أن تحديد سن البلوغ القانونية بثمانية عشر سنة ، كل هذه الأمور -وهي قطرة من بحر- منقولة من مذهب الإمام مالك ، وهي في القانون الفرنسي ، فهل يعقل أن تكون هذه المتشابهات مأخوذة من القانون الروماني؟ كلا لأنها تختلف معه اختلافاً جذرياً[١] .

إذن لا بد أن يكون لمؤلفات الفقه المالكي دور في رسوخ أحكام هذا المذهب لدى القانون الفرنسي ، فلا يستبعد أن يكون الطلبة الأوروبيون قد حملوا معهم هذه المؤلفات إلى بلادهم ، أو أنها ترجمت ووصلت إلى أوروبا على هيئة كتب وما شابه .

بل لقد ذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك ، وذلك عندما أرجع تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي الذي بدأ يتأثر في فترة تكوينه إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ببعض قواعد الفقه الإسلامي ، وخاصة بالنسبة لنظرية العقد ودعوى الاستحقاق الخاصة بحماية الحيازة والملكية ، بل ذهبت هذه الدراسات إلى أن نظام الترست (Trust)[٢] قد نقل من نظام الوقف الإسلامي[٣] ، وأن نظام تدريس القانون الإنجليزي من خلال نزل المحكمة أو

---

(١) حسين : سيد عبدالله علي : المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي ، مقارنة بين فقه القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، ط١ ، تحقيق محمد سراج وآخرون ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ١/٥٠-٥٢ .

(٢) الترست : هو نظام يقوم على نقل ملكية المال المخصص للخير أو إلى أي غرض شرعي آخر كالأهل والأولاد ، إلى شخص آخر يكون هو الأمين ، ويكون بدوره هو المالك القانوني أو الرسمي بينما الأهل أو الأولاد أو الغرض الخيري هم الملاك عدالة وديانة . برهام محمد عطا الله : تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي ، مجلة التسامح ، ع٢٤ ، http://www.altasamoh.net

(٣) الوقف في اللغة : الحبس والمنع ، وفي الاصطلاح : تحبيس الأصول وتسبيل الثمرة . الجرجاني :

مدارس القانون (Inns of court) بلندن ليس إلا تطبيقاً لنظام المدارس الملحقة بالمساجد الكبرى التي تخصصت في تدريس المذاهب الفقهية الإسلامية ، كما أن النظام القائم على السوابق وتحليل الوقائع ليس إلا تطبيقاً لنظم الفتوى وقواعد الجدل والمناظرات وأساليب أصول الفقه الإسلامي[١] .

كل هذه التأثيرات كانت إبان فترة تكوين القانون الإنجليزي في القرنين السادس والسابع الهجري ، الثاني عشر والثالث عشر الميلادي ولا يعرف على وجه التحديد مصادر هذا التأثر ، ولا يمكن إرجاعه إلى الفترة الأنجلوسكسونية قبل القرن الحادي عشر ، كما لا يمكن إرجاعها إلى القانون الكنسي ولا إلى القانون الروماني ، ولا يمكن إرجاعها أيضاً إلى القواعد التي أتى بها النورمان حين احتلوا إنجلترا ابتداءً من (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) ، إذن فقد خرجت هذه الدراسات بنتيجة حتمية وهي أنَّ هذه القواعد الإنجليزية هي ثمرة تأثر القانون الإنجليزي بقواعد الفقه الإسلامي[٢] .

ويبقى السؤال ملحاً عن الطريق الذي تم من خلاله هذا التأثير ، والإجابة نجدها في احتلال النورمان المتزامن لجزيرة صقلية في جنوب إيطاليا في سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) ، والجزيرة البريطانية في سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) ، وحيث وجد النورمان في صقلية حضارة إسلامية مزدهرة تطبق فيها قواعد الشريعة الإسلامية كان من السهل أن يتأثروا بها ، وتنقل إلى إنجلترا في الفترة التي كان القانون الإنجليزي ال (Common law) في فترة التكوين ، ولا بد أن هذا التأثير لم يكن بواسطة المعايشة فقط ؛ لأن القانون الإنجليزي حوى تطبيقات شرعية مستقاة من الكتب المتخصصة في الفقه الإسلامي ، فلا بد للترجمة دور في ذلك لا سيما وقد ذكرنا أن المحتلين لصقلية وجدوا كثيراً من الثروة العلمية الإسلامية ، وكما هائلاً من العقود والوثائق والمعاهدات باللغة العربية فنقلوها إلى اللاتينية مستعينين

=

التعريفات ، ٢٥٣ .

(١) عطا الله : تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي .http://www.altasamoh.net

(٢) عطا الله : تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي .http://www.altasamoh.net

بالمسلمين الذين بقوا في الجزيرة للاستفادة منها[١] .

وهكذا نرى أن أوروبا استفادت أيما إفادة من علوم شريعة الإسلام وعقيدته في حياتها الدنيوية ، ولكنها لم ولن تتخلى عن كبريائها في عدم الاعتراف بالدين الإسلامي وتفضيله على سائر الأديان لعدة أسباب ، منها :

١ – أنَّ اعتراف النصارى بنبوة محمد ﷺ وصحة القرآن وأنه الكتاب الحق المنزل من الله ينسف العقيدة النصرانية بكاملها من الأساس ، وهي التي تقوم على أساس أن المسيح هو الرب ، وأنه ظل يرسل الرسل والأنبياء للدعوة إليه ، وأخيراً تجسد الرب بنفسه ليبلِّغ البشر برسالته الأخيرة ، وأنه قتل وصلب ليكفر عن خطايا البشر ويخلصهم الخلاص النهائي .

٢ – اعتقادهم بأن النصرانية هي الحق والهدى وأن ما سواها هو الكفر والضلال ، وأن لا خلاص للبشر إلا باعتناق النصرانية ، ومن هنا رفضوا الإسلام ، وحاولوا بكل ما يستطيعون إثبات أن الإسلام دين مختلق وليس وحياً من الله تعالى .

٣ – افتراضهم المسبق أن الإسلام هرطقة ومن ثمة البحث في المصادر النصرانية والأحاديث والسير الموضوعة ما يثبت ويبرهن على هذا الافتراض الزائف .

٤ - اعتقاد الرهبان ورجال الدين في العصور الوسطى أنَّ الإسلام شكَّل خطراً داهماً على أوروبا ، وأن عقيدته تهدد النصرانية في عقر دارها ، وأن جماهير النصارى قد تقبل على اعتناقه مثلما حصل في سائر البلدان التي فتحها المسلمون لا سيما الأندلس ، ولذلك عمدوا إلى رسم صورة مشوهة ملفقة عن الإسلام كنوع من التحصين للمجتمع الغربي النصراني والحيلولة بين عامة النصارى وبين اعتناق الإسلام[٢] .

---

(١) نفسه .

(٢) علي عودة الغامدي : العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، ١٨ .

ولو أن الغرب النصراني آمن بما جاء به محمد ﷺ وعمل من خلال نصوصه المدونة في الكتاب والسنة لأفلح ولصلح حاله أيما صلاح مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١] ، ولكنه الكفر والضلال الذي أعمى البصائر عن الحق والهدى . وعليه فلا صحة لما نسب للإسلام وعلومه من أنه كان السبب في الثورات والانقسامات الغربية بل على العكس من ذلك نجد أن الذين تأثروا بالإسلام خرجوا بنتائج كانت سبباً في تقدم أوروبا ، وحاولوا الإصلاح بقدر المستطاع ولكن الكنيسة كانت مبنية في أساسها على دين محرف يدعو إلى محاربة العلم أياً كان نوعه .

أضف إلى ذلك أن ترجمة العلوم من العربية كانت تحمل كثيراً من مؤلفات الفلسفة التي نسبت إلى المسلمين ، وهي ليست من علومهم ، يقول ابن الصلاح رحمه الله : «المنطق مدخل الفلسفة ومدخل الشر ، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ، ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين من يقتدى به»[٢]

وهذه الكتب التي كانت تحمل الوثنيات اليونانية وما ألف عليها أو شرح منها بيد الفلاسفة الإسلاميين الذين ألبسوها ثوب الدين بحجة التوفيق بينه وبين الفلسفة هي التي نقلت إلى أوروبا عن طريق الترجمة ، فتلقفتها عقولهم وأخذت تطبق مبادئها على حياتهم الخاصة والعامة باعتبارها إرث اليونان القديم الذي يجب إحياؤه والعمل به ، فأثرت فيهم تأثيراً بالغاً ، وبدأ الصراع بين الكنيسة والعلم من هذا الوقت[٣] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية (٦٥) .

(٢) ابن الصلاح : أبوعمر عثمان الشهرزوري (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م) : فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والعقائد ، ط١ ، تحقيق : عبدالمعطي قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، ٢/٢١٠-٢١١ .

(٣) درج كثيرٌ من الفلاسفة في العالم الإسلامي إلى تطبيق النظريات الفلسفية على الشريعة الإسلامية ، وقد اختلفت أهدافهم في ذلك ، فمنهم من أراد أن يتسلل من خلال هذا التوفيق إلى الإسلام لتغيير طبيعته وتحريفه عن جوهره ، كما فعل الفارابي الذي كان في الواقع يقوم بالتلفيق وليس التوفيق بين

وإذا كانت هذه المؤلفات الفلسفية قد قوبلت في العالم الإسلامي بالرفض لأنها باطلة شرعاً وعقلاً ؛ فإن كثيراً من الفلاسفة خضعوا للبيئات الثقافية التي نشأوا فيها ، فكان منهم من نهج نهج فلاسفة اليونان في التعبير عن عقائد الإسلام ، فأيدوا الفلسفة وحبذوها مع تعديلات أدخلوها ليقربوها للعقائد الإسلامية ، واستقل بعضهم بالنظر العقلي والتجربة والبرهان دون تقليد أسلافهم من فلاسفة اليونان ، وهذا الاستقلال هو الذي أفاد أوروبا فيما بعد في جانب العلوم الطبيعية والتجريبية ، وذلك بعد ترجمة هذه المؤلفات الفلسفية إلى لغاتهم .

أما ما تناقله فلاسفة العرب عن اليونان لا سيما فلسفة أرسطو التي كانت تتعارض بصفة جوهرية مع تعاليم الإسلام ، وهي : عقيدة الإيمان بالله تعالى ، والصلة بين الله والعالم ، وخلود النفس ، فهذه هي التي عارضها علماء المسلمين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أشد المعارضة ، وهي أيضاً التي أدت إلى الانشقاقات في العالم الغربي ولم تفده بشيء[1] .

ومع أن أول ما بدئ به من الكتب الفلسفية هي مؤلفات ابن سينا ، والتي

=

النظريات الفلسفية لأرسطو وأفلاطون وما حملته من وثنيات ، وبين الوثنيات القديمة للصابئة وعباد الكواكب والنجوم . أما ابن سينا فإنه استوحى فلسفته من نظرية الفيض في الأفلاطونية الجديدة ، ونظريته هذه وإن حاول التوفيق بينها وبين الشريعة الإسلامية تعارض وتنقض تماماً المفهوم القرآني عن الخلق . أما ابن رشد فكان أكثر غموضاً من سابقيه ، وأصعب أن يفهم منهما ، لأنه كان فقيها يتكلم بأقوال الفقهاء ويقارع الحجة بالحجة ، ثم نراه تارة يتحدث عن مذهب السلف حديث المطالع والمقتنع ، ثم لا يلبث إلا وقد انزلق مع الفلاسفة المتهورين في أقوالهم بتحكيم البراهين ، وقد استولى موضوع التوفيق بين الشريعة والفلسفة على جل اهتمامه وهدفه ، من ذلك تبرير دراسة الفلسفة تجاه الطاعنين عليها . مصطفى حلمي : مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، ط٢ ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ؛ صالح الغامدي : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ١٢٢ .

(١) ابن تيمية : أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م) : درء تعارض العقل والنقل ، ط١ ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ١٠/٣٠١ ؛ حلمي : مناهج البحث ، ٢٥٣ .

أخذت بدورها أثراً واضحاً منذ أن نقلت ، فكان من أول المتأثرين هو يوحنا الإشبيلي (القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) الذي نقل هذه المؤلفات إلى اللاتينية ، فألف كتباً نجد فيها لأول مرة آثار الفلسفة ، ففي كتابه «تقسيم الفلسفة» أضاف الطبيعيات ، والنفس ، وما بعد الطبيعة ، وكلها موجودة في كتاب الشفاء لابن سينا ، أما كتابه «صدور العالم» فقد فسر فيه نشأة الكون على النحو الذي بينه ابن سينا في الإلهيات من كتابه الشفاء ، وابن جبيرول في «عين الحياة» ، كما تأثر بابن سينا أيضاً في «خلود النفس» ، وبدأ تأثير أفلوطين (ت٢٧٠م)[١] والأفلاطونية المحدثة في كتابات الغرب ، فأحدثت فلسفة ابن سينا اولاً تأثيراً عميقاً واسعاً ، خصوصاً إلهياته المتأثرة بأرسطو والأفلاطونية المحدثة معاً ، والتي يفسر فيها الكون ابتداءً من الأول الذي يصدر عنه العقل الثاني ، ثم الثالث وهكذا حتى العاشر ، وهو العقل الذي يؤثر في الإنسان مباشرة ، فهذا التصوير لصدور العالم[٢] عن الله وحده هو الذي سيعتنقه الفلاسفة الأوروبيون بدلاً من التصوير الوارد في التوراة والذي كان سائداً حتى ذلك الحين[٣] .

ومن تأثر بفلسفة ابن سينا ألبرت الكبير (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) الذي كان في فهمه للفلسفة الأرسطية معتمداً على الفارابي وابن سينا وابن رشد[٤] ، كما أن توما الإكويني (ت٦٧٣هـ/١٢٧٤م) الذي أخذ من ابن سينا والفارابي البراهين في الإثباتات ، وقد أشار صراحة إلى مؤلفات هذين الاثنين بخلاف ألبرت الذي كان

---

(١) أفلوطين : فيلسوف روماني مصري النشأة ، يعد المؤسس الحقيقي للأفلاطونية المحدثة ، براتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٧م ، القاهرة ، ١/٤٥٠ .

(٢) صدور العالم ، أو نظرية الفيض المشهورة عن المدرسة الأفلاطونية المحدثة والتي تقول أنه يوجد على قمة الوجود «الواحد» -أي الله- وهو الخير بالذات التي تصدر عنه الموجودات صدوراً ضرورياً عن طريق الفيض ، أو الإشعاع النوراني ، مجموعة مؤلفين : المعجم الفلسفي ، ١٠٤ .

(٣) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ٣/٢٦٦ ؛ بدوي : دور العرب ، ٣١-٣٢ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٧-١٨ .

(٤) جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٧ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٩ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٥٢٩ .

يخشى من سطوة الكنيسة[1] .

أما بالنسبة لمؤلفات الغزالي والتي حاول في كثير منها أن يمزج بين المنطق الأرسطي وعلوم المسلمين[2] ، فقد أثرت هي الأخرى في الغرب ؛ إذ إن تأثيره كان كبيراً في الفلسفة المدرسية (scholastique)[3] اليهودية والنصرانية على حد سواء ، فكتبه الفلسفية كالمقاصد ، والتهافت ، والإحياء ، والاقتصاد ، والمعيار ، والمنقذ ، نقلت كما ذكرنا إلى اللاتينية بعد نحو أربعين سنة من وفاته ، فتأثيره في اللاهوت أعظم من تأثير توما الإكويني ، كما أن المدرسة السكولائية تقبلت آراءه ، وأصبحت سمة مميزة لفلسفة العصور الوسطى[4] .

وممن تأثر بالغزالي ريموند مارتيني (ت٦٨٣هـ/١٢٨٤م) في كتابه (خنجر الإيمان) حيث أدخل كثيراً من حجج التهافت في كتابه ، واستل العديد من النصوص من التهافت والمنقذ والميزان والمقاصد ، والمشكاة ، والإحياء ، ومثلما اعتمد القديس توما الإكويني ومعه ألبرت الكبير على أطروحات الغزالي في تحديد قدرات العقل ، وأن العقل لا يعارض النقل ، وجد جملة من النصارى في هجوم

(١) هونكة : شمس العرب ، ٤٥٠ ؛ جورافسكي : الإسلام والمسيحية ، ٨٥-٨٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٧ .

(٢) يعتبر الغزالي المازج الحقيقي للمنطق الأرسطاطاليسي بعلوم المسلمين . لا لما وضع من كتب منطقية سهلة العبارة ، بل لتلك المقدمة المنطقية التي وضعها في أول كتابه المستصفى ، والتي ذكر فيها أن من لا يحيط بها فلا ثقة بعلومه قطعاً . وعلى هذا الأساس اعتبر منطق أرسطو شرطاً من شروط الاجتهاد ، وفرض كفاية على علوم المسلمين ، ووجهت إلى الغزالي بسبب هذا اعتراضات شديدة من فقهاء المسلمين ، وهوجم هجوماً شديداً من علماء المسلمين أمثال ابن عقيل والقشيري والمازري وابن الصلاح الذي كتب فصلاً في بيان أشياء مهمة أنكرت على الإمام الغزالي في مصنفاته ولم يرتضيها أهل مذهبه وغيرهم من الشذوذ في تصرفاته . انظر : النشار : منهج البحث عند مفكري الإسلام ، ٩٠ ، ١٨٠ .

(٣) الفلسفة المدرسية أو السكولائية هي : فلسفة يحاول أتباعها تقديم برهان نظري للنظرة العامة الدينية للعالم بالاعتماد على الأفكار الفلسفية لأرسطو وأفلاطون ؛ مجموعة مؤلفين : المعجم الفلسفي ، ١٧٣ .

(٤) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ٣/٢٦٧ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٧١ ؛ عيسى : الغزالي مترجماً ، ١٠٢ .

الغزالي على الفلاسفة وجبة دسمة للكنيسة رغم ما أحدثته من فتنة شعواء بين أنصار الأرسطية الرشدية والغزالية التوماوية اللاهوتية ، ومثلت أعلى صور النزاع بين الفلسفة والدين[١] .

ومن اليهود المتأثرين بفلسفة الغزالي إسحاق البلاج (نهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي) ويهودا هاليفي ، كما أن المدرسة الاسمية[٢] التي يتزعمها وليم أوكام (william ofoccam) (ت٧٥٠هـ/١٣٤٩م)[٣] أكثر من تأثر بفلسفة الغزالي ، لا سيما في أدلة وجود الله ، أو في وحدانيته ، أو الهجوم على الفلسفة الأرسطية ، أو بتجديد قدرات العقل ومجالاته في المسائل الإلهية ، أو إثبات حدوث العالم ، وأسلوب مهاجمة الأفكار الأرسطية ، أو فيما يتعلق بواقعية الأسماء ، وعدم وجود الأشياء خارج مجال إدراك الحس ، وأخيراً فيما يتعلق بتكافؤ الأدلة والنقائض كما هو الحال عند ريموند مارتيني[٤] .

وامتد تأثير الغزالي للفلسفة الحديثة ، فنجد أثره في فلسفة ديكارت (ت١٠٦٠هـ/١٦٥٠م)[٥] ، ويرى البعض أنَّ الغزالي وضع كل الملامح الرئيسية

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٤١ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٣٠٩-٣١٠ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٨٩ .

(٢) الفلسفة الاسمية : تقوم هذه الفلسفة على نفي وجود الكليات المجردة ، لأنها مجرد علاقات لغوية لا تستند إلى الحس أو التجربة ، وأعطت القيمة للأفراد ، لأن التعرف عليهم لا يتم إلا بالتجربة ، وقد ترتب على هذه الأفكار إخراج اللاهوت من دائرة العقل ، لأن العقائد الدينية لا يمكن إخضاعها للبرهان والتجربة ؛ مجموعة مؤلفين : المعجم الفلسفي ، ١٤ .

(٣) وليم أوكام : من الفرنسيسكان ، ولكنه تحرر من فلسفتهم ، بل من كل فلسفة مدرسية ، وكان باعث حركة قوية متصلة في نقد الفلسفة ، والفصل بينها وبين الدين ، ومهاجمة العلم القديم ، وقد تلقى تعليمه بأكسفورد وباريس . كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ٢٤٢ .

(٤) مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٨٣ .

(٥) يعتبر رينيه ديكارت (Rene Decartes) ، مؤسس الفلسفة الحديثة في نظر الغرب ، بالرغم من أنه استقاها من المؤلفات الفلسفية العربية المترجمة وبنى عليها أفكاره ، وتأثر بها في مؤلفاته . رسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ٣/١٠٤ .

للفلسفة الغربية من ديكارت إلى برجسون[١][٢] .

على أنَّ ابن رشد كان قوي التأثير في الغرب اللاتيني ، ولم يكتب لأي فيلسوف قط - إذا استثنينا أرسطو - أن يلعب الدور الذي لعبه هذا الرجل في الأوساط الفلسفية واللاهوتية في الغرب اللاتيني ، خلال القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، العصر الذهبي في تاريخ الفلسفة المدرسية اللاتينية ، فبينا عرف أرسطو عند المدرسيين باسم الحكيم أو الفيلسوف (Philosophus) أو أمير الفلاسفة (Princeps philosophorum) عرف ابن رشد بالشارح (commentator) لما كان لشروحه على أرسطو خاصة من شأن في ترويج فلسفة المعلم الأول في الأوساط الفلسفية اللاتينية ، في حقبة يكاد يكون الغرب اللاتيني فيها جاهلاً بآثاره[٣] جهلاً تاماً .

فباستثناء كتابي المقولات والعبارة لم يصل أوروبا الغربية من آثاره الفلسفية شيء قبل إقبال المترجمين في أواسط القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي على نقل كتبه من العربية[٤] .

وكان أول من اشتغل بترجمة آثار ابن رشد لاسيما شروحه على أرسطو فئة من يهود إسبانيا ، دفعها إلى التوفر على دراسة ابن رشد إعجاب موسى بن ميمون به ، وتأثره خطاه في عدد من القضايا الكبرى : كمذهبه في العقل الهيولاني[٥] ، وفي

---

(١) يعتبر هنري برجسون (Henri Bergson) ، الفيلسوف الفرنسي ، من كبار فلاسفة العصر الحديث . رسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ٤٣٧/٣ .

(٢) مذكور : في الفلسفة الإسلامية ، ١٨٤/٢ .

(٣) وهذا ينفي ما تناقله بعض الباحثين الغربين أمثال : دي وولف ، وجوردان من أن ترجمات أرسطو إلى اللاتينية سبقتها ترجمات عن اليونانية لنفس المؤلف ، وإلا فالمعروف تاريخياً أن ترجمات أرسطو عن العربية سبقت ترجماته عن اليونانية . الخضيري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، ٥٢-٥٣ .

(٤) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ؛ فخري : ابن رشد ، ١٣٨-١٣٩ ؛ الخضيري : أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، ٥٤ .

(٥) العقل الهيولاني : هو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات ، وهي قوة محضة خالية عن الفعل كما للأطفال ، وإنما نسب إلى الهيولي لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولي الأولي الخالية في حد ذاتها عن

خلود النفس ، ومآخذه على المتكلمين ، لا سيما الأشاعرة[1] منهم ، وعمله على التوفيق بين أرسطو والعقيدة السامية المنزلة ، فترجمت مؤلفاته إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي إلى العبرية[2] .

وقد ظهر أثر ابن رشد واضحاً على هؤلاء اليهود ، فأخذوا يشرحون مؤلفاته ، وينهجون نهجه في التأليف ، أمثال : لاوي بن جرسون (ت٧٧٢هـ/١٣٧٠م) الذي شرح الكثير من مؤلفات ابن رشد كمختصر الطبيعة ، ومختصر السماء والعالم ، وتلخيص الأركنون ، ومختصر النفس ، والحس والمحسوس وغيرها[3] .

أما موسى النربوني (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فله من الشروح على ابن رشد شرح لمختصر الأركنون ، ومختصر الطبيعة ، وشرح لمقالة العقل الهيولاني ، وشرح على مباحث الطبيعة وغيرها كثير .

وليوسف كسبي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) شروح واقتباسات كثيرة من ابن رشد ، كمختصر لتلخيص ابن رشد لأخلاق نقوماخ ، ومختصر لتلخيص ابن رشد لجمهورية أفلاطون ، وعنون مختصره بـ«نبل اللجين» ، كما أن له عديداً من المؤلفات التي تضمنت كثيراً من آراء ابن رشد ، مثل : «صفاء اللجين» ، ضمنه زبدة منطق الفارابي ، وابن رشد ، و«شمعدان الفضة» ، ضمنه نظرية الوجود كما جاءت عند أرسطو وابن رشد[4] .

ولم ينحصر الاهتمام بابن رشد في شروح وبعض مؤلفات هؤلاء اليهود ، بل كان منهم من تأثر في مؤلفاته الخاصة أو شروحه لمؤلفات فلسفية أخرى ، مثل :

= الصورة كلها . الجرجاني : كتاب التعريفات ، ١٥٢ .

(١) الأشاعرة : اتباع مذهب أبي الحسن الأشعري ، (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) ، وهي فرقة كلامية إسلامية ، خرج مؤسسها أبوالحسن على المعتزلة ، الموسوعة العربية العالمية ، ١٩٩/٢ .

(٢) ريسلر : الحضارة العربية ، ٢٢٦ ؛ فخري : ابن رشد ، ١٣٨-١٣٩ .

(٣) شحلان : ابن رشد والفكر العبري ، ٦٩٩/٢ .

(٤) نفس المرجع ، ٧٠٠/٢-٧٠٢ .

يهودا ابن الكاهن الذي ألف «مبحث الحكمة» اعتمد فيه على أرسطو ، مستعملاً تلاخيص ابن رشد المعروفة ، مثل الأركنون والمؤلفات الطبيعية . أما إسحاق البلاج (حوالي ق ٧هـ/١٣م) فهو بالرغم من شرحه لمقاصد الفلاسفة للغزالي نجد تأثير ابن رشد واضحاً فيه ، ومضمون ترجمة وتعاليق المقاصد تحمل تعصب البلاج لمذهب ابن رشد وآرائه[١] .

وكان من أثر هذا الإقبال على فلسفة ابن رشد أن أخذت هذه الفلسفة تتسرب إلى المدرسيين اللاتين بعد أن جازت بالوسط العبراني ، وكان أكبر شروحه قد ترجمت إلى اللاتينية على يد كل من : ميخائيل سكوت ، وهرمان الألماني ، حوالي منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، أما مصنفاته الحجاجية ، وهي التهافت ، وفصل المقال ، والكشف عن مناهج الأدلة ، فلم يلتفت إليها المترجمون أو العلماء إلا في حقبة متأخرة ، ولم يترجم منها إلا التهافت الذي نقل إلى اللاتينية حوالي سنة (٧٢٩هـ/١٣٢٨م) على يد قالونيموس بن قالونيموس الآنف الذكر ؛ لذلك بقي الكثير من آراء ابن رشد الخاصة في القضايا الفلسفية واللاهوتية خافياً على اللاتين[٢] .

وعلى كلٍّ فقد تغلغل ابن رشد بسرعة مدهشة في العالم النصراني ، وبنفس السرعة التي ترجمت فيها مؤلفاته أصبحت آراؤه معروفة ومتداولة في الأوساط العلمية النصرانية ، وخاصة عند المدرسيين ، ولم يكد يشرف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي على الانتهاء حتى وصلت ترجماته اللاتينية كاملة إلى علماء جامعة باريس ، فأصبحت الفلسفة الرشدية قوة فكرية ، ويحسب لها حساب ، وقد حسبت الكنيسة بالفعل لفلسفة أرسطو وشارحه ابن رشد حساباً ، فبدأت التحريمات والمنع . ففي سنة (٦٠٧هـ/١٢١٠م) حرم المجمع الكنسي المجتمع في باريس قراءة أرسطو وشروحه ، وهدد من يفعل ذلك بعقاب التحريم

---

(١) نفسه ،٢/٧٠٦-٧٠٧ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/٢٢٨ ؛ بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٣٦٧ ؛ فخري : ابن رشد ، ٣٧٤ ؛ مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٧٢ ؛ عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا ، ٥٥ .

البابوي ، وفي سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) جدد نائب البابا الذي كانت جامعة باريس تحت إشرافه تحريم قراءة أرسطو وشروح ابن رشد ، ولم تمنع هذه التحريمات طلاب الفلسفة الرشدية من دراستها حتى إن البابا جريجوري التاسع حين خاطب طلبة وأساتذة جامعة باريس في سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) منع دراستها لحين فحصها وتنقيتها ، وعهد بذلك التنقية إلى جماعة اختارهم ، ومع أن البابا أوربان الرابع جدد التحريم إلا أن كل هذه التحريمات لم يكن لها أثر يحد من انتشار دراستها ؛ حيث كان الحماس لأرسطو وللرشدية شديداً وعنيفاً بحيث لم تنفع كل التحريمات في التخلص منها[1] . ولما أعياها الأمر بدأت الكنيسة في دراسة الرشدية وتبنيها ومن ثم اتخاذها سلاحاً في خدمة النصرانية حين فشلت في القضاء عليها ، فبدأ الصراع الجدلي شديداً حين عهد البابا الكسندر الرابع في سنة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) إلى ألبرت الكبير بالرد على الرشدية إلا أن البرت لم يرد على الرشدية بل على ابن رشد نفسه ؛ إذ تولاه بالنقد والتجريح ، ولم يكتف البابا بذلك بل عهد أيضاً إلى البرت أوف كلون بالرد على ابن رشد ، مما يثبت أن الكنيسة كانت قلقة جداً من تأثير ابن رشد على سلطتها ، وهنا بدأ الرهبان «الدومينيكان» دورهم في الذب عن الكنيسة باستخدام ابن رشد وفلسفته في شخص توما الأكويني[2] .

وهكذا نجد أن فلسفة ابن رشد قد شطرت مفكري العصور الوسطى إلى شطرين :

الأول : رجال الكهنوت الذين لم يروا خطر الرشدية الجارف على سلطة الكنيسة وتعاليمها فحسب ، بل على العقيدة النصرانية بصفتها نظاماً دينياً ودنيوياً معاً يحكمه البابا عبر نظامه الهرمي .

والشطر الثاني : المفكرون الأحرار أو الخارجون على سلطة الكنيسة الذين

---

(١) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/ ٢٣٥ ؛ الخضيري : أثر ابن رشد ، ٥٦ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٨٣ .

(٢) رينان : ابن رشد والرشدية ، ٢/ ٢٣٧ ؛ الخضيري : أثر ابن رشد ، ٧٠ ؛ فخري : ابن رشد ، ١٤٠ .

أرادوا الاعتماد على شروح ابن رشد لكتب أرسطو لكي يبرروا خروجهم على الكنيسة في محاولة للتحرر من كبتها للتفكير الحر ، ولعل أغرب مظهر في هذا الصراع الفكري هو أن كل فريق كان يستخدم فلسفة ابن رشد في شروحه على أرسطو لاتهام الفريق الآخر بالرشدية التي أخذت عندهم كلهم معنى «الإسلام الإلحادي» بالنسبة للنصرانية ، ولما ظهر كتاب سيكردي برابانـد (Siger de Brabant)[١] (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) بعنوان (De anima intellectiv) في سنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) ظهر مقابله كتاب لتوما الأكويني بعنوان «وحدة العقل» أو الرد على الرشديين (De unitate intellectus contra Averroistas) ، وعلى منواله نسج عدد من كبار الفلاسفة المدرسيين كألبير الكبير ، وريموندلول ، وريموند مارتيني ، وغيرهم ، وبلغ من حدة هذا النزاع أن اضطرت السلطات الكنيسة إلى التدخل ، فأدانت سنة (٦٧٠هـ/١٢٧١م) و(٦٧٦هـ/١٢٧٧م) عدداً من القضايا[٢] الفلسفية الكبرى التي تلزم عن تأويل ابن رشد واتباعه لأرسطو وتصطدم بالعقيدة النصرانية[٣] .

ولم يقتصر الصراع على الجدل الكلامي ، بل فسر أحياناً تفسيراً سياسياً مثلما حصل في نزاع أمير بافاريا (لويس أوف بافاريا) مع البابا ونتج عنه بالتالي مبدأ الفصل بين الدين والدولة ، فكان ما للبابا للبابا وما لقيصر لقيصر ، واستمر الصراع عنيفاً ، واحتدم إلى الجراح ، بل إلى القتل والسجن المؤبد أحياناً ،

(١) برابانـد : من أساتذة جامعة باريس ، له رسائل وكتب اختلف في نسبتها إليه ، وقد تزعم الحركة الرشدية بهذه الجامعة . كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ٢٠٩-٢١٢ .

(٢) من أهم هذه القضايا التي أدانتها الكنيسة ما يلي : :
١ – إنكار حرية الإرادة ، أو قول الرشديين : «إن الإرداة قوة منفصلة ، لا فاعلة ، وأن المراد يحركها باضطرار» . ٢ – إنكار العناية الإلهية . ٣ – قولهم بأزلية العالم وباستحالة الخلق عن العدم . ٤ – قولهم بحقيقتين مختلفتين ، فلسفية ودينية ، صادقتين معاً . ٥ – قولهم بوحدة العقل البشري ، واستحالة المعاد الفردي . ٦ – إنكارهم على الله للجزئيات الحادثة . انظر : فخري : ابن رشد ، ١٤٠ .

(٣) رينان : ابن رشد والرشدين ، ٢/٢٤٠ ؛ فخري : ابن رشد ، ١٤٠ ؛ الخضيري : أثر ابن رشد ، ٨٠ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٨٦ .

وأصبحت الرشدية سبَّة وزندقة تلصق بالخصم وما على الخصم إلا أن يثبت إخلاصه لأرسطو الوثني وتنصله من الشارح ، وذلك بالرد العنيف عليه والحط منه[١] .

وفي الوقت الذي تبنى فيه الدومينيكان تفسير توما الأكويني لفلسفة أرسطو ومحاولته التوفيق بين هذه الفلسفة والنصرانية فإن الفرنسيسكان رفضوا الفلسفة التوماوية في مراكزهم الجامعية ، كأكسفورد ، وتبعتها جامعة باريس ، وبرزت شهرة وليم أوف أوكام الفرنسيسكاني الذي اشتهر بمعارضته للبابا ، وقد تركزت آراؤه على إنعاش الفلسفة الاسمية ، وسعى بدوره إلى فصل السلطة الدينية عن الفلسفة على الطريقة الرشدية ، وهذا لا يعني أنه لا يعترف بالسلطة الدينية ، بل على العكس من ذلك ، نجده يجعل الكنيسة هي السلطة الدينية الوحيدة ، ولكنها لم تكلف بتطبيق القوانين الوضعية ، بل المؤسسات السياسية هي السلطة الوحيدة المعقولة وهي بدورها قابلة للتغيير ، ويعتبر أوكام هذا من كبار الذين دافعوا عن الفكر العلماني في القرون الوسطى ؛ لأنَّه كان ضد السلطة البابوية[٢] .

وهكذا نجد أنَّ ضعف سلطة الكنيسة ، ومن ثم فصل الدين عن الدولة في الغرب لم يكن سببه تأثير الفلسفة الرشدية لوحدها ، إنما كان سببه تغلغل مجموعة أفكار وافدة عن طريق الترجمة أدت إلى ثورة المفكرين والعلماء في وجه الكنيسة التي استبدت بكل شيء ، فكان تأثير علوم المسلمين التي أثرت في علماء الغرب باكتشافاتهم الطبيعية والفلكية أن احتدم الصراع بينهم وبين الكنيسة التي كانت تعتبر نفسها المصدر الوحيد للمعرفة قبل هذه الاكتشافات التي تخالف آراءها ، وفي نفس الوقت أدت هذه الآراء الصحيحة في العلوم إلى فقدان الكثيرين ثقتهم في الكنيسة والتشكيك في سلامة معلوماتها ، وهو أثر له أهميته القصوى ، كما أنها أعطت الأولوية للتجربة والبحث العقلي في الوصول إلى الحقائق[٣] .

---

(١) السامرائي : الاستشراق ، ٨٦ .

(٢) السامرائي : الاستشراق ، ٨٦ .

(٣) سفر الحوالي : العلمانية ، ١٤٦ .

وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي تبلور النزاع واتخذ شكلاً جديداً ، فأصبح نزاعاً بين النص الذي تعتمد عليه الكنيسة في أدلتها وبين العقل والنظر الذي استند إليه أصحاب النظريات الجديدة ، فثار العلماء ودعاة التجديد مطالبين بتقديس العقل لاستقلاله بالمعرفة بعيداً عن الوحي ، فاضطرب الجانب الديني بظهور هذه الروح الجديدة اضطراباً واضحاً ، وساعدت هذه النظريات في إيجاد فكر لا ديني منظم ينتهج طرائق محددة ، وإن كان قد ظل مشوباً بالتعصب والسلبية ، مندفعاً في مهاجمة الكنيسة ومعتقداتها(١) .

ولم يأت القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي حتى انقضت السلطة الدينية تماماً ، بفضل الثورة الفرنسية(٢) في فرنسا ، ثم بآثار تلك الثورة في البلاد الأخرى ، ومن ثم برزت النهضة الحديثة وهي مطبوعة بطابعين واضحين : طابع الفلسفة اليونانية واتجاهها المادي الوثني ، والثاني : طابع العداء للدين والحقد على رجاله وسلطانه ، وبتأثير هذين العاملين كانت تصدر آراء المفكرين الغربيين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين ، الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، وفي ظلها نمت جميع المذاهب الفلسفية والأخلاقية التي سيطرت على عقول الغربيين حتى الآن(٣) .

وعليه فالآثار التي نجمت عن الترجمة في الكنيسة كانت تسير وفق خط تاريخي كالتالي :

١ - أحدثت الترجمات للعلوم من العربية تغيراً جذرياً في العقول الغربية

---

(١) نفس المرجع ، ١٥٢ .

(٢) الثورة الفرنسية : هي ثورة شعبية حدثت في فرنسا ، وأحدثت تغييرات سياسية واجتماعية كبرى في التاريخ السياسي والثقافي لفرنسا وأوروبا بوجه عام ، واستمرت من سنة (١٢٠٤هـ/١٧٨٩م) إلى (١٢١٤هـ/١٧٩٩م) ، عملت حكومة الثورة فيها على إلغاء الملكية المطلقة ، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الأرستقراطية ، والنفوذ الديني الكاثوليكي . البطريق ونوار : التاريخ الأوروبي الحديث ، ٣٦٠ .

(٣) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ط٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ٥ ؛ أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ٤٤ .

المفكرة ، الأمر الذي أثر على عقائد الكنيسة ومبادئها الدينية ، فواجهت ذلك بأقصى درجات البطش والتذليل مما أدى إلى تفجير الثورات المتتالية عليها مع بداية عصر النهضة ، وما صاحب ذلك من مواصلة التقدم العلمي وظهور المنهج التجريبي بفضل أثر الترجمة ، وقد تمثل ذلك في اتجاهات ثلاث تعكس نشاطات القائمين عليها ، وهي : اتجاه إنساني جسَّده الأدباء والفنانون ، واتجاه ديني جسده زعماء حركة الإصلاح ، واتجاه عقلي جسده العلماء والمفكرون ، بالإضافة إلى اتجاه رابع يتم تجاهله على الدوام وهو اتجاه الموحدين الغربيين الذين انضمَّ بعضهم إلى الإسلام بالعقل[1] .

٢ - اتخذت الحركة العقلية في أوروبا منحًى متطرفاً اتجه بها إلى الإلحاد التام ، وليس مجرد التمرد على الجمود الكنسي ؛ ذلك لأن هذا الاضطهاد المستمر للعلماء والمفكرين قرن التحرر العقلي عند هؤلاء باتخاذ الجانب المناوئ للدين ، والمتمثل في الإلحاد ، وبات مستقراً في الضمير الغربي منذ ذلك الحين تناقض الفكر والعلم مع الأديان عموماً ؛ إذ لم يكن لدى الفئة الثائرة تمييز بين الدين ورجاله المحتكرين لزعامته ، وبين ما يرجع إلى الدين عن عهدة ومسؤولية ؛ لأن الدين القائم أمامهم لم يكن ديناً منزلاً من عند الله ، إنما هو تحريف للنصرانية مع مزج من الوثنيات والفلسفة القديمة ، وهو بدوره مرفوض لبعده عن فطرة الإنسان وجبلته ؛ لذا لم يجد فيه هؤلاء المتنورون ما يحاكي فطرهم ، ويطمئن قلوبهم ، فاتجهوا إلى الفلسفة التي لم تكن بأحسن حالاً منه ؛ لأنها هي الأخرى كانت تخلو من العاطفة الدينية وروحانية الإيمان والعقيدة ، فسارت بهم نحو الهاوية ، وظلت أوروبا تتخبط في حضارة المادة ، ورفضت كل ما يخص الدين النصراني أولاً ، ثم كل الأديان بعد ذلك ، وعلى الأخص الدين الإسلامي الذي لن يجدوا طمأنينة إلا به[2] .

---

(١) مبروك : الإسلام والغرب ، ٦٣ .

(٢) نفس المرجع ، ٦٤ ؛ أبوالحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط٦ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٥م ، ١٧٧ ؛ الأميني : الإسلام تشكيل جديد للحضارة ، ٢٤ .

المبحث الثاني :
أثر الترجمة في اللغة والأدب الأوروبي

امتدَّ تأثير الترجمة إلى اللغات الأوروبية وآدابها ، فعن طريق سيل الكتب المترجمة دخل في اللغات الأوروبية كمٌّ هائلٌ من المفردات العربية في الأسماء والأماكن والمصطلحات ، وقد أدى عجز المترجمين عن إيجاد مفردات لاتينية للمعاني العربية إلى دخول مفردات عربية وافرة في اللاتينية ، ومن ثم إلى بقية اللغات الأخرى . وبالرغم من أنَّ بعض الباحثين يجزم بأن هذا التأثير اقتصر على لغة الأدب والكلام ، بخلاف البناء النحوي الذي لم تتأثر فيه اللغات الأوروبية بالعربية ، إلا أننا نجد اللغة الإسبانية على سبيل المثال تتفرد بظواهر غير موجودة في الفرنسية والإيطالية مثل ظاهرة التقديم والتأخير ، بل إن كثيراً من الصيغ التركيبية اللغوية الشائعة الاستعمال توازي تماماً صيغاً عربية سابقة لها[١] .

وعلى كلٍّ فتأثير اللغة العربية في كثيرٍ من اللغات الأخرى كان بسبب قداسة اللغة العربية بالنسبة للمسلمين ومداومة استخدامها في البلاد المفتوحة ، إضافة إلى عوامل الجوار الجغرافي والتجارة وغيرها ، ولم يقتصر هذا التأثير بفعل الترجمة وحدها ؛ إذ إنه كان للمعايشة دورٌ كبيرٌ في التأثر باللغة العربية بالنسبة للطوائف الأخرى لاسيما في صقلية والأندلس ، ولكنه لا بدَّ أن النقل من لغة إلى أخرى أسهم بدورٍ واسعٍ في نقل مفردات عربية كثيرة في شتى التخصصات إلى اللغات المنقول إليها فااستفادت من هذا التأثير وأثرته بما حوت من نقول[٢] .

---

(١) كاسترو : حضارة الإسلام في إسبانيا ، ٣٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠١ ؛

Rana abou Rjeily: Cultural connectives,London,٢٠١١,١٨.

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٣٦٧ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٤٤١ ؛ أحمد : تاريخ صقلية ، ١٠١ ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ١١٥ .

بيد أنَّ كثيراً من الكلمات المنقولة عن العربية كانت تخص علوم الطب والنبات والكيمياء والحيوان والجبر والفلك وفنون التوشية والتخطيط وبقية الشؤون التقنية ، وهذه كلها ترجمت بكم هائل من المؤلفات إلى اللاتينية أو إلى الإسبانية ، ومنها إلى اللاتينية ومن ثم اللغات الأخرى ، مما يعطي دليلاً قاطعاً على أنَّ أثر الترجمة في نقل اللغة العربية وتأثيرها في أوروبا كان واسع النطاق[١] .

وقد بدأ هذا التأثير مبكراً وبشكل واضح ، وأعظم ما يمثله هو المعجم اللاتيني العربي الذي ألف إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، ويعتبر أول قاموس من نوعه ، وحوى كثيراً من المفردات اللاتينية وفي مقابلها ما يناظرها من العربية ، وعلى الرغم من عدم معرفة مؤلفه ، ولا مكان أو تاريخ تأليفه لكن مضمونه يدل على أنه كتب بإسبانيا النصرانية ، وبتأثير من اللغة العربية وبفضل انتشارها[٢] .

ثم تبعه المعجم اللاتيني العربي الثاني الذي ألف أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي على أقرب تقدير ، ويظن أنه ألف في إسبانيا النصرانية أيضاً ، وحوى كذلك كثيراً من الألفاظ اللاتينية ومقابلتها العربية في قسمه الأول ، وهو ليس مرتباً بحسب الجذور ، بل بحسب الصيغ ، مع اتباع ترتيب الحروف الهجائية عند المغاربة ، ويسري الظن أن القسم العربي منه مأخوذ من قاموس عربي أصلي ، ثم جمع تحت اللفظ اللاتيني الواحد ذي المعنى العام كل مفرداته وما يرتبط من ألفاظ . وأسماء الأماكن فيه باستثناء : روما وبلاد البربر كلها أسماء مشرقية ، مما ينبئ أن القاموس العربي الذي أخذ منه هذا المعجم كان قاموساً كتب في المشرق ، ثم اختيرت منه المواد وكيفت بحيث تتلاءم مع الاستعمال العامي الشائع في الأندلس ، وأنها استخدمت التكوين الأساسي للعنصر العربي الأندلسي السائد ، سواء في المفردات ، وفي الاشتقاق ، وفي تركيب الجملة[٣] .

---

(١) محمد القاضي : أثر الإسلام واللغة العربية في الحياة الإسبانية ، والتاريخ العربي ، ع٢٢ ، ١٦٧ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٢ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٥٥٦ .

(٣) فوك : تاريخ الاستشراق ، ٨٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٥٥٨ .

وهكذا توالى تأليف المعاجم المستقاة أساساً من مؤلفات اللغة العربية وآدابها ، مع ازدياد الاهتمام باللغة العربية نفسها ، لاسيما بعد قرار مؤتمر فينا سنة (٧١٢هـ/١٣١٢م) الذي أقر تدريسها مع لغات شرقية أخرى في عدد من جامعات الدول الأوروبية لأغراض تنصيرية ، فأصبحت اللغة العربية لغة مهمة في خدمة كثير من المنصرين ، وزاد الاهتمام بتأليف المعاجم والقواميس المساعدة ، ومن أهمها : القاموس الإسباني العربي الذي ألفه بدرو القلعاوي سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) تقريباً ، وكان الهدف منه خدمة المنصرين ومساعدة المنصرين الجدد في إسبانيا ، وصدر هذا العمل سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) في غرناطة ، وحوى فوق اثنين وعشرين ألف مادة ، واستعان في تأليفه بعدد من العلماء المسلمين المتقنين للهجة العربية الغرناطية ، ولا يستبعد أنه استعان أيضاً بقواميس عربية في عمله هذا[(١)] .

وهكذا نجد اللغة العربية فرضت على الأوروبيين أن يستعينوا بمؤلفاتها ويستخدموا مفرداتها باختلاف دوافعهم ، مما كان له أثرٌ كبير في اللغات الأوروبية كافة ، لا سيما الإسبانية حيث إنها إحدى اللغات المترجم إليها ، ومن ثم إلى اللاتينية ، فكان تأثير اللغة العربية فيها كبيرٌ جداً ، بشهادة كثيرٍ من الباحثين ، فالمستعربة تريسا غارولو (Teresa Garulo) أستاذة اللغة العربية بجامعة مدريد والتي أعدت أطروحتها للدكتوراه عن الكلمات ذات الأصول العربية في منطقة أندلوثيا «الأندلس» ترى : «أن اللغة الإسبانية تعتبر أكثر اللغات الأوروبية تأثراً باللغة العربية ؛ لأنه لا يمكن محو تأثير أكثر من ثمانية قرون عاشها الإسلام واللغة العربية في الأندلس ، وأنه بعد سقوط غرناطة بقي الموريسكيون بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، ثم الصناعات والفنون ظلت في أيدي هؤلاء لسنوات طويلة ، وأيضاً لا يجب أن ننسى أن العديد من الصناعات والتقنيات الزراعية دخلت إلى شبه الجزيرة الأيبيرية على أيدي العرب بعد الفتح ؛ ولذلك ظلت الصفات والأسماء كما هي ؛ لذلك فإن سقوط قرطبة وإشبيلية في أيدي المسيحيين أدى إلى

(١) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١٠٧ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٧٧ .

دخول آلاف الكلمات في اللغة الإسبانية ؛ لذلك يعتبر القرن الثالث عشر هو العصر الذهبي للكلمات العربية في اللغة الإسبانية»[١] .

ويرى كثيرٌ من الباحثين أيضاً أن المفردات العربية التي دخلت إلى اللغة الإسبانية تقدر بثلاثين في المائة (٣٠%) من محتويات القاموس الإسباني . وحسب العالم اللغوي رفائيل لابيسا (Rafael Lapesa) في كتابه «تاريخ اللغة الإسبانية» فإن العامل العربي في تكوينها كبير الأهمية ، ويأتي مباشرة بعد العامل اللاتيني ، ونحن نرى فيها اليوم عدداً كبيراً من المفردات التي تبتدئ بأل التعريف ، وهذا ما يرشدنا في أحيان كثيرة إلى أصلها العربي غير أن قليلاً منها بقي على حاله الأصلي كتابة ولفظاً ، مع أنه حافظ على معناه الأصلي لما أصاب تلك المفردات العربية الأصل سواء منها المبتدئة بأل التعريف أو غيرها من تحريف لدى دخولها إلى اللغة الإسبانية[٢] . والسبب في ذلك التحريف منطقي وواضح ؛ لما يوجد من فوارق شاسعة بين حروف العربية وحروف اللاتينية ، وبين جرس الأولى وجرس الثانية ، وأسلوب لفظها ، وبين ذوق الأذن الإسبانية وذوق الأذن العربية ؛ ولذا كان لا بدَّ للإسبان من سكب المفردات العربية وأسماء الأعلام وأسماء المواقع الجغرافية والمدن التي أطلق عليها المسلمون أسماء عربية في قالب سماعي يتناسب مع ذوقهم من جهة ، ومع إمكانية لغتهم الأصلية ، وأحرف هجائهم من جهة ثانية ، ومن الأمثلة على ذلك : قلعة أيوب التي نقلت بالإسبانية (CALATAYUD) ، والنهر الكبير الذي أضحى بالإسبانية (CUADALQUIVIR) وهو مأخوذ من اسمه العربي (الوادي الكبير) ، وتسمى القرية في الإسبانية (ALDEA) . في حين أن كلمة (حتى) بقيت على حالها في اللغة الإسبانية ، إذ يقولون عنها (HASTA) ، والسوق

---

(١) القاضي : أثر الإسلام واللغة العربية ، ١٦٦ .

(٢) عبدالبديع : الإسلام في إسبانيا ، ١١٢ ؛ ميسنر : مزيد من المفردات العربية وتصنيفها في اللغات الرومانسية - الأيبيرية ، ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ١/٦٥١ ؛ القاضي : أثر الإسلام واللغة العربية ، ١٦٧ .

(ZOCO) ، وكثيراً ما يردد الإسبان في أحاديثهم حتى يومنا الحاضر عبارة (OJALA) وهي مأخوذة من اللغة العربية وأصلها (إن شاء الله) ، ومثلها قولهم المأثور : (ليحفظك الله) (RUE DIOS GUARDE)[١] .

ولأمثلة الكلمات التي تبتدئ بأل التعريف وبقيت على حالها في الإسبانية : الرز (Arroz) ، والسكر (acucar) ، والناعورة ، (Noria)[٢] ، وغيرها كثير[٣] .

وهذا التأثير للغة العربية في اللغة الإسبانية ما لبث أن عمّ جميع اللغات المحلية في شبه الجزيرة الأيبيرية ، فأضفت على اللغات البرتغالية والقطلونية مكانة متميزة بين اللغات الأوروبية ، ولم تقتصر إسبانيا لوحدها على تلقي التأثيرات في مجال اللغة العربية فحسب ، بل إنها كانت واسطة لنقلها إلى لغات أخرى كالفرنسية ، والإيطالية ، والألبانية ، والإنجليزية[٤] . أما عن الفرنسية فقد ذكر سيديو : «أن اللهجات السائدة لولاية أوفرن وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية ، وأن أسماء الأعلام فيها ذات مسحة عربية»[٥] ، ولكن لا يمكن تفسير جميع هذه التأثيرات أنها آتية من إسبانيا عن طريق الترجمة لوحدها ، فبعض الترجمات دخلت من اللهجات الإيطالية المحكية في الجمهوريات التي حافظت على علاقاتها التجارية مع شرقي البحر الأبيض المتوسط ، أو من صقلية التي كانت في يد المسلمين مائتي عام ، وبقي أثر الإسلام واللغة العربية حتى بعد خروجهم واضحاً فيها ، وفي نفس الوقت لا يمكن أن نغفل دور صقلية وإيطاليا في نقل مفردات لغوية عربية عن طريق الترجمة أيضاً ، فالأرقام العربية دخلت عن طريق إيطاليا ، وهذه القنوات المختلفة للانتشار اللغوي تعني أنه من الصعب التعرف

---

(١) القاضي : أثر الإسلام واللغة ، ١٦٧ ؛ http.//www.voiceofarabic.net .

(٢) الناعورة : هي عجلة مائية واسعة مدورة ، تدار بقوة تيار الماء ، وفي أثناء دورانها تصدر أنيناً عالياً كان سبباً في تسميتها بالناعورة . عبدالعزيز الأهواني : ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣ ، ج١ ، ١٣٧٦هـ=١٩٥٦م ، ٢٩٠-٢٩١ .

(٣) ميسنر : مزيد من المفردات العربية ، ١/ ٦٥٢ .

(٤) كاسترو : حضارة الإسلام ، ٢٩ ؛ ميسنر : مزيد من المفردات العربية ، ١/ ٦٥١ .

(٥) لوبون : حضارة العرب ، ٤٤١ .

بدقة على المصادر الأصلية لبعض الكلمات ، ولكنه من المؤكد أن التأثير اللغوي للعربية كان على أشده في إسبانيا ، ومن ثم بقية المعابر الأخرى بواسطة الترجمة[١] .

وقد أثبتت إحدى الدراسات[٢] أن نسبة تأثير اللغة العربية في اللغة الفرنسية يساوي (٥،١%)من مجموع تأثير اللغات الأخرى ، وأنه من بين ثمانية آلاف وثمانمائة وثمانين كلمة (٨٨٨٠) أجنبية الأصل في الفرنسية توجد (٤٢٠) كلمة ذات أصل عربي ، شملت مفردات لأسماء الأماكن والنبات والحيوان واللباس والأطعمة ، بالإضافة إلى مفردات علمية وتقنية[٣] .

وبالرغم من أن هذه النسبة في تأثير اللغة العربية بين اللغات المؤثرة في الفرنسية نسبة جيدة ؛ إذ إن نسبة اللغة الإسبانية لا تزيد على (٣.٧%) ، والألمانية (٣.٥%) ، والفارسية والسنسكريتية (٢.٦%) ، إلا أن العدد المذكور للكلمات الفرنسية ذات الأصل العربي (٤٢٠) لا يعكس حقيقة وضع الكلمات العربية التي استطاعت الدخول إلى المعجم الفرنسي والاستقرار فيه واكتساب حق الانتماء إليه ، ذلك أن الرقم المذكور لا يمثل في الحقيقة إلا عدد الكلمات الأصلية وحدها ، دون النظر إلى مداخل معجمية أخرى تم اشتقاقها من هذه الأصول ، واستعملت استعمالاً عادياً في اللغة الفرنسية ، وعلى سبيل المثال ، كلمة (ALCOOL) أصلها من الكلمة العربية (الكُحل) ، ولكن اشتقاقاتها أغفلت من الدراسة الآنفة ولم تحسب ضمن الكلمات العربية المؤثرة ، مثل (alcoolat alcoolature,alcoole, alcoolest, alcoolemie) وغيرها .

ولو ذكرت المشتقات إلى الأصول العربية البالغ عددها (٤٢٠) لبلغ مجموعها ثلاثة أضعاف العدد المذكور أو أربعة أضعاف ، علماً بأن العدد نفسه من الكلمات

---

(١) أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٦ ؛ ميسنر : مزيد من المفردات العربية ، ١/ ٦٥١ .

(٢) هي دراسة لباحثة فرنسية تدعى هنرييت والتر (Henriette walter) بعنوان : «مغامرات الكلمات الفرنسية القادمة من الخارج ، صدرت بباريس سنة١٩٩٧م» . انظر : http://www.voiceofarabic.net .

(٣) نفس المرجع .

الأصول الذي ذكرته الدراسة (٤٢٠) ليس هو الرقم النهائي ؛ إذ هناك إحصائيات أخرى تستدرك عليه(١) .

وهكذا نجد أن اللغة الفرنسية استعارت كمية كبيرة من الكلمات العربية واحتفظت بها مثل كلمة الحصان التي جاءت في الفرنسية باسم (ALezan) ، وغزالة باسم (Gazelle) ، وحناء باسم (Henne) ، وأمير البحر العربية التي فرض أن تكتب (amir al-bahr) بتر جزء منها في الفرنسية لتصبح (Amiral) وغيرها كثير .

أما بالنسبة لبقية اللغات كالإيطالية والإنجليزية فقد أخذت هي الأخرى مفردات عربية كثيرة مثل : أمير ، التي أصبحت (ammiraglio) في الإيطالية ، و(Admiral) في الإنجليزية ، وقهوة ، التي أصبحت في الإيطالية (Cafe) وفي الإنجليزية (Coffee) ، وغيرها كثير ، وعلى كلٍّ فقد تأثرت اللغات الأوروبية على كثرتها وتعددها باللغة العربية في مفرداتها ، وأكبر دليل على ذلك أن ألف دوزي وأنجلمن معجماً من الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية(٢) .

وإذا ما تركنا فرع اللغة لننتقل إلى الأدب بنوعيه النثر والشعر تطلب منا أن نكتب صفحات كثيرة عن التأثير الذي خلده الأدب الإسلامي في الآداب الأوروبية الأخرى ، لاسيما ولدينا نماذج لمؤلفات في الأدب العربي شقت طريقها إلى أوروبا عن طريق الترجمة ، فبالضرورة أنها أثرت فيما قابلها من أدب غربي بكافة أنواعه ، ويأتي في مقدمة هذه التأثيرات التأثير بالقصص الشرقية ، مثل كليلة ودمنة التي ما إن نقلت إلى أوروبا عن طريق الترجمة إلا وتلقفتها العقول الأوروبية بكافة طبقاتها فشغفت بها قراءة ومحاكاة ، وألف على منوالها كثيرٌ من أعلام الأدب في الغرب ، واستقى عدد منهم ما جاء فيها من حكم وأمثال . ويدل على ذيوع الترجمات المتعاقبة للكتاب أن تأثيره لم يقتصر على الآداب فحسب ، بل امتد إلى

---

(١) نفسه .

(٢) لوبون : حضارة العرب ، ٤٤١ ؛ أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، ١٠٦ .

الميادين الأخرى كالفلسفة والدين والعقيدة[١] . أما أثره في الآداب الأوروبية فإننا نجد كاتبين إيطاليين من فلورنسا يقومان بتقليد قصص كليلة ودمنة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، هما : أينولوفير نزولا (Agnolo Firenzuola) (٩٥٥هـ/١٥٤٨م) وال دوني (EL Doni) (٩٦٠هـ/١٥٥٢م)[٢] .

ولم يكد هذا الكتاب يعرف في أوروبا حتى اعتبر المثل الأعلى لكتب المواعظ التي تلقى على ألسنة الحيوان أو الطير ، ويصور مدى شعبيته في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، نص كتبه بدرو باسكوال (Pedro Pascual) أسقف مدينة جيان الذي قضى حياته يجادل مسلمي غرناطة محاولاً أن ينصرهم ، وفيه يحمل على النصارى في عصره ؛ لإقبالهم على قراءة «كليلة ودمنة» ، وشغفهم به ؛ إذ إنه رأى في قراءة هذا الكتاب العربي خطراً يهدد العقيدة الكاثوليكية ، وجهوده في نشرها[٣] .

وكثرت محاولات تقليد «كليلة ودمنة» سواء في الإطار العام للمجموعة ، أو في القصص نفسها واحدة واحدة ، نرى ذلك في كتاب ريموند لول (ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م) المعروف باسم «كتاب الوحوش» ، ولو أن هذا المؤلف اعتمد على ما سمعه من أفواه المسلمين خلال رحلاته الطويلة وزياراته لبلاد المشرق الإسلامي ، وكذلك في بعض أقاصيص بوكاشيو (Bocaccio) (ت٧٧٧هـ / ١٣٧٥م)[٤] المعروفة باسم «الليالي العشر» (Decamerone) الذي يرجع إلى منتصف القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، فضلاً عن المنهج العام لمجموعة هذا القصصي الإيطالي التي تتفق مع كليلة ودمنة ومع ألف ليلة وليلة في

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨١ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٧ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٤ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٥ .

(٣) نفس المرجع ، ٧٦ .

(٤) جوفاني بوكاشيو (Giovanni Bocaccio) : شاعر وأديب إيطالي ، ولد بفرنسا . ديورانت : قصة الحضارة ، ١٨/ ١٤-١٥ .

أنها قصة قصص[١] .

ومن أشهر قصص كليلة ودمنة وأكثرها شيوعاً في الآداب الأوروبية قصة «الناسك الذي سكب السمن والعسل على رأسه» ، وهي التي نقلها بعد ذلك خوان مانويل (Juan manuel) (عاش بين ٦٨١-٧٤٩هـ/١٢٨٢-١٣٤٨م) في مجموعة مواعظ «الكونت لوكانور»(Elconde lucauor) ، واشتهرت على يد لافونتين (La Fontaine) الذي اتخذ منها مادة قصته (La Perrette) ، ونشرها ضمن مجموعة خرافاته سنة (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) ، و(١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) ، وما زالت تتناقل في الأدب المكتوب للأطفال باسم «اللبانة» التي أسرفت في خيالاتها وأوهامها حتى سكبت على رأسها ما كانت تحمله من لبن[٢] .

ولا يسعنا في هذه الصفحات أن نتتبع ما تناقله القصاصون الأوروبيون منذ عصر النهضة حتى اليوم من قصص «كليلة ودمنة» ويكفي أن نذكر أن هذا الكتاب العربي قد ترجم إلى أكثر من أربعين لغة ، وأنه ظل منذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، حتى اليوم معيناً لا ينضب تولدت عنه قصص لا يحيط بها الحصر[٣] .

أما بالنسبة لقصة السندباد الذي دخل في مجموعات قصصية أخرى مثل «ألف ليلة وليلة» ، أو قصة الملك وولديه والجارية والوزراء السبعة ، وكان لترجمته العبرية أثر في وضع الراهب الإسباني خوان دي ألتا سيلفا مجموعة يقلد فيها الكتاب بعنوان «تاريخ حكماء روما السبعة» في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وهذه المجموعة تعتبر ترجمة حرة للكتاب ، وعن طريقها انتشر انتشاراً واسعاً في الغرب ، فلم تبق لغة أوروبية إلا ترجم إليها نثراً وشعراً ، كالإيطالية والإنجليزية والألمانية والهولندية والدنماركية ، ولعل أهم من تأثر به هو كاتشيو في

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٢ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٨ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٦ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٢ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٧ .

(٣) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٢ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٧ .

مجموعته «الليالي العشر»[١] .

وقد كان لكتاب «تعليم العلماء» الذي ألفه بطرس الفونسو (ت٥٠٤هـ/ ١١١٠م) واستقى مادته من مؤلفات الآداب العربية ووضعها في قالب قصصي تناول ثلاثين أقصوصة أثر في الآداب الأوروبية بلغاتها المختلفة ، فمن أقاصيصه قصة «عن مكائد النساء» التي نجد تأثيرها في عدد هائل من المجموعات الأوروبية التي كتبت باللاتينية والإسبانية والفرنسية والألمانية حتى القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، ثم انتقلت إلى مجموعة الحكايات الخرافية الفرنسية وإلى المسرح الشعبي الإنجليزي ، واستخدمها سيرفانيتس (Cervantes) في قصة العجوز الغيورة في القرن الثاني عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، ومن الغريب أن هذه الأقصوصة أتيح لها انتشار كبير حتى في الكتب التي وضعت لخدمة رجال الكنيسة وإعانتهم على إعداد خطبهم ومواعظهم ، ونحن نعني بذلك كتاب «مآثر الرومان» (Gesta Romanorum) الذي كتب باللاتينية وكان له ذيوع كبير بين قساوسة الكنيسة في فرنسا وإنجلترا أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، فقد جاءت تلك القصة في المثل الثالث بعد المائة من الكتاب المذكور ، وإن كان جامع الكتاب أراد أن يضفي عليها ثوباً نصرانياً روحياً ، فتأول كل تفاصيلها على نحو رمزي[٢] .

كذلك ترجم هذا الكتاب إلى معظم لغات أوروبا ولهجاتها ، ففي القرنين السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ترجم مرتين إلى الفرنسية شعراً ، وفي الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ترجم في إيطاليا وإسبانيا ، وفي التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ترجم إلى الأسبانية والفرنسية والإنجليزية والألمانية ، واستوحى منه القصاصون كثيراً في أسبانيا

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٦٧ ؛ عبدالبديع : الإسلام في الأندلس ، ١٣٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٧ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٨ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٠؛ بيدال : أسبانيا تنقل العلم ، ٢٤٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٣ .

وإيطاليا ، وكان من بين الأدباء الذين استقوا منه خوان مانويل ، وقس هيتا (Arciprestede Hita) ، وبوكاشيو ، وتشوسر (Chaucer) ، (ت٨٠٣هـ/ ١٤٠٠) ، وموليير (Moliere)[١].

وقد كان الرأي الشائع بين العلماء هو أن مجموعة قصص «ألف ليلة وليلة» لم تؤثر في الآداب الأوروبية إلا منذ أن قام الأديب الفرنسي أنطوان جالان (Antoine Galland) (ت ١٠٥٦هـ/ ١٧١٥م)[٢] بترجمة فصول منها إلى الفرنسية سنة (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)[٣] غير أن الدراسات الكثيرة المتأخرة قد اتجهت إلى نقض هذا الرأي ، والإيمان بأن نفوذ هذه القصص العربية أقدم من ذلك بكثير ، والمسألة على كل حال في غاية من الصعوبة والتعقيد ، فقصص ألف ليلة وليلة ليست من طراز الكتب التي يتمكن الباحث من معرفة مؤلفها وثقافته والأصول التي اعتمد عليها في كتابته إياها ومدى انتشارها واستفادة غيره منها ، فهي من التراث الشعبي الفلوكلوري الذي لا يمكن القطع في مصادره وماهية مؤلفيه برأي ، فهو مجموعة من القصص المتنوعة التي تعاونت على كتابتها أجيال من القصاص في عصور مختلفة وأمكنة تكاد تتسع إلى العالم الإسلامي بكل امتداده ، بل إن نص هذه المجموعة لم يعرف حتى الآن كاملاً متسقاً ، فمخطوطاتها الكثيرة المبثوثة في مختلف أنحاء العالم لا تكاد تتفق فيما بينها ، وهذا أمر طبيعي في أدب يدخل في نطاق التراث الفلوكلوري ، وحتى جالان نفسه لم يترجم إلا ما وصل إليه منه ، والباحثون الذين توفروا على دراسة بعض قصص المجموعة وردها إلى هذا الأصل أو ذاك لم يصلوا إلى نتائج ، وإنما انتهوا إلى فروض لا يمكن التحقق من صحتها ، وهذا ما يحتم علينا أن نعالج مسألة «ألف ليلة وليلة» ، ونفوذها المحتمل في الآداب

---

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٧٣ .

(٢) انطوان جالان : مستشرق فرنسي درس في معهد فرنسا العربية ، ثم رحل إلى تركيا للبحث عن الآثار والنقوض ، وبعد عودته عين أستاذاً للعربية بمعهد فرنسا . العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١٦٠ .

(٣) فروزنتال : تراث الإسلام ، ٢/ ١٨٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١٦٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٠٨ .

الأوروبية قبل القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي في حذر شديد[1] .

غير أن المؤكد هو أن قصصاً متفرقة من ألف ليلة وليلة كانت معروفة شائعة في المشرق الإسلامي قبل أن تتناولها أيدي القصاص المصريين بالتهذيب والتحرير الأخير أوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي كما يرى غالبية الدارسين . وإذا تحدثنا عن نفوذ مجموعتنا القصصية في الآداب الأوروبية فإنما نعني هذه القصص المنقولة لا المجموعة كلها كما نعرفها اليوم[2] .

ولعل أول مثل لهذه القصص هي حكاية الجارية تودد التي رأى الباحث الإسباني ميننـدث بيلايو في كتابه «أصول الرواية» أنها هي الوحيدة التي يمكن القطع بانتقالها المبكر إلى الأدب الإسباني وتأثيره فيه ، ولا يخلو ذلك من غرابة ، فإن هذه الحكاية بالذات من أردإ قصص «ألف ليلة وليلة» مما جعل أنطوان جالان يغفلها ، فالخيط القصصي فيها واهٍ ، وهو يكاد يقتصر على كونه ذريعة لتلك المناظرات التي دارت بين الجارية وبين كبار العلماء في بلاط هارون الرشيد والتي انتهت بغلبة تلك الجارية عليهم جميعاً ، أما المناظرات نفسها فهي ثقيلة حافلة بالتعاليم المضحكة ، ويبدو أن كاتب القصة أراد أن يودعها ما يشبه أن يكون موسوعة مختصرة في سائر العلوم من الفقه وعلم الكلام إلى الطب والموسيقى والشطرنج[3] .

ومع ذلك فقد كان لهذه الحكاية شعبية كبرى في الأدب الإسباني ، فقد طبعت ترجماتها الإسبانية والبرتغالية عشرات الطبعات ابتداءً من سنة (٩٣١هـ / ١٥٢٤م) ، وبلغ من شعبية هذه الحكاية وذيوعها في الأدب الإسباني أن عمد إلى نقلها إلى خشبة المسرح الكاتب الكبير : لوبي دي فيجا (Lope de vega)

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٠٨-١٠٩ .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، بدوي : دور العرب ، ٨٢ .

(٣) العقيقي : المستشرقون ، ١/١٦٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٨٢ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٠٩ .

(ت١٠٤٥هـ/١٦٣٥م)[١] تحت عنوان : «الجارية تيودور» (La doncella Teodor) . وعلى كل حال فإن القصة كما ذكرنا قد عرفت في الأدب الإسباني منذ القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، بل إننا نجد خلاصتها في كتاب «التاريخ العام» الذي ألفه ألفونسو العاشر في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، أي قبل أن يتم جمع قصص ألف ليلة وليلة بالشكل الذي نعرفه بزمن طويل ، وهذا نفسه يدل على أن قصصاً كثيرة مفردة من هذه المجموعة قد عرفت في الأندلس منذ عهد مبكر[٢] .

والأمثلة كثيرة في أوجه التشابه بين بعض القصص الأوروبي ، وقصص ألف ليلة وليلة ، مثل قصة كلاماوس وكلاريموندا (Clamades et Clarimonda) التي يدور جانب منها حول الحصان السحري الطائر ، كما جاء في ألف ليلة وليلة ، وكذلك قصة بيير دي بروفنسا وماجالونا الجميلة (Pierres de Provenza et la Linda Magalona) التي يلاحظ تشابهها القوي بقصة قمر الزمان والأميرة بدور[٣] .

ويمكن أن نضيف إلى الأمثلة السابقة عشرات الأمثلة الأخرى مما لا يكفي تفسيره بمجرد التوافق بين الأخيلة الشعبية في عالم العصور الوسطى ، على أنه من العسير القطع بشيء في هذه الناحية قبل القيام بدراسات مفصلة لجزئيات كل قصة والتحقق من انتقالها إلى إسبانيا النصرانية أو غيرها من بلاد الغرب وكيفية هذا الانتقال ، غير أنه من المؤكد بوجه عام أن الأدب القصصي الإسباني منذ القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وحتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي حافل بمظاهر التأثر العميق بمجموعات القصص العربية

---

(١) لوبي دي فيجا : ولد سنة (٩٧٠هـ/١٥٦٢م) في مدريد ، ودرس اللاتينية والإسبانية ، ثم التحق بمدرسة الجزويت اليسوعيين ، ثم أخذ يتخصص في مجال الأدب ، إلى جانب عمله الديني إذ أصبح عضوا في مجال التفتيش في إسبانيا . انظر : لوبي دي فيجا : نجمة إشبيلية ، ترجمة وتقديم : صلاح فضل ، مراجعة : محمود مكي ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٦-١٩ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٣ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١١٠ .

(٣) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١١٠ .

«ألف ليلة وليلة» بما لا مجال للشك فيه[1] .

وقد برز نفر من الأدباء الأوروبيين بين القرنين السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، والتاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، يمكن أن يعتبروا من حلقات الاتصال بين الفن القصصي العربي من جانب وأوروبا النصرانية من جانب آخر . وأول هؤلاء الأدباء هو الأمير خوان مانويل ، وخلف لنا تراثاً منوعاً من مؤلفات تاريخية وقصصية وتعليمية ، ومن أهم كتبه مما يدخل في الميدان القصصي كتاب : «الكونت لوكانور» ، وهو يعتبر مع مجموعة قصص «الليالي العشر» للأديب الإيطالي بوكاشيو أول إنتاج نثري يعرف في أوروبا في باب الفن القصصي . وقد انتهى خوان مانويل من كتابة مجموعته في سنة (٩٤٢هـ/١٣٣٥م) أي قبل أن يبدأ بوكاشيو كتابه في سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) بثلاث عشرة سنة على الأقل[2] .

ويتألف كتاب خوان مانويل من خمسين قصة كثيرة التنوع فيما بينها ، يقصها على الكونت لوكانور مربيه وأستاذه الشيخ باترونيو (Patronio) ، والحكايات متنوعة أشد التنوع ، ومصادرها عديدة ، والأثر العربي فيها واضح جداً حتى إن اسم الكونت وهو لوكانور إذ أن هذا الاسم تحريف لاسم (لقمان) الحكيم الذي تنسب إليه حكايات عديدة جداً في الأدب العربي القصصي[3] .

ولو أننا وازنا بين خوان مانويل وبوكاشيو -وهما أول من عرفتهما أوروبا من كتاب القصة في عصر النهضة- لرأينا أن أهم ما يميز الأول هو تشبعه الكامل بالثقافة العربية وقلة تأثير الكتاب الكلاسيكيين الإغريق واللاتين في قصصه ، بينما نجد بوكاشيو لا يخلو من تأثير واضح بفن القصص العربي ولكنه يدل دائماً في لغته الإيطالية المصقولة على تمثله للدراسات الكلاسيكية وقراءاته المستفيضة فيها . أما خوان مانويل فهو نفسه يعترف بأنه لا يكاد يعرف اللغة اللاتينية ، وإنما جل اعتماده

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٣ ؛ الشوباشي : رحلة الأدب العربي ، ١٢٧ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٨٣ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٨ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٨٣ .

(٣) بدوي : دور العرب ، ٦٨ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٨٣ .

على المصادر العربية التي عرف مع ذلك كيف يحسن استخدامها ويخرج منها مجموعة قصصية ولم يكن معنى ذلك أن خوان مانويل أقل من صاحبه الإيطالي تأثيراً على الفن القصصي الأوروبي ، فقد ترجم كتابه «الكونت لوكانور» إلى كثير من اللغات الأوروبية ، وكان له أثر هائل على الآداب الأوروبية ، ولنذكر مثلاً أن رواية شكسبير (shakespeare) (ت١٠٢٥هـ/١٦١٦م)[١] المشهورة «ترويض الشرسة» (The Taming the shrew) مأخوذة من إحدى قصص خوان مانويل ذات الأصل العربي حول الفتى الذي تزوج من امرأة قوية شرسة ، وأن كثيراً من قصصه العربية كان مما اقتبسه الكاتب الدنماركي المشهور هانس أندرسن (Hans Andersen) (ت١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) والفرنسي ليزاج (Le sage)[٢] .

والشخصية الثانية من شخصيات عصر النهضة ممن تأثروا بالقصص العربي هو جوفاني بوكاشيو الذي يمثل في النثر الأدبي الإيطالي ما يمثله دانتي في الشعر ، بل إنه يعتبر أحد مؤسسي الحركة الإنسانية في الأدب الأوروبي الجديد الذي بشر به عصر النهضة[٣] .

وأهم هذه القصص تلك المجموعة التي تتألف من مائة قصة والتي سماها «الديكاميرون» (II DEcecamerone) أي : «الليالي العشر» ؛ إذ إنه ساقها على ألسن عشرة أشخاص (سبعة رجال وثلاث نساء كانوا قد هربوا من الطاعون المتفشي في إيطاليا وفي جميع بلاد البحر الأبيض المتوسط في سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ، والمتأمل في الحكايات الواردة يجد تشابهاً كبيراً بينها وبين القصص العربية لا سيما

---

(١) وليم شكسبير : كان كبير الشعراء الإنجليز ، وهو ممثل ومؤلف مسرحي . ولد في بلدة ستراتفورد بآفون ، وكانت عائلته ذات مكانة مرموقة في المدينة ، ودخل المدرسة ثم مالبث أن عشق المسرح واشتهر بكتاباته فيه . الموسوعة العربية العالمية ، ١٤/ ٢٢١ .

(٢) خوان غويتسولو : في الاستشراق الإسباني ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٧م ، ٢٢ ؛ بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ٣٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٨٤-٨٥ .

(٣) بدوي : دور العرب ، ٦٨ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٨٥ .

ألف ليلة وليلة سواء في الشكل العام أو في تفاصيل كثيرة من الحكايات[١] .

ولم يكن فن المقامات العربية بمنأى عن التأثير الذي أحدثه الأدب الإسلامي في أوروبا ، فنجد أنها انتقلت إلى الغرب عن طريق أول ترجمة لها إلى اللغة العبرية التي قام بها يهودا الحريزي (ت حوالي ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) ، وهو نفسه كان أول المتأثرين بهذا النوع من الأدب ؛ إذ ألف مقامات بالعبرية نهج فيها نهج الحريري أيضاً[٢] .

ولا بد أن فن المقامات عرف عبر هذه الترجمة وغيرها من الاطلاعات الشخصية من الأدباء الأوروبيين على مجموعة من المقامات المشرقية والمغربية لا سيما الأندلسية منها ؛ إذ إنها في أساسها متأثرة بمقامات المشرق الإسلامي ، وقد اعترف كثيرٌ من المهتمين بالأدب الإسلامي وتأثيره في أوروبا أن فن المقامة كان بمثابة جسر لعبور القصة إلى أوروبا ؛ وذلك استناداً إلى المقارنات التي عقدوها بين المقامة والأدب السردي في أوروبا ، والذي نتج عنه مولد لون جديد من الأدب القصصي الإسباني وهو المعروف باسم «القصة البيكارسية» (Novela Picaresca) وهو تعبير تصعب ترجمته بدقة ، وإن كان أقرب ما يقابله بالعربية هو قصص الشطارة ؛ حيث نرى البطل البيكارو (Picaro) أشبه ما يكون ببطل المقامة ، فهو في الغالب شخص من أصل وضيع يعيش في بيئة قاسية ويعاني من آلام الجوع والبطالة غير أنه يستعين عليها بالحيل والمكر وخداع البسطاء والسذج ، فهو يسخر منه ويحتال عليه ما وسعه ذلك[٣] .

ولو أننا قارنا بين خصائص هذا الفن الجديد وما تميَّزت به المقامات لرأينا فعلاً

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ،٥٨٣ ؛ بدوي : دور العرب ، ٦٩ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١١٩ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٤٠٦ ؛ القماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٩٠ ؛ البشري : ترجمة الكتب ، ١٢٢ .

(٣) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٤٩٦/٢ ؛ محمد رجب البيومي : الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر ، ط١ ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، ١٢٨ .

تطابقاً كبيراً بينهما ؛ إذ إن المقامات غذت هذا الفن بنواحيها الفنية وعناصرها ذات الطابع الواقعي ، ففضل الكتاب البيكارسيون أن ينسجوا على منوال قصص المقامات الواقعية عوض أن ينسجوا على منوال قصص خيالية ، بل أصبحوا أقرب إلى مجتمعهم بالنظر إلى واقعهم والأخذ منه ، وأول ما نعرف من ثمرات القصة البيكارسية الإسبانية رواية مجهولة المؤلف تحمل اسم «حياة لافاربودي توريس» (La vida de Lazarillo de Tormes) ، ويبدو أنها طبعت لأول مرة سنة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م) ، ويقص علينا بطلها لافار قصة حياته منذ مولده إلى أن ينتهي به الحال إلى خدمة قسيس ، ومن خلالها يصف حياته البائسة ومجتمعه الذي عاش فيه[1] .

وقد أقيم لهذه الرواية منذ نشرها ذيوع هائل ، ويدل على ذلك أنها طبعت ثلاث طبعات في سنة (٩٦٢هـ/١٥٥٤م) أي السنة التالية لنشرها لأول مرة ، ومنذ ذلك الوقت حتى أيامنا طبعت عشرات المرات ، وإن كانت الكنيسة الإسبانية قد حذفت منها فصولاً وعبارات جارحة في الحديث عن رجال الدين ، هذا بينما تلقفتها المطابع الأوروبية منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي ، فنشرتها كاملة في طبعات متوالية ، كما أنها ترجمت إلى مختلف اللغات الأوروبية مثل الفرنسية سنة (٩٦٨هـ/١٥٦٠م) ، والإنجليزية سنة (٩٨٤-١٠٠٥هـ/١٥٧٦-١٥٩٦م) والهولندية سنة (٩٨٧هـ/١٥٧٩م) والألمانية سنة (١٠٢٦هـ/١٦١٧م) والإيطالية سنة(١٠٣٢هـ/١٦٢٢م)[2] .

وقد أدى إقبال الجمهور الأوروبي على هذا اللون القصصي الجديد إلى معالجة أدباء آخرين له ، لعل من أولهم ماتيو أليمان (Mateo ALman)(ت حوالي ١٠٢٣هـ/١٦١٤م)[3] ، الذي ألف رواية تحمل عنوان «قزمان الفرحى»(Guzman

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،٩٨ ؛ البيومي : الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر ، ١٣١ .

(٢) بدوي : دور العرب ، ٦٩ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٩٤ .

(٣) ماتيو أليمان : كان مولده في إشبيلية ، ودرس في جامعتها وفي غيرها من المعاهد ، وكانت حياته مضطربة مشحونة بالمغامرات مما عرضه للسجن أكثر من مرة ، وتقلبت به الحياة وأخيراً هاجر إلى المكسيك سنة (١٠١٧هـ/١٦٠٨م) . القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٩٤ .

de ALfarache) ، وقد نشر الجزء الأول منها سنة (١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) ، والثاني في سنة (١٠١٤هـ/١٦٠٥م)[١] .

ويلاحظ أن المؤلف أدخل في ثنايا الكتاب عدة قصص حشرها حشراً ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من القيمة ، ومن خير هذه القصص حكاية حب رقيقة يبدو أنها كانت من بين التراث القصصي للمسلمين الموريسكيين ، وهي حكاية (عثمان ودراجة الجميلة) . والرواية بوجه عام أكثر إحكاماً وتماسكاً وأجود أسلوباً من سابقتها ، ولعلها خير مثال على اكتمال هذا اللون «البيكارسكي» من الأدب القصصي ونضوجه ، وكانت هذه الرواية على ما يبدو قد أصبحت هي المستأثرة على اهتمام الجمهور الأوروبي في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، وقد توالت طبعاتها وترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والإنجليزية والألمانية واللاتينية والهولندية والبرتغالية ، وكان لها أثر كبير على بعض كتاب القصة في أوروبا مثل : جريملهاوزن (Grimmelhausen) (١٠٩٥هـ/١٦٨٣م) الذي ألف على منوالها رواية «الأبله» (Simplicissimus) سنة (١٠٨٠هـ/١٦٦٩م)[٢] .

ومن أهم من تأثروا بالقصص الفلسفي المترجم بلتاسار جراثيان (Baltazar Gracian) (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)[٣] ، الذي ألف كتاباً بعنوان «الناقد» (EL Criticon) ، ونشره سنة (١٠٦٢هـ/١٦٥١م) ، ومن يقرأ الفصول الأولى للكتاب لا يتمالك دهشته للتطابق الغريب بينه وبين قصة حي بن يقظان ؛ فقصة «الناقد» تدور حول رجل نجا بعد غرق سفينة كانت تحمله في بحار الهند ، فتعلق بخشبة حملته إلى جزيرة مهجورة ، ثم تتطور أحداث القصة إلى التأمل الداخلي للإنسان وللعالم المحيط به ، وهذا التطابق بين القصتين كما ذكر مننـدث بيلانـو لا يمكن أن

---

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٩٤-٩٥ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٩٥-٩٦ .

(٣) جراثيان : كاتب وفيلسوف إسباني انخرط في سلك طائفة اليسوعيين ، وله عدة مؤلفات : نفس المرجع ، ١٠١ .

يكون مجرد اتفاق وصدفة ، وإلا كان ذلك من أغرب ما وقع في تاريخ الفكر الإنساني من اتفاق عفوي[١] .

وقد حيَّرت هذه الظاهرة من وازنوا بين ابن طفيل وجراثيان ، حتى طلع المستشرق الإسباني غرسية غومس (Garcia Gomez) سنة (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م) ببحث جديد لهذه المسألة انتهى منه إلى أن جراثيان على ما يبدو استلهم قصته من أسطورة عربية كانت شائعة بين الموريسكيين من ساكني منطقة أراغون حيث إن جراثيان ولد ونشأ في إحدى مدنها «قلعة أيوب» ويقول غرسية غومس : إن هذه القصة قد تكون هي الأصل المشترك الذي نقل عنه كلا الفيلسوفين : ابن طفيل وجراثيان . أما عن هذه القصة فهي «الصنم والملك وابنته» ، وهي ما زالت محفوظة في مخطوط موريسكي من مخطوطات مكتبة الأسكوريال ، وخطوطها العامة تتفق مع قصة حي بن يقظان ولو أنها بطبيعة الحال خالية من المغزى الفلسفي العميق الذي يعتبر جوهر رواية ابن طفيل[٢] .

وعلى ما يبدو أن غوسيه غومس أغفل الترجمات العبرية المبكرة للقصة فلعلها نقلت عن طريق هذه الترجمة إلى اللاتينية أو القشتالية ، أو أن قصة الصنم والملك وابنته ما هي إلا ترجمة موريسكية ، ثم جاء جراثيان واطلع على إحدى هذه الترجمات التي فقدت أو ضاعت بعد ذلك فاستفاد منها في كتابه[٣] .

وقد باشرت قصة جراثيان نفوذاً كبيراً على التفكير الأوروبي ، وكانت بذلك مثلاً يضاف إلى التأثير الذي وصل إلى الغرب عن طريق الأدب ، ويكفي أن نذكر أن مبدأ «أنا أفكر فأنا إذن موجود» الذي كان عماد الفلسفة الديكارتية مذكور بالحرف الواحد ومدلل عليه في كتاب جراثيان ، كذلك كان الفيلسوف آرثر شوبنهاور (Arthur schopenhauer) (ت١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)[٤] ممن استفادوا من

(١) نفس المرجع والصفحة ، البيومي : الأدب الأندلسي ، ١٤٨-١٤٩ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٠١ ؛ البيومي : الأدب الأندلسي ، ١٤٩ .

(٣) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،١٠٢ .

(٤) شوبنهاور : فيلسوف ألماني ، اشتهر على نطاق واسع بسبب آرائه التشاؤمية وأسلوبه النثري المرهب=

آرائه حتى إنه كان يعتبر كتابه المذكور من أحسن الكتب التي ألفت في العالم ، واستقى منه لنسج كثيرٍ من آرائه في نظريته حول «التعليم التدريجي للجنس البشري» كما اعتمد عليه جورج هيجل (Georg Hegel) (ت١٢٤٧هـ/١٨٣١م)[١] ومدرسته في بسط نظرياتهم حول فلسفة الدين[٢] .

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى الأدب الموريسكي الذي كتبه أصحابه باللغة الإسبانية وإن كانوا قد استخدموا الحروف العربية ، وهو ما يعرف بالأدب المستعجم أو الإلخميادي ، والذي ظل مجهولاً في الأوساط العلمية حتى بدأ الاهتمام به والبحث عن مخطوطاته منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، وكان الكشف عنه حدثاً عظيماً في تاريخ الأدب الإسلامي الأندلسي ؛ إذ يمكن أن نجد فيه حلقة جديدة من حلقات الاتصال الوثيقة بين الفكر الإسلامي من ناحية والإسباني الأوروبي من ناحية أخرى ، ويزيد من أهميته وخطره أنه يمثل آخر حلقات هذا الاتصال في فترة بدأت الحضارة الأوروبية فيها تأخذ سبيلها إلى التطور والازدهار[٣] .

وقد نشر المستشرق جين روبلس (Guillen Robles) بين سنتي (١٣٠٣ و١٣٠٤هـ/١٨٨٥و١٨٨٦م) ثلاث مجلدات كبار بعنوان «أساطير موريسكية» (Legendas Moriscas) نقلها عن بعض المخطوطات التي عثر عليها في إسبانيا مما كتبه أفراد هذه الطائفة الإسلامية[٤] .

ويدل الاستقراء لهذه المجموعة على أن كثيراً منها يمكن أن يسلك في القصص الديني أو الوعظي مثل الأحاديث الخاصة بالسيرة النبوية والمغازي ، وقصة عيسى

=

الموسوعة العربية العالمية ، ١٤/ ٢٨٧ .

(١) هيجل : فيلسوف ألماني يعتبر أحد أكثر الفلاسفة الألمان تأثيرا في المذاهب الفلسفية الحديثة ، نفس المرجع ٢٦/٣١٠ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،١٠٣ ؛ البيومي : الأدب الأندلسي ، ١٥٢ .

(٣) عنان : نهاية الأندلس ، ٤٩٧ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،١١٢ .

(٤) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،١١٣ .

والجمجمة أو قصص الأنبياء مثل أيوب موسى يوسف عليهم السلام وغيرهم ، ولابد أن هذا الأدب الموريسكي كان مستقى من مصادر عربية في الأدب ، ومن ثم لا بدَّ له من تأثير في الغرب ؛ إذ إن المويسكيين كان لهم أيضاً اهتمام بقصص الفروسية ، فبالضرورة أن يكون لهم يد في ظهور كتب الفروسية الإسبانية التي استهلها كتاب أماديس دي جاولا (Amadis de Gaulla) الذي نشر سنة (٩١٤هـ/١٥٠٨م) وكان له ذيوع كبير طوال القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي[١] .

وإذا ما انتهينا من الحديث عن جانب الفن القصصي النثري وتأثيره في الآداب الأوروبية بقي لنا أن نتناول جانب الشعر العربي بأنواعه ؛ حيث إن مسألة تأثيره في نشأة الشعر الأوروبي الحديث في إسبانيا وجنوبي فرنسا من المسائل التي تشغل كثيراً من الباحثين المعاصرين ، خصوصاً ومواد عديدة جديدة تنضاف كل يوم لتؤكد هذا التأثير ، بل ولتثبت أن الشعر العربي الأندلسي في الموشحات[٢] والزجل[٣] قد انطوى على المرحلة الأولى لنشأة الشعر الإسباني نفسه ، وذلك في الخرجة التي تكتب عادة بلغة أجنبية ، وكانت في الزجل الأندلسي تكتب باللغة الإسبانية الدارجة الرومانسية ، فإذا جعلنا من الخرجة أبياتاً إسبانية كانت بمثابة النموذج الأول للشعر الإسباني ، وبهذا يكسب الشعر الإسباني أكثر من قرنين من الزمان[٤] .

والراجح أن أول من ابتكر «الموشحة» هو مقدم بن معافى القبري ، ويدعوه البعض بـ : محمد بن حمود القبري ، الذي عاش في أواخر القرن الثالث الهجري ،

---

(١) عنان : نهاية الأندلس ، ٤٩٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،١١٣ .

(٢) الموشحات : جمع موشح ، وقد عرفه ابن سناء الملك بقوله : «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة» ، وهو اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون ، وله أنماط وأغصان وأعاريض مختلفة ، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات . ابن سناء الملك : القاضي السعيد هبة الله بن جعفر (ت٦٠٨هـ/١٢١١م) : دار الطراز في عمل الموشحات ، ط٣ ، تحقيق : جودت الركابي ، دار الفكر ، ١٩٨٠م ، ٢٩ ؛ المعجم الوسيط ، ١٠٣٥/٢ .

(٣) الزجل : نوع من الشعر ، معروف محدث . الزبيدي : تاج العروس ، ٣٠٤/١٤ .

(٤) بدوي : دور العرب ، ١١ ؛ عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا ، ١١٧ .

التاسع الميلادي ، ولم يبق لنا من موشحاته شيء[١] ، ويرجع الفضل في معرفتنا بها إلى النص الذي أورده ابن بسام في الذخيرة بقوله : «وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقتها فيما بلغني محمود بن محمد القبري الضرير ، وكان يضعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ، ويضع عليه الموشحة»[٢] ، ثم تلا مقدم القبري شعراء كثيرون آثروا هذا اللون من النظم نظراً لسهولة تناوله وقرب طريقته ، وممن برع فيه «أحمد بن عبدربه»(٣٢٨هـ/٩٣٩م) صاحب كتاب العقد الفريد ، وابن عبادة القزاز (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م)[٣] وغيرهم[٤] .

والموشح نظم تكون فيه القوافي اثنتين اثنتين ، كما هي الحال في الوشاح ، وهو العقد يكون من سلكين من اللالي ، كل منهما لون ، فالتسمية هنا تشير إلى طريقة تأليف القوافي ، وهو يشبه الزجل فيما عدا ذلك ، أي أن الموشح يتألف من فقرات تسمى الأبيات ، كل فقرة خرجة في بحر أشطار الغصن ، ولكن في قافية أخرى . ويلتزم الوشاح قافية هذه الخرجة في كل خرجات موشحة ، أما الأغصان فقد ركزت كل منها على قافية ، ولكن في بحر واحد . والزجل والموشح في واقع الأمر فن شعري واحد ، ولكن الزجل يطلق على السوقي الدارج منهما ؛ إذ لا بد للزجل أن يكون باللغة الدارجة ؛ إذ كان يتغنى به في الطرقات ، أما الموشح فلا يكون إلا باللغة العربية الفصحى ، والوزن الذي يكتب به الموشح يختلف ، ويجوز أن يخلط فيه الكامل مع المجزوء من البحر الواحد ، والأشطار الثلاثة المتحدة القافية قد يقع فيها أن تكون قافية متوسطة ، وفي قليل من الأحيان يوجد أربعة أشطار متحدة القافية . وهكذا نرى أن الموشح يمكن أن ينظم على ستة أو سبعة أنماط . وقد انتشر هذا اللون من النظم بعد ذلك في المشرق ، ومن أشهر من برعوا فيه من المشارقة

---

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٦ ؛ عبدالبديع : الإسلام في الأندلس ، ٧٩ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، ٢/٤٦٩ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، ٢/٨٠١-٨٠٥ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ٢/٢٩١ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٣٦ .

«ابن سناء الملك المصري»(ت٦٠٨هـ/١٢١٢م)[١] .

وإلى جانب الموشح نشأ الزجل باللغة العامية المستعملة في بلاد الأندلس ، مع مزجها باللغة الإسبانية الدارجة . ومن أوائل من نظموا الأزجال : «سعيد بن عبدربه»(ت ٣٤٢هـ/٩٥٣م)[٢] ابن عم صاحب العقد الفريد ، ومن بعده يوسف بن هارون الرمادي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م)[٣] ، ثم عبادة بن ماء السماء (ت ٤٢٢هـ/١٠٣٠م)[٤] الذي ابتكر التضفير[٥] . أما أبرز الزجالين جميعاً فهو : أبوبكر محمد بن عبدالملك بن قزمان (ت٥٥٤هـ/١١٥٩م)[٦][٧] .

وهذان النوعان من النظم اللذان أطنبنا في الحديث عنهما -هما اللذان أثرا في نشأة الشعر الأوروبي ، وأول من قال بهذه النظرية هو المستشرق الإسباني خوليان ريبيرا (Julian Ribera) الذي عكف على دراسة موسيقى الأغاني الإسبانية ودواوين الشعراء «التروبادور» (Troubadour)[٨] و«التروفير» (Trouvere)[٩] وهم الشعراء الجوالة في العصور الوسطى بأوروبا ، والمنيسنجر (Minnesanger)[١٠] وهم

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٦ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٤ ؛ يونس شنوان : الشعر الأندلسي وشعر التروبادور ، ٤/٤٨٨ .

(٢) الزركلي : الأعلام ، ٣/٩٧ .

(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ٥٤٧-٥٤٨ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، ٢/٤٦٨ .

(٥) مصطلح أدبي يعني تداخل أبيات الشعر وأجزاء من قصيدة إلى اخرى . نفس المصدر ، ٢/٤٦٩ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، ٢/٧٧٤-٧٨٦ .

(٧) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ١٤٣؛ بدوي : دور العرب ، ١٤ ؛ شنوان : الشعر الأندلسي ، ٤/٤٨٩ .

(٨) التروبادور : تسمية تطلق على مجموعة من الشعراء الغنائيين الذين اشتهروا في جنوبي فرنسا إبان القرن السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، ويعتقد كثير من الدارسين أن الكلمة تعود إلى الأصل العربي (طرب) بمعنى أن هؤلاء الشعراء صاغوا أشعارهم على أشعار العرب في الأندلس . الموسوعة العربية العالمية ، ٦/٢٥٧ .

(٩) التروفير : تسمية تطلق على الشعراء الغنائيين الذين يكتبون أشعارهم بلغة شمال فرنسا إبان القرن السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين . نفس المرجع ، ١٤/١٨٨ .

(١٠) المنيسنجر : تسمية تطلق على شعراء الحب الألمان الذين ازدهروا في الفترة الواقعة بين القرنين

شعراء الغرام ، فانتهى من دراساته المستفيضة هذه إلى أن الموشح والزجل وهما «المفتاح العجيب الذي يكشف لنا عن سر تكوين القوالب التي حسبت فيها الطرز الشعرية التي ظهرت في العالم المتحضر إبان العصر الوسيط ، وأثبت انتقال بحور الشعر الأندلسي فضلاً عن الموسيقى العربية إلى أوروبا عن نفس الطريق الذي انتقل به الكثير من علوم المسلمين وفنونهم[١] .

والواقع أن كل ذلك كان تخميناً من ريبيرا ، وهو أشبه ما يكون بالفرضيات الصادقة ؛ إذ لم يكن بين يديه في ذلك الوقت نصوص يثبت بها آراءه ، فكل ما كان متيسراً له هو النسخة الوحيدة المخطوطة من ديوان أزجال ابن قزمان القرطبي ، وقد أدى هذا إلى انقسام الباحثين المهتمين بالدراسات الأدبية إلى قسمين : أحدهما يرفض التأثير العربي ، ويرى أن القافية الواحدة في الأقفال لها أمثلة في الشعر اللاتيني الذي عدَّ التروبادور امتداداً له ، ويزعم رودريجيز لابا (Rodriguez lapa) البرتغالي ، أن أمثلة الشعر اللاتيني الذي يتضمن مثل هذه القافية المتكررة سابق على أزجال ابن قزمان ، وقد نقض المستشرق الإسباني بيدال مثل هذا الزعم وقال بأقدمية النماذج العربية ؛ لأن ابن قزمان نفسه يشيد بمن سبقه من الزجالين كابن نمارة ؛ إذ لا تنسب إليه الريادة في فن الزجل ، ومن المعروف أن الموشح سابق بوقت طويل على الزجل ؛ إذ تنسب الريادة فيه إلى مقدم القبري[٢] .

أما القسم الآخر فهو الذي يرى أن هذا الشعر الجديد شعر التروبادور لا يفهم إلا من خلال المقارنة بينه وبين الموشحات والأزجال في الأشكال وفي المضامين . ويميل إلى هذا الرأي أكثر المستشرقين المتخصصين في الدراسات العربية الإسلامية

=

السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، نفس المرجع ، ٥٦٧/٢٤ .

(١) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ،١٤٣ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٤ ؛ عبدالبديع : الإسلام في أسبانيا : ١١٧ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٣٧ ؛ شنوان : الشعر الأندلسي وشعر التروبادور ، ٤٩٠/٤ ؛ Ramon menendez Pidal:Poesia arabe y Poesia Europea,Espasa-calpe,١٩٤٦,١٧-١٨.

بينما يميل إلى النظرية الغربية أكثر المتخصصين في الدراسات اللاتينية والرومانية[١] .

وعلى كل فإن هذا التأثير لا يمكن إنكاره ؛ إذ نجده في نظم أول شاعر تروبادور وهو جيوم التاسع (Guillaume IX) دوق أكوتانيا وكونت بواتيه الذي تعتبر حياته مفتاح سر عظيم حول هذا التأثير وأسبابه ، فقد ولد في فرنسا وكان هو الابن الوحيد لوالده جيوم الثامن دوق أكوتانيا ، وقد توطدت العلاقات في عهده مع إسبانيا لا سيما في عهد ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي زوجه جيوم الثامن ابنته «أينيس Agnes» ، ونحن نعرف أن ألفونسو كان من المشجعين لترجمة علوم المسلمين ومركزها طليطلة التي استولى عليها سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، فكان هذا الزواج مظهراً من مظاهر صلات الإمارة الفرنسية بإسبانيا النصرانية المتأثرة بالحضارة الإسلامية . وفي هذه البيئة التي اتصلت اتصالاً مباشراً بالأندلس ولد جيوم التاسع سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) ، فلما توفي أبوه سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) ورث عنه إمارته وهو يناهز الخامسة عشرة ، وفي عهده بدأت نداءات العالم النصراني لحرب المسلمين ، فاشترك في الحملة الصليبية الأولى وظل ببلاد المشرق ثمانية عشر شهراً ثم عاد إلى وطنه[٢] .

وهكذا اتصلت حياة أول شعراء أوروبا الغنائيين اتصالاً وثيقاً بالحضارة الإسلامية عن طريقين : طريق المشرق ، وطريق الأندلس ، هذا إلى جانب الصلات التجارية والحروب التي كانت مستمرة بين الأندلس وأوروبا الجنوبية ، لا سيما فرنسا وإيطاليا ؛ ولهذا لم يكن من الغريب أن تألف الأذواق -في هذا الشطر الجنوبي من فرنسا حيث نشأ أول الشعراء التروبادور- ذلك اللون الجديد من الشعر الذي ظهر في الأندلس الإسلامية ، وأن يكون جيوم التاسع ذلك الشاعر الذي أوتي قسطاً من الثقافة الإسلامية هو حلقة الوصل بين التوشيح الأندلسي والشعر

---

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٥٠ ؛ شنوان : الشعر الأندلسي وشعر التروبادور ، ٤/٤٩٠ .

(٢) بدوي : دور العرب ، ١٤ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٥٥ : ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ٢١٩ ؛ Pidal:Poesia arabe y Poesia europea,٣٤-٣٥

الغنائي في أوروبا ، فيؤلف مقطوعاته وأغانيه على ذلك النهج الذي كان مقدم بن معافر القبري أول من ابتكره منذ قرنين من الزمان[١] .

وهذا النهج نجده أيضاً في قصائد شعراء التروبادور المتقدمين كماركابرو (Marcabru) الذي عاش في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وهاجر إلى الأندلس ، ودخل في بلاد الملك ألفونسو السابع ، ونظم قصائده بعد تأثره بالأدب الإسلامي ، كما نجد هذا أيضاً عند سيركامون (Cercamon) القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وجوفري روديل (Jaufre Rudel) ، وأليجرت (Alegret) الذي عاش كذلك في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، والتحق بخدمة ألفونسو السابع أيضاً[٢] .

وهكذا نجد أن الجيل الأول من شعراء التروبادور اتصلوا بالحضارة الإسلامية اتصالاً مباشراً . وعلى كلٍّ فإن فحص المقطوعات التي ألفها شعراء التروبادور يكفينا للقطع بمدى تأثرهم بالموشحات والأزجال الأندلسية ، فنحن نرى أن التشابه القوي بين هذه المقطوعات في طريقة نظمها وعروضها وأغصانها وقوافيها ، بل وكذلك في تعابيرها وفي الموضوعات التي تتناولها يكون من المكابرة إنكار تأثر هؤلاء الشعراء البروفانسيين بالموشحات الأندلسية[٣] .

ولنضرب مثالاً واضحاً يؤكد هذا التشابه[٤] .

من موشحة لأبي بكر بن محمد الأنصاري	من مقطوعة للشاعر ماركابرو
ما لذ لي شرب راح	Ai como es encabalada
على رياض الأقاح	Ia falsa razos duarada
لولا هضيم الوشاح	Deman tatos vai triada

---

(١) بروفنسال : تراث الإسلام ، ٢/١٥١ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٥٨ .

(٢) بدوي : دور العرب ، ١٥ ؛ ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ٢٤١ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٥٩ .

(٣) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٦٠ ؛ شنوان : الشعر الأندلسي ، ٤/٤٩٠ .

(٤) انظر هذه الأمثلة : القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٦٠-٦١ .

إذا أتى في الصباح	Va ben es Fols qui s,I Fia
أو في الأصيل	De vos datz
أضحى يقول :	Ca Plombatz
ما للشمول	Vos gardatz
وللشمال	Na assatz
هبت فمال	So apchatz
غصن اعتدال	Emes eu la via
ضمه بردى	

وترجمة المقطع الثاني لماركابرو هو : «آه..ما أقوى الحجج الزائفة المذهبة! ولكنها مختلفة عن سائر النساء . آه! ما أشد جنون من يثق في كلامهن! فاحذروا من وعودهن ، ولتعلموا أنه ما أكثر من خدعن بمثل هذه الوعود ، ثم ألقين به في عرض الطريق»(١) .

ونلاحظ هذا التشابه في طريقة ترتيب الأغصان والأقفال بين الموشحة ومقطوعة ماركابرو ، فالأولى على هذا النهج : أ أ أ أ ، ب ب جـ ، د د د جـ ، والثانية : أ أ أ ب ، جـ جـ جـ جـ جـ ب(٢) .

ولم يقتصر الأمر على طريقة النظم ، بل أيضاً امتد التأثير في نشأة الشعر الأوروبي إلى طريقة علاج الموضوعات ففكرة الحب النبيل التي تسود الغزل في الشعر البروفانسي نجد أصلها في الشعر الأندلسي ، بل وفي أزجال ابن قزمان ، كما يؤكد هذا «مننث بيدال» الذي ذهب إلى أن التأثير شمل كل الموضوعات وليس بعضها ، واتسع ليشمل جوهر هذا الشعر نفسه ، يعني فكرته في الحب النبيل التي عرضها ابن حزم (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) في «طوق الحمامة» ، وهي فكرة كانت

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) نفسه .

سائدة عند أهل الظاهر في نظرهم إلى الحب ؛ إذ نجدها قبل ذلك في كتاب «الزهرة» لمحمد بن داود الظاهري (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) الذي دعا إلى فكرة الحب العذري ، وكذلك نجد هذه الفكرة ذاتها في شعر الحكم الأول (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، كما نجدها في شعر ابن زيدون (ت٤٦٣هـ/١٠٧١م)[١] .

أما الشعر الغنائي الذي ظهر في شبه جزيرة أيبيريا نفسها ، فإن الذي كان عليه إجماع مؤرخي الأدب الإسباني والبرتغالي هو : أن أول نماذجه لم تعرف إلا في فترة متأخرة عن ظهور الشعر البروفانسي ، ومن أول بواكير هذا الشعر ذلك الديوان الذي ألفه الملك ألفونسو العاشر ، وهو يتضمن أربعمائة واثنين مقطوعة من بينها ثلاثمائة وخمس وثلاثون على نهج الموشحات البسيطة ، والأثر الأدبي الإسلامي واضح عليها بشكل عام ، وفي القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ظهر من الشعراء الغنائيين في مملكة قشتالة خوان رويث (Juan Ruiz) المعروف بلقب قس هيتا ، وكان يعيش في النصف الأول من هذا القرن ، وقد وصلنا من آثاره ديوان كامل أسماه كتاب «الحب الطيب Libro del Buen Amor» وينص فيه على أنه كان يؤلف كثيراً من أغانيه لكي تنشدها وتعزف عليها قيان مسلمات ، كما تبدو في شعره مظاهر كثيرة للتأثر بالثقافة الإسلامية ، أما منهجه في النظم فإنه شبيه بما سنه من قبل وشاحوا الأندلس وزجالوها[٢] .

وإذا تركنا شبه الجزيرة الأندلسية لنتجه إلى بقية بلاد أوروبا وجدنا أن كل هذه البلاد -إيطاليا انجلترا ألمانيا- تأثرت بذلك الفن الغنائي ، ربما عن طريق غير مباشر أي بحكم تأثرها بالشعر البروفانسي الذي كان هو النموذج المحتذى في العصور الوسطى ، أو بصورة مباشرة عن طريق صقلية التي كان لها وضع مشابه لوضع الأندلس ؛ إذ كان للنصارى المحتلين لها اهتمام بالثقافة الإسلامية وتشجيع

---

(١) بدوي : دور العرب ، ١٥ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٦٢ . Pidal:Pocsia arabe y Poesia europea,٤٤ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ٥٣٦ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ،٦٨ .

لترجمة العلوم[١] .

وإذا ما تطرقنا للشعر الملحمي[٢] نجد أن أصوله في أوروبا مغرقة في الغموض ، ولم تكشف أبحاث متخصصة بعد عن هذا الشعر ، فإذا تأملنا الشعر الملحمي في إسبانيا -وهي أقرب بلاد أوروبا بطبيعة وضعها إلى التأثر بالثقافة الإسلامية وجدنا أن ظهور أول ملحمة إسبانية هي «ملحمة السيد El Poema del Cid»[٣] قد تأخر عنه في فرنسا وألمانيا حتى منتصف القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ؛ لذلك كثر الجدل حول أصل الملحمة الإسبانية أهو فرنسي أم ألماني؟ وكان الباحثون يستبعدون دائماً احتمال وجود أصول عربية للشعر الملحمي سواء في إسبانيا أو غيرها ؛ إذ كان الذي استقرت عليه آراء المستشرقين دائماً هو أن العرب لم يعرفوا الشعر الملحمي أصلاً ؛ ولهذا فإنه من العبث البحث عن مؤثرات عربية في نشوء هذا اللون من الشعر ؛ وكل ما سلم به منندث بيدال هو أن هناك ألفاظاً وتعابير عربية كثيرة تشيع في الملحمة الإسبانية بحكم التعايش الإسلامي النصراني ؛ وكذلك بعض التقاليد المتبعة في أحداث القتال مثل أداء خمس الغنيمة

---

(١) ميسوم : تأثير الموشحات في التروبادور ، ١٢٣ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٦٨ .

(٢) الشعر الملحمي : أو القصصي لأنه يدور غالباً حول معارك حربية ، وهو ذلك الشعر الذي لا يعبر عن ذات صاحبه ، ولكنه يدور حول احداث أو بطولات او أبطال في فترة محددة من تاريخ الأمة . الموسوعة العربية العالمية ، ١٤/ ١٤٧ .

(٣) السيد : يقال إنه ولد سنة (٤٣٢هـ/١٠٤٠م) ، وطار صيته في الحرب التي وقعت بين أمير قشتالة واسمه (سانشو) ورئيس نفار ، وكان داهية في الحروب وخدعها ودسائسها ، وبعث لجباية الخراج من المعتمد بن عباد ، وكانت الحرب قائمة بينه وبين أبي عبدالله ملك غرناطة ، وقد عاش السيد جندياً طريداً مذبذباً تارة مع النصارى وتارة مع المسلمين ، ومن أشهر أعماله ما عمله في بلنسية وكان معه سبعة آلاف مقاتل ، أكثرهم مسلمون فافتتحها بعد حصار دام تسعة أشهر ، نقض كل العهود التي أعطاها أهل المدينة ، وأحرق القاضي ابن جحاف ، وذبح كثيراً من الأعيان ، وأخذ أموالهم ، ثم حكم بلنسية ومرسية أربع سنين إلى أن هزمه المرابطون ومات سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) ، وهناك أساطير كثيرة حيكت حوله . كيب : مدينة المسلمين في أسبانيا ، ٥٦ ؛ الموسوعة العربية العالمية ، ١٣/ ٣٦٨ .

إلى الملك أو صاحب السلطان[١] .

بيد أن المستشرق خوليان ريبيرا ، أتى في سنة (١٣٣٤هـ/١٩١٥م) بنظرية جديدة مفادها : أن الشعر الملحمي الإسباني ذو أصول أندلسية إسلامية هي مزيج من الثقافة الإسلامية واللاتينية الدارجة ، وهي أصول نرى بقايا لها في الكتب الأندلسية التي ترجع إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، التاسع والعاشر الميلاديين ، وإذا كنا لا نملك الآن نصوصاً لهذه القصائد الملحمية فإن ضياعها لا يقوم حجة على عدم وجودها أصلاً ، وعلى كل حال فإننا لو تأملنا الروايات التاريخية التي يسوقها الكتاب الأندلسيون -وأوضح مثل لهم هو ابن القوطية صاحب كتاب تاريخ افتتاح الأندلس- لرأينا فيه كثيراً من حكايات البطولة ذات الطابع الملحمي ، مما يحمل على افتراض كون هذه الحكايات قد أدخلت نثراً في كتب التاريخ بعد أن كانت منظومة شعراً يتغنى بها[٢] .

كما أشار ريبيرا إلى أن الأندلسيين أنفسهم نظموا كثيراً من أخبار فتح الأندلس ووقائع هذا الفتح وأحداثه ، مثل يحيى بن الحكم الغزال (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)[٣] وتمام بن عامر بن علقمة (ت٢٨٣هـ/٨٩٦م) وغيرهما[٤] .

والحقيقة أن فكرة ريبيرا تدعمها كثير من الشواهد ، فشعر ابن دراج القسطلي (حوالي ٤٢٠هـ/١٠٢٩م)[٥] الذي يصور ما وصل إليه الإسلام من عظمة في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر يعد من أبرز أنواع الشعر الذي حمل نغمة ملحمية عالية ، فهو يصف إحدى غزوات المنصور بقوله : «اليوم أنكص إبليس على عقبه* مبرءاً سبب الغاوين من سبب[٦]» وهو شعر يتميز بما تميزت به الملحمة الإسبانية الكبرى من بعد «ملحمة السيد» ، بما فيها من إنسانية وواقعية وبعد عن استخدام

---

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٢١ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٢٢ ؛ شنوان : الشعر الأندلسي ، ٤/٤٨٣ .

(٣) الحميدي : جذوة المقتبس ، ٥٥٤ .

(٤) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٢٣ ؛ شنوان : الشعر الأندلسي ، ٤/٤٨٢ .

(٥) الحميدي : جذوة المقتبس ، ١٦٢ .

(٦) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٢٣ .

العناصر الخرافية لتشويق المستمع ، وهذا هو الطابع البدائي فعلاً للملاحم الأوروبية القديمة سواء منها الإسبانية أو الفرنسية[١] .

وإذا انتقلنا إلى دراسة الملحمة نفسها وجدنا أنها مشبعة بالتأثيرات العربية التي تبدأ بعنوان الملحمة نفسها ، فاسمه ينصب على شخصية بطلها الذي عرف باسم «السيد القنبيطور» (El Cid campeador) «و«السيد» هو الاسم الذي اشتهر به ، وهو الصيغة الدارجة للفظ السيد العربي ، والواقع هو أن هذا ليس إلا رمزاً لتعرب هذه الشخصية التاريخية التي عاشت في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، فقد كان رودريجو دياز دي بيبار (Rodriguo Diaz de Vivar) وهو اسم السيد الحقيقي مغامراً نصرانياً قائداً لجماعة من المرتزقة المغامرين أمثاله ، وعاش كل حياته في بيئة إسلامية ؛ إذ كان يضع نفسه في خدمة ملوك الطوائف[٢] .

وعلى ترجمة حياة السيد وقصته ومغامراته كما ترويها لنا المراجع التاريخية الإسلامية والنصرانية ، بنيت ملحمته بعد أن هذبتها أخيلة الشعراء الشعبيين وأضفت عليها مزيداً من مظاهر البطولة ، وتنقسم الملحمة إلى ثلاثة أقسام : تدور أحداثها في هذه البيئة الأندلسية التي كانت مزيجاً من العناصر الإسلامية وغيرها ، ونحن نرى في طريقة العرض نفسها شبهاً كبيراً بما تذكره الكتب الأندلسية الإسلامية من حكايات وأخبار شبيهة بالتاريخية وبالأسطورية ، وهو شبه يتناول كل جوانب الملحمة من عادات ، وتقاليد ، ومن تصوير للمفارقات بين بطولة بعض الرجال ونبلهم ، وخسة أعدائهم وجبنهم ، حتى طريقة التعبير -وإن كانت بالإسبانية الدارجة- فإنها أشبه بالتراكيب العربية منها بالأوروبية[٣] .

وقد بقيت هذه الصبغة العربية للملاحم الإسبانية التي تلت ملحمة السيد نرى ذلك في الأغاني الملحمية المعروفة باسم «الرومانسيات Romances» والتي ازدهرت خلال القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، ومن أشهرها

(١) شنوان : الشعر الأندلسي ، ٤/ ٤٨٢ .

(٢) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٢٤ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

ملحمة لذريق ، وملحمة أبناء لارا السبعة ، وبعض الملاحم الأخرى المتعلقة بملحمة السيد ، كما كان لهذا الشعر الملحمي دور في الأدب الإسباني القصصي والمسرحي ؛ إذ استقى منه فلوبي دي فيجا (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) وكالديرون دي لاباركا (١٠٩٢هـ/١٦٨١م) عملاقا المسرح الإسباني في العصر الذهبي ، استمدا من هذا الأدب الملحمي الحافل بالعناصر العربية آثاراً خالدة ما زالت حتى الآن تعتبر من أجمل روائع الأدب المسرحي العالمي[١] .

بل كان للأدب الملحمي الأندلسي امتداد كبير خارج نطاق إسبانيا ، ولنذكر مثلاً أن أول أثر أدبي مسرحي له قيمته في الأدب الفرنسي هو بالذات مااستوحى فيه كاتبه ملحمة السيد بكل ما فيها من عناصر الفروسية العربية ، ونعني به «مسرحية السيد الخالدة» ، التي ألفها «بيير كورني Pierre Corneille» (ت ١٠٩٦هـ/١٦٨٤م) مؤسس الفن المسرحي الفرنسي ، فمن المعروف أن كورني اقتبس عمله من مسرحيتين حول السيد ، قام بتأليفهما الأديب الإسباني «جين دي كاسترو Guilleen de castro» (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) الذي كان تلميذاً وصديقاً للوبي دي فيجا[٢] .

ولعل لنا وقفة هنا في جانب تأثير الأدب الإسلامي في الآداب الأوروبية حول العمل الملحمي الذي قام به دانتي أليجيري (Dante ALighieri) (ت ٧٢١هـ/١٣٢١م)[٣] أعظم شعراء إيطاليا قاطبة من وجهة نظر الغرب ، ومن مشاهير الأدب العالمي ، خلد اسمه بملحمته الشعرية «الكوميديا الإلهية» التي وصف فيها طبقات الجحيم والمطهر والفردوس في رحلة خيالية ذهنية قام بها بقيادة «فيرجيليوس وحبيبته بياتريس» ، وقد ترجمت الكوميديا إلى كثير من لغات العالم مرات عديدة في كل لغة كالإنجليزية التي نقلت إليها أكثر من خمس وسبعين ترجمة

---

(١) القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) دانتي أليجيري : أحد أكبر شعراء إيطاليا في القرون الوسطى ، ولد بفلورنسا ، وتلقى تعليماً نصرانياً ، ويحتمل أنه درس في بولونيا وباداو وباريس . الموسوعة العربية العالمية ، ١٠/٢٣٨ .

جزئية وكاملة ، والفرنسية التي ترجمت إليها أكثر من اثنتين وعشرين مرة ، والألمانية بنفس العدد ، وترجمت أربع مرات إلى اللاتينية ، وإلى أكثر من لهجة من لهجات إيطاليا المحلية . وفي القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي وحده بلغ متوسط طبعات مؤلفات (دانتي) كاملة وجزئية ، والمقالات والبحوث في الدوريات المختلفة أكثر من مائتين في العام في إيطاليا والأراضي الناطقة بالإيطالية[١] .

ولكثرة المعجبين بهذه الملحمة فقد تناولها عدد منهم بالشرح والتحليل ، والبحث عن مصادرها التي أخذ منها مؤلفها فكان من هؤلاء المستشرق الإسباني ميخيل اسين بلاثيوس (Miguel Asin y Palacios) ، والذي أعلن في سنة (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) أن دانتي في «الكوميديا الإلهية» قد تأثر بالإسلام تأثراً عميقاً واسع المدى يتغلغل حتى في تفاصيل تصويره للجحيم والجنة ؛ إذ تبين له أن ثمة مشابهات وثيقة بين ما ورد في بعض الكتب الإسلامية عن معراج الرسول ﷺ وما في رسالة الغفران للمعري ، وبعض كتب محيي الدين ابن عربي من ناحية ، وبين ما ورد في «الكوميديا الإلهية» من ناحية أخرى . وكما هو طبيعي ، فقد قوبل هذا الرأي بهجوم شديد من مختلف الباحثين ، وبخاصة الإيطاليين الذين عزَّ عليهم أن يفجعوا في علمهم الأكبر ومناط فخارهم[٢] .

ولكن آسين الذي كانت تعوزه الأدلة المباشرة رد على معارضيه باحتمال لم تكن تدعمه الوثائق ، وهو أن يكون دانتي قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني (Brunetto Latini) أستاذ دانتي وصديقه عند عودته إلى مقاطعة توسكاني بإيطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك إسبانيا عام (٦٥٩هـ/١٢٦٠م) . وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الإسلامي والثقافة

---

(١) دانتي اليجيري : الكوميديا الإلهية (المطهر) ، ط٢ ، ترجمة : حسن عثمان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ١٣-٧٧ .

(٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأوروبي ، ٥٣٣ ؛ بدوي : دور العرب ، ٤٩ .

الإسلامية في إنتاج دانتي[١] .

وقد جاء الدليل الحاسم عندما عثر عالمان أحدهما إسباني وهو منيوث سندينو (J.Munoz Sendino) والآخر إيطالي وهو أنريكو اتشرولي (Enrico Gerulli) ، ونشرا سنة (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م) -وكان كل واحدٍ منهما مستقلاً عن الآخر وغير عارف بجهوده حتى النهاية- النصين : اللاتيني والفرنسي لكتاب عربي يدور حول فلسفة الحشر الإسلامية ، وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في إيطاليا في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وأصل الكتاب يرجع إلى عهد ألفونسو العاشر الذي أمر بترجمة سبعين سورة من القرآن تناولت بين ثناياها الحديث عن المعراج إلى اللغة القشتالية ولكن هذه الترجمة التي قام بها إبراهيم الطليطلي مفقودة ، إلا أن بونا فنتورا دي سيينا قام بنقلها إلى اللاتينية والفرنسية وهذه الأخيرة تحمل تاريخ (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)[٢] .

وهكذا نجد أن قصة المعراج نقلت في ثلاث ترجمات إسبانية وفرنسية ولاتينية ، والأخيرة كانت معروفة في توسكانا عام (٧٥١هـ/١٣٥٠م) ، وفي أبوليا في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، ولذا فمسألة اطلاع دانتي على هذا المصدر أصبحت مؤكدة وثابتة بالأدلة[٣] .

وبقي لنا الآن أن نبحث عن نوع التأثر الذي عمله هذا الكتاب في شاعر إيطاليا ، فهل كان متأثراً فعلاً بالإسلام في ملحمته كما قال آسين أم لا؟

إذا كانت الإجابة بنعم ، فلم ذكر دانتي في الحلقة الثامنة من ملحمته المصطفى ﷺ بأسوأ الأوصاف ؛ حيث جعله في الخندق التاسع من الجحيم ، وهذا الجزء كما يدعي دانتي قد تم تخصيصه لمثيري الصدامات والانشقاقات الدينية والسياسية

(١) بدوي : دور العرب ، ٥٠ ؛ فرانسسكو غابريلي : ضوء جديد على دانتي والإسلام ، ترجمة : موسى الخوري ، مجلة التراث العربي ، دمشق ، ع٤١ ، السنة ١١ ، ١٩٩٠م-١٤١١هـ ، ٣٧ .

(٢) بدوي : دور العرب ، ٥٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٤٦ ؛ بيدال : أسبانيا حلقة اتصال ، ١٢ .

(٣) بدوي : دور العرب ، ٥٠ ؛ القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ٤٦ ؛ بيدال : أسبانيا حلقة اتصال ، ١٨ .

ومن يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار[١] .

ويستمر هذا الشاعر في تعمد توجيه الإهانة إلى مقام المصطفى ﷺ والتشكيك في نبوته ، ومقارنته مع الملاحدة الذين تخيلهم هذا الشاعر ووصفهم بأقبح الصفات[٢] .

إن هذه المسألة وهي المساس بشخص النبي ﷺ في الكوميديا الإلهية تجعلنا نتناول الموضوع بمنظور إسلامي محايد وفق النقاط التالية :

١ - المصدر الأساسي الذي ثبت أن دانتي استقى منه معلوماته عن المعراج واليوم الآخر كان عبارة عن مؤلف مترجم فقدت ترجمته الأم ، وهي باللغة القشتالية ، ولم يصل إلا في ترجماته اللاتينية والفرنسية والإسبانية المتأخرة ، ونحن نعلم كما هو ثابت أن إبراهيم الطليطلي صاحب الترجمة القشتالية الأولى قام بنقل سبعين سورة من القرآن الكريم ، تذكر بعض المراجع أن من بينها سورة المعارج ، ولعل المقصود السورة التي تناولت المعراج ، فالراجح أنها سورة «الإسراء» ولكن عندما نقل هذا المترجم اليهودي هذه السور من القرآن الكريم هل نقلها بكل أمانة أم أنه أضاف إليها وزاد وبدل كما حدث مع الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن الكريم التي كانت مضرباً للمثل في التشويه والتحريف ، لاسيما وهناك بعض الآراء ترجح أن دانتي اطلع على هذه الترجمة اللاتينية أيضاً .

وإذا كانت هذه الترجمات التي اطلع عليها دانتي بهذه الحالة الأصح أنها تفنيد للقرآن الكريم ورسوله محمد ﷺ وليست نقلاً محايداً ، وإعطاء صورة صادقة عن حادثة الإسراء والمعراج ، كما أنها اعتمدت في مراجعها على ما كتبه النصارى المشارقة أو البيزنطيون الذين حاكوا الأساطير عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ .

ولم تكن هذه الصورة النمطية عن النبي ﷺ حدثاً مفاجئاً لدى الغرب النصراني ، كما أنها لم تكن أسلوبا جديداً يستخدمه الأدباء في قصائدهم ؛ فأنشودة

---

(١) أليجيري : الكوميديا ، ١٤٥ ؛ خفاجي : لماذا يكرهونه ، ٢٩ .
(٢) غراب : رؤية إسلامية ، ٢٩ .

رولان الشهيرة[١] -والتي تعزى في بنائها ومضمونها إلى التأثير الإسلامي في الأدب الأوروبي في القرون الوسطى- كانت تصور أن المسلمين وثنيون يعبدون ثلاثة آلهة : محمد ﷺ ، وترفاجان ، وأبوللو[٢] . واستمرت هذه الصورة المشوهة إلى العصر الحديث ، واستمر معها الأدب الأوروبي بجميع أنماطه يساندها ويؤازرها بما يضفي إليها من شعر وخرافات حول الإسلام ونبيه ﷺ ، فشكسبير الروائي المشهور يذكر في روايته (هندي الرابع ، الفصل الأول ، المشهد الثاني) كيف أن الملك كارل الثاني يتوجه إلى جان دارك صارخاً : «ألم تلهم الحمامة محمداً؟[٣] ...أما أنت فإن النسر ربما ألهمك؟»[٤] .

وإذا كانت المسألة بهذا التعقيد فإن التصور الذي رسمه دانتي عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ كان يعتمد على أحد أمرين : إما أنه نقل ما قرأه من مصادر مشوهة عن الإسلام والرسول ﷺ ، أو أنه كان واحداً من الذين نذروا أنفسهم لمحاربة الإسلام وتشويهه بكل ما يملكون ، ولو بالشعر والبنان ، فهو يذكر في سبب تأليفه لهذه الملحمة الطويلة تقوية اللغة الإيطالية القومية التي يجب أن تبني الأساس المعرفي والأخلاقي والديني لدولة إيطالية قومية[٥] .

فهل كان دانتي ذا دافع ديني من تأليفه؟ أم أنه أراد معارضة القرآن الكريم بملحمة تصور العالم الأخروي بتفكير نصراني؟ كما فعل سلفه ريموند مارتيني هذا ما لا نستطيع الجزم به .

---

(١) انظر عن تفاصيل هذه الأنشودة كلاً من : القلماوي ومكي : أثر العرب والإسلام ، ١٠٦ ؛ جوزيف نسيم : أنشودة رولان ، قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش ، ضمن «ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط» ، دار المعارف ، ١٩٨٢م ، مج١ ، ٧٧-١٠٣ .

(٢) سذرن : نظرة الغرب ، ٩٢ .

(٣) وأصل هذا القول يعود إلى الأسطورة القائلة : «إن محمداً قد درب الحمامة لتنقر حبوب القمح في أذنه ، وبذلك أقنع العرب أن تلك الحمامة هي رسول الروح القدس ، الذي كان يبلغه الوحي الإلهي» . خفاجي : لماذا يكرهونه ، ٣٠ .

(٤) نفس المرجع ، ٣٠-٣١ .

(٥) ولز : معالم تاريخ الإنسانية ، ١٠١٧/٣ .

٢ - بالنسبة للمصادر العربية الأخرى التي تأثر بها دانتي وأشار بأسمائها في ملحمته كمؤلفات الكندي والفارابي وابن سينا والفرغاني وابن عربي وغيرهم ، فيبدو أنه عرفها بطريقة غير مباشرة من خلال الفلسفة السكولائية ، والتي هي الأخرى تأثرت بكتب الفلسفة العربية التي ترجمت إلى اللاتينية - ولكن دانتي شأنه كشأن أي تأثير من قبل العالم الإسلامي - يضع هؤلاء الفلاسفة كابن سينا وابن رشد في غرفة الانتظار أمام الجحيم ، بل إنه رأى نفس المصير يجب أن يكون للقائد المسلم صلاح الدين الأيوبي[١] .

وكأن دانتي بهذا الشعور كان يهدف من ملحمته أن يضع أدباً نصرانياً مضاهياً للأدب والثقافة الإسلامية ككل ، فهو قد حور المصطلحات الإسلامية كالحشر والآخرة والجنة والنار والمعراج ، وأخرجها بقالب جديد يخدم العقيدة النصرانية ، ويبرهن على كمالها ، وفي المقابل يحط من قدر العقيدة الإسلامية ومبادئها من خلال ما أتى به من أمثلة لأسماء ورموز مهمة للإسلام وأهله .

وهو كغيره من مفكري الغرب يعود إلى مبادئ الإسلام ليس بهدف الاقتباس أو المناظرة والمساجلة معه مباشرة ، بل من أجل استخدام نموذجه كوسيلة في المجادلات اللاهوتية والفلسفية المحتدمة في تلك الآونة ؛ لذا نجده يحمل على بعض رجالات الفلسفة متأثراً بالفلسفة اللاهوتية لتوما الأكويني ، فوضع حسب تصوره محمداً ﷺ في الدائرة الثامنة من دوائر الجحيم التسع ، بينما يظهر كل من ابن سينا وابن رشد وصلاح الدين في الدائرة الأولى ؛ حيث يقاسون أخف ألوان العقاب ؛ لأنهم أفاضل فأتتهم فقط نعمة الوحي المسيحي[٢] .

وقد ترتب على هذا التصور أن «الكوميديا الإلهية» لدانتي كغيرها من مؤلفات النصارى كانت تدعو إلى التنصير قصداً أو من غير قصد ، وفي المقابل تحارب الإسلام ونبيه محمد ﷺ من خلال الشعر المنظوم ؛ حيث إن كثيراً من الأدباء الذين أظهرت الدراسات أنهم تأثروا بالأدب الإسلامي في مؤلفاتهم كانوا يتناولون

---

(١) بدوي : دور العرب ، ٥٠-٥١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

الإسلام والمسلمين ، بل العالم الإسلامي كله باعتباره كياناً منحطاً ليس لـه رقـي أو حضارة ، وأن دين الإسلام دين وثني زائف باطل ، وهـذا مـا يلاحـظ في الأعـمال الأدبية الغربية التي تتصل بالشرق والإسلام كمؤلفات شكسبير ، وجـون دريـدان وغـيرهم ؛ إذ اعتمـدوا في معلومـاتهم عـن الـشرق عمومـاً والإسـلام عـلى وجـه الخصوص على مصادر خاطئة ، ومعلومات زائفة ، لا تقـوم عـلى بينـة أو برهـان ، فكانت هذه الروافد التي زودتهم تتجسد في الفكر اليهودي والكتاب المقدس ، وما يحويه من أناجيل محرفة ، والحروب الصليبية وتاريخها الذي كتـب بأيـدي الغـربيين أنفسهم من رهبان ورحالة ومنصرين ومؤرخين مـستعمرين وغـيرهم ، إضـافة إلى مكونات التراث الاستشراقي(١) .

أما بالنسبة لآسين بلاثيوس صاحب أول رأي يقول بأن دانتي تأثر بالإسلام ، فإنه لم يكن يقصد من كلامه أن الحضارة الإسـلامية أثـرت في أوروبـا ، وإنـما كـان يهدف إلى إرجاع أصل الإسلام ومبادئه إلى النصرانية ، وأنها تغلغلت فيه منـذ مهـد ظهوره ، ومن هنا كان الاشتراك بين دانتي وبعض مفاهيم الإسلام الأخروية التـي ظهرت في ملحمته(٢) .

وعليه فلا غرابة أن تلقى هذه الملحمة من الذيوع والانتشار في العالم النـصراني ما لقيته ، وتتلقفها الأيادي وتحاكيها الأفكار(٣) .

---

(١) عدنان وزان : فكر التنصير في مسرحيات شكسبير ، ط١ ، دار إشبيلية ، ٢٣٠ .

(٢) العسري : الإسلام في تصورات الاستشراق ، ٣١٢ .

(٣) ولكن المؤسف حقاً أن نجد في عالمنا الإسلامي من يعجب بها ويشيد بمؤلفها ويجعلها نموذجاً متميزاً للأدب الغربي .

المبحث الثالث :
أثر الترجمة في العلوم الاجتماعية

لنبدأ حديثنا -في أثر الترجمة في العلوم الاجتماعية- عن علم التاريخ الإسلامي ومدى تأثيره في أوروبا عبر الترجمة ، فهل أثرت كتابات المسلمين التاريخية في مؤلفات الغرب؟ وهل كان لمنهج المسلمين في كتابة التاريخ اهتمام من قبل هؤلاء ، فنقلوا مؤلفاته إلى بني جلدتهم ليستفيدوا منها ، وينهجوا نهجها أم لا؟

إذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي نجد أنه تاريخ دين وعقيدة قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية ؛ لأن العقيدة هي التي أنشأت هذه الكيانات من الدول والمجتمعات ، بنظمها السياسية والإدارية والتعليمية والاقتصادية وغيرها .

ولأجل هذه الصفة في تاريخنا الإسلامي ، فقد وقف منه الغربيون موقف عداء ، ونظروا له نظرة خاطئة منبثقة من عقيدتهم النصرانية التي تدعوا إلى محاربة الإسلام وكل ما يمت له بصلة[١] .

ونحن إذا عرفنا هذا السبب بطل عنا العجب في عدم ترجمة الأوروبيين لمؤلفات المسلمين التاريخية إلا في وقت متأخر ، ولم تتركز جهودهم في الترجمة في بداية عهدها إلا على ما كتبه أبناء جلدتهم من النصارى المتعربين ، أو النصارى العرب الذين نشأوا في داخل الدولة الإسلامية ؛ فقاموا بترجمة مؤلفاتهم -كما رأينا- إلى اللاتينية تعصباً لإخوانهم في الدين[٢] .

إن النزاهة العلمية في الترجمات لمؤلفات التاريخ الإسلامي فقدت لدى هؤلاء النقلة ، ومن ثم فقد معها الأثر الإيجابي لتاريخ المسلمين لدى أمتهم ، وانعدم الإنصاف فحاق بهم العمى والضلال في النظر لتاريخ الإسلام نظرة مشرقة

---

(١) محمد السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه ، ط١ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ص١٠ .

(٢) انظر المبحث الخاص بترجمة مؤلفات علم التاريخ .

والاستفادة منه ، وكل ما استخدموه من ترجمة كتب التاريخ العربية كان لغرض تشويه تاريخ الأمة الإسلامية ، وسلب الإسلام كل مقوماته : التاريخية والحضارية والعقدية ، وعمدوا إلى تفسير أحداث التاريخ الإسلامي انطلاقاً من خلفياتهم الثقافية ووفق مناهجهم ومقاييسهم الخاصة بظروف بيئتهم ، بدلاً من الاعتماد على المصادر التاريخية الصحيحة ، ونتيجة سير هؤلاء المستشرقين وفق منهج غربي نابع من تشجيع الكنيسة النصرانية ضد المسلمين ، فقد خرجوا بنتائج خاطئة عن التاريخ الإسلامي ، والأسوأ من ذلك أن اللاحقين منهم قد بنوا مناهجهم على ما وضعه السابقون[١] ، يقول رودي باريت : «ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه ، وعلى المؤلفات العربية التي نشتغل بها المعيار الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا ، وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن»[٢] .

وعلى كل فقد اختلفت وسائل الغربيين في الاستفادة من كتب التاريخ المترجمة لغرض تشويه تاريخ الأمة الإسلامية ، ومن أمثلة ذلك :

١ - تشويه تاريخ الأمة الإسلامية ، وشخصياته العظيمة ، وعلى رأسها الرسول محمد ﷺ ؛ وذلك بالاعتماد على مصادر مكذوبة عن سيرته لفقها نصارى العرب كيوحنا الدمشقي ، والكندي وغيرهما ، والاستناد عليها في الافتراء على الإسلام بأنه هرطقة منشقة عن المسيحية ، وأن النبي ﷺ شخص مرتد عن الدين الصحيح «النصرانية» ، وأنه لم يكن أكثر من مدع ، وغيرها من الصفات النابية التي وصفوا بها الرسول ﷺ[٣] .

ولم يكتف هؤلاء بما ألفه أبناء ملتهم عن سيرته ﷺ ، بل أخذوا يحرفون في النصوص عند الاستشهاد بها ، ويشككون في الروايات التاريخية ، فهذا «هامفري

---

(١) فاروق عمر فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، دراسة مقارنة ، ط١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ص٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص١٠ .

(٣) بدوي : دفاع عن محمد ، ٩ ؛ العاني : الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ٣٧ .

بريـدو ، Humphrey Prideaux»(ت١١٣٧هــ/١٧٢٤م)[١] ، الـذي ألـف كتابـاً بعنوان : «الطبيعة الحقيقية للخداع كما يتجلى كاملاً في حياة محمد» ، وعلى حـد رأي المترجم للكتاب الذي لم يـذكر اسـمه ، أن بريـدو كـان يهـدف مـن وراء تأليفـه إلى هدفين مختلفين هما : القيام بعمل تاريخي دقيق للإسلام ، والطريقة التي تأسس بهـا في العالم دون أن يخلط بهذا التاريخ أياً من الأشياء العاطفية أو الأحكام المسبقة التـي انتشرت من قبل المشككين في هذا المنهج . أما الهدف الثـاني فهـو : الاسـتفادة مـن ذلك بالوصول إلى غاية عاقلة ومسيحية ؛ وذلك بعرض قصة حياة محمد ﷺ بكثـير من الدقة التي لم يسبق إليها أحد ، في زمن انعدمت فيه أمانة كثير من المؤرخين[٢] .

وقد استعان بريدو بعدد كبير من المصادر العربية التـي اسـتقى منهـا مادتـه في الكتاب ، منها : كتاب ابن العـبري ، «تـاريخ مختـصر الـدول» ، أبوالفـداء وكتابـه «مختصر تاريخ الأمـم» ، أحمـد القـرافي ، كتـاب «الأجوبـة الفـاخرة عـن الأسـئلة الفاجرة» ، صحيح البخاري ، أبوحامـد الغـزالي «تهافـت التهافـت» ، المسعودي «مروج الذهب» ، الإبشيهي «المستطرف» ، البيضاوي «تفسير القرآن» ، الحوار بين محمد وعبدالله بن سلام وهو كتاب بالعربية ترجمه هرمان الدلماتي مـع ترجمـة القـرآن الكـريم سـنة (٥٣٨هــ/١١٤٣م) ، وفيـه مبالغـات وغلـط وتـشويه للعقيـدة الإسلامية ، ابـن المكـين «المجمـوع المبـارك» ، ابـن الأثـير «تاريخـه» ، تـاريخ ابـن البطريق ، كتاب عربي يتناول تاريخ ميلاد ونشأة محمد ﷺ ، وكان ضمن مـا تـرجم مع مجموعة طليطلة وغيرها[٣] .

بيد أن بريدو لم يطلع على هذه الكتب كلها ؛ حيـث نجـده في مواضـع أخـرى يشعرنا أنه لا يعرف بعض هذه الكتب أو المؤلفين إلا من خلال استشهادات يرويها عن كتَّاب آخرين ، حيث يقول مثلاً : عند هوتنجر وهـو مـا يـستخدمه كثـيراً ، أو

---

(١) بريدو : مستشرق إنجليـزي ، ولـد في بدسـتو بـإنجلترا سـنة (١٠٥٨هــ/١٦٤٨م) ، حـصل عـلى الدكتوراه في اللاهوت ، وتقلد مناصب كهنوتية . بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٠٧ .

(٢) بدوي : دفاع عن محمد ، ٣١-٣٢ .

(٣) نفس المرجع ، ٣٢-٣٣ .

عند بوكوك[١] .

وكتاب بريدو الذي ادعى فيه موضوعيته وتحريه للدقة مليء بالأساطير والأكاذيب المثيرة للسخرية ، والتي تعددت حول شخصية الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتاريخ الإسلامي ، فهو يعتبر ظهور الإسلام انتقاماً من الرب بسبب انقسامات الكنيسة الشرقية على نفسها ، فالعرب «السراسين» هم الأداة التي أرسلها الرب ليصب غضبه على المسيحيين . أما فيما يخص سيرة الحبيب ﷺ فقد ذكر أشياء كثيرة تخالف ما زعم أنه استشهد به من كتب الصحاح والسير والتاريخ ، مما يعطي إثباتاً أنه حرف النصوص عن حقيقتها لتحقيق غرضه ، فهو يحكي أشياء خيالية فيما يتعلق بالصحابي كعب بن زهير (ت٢٤هـ/٦٦٢م)[٢] رضي الله عنه ، وقصيدته الشهيرة «بانت سعاد»[٣] ، فيزعم أن كعباً كان يهودياً ، وأنه بسبب فصاحته وصداقته للرسول ﷺ فقد ساعده في تأليف القرآن الكريم[٤] .

ونفس المبالغات والمهاترات تظهر في كتاب «بريدو» في معرض حديثه عن بحيرى الراهب ؛ حيث يقول إن محمداً ﷺ استقبل بحيرى في بيته بمكة بمظاهر الحفاوة والترحيب ، وأعطاه كل ما يحتاجه من مؤن وزاد ، ثم فتك به بعد ذلك ؛ لأنه خاف أن يأتي يوم ويظهر سر لغز محمد ﷺ ، وقد كان نجاحه يتوقف على هذا السر[٥] . وغيرها الكثير والكثير من الافتراءات والأكاذيب على شخص المصطفى ﷺ ، مما يجعل القارئ يستغرب عنوان كتابه الذي لم يوفق في اختياره ، فلو سمَّاه «أكاذيب بريدو» لكان أجدر به وأحق ، بدل أن يلفق الأكاذيب على أكرم خلق

---

(١) نفسه ، ٣٥ .

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، صحابي معروف ، وهو شاعر مخضرم ، ابن حجر : الإصابة ، ٢٨٩/٨ .

(٣) وهي القصيدة المشهورة بالبردة ، لأن النبي ﷺ وهب صاحبها بردته بعد أن أنشده إياها ، ويقول في مطلعها : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول … متيم إثرها لم يفد مكبول
نفس المصدر ، ٨/٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٤) نفس المرجع ، ٣٦ ؛ فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، ٥٣ .

(٥) بدوي : دفاع عن محمد ، ٣٧ .

الله ، ويحرف النصوص عن حقيقتها ويستشهد بروايات أسلافه النصارى ليحيك أساطير عن تاريخ المسلمين ورسولهم ﷺ لا يصدقها الخيال .

وعلى الرغم من قلة قيمة الكتاب إلا أنه كان رائداً لكثيرٍ من المستشرقين الذين كتبوا عن التاريخ الإسلامي ، أمثال : إبراهام جيجر (Abraham Geiger) (ت١٢٩١هـ/١٨٧٤م)[١] ، وهرشفلد (Hirschfeld) (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)[٢] ، وجولد تسيهر (Goldziher) (ت١٣٤٠هـ/١٩٢١م)[٣] .

وآخرون كثيرون ، وسيكون أيضاً رائداً لكثير من المستشرقين في القرنين الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، والرابع عشر الهجري ، العشرين الميلادي ، فيما يخص سيرة المصطفى ﷺ وغزواته[٤] .

ومهما يكن من أمر فإن «بريدو» في نهاية كتابه كان مضطراً -حتى رغم أنفه وبمشاعر الأسى- أن يعترف بالصفات السامية للرسول ﷺ وعظمة أعماله ، ويقول إنه طوال فترة بعثته النبوية امتاز بالشجاعة وفطنة العقل ، والتواضع ، وبدرجة عالية من المجد مما أغراه بأن يكون له مكان بين أعظم الثوار الذين عرفهم العالم ، وقد أنشأ إمبراطورية في أربعة وعشرين عاماً امتدت لتشمل المناطق التي تحتلها الإمبراطورية الرومانية لمدة خمسمائة عام بل وأكثر منها ، وقد استمرت تلك المملكة الواسعة لقرون عديدة وهي في أوج عظمتها[٥] .

---

(١) جيجر : حبر يهودي ألماني ، تناول الإسلام بالتشويه مع مقارنة القرآن بالكتب المقدسة عند اليهود . بدوي : موسوعة المستشرقين ، ٢٢٢ .

(٢) هرشفلد : مستشرق يهودي في غاية التعصب ضد الإسلام ، ألماني الأصل ، إنجليزي الموطن . نفس المرجع ، ٦٠٩ .

(٣) جولدتسيهر : مستشرق يهودي مجري ، له كتابات مشينة عن الإسلام . نفس المرجع ، ١٩٨ .

(٤) بدوي : دفاع عن محمد ، ٣٨ .

(٥) نفس المرجع ، ٣٨ ؛

٢ - ركزت جهود المترجمين في مجال التاريخ على نقل الكتب العربية التي تناولت نشوء الفرق الإسلامية تركيزاً واضحاً ، مع إعطاء فكرة أن هذه الفرق سياسية بحتة وخارجة عن السلطة السياسية ، في محاولة منهم لفصل العقيدة الإسلامية والواقع التاريخي للدولة الإسلامية[١] .

ومن أمثلة ذلك : كتاب «تاريخ المستشرقين» لمؤلفه «هوتنجر» (ت١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) الذي خصص فيه الفصل السادس من الكتاب عن : المدارس الفقهية الخمسة : الأحناف ، المالكية ، الشافعية ، الحنابلة ، الشمراخية[٢] ، والتي لم يذكر منها سوى اسمها ، واقتبس معلوماته من : ابن المكين ، وابن خلكان ، بالإضافة إلى دلائل الحائرين لابن ميمون ، ثم تناول الانشقاق بين العلماء الأتراك ، ثم الخلاف بين الفرس وبقية المسلمين ، وهذا قسم كبير منصب على مذهب الشيعة[٣] .

ولم يغب عن بال هذا الكاتب أن يخصص فصلاً في كتابه الآنف الذكر عن «حالة النصارى واليهود في جزيرة العرب زمن محمد ﷺ»[٤] ، وكأنه قد أوحى بالفكرة إلى من جاء بعده من المستشرقين الذين أخذوا في الترويج لحالة أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ، وعن نظام الطبقية حيث يقول أحدهم نيكلسون : «إن شعوب البلاد المفتوحة لم تدخل في الأخوة الإسلامية إلا نظرياً ، وظلت مضطهدة محتقرة بالنسبة للسلالة العربية»[٥] . والملاحظ من المصادر التي اعتمد عليها في هذا

(١) فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، ١٤٥ ؛ عبدالعظيم الديب : المستشرقون والتاريخ ، ضمن أبحاث الندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين ، ط١ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ٢٧٩ .

(٢) الشمراخية : نسبة إلى عبدالله بن شمراخ ، وهي إحدى فرق الخوارج . الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ٨٥ .

(٣) بدوي : دفاع عن محمد ، ٣١ .

(٤) نفس المرجع ، ٢٧ .

(٥) فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، ١٤٥ .

الفصل أنه لم يعتمد إلا على تاريخ ابن المكين الذي كان نصرانياً مثله[١] .

أما عن مؤلفات الطرق الصوفية الخارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة فقد بادر هؤلاء إلى اقتنائها وترجمتها إلى لغاتهم ، ومن ثم النهج على طريقتها في التأليف ، ككتاب ابن عربي ، وابن عباد الرندي (ت٧٩٢هـ/١٣٩٠م) الذي تأثر به يوحنا الصليبي في الطريقة الشاذلية[٢] للصوفية ، وكأنهم بذا يصورون المجتمع المسلم من خلال الثغرات الموجودة فيه[٣] .

٣ - سعى كثير من الغربيين المستفيدين من كتب التاريخ المترجمة إلى وضع منهج لا ديني للبحث العلمي الذي يتمسح بالموضوعية والحياد العلمي وهو أبعد ما يكون عنهما ، ومثال ذلك : ذكرهم للفظ «محمد» ﷺ ، دون ذكر السلام أو الصلاة عليه ، كما أنهم يتحكمون في المصادر التي يختارون ، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به على تاريخ الحديث النبوي ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ما نقله الدميري في كتابه «الحيوان» ، ويكذبون ما جاء في صحيح البخاري ، ويمجدون كتب الأدب المشبوهة كألف ليلة وليلة ، ويعتمدون عليها كمصدر للتاريخ الإسلامي[٤] .

وممن نهج هذا النهج كثيراً كريموندلول (ت٧١٤هـ/١٣١٤م) في كثير من مؤلفاته ، ونقولا الكوسي (ت٨٦٩هـ/١٤٦٤م) في كتابه «غربلة القرآن» ، وغيرهم كثير[٥] .

٤ - سار كثير من الغربيين في مؤلفاتهم عن التاريخ الإسلامي على إقحام المفاهيم والنظرة الغربية على تاريخ الأمة الإسلامية ، فهم يقارنون مثلاً بين حياة الرسول ﷺ وبين البابا ، أو أحد الثائرين في أوروبا في العصور الوسطى ، وبين

---

(١) بدوي : دفاع عن محمد ، ٢٧ .

(٢) الشاذلية : طريقة صوفية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) . موجز دائرة المعارف ، ١٩/٦٠٦٣ .

(٣) بدوي : دور العرب ، ٢٣-٢٤ .

(٤) الميداني : أجنحة المكر الثلاثة ، ١٧٥ .

(٥) سذرن : نظرة الغرب ، ١٠٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٢٢ .

الخلافة الإسلامية والسلطة السياسية الاستبدادية في أوروبا ، ويدرسون أحوال المجتمع المسلم وفق تقسيمه إلى نظام طبقات كما كان شائعاً في بلادهم في العصور الوسطى[١] ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة منها : كتابات ريموندلول في كتابه : «الحكماء الثلاثة» ، ودانتي اليجيري (ت٦٦٤هـ/١٢٦٥م) في «الكوميديا الإلهية» ، وغليوم بوستل (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م) في كتابه ، «جمهورية الأتراك» حيث وصف في القسم الأول من الكتاب حياة محمد ﷺ بالاستناد إلى القرآن والسنة ، وحسب ما جاء في كتب المسلمين ، حسب زعمه ، ثم ما لبث في القسم الثاني أن عرض حياته ﷺ من وجهة النظر النصرانية ، ثم لخص في القسم الثالث تعاليم الإسلام وآدابه وأشار إلى أنها مقتبسة عن اليهودية والنصرانية» ، ثم تحدث في نهاية الكتاب عن الفرق الإسلامية ، وعن طقوس دفن الموتى عند المسلمين[٢] .

وليس معنى هذا أنَّ الكتَّاب الغربيين لم يستفيدوا من كتب التاريخ الإسلامي ومنهجه في مؤلفاتهم ، بل هناك أمثلة واردة تؤكد اعتمادهم وأخذهم عن مؤلفات المسلمين التاريخية شاءوا أم أبوا ؛ حيث أثبتت الدراسات المتعددة[٣] أنَّ منهج النقد التاريخي الأوروبي لم تستقرَّ مبادئه وتقعَّد قواعده إلا في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، أي بعد معرفة المسلمين لقواعد النقد بعشرة قرون كاملة أو أكثر ، ولا بدَّ أنهم استفادوا من قواعد النقد عند المسلمين بعد ترجمة مؤلفاتهم الشرعية والتاريخية لاسيما كتب الحديث ، إذ إن النقد نشأ على أكتاف رجاله ، بالإضافة إلى الفقه وبقية العلوم الأخرى[٤] .

وبعد المقارنة بين المنهجين الإسلامي والأوروبي الحديث للتاريخ ، تبين أوجه

---

(١) جمال سلطان : الغارة على التراث الإسلامي ، ط١ ، مكتبة السنة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ٤٨ .

(٢) فوك : تاريخ الاستشراق ، ١١٧-١١٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٥٨ ؛ بدوي : موسوعة المستشرقين ، ١٣٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال : عبدالرحمن بدوي : النقد التاريخي ، ط٤ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ،١٩٨١م ؛ السلمي : منهج كتابة التاريخ ، عثمان موافي : منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي ، ط٤ ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٩٤م .

(٤) السلمي : منهج كتابة التاريخ ، ١٤٤ .

الشبه في عدة أمور ، مما لا يدع مجالاً للشك في اقتباس الأوروبيين وأخذهم قواعد هذا المنهج عن المسلمين ، ومن ذلك :

١ - البحث عن مصدر الخبر : وهو أول خطوات النقد التاريخي عند الأوروبيين ، وقد أخذوه من المسلمين الذين ركزوا على من رأى وسمع الخبر ثم نقله ، أو بالأحرى المصدر ، وهو الناقل أو الراوي ، فتحققوا من صحة المصدر بفكرة السند ، وهو سلسلة الرواة ، بخلاف الأوروبيين الذين أخذوا هذا المنهج ، ولكنهم جعلوا المصدر المؤلف الذي كتب الوثيقة ، أو ما صدر عنه الخبر ، فصعبت عليهم المسألة ؛ لأن الوثائق القديمة ، والأخبار التي لا يعرف شيءٌ عن مصادرها الحقيقية تبدو شاقة وعسيرة ، ويبدو إليها الطريق محفوفاً بالمخاطر والأهوال[1] .

٢ - نقد الرواة : وذلك بنقد عدالة وضبط الراوي ، وقد أخذه الأوروبيون عن المسلمين وعبروا عنه بنقد الأمانة والدقة ، وشروطهم فيها تتفق على كل حال — وشروط وقواعد[2] المسلمين في نقد العدالة والضبط ، غير أنا نلحظ أن المسلمين كانوا أدق لفظاً وأوسع مفهوماً من أصحاب النقد التاريخي الأوروبي . فمثلاً فهم المسلمون العدالة فهماً أوسع من فهم الأوروبيين لها ، فهي لا تمس وجدان الراوي وحسب ، ولكنها تمس أيضاً العرف والعادات والتقاليد ، وبناءً على هذا فالعدالة عند المسلمين وجدانية اجتماعية ، بينما هي عند الأوروبيين وجدانية وحسب . ومهما يكن من أمر فإن منهج نقد الخبر عند المسلمين يقوم على نقد المصدر ، أو الأساس فيه هذا ، أي نقد الراوي الذي مداره على الجرح والتعديل ، وكذلك نقد المصدر عند الأوروبيين كان له أهميته ، إلا أنه غير كافٍ وحده في عملية النقد ، ولا يمكن الاعتماد عليه وحده ؛ لأنه نقد تحضيري تنحصر فائدته في أنه يعلمنا ألا

---

(١) موافي : منهج النقد التاريخي ، ١٦٥ ؛ السلمي : منهج كتابة التاريخ ، ١٤٥ .

(٢) شروط العدالة عند المسلمين : الإسلام ، البلوغ ، والعقل ، السلامة من أسباب الفسق ، والسلامة من خوارم المروءة . عبدالرحمن سراج : العدالة أساس نقد الأخبار ، دراسة تأصيلية ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، كلية الشريعة ، جامعة أفريقيا العالمية ، ع٩ ، محرم١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ٨٦ .

نستعمل وثائق سقيمة ، ولكنه لا يعلمنا كيف نفيد من الوثائق السليمة ، وقد تنبه أصحاب النقد التاريخي الأوروبي لهذه الثغرة ، ومن ثم اتجهوا إلى نقد المضمون ، وهذا ما سبق إليه قبلهم علماء المسلمين أثناء نقدهم للخبر ، فلم يكتفوا بنقد المصدر أو السند ، ولكنهم تعدوا ذلك إلى المتن والمضمون[١] .

وهكذا نلاحظ أن المنهج التاريخي الإسلامي تميز بالملاحظة مباشرة ، والتثبت والتحري ، والدقة في النقل ، والصدق في الأداء . ثم تفضيل النقل الشفهي والسماع على الكتابة في تلقي العلم وأدائه ، وهو في مجمله منهج استقرائي ، يبدأ بالجزئيات وينتهي بالكليات ، وهذا المنهج الاستقرائي ، هو منهج علماء المسلمين في كل التخصصات ، وهو المعبر عن روح الحضارة الإسلامية عامة ، وكما أثبت أكثر من باحث شرقي وغربي أنه من صنع العقل الإسلامي الخالص ، ومن ابتكار المسلمين ، وعنهم أخذته أوروبا فاستنارت بقبسه ، مع اختلاف التصور في الضبط والعدالة[٢] .

وهذا الاختلاف كان في الواقع عيباً في منهج النقد التاريخي الأوروبي ؛ إذ أنه لا يؤمن بالرسالات السماوية ، وخاصة رسالة محمد ﷺ ، أو يؤمن بأنها خاصة بالعرب على أحسن الأحوال ، والذي لا يؤمن كذلك بالغيب غير صالح للتطبيق في الدراسات الإسلامية ؛ ولهذا السبب كانت كتابات كثير من الغربيين عن تاريخ المسلمين مشوهة ، وغير صحيحة ؛ لأنها تحمل تصورات وأفكار ومبادئ بل وعقائد البيئات التي نشؤوا فيها[٣] .

وإذا كان هذا التشابه في المنهج قد وصل إلى أوروبا عبر الترجمة ، فلا بدَّ إذن من مؤلفات تاريخية إسلامية نقلت إلى الغرب بواسطتها ، وقد سبق لنا أن تناولنا المؤلفات التاريخية التي ترجمت ، ولا بدَّ أنها كانت تحوي منهجاً تاريخياً إسلامياً بين طياتها كسيرة ابن إسحاق ، وصحيح البخاري ومسلم ، والاكتفاء في أخبار الخلفاء

(١) موافي : منهج النقد التاريخي ، ١٦٧ ؛ السلمي : منهج كتابة التاريخ ، ١٥٢ .
(٢) موافي : منهج النقد التاريخي ، ٩٤ .
(٣) السلمي : منهج كتابة التاريخ ، ١٥٤ .

لابن الكردبوس ، وغيرها من المؤلفات التي ذكرت في بابها[١] .

أما عن أهم مؤلف في منهج علم التاريخ وفلسفته فهو كتاب العلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) الموسوم «بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» ، لاسيما مقدمته الشهيرة التي تعد أعظم ما كتب في العصور الإسلامية حول ما يسمى الآن «علم الاجتماع» ، وفلسفة التاريخ ، أو ما سماه ابن خلدون بـ«علم العمران»[٢] .

وقد وضع ابن خلدون في مقدمته تعريفاً محدداً لعلم التاريخ بقوله : «إن التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظرٌ وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق»[٣] ، فنجده بذلك نظر إلى علل الحوادث وأسبابها ، وحاول اكتشاف السنن التي تنظمها ، وأكد على بدايات الحوادث وقيام الدول وتعليل سقوطها[٤] .

ومن أهم الأسس التي وضعها العلامة ابن خلدون لفهم حقائق التاريخ ، أنه نبه إلى ناحية مهمة جداً يذهل عنها أكثر الناس وهي : تبدل أحوال المجتمعات وتطورها من حال إلى حال ، في كثير من العادات والتقاليد أو طريقة التفكير وتناولهم للأمور ، كما نبه إلى موضوع التطور البطيء للمجتمع ، وهو من طبائع

---

(١) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني من هذا البحث .

(٢) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ط١ ، تحقيق : عبدالسلام الشدادي ، بيت الفنون والآداب ، الدار البيضاء ، مقدمة المحقق .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ١/٥-٦ .

(٤) نفس المصدر ، مقدمة المحقق .

العمران على حدِّ تعبيره ، فالذي لا يفطن له يظن أن الأمور تنتقل فجأة[١] .

كما أكَّد ابن خلدون في مقدمته على ضرورة تمحيص الخبر وبيان صحته أو زيفه ، وذلك بعد عرضه على منهج واضح محدد المعالم يرتضيه هو لنفسه ؛ ذلك أن الخبر بطبيعته يتطرق إليه الوهم أو الكذب أحياناً لعدة أسباب كالتشيعات للآراء والمذاهب ، والثقة بالناقلين ، والجهل بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية ، والجهل بطباع العمران[٢] .

أما فيما يخص تفسير التاريخ الإسلامي ، فنجد أنَّ ابن خلدون قرر عدة أمور منها : أن الدولة الكبرى أو الحضارات لا تقوم إلا بدين أو ببقايا دين ، كما أن مبدأ الصراع بين الأمم ليظهر الخير ويخفف من الشر ، وهو أعظم السنن الكونية ، فالأرض تفسد إذا طال فيها مكث الطواغيت وحكوماتهم الفاسدة ، ولم يقم من يجاهدهم ويدفع فسادهم ، وأن الأمم التي تبطر معيشتها ، وتعيش في الترف ، وتنهمك في الملذات ، وتقارف الآثام والذنوب لابد أن يصيبها العقاب إن آجلاً أو عاجلاً وسواء كان عذاباً مادياً أو حسياً أو عذاباً معنوياً ، وأخيراً أن الحق هو المنتصر في النهاية[٣] .

وإذا كانت هذه المقدمة قد وصلت إلى أوروبا عن طريق المؤلفات فهي لوحدها تمثل منهجاً تاريخياً لا يضاهيه منهج ، فالهدف الرئيسي لابن خلدون من كتابة مقدمته هو تلخيص الروايات التاريخية من الخطإ أو الكذب ، ووضع القوانين التي تساعد المؤرخ على عدم الوقوع في الأخطاء ، ولذلك تناول العمران البشري والقوانين التي تحكمه ، ولكنه فوجئ بأنه أتى بعلم جديد «علم الاجتماع» وكان بحد ذاته مكسباً ثميناً[٤] .

ومن المعروف أن مقدمة ابن خلدون لم تعرف إلا في العصر الحديث ، وتحديداً

---

(١) نفسه ، مقدمة المحقق .

(٢) نفسه ، مقدمة المحقق .

(٣) نفسه ، مقدمة المحقق .

(٤) نفسه ، مقدمة المحقق .

إبان القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، في العالم الغـربي[١] ، إلا أن تأثيرها كان قبل هذا القرن ؛ إذ جمع ساطع الحصري على التقريب أهم المؤلفات التي تتعلق بفلسفة التاريخ مباشرة ، فوجدها بعد ظهور مقدمة ابن خلدون ، تنحصر في عشرة كتب ، منها : «الأمير» لمكيافيللي الإيطالي (Machiavelli) (ت٩٣٤هـ /١٥٢٧م)[٢] ، و«الحكومة المدنية» لجون لوك (John locke) الإنجليزي (ت١١١٦هـ /١٧٠٤م)[٣] ، و«طبائع الأمم وفلسفة التاريخ» لفولتير الفرنسي ، و«آراء فلسفية في تاريخ البشرية» ليوهان هردر الألماني (Johan Herder) (١٢١٨هـ/١٨٠٣م)[٤] ، وكلهم اقتبسوا منه في كتبهم[٥] .

أما فيما يخص كتاب الأمير ومدى تأثره بمقدمة ابن خلدون فنجد أن مؤلف الكتاب : نقولا ميكيافيللي من أبناء إيطاليا ؛ حيث ولد في فلورنسا سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، وعني منذ نعومة أظفاره بالتاريخ وقراءة كتبه ، لاسيما هو يجيد اللغة اللاتينية ، ولا يمنع هذا أنه قد اطلع على ترجمات لكتب التاريخ الإسلامي ، ومعها مقدمة ابن خلدون أو أنها نقلت له خاصة بعد أن تولى منصب «أمين لهيئة العشرة للحرية والسلام» التي تتمثل وظيفتها في الاتصال بممثلي فلورنسا الدبلوماسيين في الخارج ، وقد هيأت له هذه الوظيفة أن يزور عدة دول أخرى كإسبانيا ، وفرنسا ، وإنجلترا ، وبعد عودته وفقده وظيفته سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م) أخذ في تأليف كتابه الشهير «الأمير» ، وهو الكتاب الذي تضمن مجموعة من قواعد فن الحكم والسياسة قدمها ميكيافيللي على هيئة نصائح ،

---

(١) نفسه ، مقدمة المحقق .

(٢) نقولا ميكيا فيللي : ولد بفلورنسا ، وانتظم في السلك العسكري منذ عصر مبكر ، ثم اعتزل السياسة وانشغل بالتأليف . كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ٢٥ ؛ مكيافيللي : كتاب الأمير ، ط١ ، ترجمة : أكرم مؤمن ، مطبعة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ،٦ .

(٣) فيلسوف إنجليزي من أصحاب النزعة التجريبية ، كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ١٤١ .

(٤) يوهان هردر : فيلسوف ألماني ، عالم باللاهوت وشاعر ، برز في عصر التنوير . الموسوعة العربية العالمية ، ٩٦/٢٦ .

(٥) أبوخليل : أضواء على مواقف المستشرقين ، ١٣٠-١٣١ .

منها ما يتعلق بالسياسة الداخلية ، ومنها ما يخص السياسة الخارجية ، وهي كلها قائمة على الفصل بين السياسة والأخلاق ، ويرى ميكيافيللي أن اتباع هذه النصائح كفيل بأن يديم حكم الحاكم ويرسخ سلطانه[١] .

وبالرغم من المآخذ التي أخذت على الكتاب في فصله الأخلاق عن السياسة[٢] إلا أنه اعتبر من الكتب التي غيَّرت مجرى التاريخ في أوروبا ، فكأن مؤلفه مؤسس علم السياسة في العصر الحديث ؛ لأنه فسر السياسة بصورة واقعية على وجهة نظره للطبيعة الإنسانية في إطار التاريخ ، فهو يرى الدولة كائناً حياً يمثل الحاكم رأسه والشعب الجسد ، وحض الحاكم على استخدام كافة الوسائل لأجل الحفاظ على الأمن والاستقرار في دولته[٣] .

وكل هذه النظريات التي وردت في كتاب الأمير لميكيافيللي سبقه إليها العلامة ابن خلدون مما حدا بالعالم الاجتماعي «جميلوفيتش» أن يصرح بأن فضل السبق يرجع إلى الأول مع تفوقه على ميكيافيللي في هذا المجال[٤] ، وفي ذلك يقول : كلوزيو : «إذا كان ميكيافيللي يعلمنا وسائل حكم الناس ، فإنه يفعل ذلك كسياسي بعيد النظر ، ولكنَّ العلامة التونسي ابن خلدون استطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية ، كاقتصادي وفيلسوف راسخ ، مما يحملنا بحق على أن نرى في أثره من سمو النظر ، والسرعة النقدية ما لم يعرفه عصره»[٥] .

أما عن جوك لوك الإنجليزي الذي ولد سنة (١٠٤٢هـ/١٦٣٢م) في إنجلترا ، ثم رحل إلى فرنسا سنة (١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) وأقام فيها حتى سنة

---

(١) ميكيافيللي : الأمير ، ١٠-١٣ .

(٢) وهو صاحب المقولة الشهيرة «الغاية تبرر الوسيلة» ، ومعناها بصريح العبارة : إسقاط الأخلاق من مجال السياسة ، وممارسة السياسة بلا أخلاق . وإذا أقصيت الأخلاق أقصي الدين لأنها أصلاً مستمدة منه . قطب : مذاهب فكرية ، ٤٨٦ .

(٣) ميكيافيللي : الأمير ، ١١-١٢ .

(٤) الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٩٢ .

(٥) نفس المرجع ، ١٩٢-١٩٣ ، وقد اخطأ كلوزيو في حكمه على عصر ابن خلدون بالجمود الفكري وعدم المعرفة بالنقد والنظر الثاقب .

(١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) فهو الآخر من المتأثرين بآراء ابن خلدون في فلسفة التاريخ ، وبالرغم مما حمله كتابه «الحكومة المدنية» من فكر ليبرالي[١] ، يقوم في رؤيته المجتمعية على منظور ذري تجزيئي ، يخلص إلى بلورة فلسفة ليبرالية فردية[٢] . نجد لديه آراء تتفق مع ابن خلدون في السياسة ونشوء الدول ، وليس معنى هذا أنه أخذ فكره الليبرالي عن ابن خلدون ، ولكنه وظف آراء ابن خلدون في السياسة ونشوء الدول لدعم نظريته الليبرالية هذه[٣] .

ويعد مونتسكيو (ت١١٦٩هـ/١٧٥٥م)[٤] من أشهر رجال الفكر الذين نبغوا في فرنسا إبان القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، وقد شغل مقاماً ممتازاً في فلسفة التاريخ ، وعلم التاريخ ، من جرَّاء الأهمية التي يعزوها إلى العوامل الاقتصادية في تكوين طبائع الأمم ، وتسيير وقائع التاريخ ، حتى إن بعض الباحثين يرى أنه أول من ربط علم الاقتصاد بعلم التاريخ ، وأول من شارك في هذين العلمين في أمر تفسير الحادثات الاجتماعية وتعليلها[٥] .

وفي حقيقة الأمر نجد أنَّ ابن خلدون سبق مونتسكيو فيما جاء به ، مما حدا بساطع الحصري إلى القول إنه تأثر بمقدمة ابن خلدون ؛ إذ جاء فيها ما يشير إلى العلاقات القوية التي تربط الأحوال الاجتماعية بالحياة الاقتصادية في تطور الدول ونمو الحضارة ، وعلى هذا فإن شرف إدخال عنصر الاقتصاد في علم التاريخ يعود في حقيقة الأمر إلى ابن خلدون الذي سبق مونتسكيو في هذا الشأن مدة تزيد عن

---

(١) الليبرالية : فلسفة اقتصادية وسياسية تؤكد على الحرية والمساواة وإتاحة الفرص . وتعتبر مصطلحاً غامضاً لأن معناها وتأكيداتها تبدلت بصورة ملحوظة بمرور السنين . الموسوعة العربية العالمية ٢١/٢٤٧ .

(٢) كما أن لوك طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض ، ودعا إلى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك ، وهو مبدأ التسامح الديني وإعطاء الحق لكل إنسان في أن يعتنق ما يشاء ، ويكفر بما يشاء من الأديان والمذاهب . الحوالي : العلمانية ، ١٥٤ .

(٣) جون لوك : الحكومة المدنية ، ترجمة : محمود الكيال ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، ٦-٨ .

(٤) كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ١٩٤ .

(٥) نفس المرجع والصفحة ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٩٣ .

ثلاثمائة وخمسين سنة[١] .

وهكذا نرى أن تأثير ابن خلدون في العالم الغربي كان قبل القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، الذي عزيت فيه أول تأثيرات لهذه المقدمة لدى المؤلفين الأوروبيين[٢] ، ولكنه بعد البحث والتحليل تبين أنه قد دخل في مؤلفات الأوروبيين قبل هذا القرن ، مما يعني اطلاعهم على مقدمته إما قراءة للكتاب العربي ومن ثم تضمينه مؤلفاتهم ، أو أنهم تحصلوا على ترجمات لاتينية له لم تذكر في تاريخ الترجمة وفقدت كما فقد الكثير من المؤلفات .

وإذا ما وصلنا إلى علم الجغرافيا والرحلات الجغرافية والملاحية نجد أنها كانت ذات تأثير كبير في الغرب ، تشهد بذلك مؤلفات المسلمين واكتشافاتهم في هذا المجال ، والتي كان لها فضلٌ واضحٌ على الدراسات الجغرافية الأوروبية ، ويأتي في مقدمة هذه التأثيرات :

الكشوف الجغرافية[٣] ، ومن المؤكَّد أن المعرفة الكشفية أخذت تتسع لدى

(١) الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٩٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، مقدمة المحقق .

(٣) بدأت الكشوف الجغرافية منذ وقت مبكر في تاريخ الإنسانية ومن ركوب البحر ، فقد ذكرت المصادر أن الأمم السابقة كـ(الفراعنة والفينيقيين ، والرومان ، إضافة إلى الهيلينيين والفرس) قد عرفوا البحر ، وكانت تمارس التجارة ، وكشفت مناطق جديدة غير المناطق التي كانت تقطن بها ، وقد عرف العرب في جاهليتهم ركوب البحر ، خاصة الدول المجاورة له كالمناذرة في الشمال ، وكندة في اليمن ، ولما جاء الإسلام واتسعت رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين تعرف المسلمون على مناطق جديدة سواء ما دخل تحت لوائهم ، أو كان أجنبياً متاخماً لهم ، وقد ساهمت التجارة في كشف طرق برية وبحرية جديدة . ولما ضعف العالم الإسلامي وبدأ الاستعمار الأوروبي في تنفيذ مشاريعه التنصيرية ، بدأت الرحلات التي قام بها الأوروبيون لهدم قوة المسلمين السياسية والاقتصادية والدينية ، وغلَّفوها بدافع العلم والبحث عن الثروة . وأسموها بالكشوف الجغرافية .

انظر : عبدالعزيز شرف : الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي ، مؤسسة الثقافة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣م ، ٧-٤٠ ؛ هاينكة زود هوف : معذرة كولومبوس لست أول من اكتشف أمريكا ، ط١ ، ترجمة : حسين عمران ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ١٩-٢٦ ؛ عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٨-١١ .

المسلمين ؛ حيث عرفوا الرحلات الجغرافية ، وعن طريقها تعرفوا على مناطق كثيرة ، وأماكن شاسعة في آسيا ، وأوروبا ، وأفريقيا ، وجزر البحر الشرقية والغربية ، وقد تناول جغرافيو المسلمين وصف هذه المناطق في مؤلفاتهم كالبيروني ، وياقوت ، والبكري[1] .

ولما أتى القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، تحولت هذه الكشوف إلى الجانب الأوروبي ، ويعد هذا التحول أهم نتيجة علمية لما يسمى بـ«النهضة الأوروبية» ، وقد كان لها انعكاسات حادة وخطيرة على العالم الإسلامي[2] ، فما الذي جعل أوروبا تلتفت لهذه الحركة الكشفية في تاريخها؟ وما هي الدوافع التي جعلتها تقوم بها؟ وهل كانت هذه اكتشافات حقاً -كما يسمونها- توصل إليها البشر لأول مرة؟ أم هي ادعاء لتغطية دوافع حاقدة كانت من خلفها؟ والذي ساعد على نشر هذه المعلومات المغلوطة إلينا ؛ وهو سيطرة أوروبا على العالم في وقت كان المسلمون في غفلة ، فعرضت هذه المعلومات على الشعوب المغلوبة حتى أصبحت شبه حقيقة واقعة مسلَّم بها[3] .

وقد أعلنت أوروبا أن دافعها لهذه الاكتشافات هو تجارة التوابل ، والحصول على المال ، لكن هذا الادعاء لا يستند إلى حقيقة علمية ، ولا يقبله منطق سليم[4] .

وفي الوقت الذي كانت فيه إسبانيا والبرتغال تدعي هذه الاكتشافات كانت أهم أجزائها الجنوبية في ظل الحكم الإسلامي بالأندلس ، وكان شغل الإسبان والبرتغاليين الشاغل هو إخراج المسلمين من الأندلس ، وفي نفس الوقت وصل البرتغاليون إلى رأس الرجاء الصالح[5] في أقصى جنوب إفريقيا وهم في غمرة

---

(١) الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٧٠ ؛ أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، ١٠-١١ .

(٢) فاروق عثمان أباظة : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، ١ .

(٣) محمود شاكر : الكشوف الجغرافية ، دوافعها - حقيقتها ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ١٠-١١ .

(٤) نفس المرجع ، ١١ .

(٥) رأس الرجاء الصالح : هو رأس من اليابسة في القارة الأفريقية بالقرب من كيب تاون يمتد في المحيط=

الحروب مع المسلمين؟..

إذاً لا يعقل أن يقوم البرتغاليون بالاكتشاف في وقت يحاولون فيه طرد المسلمين من بلادهم بقدر ما كان وصولهم لتنفيذ خطة حربية ، فقد وصلوا رأس الرجاء الصالح قبل سقوط الأندلس بأيديهم بست سنوات تقريباً؟[١] .

والذي يثير الدهشة والشك أنَّ أوروبا كانت من ورائهم مادياً ومعنوياً ، فهل يقبل الوضع هكذا أن يكون همُّ الإسبان والبرتغاليين الحصول على التوابل كما تدَّعي أوروبا؟

وأي توابل تنفع وهم في حرب ضارية مع المسلمين؟ ثم هل يعقل أيضاً أن يسعى إنسان وراء المال -كما برروا لاكتشافاتهم- في مكان مجهول كجنوب أفريقيا مثلاً ، أو يبحث عنه في مكان لا يزال في عالم الخيال؟[٢] .

إن الدوافع الحقيقية التي تكمن وراء وصول أوروبا إلى ما وصلت إليه من الاكتشافات الجغرافية إنما كانت دوافع صليبية بحتة ، كانت ولا يزال يحمل لنا التاريخ منها صوراً ؛ لذا نجد أن هذه الكشوف كانت نتيجة حتمية لتحقيق أهم دوافع الترجمة وهو الدافع الديني ؛ إذ لا بد أنه بعد اتصالهم بالمسلمين في معابر الحضارة المعروفة وبواسطة المؤلفات الجغرافية والفلكية المترجمة قد تهيئوا جيداً لمرحلة جديدة من حرب الإسلام بواسطة الملاحة البحرية لتحقيق عدة أهداف ، منها :

١ - اكتشاف طرق تجارية غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون ؛ وبهذا يصل الأوروبيون إلى الشرق وينافسون المسلمين الذين سيفقدون ما يجنون من

= الأطلسي ، ويشبه في شكله الرأس المحدب ، كانت تمر منها السفن التجارية المتوجهة من وإلى آسيا . وهناك اعتقاد خاطئ بأن رأس الرجاء الصالح يقع في أقصى جنوب القارة الأفريقية ، وأنه يفصل بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي ، ولكنه في الحقيقة يقع على بعد ١٥٠كلم شرق عن هذه النقطة والتي تسمى برأس أقولاس . الموسوعة العربية العالمية ، ١١/ ٦١ .

(١) عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ١٥ .

(٢) نفس المرجع ، ١٦ .

الأرباح من تجارة يسيطرون على طرقها .

٢ - عند الوصول إلى الشرق يجب السيطرة على تلك المناطق لإمكان التطويق التام ، ومن ثم الاستعداد لقتال المسلمين .

٣ – العمل على نشر النصرانية في البلاد التي يدخلونها ، وحث النصارى على محاربة المسلمين حرباً لا هوادة فيها .

٤ – الاتصال بنصارى الشرق وحضهم على العمل معاً لاجتثاث جذور الإسلام ، والإفادة من كل خلاف بين المسلمين[١] .

ونحن في حديثنا عن أثر المسلمين في الكشوف الجغرافية سوف ندعم هذا الأمر بمثالين لكشفين مهمين ، وهما : اكتشاف فاسكو دي جاما «الطريق الهندي البحري» سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) ، واكتشاف كولومبوس (columbus) (ت٩١٢هـ/١٥٠٦م)[٢] لأمريكا عام (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) ؛ لأنهما من أكثر الكشوف الجغرافية تأثيراً في مجرى التاريخ الإنساني ، وبالرغم من مرور ما يزيد على خمسمائة عام على هذين الكشفين إلا أن الجدل لم يحسم بعد حول أسبقيتهما[٣] .

ولكنه بالمؤكد أنهما استعانا بمؤلفات ومعارف المسلمين المترجمة في الجغرافيا وفن الملاحة ، واسترشدا بها لنجاح الرحلتين سواء للوصول إلى الهند ، أو اكتشاف أمريكا التي سبقهم إليها المسلمون .

ففاسكو دي جاما الذي بدأ رحلته من لشبونة سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) كان مدعماً بالخرائط والآلات الملاحية المعروفة في زمانه من كوادرانت (ربع دائرة) ، وإسطرلاب ، وإبرة مغناطيسية ، وبما تجمع له من شتى المعارف البحرية عن طريق

---

(١) نفس المرجع ، ١٦-١٨ ؛ شاكر : الكشوف الجغرافية ، ٢٤-٢٥ .

(٢) ولد كريستوفر كولومبوس سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) في مدينة جنوا الإيطالية ، وهو من أصل يهودي إسباني ، ثم عاد إلى إسبانيا في كبره ، وأصبح أدميرالاً لدى الملكين الكاثوليكيين فرديناند وإيزابيلا ، وقاد رحلاته البحرية بدافع ديني بحت . انظر : صاموئيل موريسون : كريستوفر كولومبوس ، المكتشف العظيم ، ترجمة : فوزي قبلاوي ، وأحمد العرابي ، مؤسسة فودكلين ، بيروت ، ١٩٥٩م ، ١١ ؛ زود هوف : معذرة كولومبوس ، ١٠-١١ .

(٣) توينبي : تاريخ البشرية ، ٥٨٩ .

ما ترجم من المصنفات الجغرافية العربية ، وما اجتمع لمدرسة الأمير هنري الملاح من معلومات ومخطوطات وبوتورلانات ، ونسخة من المجسطي لبطليموس ، نقلاً عن الترجمة العربية ، ثم التقى في مالندي (Melinde) على ساحل أفريقيا الشرقية بالملاح المسلم ابن ماجد (ت بعد ٩٠٤هـ/١٤٩٨م)[١] ، الذي دله على طريق الهند ، بالإضافة إلى إعانته بإسطرلاب معدني ، وآلات مربعة ، ومثلثة لرصد الشمس والنجوم ، كما أطلعه على خرائط ملاحية رسمت عليها الأطوال والعروض ، ولا بدَّ أن جاما استفاد من مؤلفات ابن ماجد[٢] الملاحية التي كانت تربو على أربعين كتاباً[٣] .

وتقول مذكرات الرحلة : «وسفن هذه الأنحاء -أي : الشطر الغربي من بحر الهند- ضخمة لكنها بلا سطح -ظهر- وهي بدون مسامير ، وإنما مربطة بالحبال ، وينطبق هذا أيضاً على قواربهم ، أما أشرعتهم فمن حصير من سعف النخيل ، ولدى بحاريهم إبر مغناطيسية يوجهون بها سفنهم ، ولديهم ربعيات وخرائط

---

(١) ابن ماجد : شهاب الدين أحمد بن محمد السعدي النجدي ، ينتسب في أصله إلى نجد وسط شبه الجزيرة العربية ، ويقال إنه من نجد اليمن ، وتحديداً من صعدة . انظر : عن حياته ونسبه : الزركلي : الأعلام ، ١/٢٠٠ ؛ أنور عبدالعليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٩م ، ٢٤-٣٠ ؛ إبراهيم الخوري : ابن ماجد ، حياته ، مؤلفاته ، ط٢ ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ٢٠٠١م ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٦٢٠-٦٤٠ .

(٢) ألَّف ابن ماجد عدداً كبيراً من المؤلفات ، منها : كتاب أرجوزة الفوائد في أصول علم البحر والقواعد ، حاوية الاقتصار في أصول علم البحار ، الأرجوزة الهادية ، أرجوزة منازل القمر ، قصيدة مواسم السفر ، وغيرها كثير . انظر : الأعلام ، ١/٢٠٠ ؛ عبدالعليم : الملاحة وعلوم البحار ، ١٢-١٣ ؛ الخوري : ابن ماجد : ٥٧-٦٢ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٥٣٣ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٦٢٦ وما بعدها .

(٣) مجهول : يوميات رحلة فاسكودا جاما ، ٤٩ ؛ عباس حمداني : الإطار الإسلامي للرحلات الاستكشافية ، ضمن الحضارة العربية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ١/٤٣٦ ؛ حسين جلال : فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢م ، ٩٤-٩٥ ؛ حسين فوزي : في المعارف الملاحية ، فصل من أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٠م ، ٣٣٦ .

بحرية»[١] .

واستولى فاسكو في واحدة من تلك السفن على كتب عربية للملاحة ، أرسلها إلى مانويل ملك البرتغال[٢] .

أما بالنسبة لرحلة كولومبوس التي خرجت هي الأخرى من إسبانيا سنة (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) متجهة نحو الغرب ، فلا بد أن صاحبها قد استفاد من مؤلفات المسلمين الجغرافية في رحلته ، خاصة إذا نظرنا إلى حقيقة غفل عنها الكثير ، وهي الأصل اليهودي لصاحب هذه الرحلة ، فكولومبوس يرجع في أصله إلى عائلة يهودية من جزيرة ميورقة هربت من محاكم التفتيش الإسبانية سنة (٨٢٩هـ/١٤٢٥م) متجهة إلى جنوا ؛ حيث ولد كولومبوس هناك ، ومن ثم تنصَّرت هذه العائلة ودخلت في المجتمع الإيطالي ، إلا أنها كانت تنتمي داخلياً إلى ديانتها القديمة ، وتتحدث اللغة القطالونية ، وهذا السبب الذي جعل كولومبوس يتقنها أكثر من أي لغة أخرى ، ثم ما لبث أن حلَّ ضيفاً إلى مملكة البرتغال ، ودخل ضمن أكاديميتها التي أنشاها هنري الملاح ، والتي كانت تضم عدداً من اليهود الذين كانوا ملمين بعلوم المسلمين الجغرافية والفلكية ، بحكم معايشتهم معهم في العهد الإسلامي ، بالإضافة إلى اشتغالهم لصالح النصارى كجواسيس[٣] لأخذ

---

(١) مجهول : يوميات رحلة فاسكوداجاما ، ٤٨ .

(٢) مجهول : رحلة فاسكو دا جاما ، ٥١ ، فوزي : المعارف الملاحية ، ٣٣٧ ؛ ومما يجدر ذكره أن جاما لم يرعى حق المعروف الذي قدمه له المسلمون ، بل كان يسير في رحلته وفق خط تنصيري متعصب ، إذ أنه لم يعرج على أي من السواحل العربية وإنما اتجه مباشرة إلى الهند ، وعندما وصل كالكوتا ووجد فيها مسلمين ضربها بالمدافع ، ولم يكتف بذلك ، بل أغرق سفينة في خليج عمان تنقل الحجاج من الهند إلى مكة ، وعلى ظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعاً بعد أن فعل بهم الأفاعيل . شاكر : الكشوف الجغرافية ، ٢٦-٢٧ .

(٣) إن الأمثلة كثيرة على تمثيل اليهود دور الجواسيس للحصول على معلومات علمية ، ومن ذلك استخدام دولة البرتغال للتجار اليهود الذين كانوا يتقنون العربية في التجسس لأخذ معلومات عن الملاحة والتجارة من المسلمين ، وذلك سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) عندما قام جماعة من الجواسيس اليهود متخفين في زي تجار برتغاليين بالسفر سراً إلى مصر ، وكان على رأسهم الفونسو دي بافيا ، وبيرو دي كوفيلهام ، ووقفوا على معلومات هامة فيما يخصهم ، ثم أقلعوا إلى عدن من السويس،

معلومات مفصلة عن الملاحة والرحلات الإسلامية[(١)] .

وهكذا نجد كولومبوس كان مشحوناً منذ صغره برغبة في التغلغل والنفوذ لدى الدول النصرانية كما هي عادة أجداده اليهود ، فاستفاد كغيره من أبناء ملته مما حمله معه من ثروة علمية إسلامية وقدمها للغرب ، وكأنها من نتاجه وفكره ، بل قد أثبتت الدراسات المتقدمة من خلال وثائق الرحلة أن من بين الأشخاص الذين شاركوا مع كولومبوس أحد المسلمين ويدعى «لزريق الأحمر الطرياني» نسبة إلى بني الأحمر حكام غرناطة ، وهو أول من رأى اليابسة ، وأطلق المدفع ونادى : يابسة يابسة ، وهو المكتشف الحقيقي ، بالإضافة إلى أنه تظهر في أقوال كولومبوس نفسه[(٢)] إشارة بهذا الرجل المسلم ؛ حيث إنه كان يعتقد أول الأمر أن الهنود الحمر الذين رآهم في تلك الجزر لابد أن يكونوا من سلالة العرب «الذين سبقوه» كما قرأ في المخطوطات العربية ، فاختار أحداً من رجاله الذين يعرفون العربية –لأنه من أصل عربي- وبعث معه برسالة إلى ملك الهنود الحمر كتبت باللغة العربية يقول فيها : «يا صاحب الجلالة ، إن الملكة إيزابيلا ملكة إسبانيا وقشتالة تهديك السلام ، وتطمع أن يكون بينها وبين بلادك علاقات صداقة»[(٣)] .

إلا أن المكافأة ذهبت إلى كولومبس دون المسلم على الرغم من أنه كان يتعصَّب ليهوديَّته من وراء الكواليس مقابل الكاثوليك الذين يعمل لصالحهم[(٤)] ،

=

وتظاهروا بالإسلام وسافروا إلى الهند ، وجمعوا ما راق لهم من معلومات ، وفي خط رجعتهم من مصر التقوا ببعثة أخرى كانت تضم إبراهام دي بيا ، ويوسف لاميجو ، وكانت على شاكلة الأولى تستهدف جمع المعلومات . أباظة : أثر تحول التجارة ، ٣٩-٤٠ .

(١) موريسون : كريستوفر كولومبوس ، ١٩ ؛ زود هوف : معذرة كولومبوس ، ٨-٩ ؛ جلال : فضل المسلمين ، ٩٥ ؛ حمداني : الإطار الإسلامي ، ٤١٢/١ .

(٢) عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٢٣ ؛ حمداني : الإطار الجغرافي ، ٤٢٥/١ .

(٣) عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٢٣ .

(٤) كان كولومبوس يبدي حماساً دينياً كاثوليكياً منقطع النظير ، لا نعلم سببه ، ربما لأنه كان يسير تحت مظلة الملكين الكاثوليكيين ، أو لأنه تنصر فأعجب بالدين الجديد وخدمه ، أو لاعتقاده بأن طرد اليهود واعتلاء ملكين نصرانيين مؤمنين ، وغيرها من الأحداث تتنبأ بقدوم مملكة الرب على حد =

نلحظ ذلك من خلال مذكراته التي كتبها وهو في عرض البحر ؛ إذ جاء فيها : «بعد أن طرد جلالته كل اليهود من المملكة ومن الأملاك الإسبانية كلّفني بالإبحار بأسطول ضخم إلى ما يسمى الهند»[١] ، فقد نظر كولومبوس إلى هذين الحدثين - اضطهاد اليهود ورحلته - أنهما ذوا أهمية خاصة في حياته معتبراً إياهما شيئاً واحداً[٢] .

وهكذا لم يكن كولومبوس أول من وصل إلى أمريكا ، إنما سبقه المسلمون من خلال ما ذكرته المصادر عن رحلات وصلت إلى سواحل أمريكا ، منها :

- محاولة خشخاش القرطبي ، التي ذكرها المسعودي في مروجه[٣] .

- محاولة الفتية المغررين ، التي ذكرها الإدريسي في كتابه[٤] ، وقد نالت هذه

=

زعمه ، وقد لخص هذا البرنامج الشمولي في رسالته ، إذ يقول : «غزو العالم وهداية البشرية إلى المسيحية ، واستعادة الأراضي المقدسة ، والإعداد لإنشاء مملكة الإله على جبل صهيون في موقع الهيكل» ، ولا عجب فيما فعل كولومبس ، إنما الأعجب من ذلك الاحترام والتبجيل الذي لقيه من العالم النصراني إلى يومنا هذا ، فبالرغم من تسويده لصفحة من صفحات النصرانية بما فعل من وحشية في المستعمرات التي استولى عليها ، خلد اسمه على مقاطعة العاصمة الأمريكية ، فأصبحت مقاطعة كولومبيا (District of coluimbia) وتمت تسمية مدن عديدة إما كولومبيا أو كولومبس ، واضطرت كلية كينغز في نيويورك إلى تغيير اسمها إلى جامعة كولومبيا ، ويعتبر (يوم كولومبس) عيداً وطنياً في امريكا . وهو عطلة فيدرالية في جميع الولايات المتحدة ، وقد أسست جماعة باسمه تسمى (جماعة فرسان كولومبس) وهي جماعة فاتيكانية تعود في جذورها إلى الماسونية ذات الجذور اليهودية . وهكذا اجتمع (ثالوث الشيطان) الفاتيكان والصهيونية مع الولايات المتحدة الأمريكية لتدمير الإسلام وأهله منذ القدم . انظر : برتولومي دي لاس كازاس : المسيحية والسيف ، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الإسبان ، ط١ ، ترجمة : سميرة عزمي الزين ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ؛ فؤاد شعبان : من أجل صهيون ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٣م ، ٢٦ .

http://Osoldiers٠.wordPress.com

(١) زود هوف : معذرة كولومبس ، ١٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ١/١٢٩ .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ط١ ، عالم الكتاب ، بيروت ، ٢/٥٤٨-٥٤٩ .

المحاولة شهرة كبيرة ؛ حيث تناولتها كتابات العديد من الباحثين والدارسين .

فمن مدينة لشبونة كان خروج المغررين لركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه ، وتستمر القصة التي كانت في مجملمها مليئة بالمغامرات ، والأهم من ذلك أنها أثبتت أنها لم تكن الرحلة الأولى لكشف ما وراء البحر ، بل سبقتها محاولات أخرى ، منها ما ذكره الملك الذي قابلوه في الجزيرة التي نزلوا بها ، ولكنها -أي : الرحلة- ساعدت على إزالة الحاجز النفسي لدى أهل العالم القديم تجاه بحر الظلمات ، وقد استمرت ستة وثلاثين يوماً بينما استغرقت رحلة كولومبوس ثمانية وثلاثين يوماً[١] .

وقدم الإدريسي لنا كذلك في كتابه وصفاً لبحر الظلمات ، فيقول : «إن مبدأه من جهة المغرب من البحر الغربي المسمى بحر الظلمات ، وهو البحر الذي لا يعلم ما خلفه ، وفيه هناك جزيرتان تسميان بالخالدات ، ومن هذه الجزائر بدأ بطليموس بأخذ الطول والعرض ، وهاتان الجزيرتان فيما يذكر في كل واحدة منهما صنم مبني بالحجارة طول كل منهما مائة ذراع»[٢] .

ومعنى ذلك أن رحلة الفتية المغررين قد أضافت الجديد إلى علم الجغرافيا في ذلك الوقت بالنسبة لجزر بحر الظلمات وهي جزيرة «الغنم»[٣] .

وقد أكد المؤرخ كوندي في إشارات له ضمن مؤلفاته أن الأسطول الإسلامي أبحر في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، من ميناء لشبونة مستكشفاً جزر «أسورس» ، وبعض جزر «الأنتيل» ، فكان أول من فرق الحجب عن المناطق المجهولة في المحيط الأطلنطي . وقال هدويك الألماني : «إن العرب قاموا برحلات بحرية متعددة قبل البرتغاليين ؛ لاكتشاف سواحل أفريقيا الغربية فقط ، بل للولوج في البحر أيضاً ، مع ملاحظة أن الانتشار الإسلامي في أفريقيا بلغ الغاية القصوى في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وامتدَّ جنوباً في غرب القارة إلى

---

(١) الإدريسي : نزهو المشتاق ، ٥٤٨/٢ .

(٢) نزهة المشتاق ، ٥٢٥/٢ .

(٣) عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٥٧ .

منديجو»[١] .

ويعتقد شاكر مصطفى أن محمد بن فو -سلطان المنطقة الإسلامية بين جنوب المغرب حتى السنغال ومالي والتي عرف القدماء بعضها باسم شنقيط وتكرور ومالي- هو الذي اكتشف أمريكا ؛ إذ جهز حوالي ألفي سفينة : ألفاً للرجال وألفاً للأولاد وسار بنفسه تجاه سواحل أمريكا[٢] .

ومن مؤلفات المسلمين التي تناولت وصفاً لأمريكا قبل كولومبس ، كتاب : سراج الدين ابن الوردي (ت٧٩٤هـ/١٣٤٩م)[٣] الموسوم بـ«خريدة العجائب وفريدة الغرائب» الذي تناول فيه وصفاً لجزر توجد وراء جزر الخالدات «الكناري» يكاد ينطبق على أمريكا ، وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبوس بقرن ونصف ، ويغلب الظن أن كولومبس قد استلهم هذا الكتاب ، خاصة إذا علمنا أنه كان قد انتشر منه نسخ خطية كثيرة في أوروبا منذ تأليفه ، وليس بمستبعد -إن لم يكن بالتأكيد- أن يكون كولومبس قد اطلع عليها ، ودرس المصورات «الخرائط» الملحقة بها ؛ إذ من الثابت أنه درس قبل إقدامه على رحلته كتباً كثيرة تصف السفن الإسلامية والآلات المستعملة في الملاحة عند المسلمين ، واطلع على أوصافهم للبلدان والبحار والجزر ، وعلى مصوراتهم ، بل يقال إنه وقف على كتاب جغرافي إسلامي ، واستعمله بنصه العربي مباشرة بدون ترجمة ، واستعان عليه ببعض المدجنين ممن كانوا تحت النفوذ الإسباني[٤] .

وما لنا نذهب بعيداً ، فكولومبس نفسه اعترف بأن المسلمين -في مصنفات بعض علمائهم- هم الذين أوعزوا إليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط ؛ إذ أورد ذلك المؤرخ الفرنسي رينان حين قال : «إن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها

---

(١) نفس المرجع ، ٥٨ .

(٢) نفسه ، ٥٨ .

(٣) الزركلي : الأعلام ، ٥/٦٧ .

(٤) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٥٤٢ ؛ عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٦١ ؛ حمداني : الإطار الإسلامي ، ١/٤١٤ .

بذلك»[١] .

وهكذا نجد أنَّ أثر الترجمة كان مؤكداً في حركة الكشف الجغرافية الأوروبية لما حوته المؤلفات المنقولة من معلومات تفيد في فن الملاحة كالتالي :

١ - إثبات كروية الأرض التي أفادت الأوروبيين رسم طريق لهذه الرحلات ، والإيقان بوجود مناطق ما وراء البحار ؛ حيث تمكن الفكر الجغرافي الإسلامي من ترسيخ هذه النظرية خلافاً للنظريات الأسطورية اللاهوتية القديمة ، وهو المبدأ الذي لم يكن من الممكن اكتشاف أمريكا بدونه[٢] .

وقد شهد القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي بروز هذه النظرية في الأندلس على يد أبي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) الذي ذكر أن الشمس إذا غابت في أقصى الصين طلعت في الجزائر الخالدات «جزر الكناري» ، وهي الفكرة التي تلقاها كولومبس ووعاها ، فأدخلته التاريخ وخلدت اسمه كمكتشف لأمريكا ، ومن المثير أن يكون البكري من أبناء ولبه على مسافة قريبة من الرابطة التي لجأ كولومبس إليها مستشفعاً بأحبارها لتسهيل لقائه بفرناندو وإيزابيلا ، وليس من المصادفة أنَّ إشبيلية التي عكف البكري على دراساته الجغرافية فيها هي المدينة التي قضى بها كولومبس فترة من حياته تلقى فيها كثيراً من المعارف الجغرافية عن العلماء والبحارة والملاحين ؛ كما أنه ليس من المصادفة أن يكون خروج سفنه إلى العالم الجديد من ميناء سان لوكار القريب من بلدة ولبة مسقط رأس البكري[٣] .

وقد تألقت فكرة كروية الأرض إبان القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي على يد ابن حزم الأندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) في كتابه «الفصل» عندما أثبت هذا الأمر بالأدلة النقلية والعقلية ، ويرى حتى أن نظريات المسلمين الجغرافية

---

(١) عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٦١ .

(٢) محمد الصياد : في الجغرافيا ، فصل من أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، ٣٢٣ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٨٦ .

(٣) البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٦٧ ؛ عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٥٢-٥٣ .

قــد ترجمــت إلى اللغــة اللاتينيــة في كتــاب دوِّن باللغــة اللاتينيــة ونــشر ســنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) ، ويقول إنه من هذا الكتـاب واتـت كولـومبس الفكـرة التـي جعلته يعتقد أن الأرض على شكل كمثرى ، ومنه اقتبس عدداً من المفاهيم الجديدة التي لم تكن موجودة في المعارف الغربية ، وقد وجد الغرب اللاتيني أفكاره الـواردة من الشرق في مجال الفلك والجغرافيا على نحـو حاسـم عـبر القنـوات الأندلـسية . وانتقلت مؤلفات المسلمين الفلكية الرائـدة إلى اللغـة اللاتينيـة ، ولم تكـن القـوائم الألفونسية التي جمعت تحت راية ألفونسو العاشر إلا تطويراً للفلك الإسلامي[١] .

٢ - إلى جانب هذه الخدمة المباشرة التي قدمها المـسلمون للإسـبان ، نجـد أن المسلمين قد اكتشفوا ما يسمى بنظرية «الغيوم» ، وهي النظرية التـي نقلـت التطـور البحري والملاحة البحرية نقلة هائلة فضلاً عن تأثيرها على علـم الفلـك ، فبعـد أن اخترع المسلمون الشراع المثلث في نهاية القرن الثالث الهجـري ، التاسـع المـيلادي ، وهو الشراع الذي جعل من الممكن الـسير والريـاح عاصـفة ، فإنـه لم يـأت القـرن التاسع الهجري ، الخامس عـشر الميلادي حتـى نجـح المـسلمون أيـضاً في تحـسين الشراع تحسيناً أمكن معه القيام بالاستكـشافات البحريـة الكـبرى ابتـداءً مـن سـنة (٨٥٤هــ/١٤٥٠م) أي : قبـل كولـومبس بـاثنتين وأربعـين سـنة ، وقـد أضـاف المسلمون إلى هذه التحـسينات تحـسينهم للبوصـلة ممـا مكـنهم مـن كـشف نظريـة الغيوم ، أي : الاهتداء في البحار بالنجم الثابت في الجنوب ، وهذا النجم عرف فيما بعد باسم «غيوم ماجلان»[٢] ، ومع ما قدمه هذا النجم الثابت من خدمات لمختلف الأجناس فـإن كثافـة الأعـمال البحريـة الإسـلامية التجاريـة والعـسكرية جعلـت المسلمين يفكرون في تطوير وسائل الاهتداء في البحار على أساس الـنجم الثابـت ،

---

(١) مؤنس : تاريخ الجغرافية ، ٢٧٦ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٦٧ ؛ عزب : المسلمون واكتشاف الأمريكتين ، ٥٣ .

(٢) غيوم ماجلان : هي عبارة عن مجـرتين تظهـران في النـصف الجنـوبي مـن الكـرة الأرضـية كـرقعتين ضبابيتين صغيرتين من الضوء ، وهما المجرتان الأقرب إلى درب التبانة ، وهي المجرة التي تشتمل على الشمس والأرض وبقية المجموعة الشمسية . الموسوعة العربية العالمية ، ١٢/١٩٧ .

وساعدتهم البوصلة على هذا التطوير ، كما أن غيوم النجم الثابت عرفت في التراث الإسلامي ، ومن الذين ذكروها تميم الداري رضي الله عنه (ت٤٠هـ/٦٦٠م) ، وابن وحشية (ت ق٣هـ/٩م) ، وعبدالرحمن الصوفي (ت٣٧٦هـ/٩٨٦م) ، وياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، وقد نقلت هذه المؤلفات أو بعضها عبر الترجمة إلى الغرب(١) .

٣ - أما عن الأجهزة العلمية المستخدمة في الرحلات الجغرافية التي استفاد منها الأوروبيون وأخذوها من مؤلفات المسلمين فهي كثيرة ومتعددة يأتي على رأسها الإبرة المغناطيسية أو البوصلة (The Compass) ، والتي اختلف حول مخترعيها فقال بعضهم إنها من مخترعات الصين ، وأرجعها بعضهم الآخر إلى اليونان(٢) ، وقال لوبون في كتابه الحضارة العربية بأنها اختراع إسلامي أصيل(٣) ، وهو قول إن أعجزته أدلة الجزم القاطع لم تعوزه أدلة الترجيح(٤) .

وإذا كان اختراع البوصلة ينسب إلى الصين فإن فضل المسلمين في استخدامها يبدو في ناحيتين ، الأولى : أنهم كانوا أول من استخدم البوصلة على نطاق واسع في الملاحة ، والثانية : أنهم هم الذين نقلوا ذلك الاختراع إلى أوروبا ، واعلموا الأوروبيين استعماله ذلك أن الصينيين كانوا ضعافاً في الملاحة ، ولم نسمع عن قيامهم برحلات بحرية بعيدة عن شواطئ بلادهم ؛ ولذلك لم يستخدموا البوصلة في البحر ، بخلاف المسلمين الذين أثبتوا أنهم ملاحون مهرة ، فأسرعوا إلى التفكير في استخدام البوصلة في الملاحة(٥) .

وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن الفكرة التي تنسب اختراع البوصلة في أوروبا

---

(١) نلينو : علم الفلك ، ٢٦٦ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٣٣ ؛ عزب : المسلمون واكتشاف أمريكا ، ٥٤ .

(٢) وات : فضل الإسلام ، ٣٣ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٢/٢ .

(٣) حضارة العرب ٤٨٣-٤٨٥ .

(٤) الصياد : في الجغرافيا ، ٣٢١ .

(٥) ميلي : العلم عند العرب ، ٣١٥ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٣٤ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٢/٢ .

إلى رجل إيطالي في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، اسمه «فلافيو» إنما هي فكرة خاطئة ؛ لأنه من الثابت أن أوروبا عرفت البوصلة في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، عن طريق المسلمين الذين استعملوها قبل ذلك ، وذكرها الإدريسي في مؤلفاته ، ومنه أخذ الأوروبيون هذا الاختراع ؛ إذ إنه في سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) ألف بطرس فون ماريكو رسالة بعنوان (Episto de Magnete) ذكر فيها معلومات عن المغناطيس وكيفية استعمال البوصلة ، ومعلوماته هذه كانت مستقاة من كتب عربية[١] .

كما أن الملاح المسلم ابن ماجد قد اخترع نوعاً آخر من البوصلة ، وهي عبارة عن إبرة جالسة على سن لكي تتحرك حرة دون الحاجة إلى وعاء الماء ، وقد ذكرها في كتابه الفوائد[٢] ، ونحن نعلم أن فاسكودي جاما قد اطلع على مؤلفات ابن ماجد في هذا العلم ، ولا بد أنه قد استفاد منها ، ويكفي أن البوصلة احتفظت باسمها العربي في كثير من اللغات الأوروبية ، فهي بالإيطالية (bossala) ، وبالفرنسية (boussole)[٣] .

أما عن الأجهزة الأخرى التي ذكرتها النصوص الجغرافية الإسلامية واستفاد منها الأوروبيون الإسطرلاب ، والربعية ، وهي عبارة عن دائرة أو قسم دائرة مقسمة إلى أجزاء متساوية ، هذا بالإضافة إلى اللبنة ، وهي صفيحة مربعة مدرجة لقياس البعد بين شيئين ، والمزولة الشمسية ، والحلقة الكبرى ، والحلقة الصغرى ، وجميعها ذكرها المسلمون في مؤلفاتهم كابن ماجد ، وقبله الزرقالي الذي كان لصفيحته المشهورة أثر في تحسين الإسطرلاب واستعمالاته ، وظلت معروفة لعدة

---

(١) وات : فضل الإسلام ، ٣٤ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٢/٢ ؛ الصياد : في الجغرافيا ، ٣٢٠ .

(٢) ابن ماجد : كتاب الفوائد في علم أصول النحو والقواعد والفصول ، ط٢ ، تحقيق : إبراهيم خوري ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، ٢٢ .

(٣) وات : فضل الإسلام ، ٣٤ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٢/٢ ؛ مجموعة مؤلفين : حضارة عصر النهضة ، ترجمة : عبدالرحمن زكي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦١هـ ، ٤٨ .

قرون عند الفلكيين والملاحين[١] .

٤ - وقد كان للخرائط التي رسمها الرحالة والجغرافيون المسلمون أبعد الأثر في تقدم الدراسات والرحلات الجغرافية الأوروبية ؛ إذ إنهم استفادوا من هذه الخرائط في وصف البلدان وصفاً كاملاً ، وقد حدد على أكثرها أماكن كانت مجهولة لدى الأوروبيين ، وصححوا كثيراً من خرائط الأقدمين ، ومن بين هذه المؤلفات كتاب «نزهة المشتاق للإدريسي» الذي حوى أكثر من أربعين خريطة ، عني فيها عناية واسعة بالجغرافيا الرياضية ، كما أن الرسم فيها تتسع دائرته فلا يقتصر على إقليم من الأرض أو على مجموعة الأقطار الإسلامية ، بل يشمل كل العالم المعروف في زمانه ، مع دقة رسم الشواطئ والأنهار ، وتحديد درجات الطول والعرض[٢] .

وقد ظلت هذه الخريطة قروناً غير قليلة مرجعاً للأوروبيين في علم الجغرافيا ، ويؤيد هذا ما قاله جوتيه : «إنه لم يكن لأوروبا مصور جغرافي للعالم إلا ما رسمه الإدريسي ، وهو خلاصة علوم العرب في هذا الفن ، ولم يقع الإدريسي في الأغلاط التي وقع فيها بطليموس في هذا الباب»[٣] .

أما خريطته التي يصور فيها منابع النيل فقد أشار إليها كثير من الباحثين ؛ إذ يصفها العقاد بقوله : «ولا يعرف أن أحداً سبق الإدريسي إلى بيان الحقيقة عن منابع النيل العليا ، كما حفظت في الخرائط التي بقيت في بعض المتاحف الأوروبية ، ومنها خريطة محفوظة بمتحف سان مرتين الفرنسي ترسم النيل آتياً من بحيرات إلى جنوب خط الاستواء ، بعد أن تخبط الجغرافيون في وصف منابعه ، وتعليل فيضانه منذ أيام هيرودوت الملقب بأبي التاريخ»[٤] .

---

(١) الخوري : أحمد بن ماجد ، ١٣٦ ؛ الصياد : في الجغرافية : ٣٢١ ؛ هنري : غروسي غرانج : علم الملاحة العربية ، ضمن : الحضارة العربية والإسلامية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ٣٢٢/١ .

(٢) وات : فضل الإسلام ، ٣٤ ؛ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب ، ٢١٢ ؛ الصياد : في الجغرافيا : ٣٢٥ ؛ غرانج : علم الملاحة العربي ، ٣١٣/١ .

(٣) حسن : الشريف الإدريسي ، ٩٠ .

(٤) أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ٥٠ .

وهكذا يبدو لنا فضل المسلمين على علم الجغرافيا ، وعلى تزويد أوروبا بقسط وفير من الدراسات الجغرافية التي لم تعرفها في العصور الوسطى ، وتبدو هذه الحقيقة واضحة ثابتة ، وإن تعمد بعضهم إغفالها والإقلال من شأنها[١] .

وإذا ما أتينا إلى مجال الدراسات التربوية والاجتماعية ومدى تأثيرها في الغرب ، نجد أننا أمام مسألة في غاية الصعوبة ؛ إذ إن كثيراً من هذه الدراسات التي ظهرت في أوروبا في عصر النهضة وما بعده كانت في مجملها دراسات إلحادية ، منافية للأخلاق والفطرة الإنسانية ، ناهيك عن الدين وآدابه ، وكل العلماء الذين ظهروا في تلك الآونة من المهتمين بهذا النوع من الدراسات أمثال : ميكيافيللي (ت٩٣٤هـ/١٥٢٧م) ، وهوبز (ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) ، ومونتسكيو (١١٦٩هـ/١٧٥٥م) ، ثم من جاء بعدهم كدور كايم (ت١٣٣٦هـ/١٩١٧م) ، وجان جاك روسو (ت١١٩٢هـ/١٧٧٨م) ، وغيرهم ، جاؤوا بآراء ونظريات تربوية تنافي الدين والأخلاق بشكل عام[٢] . وإزاء هذا الموقف المناهض للدين والأخلاق في الدراسات التربوية والاجتماعية الأوروبية كيف لنا أن نثبت تأثير المؤلفات المترجمة القادمة من العالم الإسلامي في هذا المجال؟ أم كيف باستطاعتنا أن ننفي هذا التأثير بالرغم من وروده في مؤلفات عدد من علماء التربية والاجتماع الغربيين الذين أخذوا بعض نظرياتهم من هذه الكتب المترجمة؟

وعند النظر إلى المؤلفات العربية المترجمة نجد أنها لم تكن تقتصر على المؤلفات الإسلامية ، إنما كانت تجمع الغث والسمين من الأفكار والمبادئ ، وبعض هذه المؤلفات كانت متأثرة بالفلسفات القديمة التي حوت كثيراً من الأفكار التربوية والاجتماعية اللادينية ، وقد وصلت جميعها إلى أوروبا وامتزجت بما كانت تحمله من أخلاقيات وعادات اجتماعية تمزج بين الدين الوثني والعادات الخرافية

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٢/٢ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٨٦ .

(٢) الحوالي : العلمانية ، ٣٦٧ ؛ أحمد خضر : اعترافات علماء الاجتماع ، ط١ ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، ١٦-١٧ .

والتدهور الأخلاقي[1] ، وأثرت في عصر نهضتها .

بيد أنه كان للمسلمين منهج متميز في الأخلاق والتربية والظواهر الاجتماعية كافة ، استمدوا أسسه من الكتاب والسنة والسلف الصالح ، وطبقوا هذا المنهج الذي كان نابعاً من أحكام الشريعة الإسلامية على البيئة الإسلامية نفسها ولم يخرجوه عن إطار العقيدة الصحيحة ، وتمثل ذلك في مؤلفاتهم المختلفة ، وهذا المنهج بما كان يحمله من مبادئ وأخلاق انتقل أيضاً إلى أوروبا عن طريق الترجمة ، ولكنه -مع ما انتقل إليها من فلسفات تربوية يونانية الأصل- قابل بيئة وعقيدة مغايرة لما كان يدعو إليه ويتبناه ، فأخذت العقول الغربية هذه الأفكار والمبادئ وبلورتها وفق عقائدها ومذاهبها الفلسفية المتعددة ، التي تعكس الخلفيات العقائدية والفكرية لكتَّابها وواضعيها ، ثم تطورت هذه الأفكار وتلك المبادئ استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أوروبا ، حتى خرجت بلباس غربي إلحادي بعيد عن أصله الإسلامي الذي استمد منه لونه[2] .

لذا فقد جاءت النظريات الاجتماعية والتربوية الحديثة منسوبة إلى علماء غربيين حوروها لصالح بني ملتهم ، ولم ينسبوا الفضل لأهله ، وفي نفس الوقت كان من الصعب إثبات ذلك ؛ لما دخل على هذه الأسس الإسلامية من تغيير وتبديل .

ولعل أقرب ما نستدل به في هذا المجال هو «علم الاجتماع» الذي كان أول من نبه إلى وجوده واستقلال موضوعه عن غيره ، هو العلامة ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) فقد صرح في عبارات واضحة أنه اكتشف علماً مستقلاً ، لم يتكلم فيه السابقون ؛ إذ يقول : «وكان هذا علماً مستقلاً بنفسه ، فإنه ذو موضوع ، وهو العمران البشري ، والاجتماع الإنساني ، وذو مسائل ، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم ،

---

(١) مهما أسهب التاريخ في وصف التدني الأخلاقي والاجتماعي لتلك الفترة فإنه لا يستطيع أن ينزع منها صفة البشرية ، فهي مهما بلغ انحطاطها لا تصل إلى القاع الحيواني الذي تنغمس فيه أوروبا المعاصرة ، والصورة مختلفة بين مجتمعين أحدهما بشري متخلف ، والآخر حيواني هابط . الحوالي : العلمانية ، ٣٦١ .

(٢) حلمي : مناهج البحث في العلوم الإنسانية ، ١٧٧ ؛ منصور زويد المطيري : الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، الدواعي والإمكان ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ١٩٩٣م ، ١١ ؛ خضر : اعترافات علماء الاجتماع ، ٤٣ .

وضعياً كان أو عقلياً»[١] . وإضافة إلى ذلك فإن مقدمته شملت على أقل تقدير سبعة من فروع علم الاجتماع المعاصر ، ناقشها ابن خلدون في وضوح تام[٢] .

ولكن على الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من قول عالم الاجتماع الشهير جمبلوفتش : «لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كونت ، بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعي أوروبي ، جاء مسلم تقي ، فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة ، وأن ما كتبه هو ما نسميه اليوم علم الاجتماع ، على الرغم من ذلك كله ، فإن التأريخ لعلم الاجتماع يقف عند كونت الفرنسي باعتباره المنشئ الأول لهذا العلم .

ويتجاهل بذلك المؤسس الحقيقي لهذا العلم الذي نبه عن وعي وفي وضوح إلى اكتشافه لهذا العلم..ومهما كانت ظروف النشأة الجديدة فإن من النكران للجميل والظلم أيضاً عدم الاعتراف لابن خلدون بفضله في هذا المجال .

وعلى كل حال ، فإن ابن خلدون لم يخلفه خلف يتمم ما بدأ ، ويبني على ما أسس ، لقد نشأ علم الاجتماع المعاصر نشأة مستقلة ، في بيئة أخرى غير بيئة ابن خلدون ، لقد نشأ العلم الحديث في أوروبا على يد أوجست كونت ؛ حيث نحت له هذا الاسم : «علم الاجتماع» ، وقد كانت هذه النشأة الغربية مرتبطة أشد الارتباط بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري ، التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت ، بحيث نستطيع أن نقول : إن علم الاجتماع الغربي بكافة اتجاهاته وفروعه النظرية قد تطور استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة الانتقال من النظام القديم إلى النظام الجديد»[٣] .

وعلم الاجتماع الغربي هذا هو الذي كتب له الاتصال والاستمرار والسيطرة ، كنظام فكري وعلمي ، بحكم ارتباطه بالحضارة المسيطرة ، ولهذا فقد أصبح عالمياً ،

---

(١) المقدمة ، ١/٥٦ .

(٢) المطيري : الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، ٢٤ .

(٣) نفس المرجع ، ٢٣-٢٤ .

وفرض نفسه على الآخرين ، كالحضارة الغربية تماماً[١] .

وهكذا نرى كيف كانت مقدمة ابن خلدون عملاً رائعاً استقى منه علماء الاجتماع مناهج أبحاثهم ثم تجاهلوه ، بل وحملوا عليه[٢] ، وانتقدوا آراءه ، وحاولوا مخالفته ، يقول مصطفى حسنين : «إنه حيث يجعل دور كايم الظواهر الاجتماعية أساس الدراسة فإن الإسلام يجعل من واقعات العمران البشري موضوع الدراسة ، وقد أخطأ كثيرٌ من علمائنا في ظنهم أن واقعة العمران البشري كما عرفها ابن خلدون هي بذاتها الظاهرة الاجتماعية عند دور كايم ، ولكن طبيعة الواقعة الاجتماعية تختلف في وظيفتها وبنائها الاجتماعي اختلافاً جوهرياً عن وظيفة المظاهر الاجتماعية وبنائها الاجتماعي ، وأن واقعة العمران الاجتماعي كما قدمه ابن خلدون نسيج وحدها من الوظيفة والتركيب الاجتماعي على السواء ، وأن دور كايم أهدر كل تقييم أخلاقي حتى إنه يقول إن الجريمة ظاهرة ضرورية ، وهي ليست ظاهرة مفيدة ولا ريب أن هذا لا يستقيم إطلاقاً مع النهج الإسلامي ، وفي النظر إلى مجتمع المسلمين ، بل هناك ما هو أسوأ فإن دور كايم ينتهي في نظريته في الظواهر الاجتماعية إلى القول بأن الأديان أصل أرضي ويرجعها إلى طبيعة المجتمع الإنساني وهذا أيضاً لا يستقيم إطلاقاً مع موقف الأديان السماوية على وجه الخصوص»[٣] .

والحق أن علماء الاجتماع يظهرون عداء للدين وأحكامه ، الأمر الذي يظهر

---

(١) نفسه ، ٢٥ .

(٢) والأعجب من ذلك أن يأتي رجل عربي ينتمي للإسلام كطه حسين (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) وينتقد ابن خلدون ، بل ينكر أنه هو منشئ علم الاجتماع ، وذلك من خلال رسالته الدكتوراه بعنوان (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) ، التي كتبها تحت إشراف المستشرق كازانوفات في باريس فتشرب أفكار أستاذه من خلال هذه الرسالة ، فذهب في آرائه إلى علمانية ابن خلدون ، لأنه على حد زعمه لم يأت بجديد إلا أنه فصل السياسة عن الأخلاق ، واللاهوت ، والقانون ، وهو قد خلص السياسة من الاعتبارات الدينية وعرضها في صورة علمية صرفة . الجندي : صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، ١٠٠ ؛ المطيري : الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، ٨٨-٨٩ .

(٣) الجندي : صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، ٣٤٦-٣٤٧ .

جلياً في نظرياتهم وأحكامهم ؛ حيث اعتبروا أنفسهم ممثلين للعلم الذي يعتبر مضاداً للدين .

وقد كانت المشكلة التي عالجها رواد هذا العلم واعتبروها جوهرية هي التناقض بين الاعتقاد الديني وبين العلم ، وهي نتيجة الصراع الذي كان قائماً بين الكنيسة «الرمز الديني» وبين العلم نفسه ، فنتج عنه علمانية العلوم ، التي تغلغلت أيضاً في علم الاجتماع عن طريق منهجه ، وتكوين رواده الغربيين العقدي[1] .



(١) خضر : اعترافات علماء الاجتماع ، ٤٥ .

المبحث الرابع :

أثر الترجمة في العلوم التطبيقية والطبيعية

كان تأثير المؤلفات المترجمة للعلوم التطبيقية والطبيعية كبيراً جداً في أوروبا ، وذلك يعود إلى ناحيتين أساسيتين :

الأولى : أنَّ أكبر عدد من المؤلفات المترجمة كان من هذا النوع من العلوم ، أي التطبيقية والطبيعية بجميع فروعها ، فلا بد إذن أن تحدث تأثيراً قوياً في أوروبا أكثر من أي نوع آخر من المؤلفات .

أما الناحية الثانية فهي : الاهتمام الذي أولاه الغرب بهذا النوع من العلوم ؛ لأنها تدخل في صميم مناهج التعليم الأوروبي ، كما أنها تخص مناحي الحياة الأخرى ، ولم يخطر لهم ببال أنهم سوف يجدون في مؤلفات المسلمين المترجمة عن هذه العلوم سوى تراث اليونان الذي نقل إلى العربية ، فلما ترجموها إلى لغاتهم واطلعوا عليها أصابتهم الدهشة الممزوجة بالحقد والحسد ؛ إذ إن هذه المؤلفات الإسلامية كانت تحوي نظريات واكتشافات جديدة لم يعرفها الأقدمون ، إضافة إلى تصحيحاتهم للكثير من الأفكار القديمة الخاطئة ، الأمر الذي أحدث تأثيراً وتغييراً كبيراً في أوروبا إلى الأفضل ؛ إذ إن حضارتها الحديثة بنيت على المادة ، والتي من شأنها أن تقوم على هذه العلوم التطبيقية والطبيعية .

وإذا ما التفتنا إلى تأثير الرياضيات والفلك في أوروبا نجد أنها قد أثرت تأثيراً بالغاً في العلوم الرياضية والفلكية الأوروبية ، لاسيما في مجال الحساب ، والهندسة ، وعلم الجبر ، فبالنسبة للعمليات الحسابية والأرقام العربية وانتقالها إلى أوروبا نجد أن المسلمين هم الذين أدخلوا النظام العشري في العدد ؛ إذ كان اليونانيون إنما يستعملون في العدد حروف الأبجدية للعدد من (١ إلى ٩٩٩) ، ثم يستعملون الشرطة ، والشولة ، والنقطة للعدد فيما بعد حتى آلاف الآلاف ، وكان الرومان يستعملون سبعة أحرف من الأبجدية ، هي : (I V X L C D M) ، ثم يضعون فوقها شرطة أفقية تدل على أن العدد مضروب في (١٠٠٠) ، وجاء الهنود فاخترعوا

نظام العدد العشري ، وفيه تتوقف قيمة العدد على موضعه ، فالعدد خمسة على يمين الواحد غيره على شماله ، وهكذا .

واستعمل الصفر للدلالة على الخلو من الوحدة ، وجاء المسلمون فاخترعوا طريقة لكتابة الأعداد هي طريقة «الغبار» ، وهي التي انتشرت في المغرب ، ومنه انتقلت إلى أوروبا ، ولا تزال تستعمل اليوم فيما نسميه نحن بالأرقام الإفرنجية ، وما يسميه الأوروبيون بالأرقام العربية ، وهي في الحقيقة عربية وليست إفرنجية ، بينما ظل المسلمون في المشرق يستعملون الطريقة الهند سندية ، وهي التي لا تزال تكتب بها الأرقام في المشرق الإسلامي حتى اليوم[1] .

وقد بهرت الأرقام الغبارية برموزها وطريقة استعمالها ونظامها العشري هؤلاء الغربيين ، فأبدلوا بأرقامهم الرومانية المتوارثة الأرقام الغبارية[2] .

وذكر جماعة من الباحثين أن جربرت الذي ولي البابوية باسم «سلفستر الثاني» هو الذي أدخل الأرقام العربية والنظام العشري إلى أوروبا بعد أن تلقاهما من علماء المسلمين في الأندلس ، لكن الأوروبيين احتاجوا إلى زمن بعد هذا حتى انتشرت تلك الأرقام في ديارهم ؛ حيث رحل الكثيرون منهم إلى ديار الإسلام القريبة ناهلين من ذلك المعين[3] .

هذا بالإضافة إلى الترجمات للمؤلفات الرياضية الإسلامية وعلى رأسها المؤلفات الحسابية للخوارزمي التي حوت عمليات الحساب كالجمع والطرح والضرب والصفر ، وقد ذكر في مؤلفه (مفاتيح العلوم) أنه إذا لم يظهر في العمليات الحسابية رقم مكان العشرات وجب أن توضع دائرة صغيرة لمساواة الصفوف .

ثم شرح الخوارزمي كيفية استعمال الأعداد الجديدة بما فيها الصفر في بحث له

---

(١) يعقوب : أثر الشرق في الغرب ، ٢٥-٢٦ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ١٧٨-١٧٩ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٨ ؛ قاسم علي سعد : الأرقام العربية تاريخها وأصالتها وما استعمله المحدثون وغيرهم منها ، ط١ ، دار البحوث للدراسات وإحياء التراث ، دبي ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ٥٦-٥٧ .

(٢) يعقوب : أثر الشرق في الغرب ، ٢٧ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٨ .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٤/٣٨٠ ؛ هونكة : شمس العرب ، ٨٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١١٠ .

ترجمه الأوروبيون إلى اللاتينية إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، تحت اسم (ALgoritmi de numero indorum) ، أي : الخوارزمي عن أرقام الهنود ، وهكذا اشتق اللفظ الأوروبي (Ciuher) عن صفر العربية ، وهو يعني أيضاً في اللغات الأوروبية لا شيء أو عديم القيمة ، فاستخدم مارتن لوثر هذا اللفظ للتعبير عن ضعف الأساقفة أمام البابا فقال إنهم كالأصفار . وفي القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، استُخدم اللفظ الأوروبي السابق للدلالة على الكتابة الغامضة أو الشفرة (Chiffre) في حين استخدم لفظ (Zero) بمعنى لا شيء[1] .

وهكذا تلقى غرب أوروبا نظام الأعداد الجديدة مقروناً باسم الخوارزمي ، وسرعان ما حور اسم الخوارزمي في اللغة اللاتينية ، وهو (ALgoritmi) إلى (ALgorismus) ، ثم اختصر بعد ذلك إلى (Augrim) ، حتى أصبح هذا اللفظ الأخير علماً لنظام الأعداد العشري الجديد ، ويدل كل ذلك على أن الغربيين تعلموا الحساب الحديث عن كتاب الخوارزمي السابق ، وعن الكتب الأخرى التي أخذت عنه ، مثل كتاب (LALgorismus Vulgaris) لجان دو ساكروبوسكو (Jean de sacrobosco) أو حنا هالفكسي (John of Halifax) (ت نحو ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) ، وكتاب (Carmen de algorismo) لألسكندر دي فيل ديو (Alexander de ville dieu) (ت حوالي ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) ، وكل من هذين الكتابين مبني إلى حد كبير على كتاب الخوارزمي في الحساب ، واستمر كلاهما مرجعاً لتلقين الحساب في غرب أوروبا عدة قرون بالإضافة إلى مؤلف ليوناردوفيبوناتشي (ت حوالي ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) بعنوان (Liber Abaci) ، والذي أصبح رائداً في استخدام أساليب العمليات الحسابية لاسيما عملية ضرب الأعداد ، وقد أخذ معلوماته عن مصادر عربية في هذا المجال[2] .

---

(١) فيرنيه : تراث الإسلام ، ٣/١٦٨-١٦٩ ؛ وات : فضل الإسلام ، ٨٩ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ١٥٤ ؛ بدوي : دور العرب ، ٨ .

(٢) فيرنيه : تراث الإسلام ، ٣/١٦٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ١٥٦ ؛ آلار : تأثير الرياضيات العربية

واستمر تـأثير الحـساب عـلى أوروبـا في عـدد مـن المؤلفـات المتـأخرة باللغـة الإيطاليـة والألمانيـة ، كمؤلفـات بيـارو بـورغي (Piero Borghi) (ت٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، وفرنشيسكو بيللوس (Francesco Pellos) (ت٨٩٨هـ /١٤٩٢م) ، ولوقا باشيولي (Luca Pacioli) (ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، وأخيراً نيكولـو تارتاغليـا (Niccolo Tartaglia) (ت٩٦٤هـ/١٥٥٦م)[١] .

وهكـذا نجـد أن علـوم المـسلمين الحـسابية كانـت أسـاس حـساب أوروبـا الحديث ، وأنهم نقلوا أرقام المسلمين الغبارية خاصة ، وتمكنوا من تطويرهـا إلى مـا يتناسب مع أشـكال حـروفهم الكتابيـة ، وحوَّروهـا مـن ثـم لتقبـل التكيـف مـع طـريقتهم في الكتابـة مـن اليـسار إلى اليمـين ، وتـأتلف مـع أشـكال حـروفهم في الاستدارة[٢] .

ولم يقتصر فضل المسلمين على أوروبا في ميدان الرياضيات على علم الحـساب وإنما امتدَّ إلى بقية العلوم الرياضية -وعلى رأسها الهندسة وعلم المثلثات- التي كـان الغرب مدين فيها لما ترجمه من كتب عربية في هذا التخصص ، فقبل القرن السادس الهجري ، الثاني عشر المـيلادي لم يتـداول الأوروبيـون سـوى بعـض التحديـدات لأقليدس النادرة التي قام بتجميعها نحويون وعكستها بعـض المقـاطع في مؤلفـات كتاب القرون الوسطى ، وهي في مجملها لم تستخدم المصادر المتوفرة في الهندسة على الوجه الأفضل ، وقد اقتصرت أعمال إقليدس قبل هذا القرن ، السادس الهجـري ، الثاني عشر الميلادي ، على هندسة عملية ومختصرة[٣] .

وبعد اكتـشاف الغـرب اللاتينـي للترجمـات العربيـة لإقليـدس ، ونقلهـا إلى اللاتينية إبان القرن السادس الهجري ، الثـاني عـشر المـيلادي اسـتطاع عـن طريـق

=

في الغرب ، ٢/ ٧٠١ .

(١) آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/ ٧٠٣ .

(٢) يعقوب : أثر الشرق في الغـرب ، ٢٧ ؛ سـعد : الأرقـام العربيـة ، ١٠٠ ؛ wiedemann:Gesammelte schriften zur arabisch-ialamischeng٩٠ .

(٣) آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/ ٧٠٥ .

الترجمات المتعددة لهذا المؤلف وشروحاته العربية والتي تمت في القرنين السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، أصبحت الهندسة العلمية والعملية في متناول الغرب اللاتيني ، فأثرت في مؤلفاتهم غاية التأثير ، ككتاب : الشروحات (Commentaire) لكمبانوس دي نوفار (Campanus de Novara) (عاش نحو ٦٥٣هـ/١٢٥٥م) الذي يشكل فعلاً اقتباساً لأصول إقليدس ، والمكتوب من دون شك بين العامين (٦٥٣و٦٦٠هـ /١٢٥٥و١٢٦١م) ، ويدل على نجاح هذا المؤلف العدد المرتفع جداً لمخطوطاته ، بالإضافة إلى حوالي الثلاث عشرة طبعة متتالية له تمت فقط خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، ومصادر كمبانوس في مؤلفه هذا كثيرة ومتعددة وهي في مجملها من مؤلفات مترجمة عن العربية من ضمنها أصول إقليدس[1] .

وقد تجاوز تأثير هندسة إقليدس بواسطة الترجمات والمؤلفات العربية الأصلية إطار الأدب العلمي ، وفاق ذلك ليشكل القاعدة نفسها لتلقين كل علم وكذلك لكل معرفة موسوعية ، كما عرف الغرب مؤلفات أخرى في الهندسة عبر ترجماتها اللاتينية كمؤلفات أرخميدس وبني موسى بن شاكر ، وكلها أثرت في مؤلفي الغرب ، وهذا التأثير تجاوز إطار القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، ويكفي للاقتناع بذلك أن نذكر أن مؤلفاً مثل (Liber de motu) لجيرارد دي بروكسل (Gerard de Bruxelles) القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ولو أن المؤلف ينسبه إلى معلوماته الخاصة ، مرتبط بشدة بكتاب «قياس الدائرة» لأرخميدس الذي ترجمه جيرارد الكريموني من العربية إلى اللاتينية ، وينطبق نفس القول على كتاب (Liber de curuis superficiebus) لجوهان دو تينمو (Johannes de Tinemus) (ت نحو ٦١٨هـ/١٢٢١م) ، ويعتبر هذا المؤلف مع كتاب قياس الدائرة لأرخميدس من أكثر الكتب شعبية في القرنين السابع والثامن الهجريين ، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، إضافة إلى كتاب

---

(١) سارتون : تاريخ العلم ، ١٠٣/١ ؛ طوقان : العلوم عند العرب ، ٦٣ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٨ ؛ آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٧١٥/٢ .

الأخوة لبني موسى ، والتي عرَّفت الغرب بالكثير من القضايا الهندسية الدقيقة . فظهرت مؤلفات عدة كانت متأثرة بالهندسة العربية كمؤلفات روجر بيكون ، وليوناردو فيبوناتشي ، وتوماس برادواردين وغيرهم من المؤلفين[١] .

وعلى كل فقد استفاد الأوروبيون من الإبداعات التي ابتكرها المسلمون في مجال الهندسة بكل فروعها ، وأخذوها عنهم ، كتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية ، وكذلك الدائرة ، والمماس والقواطع ، والجمع بين الهندسة والجبر ، ليخرج علم جديد وهو الهندسة التحليلية ، وكل هذه الابتكارات وصلت الغرب عن طريق المترجمات ، كمؤلفات البيروني والكندي وغيرهم[٢] .

كما كان لمؤلفات ثابت بن قرة المترجمة في هذا المجال أثر كبير على العالم الغربي ، فهو كما وصف بأنه أعظم علماء الهندسة في العالم الإسلامي ، فقد أسهم بنصيب وافر في تقدمها ، وهو الذي مهد لإيجاد علم التكامل والتفاضل ، كما استطاع أن يحل المعادلات الجبرية بالطرق الهندسية ، وتمكن من تجديد وتطوير نظرية فيثاغورس ، وكانت له بحوث عظيمة وابتكارات رائدة في مجال الهندسة التحليلية ، فقد ألف كتاباً في الجبر شرح فيه العلاقات بين الجبر والهندسة ، وكيفية التوفيق بينهما ، واستطاع أن يعطي حلولاً هندسية لبعض المعادلات التكعيبية ، وهو ما أفاد علماء الغرب فيما بعد في تطبيقاتهم وأبحاثهم الرياضية في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي[٣] .

أما مؤلف أحمد بن خلف المرادي الذي ظهر اسمه حديثاً عندما اكتشف في مكتبة لورينين بفرنسا سنة (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) مخطوطاً في الحيل النافعة يحمل اسمه بعنوان (الأسرار في نتائج الأفكار) فيعود إلى العصر الإسلامي الأندلسي ،

---

(١) بدوي : درو العرب ، ١٨ ؛ آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/ ٧١٧ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ١٦١ ؛ طوقان : العلوم عند العرب ، ١٢٦ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٥٨ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ١٦١ ؛ سديو : تاريخ العرب ، ٣٧٧ ؛ طوقان : العلوم عند العرب ، ١٢٦ .

ويحوي أجزاءً مهمة حول الطواحين والمكابس المائية ، ويشرح أكثر من ثلاثين نوعاً من الآلات الميكانيكية ، وساعة شمسية متطورة جداً ، وقد قام بنسخ هذه المخطوطة اليتيمة إسحاق السيد (ق٧هـ/١٣م) لصالح الملك ألفونسو العاشر ، وأدرجت في مجموعته الفلكية بعد ترجمتها[١] .

ولمؤلف المرادي هذا أهمية عظيمة ، فعلى الرغم من أن المخطوط الوحيد مصاب بالتلف بنسبة (٤٠%) إلا أن خوان فيرنيه أثبت أنه يعود إلى أحمد أو محمد بن خلف المرادي ، الذي عاش في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، ووصف فيه استعمال عدة ساعات مائية يمكنها التحرك فترات زمنية محددة وبصور مضبوطة مسبقاً[٢] .

ويلح فيرنيه على وجود قرابة بين هذا الكتاب وكتاب آخر ترجمه شميللر إلى الألمانية سنة (١٣٤١هـ/١٩٢٢م) ، كما أنه يؤكد على أن المهندس المعماري الفرنسي فيللاردي هونيكورت (Frances villard de Honnecourt) -(عاش في حدود سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م)- كان على علم بتقنيات العالم المسلم في هذا المجال[٣] .

ومن أمثلة التقنيات المتقدمة التي صورها كتاب المرادي : «حامل المصحف» الموجود في جامع قرطبة ، ويتيح تناول نسخة نادرة من القرآن الكريم ، وقراءتها دون أن تمسها الأيدي ، ينفتح الحامل بطريقة آلية حيث توضع المجموعة المكونة من الحامل والمصحف على رفٍّ متحرك في صندوق مغلق بالقسم العلوي من المسجد ، وعندما يدار مفتاح الصندوق ينفتح باباه فوراً وآلياً نحو الداخل ، ويصعد الرف من تلقاء ذاته حاملاً نسخة القرآن إلى مكان محدد ، وفي الوقت نفسه ينفتح حامل المصحف وينغلق بابا الصندوق ، وإذا أدخل المفتاح من جديد في قفل الصندوق وأدير بالاتجاه المعاكس تتوالى الحركات السابقة بالترتيب المعاكس ،

---

(١) فيرنيه : العلوم الفيزياوية ، ٢/١٣٠٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفسه ، ٢/١٣٠٢ .

وذلك بفضل سيور وآليات أخفيت عن الأنظار[١] .

وفي موضع آخر يقدم المرادي شرحاً وافياً لتقنية أخرى متقدمة في قصر جبل طارق ، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آلياً عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها ، وهذا يؤكد أن الأمر لم يكن مقتصراً –كما يزعم البعض- على صنع ألعاب فقط من أجل التسلية[٢] .

وقد سبق ابن يونس عبدالرحمن بن أحمد (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) جاليليو الإيطالي (ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) في اختراع الرقاص (البندول)[٣] ، وإلى جانب كل ما سبق فقد كان هناك فخر التقنية الإسلامية تقي الدين بن معروف الراصد الدمشقي ، (عاش في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي) ، وصاحب كتاب (الطرق السنية في الآلات الروحانية) ، وفيه وصف العديد من الأجهزة الميكانيكية مثل : الساعات المائية والآلية والرملية ، والروافع والبكرات والتروس ، والنافورات المائية ، والمراوح البخارية التي نعرفها اليوم ، ومن أهم الآلات المائية التي وصفها في كتابه (المضخة ذات الاسطوانات الست) وفيها استخدم لأول مرة (كتلة الاسطوانات) لست اسطوانات على خط واحد ، وهو يضع ثقلاً من الرصاص على رأس قضيب كل مكبس يزيد وزنه عن وزن عمود الماء الموجود داخل الأنبوب الصاعد إلى الأعلى ، وبهذا فقد سبق (مور لاندكي) الذي قام في سنة (١٠٨٦هـ/١٦٧٥م) بتصميم مضخة وضع فيها أقراصاً من الرصاص فوق المكبس حتى يعود المكبس إلى الهبوط ويدفع الماء بتأثير الرصاص إلى العلو المطلوب .

وهكذا يبطل زعم مؤرخي التقنية الغربيين أن التقنية الإسلامية في مجالات الهندسة الميكانيكية كان لها فقط طابع التسلية واللعب وتزجية أوقات الفراغ[٤] .

---

(١) http://www.islamstory.com

(٢) نفسه .

(٣) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥٠٦/٢ .

(٤) http://www.islamstory.com

وعلم المثلثات من العلوم الرياضية التي عني بها المسلمون كثيراً ، وهو مدين لهم بما أدخلوه إليه من تحسينات كثيرة ، فاكتسب بذلك شكلاً جديداً ، فجعلوه صالحاً لبعض التطبيقات صلاحاً لم يقدر اليونان عليه إلا بشق الأنفس .

ومن أشهر من ترجمت مؤلفاتهم في هذا العلم أبوالوفاء البوزجاني (ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) الذي استخدم المماسات وسماها بظل التفاضل والظل المستقيم ، كما سمى الخط القاطع بقطر الظل ، وحسب خطوط المماس لنصف قطر مساوٍ لستين ولم يحسب الخطوط القاطعة[١] .

واستخدم ابن يونس (٣٢٨هـ/٩٣٩م) الظلال ، أو خطوط المماس وتماس المماس ، فكانت له تقاويم ستينية ، وهو أول من فكر في حساب الأقواس الثانوية ، التي تصبح الدساتير بها بسيطة فتغني عن الجذور المربعة التي تجعل المناهج صعبة[٢] .

ومن خلال ترجمات هذه المؤلفات وما اطلع عليه الأوروبيون منها ومن مصادر علم المثلثات لاسيما في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ؛ إذ يعزى إلى ريجيو مونتانوس ، أنه أول من أدخل هذا العلم إلى الغرب عبر مؤلفاته الرياضية ، ومنها «كتاب المثلثات» الذي استقى جميع معلوماته من مصادر المسلمين الرياضية ؛ إذ يقول (كاجوري) : «هناك أمور كثيرة ، وبحوث عديدة في علم المثلثات كانت منسوبة إلى ريجومونتانوس ، ثبت أنها من وضع المسلمين والعرب وأنهم سبقوه إليها»[٣] .

ولا يفوتنا في مجال الرياضيات التأثير الذي أحدثته مؤلفات أبي عبدالله محمد بن معاذ الجياني (ت٤٨٦هـ/١٠٩٣م) وقد نشر ودرس له اثنان من مؤلفاته : «المقالة في شرح النسبة» ، وكتاب «مجهولات قسي الكرة» ، وهو أول بحث في الهندسة الكروية ألف في الغرب الإسلامي ، وكذلك أول مثال معروف على هذا

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ١٦١ ؛ سديو : تاريخ العرب ، ٣٦٢ .
(٢) سديو : تاريخ العرب ، ٣٦٣ .
(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٣٥٧ ؛ طوقان : العلوم عند العرب ، ٦٣ .

الفرع المعرفي الرياضي وجد مستقلاً عن علم الفلك . ومؤلفه بحث كامل في علم المثلثات الكروي ، درس فيه حل جميع الحالات الممكنة للمثلثات الكروية ، ومن الواضح أنه كان مطلعاً على العمل الرياضي والفلكي لعلماء المشرق ، وكان ابن معاذ أول عالم يستخدم طريقة في الاستكمال الداخلي التربيعي ويحسب جدولاً لظلال الزوايا أخذت فيه قيمة الميل[1] .

ولم يترجم كتاب ابن معاذ إلى اللاتينية غير أن تأثيره في أوروبا العصر الوسيط تم بشكل غير مباشر عن طريق كتاب «إصلاح المجسطي» الذي وضعه جابر بن أفلح قبيل منتصف القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، فقد ترجم هذا العمل إلى اللاتينية والعبرية ، وظهرت فيه أربع من مبرهنات ابن معاذ في المثلثات[2] .

أما علم الجبر فهو علم إسلامي محض ، قام العالم المسلم أبوعبدالله الخوارزمي بابتكاره وإنشائه من الأصل ؛ لذا احتفظ الغرب باسمه علماً على ذلك العلم ، ولكن تحرَّف اسمه عند الأوروبيين فأطلقوا عليه (Algebra) ، وهو : أي الخوارزمي أول من كتب في هذا العلم ، ومن ثم أصبح مرجعاً للمؤلفين والمترجمين في العالم الإسلامي وأوروبا . ولعل أوروبا والحضارة الغربية بشكل أخص لا تستطيع إنكار فضل اكتشاف الخوارزمي على مسيرتهم العلمية ، فطريقة العد العشري واستعمال الصفر ظلا مرجعية جبرية لا غنى للأوروبيين عنها حتى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، فلولا الصفر لما استطاع العلماء حل كثير من المعادلات الرياضية في مختلف الدرجات بالسهولة التي تحلُّ بها الآن[3] .

وما لبث جبر الخوارزمي أن انتقل إلى أوروبا عبر الترجمة وأفاد أوروبا كثيراً في علم الرياضيات ، وتأثر به عدد من علماء هذا العلم في مؤلفاتهم منذ وقت مبكر ؛

---

(١) سامسو : العلوم الدقيقة في الأندلس ، ضمن «الحضارة العربية في الأندلس» ، ٢/١٣٢٠ .

(٢) نفس المرجع ، ٢/١٣٢٠-١٣٢١ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ١٥٨ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٥٠٥ ؛ فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ٣٣٩ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٩٤ .

إذ ضمنه يوحنا الإسباني مؤلفاً له بعنوان «كتاب الخوارزمي في الحساب العملي» (Liber alghoarismi de practica arismetrice) إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، كما أن جوردانوس نموراريوس ضمن في كتابه بعنوان (De numeris datis) بداية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، عدداً من المسائل الرياضية المتعلقة بالجبر والحساب كالمعادلات الثلاث ، ثلاثية الحدود والمحولة إلى شكلها القانوني ، وكلها مستقاة من جبر الخوارزمي ، أما فيبوناتشي فقد ذكر في كتابه (Liber abaci) العرض الكامل للمعادلات الثلاث ثنائية الحدود ، والمعادلات الثلاث ثلاثية الحدود مصحوباً ببراهين عربية بواسطة تعادل المساحات ، وبأمثلة عديدة أصيلة أحياناً[١] .

وعلى أثر هذين المؤلفين اللذين يشكلان بدرجات متفاوتة ركيزة تعلم الجبر في الغرب ، يعيد جميع مؤلفي القرون الوسطى وعصر النهضة الفكرة نفسها ، ولكن يظهر الأثر واضحاً مع تقسيمات تفصيلية دقيقة وصلت إلى أقصاها مع بييرو دلَّا فرنشيسكا (Piero della Francesca) (ت حوالي ٨٩٨هـ/١٤٩٢م) حيث نجد واحداً وستين صنفاً من المعادلات مستقاة من جبر الخوارزمي[٢] .

واستمر التأثر بالجبر الإسلامي لدى مؤلفات الأوروبيين ، ففي القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ظهر هذا التأثر في مؤلف (Triparty) لنيكولا شوكه (Nicolas chuguet) (ت حوالي ٨٨٩هـ/١٤٨٤م) ، وكتاب (summa) للوقا باثيولي (luca Pacioli) (ت حوالي ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ، ومن ثم وبشكل خاص في عدة مؤلفات من القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، في مؤلف (Summa) لفرنشسكو غاليفيه (Ghaligai Francesco) (ت ٩٢٨هـ/١٥٢١م) ومؤلف الـ(coss) لكريستوف رودولف (christoff Rudolff) (ت

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ١٥٨ ؛ حتي : تاريخ العرب ، ٤٦٣ ؛ آلار : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/٧٢٢ ، ٧٣٤ .

(٢) الآر : تأثير الرياضيات العربية في الغرب ، ٢/٧٣٣ .

٩٣٢هـ /١٥٢٥م) . والـ(coss)لآدم ريس (Adam Riese) وغيرها كثير[١] .

وإذا كان استعمال الكسر العشري ينسب للعالم الرياضي ستيفن (ت١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م) ، فإن العالم الرياضي غياث الدين جمشيد الكاشي (ت٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م) كان أول من وضع علامة الكسر العشري واستعملها قبل ستيفن بأكثر من مائة وخمس وسبعين سنة ، وبين فوائد استعمالها وطريقة الحساب بها ، ويذكر الكاشي نفسه في مقدمة كتابه «مفتاح الحساب» أنه اخترع الكسور العشرية ليسهل الحساب للأشخاص الذين لا يجيدون الطريقة الستينية ، وهذا الكتاب هو الذي اطلع عليه بول كولي الألماني ومن خلاله عرف أن المخترع الحقيقي للكسور العشرية هو غياث الدين الكاشي وليس ستيفن ، فأعلن هذه الحقيقة سنة (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م) ، وقال إن الكتاب موجود في ثلاث مكتبات في أوروبا : ليدن ، لندن ، جامعة بريستون في الولايات المتحدة ، ومن الضرورة أن ستيفن اطلع عليه ونسب ما فيه من جديد لنفسه[٢] .

وإذا كان العالم فيتا يعد هو واضع مبدإ استعمال الرموز في الجبر ، وذلك المبدأ الذي وجد فيه ديكارت ما ساعده على التقدم ببحوثه في الهندسة خطوات مهدت السبيل للعلوم الرياضية وارتقائها ونشأ عنهما علم الطبيعة الحديث ، إلا أن المسلمين قد سبقوا فيتا في مبدإ استعمال الرموز ، ولا شك أن كثيراً من علماء أوروبا قد اطلعوا على كتاب القلصادي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م) أو (٩١٢هـ/١٥٠٦م) ، المترجم إلى اللاتينية في مبدإ استعمال الرموز[٣] .

ومن التأثيرات الواضحة لمجهودات المسلمين في الجبر التعديلات التي قام بها نصير الدين الطوسي على إقليدس ؛ حيث اكتشف أنَّ هناك نقصاً في بحوث إقليدس فيما يخص قضية المتوازيات ، فعدل هذا النقص وكمله في كتابه «تحرير

---

(١) نفسه ، ٢/٧٣٣-٧٣٥ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ١٦٠ ؛ الجندي : صفحات مضيئة ، ٢٠١-٢٠٢ .

(٣) منتصر : تاريخ العلم ، ٩٧ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٣٥٧ ؛ سامسو : العلوم الدقيقة في الأندلس ، ٢/١٣١٨ .

أصول إقليدس» وفي «الرسالة الشافية للطوسي» وهما العملان اللذان كان لهما بالغ الأثر في تقدم بعض النظريات الهندسية ، وقد نشر جون واليس هذه البحوث باللاتينية عام (١٠٦٢هـ/١٦٥١م)[١] .

أما بالنسبة لعلم الفلك فمن أقدم التأثيرات للمؤلفات الفلكية في أوروبا المحاولات التي قام بها الراهب سلفستر الثاني «جربرت» ؛ إذ ألف دراسة باللاتينية في استعمال الإسطرلاب وعنوانها (De utilitatibus astrolabii) ، وهي نقل لمعلومات فلكية ورياضية عن المصادر العربية .

وكان في ريبول بقطالونية مخطوطة تعود للقرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي تحوي رسالتين باللاتينية عن صنع الإسطرلاب ، ومن المؤكد أن لها أصولاً عربية ، كما نسب إلى الراهب هرمان كونتريكو (ت٤٤٦هـ-١٠٥٤م) كتابان في استعمال وعمل آلة الإسطرلاب ، ويحوم الشك حول صحة تلك النسبة ، ومهما يكن فإن ما تضمنه الكتابان من المعارف الفلكية يعود إلى مصادر الفلك الإسلامية في تلك الحقبة[٢] .

وكان الفرغاني (ت٢٤٧هـ/٨٦١م) أول من أدرك أن مدار الشمس والكواكب على مرِّ الزمن يجري في اتجاه خلفي ؛ وكتابه «جوامع علم النجوم» ترجم أكثر من مرة إلى اللاتينية ، وأثر في أوروبا تأثيراً بالغاً بأفكاره الجديدة ونظريته في الاهتزاز الأرضي ، ومقاييسه التي ذكرها لمسافات الكواكب وحجمها عمل بها كثيرون من فلكيي الغرب كراجيومونتانوس وكوبرنيق[٣] .

وقد صحح البتاني (٣١٧هـ/٩٢٩م)كثيراً من النظريات الفلكية القديمة ووصل إلى نتائج جديدة في الفلك ، ولأزياجه الشهيرة أبعد الأثر في أوروبا بعد

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ١٦١ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥٠٥/٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٣٥٨ .

(٢) سزكين : نقل الفكر العربي ، ٢٩٢ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥٠-٥٥١ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ١٦٧ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٤٥٥ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ١٨٠ ؛ هونكة : شمس العرب ، ١٤٥ ؛ بدوي : دور العرب ، ١٩ .

ترجمتها ، فدرسها كثير من الأوروبيين وعلقوا عليها كراجيومونتانس الذي ضمنها مؤلفاته[١] .

وكان لهؤلاء العلماء كالبتاني والفرغاني وابن الهيثم والبيروني آثار علمية قيمة في علم الفلك كتقدير محيط الأرض ، وإثبات كرويتها ، وقالوا بدوران الشمس والقمر والنجوم حول الأرض ، وأن القمر أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض ، وقاسوا أجرام الشمس والقمر والكواكب وأبعاد النجوم ، فكانت نتائج قياساتهم قريبة من الحقيقة ، وبقيت هذه القياسات سائدة حتى عصر النهضة الفكرية الكبرى التي قادها كبلر وجاليلو وكوبرنيق الذين قالوا بدوران الأرض حول محورها وأنها هي والكواكب تدور حول الشمس[٢] .

وكان لعلماء الفلك الأندلسيين اهتمامٌ بالغٌ بالآلات الفلكية كآلة طبق المناطق التي وجدت لأول مرة في الأندلس في بداية القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي ، والرسائل الأولى حول هذه الآلة كتبها أبوالسمح ، والزرقالي ، وأبوالصلت ، ولربما كان أبوالصلت هو المسؤول عن انتشار هذه الآلة في المشرق أثناء إقامته الطويلة في مصر ؛ ذلك أن الرسالة المشرقية الوحيدة المنشورة حول طبق المناطق كتبها في القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي الفلكي جمشد غياث الدين الكاشي ، ونجد فيها تفصيلات تذكرنا بعمل الزرقالي وأبي الصلت ، وقد أدخلت هذه الآلة الجديدة إلى أوروبا اللاتينية في وقت أبكر من إدخالها إلى المشرق ؛ إذ نجد أن الرسائل الأولى حولها تنتمي إلى القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وأن تقليد بنائها من المعدن أو الورق استمر حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي[٣] .

---

(١) لوبون : حضارة العرب ، ٤٥٧ ؛ سيديو : تاريخ العرب ، ٣٤١ ؛ هونكة : شمس العرب ، ١٤٥-١٤٦ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ١/٥٠٨-٥٠٩ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ١٠٢-١٠٣ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ١٤٥-١٤٦ ؛ جورج صليبنا : العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية ، ط١ ، ترجمة : محمود حداد ، الدار العربية للعلوم والنشر ، ١٤٣٢هـ ، ٣٣٤ .

(٣) سامسو : العلوم الدقيقة في الأندلس ، ٢/١٣٢٤ .

وقد كان الزرقالي (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م) أول فلكي ملك الجرأة على تجاوز حد علم في الفلك مبني على الدوائر وإدخال علم فلك جديد قائم على المنحنيات اللادائرية ، وذلك أنه أول من قال بدوران الكواكب في مدارات بيضاوية أهليلجية ، كما ينسب إليه أنه أول من أثبت أن حركة ميل أوج الشمس هي (١٢.٠٤) ثانية بالنسبة للنجوم الثوابت ، ويقدر الرقم الحقيقي بـ(١١.٠٨) ثانية[١] .

وتمكن الزرقالي من تحويل الإسطرلاب من خاص إلى عام بنقله إلى المسقط الأفقي (الأستريوغرافي) ، وأتاح بهذا إمكان أن تكون عين الراصد في نقطتي الاعتدالين[٢] .

ونظراً للمكانة العلمية الكبيرة التي كان يتمتع بها الزرقالي فقد نظر العلماء إلى أزياجه الفلكية بأنها أصح الأزياج في زمانه وأصبحت هذه الأزياج التي يطلق عليها أزياج طليطلة تستخدم في أنحاء أوروبا لقيمتها العلمية وصحة معلوماتها الفلكية[٣] .

وجدير بالذكر أن فلكياً إنجليزياً يدعى ويليم أخذ زيج طليطلة للزرقالي ، والذي عدَّله شخص مجهول بما يناسب ظروف مرسيليا ، وطبقه معدلاً على ظروف لندن ، وهذا الزيج الذي عرف بعد ذلك بزيج لندن ظل محتفظاً بمكانته وأساساً للحسابات الفلكية هناك[٤] .

وقد ترجمت مصنفات الزرقالي إلى لغات عديدة ، وذكر كوبرنيق سنة (٩٣٧هـ/١٥٣٠م) اسمي الزرقالي والبتاني في كتابه المشهور : (De revolutionibus Orbium Goelestium) ، ونالت صفيحته اهتمام العديد من العلماء الغربيين كراجيومونتانوس الذي نشر كتاباً عن فوائد تلك الآلة في القرن التاسع

---

(١) نفس المرجع ، ٢/١٣٢٦ ؛ هونكة : شمس العرب ، ١٥٢ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ١٨١ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥٣ .

(٢) ريسلر : حضارة العرب ، ١٨١ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥٣ .

(٣) نلينو : علم الفلك ، ١٧٦ ؛ البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥٤ .

(٤) البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥٤ .

الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، وفي سنة (٩١٠هـ/١٥٠٤م) كتب العالم الفلكي الألماني يعقوب تسيجلر (Jacob ziegler) تعليقاً على كتب الزرقالي الفلكية ، وفي سنة (٩٤١هـ/١٥٣٤م) ظهرت ترجمة جديدة لاتينية تحت عنوان «في علم آلة أبي العلوم الفلكية» (alrysakh Arzachel) للمؤلف يوحنا شونر (Johann Schoner) في مدينة نورنبرغ الألمانية[1] .

أما بالنسبة لآلة الرصد الثانية الموصوفة في المصادر الأندلسية فقد صممها جابر بن أفلح (٥٤٠هـ/١١٤٥م) ، وتكونت من حلقة طويلة مدرجة ، وذكر جابر أن قطرها بلغ تقريباً ستة أشبار ، لها محور في مركزها يدور عليه ربعية مدّرجة لها عضادة وموقعان للرصد ، ويمكن نصب الآلة في مستوى دائرة خط الزوال أو في مستوى خط الاستواء أو في مستوى دائرة البروج ، وقد اعتبرت هذه الآلة سابقة للتوركيتم (Torguetum) التي وضعها أول مرة قبيل نهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي كل من برنارد الفردوني ، وفرانكو البولندي[2] .

وثمت محاولة أخرى لعلي بن خلف سنة (٤٦٤هـ/١٠٧١م) عندما صمم أداة جديدة أسماها الإسطرلاب المأموني ، وأهداها إلى المأمون ملك طليطلة ، ثم صنع قبيل نهاية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي بغرناطة الفلكي حسين بن أحمد بن باصو صفيحة تستخدم مع الإسطرلاب المعياري سمَّاها «الصفيحة الجامعة لجميع العروض» ، أي : صفيحة عامة لجميع خطوط العرض[3] .

وتضم هذه الصفيحة تقليدين معروفين : جهود الزرقالي ، وعلي بن خلف من جهة ، اللذين أثرا في ابن باصو من حيث تصميم أداته واستخدامها ، والتقليد المشرقي من جهة ثانية الظاهر في «الصفيحة الآفاقية» التي ينسب اختراعها إلى حبش الحاسب (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م) تقريباً . وقد أثرت هذه الصفيحة في أوروبا

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ١٥٢ .
(٢) سامسو : العلوم الدقيقة في الأندلس ، ٢/١٣٢٦ .
(٣) نفس المرجع ، ٢/١٣٢٧ .

وطبق صانعوا الآلات الأوروبيون المتأخرون حلولاً مماثلة لها[١] .

وهكذا نجد أن علم الفلك الإسلامي كان له أبلغ الأثر في أوروبا من خلال المؤلفات التي اعتمدت على كتب المسلمين المترجمة ، وهي كثيرة جداً ، منها على سبيل المثال كتاب : (De sphaera) لجون هوليوود (John holyuood) الذي كتب في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وهو الكتاب الفلكي الأكثر قراءة ، وظل يعلم في الجامعات الغربية حتى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، وما هو إلا انتحالٌ حرفيٌ لمؤلفات الفرغاني والبتاني[٢] .

وما المؤلفات الفلكية التي تمت بأمر الملك ألفونسو العاشر ككتاب علم الفلك (Libro del saber de astronomic) ، والزيجات الألفونسية (Tables alfonsines) ، إلا ترجمات حرفية لمؤلفات المسلمين الفلكية كابن السمح ، والزرقالي ، ومسلمة المجريطي ، وعلي بن خلف ، وطبعت في الحال مرات عديدة ، منذ طبعة البندقية سنة (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) إلى طبعة ليزيج عام (٩٨٨هـ/١٥٨٠م) واستخدمها الجميع ، وحتى كوبرنيق نفسه كان يستخدم الزيجات الألفونسية ، وعلق عليها بخط يده سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، طبقاً لما يرى في النسخة الموجودة في مكتبة أوبسالا[٣] .

وقد شكلت مؤلفات علماء المسلمين في علوم الطبيعة مصدراً مهماً لأوروبا ، فبادروا بترجمتها والتأليف عليها ؛ إذ أصبحت المؤلفات التي اهتمت بهذا الجانب هي المصدر المعتمد والأصيل لأوروبا حتى أواخر القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي .

ومن أوائل علماء المسلمين الذين طرقوا ميدان علم الطبيعة وعلم البصريات ، أبويوسف الكندي (ق ٤هـ/١٠م) ؛ حيث تناول الظواهر الضوئية وعالجها في كتابه الشهير (علم المناظر) ، وقد أخذ بنظرية الانبعاث الإغريقية ، إلا أنه أضاف

---

(١) نفس المرجع ، ٢/١٣٣٠ .

(٢) فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ، ٣٨ .

(٣) نفس المرجع ، ٣٨-٣٩ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٤٦٢ ؛ هونكة : شمس العرب ، ١٥٢ .

كذلك وصفاً دقيقاً لمبدإ الإشعاع ، وصاغ من خلال ذلك أساس نظام تصوري جديد يحل في نهاية الأمر محل نظرية الانبعاث ، وكان لكتابه (علم المناظر) صدى في المحافل العلمية العربية ، ثم الأوروبية خلال العصور الوسطى[١] .

ومن بعده جاء الحسن بن الهيثم (٤٣٠هـ/١٠٣٨م) والذي تعدُّ أعماله فتحاً جديداً ، ووثبة خطيرة في عالم البصريات وفسيولوجية الإبصار ، وكانت أعماله هي الأساس الذي بنى عليه علماء الغرب جميع نظرياتهم في هذا الميدان ، وكان في طليعة العلماء الأجانب الذين اعتمدوا على نظرياته ، بل أغاروا عليها ونسبوها إلى أنفسهم ، روجربيكون ، وويتلو (witolo) (ت٦٦٩هـ/١٢٧٠م) ، وعلماء آخرون ، ولا سيما في بحوثهم الخاصة بالمجهر والتلسكوب والعدسة المكبرة[٢] .

بدأ ابن الهيثم أولاً بمناقشة نظريات إقليدس وبطليموس في مجال الإبصار ، وأظهر فساد بعض جوانبها ، ثم في أثناء ذلك قدَّم وصفاً دقيقاً للعين وللعدسات وللإبصار بواسطة العينين ، ووصف أطوار انكسار الأشعة الضوئية عند نفوذها في الهواء المحيط بالكرة الأرضية بعامَّة ، وخاصة إذا نفذ من جسم شفاف كالهواء والماء والذرات العالقة بالجو ، فإنه ينعطف –أي ينكسر- عن استقامته ، وبحث في «الانعكاس» ، وتبيان الزوايا المترتبة على ذلك ، كما تطرق إلى شرح أن الأجرام السماوية تظهر في الأفق عند الشروق قبل أن تصل إليه فعلاً ، والعكس صحيح عند غروبها ، فإنها تبقى ظاهرة في المجال الأفقي بعد أن تكون قد احتجبت تحته ، وهو أوَّل من نوَّه باستخدام الحجرة السوداء التي تعتبر أساس التصوير الفوتوغرافي[٣] .

والكتاب الذي خلَّد اسم ابن الهيثم عبر القرون هو (كتاب المناظر) ، ويوضح هذا الكتاب تصور البصريات كنظرية أولية في الإبصار ، مختلفة جذرياً عن فرض الشعاع المرئي الذي حافظ عليه التقليد الرياضي منذ إقليدس وحتى الكندي ، ولقد

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ١٥٢ .

(٢) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٠٧-٢٠٨ ؛ فروخ : تاريخ العلوم ، ٤١٢ ؛ بدوي : دور العرب ، ٢٠ .

(٣) مصطفى نظيف : الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه البصرية ، (ط.د) ، مصطفى نوري بمصر ، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م ، ٣٧/١ ؛ منتصر : العلم عند العرب ، ١٤٧ .

أدخل ابن الهيثم أيضاً منهجية جديدة على هذا التفسير لعملية الإبصار ، وبهذا تمكن من صياغة مسائل كانت إمَّا غير مفهومة طبقاً لنظرية الشعاع البحري ، أو مهملة من جانب فلاسفة يهدفون أساساً إلى تفسير ماهيَّة الرؤية أكثر من اهتمامهم بشرح كيفية حدوث الإبصار[١] .

وبعد سلسلة من الاختبارات التي أجراها ابن الهيثم بيَّن أن الشعاع الضوئي ينتشر في خط مستقيم ضمن وسط متجانس ، وكذلك برهن على كيفية النظر للعينين معاً إلى الأشياء في آن واحد دون أن يحدث ازدواج في الرؤية برؤية الشيء شيئين ، وعلَّل على ذلك بأنَّ صورة الشيء المرئي تتطابق على شبكة العينين ، وقد وضع ابن الهيثم بهذه البرهنة وذلك التعليل الأساس الأول لما يعرف الآن باسم (الاستريسكوب)[٢] .

ومن أعماله التطبيقية في البصريات أنه حسب الانعكاس الذي يحدث في قطاع المرآة الكروية أو المخروطية ؛ أي الإشعاعات المتوازية التي تلتقي في نقطة الاحتراق ، وفحص أثر الحرق وتكبير المرئيات ليس بواسطة المرآة المقعَّرة فحسب ، بل بواسطة الزجاج الحارق والعدسة ؛ وبذلك كان من ثمرة جهده صنع أول نظارة للقراءة[٣] .

كما وضع بن الهيثم –ولأول مرة- قوانين الانعكاس والانعطاف في علم الضوء ، وعلَّل لانكسار الضوء في مساره ، وهو الانكسار الذي يحدث عن طريق وسائط كالماء والزجاج والهواء ، فسبق ابن الهيثم ما قاله نيوتن[٤] .

وكان أحد أبرز إنجازات ابن الهيثم في كتاب (المناظر) تجربة الصندوق الأسود ، وتعتبر الخطوة الأولى في اختراع الكاميرا ، وهو أول مخترع لها .

ومن أهم إنجازات ابن الهيثم بصفة عامة في البصريات : أنه أول من أجرى

---

(١) ابن الهيثم : المناظر ، ٣٣ ؛ أحمد مرسي : الحسن بن الهيثم رائد علم الضوء ،

(٢) ابن الهيثم : المناظر ، ٤٦ ؛ الطويل : الحضارة الإسلامية ، ٤٤ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ١٤٩-١٥٠ ؛ بدوي : دور العرب ، ٢٠ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ١٤٩ ؛ ابن الهيثم : المناظر ، ٤٧ .

تجارب بواسطة آلة الثقب ، أو البيت المظلم ، أو الخزانة المظلمة ، واكتشف منها أن صورة الشيء تظهر مقلوبة داخل هذه الخزانة ، فمهَّد بهذا الطريق إلى ابتكار آلة التصوير ، وبهذه الفكرة وتلك التجارب سبق ليوناردو دافنشي ، ودلابورتا بخمسة قرون(١) .

وكان لنظريات ابن الهيثم الطبيعية أبلغ الأثر في الغرب من خلال مترجمات كتبه لاسيما مؤلفه (المناظر) ، الذي نقل إلى عدة لغات ، ومن أوائل من تأثروا به في علم الضوء روبرت جروستست (ت٦٥٠هـ/١٢٥٣م) ، الذي يعدُّ من روَّاد الحركة العلمية في الغرب ، وكذلك ويتلو الذي ألف رسالة في الضوء اعتمد فيها على ابن لهيثم ، ثم أصبحت مشهورة معتمدة في أوروبا كلها حتى نشوء نظريات نيوتن (ت١١٤٠هـ/١٧٢٧م) .

وتأثر ويتلو في مؤلفه بابن الهيثم فيما يخص الخزانة السوداء ذات الثقب وتعليل قوس قزح ، كما نجد أن كتاب علم المناظر لجون بيكام (ت٦٩١هـ/١٢٩٢م) ليس سوى اقتباس ناقص من كتاب المناظر لابن الهيثم(٢) .

أما أهم علماء الغرب الذين نهلوا من كتب ابن الهيثم ونقلوها إلى أوروبا فهو روجربيكون (ت٦٩٣هـ/١٢٩٤م) ، الذي ذكر في كتابه «التأليف الكبير» فصلاً عن الضوء استمده من كتب علماء المسلمين كالكندي وابن الهيثم ، ومن هؤلاء أيضاً ثيودوريك الفرايبرغي (ت بعد٧١١هـ/١٣١١م) الذي أخذ عن ابن الهيثم نظرية قوس قزح(٣) .

أما أبوجعفر الخازن (ت ق ٦هـ/١٢م) فقد ترك مؤلفاً في الموازين وعلم الميكانيكا والهيدروستاتيكا ، ويُعد كتابه ميزان الحكمة موسوعة تمثل هذين العلمين

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ١٤٩ ؛ بدوي : دور العرب ، ٢٠ ؛ فروخ : تاريخ العلوم ، ٤٠٨ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ١٤٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٢٠٨ ؛ فروخ : العلوم عند العرب ، ٤١٢ .

(٣) ميلي : العلم عند العرب ، ٢٠٨ ؛ جيرا : تاريخ دراسة اللغة ، ٩-١٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ١٢٠ ؛ فروخ : تاريخ العلوم ، ٤١٢-٤١٤ .

بما في ذلك الأثقال والأوزان النوعية لكثير من المعادن ، واخترع الخازن آلة لمعرفة الوزن النوعي للسوائل ، ووصل في تجاربه إلى درجة عظيمة من الدقة ، واستخدم ميزان الهواء للحصول على الثقل النوعي للسوائل بكل نجاح ، وتوصل في ذلك أيضاً إلى نتائج باهرة إذا ما قورنت بالتقديرات الحديثة[١] .

وكتب الخازن أبحاثاً أصيلة في المرايا وأنواعها وحرارتها ، والصور الظاهرة منها ، وفي انحراف الأشياء وتجسيمها ظاهرياً ، وأجرى تجارب لإيجاد العلاقة بين وزن الهواء وكثافته ، وأوضح أن المادة يختلف وزنها في الهواء الكثيف عنه في الهواء الخفيف لاختلاف الضغط ، كما بيَّن أنَّ قاعدة أرخميدس لا تسري فقط على السوائل ، بل تسري أيضاً على الغازات ، وقد سبق في هذا الكتاب غيره في الإشارة إلى مادة الهواء ووزنه ، وقال إن للهواء وزناً وقوة رافعة كالسوائل تماماً[٢] .

وقد ترجمت آراء الخازن إلى اللاتينية ثم إلى الإيطالية في وقت مبكر ، واستعان بها رجال العلم في أوروبا ، وإذا كان روبرت جروستست (ت٦٥٠هـ/١٢٥٣م) يعتبر أول مثل بارز لعلماء الطبيعة في الغرب إبان القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، فإنه باعتراف الباحثين الأوروبيين استقى معلوماته من ترجمة لاتينية لكتاب الخازن ، وعنه أيضاً أخذ بول ، وويتلو (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) ، وعن هذين الأخيرين أخذ روجر بيكون[٣] .

وعاصر الخازن ابن سينا (٤٢٨هـ/١٠٢٦م) الذي قام بدراسات جديدة في الحركة ، والطاقة ، والفراغ ، والضوء ، والكثافة النوعية ، والصوت وسرعته ، وله رسالة في المعادن بقيت في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي أهم مصادر طبقات الأرض عند الأوروبيين ؛ إذ تناول فيها تكوين الجبال وأنواع الصخور ، وموسوعته الشفاء تناولت كثيراً من هذه النظريات الطبيعية التي قام

---

(١) ميلي : العلم عند العرب ، ٢١٢ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٤/٢ .

(٢) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٤/٢ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ١٨٩ .

(٣) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٤/٢ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ١٨٩ .

بدراستها[١] .

أما البيروني(ت٤٤٠هـ/١٠٤٨م) الذي كان عالماً في الطبيعيات فضلاً عن بقية العلوم الأخرى ، فقد عين الكثافة النوعية لثمانية عشر نوعاً من أنواع الأحجار الكريمة ، ووضع القواعد التي تنص على أن الكثافة النوعية للجسم تتناسب مع حجم الماء الذي يزنه ، وشرح أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية في ضوء نظرية الأواني المستطرقة[٢] .

وضمن مؤلفي العلوم الطبيعية يأتي أحمد أو محمد بن خلف المرادي الذي سبقت الإشارة إليه في كتابه «الأسرار في نتائج الأفكار» الذي كان له أهمية عظيمة في مجال العلوم الطبيعية ، فعلى الرغم من أن المخطوط الوحيد مصاب بالتلف بنسبة (٤٠%) تقريباً إلا أنه يحوي معلومات فريدة ، فهو يصف عدة ساعات مائية يمكنها التحرك على فترات زمنية محددة ، الأمر الذي يسمح باستعمالها كساعات ، وبصورة مضبوطة مسبقاً ، وهو يبدو مستقلاً عن مخترعي الساعات المائية مثل ابن فرناس والزرقالي ، وعلاوة على ذلك تجدر الإشارة إلى أن المرادي استعان بعنصر الزئبق بغية التحكم في آلية لعبة الميكانيكية ، وذلك بجعل الزئبق يتنقل داخل ذراعي القسطاس الرئيسي للنظام ، وتبرهن الماكنة الأولى بعد أن تم تركيبها من جديد على كفاءة الآلية الحركية ، وهذه هي -على ما يبدو- المرة الأولى التي تستخدم بهذه الطريقة .

وهذه التقنيات العلمية في هذا المخطوط هي التي أدرجت في موسوعة ألفونسو العاشر الفلكية ، ومن ثم أصبحت عمدة للدارسين في مجال العلوم الطبيعية في أوروبا[٣] .

ونتيجة الدراسات الرائدة في مجال الطب والصيدلة في العالم الإسلامي ، والتي كان لها تأثير كبير في أوروبا في كلا الجانبين النظري والعملي تطورت العلوم

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٤/٢ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ١٤٠ .

(٢) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٣/٢ .

(٣) فيرنيه : العلوم الفيزياوية ، ١٣٠٢/٢ .

الطبية والصيدلية في أوروبا ، ففي جانب الطب الوقائي تأثر الأوروبيون بالمؤلفات المترجمة في هذا المجال ككتاب الرازي في الحصبة والجدري ، الذي كان له تأثير كبير في الطب الأوروبي ، بدليل ترجمته إلى عدة لغات عن طريق اللاتينية ، ويمكن أن نحكم على هذا التأثير بالأربعين طبعة الإنجليزية التي طبعت ما بين عامي (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) و(١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)[١] .

إضافة إلى مؤلفات القانون في الطب لابن سينا ، والذي تناول فيه داء الجمرة الخبيثة ، والتيسير لابن زهر الذي عالج فيه داء الجرب ، وكليات ابن رشد ؛ إذ أكد فيه على المناعة التي يتركها داء الجدري الأسود لدى إصابته الأولى ، فكان اكتشافه للتلقيح من هذا الداء ، وكل هذه الاكتشافات أثرت في الطب الأوروبي بعد ترجمة مؤلفاتها[٢] .

أما ما يخص قواعد تشخيص الأمراض بالاعتماد على النبض والبول ومعرفة أسباب وعلامات المرض من خلال الفحص السريري ، وسؤال المريض وفحصه ، فقد انتقلت إلى اوروبا عن طريق ترجمة مؤلفات الطب الإسلامي ، لا سيما كتاب الحاوي للرازي الذي اعتمد فيه على الملاحظة والفحص[٣] .

وعن مؤلف للرازي في طب الأطفال وتدبير الحبالى ، اقتبس مؤلف أول كتاب في طب الأطفال بأوروبا : «بيكالاردوس» ، (ت ٨٧٨هـ/١٤٧٣م) الذي اعتمد فيه اعتماداً كلياً على رسالة الرازي في «تدبير الصبيان»[٤] .

وقد بلغ أطباء المسلمين في تخصص طب العيون شأواً عظيماً ، ويعتبر كتاب «العشر مقالات» لحنين بن إسحاق أقدم وأعظم كتاب يتحدث عن أمراض العين ، وقد لقي مع مؤلفات علي بن عيسى «تذكرة الكحالين» وعمار بن علي «المنتخب في

---

(١) الرازي : كتاب الجدري والحصبة ، ٧-٨ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٣٨ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٢٧٢ ؛ زكريا : فضل الحضارة الإسلامية ، ٤١٤ ؛ البشري : أثر الدراسات الطبية ، ١٧٠ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٣١٢ ؛ حتى : تاريخ العرب ، ٤٤٨ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/ ٧٩ .

(٤) قاسم : انتقال الطب ، ١٦٦ .

أمراض العين» الأثر في أوروبا بعد ترجمتها ، وأصبحت هي المرجع الوحيد في هـذا المجال ، ولاسيما إذا علمنا أن تعاليم هؤلاء الأطباء في مجال أمراض العيون قد انتقلت إلى أوروبا أيضاً عن طريق الحاوي للرازي ، والقانون لابن سينا ، وهما كانا عمدة التعليم في الجامعات الأوروبية ، وبما حوته هذه المؤلفات من ثروة علمية أصبحت تؤلف إلى اليوم جزءاً من طب العيون الحديث[١] .

وبما حققه المسلمون في مجال البصريات من إنجازات أسهمت بدورها في طب العيون ، لاسيما مؤلفات الكندي ، وابن الهيثم ، وكتابه المناظر الذي نقل إلى اللاتينية ، وبقية اللغات الأخرى ، وكان له تأثير كبير في علم البصريات الأوروبي ؛ إذ إنه أول من درس العين دراسة علمية ، وعرف أجزاءها وتشريحها ورسمها ، وأول من أطلق على أجزائها أسماء أخذها الغرب بنطقها أو ترجمتها إلى لغاته ، ومن هذه الأسماء : القرنية (Cornea) ، والشبكية (Retina) ، والسائل الزجاجي (Vitrous Humour) وغيرها[٢] .

وكان المسلمون هم أول من استخدم التخدير في العمليات الجراحية ؛ ذلك أن الإسلام حرَّم الخمر الذي كان يستخدم من ذي قبل ، فاجتهد أطباء المسلمين في إيجاد المخدر البديل للخمر[٣] .

وينسب هذا الكشف العلمي إلى طبيب إيطالي أولاً ، وإلى بعض الإسكندريين ثانياً ، في حين أن الحقيقة تقول والتاريخ يشهد أنَّ فنَّ استعمال الإسفنجة المخدرة فن إسلامي خالص لم يعرف من قبل ، وكانت توضع هذه الإسفنجة المخدرة في عصير من الحشيش والأفيون الزؤان وغيرها ، ثم تجفف في الشمس ، ولدى الاستعمال ترطَّب ثانية وتوضع على أنف المريض ، وقد دخل هذا الكشف العلمي الرائع إلى أوروبا بطرق مختلفة ، ولكنه من المؤكد أن يكون من المترجمات من العربية

---

(١) ابن إسحاق : كتاب العشر مقالات ، ٧ ؛ لوبون : حضارة العرب ، ٤٩٤ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلم العربية ، ٣٤-٣٦ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٧٤ .

(٢) قاسم : انتقال الطب ، ١٥٥ ؛ فهد : صورة أولى عن روافد العلوم العربية ، ٣٦ .

(٣) عسيري : علم الطب ، ١٢ .

دور أساسي في ذلك ؛ لأن كتاب البحث لجابر بن حيَّان ، وكتاب الجراحة والأقرباذين لماسويه المارديني ذكرت هذا الكشف العلمي ، وقد ترجمت هذه المؤلفات إلى اللاتينية والعبرية[١] .

وعلى كلٍّ فقد ظلَّ معمولاً به في أوروبا إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، إلى أن كشف عن التخدير بواسطة الاستنشاق سنة (١٢٦٠هـ/١٨٤٤م) فاختفى الأول وغمره النسيان[٢] .

ومما هو متعلق بالعمليات الجراحية «التعقيم» الذي أولاه الأطباء المسلمون عناية خاصة على يد الطبيب ابن سينا الذي اخترع اللزوقات الساخنة والخمر المعتق لهذا الغرض ، فكانت توازي قوة البنسلين في الفتك بالميكروبات[٣] .

وقد بلغت الجراحة قمة عصرها مع أطباء المسلمين لاسيما أبي القاسم الزهراوي (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ، وكتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» الذي ترجم إلى اللغات الأوروبية ، وأصبح حجر الأساس للجراحة في أوروبا ، وظل المصدر الوحيد في جامعاتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي[٤] ، يقول عنه هالر : «كان المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر»[٥] ، واستخدم أبوالقاسم ربط الشرايين قبل امبروز باري الجراح الفرنسي الذي نسب هذا الادعاء لنفسه سنة (٩٦٠هـ/١٥٥٢م) ، كما اهتمَّ بالتهاب المفاصل وبالسل في فقرات الظهر ، والذي سمي فيما بعد الإنجليزي بوت «بالداء البوتي» ، وطور فرع الأمراض النسائية بأن أدخل عليه طرقاً في البحث والمداواة جديدة ، وآلات حديثة وهو أول من أوصى بولادة الحوض ، وهي الولادة المسماة حديثاً باسم الطبيب فالشر (walcher)

(١) هونكة : شمس العرب ، ٢٧٩-٢٨٠ ؛ السامرائي : الطب العربي في أوروبا ، ٩٥ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٢٨٠ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٢٨٠ .

(٤) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٣/٣٠٩ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، ٢٠٧ ؛ العقاد : أثر العرب ، ٤٠ .

(٥) لوبون : حضارة العرب ، ٤٩٠ .

(ت١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) ، وأوصى في كل العمليات الجراحية في النصف السفلي من الإنسان ، أن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شيء ، وهذه الطريقة اقتبسها الغرب مباشرة عن أبي القاسم واستعملها كثيراً حتى هذا العصر ، ونسبت إلى الجراح الألماني فريدريك ترندلنبورغ (Frederich Trendelenburg)[١] .

ويعد كتاب التصريف أول تأليف في الجراحة كعلم مستقل قائم على قواعد التشريح ، وقد استشهد به الجراح الفرنسي الشهير جي دي شولياك (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م) في مؤلفاته أكثر من مائتي مرة في كتابه الجراحة الكبرى ، وممن اقتبس منه أيضاً الطبيب الإيطالي فيراري الذي نقل معلومات وافرة من الكتاب ، وآردونييس دي باشارون شيك الذي ألف كتاباً في الطب تردد فيه اسم الزهراوي كثيراً[٢] .

ويعد كتاب «القانون في الطب» لابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) من أعظم كتب الطب على الإطلاق ، فقد كان كما قال ريسلر : «إن كتاب القانون في الطب لابن سينا كان بحق الإنجيل الطبي بالمشرق والمغرب منذ القرن الثاني عشر إلى السابع عشر الميلادي»[٣] ، وأعجب به الأوروبيون إعجاباً شديداً بعد ترجمته ، خاصة بما اتسم به من تقسيمات ، وتفريعات ، ومنهجية رائعة في البحث ، فاشتد الطلب عليه حتى إنه طبع في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ست عشرة طبعة ، محتلاً بذلك مكان كتاب جالينوس منذ ترجمته طيلة أكثر من ستمائة عام[٤] .

ونتيجة تفوق أطباء المسلمين في علم التشريح والجراحة ، فقد نبغوا في الطب الباطني بعد أن عرفوا جوهر الأعضاء من عظام ، وعضلات ، وغضاريف ،

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٢٧٧-٢٧٨ .

(٢) قاسم : انتقال الطب ، ١٦٦ ؛ توماشاني : فضل العرب في الطب على الغرب ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩م ، ٢١٧ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب ، ٢٩٨-٣٠٠ ؛ البشري : أثر الدراسات الطبية ، ١٦٥ .

(٣) الحضارة العربية ، ٢١٩ .

(٤) حتى : تاريخ العرب ، ٤٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٧٩ .

وعـروق وغيرهـا ، بـل قـد خرجـوا باكتـشافات مفيـدة كالطبيـب ابـن النفـيس (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) الذي كشف عن طريق التشريح والمشاهدة الدورة الدمويـة الصغرى ، مخالفاً في ذلك من سبقه ، وذلك في كتابه «شرح تشريح القـانون» الـذي ترجم إلى اللاتينية سنة (٩٥٤هـ/١٥٤٧م) على يد الطبيب الإيطـالي البـاغو ، ومـا لبـث هـذا الاكتـشاف أن انتحلـه أحـد الغـربيين ويـدعى ميخائيـل سـارفيتوس (ت٩٦١هـ/١٥٥٣م) ولكنه في حقيقة الأمر ما هو إلا ترجمة حرفية لـنفس نظريـة ابن النفيس التي بين فيها أن الدم ينتقل من الجانب الأيمن للقلب إلى الـرئتين أولاً ، وهناك يخالط الهواء في الحويصلات الرئوية الدقيقة ، فيصلح أمره ويعود إلى الجانب الأيسر من القلب بعد ذلك[1] .

وهذا الأصـل أيـضاً هـو الـذي تجاهلـه ولـيم هـارفي الإنجليـزي (William Harvey) (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)[2] عندما أعلـن اكتـشاف الـدورة الدمويـة سـنة (١٠٣٨هـ/١٦٢٨م) ، ولم يكشف عن هذه الحقيقة إلا سنة (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) عنـدما قـدم الطبيـب المـسلم محيـي الـدين التطـاوي (ت١٣٦٥هــ/١٩٤٥م)[3] أطروحته للدكتوراه باللغـة الألمانيـة إلى كليـة الطـب في جامعـة فرايبـورج بعنـوان (الدورة الرؤية تبعاً للقرشي) ، وأثبـت فيهـا أن أول مـن نفـذ ببـصره عـلى أخطـاء جالينوس ونقدها ثم جـاء بنظريـة الـدورة الدمويـة لم يكـن ميخائيـل سـارفيتوس الإسباني ، ولا هارفي الإنجليزي بل كان رجلاً عربياً مسلماً أصيلاً من القرن السابع

---

(١) نفس المرجع ، ٢٦١-٢٦٣ ؛ حسين : في الطب والأقراباذين ، ٢٩٣ .

(٢) وليم هارفي : طبيب إنجليزي ، ولد سـنة (٩٨٦هــ/١٥٧٨م) ، ودرس اللاتينيـة وأتقنهـا ، وتـابع دراسة الطب ثم انتقل إلى بادوا وتخصص في علم التشريح ثم عاد إلى لندن وعـين أسـتاذاً في أمـراض التشريح في كلية الطب الملكية . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٢/٢٦ .

(٣) محيي الدين التطاوي : طبيب مصري ، ولد سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) ، في محلـة منـوف ، ودرس في طنطا والقاهرة وحصل على الشهادة الثانوية سنة (١٣٣٧هـ/١٩١٨م) ، والتحق بالمهندسخانة ، ثـم انتقل إلى كلية الطب في برلين سنة (١٣٣٩هـ/١٩٢٠م) ، وبعد تخرجه عمـل بـوزارة الـصحة حتـى وفاته . سلمان قطاية : ابن النفيس ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسـات ، بـيروت ، ١٩٨٤م ، ٦٣-٦٤ .

الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وهو ابن النفيس الذي وصل إلى هذا الاكتشاف العظيم في تاريخ الإنسانية وتاريخ الطب قبل هارفي بأربعمائة عام ، وقبل سارفيتوس بثلاثمائة عام[١] .

وقد اعتمد التطاوي في ذلك على مجموعة من المخطوطات العربية بمكتبة برلين ، وفي إحداها وهي ذات الرقم (٦٢٢٣٤) وعنوانها : «شرح تشريح القانون» لابن النفيس وجد هذا الاكتشاف العظيم[٢] .

وفي حقيقة الأمر أنَّ أول تشريح علني حدث في المدارس الطبية الأوروبية لم يبدأ قبل سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) أي في بداية القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وحدث ذلك في إيطاليا وتحديداً في جامعة بولونا ، وكانت مدرستها الطبية التي أنشئت سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) تعتمد على الكتب العربية المترجمة للتدريس بها[٣] .

أما في مجال تأثير الصيدلة الإسلامية في أوروبا فمن أهم مؤلفاتها : كتاب الأدوية المفردة لابن ماسويه الماريني الذي ظل بعد ترجمته معتمداً في أوروبا عدة قرون[٤] .

أما «الجامع في الأدوية» لابن البيطار فقد بقي هو الآخر معتمداً في أوروبا ومصدراً مهماً في هذا الفن بعد ترجمته ، كما أن ابن سينا ذكر في مؤلفه القانون ما يزيد على سبعمائة وستين دواء ، دخلت كلها في المؤلفات الأوروبية في علمي النبات

---

(١) ولنا أن ننظر إلى بقية النظريات والاكتشافات العلمية التي أبدعها علماء المسلمين ، ولكنها نسبت لغيرهم ، ولم يوجد أحد بعد ليثبتها لهم ويعيد الحق لأصحابه ، لاسيما وكثير من المصادر العربية فقدت ولم تبق إلا في ترجمات لاتينية محرفة ، أو أنها في مخطوطات مكتبات الغرب التي يصعب الاطلاع عليها .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٢٦٣ ؛ الجندي : صفحات مضيئة ، ١٩٧ ؛ شماني : فضل العرب في الطب ، ٢١٤ .

(٣) شماني : فضل العرب في الطب ، ٢١٦ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب ، ٢٩٨ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ٣٣٠ ؛ حسين : في الطب والأقراباذين ، ٣١١ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٤١ .

والصيدلة ، حتى إن الكثير منها لا يزال يعرف بأسمائه العربية ، وكان هـو أول مـن قام بتغليف الحبوب بالذهب والفضة فنقل عنه ذلك إلى الغرب[١] .

وقد صادف المسلمون في تجاربهم الكيميائية العديدة كثيراً من التركيبات التـي كانت لها قوة شفائية علاجية ، الأمر الذي دفع الرازي إلى توجيه الكيمياء في خدمة الطب ، فاستعمل الكحول وهو أول من استخدمها ، ويعتـبر كتابـه «سر الأسرار» الذي ترجم إلى اللاتينية حجة في هذا المجـال ، كـما قـام بتغليـف الحبـوب بغـلاف السكر[٢] .

وأول سجل أدوية عرفه الغرب اللاتينـي هـو كتـاب «الـواقي مـن الـسموم» لنيقولا الـسالرني (Nicola de salerne) ، القـرن الـسابع الهجـري ، الثالـث عـشر الميلادي ، ويحوي مائة وتسعاً وثلاثين وصفة مرتبة ترتيباً أبجدياً ، ويرادف عنوانـه مصطلح أقرابـاذين الـذي اسـتعمل عنوانـاً لـبعض المؤلفـات في علـم العقـاقير في العربية ، وكان من أوائل الكتب المطبوعـة في البندقيـة سـنة (٨٧٦هــ/١٤٧١م) ، ويبدو أن أنموذجه أنموذج كتاب مطول مترجم عن مؤلف عربي لا يزال مفقـوداً ، بعنوان (Medicamimum) غرابادين ، وهو تصحيف لعبارة أقراباذين في التراكيـب الطبية الواقية من السموم ، وكان ذائع الصيت في العصر الوسيط على أنـه كتـاب في فن تركيب الأدوية الشعبية ، وعزا مارتين لوفي هذا المؤلف الذي يبدو أنه ترجمة من العربية إلى ماسويه المارديني الصغير (ت٤٠٦هـ/١٠١٥م)[٣] .

ومثل آخر يوضح استخدام المطولات العربية على أنهـا نـماذج ، نـذكر مطـول البسائط ، وعنوانه : «البسائط الطبية» ، وقد كتبه ماتوس بلاتـيروس (Matthaeus Platearius) ، وهو طبيب من سالرنو كان أول من شرح كتاب «فساد الأقربـاذين» لنيقولا السالرني ، وقد أصبح هذا المطول أحد النماذج التـي ينـسج عـلى منوالهـا في دساتير الأدوية الغربية ، وظل ذائعاً حتى القرن العاشر الهجـري ، الـسادس عـشر

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٣٢٨ ؛ ميلي : العلم عند العرب ، ٤١٥ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٣٢٧ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٤٤ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٣٣٢ ؛ السامرائي : أضواء عربية على أوروبا ، ٣١ .

الميلادي ، وهـو مؤلـف عـلى نمـط الكتـب العربيـة التـي تحمـل عنـوان «الأدويـة المفردة» ، ومن أقدم ما وصلنا منها كتاب وضعه «سـيرابيون» وتـرجم إلى اللاتينيـة بعنوان «كتاب الأدوية البسيطة»[1] .

ويبقى كتاب ديسقوريدس «الحشائش» المصدر الأساسي لكتب البسائط سواء أكانت عربية أم لاتينية ، وقد حظي هذا الكتاب بترجمات كثـيرة مـن الإغريقيـة إلى العربية في الغرب من خلال دساتير الأدويـة العربيـة ، ومنهـا : «دسـتور الأدويـة» لابن الوليد ، والذي تـرجم إلى اللاتينيـة بعنـوان «كتـاب ابـن القفطـي -الحـاوي للعقـاقير» ، وكتـاب «التـصريف» للزهـراوي ، ولا بـد مـن ملاحظـة أن آثـار «ديسقوريدس» كانت إذ ذاك ذائعة في ترجمة لاتينية شعبية ملئ بالأخطاء ، واسمها «ديسقوريدس لوغوبرديوس» ، ولعل ذلك هو الذي حال دون ترجمتها من العربية إلى اللاتينية ؛ لأن انتباه مترجمي طليطلة قد انـصرف بـالحري أكثـر مـا انـصرف إلى التـصحيحات العربيـة اللاحقـة عوضـاً عـن الـنص الكامـل الـذي وضـعه ديسقوريدس[2] .

وكانت الكتابات اللاتينيـة التـي نـسجت عـلى المنـوال العـربي أساسـاً لعلـم الصيدلة الأوروبي الأول . ويمكن تتبع مسيرة العناصر العربيـة عـبر كتابـات مثـل كتاب «جان سان أرمان دي توريني» (J.st.A.Detournay) وقد وضـعه حـوالي سـنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) بعنوان «العرض في الواقي مـن الـسموم» ، (Leposita supra nicolai antidotarium) ، وكتاب «بيير دابانو» (Pierre dAbano) بعنـوان «الأدويـة المـضادة للـسموم» ، (De venenorum remediis) . وقـد نـشر في رومـا سـنة (٨٨٠هـ/١٤٧٥م) وغيرها[3] .

أمَّا أهم كتاب صيدلاني بالمعنى الحديث فهو مجموع المطولات اللاتينية المتـأثرة بالعربيـــة تـــأثيراً جليـــاً وعنوانـــه «ملخـــص في العطـــارة» (compendium

(١) السامرائي : أضواء عربية ، ٣١-٣٢ .
(٢) نفس المرجع ، ٣٢ .
(٣) نفسه ، ٣٣ .

aromatariorum) لمؤلف أطلق على اسمه «صلاح الدين داسكولو» (saladin d ascolo) في منتصف القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، وطبع في بولونا سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) وفي البندقية سنة (٩٦٧هـ/١٥٥٩م) .

وانطلاقاً من مثل هذا الكتاب ظهرت كتب «كودكس» الصيدلانية باللغات الشعبية الأوروبية ، مثل «الحاوي الجديد» المنشور في فرنسا سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) وهو لا يستند إلى الكتابات اللاتينية وحدها ، بل إلى الكتابات العربية أيضاً(١) .

ونتيجة تقدم الطب والصيدلة فقد ساعد ذلك على إنشاء البيمارستانات التي انتشرت في العالم الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وكانت بمثابة مدارس عالية للطب ، يتلقى فيها الطلاب علومهم ، وأصبحت مثالاً يحتذى في النظافة والعناية والترتيب ، كما أنها فتحت أبوابها للجميع على حد سواء ، مما كان له أثر عظيم على أوروبا حيث حرص الباباوات والملوك على إقامة مستشفيات على غرار البيمارستانات العربية ، كما أنهم أخذوا عن المسلمين فكرة إلحاق كليات الطب بالمستشفيات حتى تكون دراسة الطب عملية واقعية ، وأول من أدخل هذا النظام إلى الغرب روجر الثاني ، لاسيما بعد الحروب الصليبية(٢) .

وهكذا نجد أن العلوم الطبية الإسلامية أثرت في أوروبا عبر الترجمة ، فقرئت ودرست في جامعاتها ، وعمل بها إلى الوقت الحديث ، فكانت هي الأساس الذي نشأ عليه الطب الحديث . ويمكننا أن نذكر نماذج لعدد من العلماء الغربيين الذين تأثروا في مؤلفاتهم بالدراسات الطبية الإسلامية كالتالي :

بطرس الإسباني (ت٦٧٦هـ/١٢٧٧م) :

وله رسالتان ظلتا على شكل مخطوطتين أشار إليهما بانسيي (P.pansier) ، الأولى بعنوان : (Tractatus de Egritudinibus Oculorumex dictis sapiertium comptatis) ، وهي مجموعة منتخبات من ابن سينا والرازي وإسحاق بن سليمان .

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٣٣٣ ؛ السامرائي : أضواء عربية ، ٣٣ .

(٢) هونكة : شمس العرب ، ٢٣٤ ؛ حسين : في الطب والأقراباذين ، ٣٠١ .

والثانية بعنوان : (Tractctus de quibusdem deibus aria dicta oclorum concurrentibus) ، وهي الأخرى مستوحاة من ابن سينا وابن رشد وعلي بن العباس .

ولهذا المؤلف شروح على مجموعة من كتب الطب الإسلامي منها شرحه على كتاب تعاليم إسحاق بن سليمان العامة والخاصة ، وكتابه عن البول باسم :
(commentaria super libros dictorum universalium et praticutarium I saac et super librume de urinis ejusdem)

وقام أيضاً بشرح كتاب الحمى (de Febibus) لابن ماسويه ، والحميات لإسحاق بن سليمان[١] .

وهناك كتاب في الجراحة لهنري ماندفيل (Henri de mondeville) (ت حوالي ٧١٦هـ/١٣١٦م) له تأثير في تاريخ الجراحة ، وقد اقتبس أكثر من مرة من ابن سينا . وأشار نيكاز (Nicasies) إلى المؤلفين الذين ذكرهم في كتابه على النحو التالي :

ابن سينا : مائتين وسبع مرات ، وابن سرافيون مرة واحدة . وأبوالقاسم الزهراوي ثماني عشرة مرة ، وابن رشد سبع عشرة مرة ، وابن ماسويه ثلاث عشرة مرة ، وعلي بن العباس اثنتى عشرة مرة ، وموسى بن ميمون خمس مرات .

أما كتاب الترياق (Theriatique) لبرنارد غوردون (Bernard de gordon) ، القرن السابع والثامن الهجريين ، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، اقتبس هو الآخر من ابن زهر في مؤلفه هذا[٢] .

ولمؤلفات أرنالدوس فيلانوفانوس (ت حوالي٧١٣هـ/١٣١٣م) تأثر بالكتب الطبية الإسلامية ككتابه «كنز الفقراء» الذي ذكر فيه ابن سينا وإسحاق بن سليمان وقسطنطين الأفريقي . وفي الجزء الأخير من كتابه «في حفظ الصحة» (Regimen

---

(١) قاسم : انتقال الطب ، ١٦٤ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب ، ٢٩٩ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي ، ١٢٣٤/٣ .

(٢) قاسم : انتقال الطب ، ١٦٥ .

(sanitatis velde conservation sanitates) يعيد نسخ كتاب الطب لابن ماسويه (De cura Oculorum de grabadin) ، وكل برهان أورده في هذا الكتاب يستند فيه إلى الشيخ الرئيس ابن سينا ، ويستشهد في الوقت نفسه بالرازي .

ومع ترجمته لكتاب «الأدوية القلبية» لابن سينا ، وضع له شرحاً باسم «القلب البشري» ، وطبعه باسم (de viribus lordis) ، وله شروحات أخرى مخطوطة مثل شرح الفروق في الأوزان والمعايير من خلال ابن سرافيون وابن سينا وآخرين باسم Distinctio ponder et mensuraum secundum seapionem,Avilcennam et Alios [١]

أما موندينو دي لوزي (Mondino de luzzi) (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) والذي أطلق عليه مجدداً علم التشريح ، فقد درس في بولونيا ، واطلع على الكتب الطبية العربية المترجمة ، ثم ألف كتابه الشهير «الاناتوميا» (Anathomia) ، أي : التشريح ، الذي عد أول كتاب تشريحي مصور مفرد خاص بعلم التشريح ظهر في أوروبا . ويقول سنغر : «قرأ موندينو أعمال المشرحين العرب عن سعة ، وطبيعي أنه استعار منهم» ، ويشتمل كتابه على المعلومات الطبية المستقاة من المصادر العربية المترجمة كالقانون لابن سينا ، والتصريف للزهراوي وغيرها ، وكتابه هذا ظل الكتاب المدرسي المعتمد في دراسة علم التشريح في كليات الطب في أوروبا قرابة ثلاثمائة سنة[٢] .

وقد ذكر نيكاز أسماء المؤلفين الذين استقى منهم جي دي شولياك (ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) في كتابه عن الجراحة ، منهم : ابن سينا الذي أخذ عنه ستمائة وإحدى وستين مرة ، الزاهروي مائة وخمساً وسبعين مرة ، الرازي أخذ عنه مائة وإحدى وستين مرة ، علي بن العباس مائة وتسعاً وأربعين مرة ، ابن رشد تسعاً وعشرين مرة ، ابن زهر إحدى وعشرين مرة ، ابن رضوان خمس مرات ، إسحاق بن سليمان مرة واحدة ، بالرغم من أنه انتقد مؤلفات الطب الإسلامي في كتابه[٣] .

---

(١) نفس المرجع والصفحة ؛ فهد : أضواء عربية ، ٢٤ ؛ جاكار : تأثير الطب العربي ، ١٢٣٧/٣ .

(٢) شماني : فضل العرب ، ٢١٧-٢١٨ ؛ عنتابي : إسهام الأطباء العرب ، ٢٩٨ .

(٣) قاسم : انتقال الطب ، ١٦٦ ؛ (leclerc:histoire de la medecine arabe,٤٩٨)

أما يوحنا اليعقوبي (Jean Jacobi) (عاش في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) ، فقد ذكر كتاب المنصوري للرازي في كتابه رسائل في صناعة الطب ، كما أنه ترك مخطوطة باسم (Recepte super ٤ canonis Avicenne de Febribus) استعار فيه القسم الرابع من كتاب الحميات لابن سينا[١] .

وجيرارد دي سولو (Gerard de solo) (القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي) عدة شروح للكتب الطبية المترجمة عن العربية ، منها :

شرح للمقالة الرابعة للقانون في الطب لابن سينا بعنوان (commenatum super canoem Avencennae) ، وشرح المدخل لحنين (commenatum in ysagogen Johaniti) ، والمقالة التاسعة من كتاب المنصوري للرازي بعنوان (Practica super nono Almnsoris)[٢] .

وبعد بضع سنين أي في القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وضع يوحنا دي تورنمير (Jean de Tournemire) رسالتين طبعتا أكثر من مرة شرح في الأولى المقالة التاسعة لكتاب المنصوري إضافة لنص الرازي نفسه ، اسمها :(clarificatorium super nono Almnsoris cum texto Ipsius Rhasis) ، والثانية عبارة عن مختصر لكتاب (إيساغوجي) المدخل ، كمقدمة لصناعة الطب باسم (Intraductorium ad practicam medicine Isgogicus libellus)[٣] .

وعندما ألَّف بيكالاردوس (٨٧٨هـ/١٤٧٣م) أول كتاب له في طب الأطفال في أوروبا اعتمد فيه اعتماداً كلياً على رسالة الرازي (تدبير الصبيان) ، وقد ألف ويتلو البولندي كتاب البصريات بعد اطلاعه على الترجمة اللاتينية لكتاب ابن الهيثم في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، والذي نشر في نورمبرج مرتين (٩٤٢هـ/١٥٣٥م) و(٩٥٨هـ/١٥٥١م) ، وتبين من مقارنة نص الكتابين أن

---

(١) قاسم : انتقال الطب ، ١٦٧ .
(٢) نفسه المرجع والصفحة .
(٣) نفسه .

فيتيليو سار في كتابه على نهج ابن الهيثم ، ونقل ألفاظه في كثير من المواضع[١] .

ومن بين الذين تأثروا بالطب الإسلامي في مؤلفاتهم «جاكوبوس برتيبوس» ، (Jacobus de partibus) (ت٨٦٣هـ/١٤٥٨م) ، الذي درس بمونبلييه ثم باريس ، وولي رئاسة الديوان لكنيسة باريس ، وكان الطبيب الأول التابع للملك شارل السابع ، وقد قضى إحدى وعشرين سنة في شرح قانون ابن سينا ، ولم ينشر هذا الشرح إلا سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٨م) بليون في أربع مجلدات ، ثم في البندقية سنة (٩٢٤هـ/١٥١٨م) ، و(٩٨٤هـ/١٥٧٦م) ، وله كتاب مرتب على حروف المعجم في الأدوية المركبة اقتبسه من كتب ماسويه نشر سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، وله كتاب آخر في الأدوية نشر بليون سنة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م)[٢] .

والأوصاف التي أطلقها هذا المؤلف على عدد من أطباء المسلمين تميل إلى تمييز إسهامهم العلمي في هذا المجال . فالرازي هو المختبر الأرفع والطبيب الأكبر والأكثر خبرة بعد أبقراط وجالينوس ، أما ابن ماسويه فقد سمَّاه «خبيرنا» ، و«مبشرنا» «الأعلم من الجميع في وصف الأدوية بوضوح»[٣] .

أما في علم الكيمياء فقد استفاد الأوروبيون من نظريات علماء المسلمين وخبراتهم وتجاربهم الكيميائية ، فقاموا بترجمة كتب الكيمياء العربية إلى اللاتينية ؛ ذلك أن المسلمين هم أول من وضع الأسس العلمية للكيمياء المبنية على التجارب ، وكان لجابر بن حيَّان اليد الطولى في نشأة علم الكيمياء ، وهو الذي نظم كثيراً من طرق البحث والتحليل ، وركب عدداً من المواد الكيماوية ، وكانت أبحاثه هي المراجع الأولى في أوروبا حتى القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي[٤] .

ويشهد على ذلك التأثير ما قاله مايرهوف : «إن تأثير جابر بن حيان قد طبع تاريخ الكيمياء الأوروبية في العصور الوسطى وحتى العصر الحديث بطابع يمكن

---

(١) نفسه ، ١٦٦ .

(٢) سويسي : انتقال العلوم ، ١٠٧-١٠٨ .

(٣) جاكار : تأثير الطب العربي ، ١٢٤٢/٣ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ٣٢٥ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٥/٢ .

تتبعه ، فقد كان اسم جابر بن حيان أحداً من أوائل الأسماء التي مجدها الغرب منذ أوائل عهده بالاتصال بعلوم العرب ، فكانت كتبه تترجم إلى اللاتينية فور الحصول عليها ، وكان كتابه «التراكيب» من أول الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية ؛ إذ ترجمه روبرت الشستري في سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ، وترجم جيرارد الكريموني كتاب السبعين»[١] .

أما أهم كتبه فكتاب عرف في اللاتينية باسم (summa perfectionio) ، وأصله العربي مفقود ، غير أن هولميار حقق أنه مأخوذ عن كتاب جابر المسمى «الخالص» ، واستمر تأثير جابر عصراً طويلاً ؛ إذ تأثر به وتتلمذ عليه جميع الأوروبيين الذين درسوا علم الكيمياء في القرون الوسطى الأوروبية ، واستمر أثره إلى عصر لافوازييه ، وكافندش في القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي[٢] .

وقد نقل ألبرت الكبير (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) تعاليم جابر الكيماوية وتعاليم غيره من كيميائيي المسلمين في كتابه (De mineralibus) ، ومما لا شك فيه أن ألبرت لم يبتكر شيئاً بإجماع الباحثين[٣] ، وظهر تأثير جابر بوضوح في موسوعة فانسان أوف بيوفي (ت٦٦٣هـ/١٢٦٤م) يقول مايرهوف : «إن المقالات المنسوبة إلى دي بوفي مليئة بشواهد عن جابر»[٤] ، ولا أحد ينكر مدى أهمية هذه الموسوعة لدى الغرب .

ثم إن تأثير جابر استمر بعد القرون الوسطى ، فقد ترجم ريتشارد رسل الإنجليزي بعض أعمال جابر بن حيان من اللاتينية إلى الإنجليزية سنة (١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) تحت عنوان : «أعمال جابر أشهر الأمراء والفلاسفة العرب ، مترجمة بأمانة بواسطة ريتشارد رسل من محبي الكيمياء»[٥] .

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٣٢٥ .

(٢) مظهر : حضارة الإسلام ، ٢٨٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفسه .

(٥) مظهر : حضارة الإسلام ، ٢٨٣ .

ومن الأعمال الكيميائية الهامة التي خلفها أبوبكر الرازي أنه أول من أشار إلى أنه يمكن وجود الملح والكبريت والزئبق في جميع الأشياء ، تلك النظرية التي طورها فيما بعد بارسلسوس (ت٩٤٨هـ/١٥٤١م)[١] . أما كتاب الشفاء لابن سينا فقد ترجم إلى اللاتينية أيضاً ، وأصبح تأثيره عظيماً ، حتى لقد استشهد بالأفكار التي وردت به كتّاب الغرب اللاتين الذين كتبوا في الكيمياء إبان القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي وما بعده[٢] .

كذلك يرجع الفضل إلى علماء المسلمين في التوصل إلى ما يعرف باسم الكيمياء الصناعية ، أي استخدام المواد والعمليات الكيميائية في خدمة الصناعة ، ومن ذلك أن المسلمين استخدموا خبراتهم الكيميائية في صناعة الأقمشة ، ودبغ الجلود ، وصناعة المعادن وتركيبها وصقلها وتكفيت معدن بآخر ، هذا فضلاً عن تجهيز العطور وتركيبها[٣] .

ويرتبط بتقدم المسلمين في علم الكيمياء توصلهم إلى استغلال القوة الناجمة عن انفجار البارود ، وبينما أثبت العلماء أن الصينيين هم أول من اكتشف ملح البارود (نترات البوتاسيوم) ، واستخدموه في النار الصناعية ، فالمسلمون هم الذين استخدموا قوة البارود الدامغة ، وهم بذلك أول من اخترع الأسلحة النارية ، وقد ذكرت صناعة البارود في المصادر الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، أي قبل روجر بيكون الذي تنسب إليه هذه الصناعة بثلاثة قرون ، وتتلخص هذه الطريقة في أن تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ، ودرهمان من الفحم ، ونصف درهم من الكبريت ، وتسحق جميعها حتى تصبح كالغبار ، ويملأ منها ثلث المدفع فقط خوفاً من انفجاره ، وتدك فيه بعد أن يضاف إليها إما بندق وإما نبل ، ثم تشمل الذخيرة ، وفي الكتاب الذي ألفه حسن الرماح في الربع الأخير من القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، نجد معلومات كثيرة عن

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٦/٢ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٢٨٦ .

(٢) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٦/٢ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٣٩ .

(٣) عاشور : دراسات في تاريخ الحضارة ، ١١٨ .

الأسلحة النارية وملح البارود ، وفي هذا الكتاب أيضاً توجد أول إشارة إلى القنبلة أو الطوربيد ، فيقول عنها أنها : «بيضة تخرج وتحرق» ، كذلك يفهم من بعض كتابات المسلمين الأخرى أنهم استعملوا المدافع النارية منذ أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون في وصف استيلاء السلطان أبي يوسف على سجلماسة سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) ؛ إذ نصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ، ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود ، بقوة غريبة ترد الأفعال إلى قوة باريها[١] .

وسرعان ما تعلم الأوروبيون هذه الاكتشافات الإسلامية الجديدة ، وأثرت في نهضتهم في إتمام كثير من المشروعات العمرانية الجبارة كشق الطرق والممرات بين الجبال وتفتيت الصخور وغير ذلك ، والأعمال الحربية حيث استعمل الإنجليز البارود في معركة كريسي (Crecy)[٢] ضد الفرنسيين (٧٤٧هـ/١٣٤٦م) بعد أن استعمله المسلمون في الأندلس بأربع سنوات[٣] .

ويتضح فضل المسلمين في علم الكيمياء أكثر ، من الأسماء العربية التي اقتبستها اللغات الأوروبية في ذلك العلم ، فالكيمياء في الفرنسية (Alchimie) ، وبالإنجليزية (chemistry) ، والكحول أصبحت (Alcool) بالفرنسية ، و(Alcohol)بالإنجليزية ، والقلويات أصبحت (Alcail) ، والأمبيق (Alambic) وغيرها كثير[٤] .

ولا ننسى أن نذكر أن المسلمين قد أثروا بأبحاثهم في مجال الزراعة والنبات على أوروبا ، ويتناول هذا الميدان الفلاحة ، ثم النباتات الطبية ، ومن أشهر

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٤٧-٥٠ ؛ يعقوب : أثر الشرق في الغرب ، ٣٢-٣٣ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٧/٢ .

(٢) معركة كريسي : أول معركة مهمة في حرب المائة عام الأوروبية ، وقعت بموقع مدينة كريسي الحالية في مقاطعة سومي الفرنسية ، وقد هزمت القوات الإنجليزية قوات الجيش الفرنسي الكبير . الموسوعة العربية العالمية ، ٢٤٩/١٩ .

(٣) هونكة : شمس العرب ، ٥١ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٨/٢ .

(٤) هونكة : شمس العرب ، ٣٢٧ ؛ عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥١٦/٢ .

المؤلفات في الفلاحة التي أثرت في أوروبا عبر ترجمتها كتاب «مجموع الفلاحة» ، لابن وافد (ت٤٦٦هـ/١٠٧٤م) ، الذي حظي بشهرة وذيوع بعد ترجماته المتعددة ، وكان له تأثير في أعظم عمل في الزراعة بعصر النهضة ، وهو «الزراعة العامة» (Agricultura General) لغابرييل ألونسو دي هبريرا[١] .

هذا بالإضافة إلى مؤلفات ابن حجاج الإشبيلي (ت ق٥هـ/١١م/) وكتابه «المقنع» ، وابن بصال في كتابه «الفلاحة» ، وما ألفه الطغنري في الفلاحة أيضاً ، وفي هذه الكتب تحدثوا عن صنعة فلاحة الأرض ، وكيفية العمل في الزراعة والغراسة ، واهتموا اهتماماً خاصاً بأشجار الفاكهة ، فبينوا أنواع الغرس ، وطريقة الحفر استعداداً للغرس ، ومواعيده[٢] .

وقد ذكر ابن بصال في كتابه «الفلاحة» بكل إسهاب وتفصيل منهجاً أصيلاً لتصنيف النباتات ، يتناول في معرضه شتى أصناف الأشجار التي تنمو في الأقاليم السبعة التي تقسم بموجبها نوعيات التربة ، ذاكراً الأشجار المائية والزيتية والحليبية والصمغية ، وذهب بعض الباحثين إلى أن هذا المنهج الذي طوره لاحقاً أحد تلامذة ابن بصال المجهول الهوية ، صاحب كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النبات لكل لبيب) ، قد شكل السابقة لمنهج التصنيف الذي جاء به كوفييه (cuvier)(ت١٢٤٨هـ/١٨٣٢م)[٣] بعد مضي عدة قرون ، ففي عمدة الطبيب يطبق المنهج التصنيفي للنباتات بموجب الجنس والنوع والصنف لكل منها[٤] .

أما في مجال النباتات خصوصاً الطبية ، فكانت مؤلفات ابن سينا وابن البيطار والغافقي ذات تأثير كبير في أوروبا أيضاً ، وقد شهد عدد من علماء الغرب بعلو كعب ابن البيطار في مجال النبات وقوة تأثيره ، يقول مايرهوف : «إنه أعظم كتاب

---

(١) سانشيز : الزراعة في إسبانيا ، ٢/١٣٧٢ .

(٢) البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف ، ٥٥٩ .

(٣) كوفييه : البارون الفرنسي ، عالم بالتاريخ الطبيعي ، وتفوق في علم التشريح المقارن ، وهو فرع من علم الحيوان ، الموسوعة العربية العالمية ، ٢٠/٢٣٠ .

(٤) سانشيز : الزراعة في إسبانيا ، ٢/١٣٧٥ .

عربي خلد في علم النبات» ، ويعترف سارتون بقيمة كتابه الجامع قائلاً : «إنه خير ما ألف في هذا الموضوع في القرون الوسطى ، بل إنه الأضخم نتاجاً من نوعه منذ ديسقوريس حتى منتصف القرن السادس عشر»[١] .

وهكذا نجد أن لكتب المسلمين في الفلاحة والنبات أثراً هائلاً في تقدم الزراعة في أوروبا ، فضلاً عن انتقال معارفهم الزراعية والنباتية بطرق الاتصال المباشر بين الفلاحين في الأندلس مع نظرائهم في فرنسا ، ومن ثم إلى كل أوروبا ، ولا تزال العربية باقية إلى يومنا في لغة الفلاحين الصميمة ، وبخاصة مفردات بعض المصطلحات التقنية الزراعية ، وتظهر مرة أخرى في المقاييس والموازين الريفية أيضاً ، سواء ما اتصل منها بقياس الأرض ومساحتها ، أو أوزان المحاصيل وقدرها ، وفيما يتعلق بالري ما زالت الأراضي في شرقي إسبانيا تحرث على ما كان عليه الأمر أيام المسلمين[٢] .

حتى في تنسيق الحدائق كان تأثر الأوروبيين بالمسلمين ، فابن وافد كان أول من أنشأ في إشبيلية -على غرار ما كان في طليطلة- الحدائق التجريبية الأولى في الغرب . وما تحتويه من معاجم النبات من المفردات العربية أكبر دليل على ذلك . فأغلب أسماء الفاكهة والزهور تشهد بهذا التأثير ، مثل : البرقوق الذي دخل الإسبانية في صورة (albaricoque) ، وفي الفرنسية (abricot) ، والياسمين (jazmin) ، والقطن (algodon) ، والزعفران (azafran) وغيرها[٣] .

ولا ريب في أن إدخال هذه المنتجات إلى أوروبا قد ترك آثاراً في طراز الحياة ونمو الأنشطة الزراعية والتجارية ، وولدت في أوروبا نزعة ترمي إلى تذوق الطهي الأجنبي ولا سيما في أعقاب الحملات الصليبية .وترجم قسطنطين الأفريقي كتاب الأغذية للإسرائيلي إلى اللاتينية ، كما ترجم منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان لابن جزلة ، إبان القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وأدخل إلى فرنسا قبل

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) بروفنسال : الحضارة العربية ، ١١٥ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

نهاية القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي[١] .

وإلى جانب الترجمات عن العربية وضعت مؤلفات أصيلة تظهر فيها ملامح التأثير الإسلامي ، وهي تتحدث عن إعداد أطعمة «سارازين» الحنطة السوداء ، ومرق السارازين ، وهناك أطباق معروفة منذ القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، مثل الطبق الرماني ، وهو دجاج بالرمان ، والسماقية ، وهو دجاج ، والليمونية ، وهو طبق لحم بمرق الليمون ، وكلها بلا ريب من أصل إسلامي . وفي القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ظهرت البطارخ والكافيار والكسكسي وغيرها[٢] .

أمَّا عن علم الحيوان وتأثيره في الغرب فنجد أن مؤلفات المسلمين الطبية والأدبية وغيرها تناولت الحديث عن الحيوانات والطيور والمائيات بأنواعها وأشكالها المختلفة ، وأقاليمها والنافع والضار منها ، وما إلى ذلك ، وتطرق كثير من أطباء المسلمين إلى مجال الطب البيطري ؛ حيث قاموا بتشريح الحيوانات ، ومراقبتها لمعرفة الأمراض التي تعتريها ، وقدموا وصفاً شيقاً لأجسامها وما تحويه من عظام وغضاريف وما إلى ذلك[٣] .

ومن هؤلاء العلماء ابن سينا (ت٤٢٨هـ/١٠٣٦م) الذي تناول في أحد أجزاء كتابه الشفاء لدراسة الحيوان ، فأورد نماذج رائعة لوصف أنواع مختلفة من الحيوان والطيور ، والمائيات والبرمائيات ، وتكلم عن العظام والغضاريف والشرايين والأوردة والأغشية والرباطات ، وأسهب في التشريح المقارن بين الحيوانات المختلفة والطيور والأسماك ، ثم الأجهزة العضلية الهضمية والدورية والتناسلية والنفسية وغيرها .

وكذلك عني بعض العشابين كابن البيطار بوصف أنواع الحيوانات التي تستخلص منها العقاقير العلاجية ، كما وصف البغدادي كثيراً من حيوانات مصر من سمك وطير وسلحفاة وفرس نهر .

---

(١) فهد : صورة أولى عن روافد العلوم ، ٤١-٤٢ .

(٢) نفس المرجع ، ٤٢ .

(٣) أبوالحب : علم الحيوان عند العرب ، ٩٩ .

وكذلك عالج الدميري موضوع حياة الحيوان بالطريقة التي جرى عليها العلماء المسلمون من حيث ترتيب أسمائها حسب حروف الهجاء ، مبتدئاً بحرف الألف فيذكر اسم الحيوان وأسماءه الأخرى في اللغة العربية ، معقباً بوصف طباعه وهيئته ، ثم مؤيداً حديثه بما ورد من أحاديث شريفة أو أشعار ، ويلاحظ أن الدميري كثيراً ما يستشهد بآراء من سبقوه من علماء المسلمين أمثال الجاحظ وابن سيده والقزويني ، كما يستشهد بآراء أرسطو ، ويعنى بذكر الشواهد الأدبية والأحكام الشرعية ، وغالباً ما يذكر بعض الفوائد الطبية .

وكل هذه المصادر عن علم الحيوان كان لها أبعد التأثير في أوروبا منذ وقت مبكر ؛ حيث يعزى إلى فردريك الثاني تأليف كتاب في تربية الصقور ، أخذ معلوماته من مصادر عربية عن هذا العلم ، كما أن سلفستردي ساسي(ت١٢٥٣هـ/١٨٣٨م) ضمن كتاب له نشر سنة (١٢٠٢هـ/١٧٨٧م) بعنوان (oppianos II las chasce strass-burg١٧٨٧) ولا بد أن أوروبا استفادت أيضاً في كل ما يخص الرفق بالحيوان وحسن معاملته من المسلمين في هذا المجال ، يقول لوبون : «والحق أن الشرق جنة الحيوانات ، وفي الشرق تراعى الكلاب والهررة والطيور» ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن أهل أوروبا تأثروا بالمسلمين في هذه الصفة ، وتعلموا الرفق بالحيوانات ، ولم يكتفوا بذلك بل أنشأوا جمعيات لتوعية عامة الناس تجاه الحيوانات[1] .

وفي نهاية حديثنا عن أثر الترجمة في العلوم التطبيقية والطبيعية لا بد أن نذكر أن المنهج الذي اتبعه علماء المسلمين في دراسة هذه العلوم وتدريسها والتأليف فيها قد نفع أوروبا وعملت به ، فبواسطة المؤلفات المنقولة من العربية في العلوم التطبيقية والطبيعية والتي ضمت بين طياتها المنهج العلمي لهذه العلوم استطاع الغرب أن يطلع عليه عن كثب ويعمل به .

وكانت الفكرة الشائعة أن المناهج العلمية للعلوم قد دخلت إلى العالم الإسلامي

---

(١) أحمد عبدالرحيم السايح : أضواء على الحضارة الإسلامية ، ط١ ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، ١٤٨-١٥٠ .

عن طريق مؤلفات الأقدمين ، وذهب مؤرخو العلم الإنساني إلى أن المسلمين تناولوا هذه العلوم بالأخذ أو بالتعديل أو بالنقد ، وإذا كان مؤرخو العلم من الأوروبيين أنكروا فضل المسلمين العلمي ، فإنهم لم يستطيعوا على الإطلاق إنكار فضلهم في مناهج العلوم ، لكن على أساس أنه نتيجة لعلوم اليونان خاصة ، ونحن نعلم أن أفكار الحسن بن الهيثم عاشت في أوروبا إلى زمان ليس ببعيد عنا ، كما نعلم أن أبحاث الخوارزمي الرياضية وتناوله للهندسة والحساب بقيت زمناً طويلاً يتناولها علماء أوروبا ، كما نعلم أن كتاب ابن سينا الطبي القانون بقي المرجع الأساسي لكليات الطب في أوروبا حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي[1] .

ولكن ينبغي أن نلاحظ أن السبب الأساسي في تطور العلم عند المسلمين أنهم قابلوه بروح جديدة في البحث كانت هي السبب الهام في تطوره ، ودفعه دفعة قوية إلى الأمام ، ولولا هذه الدفعة لما عاش ، ولما اعترف به مؤرخو العلم الأوروبيون أدنى اعتراف ، هذه الروح أتت استجابة لتعاليم الإسلام بطلب العلم والسعي للاكتشاف والبحث في الأرض والكون ، وقبل كل هذا نجد أن هذه المناهج العلمية الإسلامية انبعثت من عقول ونفوس تحررت من سلطان الشرك ، وخضعت لشريعة الله تعالى ، وجعل كلمته هي العليا ، جنباً إلى جنب مع تحصيل العلوم والمعارف وتعمير الأرض[2] .

ونتيجة لذلك كله فقد كان بيد علماء المسلمين المنهج الاستقرائي الذي اكتشفوه على يد علماء الشريعة -كما أسلفنا- لاسيما أصول الفقه والحديث ، ومن ثم انتقل هذا المنهج إلى دوائر العلماء في بقية العلوم فأخذوه وعملوا به ، وعندما انتقلت علوم الأقدمين في الطبيعة والتجربة إلى العالم الإسلامي كانت تحوي نوعاً من هذا المنهج التجريبي ، لاسيما الشكاك التجريبيين وبخاصة مدرسة الأطباء منهم ، طبقوه إلى حدٍّ ما ، ولكن هؤلاء الشكاك لم ينجحوا نجاحاً يذكر في العالم اليوناني ، فمؤلفات جالينوس التي نقلت إلى العالم الإسلامي واستفاد منا المسلمون

---

(١) النشار : مناهج البحث ، ٣٣١ .

(٢) نفس المرجع ، ٣٣١ ، حلمي : مناهج البحث ، ٦٣ .

إنما يعود إلى تطبيقه لهذا المنهج ، ولكن رغم هذا لم يندفع جالينوس في هـذا الطريـق اندفاعاً كاملاً ؛ حيث كان منطق أرسطو يعوقه إلى حدٍّ كبـير ، وكثـير مـن أبحـاث الأطباء اليونان التي ترجمت إلى العربية كانت تقوم على التجربة ، ولكن لم تكن هذه التجربة كاملة ، وذات أصول ، وطرق تحقيق ، وقس على ذلك بقية العلـوم الآتيـة من الحضارات الأخرى[١] .

وعليه فكان علماء المسلمين أمام علم آت مـن الخـارج ، تـشوبه التجربـة مـع الخرافات والفلسفات القديمة ، في مقابل منهج تجريبي نشأ في بيئة إسلامية خالصة استطاع أن ينقح هذه العلوم الوافدة ، ويصحح نظرياتها ، ويبتكـر ويؤلـف عليهـا وفقاً لهذا المنهج الإسلامي ، مما أدى إلى ظهـور حـضارة إسـلامية جديـدة لم يـسبق إليها[٢] .

ولدينا نماذج كثيرة لعلماء المسلمين الـذين اعتمـدوا الأسـلوب التجريبـي في مؤلفاتهم أمثال : جابر بن حيَّان (ت٢٠٠هـ/٨١٥م) الذي يعد مـن أقـدم العلـماء الذين وصلت إلينا أعمالـه العلميـة ذات المـنهج التجريبـي ، فـالفكرة الرئيـسية في مباحث مؤلفاته الكيميائية هي الاهـتمام بالتجربـة والحـث عـلى إجرائهـا مـع دقـة الملاحظة وترك العجلة وقال : «إن واجب المشتغل في الكيمياء هو العمـل وإجـراء التجربة وإن المعرفة لا تحصل إلا بها» ، وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية ألا يحاولوا عمل شيءٍ مستحيل أو عديم النفع ، وعليهم أن يعرفـوا الـسبب في إجـراء العملية وأن يفهموا التعليمات جيداً ؛ «لأن لكل صنعة أسـاليبها الفنيـة» عـلى حـدِّ قوله ، وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأني في استنباط النتائج[٣] .

وكان أمام جابر بن حيان طريقان : طريـق المنطـق الأرسطـطاليـسي : القيـاس والبرهان ، وطريق المتكلمين : وهو قيـاس الغائـب عـلى الـشاهد ، وكـان منهجـه التجريبي يحتم أن يأخذ بالطريق الثاني ، بل وأن يستخدم نفس التعبير فيقرر -وهـو

(١) النشار : مناهج البحث ، ٣٣٢ ؛ حلمي : مناهج البحث ، ٦١ .
(٢) النشار : مناهج البحث ، ٣٣٣ .
(٣) نفس المرجع ، ٣٣٦ .

بصدد البحث في كيفية الاستدلال والاستنباط - أن تعلق شيء بآخر إنما يكـون مـن الشاهد بالغائب على ثلاثة أوجه هي : المجانسة ، مجرى العادة ، الآثـار ، ولكنـه في دلالة المجانسة بالرغم من أنه يأخذها في إثبات قياس الشاهد على الغائـب ، إلا أنـه لا يوافق على يقينية هذا الطريق ، اللهم إلا إذا كان مستنداً على الكـم ، ومـا ذهـب إليه هنا هو نفسه ما أقره علماء أصول الفقه بأن قياس الغائب على الشاهد ذو دلالـة ظنية ، ولم يتنبه جابر إلى هذا ، ولو فعل لعرف أن علماء أصول الفقه يـذهبون تمامـاً إلى ما ذهب إليه هو[1] .

وبالرغم من كل ذلك فقد أخذت تجارب جابر العلمية عليه كل مأخذ ، فتابع في أبحاثه المنهج التجريبي وتبين له كثيرٌ من الحقائق ، وكان خطأه الوحيد أنـه وقـع في إسماعيلية غنوصية[2] ، ولكنها لم تتمكن من إطفاء عظمة المنهج لديه ، هذا المنهج الذي تأثر فيه بمتكلمي الإسلام من أهل السنة[3] .

وتتخذ التجربة صورة أخرى في منهج جابر العلمي غـير التجربـة المختبريـة ، والتي تظهر نتيجتها من خلال ما توصل إليه من سبق علمـي في نـواح الكيميـاء ، وهو ما جسده في كتابه «الـسموم ودفـع مـضارها» ؛ حيـث سـار جـابر في معالجـة موضوعاته على طريقة علمية لا تختلف في جوهرها عن الطريقة الحديثـة ، وضـمنه آراء جديدة بالنسبة لزمنه ، وتقسيمات لأنواع السموم وأدويتها وتأثيرها وأفعالها في أجسام الحيوانات ما لم يصل غيره إليه[4] .

وإذا كان شرط قيام العمل عند (أوبنهايمOppenheim) هو «أن تكون هنالـك

---

(١) نفس المرجع ، ٣٣٧ .

(٢) نفسه ، ٣٣٤ .

(٣) الغنوصية : حركة فلسفية ظهرت في أوروبا والشرق الأوسط ، وازدهرت بين القرنين الثاني والثـامن الميلاديين ، حيث تكونت لها فرق من النصارى وغيرهم ، ممن كانوا يعتقـدون معرفـة أسرار الطبيعـة والكون ، وأصل البشرية والقضاء والقدر . الموسوعة العربية العالمية ، ١٧/ ١٢٣ .

(٤) زيني بن طلال الحازمي : النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق الإسلامي ، من منتصق ق٣هـ/٨م إلى ٧هـ/١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، ١١٥ .

طريقة ينطوي تحتها شتات الواقع والمفردات المبعثرة هنا وهناك بغية تغيير ما قد يوجد بينهما من روابط أو علاقات تنظمها وقوانين» .

فإنه باستطاعتنا أن نتلمس هذا الأمر عن جابر بكل وضوح وبدون أية صعوبة ، وذلك من خلال منهجه التجريبي في بحوثه الكيماوية الذي يندرج في منهجين استقرائي (تجريبي) ، واستدلالي (استنباطي) ، وهو يشكل في النهاية الأسلوب العلمي بالمعنى الحديث[١] .

وقد تنبه زكي نجيب محمود إلى ما في فكر جابر بن حيان من أصالة تامة ، فقرر بأن هناك نقطتين تقر بأن جابراً من رجال المنهج العلمي في العصور الحديثة ، «أولاهما إشارته إلى ميل النفس البشرية إلى توقع تكرار الحادثة التي حدثت ، فكأنما الاستدلال الاستقرائي مبني على استعداد فطري في طبيعة الإنسان» ، ويقرر زكي نجيب محمود أننا نجد هذا المبدأ نفسه لدى جون استيوارت مل . أما ثانيتهما : «فهي كون درجة احتمال التوقع يزداد كلما زاد تكرار الحوادث» ، ويقرر أيضاً أنها نظرية حديثة لها تفصيلات كثيرة[٢] .

وإذا ما أتينا إلى النموذج الثاني من نماذج أخذ علماء المسلمين بالمنهج الاستقرائي فهو الحسن بن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، وقد كان من أكبر علماء الرياضيات والطبيعة ، وما زال لآرائه ونظرياته الرياضية والبصريات مكانها حتى الآن . ولقد أدرك ابن الهيثم الطريقة المثلى ، وقال بالأخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، وضرورة الاعتماد على المواقع الموجودة على المنوال المتبع في البحوث العلمية الحديثة[٣] .

ففي كتابه عن المناظر عند البحث -مثلاً- عن كيفية الإبصار واختلاف العلماء فيه يقول : «ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر في حالة الإبصار ، وما

---

(١) نفس المرجع ، ١١٦ .

(٢) النشار : مناهج البحث ، ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٣) ابن الهيثم : المناظر ، ٣٣ .

هو مطرد لا يتغير وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس ، ثم نترقى في البحث والمقاييس على التدريج والتدريب مع انتقاء المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج ، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق الذي به يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ، وتظهر مع النقد والتحفظ الحقيقةُ التي يزول معها الخلاف وتنحسم به موارد الشبهات»[١] . ويعلق مصطفى نظيف على هذا بأن ابن الهيثم جمع في هذا القول بين الاستقراء والقياس ، وقدم فيه الاستقراء على القياس ، وحدد فيه الشرط الأساسي في البحث العلمي الحديث ، وهو أن يكون غرض الباحث طلب الحقيقة بدون تأثر برأي أو عاطفة سابقة ، كما أنه بين أيضاً في براعة نادرة وفي إيجاز رائع أن الحقيقة العلمية غير ثابتة بل يعتريها التبديل والتغيير ؛ ولذلك يقرر بأنه يأمل أن يصل إليها وابن الهيثم في منهجه العلمي سبق فرنسيس بيكون (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٦م) البريطاني في طريقته الاستقرائية ، وفوق ذلك سما عليه وكان أوسع منه أفقاً وأعمق تفكيراً[٢] .

وكما استخدم ابن الهيثم الاستقراء فقد استخدم التمثيل في مواضع كثيرة من كتبه ، كما استخدم الاستنباط الرياضي ، وأما مصدره في منهجه أكان استقراءاً أم تمثيلاً ، فهو منهج المتكلمين والأصوليين الذي انتقل إليه وإلى غيره من علماء المسلمين[٣] .

وترجح الدراسات التي أجريت أخيراً أن روجر بيكون وكبلر قد أخذا بمبدإ الاستقراء والاعتماد على المشاهدة والتجربة من الحسن بن الهيثم ، وبعد هذا المنهج الاستقرائي التجريبي رسم الطريق أيضاً لمن جاء بعده من علماء آخرين كجاليلو نيوتن[٤] .

وتأثير منهج المسلمين العلمي لم يقتصر على مجموعة من علماء الغرب ، إنما

---

(١) نفس المصدر ، ٣٣-٣٤ .

(٢) ابن الهيثم : المناظر ، ٢٩-٣٣.

(٣) نفسه ، ٣٢٤ .

(٤) حلمي : مناهج البحث ، ٧٨ .

كان له أثر ملموس في علم المناهج العام ، نلاحظ ذلك من التقسيم الذي وضعه أندريه لالاند (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) مؤرخ المنهج التجريبي ، الذي قسم علم المناهج العام إلى المنهج الاستنباطي ، والمنهج الاستقرائي ، والمنهج التكويني أو الاستردادي والمنهج الجدلي .

فأما المنهج الاستقرائي فكان طريق الحضارة الأوروبية الحديثة ومبدعها ، سار عليه علماؤها ومفكروها فأنتجوا لنا الحياة الحديثة ، وقد توصل المسلمون قبل أوروبا بقرون طوال إلى كل عناصره . أما المنهج الاستنباطي فقد عرفوه أيضاً ، عرفوه باسم المنهج القياسي ، وهاجموه أشد الهجوم ، ورأوا أنه عقيم لا يصل إلى علم نافع[1] .

أما إذا انتقلنا إلى المنهج الثالث وهو الاستردادي فإننا نرى المسلمين قد أقاموه على أسس علمية دقيقة فيما يعرف بعلم مصطلح الحديث وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية ، وهي مذهب البحث التاريخي الحديث كما عرفه فلنج وسينيوبوس ولانجلو . وقد توصل المسلمون إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخي من نقد النصوص الداخلي والخارجي ، كما عرفوا طرق التحليل والتركيب التاريخية ، وفحص الوثائق ، ومنهج المقارنة والتقسيم والتصنيف ، كما أن دراسة طرق التحقيق التاريخي عند كثير من علماء الطبقات كابن خلدون سيوضح هذا توضيحاً أكيداً كما رأينا من قبل[2] .

وإذا انتقلنا إلى المنهج الرابع -وهو المنهج الجدلي- وجدنا أصوله أيضاً في كتب آداب البحث والمناظرة والجدل الإسلامية منهجاً كاملاً يشبه المنهج الجدلي الحديث ، كما يطبق في أعظم المجامع والأكاديميات العلمية .

وهكذا نرى أن علوم المسلمين اقتحمت حاجز الجهل في العالم الغربي لتغير مجرى التاريخ فيه بكل فروعها ومشاربها ، مخلفة نهضة حضارية حديثة نسبت إلى غير أهلها[3] .

---

(١) النشار : مناهج البحث ، ٣٤٨-٣٤٩ ؛ Haskins:Renaissan ce ot the ١٢the century,٣٠٢ .

(٢) نفس المرجع ، ٣٤٩ .

(٣) نفسه ، ٣٤٩ .

المبحث الخامس :
أثر الترجمة في التعليم والجامعات

لا مانع من تسليط بعض الأضواء على ناحية معينة مهمة من نواحي التأثير ، فيما يخص التعليم وإنشاء الجامعات الأوروبية ، وتأثر هذه الجامعات بالفكر الإسلامي وعلومه ، وقد أجمع كثير من المؤرخين والباحثين الغربيين فضلاً عن المسلمين على أن مؤسسة (الجامعة) هي من المبتكرات الخاصة للحضارة الإسلامية ، كما أن وجود الشبه بين الجامعات الإسلامية ومثيلاتها في أوروبا التي أنشئت بعدها لم يكن مجرد صدفة ، فضلاً عن أن معظم الكتب الجامعية التي كانت تدرس في جامعات أوروبا هي كتب مترجمة عن العربية في القرون الوسطى[١] .

فالمسلمون وحدهم إذن هم الذين صانوا العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان في أوروبا ، فلم يكن في العالم المعروف في ذلك الزمن بلاد يمكن الدراسة فيها غير الأندلس الإسلامية والمشرق الإسلامي ؛ حيث عرفت الجامعات والحياة الجامعية والنظم المرتبطة بها قبل الغرب بمئات السنين ، ومما يجدر ذكره أن المسلمين لم يستخدموا طوال العصور الإسلامية مصطلح الجامعة ، وإنما أطلقوا اسم المدارس على معاهد التعليم العالي ، وسواء أطلق على هذا النوع من المؤسسات اسم مدرسة أو جامعة ، أم تم التدريس في الجامع ، فإن العبرة ليست في الاسم ، وإنما بالمسمى ، فقد كانت فعلاً معاهد للتعليم العالي في أرقى صوره[٢] .

ومن أمثلة الجامعات الإسلامية الشهيرة الجامعة الأزهرية التي تأسست في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، والمدرسة النظامية التي أسسها في بغداد نظام الملك السلجوقي إبان القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي[٣] ، أما

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٥٢٩ .

(٢) سعيد عاشور : التعليم العالي في العصور الوسطى ، دراسة مقارنة بين العالمين الإسلامي والمسيحي ، ضمن كتاب «بحوث ودراسات في العصور الوسطى» ، بيروت ، دار الأحد ، ١٩٧٧م ، ٣٣٧ .

(٣) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٢/٥٢٦ ، الملا : أثر العلماء المسلمين ، ٥٣ .

قرطبة فقد اشتهرت بمسجدها الجامع الذي نال هو الآخر شهرة عريضة في جميع أنحاء أوروبا في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ؛ وذلك أنه كان بمثابة المدرسة أو الجامعة الوحيدة في كل أوروبا ، وفضلاً عن قرطبة زخرت حواضر الأندلس الأخرى لاسيما إشبيلية ، ومالقة ، وغرناطة ، وطليطلة ، وسرقسطة ، بمساجدها ومدارسها ، التي كان أساتذتها يختارون على أسس معينة ومؤهلات خاصة ، ولم تكن تضم بين مدرسيها إلا كبار علماء العصر ، وكان الطلبة يسعون إليها عندما يرغبون في تحصيل درجة عالية من العلوم ، وكانت أماكن العلم هذه تقوم بأنشطة متنوعة تشبه ما يقام من نشاط ثقافي أو مواسم ثقافية في بعض الجامعات العصرية ، وإلى هذه المؤسسات الثقافية الأندلسية كان يفد الطلبة من أوروبا للدراسة على أيدي العلماء المسلمين بعد أن شعروا بتخلفهم عنهم ، وحاجتهم إلى الاغتراف من هذا المعين الثر ، والنهل من هذا النبع الصافي ، فحملوا علومهم إلى بلادهم ، وبالتالي ظهرت آثارها في مختلف جوانب الحياة ، لاسيما بعد أن توجت حركة الترجمة هذا النشاط[١] .

ولا ننسى في هذا الصدد دور الإسبان الذين تأثروا بما كان لدى المسلمين من مؤسسات ثقافية ، فعملوا على تقليدهم وإنشاء ما يماثلها بعد سيطرتهم السياسية على أجزاء من شبه الجزيرة الإيبيرية ، كانت سابقاً ضمن الأندلس الإسلامية ، وقد سبقت الإشارة إلى قيام الملك ألفونسو العاشر بتأسيس مدرسة في مرسية ، وتسليم إدارتها إلى العالم المسلم أبي بكر الرقوطي الذي كان يدرس فيها مختلف العلوم ، ومن ثم أسس ألفونسو العاشر بعد ذلك معهداً للدراسات الشرقية في طليطلة سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) لتعليم العبرية والعربية ، وهدفه تدريس الإرساليات لتوجيهها إلى المسلمين واليهود[٢] .

كما أنشأ في عام (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) معهداً للدراسات اللاتينية والعربية في

---

(١) ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٣ .

(٢) وات : فضل الإسلام ، ٨٦ ؛ بروفنسال : الحضارة العربية ، ١٣٤ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٠ .

إشبيلية نال حماية البابا إسكندر الرابع ، وموافقته ببراءة خاصة موقعة في العام (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)[1] وقد انتقل هذا التقليد إلى الجامعات الأوروبية التي ابتدأت بتخصيص كرسي للغات الأجنبية في أوائل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، ولعل من أبرز الناشطين في الدعوة للدراسات العربية هو ريموند لول (٧١٥هـ/١٣١٥م) الذي استطاع أن يقنع الملك جيمس الأول ملك أراغون بإنشاء كلية للدراسات العربية في بالما عاصمة ميورقة سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م) كما طلب من مجلس فينا أن ينشئ مدارس للغات ، والآداب الشرقية تعد الناس للتبشير بين المسلمين واليهود ، واستجاب المجلس لرغبته ، وأنشأ سنة (٧١١هـ/١٣١١م) خمس مدارس من هذا النوع في روما ، وبولونيا ، وباريس ، وأكسفورد ، وسلمنقة ، كان فيها كراسي للغات العربية والعبرية والكلدانية[2] .

وكان الأوروبيون قبل ذلك يذهبون إلى إسبانيا حيث كانت العربية واللاتينية تعلمان جنباً إلى جنب ، ويقرأون العربية على أهلها .

وكانت مناطق جنوب فرنسا أكثر تأثراً من بقية أوروبا الغربية وأسرع في اكتساب الخبرة الإسلامية في مجال التعليم والمدارس ؛ وذلك بحكم مجاورته الشمال الإسباني لاسيما تولوز ومونبلييه ، فقد تأسست في المدينة الأخيرة مدرسة في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، واستمرت هذه المدرسة تؤدي دورها بجهود الأفراد والأساتذة المسلمين حتى أواخر القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، عندما رفعها البابا نيقولا الرابع في سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) إلى مرتبة جامعية وخصصها تقريباً للعلوم الطبية[3] .

وقد أشار البروفيسور دالماس أستاذ الأمراض النسائية بكلية الطب في أوائل

---

(١) بروفنسال : الحضارة العربية ، ١٣٤ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/٩٢ ؛ ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٣٤ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٣٤-٣٥ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠٥ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٢ .

(٣) ريسلر : الحضارة العربية ، ٢١٠ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٣٨ ؛ فراج : فضل علماء المسلمين ، ١٢٥ .

القرن الحالي في هذه الجامعة في محاضرة ألقاها عن (فضل العرب على جامعة مونبلييه) إلى جهود الأطباء من العرب واليهود في التدريس بهذه الجامعة ، وأن أسماء بعضهم ما تزال منقوشة على لوحة الأستاذية بمدخل كلية الطب ، وذكر في محاضرته أيضاً أن بعض الرهبان الذين ترقوا إلى درجة البابوية كانوا قد طلبوا العلم بجامعة مونبلييه على يد أساتذة من العرب ، الذين يعود لهم الفضل في تعريف الغرب بالمدنية اليونانية ، والكثير من العلوم والمعارف ، التي هي أساس العلوم الحديثة لاسيما الطب والنبات[1] . وقد تطورت هذه الجامعة في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، فأصبحت تعد أحد المراكز الثقافية المهمة في الغرب اللاتيني ، وضمت جميع ترجمات قسطنطين الأفريقي وجيرارد الكريموني وغيرهما ، وبدأت تظهر ثمارها في أشخاص علماء طبعوا عصرهم بطابع الثقافة العربية ، مثل أرنولد الفيلانوفي ، وهو من أشهر مستعربي القرون الوسطى[2] .

لقد أدى الكم الهائل من المعارف والمعلومات التي ترجمت عن العربية إلى توفر التراث اليوناني العربي في تراجم لاتينية جيدة أصبحت في متناول الأوروبيين في جنوب فرنسا وأوروبا الغربية ، واستعد هؤلاء نتيجة الصحوة والانتعاش الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي والسياسي الذي رافق بدء عصر النهضة الأوروبية لدرس هذا التراث وفهمه وشرحه وتدريسه والاستفادة منه ، وقد مهد هذا الأمر الطريق لتأسيس الجامعات ونمائها في القرنين السادس والسابع الهجريين ، الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين[3] .

ويشير المستشرق لويس يونغ ، إلى أن مؤسسة (الجامعة) هي من المبتكرات الخاصة للحضارة الإسلامية ، وأن الحقائق تدل على أن العصور الإسلامية هي التي

---

(١) ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٥-٢٢٦ .

(٢) نفسه ، ٢٢٦ .

(٣) ديورانت : قصة الحضارة ، ١٧/٢١ ؛ العقيقي : المستشرقون ، ١/١٠٥ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٦ .

مهدت لنشوء الجامعات في أوروبا[١] ، فتأسست في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، جامعة سالرنو ، وبولونيا في إيطاليا ، وجامعة مونبلييه ، وباريس في فرنسا ، وأوكسفورد ، وكمبردج في إنجلترا ، وأصبحت الطريقة النظامية في التعليم العالي أمراً ممكناً وضرورياً ، وظهر عدد من أساتذة الجامعات والعلماء الذين كان لهم أثر في إنهاض الفكر العلمي الأوروبي ، من أمثال روبرت جروستست (ت٦٥١هـ/١٢٥٣م) ، وألبرت ماجنوس (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م) ، وروجر بيكون (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)[٢] ، ولكن يبدو أن أحداً منهم لم يبتكر أو يضف شيئاً على العلوم التي نقلوها عن المسلمين قبل القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي .

ويمثل كلام غوستاف لوبون في هذا الصدد هذه الحقيقة أروع تمثيل ؛ حيث يقول : «لم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر من الميلاد عالم لم يقتصر على استنساخ ما في كتب العرب ، فعلى كتب العرب عوَّل روجر بيكون ، وليونارد البيزي ، وآرنولد الفيلانوفي ، وريمون لول ، وسان توما ، وألبرت الكبير ، والأذفونس العاشر القشتالي..الخ»[٣] . ولم تظهر العبقرية الأوروبية الخلاقة إلا في أواخر القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، وأوائل القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ؛ لتبدأ فعلاً في إضافة جديد على ما خلَّفه المسلمون من تراث في الجامعات التي انتشرت في جميع أنحاء غرب أوروبا[٤] .

فما هي الأنظمة التي نشأت عليها هذه الجامعات ، وما مدى علاقتها بالمؤسسات التعليمية الإسلامية في الأندلس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي؟ إن المتتبع لأنظمة هذه الجامعات وطريقة التدريس فيها يرى بوضوح مدى التشابه بينها وبين الجامعات الإسلامية ، الأمر الذي يشير إلى أنها أخذت الكثير عن الجامعات

---

(١) العرب وأوروبا ، ١٣٠-١٣١ .

(٢) مايرز : الفكر العربي ، ١١ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٧ .

(٣) حضارة العرب ، ٥٦٨ .

(٤) مدكور : في الفلسفة ، ٢/١٨٣ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٧ .

الإسلامية ، فإن طبيعة الدراسة المنظمة ، والعلاقة بين الأستاذ وتلميذه ، والهبات المالية التي عاشت عليها الجامعات ، وشتى نواحي الحياة الجامعية كانت بدون شك متشابهة إلى حد كبير ، فنظام المعيدين الذي عرفته الجامعات منذ العصور الوسطى -والذي ما زال قائماً حتى اليوم- كان المسلمون أول من وضعه وطبقوه في مدارسهم ، فكانوا يعينون معيداً لكل مدرس ليعيد على الطلبة ما ألقاه عليهم المدرس ليفهموه ويحسنوه ، كما يشرح لهم ما يحتاج إلى شرح[١] .

ويشير لويس يونغ إلى أن هذا الشبه لم يكن مجرد مصادفة وإن كان وثيقاً بين الجامعات الأوربية والثقافة الإسلامية ، وقد لعبت الجامعات الأوروبية حين ظهورها دوراً مماثلاً لمثيلاتها في العالم الإسلامي ، فكان الطلاب ينتظمون في مجالات بحسب جنسياتهم تسهيلاً لاستيعابهم في الجامعات ، فهناك أروقة مختلفة تبعاً للأقاليم التي ينتمي إليها الطلاب ، ويظهر هذا التقليد بشكل واضح في جامعات : بولونيا وباريس وأكسفورد[٢] ، وأوجه الشبه الأخرى بين الجامعات الإسلامية والأوروبية تمثل في التقليد الخاص بارتداء أردية معينة للأساتذة خلال المحاضرات ، أو لبعض الأعمال الإدارية ، وأن الرداء الجامعي كان عادة متبعة في أهم مراكز التعليم في البلاد الإسلامية قبل أن يصبح عادة في الجامعات الأوروبية[٣] .

وكان طلب العلم عند المسلمين هدفاً من الأهداف التي تشد من أجلها الرحال ، ونظام الرحلة من أجل الالتقاء بالشيوخ والأساتذة معروف في المؤسسات التعليمية الإسلامية ، وقد أخذ الأوروبيون هذا النظام ، وأصبح الرحيل من بلد لآخر للتتلمذ على يد أستاذ مشهور عادة متبعة بين المثقفين الأوروبيين ، ويتشابه نظام منح الإجازة الجامعية (Baccalareus) من حيث المفهوم العام بين الجامعات الإسلامية والأوروبية في العصور الوسطى ؛ ونظراً لأن المؤسسات الإسلامية كانت تمارس عملها في التعليم منذ وقت مبكر ؛ لأنها سبقت

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥٢٨/٢ .

(٢) العرب وأوروبا ، ١٣٠ .

(٣) نفس المرجع ، ١٣١ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٢٩ .

الجامعات الأوروبية في الزمن ، فكان كل أستاذ أو شيخ مسلم يمنح طلابه إجازاتهم الخاصة بينما ارتبط حق هذا المنح برئيس الجامعة وحده في الجامعات الأوروبية ، وفيما عدا ذلك فإن القيمة العلمية للإجازة واحدة في العالم الإسلامي وأوروبا ، فعلى سبيل المثال كان الأستاذ في عالم التربية (magister) بباريس في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي هو من يجيز له رئيس كاتدرائية نتردام أن يدرِّس ، وقد ارتقت جامعة باريس من مدرسة كنيسة المدينة ، ونالت وحدتها الأولى من هذا المصدر الوحيد ، أي مصدر الإجازة التعليمية ، وكانت هذه الإجازة تعطى عادة بالمجان لكل من قضى وقتاً كافياً تلميذاً لأستاذ مرخص ، بشرط أن يوافق هذا الأستاذ على طلبه ، وكان إدراك فن التدريس على هذا النحو ، أي الأستاذ المعلم ، والصبي المتعلم من الأصول التي قامت عليها جامعة باريس[١] .

ويرى بعض المستشرقين أن كلمة (Baccalareus) اللاتينية ، أي الإجازة العالمية ، ليست إلا تحريفاً للعبارة العربية (بحق الرواية) المستعملة في الوسط العلمي الإسلامي ، بمعنى حق التعليم بتخويل من الغير ، ويؤيد هذا اللفظ الأوروبي وروده لأول مرة في أغنية رولان الشهيرة ، الأمر الذي يرجح أن واضع الأغنية استعاره من مسلمي الأندلس ، وقد عثرت الأبحاث الحديثة على نسخ من الإجازات الجامعية الإسلامية تؤكد أن عبارة (بحق الرواية) استخدمت في هذه الوثائق ، ولا تزال جامعة كمبردج تحتفظ بإجازة جامعية عربية مبكرة تعود إلى سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، فيها العبارة المذكورة أي (بحق الرواية) بينما تظهر كلمة (Baccalareus) في الإجازات الأوروبية قبل سنة (٦٢٩هـ/١٢٣١م) ، أي بعد نحو قرن من الزمن ، وهكذا فإنه من المرجح أن تكون عبارة (بحق الرواية) قد استخدمها الباحثون النصارى في إسبانيا نقلاً عن مسلمي الأندلس ، وحرِّفت بالتالي إلى (Baccalareus) في اللاتينية ، أي إن حاملها قد أتم بنجاح مرحلة

---

(١) عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ٥٢٩/٢ .

جامعية[١] .

وعلى الرغم من حجم هذا التأثير الكبير والواضح في الأنظمة وأساليب التدريس ومنح الإجازة الجامعية ، فهو لا يمكن أن يقارن بالأمر الذي تركه تدفق العلوم والمعارف الإسلامية على الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، فقد أحدثت هذه المعارف ثورة في الفكر الأوروبي منذ القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وهي الثورة التي تمخضت عن مولد الجامعات الأوروبية نفسها ، كما أسلفنا ، فلا أحد ينكر الحقيقة الثابتة التي تشير إلى اعتماد هذه الجامعات خلال عدة قرون متتالية في مناهجها ومواد دراستها ، والكتب التي كان يدرس منها الأساتذة ويتعلم فيه الطلاب على الغذاء الفكري الذي قدمه لها المسلمون مترجماً عن العربية في القرون الوسطى ، وقد ظلت هذه الكتب العلمية المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا مدة خمسة قرون أو ستة[٢] .

ويمكن القول إن تأثير المسلمين في بعض العلوم كعلم الطب مثلاً دام إلى وقت متأخر جداً ، فقد شرحت كتب ابن سينا في جامعة مونبلييه ، كما يقول غوستاف لوبون في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، ولم ينقطع تفسيرها في هذه الجامعة إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي ، كذلك دُرِّس كتاب ابن سينا (القانون في الطب) في معظم مدارس الطب الأوروبية التي اعتمدت كتبه وكتب أبي بكر الرازي زمناً طويلاً ، فكانت على سبيل المثال أساساً للتدريس في جامعة لوفانا حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، كما ثُبِّت ذلك في برنامجها للعام (١٠٢٦هـ /١٦١٧م) وظهر من هذا البرنامج أن مؤلفات علماء اليونان الطبية لم تنل من الحظوة إلا قليلاً ، فقد اقتصر أمرها على بعض جوامع الكلم لأبقراط وبعض الخلاصات لجالينوس[٣] .

---

(١) يونغ : العرب وأوروبا ، ١٣٣ ؛ عاشور : التعليم العالي في العصور الوسطى ، ٣٥٣ .

(٢) عاشور : التعليم العالي في العصور الوسطى ، ٣٥٣-٣٥٤ .

(٣) لوبون : حضارة العرب ، ٥٦٩ ؛ قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٥٣ ؛ مظهر : حضارة الإسلام=

وكان كتاب الحاوي للرازي أحد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) ، وعندما أراد الملك لويس الحادي عشر (٨٨٨هـ/١٤٨٣م) استنساخه اضطر إلى دفع مبلغ كبير من الذهب والفضة مقابل استعارته[١] ، وقد ظل كتاب الرازي المعروف بـ«المنصوري» لاسيما الجزء التاسع منه متداولاً بأيدي طلاب الطب في أوروبا حتى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، باسم (nounus Aimansoris) . كما دُرِّس المجلد السابع من هذا الكتاب في جامعة بولونيا أيضاً ، وقد علقت مدرسة الطب بجامعة باريس في أروقتها صورتين ملونتين لكل من الرازي وابن سينا ، اللذين يعرفان في الغرب بـ(Razes) و(Avicenna) اعترافاً بفضلهما وعلمهما .

ولم يقتصر الأمر على كلية باريس الطبية بل إن معظم مدارس الطب المؤسسة في أوروبا استخدمت الكتب العربية المترجمة عن اللاتينية أساساً لتدريس الطب فيها ، لاسيما مدارس مونبلييه ، وبولونيا ، وبادوا ، وأورليان ، وأكسفورد ، وكمبردج ، وأنجيه[٢] .

واستخدم الأوروبيون معلوماتهم في الرياضيات من التراجم اللاتينية لعلماء المسلمين ، لاسيما كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي ، الذي اتخذ متناً تعليمياً أساسياً في الجامعات الأوروبية حتى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي[٣] .

كما نمَّت كتب جابر بن حيَّان المعروف عند الأوروبيين باسم (Gebir) في علم الكيمياء الطريقة التجريبية العلمية ، وهي أهم أدوات العقل الحديث ومفاخره .

ولما أعلن روجر بيكون هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها جابر بخمسمائة

=

٣٢٦ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٣١ .

(١) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٢ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٣٢ .

(٢) قاسم : انتقال الطب العربي ، ١٤٤ ؛ مظهر : حضارة الإسلام ، ٣٢٦ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الإسلام ، ٢٣٢ .

(٣) مظهر : حضارة الإسلام ، ٣٥٧ ؛ منتصر : تاريخ العلم ، ٢٨٣ ؛ الملا : أثر العلماء المسلمين ، ١٥٧ .

عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من مسلمي الأندلس عن طريق الترجمات اللاتينية لمؤلفاته ، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في المشرق . وروجر بيكون هذا درس اللغة العربية والعلم الإسلامي في جامعة أكسفورد على يد أساتذة تتلمذوا على علماء مسلمي الأندلس ، وليس لروجر بيكون كما يقول أحد المستشرقين ، ولا لسميِّه الذي جاء بعده فرنسيس بيكون الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ؛ إذ لم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا النصرانية[١] .

وكان روبرت جروستت أستاذ روجر بيكون أول رئيس لجامعة أكسفورد ، الذي عرف بأنه نور هذه الجامعة اللامع يطوف بأوروبا والأندلس سعياً وراء مؤلفات المسلمين في العلوم الرياضية والتجريبية ، وعندما انتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي أصبحت العلوم الطبيعية الإسلامية من أسس التدريس في أكسفورد ، التي أصبحت بفضل جروستت زعيمة المدارس في علم الطبيعيات الرياضي المناقض لعلم أرسطو الكيفي[٢] .

وبلغ تأثير العلوم المترجمة في جامعات أوروبا من الاتساع ما شمل الفلسفة أيضاً ، فكان ابن رشد الذي يعرف عند الغرب باسم (Averroes) الحجة البالغة للفلسفة في الجامعات الأوروبية منذ أوائل القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، لاسيما الجامعات الإيطالية ، مثل بادوا وبولونيا ، التي جنت ثمار المعرفة الفلسفية لابن رشد متحدية بذلك الكنيسة ، وفي فرنسا استحوذت فلسفة ابن رشد على حيز كبير من فكر بعض أساتذة جامعة باريس ، وانتشرت بين شبابها في منتصف القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي ، وظلت فلسفة ابن رشد والكثلكة المعادية لها تتخذان من جامعة باريس ميداناً لاقتتالهما جيلاً من الزمن ، وفي القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي أمر الملك لويس الحادي عشر في مرسومه الذي طبع سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) بتدريس مذهب أرسطو وشارحه ابن

---

(١) عاشور : التعليم العالي في العصور الوسطى ، ٣٥٤ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٣٣ .

(٢) ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٣٤ .

رشد في جامعة باريس ، وذلك إثر محاولته تنظيم أمور التعليم في فرنسا ، ولكن نفوذ علم المسلمين في جامعات إيطاليا كان أكبر[١] ، ويدل على سعة هذا النفوذ وازدياد تأثيره الاحتجاج الصاخب الذي نقله لنا غوستاف لوبون على لسان الشاعر الإيطالي بترارك (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) :

«يا عجباً استطاع سيسرون أن يكون خطيباً بعد ديموستين ، واستطاع فرجيل أن يكون شاعراً بعد أوميروس ، فهل قدر علينا ألا نكتب بعد العرب؟

لقد تساوينا في الغالب نحن والإغريق ، وجميع الشعوب وسبقناها في بعض الأحيان خلا العرب ، فيا للحماقة؟ وياللضلال ويالعبقرية إيطاليا الناعسة أو الخامدة؟»[٢] .



---

(١) مدكور : في الفلسفة الإسلامية ، ٢/١٨٣ ؛ ذنونه : دراسات في حضارة الأندلس ، ٢٣٥ .

(٢) حضارة العرب ، ٥٦٩ .

الفصل الثاني : نتائج الترجمة من العربية إلى اللاتينية

- المبحث الأول : نتائج الترجمة في مجال الدين والحكم .
- المبحث الثاني : نتائج الترجمة في مجال العلم والفكر .
- المبحث الثالث : نتائج الترجمة في مجال الاقتصاد .



إن النجاح الواسع الذي أحدثته العلوم المترجمة في أوروبا ، لم يعد شيئاً غريباً ، أو مجهولاً ، ولكن هل اقتصر هذا النجاح على مجال العلم والفكر؟ أم تعداه إلى مجالات أخرى كالسياسية والاقتصادية والدينية؟ وهل كانت نتائج الترجمة كلها ناجحة ومؤدية دوراً إيجابياً لأوروبا ، أم أن هناك نتائج أخرى أدت دوراً سلبياً في حضارة أوروبا الغربية؟ وهل اقتصرت هذه النتائج بكل أشكالها على العالم المنقول إليه –أي العالم الغربي- أم أن العالم الإسلامي صاحب هذه العلوم قد تأثر أيضاً بحركة الترجمة هذه ، فظهرت نتائجها على صعيده بفعل هذا التأثير .

هذا ما سنعالجه في هذا الفصل من خلال نتائج الترجمة في الدين والحكم ، والعلم والفكر ، ومن ثم الاقتصاد .



المبحث الأول :
نتائج الترجمة في مجال الدين والحكم

بعد أن تشربت عقول أبناء الغرب الأفكار القادمة من العلوم المترجمة من العربية ، بكل تخصصاتها ، وتوجهاتها ، أصبحت قادرة على هز الكيان الديني في أوروبا -الكنيسة-؛ ذلك أن تأثير هذه العلوم نتج عنه فكر جديد متحرر ، يسعى إلى نبذ العقائد التي كانت سبباً في التحكم فيه .

وقد سلك هذا الفكر الأوروبي الجديد طريقين أساسين :

١ - طريق يرى أن التراث العقلي اليوناني كفيل بتكوين الإنسان ، ومن هنا كان حرصهم على الرجوع إليه واهتمامهم بالعمل به ، وأطلقوا على الآداب القديمة «الإنسانيات» ، وتأكدت النزعة الإنسانية التي اتجهت إلى الإعلاء من شأن الفكر الإنساني ورد القيم إلى العقل لا إلى الدين ، والنفور من التقليد والجمود ، والتمرد على السلطة التي تقيد انطلاق العقل ، ومن ثم استقلال الفلسفة عن الدين وتوجيهها إلى معاداته ؛ إذ وجدوا في الكنيسة معوقاً لتقدم الفلسفة الجديدة .

٢ - أما الطريق الثاني فيتجلى في اهتمامه بالطبيعة الحافلة بالحقائق ، ونزوعه إلى ارتياد المجهول من آفاق العلم الطبيعي ؛ إذ انبعثت الدعوة إلى التجربة والاختبار ، واستجاب لها العلماء والفنانون ، وأنشئت الجمعيات العلمية صدى لهذه الدعوة ، ومضى العقل في محاولة اكتشاف الجديد في شتى صوره ، وأمعن في تحطيم القيم المعتمدة في عصره[1] .

وقد صاحب هذا التحرر العقلي انحلال خلقي ؛ حيث تلاشت قيود الآداب والنظام ، وانطلقت الشهوات من عقالها ، ومشى الفساد ، بعد فقد الأوروبيين الإيمان ، والتحرر من قيود الأخلاق والمثير للدهشة أن شارك رجال الدين في هذا

---

(١) أحمد علي عجيبة : أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ٧٢-٧٤ ؛ أمين الخولي : صلة الإسلام بإصلاح المسيحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م ، ٥٤ .

الفساد ، مما أدى إلى التهجم عليهم والتشهير بآثامهم وخاصة من رجال الإصلاح البروتستانتي[١] .

ونتيجة لهذه الحرية التي طالت كل محاولات الحياة في العالم الغربي ، فقد بنيت حضارة حديثة تكونت خارج الدين ، وفي أحيان كثيرة قامت على تحديه ، وعلى التناقض معه ، وهذا يعني أن نموها أو تطورها يتطلب دائماً الإبقاء على الحالة التمردية والانقلابية للثقافة على الدين ، والعمل على عزله عن التدخل أو التأثير في مسيرتها ، وبالتالي أدى ذلك إلى الهوة الواسعة بين الدين والعلمانية ، أي بين ما هو إلهي وما هو بشري ، بين ما هو مقدس وما هو دنيوي ؛ حيث الهيمنة دائماً وبالضرورة للدنيوي[٢] .

وهكذا نرى أن الحضارة الغربية الحديثة وصلت إلى أعلى درجة من الرقي والتقدم العلمي بفضل العلوم المترجمة ، إلا أنها قصرت عن الارتباط بالقيم والأخلاق في إطار السنن الإلهية ، ومن ثم لم تستطع أن تحقق السعادة الذاتية أو الاستقرار النفسي والهدوء الاجتماعي ، بل إنها أخفقت إخفاقاً جلياً في محاولتها تنظيم المجتمع الغربي وفق نظريات علمانية تجاهلت كل الجوانب الروحية والمعنوية بل كانت ساحقة لها[٣] .

يقو شارل رنسيه : «أي فائدة من الحضارة المادية ، إذا كان الفرد لا يعرف حق المعرفة ما هو واجبه الاجتماعي ، وواجبه السياسي ، وواجبه العائلي ، وما هي مسؤولياته حيال حكومته ووطنه وأسرته وإنسانيته جمعاء ، أي فائدة من الحضارة المادية بالغة ما بلغت من الرقي إن هي لم تقترن بعادات حميدة ، وأخلاق سامية ، وأمثلة روحية عليا»[٤] .

---

(١) أنور الجندي : الإسلام والحضارة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ٧٣ ؛ السايح : أضواء على الحضارة ، ١٩١ .

(٢) السماك : الاستغلال الديني ، ٩ ؛ عجيبة : أثر الكنيسة ، ١٠٢ .

(٣) السايح : أضواء على الحضارة ، ١٩١ .

(٤) الجندي : الإسلام والحضارة ، ٧٣ .

وبالرغم من أن الحضارة الغربية الحديثة وليدة الحضارة الإسلامية في العلم والفكر ، فإنها انحرفت في جانب الدين والأخلاق بسبب تنكرها للإسلام وحضارته ، والتماسها لنفسها انتماءً يونانياً رومانياً قديماً ؛ بسبب كتب الفلسفة المترجمة ، وما لبثت أن تنكرت لمآثر الإسلام عليها ، وادعت أن حضارته وجهٌ من وجوه الحضارة الرومانية ، وأنها ليست حضارة لها ذاتيتها الخاصة(١) .

وقد كان من جراء الترجمات المحرفة للقرآن الكريم ، وبعض كتب الشريعة الإسلامية ، والسيرة النبوية ، إضافة إلى ما تناقلته روايات الرحالة الغربيين والصليبيين ، وما رسمته الكنيسة من صورة مظلمة عن الدين ، أن ظهرت مؤلفات تطعن في الإسلام ، وتسعى إلى تشويهه ، فنظر أبناء الغرب إلى هذا الدين نظرتهم له في القرون الوسطى ، ولم تتغير هذه النظرة مع مرور الوقت حتى في أوج الصراعات المذهبية الغربية ؛ إذ وقفت كل فئة مدججة بسلاحها في وجه الأخرى ، ولكن العداء للإسلام كان عاماً فيها(٢) ، يقول لوبون : «تراكمت مبتسراتنا الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة ، وصارت جزءاً من مزاجنا ، وأضحت طبيعةً متأصلة فينا ضد المسلمين»(٣) .

وإذا كانت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، تمثل إحدى وسائل الحرب الفكرية ضد المسلمين ، بعد فشل الحروب الصليبية ، فإن من أهم نتائجها أنها أبدعت غزواً جديداً ضد الإسلام لم يكتف فيه النصارى بالسلاح وحده ، ولا بالفكر وحده إنما كان غزواً سياسياً فكرياً تمثل في الاستعمار(٤) ، والغزو الفكري(٥) ،

---

(١) نفس المرجع ، ٧٠ .

(٢) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام ، ١/ ٥١ ؛ السامرائي : الاستشراق ، ٦٧ ؛ أسد : الإسلام على مفترق الطرق ، ٦٠ .

(٣) حضارة العرب ، ٥٧٨ .

(٤) الاستعمار : إخضاع جماعة من الناس لحكم أجنبي ، ويسمى سكان البلاد : المستعمَرين ، وتسمى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال البلاد المستعمرة . الموسوعة العربية العالمية ، ١/ ٧١٨ .

(٥) الغزو الفكري : مصطلح أطلق على المخططات والأعمال الفكرية والتثقيفية والتربوية وسائر وسائل التأثير النفسي ، والخلقي ، التي تقوم بها المؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين=

على العالم الإسلامي ، بهدف اقتلاع عقيدة المسلمين من قلوبهم وصرفهم عن التمسك بها ، وإذا ما حصل هذا الأمر وهو تخلي المسلمين عن عقيدتهم ، ضعفت حضارتهم وتلاشت آثارها ؛ لأنها تكونت أساساً من الدين ، ونمت وتطورت بتناغم أساسي معه ، وهذا يعني أن فك الارتباط بين الدين والحضارة الإسلامية يجرد هذه الحضارة من هويتها ويقتلعها من جذورها الروحية[1] .

وهكذا نجد أن الاستعمار الغربي أتى مجدِّداً للنظريات اليونانية والرومانية التي كانت تدعو إلى استعباد الإنسان للإنسان ، وتقسيم الناس إلى طبقات ، إضافة إلى ما عملته الترجمات من إعطاء صورة واضحة ، وخلفية سياسية واجتماعية واقتصادية ، للعالم الإسلامي ، ومقدراته ، فسعت الدول الأوروبية إلى اقتسام بلدانه في خطة متزامنة مع الغزو الفكري بكل وسائله ، محاولة تقويض كيانه الديني ؛ لأن الدين في نظرها ارتداد عن المستقبل ، وتعتبر التمسك به حجر عثرة في وجه انتشار الحضارة وعولمتها[2] .

إلا أنَّ هذه المحاولات للحضارة الغربية في السيطرة على العالم الإسلامي لم تجد تجاوباً واضحاً أو تعليلاً صحيحاً ، وإن كانت قد استطاعت أن تسيطر على مقدرات المسلمين بالقوة المادية ، والاستعمار المباشر ، فإنها عجزت تماماً عن السيطرة في مجال الإيديولوجية ، وبالرغم من أن الدور الآثم الذي قامت به الحضارة الغربية في إعلاء شأن الإباحية والفساد وتجريد المجتمعات من الأخلاقيات فإن الإيديولوجيات الحديثة -التي يطلق عليها الأديان البديلة كالرأسمالية[3] ، والشيوعية[4] ، والقومية[1] ، وغيرها- عجزت أن تقدم النموذج =

بغية تحويل المسلمين عن دينهم . الميداني : أجنحة المكر الثلاث ، ٢٥ .

(١) قطب : واقعنا المعاصر ، ١٩٦ ؛ عبدالرزاق وورقية : أثر الاستشراق في تشكيل الصورة النمطية للإسلام عند الغرب ، مطبعة أنفو ، فاس ، ٢٠٠٦م ، ٢٣ .

(٢) الجندي : الإسلام والحضارة ، ٨١ ؛ السايح : أضواء على الحضارة ، ١٩١ .

(٣) الرأسمالية : هي النظام السياسي الاقتصادي القائم على الملكية الخاصة والربح الخاص . الموسوعة العربية العالمية ، ١١/٦٤ .

(٤) الشيوعية : مصطلح ذو مدلولات متعددة ، فقد يكون شكلاً لحكومة ، أو نظاماً اقتصادياً ، أو حركة =

الذي يحقق الطمأنينة النفسية والسلامة والأمن في المجتمعات الأوروبية نفسها ناهيك عن العالم الإسلامي بأسره(٢) .



=

ثورية ، أو طريقة حياة ، أو هدفاً أو مثلاً أعلى ، وهي مجموعة أفكار عن كيف ولماذا تحركت أحداث التاريخ وفي أي اتجاه جرت . نفس المرجع ، ١٤/ ٣١٨ .

(١) القومية : تعبير سياسي يعني شعور الناس بالانتماء جميعاً إلى امة واحدة . ويشمل هذا الشعور الإحساس بالولاء للأمة والاعتزاز بثقافتها وتاريخها ، وفي العديد من الحالات الرغبة في الاستغلال الوطني . نفس المرجع ،١٨/ ٤٢٦ .

(٢) الجندي : الإسلام والحضارة ، ٧٠ .

المبحث الثاني :
نتائج الترجمة في مجال العلم والفكر

إن أثمن هدية قدَّمتها الحضارة الإسلامية لأوروبا هي ما يخص جانب العلم والفكر ؛ ذلك لأن الذخيرة الحية والقاعدة العريضة التي انطلقت منها الحضارة الغربية في هذا المجال ترجع إلى جهود علماء المسلمين في شتى فروع العلم والمعرفة ، والتي وصلت إلى أوروبا عن طريق ترجمة هذه العلوم[1] .

بيد أن أوروبا عندما أخذت هذه العلوم وطبقتها في ميادين ومجالات حضارتها الحديثة المختلفة ، استفادت فائدة عظيمة ؛ إذ أحدثت فيها ثورة علمية لم تسبق إليها ، وأخذت تتقدم بسببها حتى أضحت أعظم حضارة مادية في تاريخ البشرية كلها ، وهي وإن لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل المسلمين وحضارتهم ، إلا أنها لم تعمل على غرار ما كان في الحضارة الإسلامية من إنسانية وشمول ، بل على العكس من ذلك نجد أن الحضارة الغربية تفوقت على حساب الآخر ، بل سعت جاهدة إلى إقصائه وتجميده واستنزاف موارده في سبيل بناء حضارتها وتحقيق آمالها[2] .

وإذا كانت الروح العدائية لدى الغرب صفة أصيلة تجاه غيرهم ، لاسيما مع العالم الإسلامي ، والتي تمثلت في الحروب الصليبية ، ثم الاستعمار العسكري فإنها في مجال العلم والفكر كانت أقسى وأمر ؛ إذ استهدفت علوم المسلمين وابتكاراتهم ، ونهبت اكتشافاتهم العلمية ثم نسبتها إلى علماء الغرب ومثقفيه ، فأصبحت أفكار ابن الهيثم (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ملكاً لنيوتن (١١٤٠هـ/١٧٢٧م) ، واكتشافات ابن النفيس (ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م) من إبداع هارفي (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م) ، ومنهجية ابن خلدون (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) من عبقرية روجر بيكون (٦٩٣هـ/١٢٩٤م) ، واستمر الحال هكذا حتى سرقت مؤلفات

---

(١) حلمي : مناهج البحث ، ١٦ .

(٢) طوقان : العلوم عند العرب ، ٧ .

علمية إسلامية بأكملها ، ونسبت إلى مترجميها أو من قام بدراستها وتدريسها في جامعات أوروبا[١] .

ولم يكتف هؤلاء بسرقة التراث الإسلامي ، بل تجاوز الحد ببعضهم إلى القدح في نسبة بعض الكتب اللاتينية التي تحمل أسماء علماء المسلمين بحجة أن أصولها العربية مفقودة ، ومن ذلك إنكار بعض المستشرقين لكتب جابر بن حيان في الكيمياء ؛ لأنَّ أصلها العربي مفقود[٢] .

وإذا ما أتينا إلى نقل المعارف الإغريقية عبر اللغة العربية إلى أوروبا وشروح علماء المسلمين عليها ، نجد أن التهميش والإنكار هو الأسلوب الذي استخدمه كثير من الغربيين تجاهها ، ويؤكد البعض منهم أنه لا فضل للحضارة الإسلامية في نقل هذه المعارف ، وأن كتب جهابذة اليونان كأرسطو وجالينوس وغيرهم كانت موجودة في بعض الأديرة الأوروبية ، وأن المسلمين لم يضطلعوا بأي دور في ترجمة ما جاء فيها ونقل معارفها إلى القارة الأوروبية[٣] .

في حين أن بعض المستشرقين جعل دور المسلمين في نقل هذه المؤلفات هو دور الرسول أو ساعي البريد فقط ؛ وذلك للتقليل من قدرهم حين تطمس جهودهم في شرح هذه المؤلفات ، وتصحيح ما جاء فيها من أخطاء ونظريات مغلوطة[٤] .

وإذا كان هناك فئة من أبناء الغرب الذين ترجموا هذا التراث الإسلامي ، وحققوا الكثير منه ، ونشروا كثيراً من نصوصه بمؤلفات أصحابها الأصليين ، فإن ذلك كان في صالح حضارتهم ولبني ملتهم ، فكثير من معارف المسلمين وعلومهم أخذت وأذيبت في بوتقة الحضارة الغربية ، فخرجت تحمل أسماء ناشريها ومحققيها ومترجميها كرمز فخر ؛ لأنهم أخرجوا هذا التراث إلى الوجود وحفظوه ، وأصبحوا

---

(١) هونكة : شمس العرب ، ٤٠٢ ؛ حلمي : مناهج البحث ، ٥٩ ؛ طوقان : العلوم عند العرب ، ٧ .
(٢) الجندي : المستشرقون والتاريخ ، ٢٤٠ .
(٣) الدفاع : لمحات من تاريخ الحضارة ، ٤٣ .
(٤) نفس المرجع ، ٤٥ ؛ هونكة : شمس العرب ، ١٢ .

مصدر طلابه ومريديه[١] ، يقول أحد الباحثين : «إن جمع المخطوطات لم يكن في أساسه ومعناه مقصوداً لنفع العرب أو المسلمين بقدر ما كان مقصوداً لنفع أمثالهم ولرفع شأن أمتهم»[٢] .

وهكذا نرى كيف أنَّ الغرب أراد سلب المسلمين كل مقومات حضارتهم ، وإنكار تأثيرها عليه في نفس الوقت ؛ للتقليل من شأن الدور الذي لعبته الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية ، وإلى الاعتقاد بأن المسلمين المتمسكين بعقيدتهم هم أناس متأخرون ورجعيون ، ومن ثم السعي إلى إبراز دور الحضارات القديمة لاسيما اليونانية واعتبارها حضارة متفوقة على جميع الحضارات ؛ وبذا تضعف ثقة المسلمين بتراث أجدادهم ، فيهجروه ، وتبدأ تطلعات كثير منهم إلى الحضارة الغربية باعتبارها موئلاً للعلم والفكر[٣] .

ومما زاد الأمر سوءاً أنَّ هذه المعارف العلمية التي ترجمت أصبحت بلغات غير اللغة العربية ، فأدى ذلك إلى تخلف عام بين المسلمين ؛ لأن الإبداع لايمكن أن يكون بغير اللغة الأم ، كما أدى أيضاً إلى حرمان العربية من النمو المطرد المتمثل في نحت الألفاظ للتعبير عن المفاهيم الجديدة ، أضف إلى ذلك أن تدريس هذه المعارف أصبح من منطلق إلحادي كافر ينكر كل ما فوق المادة ، فاصطبغت هذه العلوم الإسلامية المترجمة بالصبغة الغربية الإلحادية الكافرة[٤] .

---

(١) الزيادي : الاستشراق ، ١١٢ .

(٢) السامرائي : الاستشراق ، ١٤ .

(٣) الدفاع : لمحات من تاريخ الحضارة ، ٩٦ .

(٤) حلمي : مناهج البحث ، ٦٦ .

المبحث الثالث :
نتائج الترجمة في مجال الاقتصاد

إنَّ من أهمِّ النتائج الاقتصادية لترجمة العلوم من العربية إلى اللاتينية تطوير تقنيات اقتصادية حديثة أوهنت النظام الإقطاعي الذي طوق الاقتصاد الأوروبي الغربي أولاً ، ثم خنقه لأكثر من ثلاثة قرون ، فلما جاءت هذه التقنيات الاقتصادية الإسلامية ساهمت في تحطيم هذا النظام الثابت بقوة(١) .

وإذا كانت علوم المسلمين المترجمة قد ضمت أفكاراً اقتصادية قيمة -كأمور تتعلق بالزراعة والصناعة والتجارة أيضاً- فإن كتب البلدان والرحلات المترجمة فتحت للغرب الأوروبي آفاقاً جديدة لطلب الرزق والكسب ؛ حيث عرفت هؤلاء بالكثير من المناطق الغنية بثرواتها ومواردها البشرية والمادية ، فنشأت لدى أوروبا أطماع اقتصادية هائلة في الشرق الغني بالخامات والموارد(٢) .

وقد أدى استبدال الأرقام الرومانية بالأرقام العربية من قبل المؤسسات الأوروبية إلى تسهيل كثير من العمليات الحسابية ، مما سمح بإدخال القيد المزدوج في مسك الدفاتر التجارية ، وهو مبدأ المحاسبة الذي ميز الثورة الرأسمالية في الغرب(٣) .

ولكن أوروبا عندما أخذت هذه الثروة العلمية في علم الاقتصاد من المسلمين وخرجت بها من سلطة العصور الوسطى ، وقعت للأسف في سلطة المادة ؛ لأنها أخذت هذه النظم الاقتصادية وطبقتها على بيئتها ومعاييرها المادية وما أملته عليها نظريات العصور الوسطى الاقتصادية ؛ حيث إن الفكر اليوناني كان محبذاً للملكية الخاصة بشكل مطلق ولكل أفراد المجتمع بدون استثناء ، دون تقييد ذلك بمبدإ ،

---

(١) هيك : الجذور العربية للرأسمالية ، ٢٧٢ .

(٢) ريسلر : الحضارة العربية ، ١٨٢ ؛ حطاب ، اتجاهات البحث العلمي في الاقتصاد الإسلامي ، ٢٨٧ .

(٣) هيك : الجذور العربية للرأسمالية ، ٢٩٨ .

أو دين أو سلوك أخلاقي يحدد هذه الملكيات ويهـذبها ، فلـما خرجـت أوروبـا مـن نظامها الإقطاعي الجـائر لم تـستبدل بـه مـا هـو خـير منـه -سـواء في الرأسـمالية أو الشيوعية-؛ لأنها كانت تسير وفق خط علماني محارب للدين بكل صوره ، وكما هـو معروف إن من ضرورات علم الاقتصاد أن يتأثر بالدين الذي نشأ فيـه وسـلوكيات أفراده ، ومن ثم يعلو ويهبط على حساب هذين الاثنين[١] .

وقد افتقدت هذه الأنظمة الأوروبية مبدأ التكامل الاجتماعي الذي كان مسلماً به في الإسلام ؛ لأنها افتقدت الدين نفسه ، ونشأت في تطور اقتصادي مادي بحـت نما سريعاً بفضل تأثير الاقتصاد الإسلامي ، لكنـه عجـز عـن الاسـتمرار ؛ لأنـه لم يحمل كل مقومات هذا النمو التي كانت في النظم الاقتصادية الإسلامية[٢] .



---

(١) قطب : مذاهب فكرية ، ٤٧١ .

(٢) صبحي الصالح : النظم الإسلامية ، نشأتها وتطورها ، ط١٣ ، دار العلم للملايين ، ٢٠٠١م ، ٣٧٨ .

الخاتمة وتتضمن :

- النتائج المتوصل إليها .
- التوصيات .

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً ، والشكر له سبحانه على الإتمام ، وصلى الله على محمد نبيه المصطفى عَوْداً وبدءاً ، وعلى آله أجمعين ، وبعد..

فقبل أن نمسك القلم ، يجب أن نختتم هذه الرسالة بخاتمة توضح أهم النتائج المتوصل إليها كالتالي :

* كانت أوروبا مهيئة تمام التهيء لتقبل الحضارة الإسلامية ، ذلك نتيجة انتشار الجهل والانحطاط الذي جعلها تبحث عن مخرج من عصر الظلمات إلى نور العلم والمعرفة ، ولم تجد ذلك إلا في الحضارة الإسلامية ، ولكنها في نفس الوقت كانت مشحونة بدوافع دينية جعلتها تقف من الإسلام وعلومه موقف المحارب الذي يسعى لزعزعة كيانه وهدم حضارته .

* أثبتت الدراسة أن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية نشأت لدوافع عدة ، إلا أنَّ الدوافع الدينية كانت تتصدر هذه الدوافع ، فبالرغم مما كان متعارفٌ عليه أنَّ أوروبا التفتت إلى علوم المسلمين والحضارة الإسلامية بشكل عام لأجل العلم وطلب المعرفة ، لكن انتقائية المترجمات وتوجهات المترجين ، واختيار مراكز للترجمة دون أخرى ، ورعاة الترجمة أنفسهم ، كلها تثبت مما لا يدع مجالاً للشك أن أوروبا اتجهت بدوافع دينية نحو ترجمة علوم المسلمين من العربية .

* استغلت هذه الحركة من قبل المؤسسات التنصيرية بكافة فروعها التبشيرية والاستشراقية ، ووظفت لخدمتها معاً . لذا فالترجمة للعلوم العربية والإسلامية تعتبر من أهم وسائل الاستشراق لتحقيق أهدافه ، فبعكس ما يتصور البعض أن الاستشراق هو أحد أهم نتائج الترجمة ، نجد أن الترجمة كانت وسيلة مهمة لتحقيق أهداف الاستشراق وغاياته .

* ساهمت البعثات العلمية والرحلات والسفارات في نشاط حركة الترجمة وتقدمها ، إذ إنها أثرت في عدد من أبناء الغرب الذين أعجبوا بالحضارة الإسلامية ، وقد دخل عدد منهم في الإسلام ، مما أدى إلى قيام حمية الكنيسة لمحاربة

المسلمين عن طريق الترجمة .

كما أنَّ هذه البعثات أعطت صورة عن الذل والحاجة التي كانت تعيشها أوروبا آنذاك ، مما جعلها تسعى جاهدة لطلب ود المسلمين والأخذ عنهم وترجمة علومهم . وقد أثرت الرحلات والسفارات هي الأخرى في تنشيط الترجمة بما كان يجري فيها من مشاهدات وتبادل خبرات ومعارف تحوي فوائد علمية ككتب وآلات فلكية أفادت الغرب ، إضافة إلى تعلم اللغة والعلوم .

* شملت مراكز الترجمة أصقاعاً كثيرة وبلداناً شتى من المشرق الإسلامي إلى مغربه ، إضافة إلى بلاد الأندلس التي كانت تمثل المركز الأول والأهم من بين كل المراكز ، ولم تقتصر هذه المراكز على البلدان الإسلامية ، بل ضمت دولاً أوروبية متنوعة ، وقد كانت عملية النقل والترجمة أكثر نشاطاً في المناطق التابعة للدول النصرانية ، وذلك يعود إلى الدوافع التي حفزت على نشاطها في هذه المناطق كالدينية والسياسية والاقتصادية ومن ثم العلمية وغيرها .

* لم تكن جميع مراكز الترجمة تتوفر على مدارس للنقل ، بل وجدت هذه المدارس حسب الظروف والأجواء التي ساعدت على تأسيسها ، كتوفر المترجمين ، والرعاة ، والأمن لبناء هذه المدارس . إلا أن ما نشأ من مدارس في بعض هذه المراكز أدت دورها في الترجمة ، وكانت النواة الأولى لتخريج الرعيل الأول من المستشرقين .

* تعددت أجناس المترجمين والنقلة مع تشعب توجهاتهم ، فلعبت العوامل الدينية والسياسية دورها في إبراز بعضهم على حساب البعض الآخر ، فكان للمترجمين النصارى قصب السبق والعدد الأكثر من بين كل الأديان الأخرى ، ولعل ذلك يعود إلى أن الترجمة أصلاً نشأت في أحضان الدول النصرانية .

* في جانب العلوم المترجمة كانت ترجمة معاني القرآن الكريم من أوائل ما نقل ، ولكنها كانت ترجمة محرفة مشوهة لتحقيق دوافع دينية ، ثم أتى التركيز على علوم الأوائل كمؤلفات الفلسفة والعلوم العلمية والتطبيقية باعتبارها علوم اليونان الذين يجب أن تعود لأصحابها ، وكانت الدهشة عندما اكتشف هؤلاء أن ما نقلوه

كان ابتكارات جديدة لعلماء المسلمين ، إضافة إلى تصحيحات ونقد لعلوم الأوائل المترجمة .

* لم يكن كل ما ترجم من العربية إلى اللاتينية يمثل علوم المسلمين وحضارتهم ، بل نقلت مؤلفات باللغة العربية تحوي آراء ومعتقدات وثنية عن الحضارات القديمة كاليونانية والإغريقية لا سيما كتب الفلسفة وما شابهها ، وهي بدورها قد أثرت تأثيراً سلبياً في أوروبا .

* لم تكن جميع المؤلفات المترجمة بأقلام علماء مسلمين ولكنهم نشؤوا في البيئة الإسلامية ، وهي التي أعطتهم هذه الفرصة للظهور ، والإبداع ، أو أن البعض منهم تأثر بعلماء المسلمين في مؤلفاتهم ومناهجهم العلمية فألفوا على نمط هذه المناهج .

* ما أثرت به حركة الترجمة في العالم الغربي والإسلامي أيضاً كان كبيراً ومتسعاً وشاملاً لكافة المجالات العلمية والعملية ، وهو بدوره أدى إلى نشوء الحضارة الغربية الحديثة وتطورها ، مع ضعف المسلمين واستعمارهم من قبل الغرب الذي تعرف على نقاط الضعف والقوة للعالم الإسلامي ومن ثم استغلالها لصالحه ، فسرقت ثروات المسلمين المادية والعلمية ، ونسبت لغيرهم ، بل نسبت إلى من ترجمها أو تأثر بها أو ضمنها أحد مؤلفاته ، ومن أمثلة ذلك :

المنهج التجريبي الذي نسب إلى روجر بيكون الإنجليزي ، وهو في أصله منهج إسلامي خالص عمل به علماء المسلمين في الفقه والحديث ، ثم أخذه عنهم علماء العلوم العلمية والتطبيقية كجابر بن حيان ، وابن الهيثم ، وغيرهم . كذلك نجد أن أول من فكر في نظرية الجاذبية الأرضية هو أبوالريحان البيروني ، الذي عاش ومات قبل أن يولد نيوتن بستمائة عام ، وهناك نظرية أخرى تنسب إلى نيوتن وهي نظرية القانون الأول للحركة ، بينما أول من ذكر هذه النظرية هو ابن سينا في كتابه «الشفا» .

وإذا كان الخوارزمي هو مؤسس علم الجبر ، وهو أول من ابتكر المحددة ، ومع ذلك ما زال الأوروبيون ينسبون نظريته إلى العالم الألماني ليبنز ، وينسب

اكتشاف الرموز الجبرية ، وإشارات العمليات الحسابية للعالم الفرنسي فييت ، كما نسبت الدورة الدموية إلى مكتشفها المزيف هارفي ، وهي في حقيقتها من اكتشافات الطبيب المسلم ابن النفيس .

هذه بعض الأمثلة لما فعله الغرب بعلوم وابتكارات علماء الإسلام ، وهناك الكثير والكثير من المغالطات والتهميشات لدور المسلمين في علوم الطب ، والكيمياء والجغرافيا والفلك وغيرها .

أما عن التوصيات المقترحة في هذه الدراسة فهي :

أولاً : توظيف حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية كافة ، وبالعكس في التعريف بالدين الإسلامي وحضارته ، حيث أنها تمثل أهم وسائل التحاور والتعريف بالآخر ، وإذا كانت قد استغلت من قبل المؤسسات النصرانية واليهودية استغلالاً سيئاً استهدف محاربة المسلمين ، وتشويه الإسلام ، والطعن في كتابه ونبيه محمد ﷺ ، فحري بنا نحن المسلمين أن نوجهها توجيهاً صحيحاً للدعوة إلى الله ، ولتكون كلمة الله هي العليا مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] .

وبذا تكون صورة الإسلام وحضارته صحيحة واضحة لكل من رغب في معرفته عن قرب ، ومن ثم التأثر به والدخول فيه عن قناعة ومحبة وتسليم ، وقد رأينا كيف كان تأثير العلوم المترجمة من العربية إلى اللاتينية في الغرب النصراني ، رغم ركاكتها وعدم استيفائها لشروط الترجمة والنقل ، فكيف إذا جاءت هذه المترجمات مستوفاة للشروط صادقة من أبناء الحضارة الإسلامية أنفسهم ، فإنها والحال كهذه ستؤتي ثمارها اليانعة بإذن الله في نصرة هذا الدين ، وتعريف من جهل به ، وتبصيره بالحقيقة .

وفي هذا الصدد ننوه بالجهود الجبارة التي بذلتها مؤسسات عدة في مجال ترجمة علوم المسلمين ومصادر التشريع الإسلامي ، إلى كافة اللغات الأخرى منها :

١ – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، الذي جعل

---

(١) سورة النحل ، آية (١٢٥) .

من بين أهدافه ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره إلى كافة اللغات الأخرى ، مع عقد الندوات التي تعنى بترجمة معاني القرآن الكريم . وقد حوت أكثر من ستين بحثاً ، أما بالنسبة لإنتاج ترجمات معاني القرآن الكريم فقد بلغت من سنة (١٤٠٥هـ إلى ١٤٢٨هـ) (٢٤٠٦٢٤٠٨١٣) بكافة اللغات ، أما عدد الترجمات نفسها فقد وصل إلى خمسين ترجمة ، موزعة على اللغات الأخرى كالتالي :

(٢٤) لغة آسيوية ، (١٢) لغة أوروبية ، (١٤) لغة أفريقية .

ومن المتوقع صدور ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى كـ:الأذربيجانية ، والإسبانية ، والألمانية ، والأمازيغية ، والبرتغالية ، والتاملية (ولاية تاملنادو جنوب الهند) والجاخنكية (من لغات غرب أفريقيا) ، والروسية ، والصينية ، والسويدية ، والفلانية (من لغات غرب أفريقيا) ، والفيتنامية ، والكورية ، والمندرية[1] .

٢ – جائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة ، وقد نشأت بعد صدور موافقة مجلس إدارة مكتبة عبدالعزيز العامة بإنشاء جائزة عالمية للترجمة تحمل اسم : «جائزة خادم الحرمين عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة» في التاسع من شوال لعام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ومقرها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض ، وهي جائزة تقديرية عالمية تمنح سنوياً للأعمال المتميزة ، والجهود البارزة في مجال الترجمة .

ومن أهم أهدافها :

أ - الإسهام في نقل المعرفة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ومن اللغة العربية إلى اللغات الأخرى .

ب - تشجيع الترجمة في مجال العلوم إلى اللغة العربية .

جـ - إثراء المكتبة العربية بنشر أعمال الترجمة المميزة .

د - تكريم المؤسسات والهيئات التي أسهمت بجهود بارزة في نقل الأعمال العلمية من اللغة العربية وإليها .

---

(١) http://www.qurancomplex.org

هـ - النهوض بمستوى الترجمة وفق أسس مبنية على الأصالة والقيمة العلمية وجودة النص .

وقد عقد للجائزة وإلى الآن خمس دورات تم خلالها تكريم عدد من الشخصيات والمؤسسات في مجال الترجمة .

ومن بين المؤلفات التي فازت بجائزة الترجمة :

- مقدمة ابن خلدون ، ترجمها من العربية إلى الفرنسية : عبدالسلام شدادي .

- الرحيق المختوم لصفي الدين المباركفوري ، ترجمه من العربية إلى الكورية الأستاذ الدكتور : تشوي يونق كيل .

- كتاب «مقاصد الشريعة الإسلامية» لمحمد الطاهر بن عاشور ، حققه وترجمه من العربية إلى الإنجليزية الدكتور/محمد طاهر الميساوي .

- كتاب «الأسرار في نتائج الأفكار : آلات مذهلة من ألف عام» لمؤلفه : أحمد المرادي ، نقله إلى اللغة الإيطالية الدكتورة/يولنده غواردي ، وحسين بن شينه .

- كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام ، ترجمه من العربية إلى الإنجليزية مجموعة من المترجمين[١] .

٣ – المنظمة العربية للترجمة : وهي منظمة دولية متخصصة غير حكومية ، مستقلة ، ولا تهدف إلى الربح ، مقرها بيروت -لبنان ، تأسست عام (١٤٢١هـ /٢٠٠٠م) ، بهدف ترجمة الفكر والأدب والفلسفة واللسانيات والعلوم بمختلف مجالاتها ، من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية ، لأجل التواصل الحضاري والثقافي .

وإلى جانب هذه المؤسسات هناك عدد من المؤسسات الأخرى التي اضطلعت بأمر الترجمة ، ولكن تقنين نوع المترجمات والعلوم المنقول منها وإليها يجب أن يكون من ضمن اولويات أهداف هذه المراكز ، في عصر تسوده عولمة الفكر في كافة المجالات .

ثانياً : من ضمن التوصيات المقترحة أيضاً ، جمع شتات التراث الإسلامي الذي تزخر به خزائن مكتبات الدول الأوروبية وقد نقل إلى اللغات الأوروبية ،

---

(١) http://www.translationaward.org

وفقد في أصله العربي ، ومحاولة إعادة ترجمته إلى لغته الأم -العربية- بهدف معرفة إنجازات المسلمين العلمية ، ونسبتها إلى مخترعيها ، وهذا بدوره يساعد في تعريف الأجيال بتراث المسلمين العلمي ، ويزيل اللثام عن السرقات العلمية التي أحدثتها الترجمات اللاتينية بعد أن أخذت علوم المسلمين ونسبتها إلى علماء الغرب ومفكريه .

ثالثاً : تصحيح المعلومات الخاطئة في المناهج الدراسية ، والتي تنسب كثيراً من الابتكارات العلمية إلى علماء أوروبيين ، وهي في أصلها من إنجازات علماء المسلمين ، الذين يرجع إليهم كثير من الاختراعات والاكتشافات والنظريات التي ترتكز عليها العلوم الحديثة في العالم .

والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب



الملاحق

الملاحق :

١ - ملحق خاص بأسماء المترجمين المترجم لهم .

٢ - وثيقة مدجنية وهي عبارة عن إشهاد بالدين .

٣ - صفحتان من كتاب في التفسير باللغة الألخميادية .

٤ - صفحتان من كتاب الأدعية النبوية بالألخميادية .

٥ - وثيقتا بيع لمستعربي طليطلة .

٦ - وثيقة منحة لأحد الأساقفة .

٧ - نسخة من ترجمة كتاب التصريف للزهراوي .

٨ - وثيقة تبين تبرعات ألفونسو السابع لمدرسة طليطلة .

٩ - مترجم إلى اللاتينية في الفلك .

١٠ - ترجمة كتاب ما شاء الله إلى اللاتينية .

١١ - مترجمات إلى اللغة اللاتينية .

١٢ - مترجمات من العربية إلى اللاتينية .

١٣ - خريطة من عمل الباحثة تبين خط رحلة الحجري .

١٤ - خريطة من عمل الباحثة تبين خط رحلة أدلارد الباثي .

الملحق الأول : ملحق خاص بأسماء المترجمين المترجم لهم

اسم المترجم	الديانة	التوجه	مركز الترجمة
١ - إبراهيم بـالمس (Abraham de balmes) (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣)	يهودي	غير معروف	غير معروف
٢ - إبـراهيم برحيـا (Abraham Barhiyya) (ت بعـد ٥٣٢هـ/ ١١٣٧هـ)	يهودي	غير معروف	الأندلس
٣-إبـراهيم الحـاقلاني (Abraham Enchellensis) (ت١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)	نصراني	غير معروف	فرنسا + إيطاليا
٤-إبراهيم بن حسداي (Abraham ibn hasdai) (ت في حـدود ٦٣٨هـ/١٢٤٠م)	يهودي	ديني	الأندلس
٥- إبـراهيم بـن شـم طـوب (Abraham ibn shem Tob)	يهودي	غير معروف	فرنسا
٦- إبـراهيم الطليطلي (of toledo) (النصف الثاني من ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
٧ - إبراهيم بـن عـزرا (Abraham ibn Ezra) (ت حـوالي ٥٦٠هـ/١١٦٤م)	يهودي	ديني	الأندلس +إيطاليا
٨-أحطوب بـن إسـحاق (Ahitub ibn Isaac) (النصف الثاني من ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	صقلية
٩ – أحمد الحجري (ت بعد١٠٥١هـ/ ١٦٤١م)	مسلم	ديني	الأنـدلس+الـشمال الأفريقي+فرنسا

١٠-أدلارد أوف بـاث (Adelard of bath) (ت٥٣٧هـ/١١٤٢م)	نصراني	علمي	الأندلس
١١ – أدوارد بوكـــوك (Edward pococke) (ت١١٠٣هـ/١٦٩١م)	نصراني	ديني+علمي	بريطانيا
١٢ - أرمانغوبليس (Armanguad of blaise) (ق٧هـ/١٣م)	نصراني	غير معروف	فرنسا
١٣ – أرنولد فيلانوفا (Arnold of villanova) (ت حـــــــــــوالي ٧١٣هـ/١٣١٣م)	نصراني	علمي	الأندلس
١٤-إسـحاق الـبلاج (Isaac AL-Balag) (حوالي ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	غير معروف
١٥ – إسحاق بن سـيد (Isaac ibn sid) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
١٦-إسحاق بن ناثان القرطبي (حوالي ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
١٧ – إسحاق الفاسي (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	غير معروف
١٨ – اصـــــطفان السرقـــــسطي (Estafan of saragossa) (في حدود ٦٣١هـ/١٢٣٣م)	نصراني	غير معروف	الأندلس
١٩ – أغـستينو نيفـو (Augustino nifo) (ق٨هـ/١٤م)	نصراني	غير معروف	غير معروف
٢٠-أفلاطون التيفـولي (Platon of Tivoli) (ق٦هـ/١٢م)	نصراني	غير معروف	الأندلس
٢١- ألفرد دي سرشال (Alferd de sareshel) (ق٧هـ/١٣م)	نصراني	غير معروف	الأندلس

٢٢-ألونسو ديل الكاستيو (Alonso del casti) (ق١٠هـ/١٦م)	مسلم	ديني+سياسي	الأندلس
٢٣ – أندريا الباغو (Andrea AL-pago) (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م)	نصراني	علمي	إيطاليا
٢٤ – أنريكو اريستبو (Enrico Aristippo) (ق٦هـ/١٢م)	نصراني	سياسي	صقلية
٢٥ - بدرو ألفونسو (Pedro AL-fonso)	نصراني	ديني	الأندلس
٢٦ – بطرس جاليكو (Peter Gallego) (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م)	نصراني	ديني	الأندلس
٢٧- بطرس ريجيو (Peter of Regio)	نصراني	غير معروف	غير معروف
٢٨ – تدروس بن تدروسي (Tadros ibn Tadrose)	يهودي	غير معروف	فرنسا
٢٩ – توماس أربنيوس (Thomas Erpenius)(ت١٠٣٤هـ/١٦٢٤م)	نصراني	ديني	هولندا
٣٠-توماس أوبتشيني (Thommaso Obicini) (ت١٠٤٢هـ/١٦٣٢م)	نصراني	ديني	إيطاليا
٣١- ثيودور الأنطاكي (Theodore of Antioche)	نصراني	سياسي	صقلية
٣٢- جبرائيل الصهيوني (Gabriel sionita) (ت١٠٥٨هـ/١٦٤٨م)	نصراني	ديني	فرنسا +إيطاليا
٣٣-جي دي شولياك (guy de choliac)(ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م)	نصراني	غير معروف	فرنسا

٣٤- جيرارد الكريموني (Gerard of cremona) (ت٥٨٣هـ/١١٨٧م)	نصراني	ديني + علمي+سياسي	الأندلس
٣٥-جون جريفز (John Graves) (ت١٠٦٣هـ/١٦٥٢م)	نصراني	غير معروف	بريطانيا
٣٦-جيوفاني الكابوي (Giovanni of copua)	نصراني	غير معروف	إيطاليا
٣٧-جيوفاني كامبانوس (Giovanni Kampanos)	نصراني	ديني	إيطاليا
٣٨-الحسن الوزان ، أوليون الأفريقي (ق١٠هـ/١٦م)	مسلم	علمي	إيطاليا
٣٩-خوان أندريس (John Andres) (ق٩هـ/١٥م)	نصراني	ديني	الأندلس
٤٠-دانييل مورلي (Daniel of morley) (ق٦هـ/١٢م)	نصراني	علمي	الأندلس
٤١-داود بن يعيش (David ibn yaieh) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
٤٢-دومنجو جنديسالفي (Domingo Gondisalvi) (ت بعد ٥٧٧هـ/١١٨١م)	نصراني	ديني	الأندلس
٤٣- دومينيكوس السيليزي (Dominicos de silesia) (ت١٠٨١هـ /١٦٧٠م)	نصراني	ديني	الأندلس+إيطاليا
٤٤-روبرت اوف تشستر (Robert of chester) (حوالي منتصف ق٦هـ	نصراني	ديني+علمي	الأندلس+بريطانيا

/١٢م)			
٤٥ -رود ولف بروجس (Rudolph of bruges)	نصراني	غير معروف	الأندلس
٤٦ - ريموندي باتيستا (Raimondi batista) (ق١٠هت/١٦م)	نصراني	غير معروف	إيطاليا
٤٧ -زرحيا بن جراسيان (Zarahiah Ibn gracian) (ت٦٧٩هـ/١٢٨٠م)	يهودي	غير معروف	إيطاليا
٤٨ - ساليو من بادوا (salio of Padua) (ق٧هـ/١٣م)	نصراني	غير معروف	الأندلس
٤٩ -ستيفن أرنولد (Stephen Arlandi) (ق٨هـ/١٤م)	نصراني	غير معروف	الأندلس
٥٠ - ستيفن الأنطاكي (Stephen of Antioch) (ق٦هـ/١٢م)	نصراني	غير معروف	بلاد المشرق
٥١ -سرخيا الجيروتي (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م)	يهودي	غير معروف	غير معروف
٥٢ - سليمان بن أيوب (solomon Ibn Ayyub) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	إيطاليا
٥٣ - سليمان بونيراك (Solomon Bonirac) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
٥٤ - سمسون بن سليمان (Samson Ibn solamon) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	غير معروف
٥٥ - سيمون الجنوي (simon of genova) (ق٧هـ/١٣م)	نصراني	غير معروف	غير معروف
٥٦ - شامبيير سينغوريان	يهودي	غير معروف	غير معروف

(sympohorien chmpier)			
٥٧ - شم طوب بن إسحاق (shem tob Ibn Isacc) (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٧م	يهودي	ديني	فرنسا
٥٨ - شم طوب بن فلكرة (shem tob Ibn Falaquera) (ت بعد ٦٨٩هـ/١٢٩٠م)	يهودي	ديني	فرنسا
٥٩ - صمويل بن طبون (Samuel Ibn Tibon) (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)	يهودي	علمي	الأندلس+فرنسا
٦٠ - صمويل الكابوي (Samuel)	يهودي	غير معروف	غير معروف
٦١ - صمويل المرسيلي (Samuel AL-marseille) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	ديني +علمي	فرنسا
٦٢ - صمويل بن موطوط (Samuel Ibn motot) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
٦٣ - صمويل هاليفي (Samuel ha-levi) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	سياسي	الأندلس
٦٤ - صمويل هاميئاتي (Samuel ha-meati) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	إيطاليا
٦٥ - عيسى الجيدلي	مسلم	ديني	الأندلس+فرنسا
٦٦ - فالاج (G.valla) (ق٩هـ/١٥م)	نصراني	غير معروف	غير معروف
٦٧ - فرج اليهودي (Farag Hebraeus) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	صقلية
٦٨ - فرنانديز كاسترو (Frenandez castroy)	نصراني	غير معروف	الأندلس

٦٩- فيليب الطرابلسي (Philip of Tripoli) (ق٧هـ/١٣م)	نصراني	غير معروف	بلاد المشرق
٧٠- قسطنطين الأفريقي (constantinus Africanus) (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م)	نصراني	اقتصادي	صقلية
٧١- قالونيموس بن داود (Qalonymos Ibn david) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	ديني	فرنسا
٧٢- قالونيموس بن قالونيموس (Qalonymos Ibn Qalonymos)	يهودي	ديني	فرنسا
٧٣- ماركو الطليطلي (Marco of Toledo) (ت حوالي ٦٣١هـ/١٢٣٤م)	نصراني	ديني	الأندلس
٧٤- ميخائيل سكوت (Michael scott) (ت حوالي ٦٣٤هـ/١٢٣٦م)	نصراني	علمي	الأندلس
٧٥- موسى البوكيري (Moses AL-Beaucaire) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	ديني	فرنسا
٧٦- موسى بن طبون (mosses Ibn Tibbon) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	ديني	فرنسا
٧٧- ناثان المئوي (Nathan ha-meati) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	إيطاليا
٧٨- هرمان الألماني (Hermann of German)	نصراني	ديني+ علمي	الأندلس
٧٩-هرمان الدلماتي(Hermann of	نصراني	ديني	الأندلس

Dalmatian)(ت٥٦٨هـ/١١٧٢م)			
٨٠- هوغو سنكتلا (Hogo of sanctalla) (ق٦هـ/١٢م)	نصراني	غير معروف	الأندلس
٨١- هيرونمس راموسيوس (Heironymus ramusius) (ت٨٩٢هـ/١٤٨٦م)	نصراني	غير معروف	إيطاليا
٨٢- ولـيم بـدويل (William Bedwell) (ت١٠٤٢هـ/١٦٣٢م)	نصراني	ديني	بريطانيا
٨٣- وليام بن لـوني (William of lunis) (ق٧هـ/١٣م)	نصراني	غير معروف	إيطاليا
٨٤- يعقـوب أنـاطولي (Jacobus Anaoli) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	فرنسا+إيطاليا
٨٥- يعقوب جوليـوس (Jacobus Golius)(ت١٠٧٨هـ/١٦٦٧م)	نصراني	ديني	هولندا
٨٦- يعقوب بن طبون (Jacob Ibn Tibbon) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	ديني+علمي	فرنسا
٨٧- يعقـوب الـلاوي (Jacob ha-levi) (ت بعد ٦٩٦هـ/١٢٩٦م)	يهودي	غير معروف	غير معروف
٨٨- يعقـوب اليهـودي (Jacobus Hebraeus) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	غير معروف	إيطاليا
٨٩ – يهـودا بونـسنييور (Judah Bonsenyor) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	سياسي	الأندلس
٩٠- يهـودا الحريـزي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)	يهودي	ديني+اقتصادي	الأندلس+فرنسا

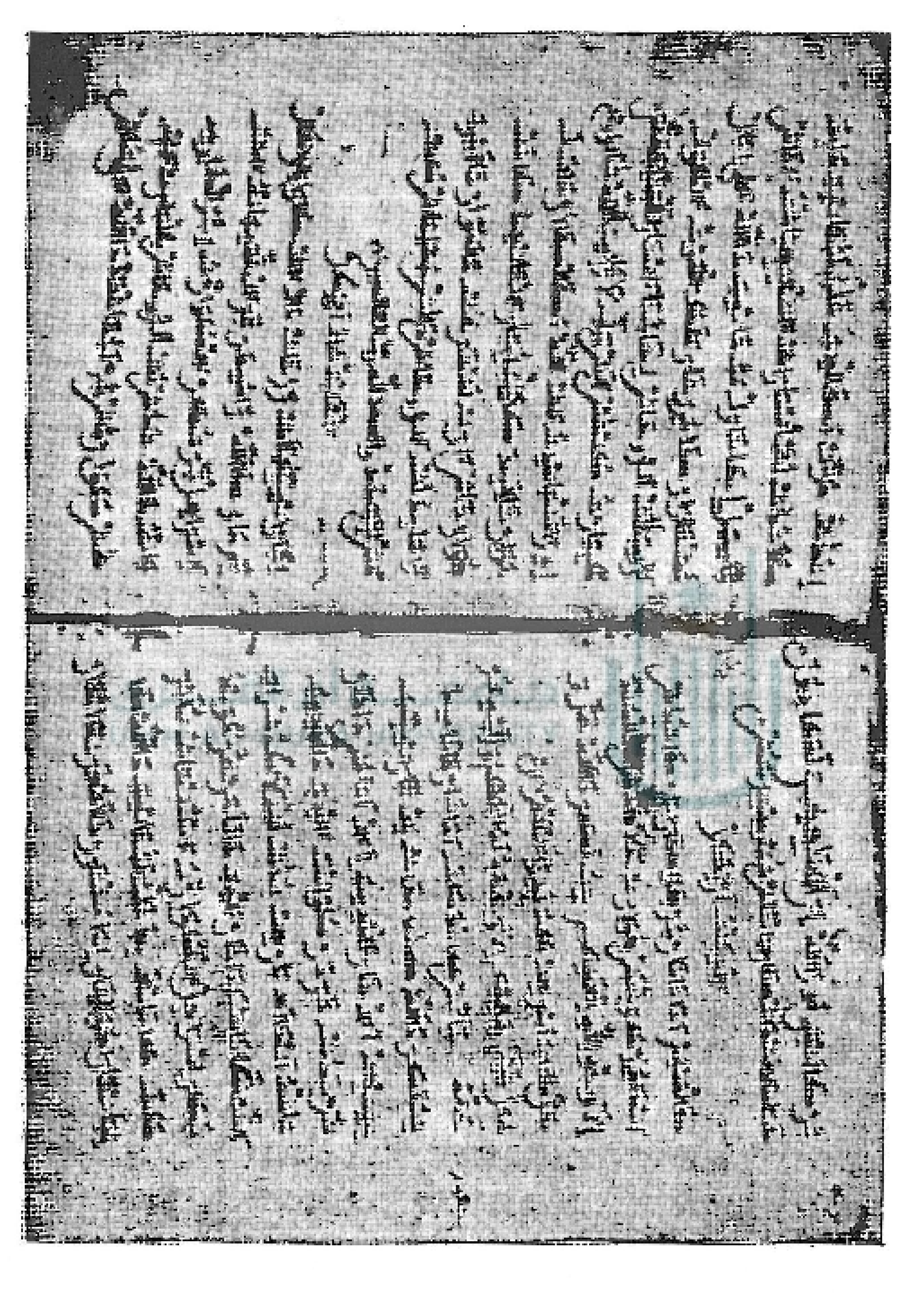
٩١- يهودا بن طبون (Judah Ibn Tibbone) (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م)	يهودي	ديني	الأندلس+فرنسا
٩٢- يهودا بن سالم الكاهن (Judah Ibn cohen)	يهودي	غير معروف	إيطاليا+الأندلس
٩٣- يهودا بن موسى الكاهن (Judah Ibn cohen) (ق٧هـ/١٣م)	يهودي	سياسي	الأندلس
٩٤- يهودا لابي (Judah) (ت٨١٤هـ/١٤١١م)	يهودي	ديني	الأندلس
٩٥- يوجين الأمير (Eugenio of Plermo)(ت بعد ٥٥٦هـ/١١٦٠م)	نصراني	سياسي	صقلية
٩٦- يوحنا الإشبيلي (John of seville) (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)	نصراني	ديني+علمي	الأندلس
٩٧ – يوحنا السيجوفي (John of segovia) (توفي بعد ٨١١هـ/١٤٥٦م)	نصراني	ديني	الأندلس
٩٨- يوسف فيفس (Joseph Ibn vives) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	الأندلس
٩٩- يوسف قمحي (Joseph qamhi) (ت٥٦٦هـ/١١٧٠هـ)	يهودي	غير معروف	الأندلس
١٠٠- يوسف بن يشوع الأول (Joseph Ibn Joshua) (ق٨هـ/١٤م)	يهودي	غير معروف	الأندلس

ملحق رقم (٢)

وثيقة مدجنية **Mudéjar** محفوظة بمتحف بلدية بنبلونة وهي عبارة عن إشهاد بالدين ومؤرخة في سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨ م)

نقلاً عن كتاب: نهاية الأندلس- للمؤلف: محمد عنان

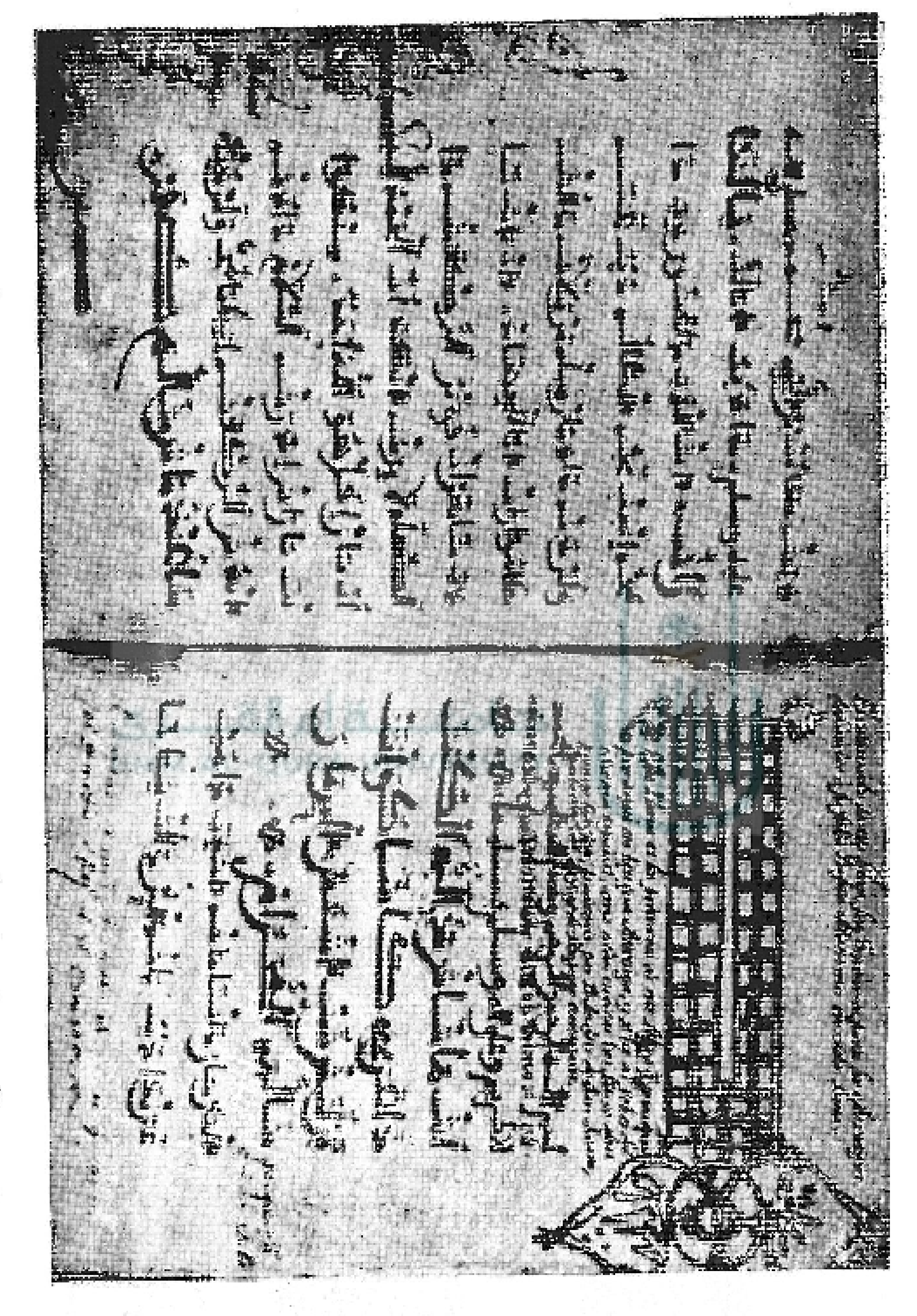
ملحق رقم (٣)



صفحتان من كتاب في التفسير مكتوب بالألخميادو ومحفوظ بمكتبة مدريد الوطنية برقم ٥٢٥٢

نقلاً عن كتاب: نهاية الأندلس - للمؤلف: محمد عنان

ملحق رقم (٤)



الصفحتان الأوليان من كتاب في « الأدوية العربية » مكتوب بالألخميادو ، وفي نهايته بالعربية الركيكة أنه كتب سنة ٩٩٧ هـ (١٥٧٩ م) ، ومحفوظ بمكتبة مدريد الوطنية رقم ٥٣٠٦ .

نقلاً عن كتاب:نهاية الأندلس- للمؤلف: محمد عنان

ملحق رقم (٥)

وثيقتا بيع لمستعربي طليطلة ابان القرن (١٢-١٣)

— 323 —

del *tesorero* don García Estébanez, hijo del alguacil y alcalde don Esteban Julianis, difunto, representado por don Pedro López, por precio de 21 mizcales de oro alfonsí.

Fecha en la segunda decena de Octubre de la era 1248.

Estuvo presente y aprobó la venta don Andrés, hermano de Pedro Juanes.

اشترى دون بيكره لويس ثقة الكشوبره الاجل دون غرسية اشلابنس اعزه الله بن الوزير القاضي دون اشلابن يليانس رحمه الله ومن مال الكشوبره المذكور وله وبيد دون بيكره لويس المذكور فيه عارية من دونة شمسي التي كانت زوجا لابي زكري يحيى بن سبد ابيه رحمه الله ومن ابنيها معا دون بيكره يوانش ودونة لوقادية البالغين عن انفسهم وعن لبة ومرية ابنى دونة شمسي المذكورة الصغيرتين المتين اذ هما في كفالتها جميع القطعة الجنان التي لهم بحومة باب المخاضة من مدينة طليطلة حرسها الله وهي القطعة الملاصقة بها من الثلث جوانبها لجنان الكشوبر المذكور ومن الجانب الرابع لبعض جنان الكشوبر المذكور وللقطعة ايضا جنان لدون جوان كوما بن يحيى بن بلاي ولشهرتها اغنى عن تفسير تحديدها باكثر مما ذكر [1] بثمن مبلغه وعدده واحد وعشرون مثقالا ذهبا فنشيا [2] [3] وذلك في العشر الاوسط من شهر اكتوبر سنة ثمان واربعين ومائتين والف للصفر

وكان ذلك كله بحضرة دون اندراش اخي بيكره يوانش المذكور ورضاه بذلك (والخ)

Ego Lazarus, presbiter ecclesie Sancti Salvatoris, testis. ✠ Ego Dominicus Gustii, testis. ✠ Ego Iohannes Dominici, presbiter ecclesie Sancti Salvatoris, testis. ✠

وليز بن يحيى بن عبد الله

Pergamino: 0,650 × 0,190.

Al dorso: «Carta del grans.del ..... Pedres, pro XXI morabetinos.»

382

Año 1210, Noviembre.

Venta de una casa en el barrio de San Juan, dentro de Toledo, rodeada por casas de doña Justa, esposa que fué de don Lázaro, de la Catedral Santa María, que es la casa que está dentro del adarve conocido por de Lázaro *Bia*; otorgada por doña Samsí, hija de don Servando el Acab, a favor de doña María, hija de Micael, el conocido por el *Darrás*, por precio de 40 mizcales de oro alfonsíes.

Asistió a la venta y la aprobó Servando Petrez, hijo de la vendedora.

Fecha en la última decena de Noviembre de la era 1248.

Advierte la compradora que hace la compra con dinero de su padre.

اشترت دونة مرية بنت مقيال الدراس عرف بن ماله المختص بها على اعترافها من دونة شمسي بنت دون شربند العقاب جميع الدار التي لها بحومة كنيسة شنت يوانش داخل مدينة طليطلة حرسها الله

نقلاً عن: Palencia -LOS MOZARABES DE TOLEDO

ملحق رقم (٦)

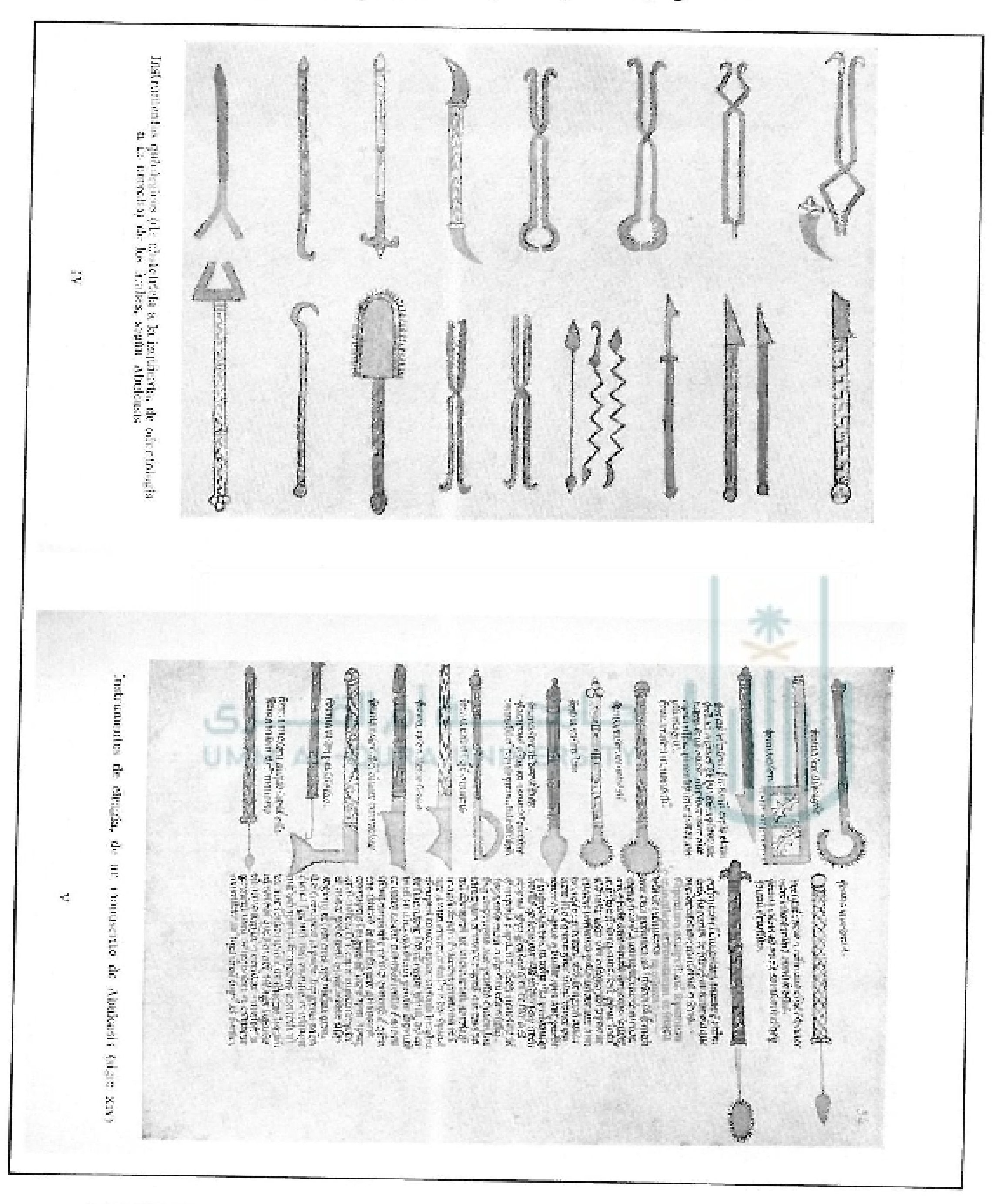
وثيقة منحة لأحد الاساقفة من رئيس الاساقفة ورئيس مدرسة طليطلة ريموند لل

Donación de Julián, presbítero de San Andrés, de Toledo, a la Catedral, con varias firmas autógrafas, entre ellas la de Don Raimundo. 15 de agosto 1129. (Arch. Cat. Toledo, I, 4-1-1)

نقلاً عن : PALENCIA- EL ARZOBISPO DON RAIMUNDO DE TOLEDO

ملحق رقم (٧)

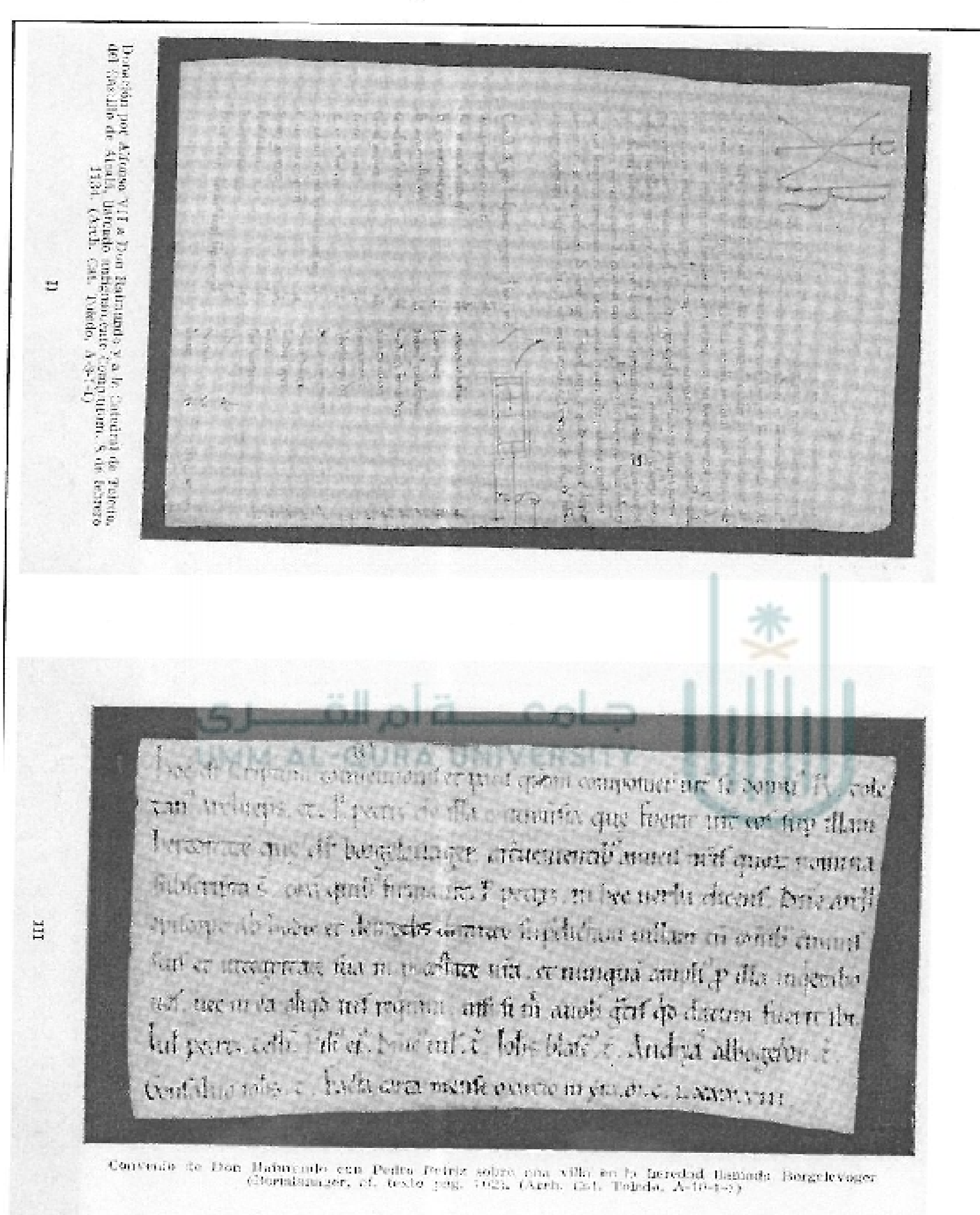
نسخة من ترجمة كتاب التصريف للزهراوي الى اللاتينية



نقلاً عن : PALENCIA- EL ARZOBISPO DON RAIMUNDO DE TOLEDO

ملحق رقم (٨)

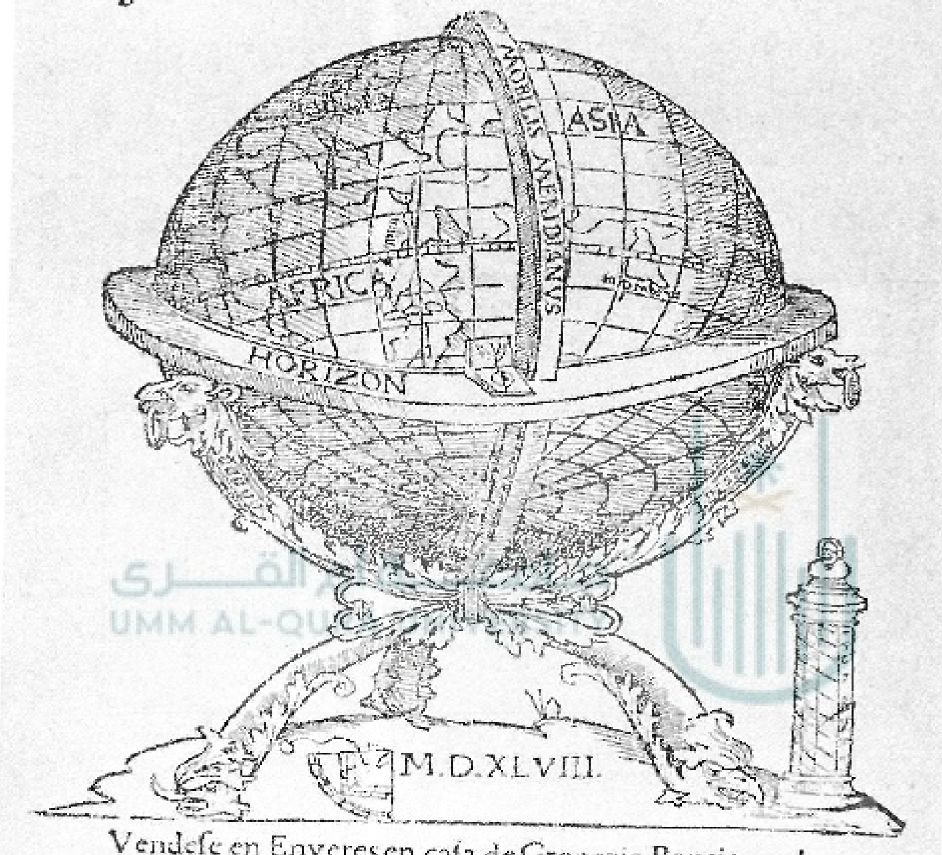
وثيقة تبين تبرعات الفونسو السابع لمدرسة طليطلة



نقلاً عن : PALENCIA- EL ARZOBISPO DON RAIMUNDO DE TOLEDO

ملحق رقم(٩)

Libro dela
COSMOGRAPHIA
De Pedro Apiano, el qual trata la descripcion del Mundo, y sus partes, por muy claro y lindo artificio, augmẽtado por el doctissimo varon Gemma Frisio, doctor en Medecina, y Mathematico excellentissimo: con otros dos libros del dicho Gemma, de la materia mesma. Agora nueuamẽte traduzidos en Romãce Castellano.



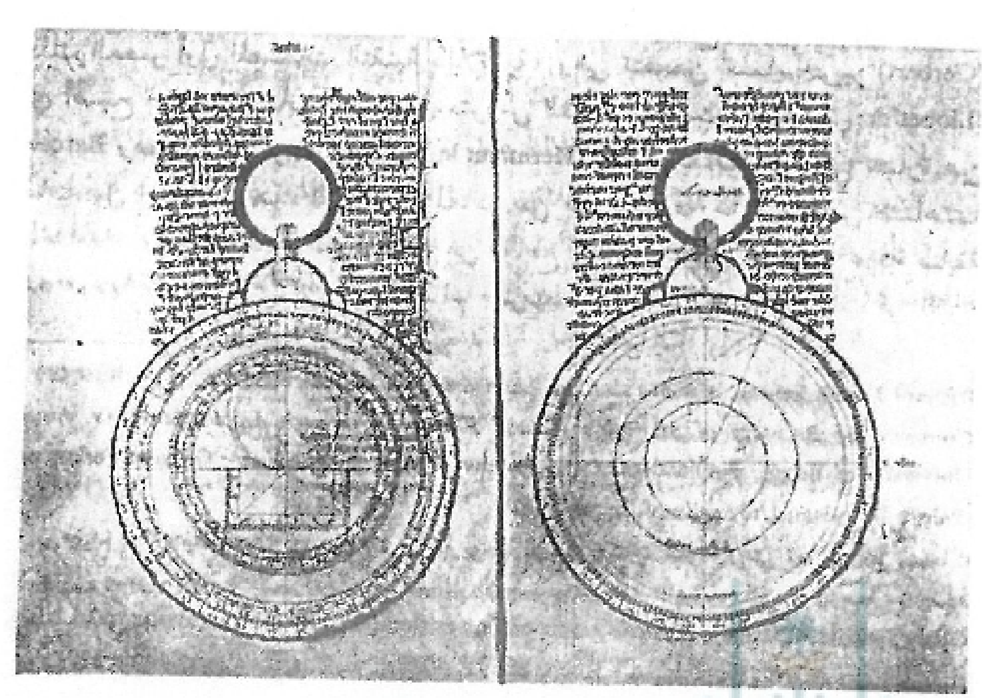
Vendese en Enveres en casa de Gregorio Bontio enel escudo de Basilea. Cum Gratia & Priuilegio.

Portada del *Libro de la Cosmografía de Apiano*, ampliado por Gemma Frisio, traducido al castellano. (Amberes, 1548)

VII

نقلاً عن: PALENCIA- EL ARZOBISPO DON RAIMUNDO DE TOLEDO

ملحق رقم (١٠)



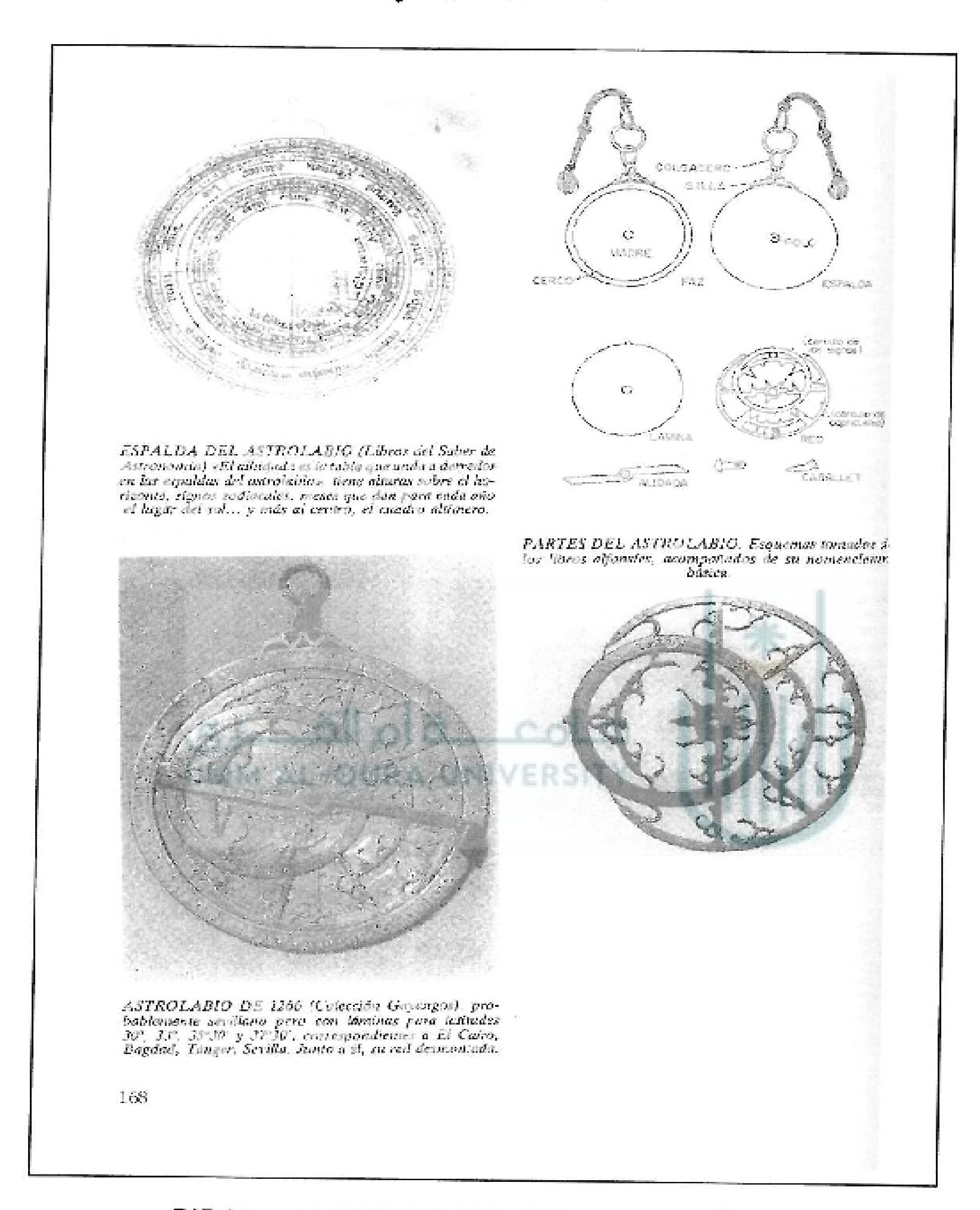
ما شاء الله، ترجمة ما شاء الله، ترجمة يوحنا الإشبيلي (أوكسفورد، مخطوطة مكتبة بودلين، Ashmole ١٥٢٢).
كان لهذه الترجمة اللاتينية لكتاب ما شاء الله تحت اسم De Compositione جل الأثر في تطور الآلات العلمية في الغرب اللاتيني، وكما قلنا فقد فُقد أصله في العربية.

٢٤٢

نقلاً عن رشدي راشد: موسوعة تاريخ العلوم- ١/ ٢٤٢

ملحق رقم (١١)

مترجمات الى اللاتينية في الفلك



ESPALDA DEL ASTROLABIO (Libros del Saber de Astronomía) «El alhadada es la tabla que anda a derredor en las espaldas del astrolabio» tiene alturas sobre el horizonte, signos zodiacales, menea que dan para cada año el lugar del sol... y más al centro, el cuadro altímetro.

PARTES DEL ASTROLABIO. Esquemas tomados de los libros alfonsíes, acompañados de su nomenclatura básica.

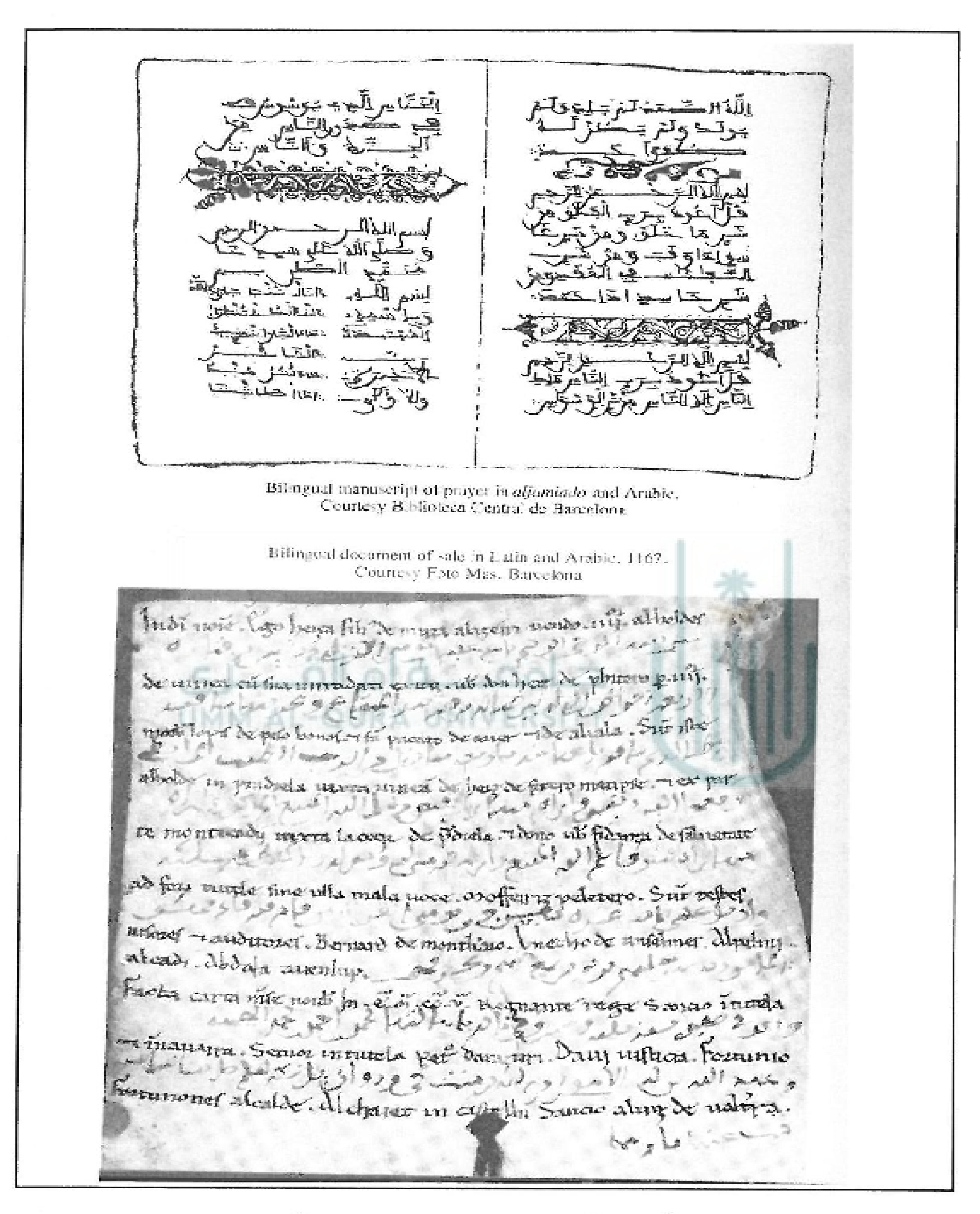
ASTROLABIO DE 1266 (Colección Gayangos), probablemente sevillano pero con láminas para latitudes 30°, 33°, 35°30' y 37°30', correspondientes a El Cairo, Bagdad, Tánger, Sevilla. Junto a él, su red desmontada.

168

نقلاً عن: PIDAL – LA ESPANA DEL SIGLO XIII

ملحق رقم (١٢)

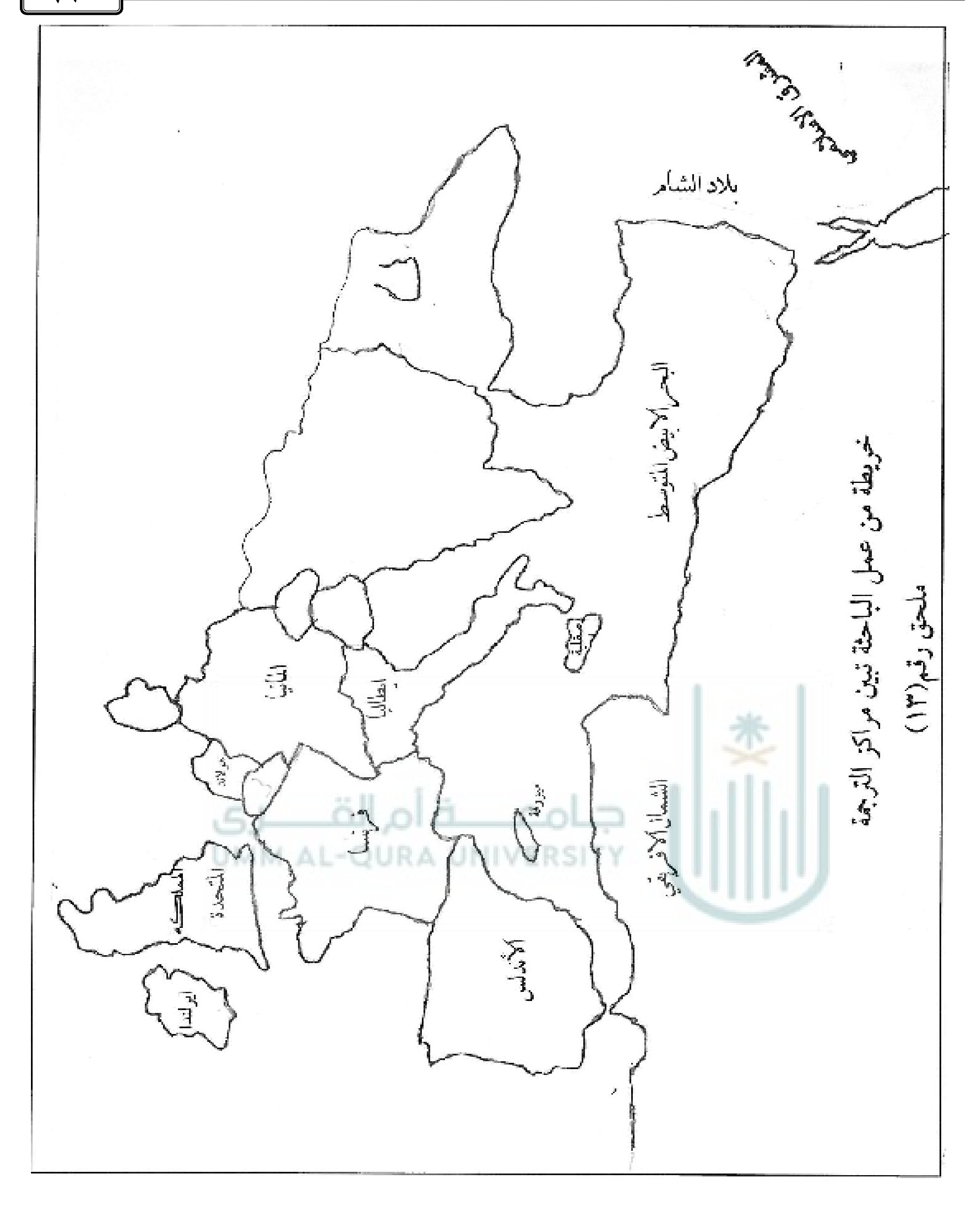
مترجمات من العربية الى اللاتينية



Bilingual manuscript of prayer in *aljamiado* and Arabic.
Courtesy Biblioteca Central de Barcelona

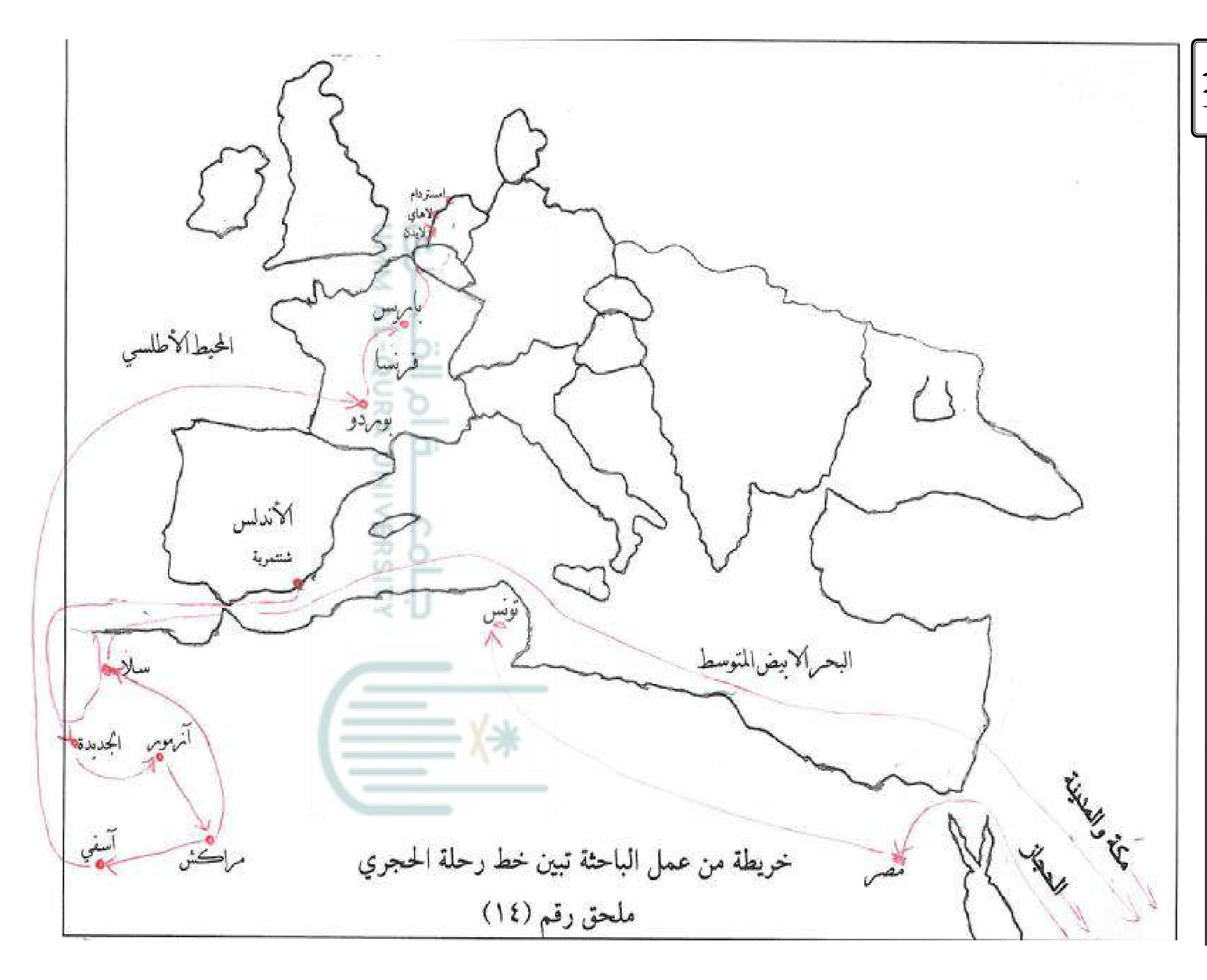
Bilingual document of sale in Latin and Arabic, 1167.
Courtesy Foto Mas, Barcelona

نقلاً عن: أنور شحنه-تاريخ وثقافة الأندلس



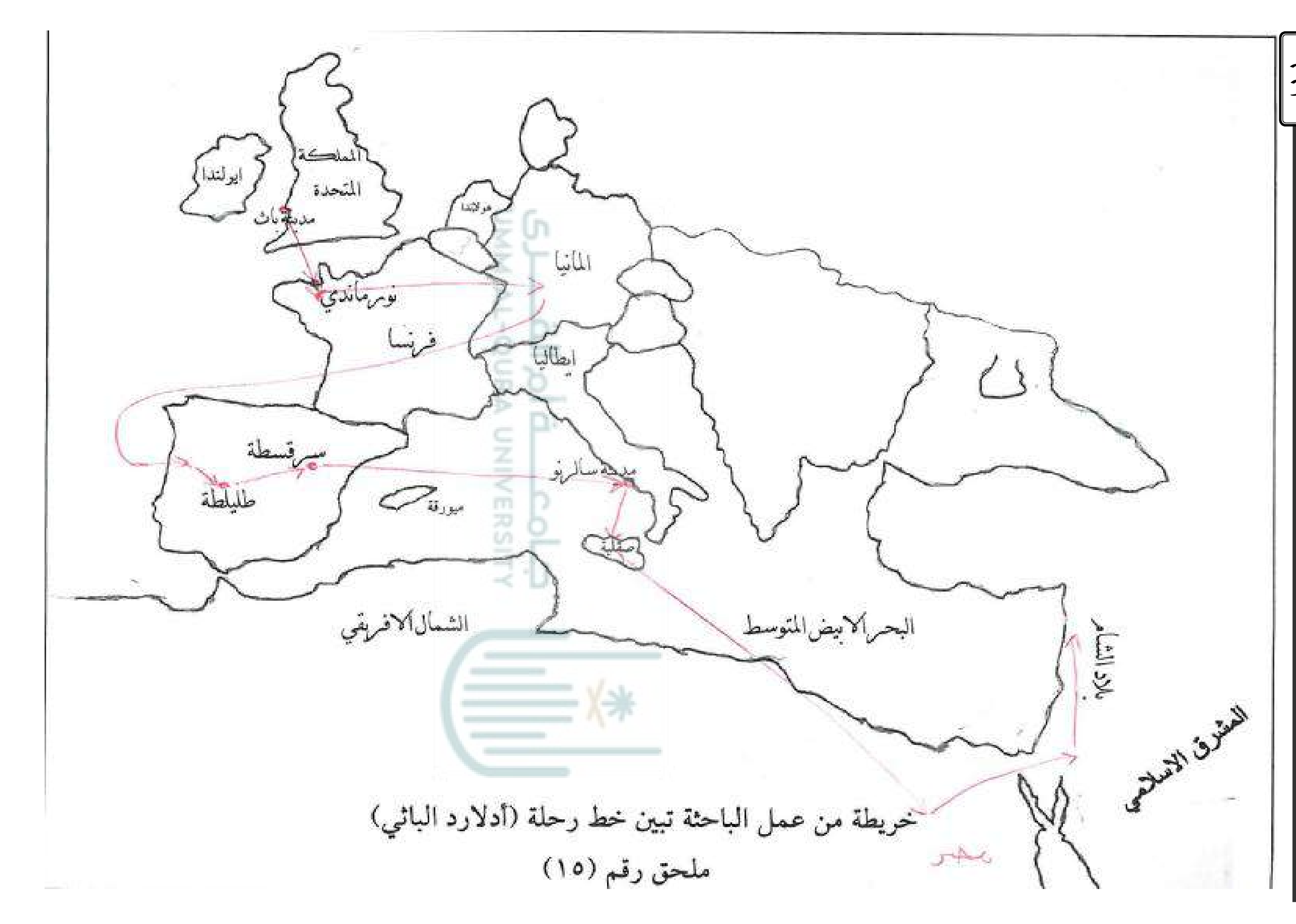
ملحق رقم (١٣)

خريطة من عمل الباحثة تبين مراكز الترجمة



خريطة من عمل الباحثة تبين خط رحلة الحجري

ملحق رقم (١٤)



خريطة من عمل الباحثة تبين خط رحلة (أدلارد الباثي)

ملحق رقم (١٥)

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

أولاً : المصادر

- **ابن أبي أصيبعة : أبوالعباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م) :**

v عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .

- **ابن الأثير : أبوالسعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ/١٢١٠م) :**

v النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) .

- **ابن الأثير : أبوالحسن علي بن محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ-١٢٣٣م) :**

v الكامل في التاريخ ، عناية : أبوصهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، بيروت .

- **ابن الأبار : محمد بن عبدالملك القضاعي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) :**

v التكملة لكتاب الصلة ، القسم الأول المفقود ، طبعة مدريد ، عني بطبعه البريد بل وابن أبي شبت ، المطبعة الشرقية ، الجزائر ، ١٣٣٧هـ/١٩١٩م .

v الحلة السيراء ، ط٢ ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

- **الألوسي : نعمان محمود (ت١٣١٧هـ/١٨٩٩م) :**

v الجواب الفسيح لما لفقه عبدالمسيح ، ط١ ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار البيان العربي ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م ، جزأين .

- **الإدريسي : أبوعبدالله محمد الحسيني (ت تقريباً ٥٦٠هـ/١١٦٤م) :**
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، جزأين .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١ ، عالم الكتاب ، بيروت .
- **أبوالوفاء : المبشر بن فاتك الآمدي (ت : أواخر القرن ٥هـ/١١م) :**
- مختار الحكم ومحاسن الكلم ، ط٢ ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، ١٩٨٠م .
- **الآجرومي : محمد الصنهاجي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م) :**
- متن الآجرومية في قواعد علم العربية ، ط١ ، تحقيق : أحمد الأمين الشنقيطي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٤هـ .
- **ابن إسحاق : حنين (ت٢٦٠هـ/٤٧٣م) :**
- كتاب العشر مقالات في العين ، ط١ ، تحقيق : ماكس ماير هوف ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٢٨م .

- **أليجيري : دانتي :**
- الكوميديا الإلهية (المطهر) ، ط٢ ، ترجمة : حسن عثمان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
- اينهارد : سيرة شارلمان ، ط١ ، ترجمة : عادل زيتون ، دار حسان ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .
- **البكري : أبوعبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ-١٠٩٤م) :**
- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، ط١ ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، دار الرشاد ، بيروت ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٨م .
- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .
- **ابن بسام : أبوالحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ-١١٤٧م) :**
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ط٢ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار

الثقافة ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
- **ابن بشكوال : خلف بن عبدالملك (ت٥٧٧هـ/١١٨٢م) :**
v الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، ط٢ ، تصحيح : عزت الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
- **البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٩٧هـ/٨٩٢م) :**
v فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- **البغدادي : عبداللطيف موفق الدين بن محمد ، (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) :**
v رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر ، أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط٢ ، إشراف : عبدالرحمن الشيخ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨م .
- **التهانوي : محمد علي الفارقي (ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م) :**
v كشاف اصطلاحات الفنون ، دار صادر ، بيروت .
- **ابن تيمية : أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م) :**
v درء تعارض العقل والنقل ، ط١ ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، إحدى عشر جزءاً .
- **ابن جلجل : سليمان بن حسان الأندلسي ، (ت بعد ٣٨٤هـ/١٩٩٤م) :**
v طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق : فؤاد سيد ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .
- **الجرجاني : علي بن محمد (ت٨١٦هـ/١٤١٣م) :**
v كتاب التعريفات ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- **الجاحظ : أبوعثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) :**

v كتاب الحيوان ، ط٢ ، تحقيق وشرح : عبدالسلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م ، سبعة أجزاء .
v البيان والتبيين ، ط٧ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، أربعة أجزاء .
- **ابن جبير : محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) :**
v رحلة ابن جبير المعروفة باعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك ، ط١ ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
- **أبوالفتح بن جني : عثمان (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) :**
v الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٥٢م ، ثلاثة أجزاء .
- **حرف الحاء**
- **حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ-١٦٥٦م) :**
v كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- **الحجري : أحمد بن قاسم (ت بعد ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م) :**
v ناصر الدين على القوم الكافرين ، تحقيق وتقديم وترجمة : شورد كوننكز ، قاسم السامرائي ، خيرارد فيخرز ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي ، ١٩٩٧م .
- **ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) :**
v فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ط١ ، تحقيق : محمد عبدالباقي ، ومحب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م ، ثلاثة عشر جزءاً .
v الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : طه الزيني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .
- **حسين : سيد عبدالله علي :**

v المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي بين القانون الفرنسي ومذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، ط١ ، تحقيق : محمد سراج ، علي محمد ، أحمد بدران ، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، ٤ أجزاء .

- **ابن حيان : حيان بن خلف (ت٤٦٩هـ/١٠٧٩م) :**

v المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، تحقيق : عبدالرحمن الحجي ، دار الثقافة بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .

- **الحميدي : أبوعبدالله بن أبي نصر (٤٨٨هـ/١٠٩٥م) :**

v جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ط١ ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

- **الحميري : محمد بن عبدالمنعم (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م) :**

v الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط٢ ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤م .

- **ابن حوقل : محمد أبوالقاسم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) :**

v كتاب صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢م .

- **حرف الخاء :**

- **ابن خرداذبه : أبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) :**

v المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٠٧هـ-١٨٨٩م .

- **الخطيب البغدادي : أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :**

v الكفاية في علم الرواية ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٣٥٧هـ .

- **ابن الخطيب : لسان الدين محمد التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) :**

v أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، ط٢ ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦م .

- **ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :**

v الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط١ ، تحقيق : محمد عنان ، مكتبة الخانجي للنشر ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ، أربعة أجزاء .

v العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : أبوصهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية .

v العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تحقيق : عبدالسلام الشدادي ، بيت الفنون ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٥م ، خمسة أجزاء .

v المقدمة ، تحقيق : أبوعبدالله السعيد المندوه ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، جزأين .

- ابن خلكان : **أبوالعباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ /١٢٨٢م) :**

v وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ط١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩م ، ستة أجزاء .

- **الخوارزمي : أبي عبدالله محمد بن يوسف (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) :**

v مفاتيح العلوم ، ط١ ، تحقيق : نهى النجار ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٣م .

- **حرف الراء :**

- **الرازي : محمد بن أبي بكر (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م) :**

v مختار الصحاح ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

- **الرازي : محمد بن زكريا (ت٣١٣هـ/٩٢٥م) :**

v كتاب في الجدري والحصبة ، المدرسة الكلية السورية الإنجيلية ، بيروت ، ١٨٧٢م .

- **ابن رشد : محمد بن رشد (ت٥٩٥هـ/١١٩٨م) :**

v تهافت التهافت ، ط١ ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- حرف الزاي :

- الزهراوي : أبوالقاسم خلف بن عباس (ت٤٠٤هـ/١٠١٣م) :

v الجراحة ، وهي المقالة الثلاثون من الموسوعة الطبية التصريف لمن عجز عن التأليف ، تحقيق : عبدالعزيز الناصر ، وعلي التويجري ، مطبعة الفرزدق ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

- الزهري : محمد بن أبي بكر (ق ٦ هـ/١٢م) :

v كتاب الجغرافية ، تحقيق : محمد صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد .

- الذهبي : شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) :

v سير أعلام النبلاء ، ط١١ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ثلاثة وعشرون جزءاً .

- حرف السين :

- ابن سعد : محمد بن سعد الهاشمي (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) :

v الطبقات الكبرى ، ط٢ ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، ثمانية أجزاء .

- ابن سعيد علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) :

v المغرب في حلى المغرب ، ط٣ ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

- ابن سناء الملك : القاضي السعيد هبة الله بن جعفر (ت٦٠٨هـ/١٢١١م) :

v دار الطراز في عمل الموشحات ، ط٣ ، تحقيق : جودت الركابي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٠م .

- ابن سينا : علي بن الحسين ، (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) :

v القانون في الطب ، تحقيق : سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

v قصة حي بن يقظان ، تحقيق : أحمد أمين ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

- **السيوطي : جلال الدين بن عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) :**

v صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، تعليق : سامي النشار ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة ، (د.ت) .

v بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٥هـ .

- **حرف الشين :**

- **ابن الشباط : محمد بن علي (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) :**

v وصف الأندلس وصقلية ، تحقيق : أحمد العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج١٤ ، ١٩٦٧م .

- **ابن شداد : عز الدين محمد بن علي ، (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) :**

v تاريخ الملك الظاهر ، تحقيق : أحمد حطيط ، دار النشر فرانسنت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- **ابن شداد : بهاء الدين أبوالمحاسن يوسف (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) :**

v النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ط١ ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- **الشهرستاني : أبي الفتح محمد بن عبدالكريم (ت٥٤٩هـ/١١٥٤م) :**

v الملل والنحل ، ط١ ، تحقيق : عبدالأمير مهنا ، علي فاعور ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- **أبوشامة : عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي ، (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) :**

v الروضتين في أخبار الدولتين ، مطبعة وادي النيل ، القاهرة ، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، جزئين .

- **حرف الصاد :**

- **صاعد : أبوالقاسم صاعد بن أحمد ، (ت٤٦٢هـ/١٠٧٠م) :**
- طبقات الأمم ، ط١ ، تحقيق وشرح : لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩١٢م .
- **الصفدي : صلاح الدين بن خليل أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :**
- الوافي بالوفيات ، ط١ ، تحقيق : ؛ أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م ، تسعة وعشرون جزءاً .
- **ابن الصلاح : أبوعمرو عثمان الشهرزوري (ت٥٩٩هـ/١٢٠٢م) :**
- فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والعقائد ، ط١ ، تحقيق : عبدالمعين قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، جزءين .
- **الصوري : وليم :**
- تاريخ الأعمال التي تمت فيما وراء البحار ، تحقيق : حسن حبشي ، ١٩٩١م ، جزئين .
- **حرف الطاء :**
- **طاليس : أرسطو :**
- الخطابة ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٩م .
- **الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٣م) :**
- تاريخ الأمم والملوك ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٩م ، عشرة أجزاء .
- **ابن طفيل : محمد بن عبدالملك ، (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) :**
- حي بن يقظان ، ط١ ، تحقيق : عبدالرحمن بدوي ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- **حرف العين :**
- **ابن عذاري : أحمد بن محمد المراكشي : (كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م) :**
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط٢ ، تحقيق : ج .

س.كولان ، وليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

- **العيني : بدر الدين محمود (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م) :**

v عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ١٤٢١هـ-٢٠١٠م ، العصر الأيوبي .

- **حرف الغين :**

- **الغزالي : محمد بن محمد بن محمد ، (ت٥٠٥هـ/١١١١م) :**

v تهافت الفلاسفة ، ط٦ ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ .

v مشكاة الأنوار ، تحقيق : أحمد عزت ، وفرح الكردي ، مطبعة الصدق ، القاهرة ، ١٣٢٢هـ .

v مقاصد الفلاسفة ، ط١ ، تحقيق : محمود بيجو ، مطبعة الصباح ، دمشق ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

v ميزان العمل ، ط١ ، تحقيق : سليمان دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- **الغساني : محمد :**

v رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، ط١ ، تحقيق : نوري الجراح ، دار السويدي ، أبوظبي ، ٢٠٠٢م .

- **حرف الفاء :**

- **ابن فارس : أحمد بن فارس الرازي ، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٤م) :**

v حلية الفقهاء ، ط١ ، تحقيق : عبدالله التركي ، الشركة المتحدة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

v معجم مقاييس اللغة ، ط١ ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، ستة أجزاء .

- **الفاسي : الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الأفريقي (ت بعد ٩٥٧هـ/١٥٥٠م) :**
- وصف أفريقيا ، ط٢ ، ترجمة : محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٣م ، جزئين .
- **الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب الشيرازي (٨١٧هـ/١٤١٥م) :**
- القاموس المحيط ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م ، أربعة أجزاء .
- **حرف القاف :**
- **القاضي عياض : أبوالفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م) :**
- الشفا بتعريف المصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- **القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) :**
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ط١ ، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ، أربعة أجزاء .
- **القلقشندي : أبي العباس أحمد بن علي ، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) :**
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٣١هـ/١٩١٣م .
- **القللوسي : أبوبكر محمد بن محمد الأندلسي (ت٧٠٧هـ/١٣٠٨م) :**
- تحفة الخواص في طرف الخواص في صنعة الأمدَّة والأصباغ والأدهان ، ط١ ، تحقيق : حسام أحمد العبادي ، مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧م .
- **القنوجي : صديق بن حسن (ت١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) :**
- أبجد العلوم ، ط١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
- **ابن القوطية : محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) :**
- تاريخ افتتاح الأندلس ، ط٢ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩م .
- **حرف الكاف :**

- **ابن كثير : إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :**
v البداية والنهاية ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- **الكحال : علي بن عيسى : (ت ث ٥هـ/١١م) :**
v تذكرة الكحالين تصحيح وتعليق : غوث محيي الدين ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٨٣م .
- **ابن الكردبوس : أبومروان عبدالملك التوزي (عاش في ق ٦هـ/١٢م) :**
v تاريخ الأندلس ، تحقيق : أحمد العبادي ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، مج١٣ ، ١٩٦٥م .
- **الكندي : يعقوب بن إسحاق (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) :**
v رسائل الكندي الفلسفية ، ط٢ ، تحقيق : محمد عبدالهادي أبوريده ، مطبعة الإحسان ، القاهرة .
- **حرف الميم :**
- **مجهول :**
v أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم ، ط٢ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
- **المراكشي : عبدالواحد (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) :**
v المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة بريل ، ١٨٤٧م .
- **المرزوقي : علي بن أحمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) :**
v شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، ط١ ، تحقيق : عريد الشيخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م .
- **المسعودي : علي بن الحسين ، (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) :**
v مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، تحقيق : سعيد اللحام ، دار الفكر ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، أربعة أجزاء .
- **مسلم : الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت/) :**

v صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي ، المسمى المنهاج ، ط١ ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

- **المقري : أحمد بن محمد : (ت١٠٤١هـ-١٦٣١م) :**

v نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ثمانية أجزاء .

- **المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) :**

v السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط١ ، تحقيق : محمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ثمانية أجزاء .

- **ابن منظور : أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت٧١١هـ/١٣١١م) :**

v لسان العرب ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ، تسعة أجزاء .

- **الميداني : أبوالفضل ، أحمد محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ/١١٢٤م) :**

v مجمع الأمثال ، ط١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة ، بيروت .

- **حرف النون :**

- **الناصري : أبوالعباس أحمد بن خالد السلاوي المغربي (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م) :**

v الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ط١ ، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٥م ، ثمانية أجزاء .

- **النديم : محمد بن إسحاق (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) :**

v الفهرست ، ط٢ ، تحقيق : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ،

١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

- حرف الهاء :

- ابن هشام : عبدالملك بن هشام النحوي (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) :

v السيرة النبوية ، ط١ ، تحقيق : همام سعيد ومحمد أبوصعيليك ، مكتبة المنار ، الأردن ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م ، أربعة أجزاء .

- ابن الهيثم : الحسن (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م) :

v كتاب المناظر ، ط١ ، تحقيق : عبدالحميد صبرة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .

- حرف الواو :

- ابن واصل : محب الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) :

v مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : حسنين ربيع ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، أربعة أجزاء .

- الونشريسي : أبوالعباس أحمد بن يحيى (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) :

v المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف : محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، الرباط ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ثلاثة عشر جزءاً .

- حرف الياء :

- ياقوت : ياقوت بن عبدالله الحموي ، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :

v معجم الأدباء ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، خمسة أجزاء .

v معجم البلدان ، (د.ط) ، تحقيق : فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٥ أجزاء .

ثانياً : المراجع العربية والمعربة

- أباظة : فاروق عثمان :
v أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، ط٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- أبوسليمان : عبدالوهاب :
v كتابة البحث العلمي صياغة جديدة ، ط٤ ، دار الشروق ، جدة ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- أحمد : عزيز :
v تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة : أحمد الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- أحمد : إبراهيم :
v أوائل المطبوعات الأوروبية عن الحضارة العربية الإسلامية .
- أحمد : محمد رزوق :
v التجربة الأندلسية الموريسكية ، محاولة فحص من الداخل ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
- آربري : ا.ج :
v المستشرقون البريطانيون ، تعريب : محمد النويهي ، مطبعة وليام كوليتز ، لندن ، ١٩٤٦م .
- أرسلان : شكيب :
v تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
v الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ط١ ، تحقيق : محمد

الحبابي ، المطبعة الرحمانية ، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م ، جزئين .

- **أسد : محمد :**

v الإسلام على مفترق الطرق ، ط٨ ، ترجمة : عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٤م .

آسين : ميجيل :

v أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ، ترجمة : جلال مظهر ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٠م .

- **أشباخ : يوسف :**

v تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ط٢ ، ترجمة : محمد عنان ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م .

- **الأشقر : محمد :**

v معجم علوم اللغة عن الأئمة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

- **آلار : أندريه :**

v تأثير الرياضيات العربية في الغرب في القرون الوسطى ، إشراف : رشدي راشد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م .

- **أوليري : دي لاسي :**

v علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، (د.ط) ، ترجمة : وهيب كامل ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

v الفكر العربي ومكانته في التاريخ ، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٠١هـ .

- **أماري : ميكيلي :**

v تاريخ مسلمي صقلية ، إعداد : محب سعد إبراهيم ، فلورنسا لي مونييه ، ٢٠٠٣م ، ثلاثة أجزاء .

- **الأميني : محمد تقي :**

v الإسلام تشكيل جديد للحضارة ، ط١ ، ترجمة : مقتدي ياسين ، مراجعة : عبدالحليم عويس ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

- **إيبالثا : ميكيل :**

v الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى ، ترجمة : جمال عبدالرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م .

v المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .

- **ايرفوا :**

v علماء الأندلس ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .

- **ايرفينغ : واشنطن :**

v الحمراء ، قصة أثر الحضارة العربية ، ط١ ، ترجمة : هاني نصري ، مركز الأبحاث ، حلب ، ١٩٩٦م ، القسم الأول .

- **اينهارد :**

v سيرة شارلمان ، ط١ ، ترجمة : عادل زيتون ، دار حسان ، دمشق ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

- **باربارو : نيقولو :**

v الفتح الإسلامي للقسطنطينية ، يوميات الحصار العثماني ، ط١ ، ترجمة ودراسة : حاتم الطحاوي ، عين للدراسات والبحوث ، ٢٠٠٢م .

- **بارت : رودي :**

v الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة : مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

- **بارندر : جفري :**

v المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، ترجمة : إمام عبدالفتاح إمام ، عبدالغفار مكاوي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

- **البازعي : سعد :**

v المكون اليهودي في الحضارة الغربية ، ط١ ، المركز العربي الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٧م .

- **بالنثيا : آنخل :**

v تاريخ الفكر الأندلسي ، ط١ ، ترجمة : حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨م .

- **بدر : أحمد :**

v دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٦٩م .

- **بدوي : عبدالرحمن :**

v أرسطو عند العرب ، دراسات ونصوص غير منشورة ، ط٢ ، وكالة المطبوعات الكويت ، ١٩٧٨م .

v الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .

v التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، دراسات لكبار المستشرقين ، ألف بينها وترجمها : عبدالرحمن بدوي ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦م .

v دفاع عن القرآن ضد منتقديه ، كمال جاد الله ، دار العالمية للنشر .

v دفاع عن محمد ﷺ من المنتقصين من قدره ، كمال جاد الله ، الدار العالمية للنشر .

v دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

v الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية ، دار المعارف ، تونس .

v مؤلفات الغزالي ، ط٢ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧م .
v موسوعة المستشرقين ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- **برنار : غولدشتاين :**
v إرث العلم العربي في العبرية ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، إشراف : رشدي راشد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- **برنز : واكيم :**
v بابوات اليهود ، ، من غيتو روما ، ترجمة : سهيل زكار ، دار قتيبة .
- **بروخمان : بان :**
v هولندا والعالم العربي ، ط١ ، ترجمة : أسعد جابر ، وزارة الخارجية في هولندا ، لاهاي ، ١٩٨٧م .
- **بروفنسال : ليفي :**
v الحضارة العربية في إسبانيا ، ط٢ ، ترجمة : الطاهر المكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
v الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة : محمود سالم ، ومحمد حلمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م .
- **بروكلمان : كارل :**
v تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : عبدالحليم النجار ، ط٣ ، دار المعارف .
- **البسام : لطيفة :**
v الحياة العلمية في أفريقية في عصر بني زيري ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .
- **بشتاوي : عادل :**
v الأندلسيون المواركة ، مطابع انترناشيونال ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ .
- **البشري : سعد عبدالله :**
v الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، ط١ ، مركز الملك

فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
v الحياة العلمية في عصر الخلافة ، جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية ، ١٤١٧هـ .
- **البطريق : عبدالحميد ، نوار : عبدالعزيز :**
v التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، ط١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ت) .
- **البغدادي : إسماعيل باشا بن محمد البابائي :**
v هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م ، جزئين .
- **بك : أحمد رضا :**
v الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق ، ط٢ ، ترجمة : محمد بورقيبة ، محمد الرمزلي ، دار بوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٧٧م .
- **بلاشير :**
v قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها ، وجهة نظر الاستعراب الفرنسي ، ط١ ، ترجمة : محمود المقداد ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٩٨٨م .
- **بلسنر : تراث الإسلام :**
v قصة العرب في إسبانيا ، (ط.د) ، ترجمة : علي الحارم ، ١٩٤٤م .
- **بلغيث : محمد :**
v دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار السوبر ، الجزائر ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
- **بن بيه : عبدالله بن محمد :**
v الإسلام والحضارات الأخرى ، «ضمن ندوة الإسلام وحوار

الحضارات» مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ، ثلاثة أجزاء .

- **البنداق : محمد صالح :**

v المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

- **بن شريفة : محمد :**

v الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني ، مساهمة في كتاب المغرب في الدراسات الاستشراقية ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة الندوات ، ١٩٩٣م .

- **البهي : محمد :**

v المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام ، مطبعة الأزهر .

- **بيجوفيتش : علي عزت :**

v الإسلام بين الشرق والغرب ، ط١ ، ترجمة : محمد عدس ، مؤسسة العلم الحديث ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

- **بيدال : رامون ميننددث :**

v إسبانيا تنقل العلم العربي إلى الغرب ، ط١ ، ترجمة : الطاهر أحمد مكي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- **بيرنت : تشارلز :**

v حركة الترجمة من العربية في العصور الوسطى ، ضمن كتاب : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، جزئين .

- **بيل : روجر :**

v الترجمة وعملياتها النظرية والتطبيقية ، ط١ ، ترجمة : محيي الدين حميدي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

- **بيومي : محمد رجب :**

v الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر ، ط١ ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

- **التازي : عبدالهادي :**

v جامع القرويين ، المسجد والجامعة بمدينة فاس ، ط١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٢م ، جزئين .

v رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، جزئين .

v العلاقات الدبلوماسية للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- **التميمي : عبدالجليل :**

v تأملات جديدة حول مصير الموريسكيون الأندلسيون بعد سقوط غرناطة ، بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٥م .

- **توني : أحمد :**

v العلاقات الدبلوماسية للخلافة العباسية (١٣٢-٢٣٢هـ) ، مركز الاسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٤م .

- **جارودي : روجيه :**

v الإسلام في الغرب قرطبة عاصمة العالم والفكر ، ط١ ، ترجمة : ذوقان قرقوط ، جوهرة دمشق للنشر ، دمشق ، ١٩٩٥م .

- **جحا : ميشال :**

v الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ط١ ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٢م .

- **جرار : صلاح :**

v دراسات في التفاعل الحضاري والثقافي في الأندلس ، ط١ ، المؤسسة

العربية للدراسات والنشر ، ٢٠٠٤م .
- **جكار : دانيال :**
v تأثير الطب العربي في الغرب خلال القرون الوسطى ، بحث ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية ، إشراف : رشدي راشد ، وريجيس مورلون ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- **جلال :** حسين :
v فضل المسلمين في كشف الطريق البحري إلى الهند ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ٢٠٠٢م .
- **جمال الدين : عبدالله :**
v طرد المسلمين من الأندلس ، مراحله وآثاره ، نتائجه ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م .
- **جميعان : ميخائيل :**
v المؤثرات الثقافية الشرقية على الحضارة الغربية ، المطبعة الاقتصادية ، ط.د .
- **الجميلي : رشيد :**
v حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع ، دار الحرية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
v حركة الترجمة والنقل في القرنين الأول والثاني للهجرة ، منشورات جامعة قاريونس .
- **الجندي : أنور :**
v الإسلام والحضارة ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت .
v صفحات مضيئة من تراث الإسلام ، دار الاعتصام ، القاهرة .
- **جورافسكي : أليكسي :**
v الإسلام والمسيحية ، ترجمة : خلف محمد الجراد ، عالم المعرفة ،

الكويت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

- **جيرا : يوسف :**

v تاريخ دراسة اللغة العربية بأوروبا ، مطبعة الشباب بمصر ، القاهرة ، ١٩٢٩م .

- **الجيلاني : إبراهيم :**

v علم الترجمة وفضل العربية على اللغات ، ط١ ، المكتب العربي للمعارف .

- **حتاملة : محمد عبده :**

v مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢هـ ، بحث ضمن ندوة الأندلس ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٤م .

v موسوعة الديار الأندلسية ، ط١ ، المكتبة الوطنية ، عمان ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، جزأين .

- **حتى : فيليب :**

v تاريخ العرب «مطول» ، دار الكشاف ، ١٩٥٢م .

- **الحجي : عبدالرحمن :**

v العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوروبا الغربية خلال المدة الأموية ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

v العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط١ ، المجمع الثقافي ، أبوظبي ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

v التاريخ الإسلامي ، ط٢ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨١م .

- **حسن : زكي :**

v الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

- **حسن : محمد عبدالغني :**

v فن الترجمة في الأدب العربي ، مكتبة المعارف .

- **حسن : محمد :**
v الشريف الإدريسي أشهر جغرافيي العرب ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١م .
- **حسن : نبيلة ، أبوالعلا : إبراهيم :**
v في تاريخ الحضارة الإسلامية دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- **حسنين : علي الصادق :**
v لمحة تاريخية عن تراجم معاني القرآن الكريم ، ضمن الندوة العالمية حول ترجمات معاني القرآن الكريم ، ط١ ، ١٣٩٥م .
- **حسين : محمد محمد :**
v في الطب والأقرباذين ، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م .
- **حطاب : كمال :**
v اتجاهات البحث العلمي في الاقتصاد الإسلامي ، أبحاث المؤتمر العالمي السابع للاقتصاد الإسلامي ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .
- **حلاق : حسان :**
v العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، (د.ط) ، الدار الوطنية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- **حلمي : مصطفى :**
v مناهج البحث في العلوم الإنسانية بين علماء الإسلام وفلاسفة الغرب ، ط٢ ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .
- **حمادة : محمد ماهر :**
v رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكراً ومادة ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، جزأين .

v المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ، ط٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

- **حمدان : عبدالحميد صالح :**

v طبقات المستشرقين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

- **حمداني : عباس :**

v الإطار الإسلامي للرحلات الاستكشافية ، ضمن الحضارة العربية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

- **حواله : يوسف :**

v الحياة العلمية في إفريقية «المغرب الأدنى» منذ تمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري ، معهد البحوث العلمية ، مكة المكرمة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ، جزأين .

- **الحوالي : سفر بن عبدالرحمن :**

v العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، ط١ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، (د.ت) .

- **حوراني : ألبرت :**

v الإسلام في الفكر الأوروبي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٤م .

- **الخربوطلي : علي :**

v العرب في أوروبا ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م . --العرب واليهود في العصر الإسلامي ، الدار القومية للنشر ، القاهرة .

- **خضر : طارق :**

v علاقة الموريسكيون بالأراضي العربية المكرمة ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ،

الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

- **خضر : أحمد :**

v اعترافات علماء الاجتماع ، ط١ ، المنتدى الإسلامي ، لندن ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

- **الخضيري : زينب محمود :**

v أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى ، مؤسسة مصطفى قانصو ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

- **الخطابي : محمد العربي :**

v الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ، دراسة وتراجم وخصوص ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، جزئين .

- **خفاجي : باسم :**

v لماذا يكرهونه ، الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ ، ط١ ، مطابع أضواء المنتدى ، لندن ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

- **خليفة : شعبان :**

v الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، جزءان .

- **أبوخليل : شوقي :**

v أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين ، ط٢ ، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، ١٩٩٩م .

- **الخوري : إبراهيم :**

v ابن ماجد ومؤلفاته ، ط٢ ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ٢٠٠١م .

- **الخولي : أمين :**

v صلة الإسلام بإصلاح المسيحية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣م .

- **الخوند : مسعود :**

v الموسوعة التاريخية الجغرافية ، دار رواد النهضة ، بيروت ، عشرون جزءاً .

- **أبا الخيل : محمد :**

v جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين ، (٤٨٣هـ/١٠٩٠م-٦٤٠هـ/١٢٤٢م) ، ط١ ، دار أصداء المجتمع ، القصيم ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

- **خير الله : أمين أسعد :**

v الطب العربي ، المطبعة الأمريكانية ، بيروت ، ١٩٤٦م .

- **الدبيان : أحمد بن محمد :**

v حنين بن إسحاق ، دراسة تاريخية ولغوية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ ، جزأين .

- **درمنغم : اميل :**

v الشخصية المحمدية ، السيرة والمسيرة ، ط٣ ، ترجمة : عادل زعيتر ، الشعاع للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

- **درويش : أحمد :**

v الاستشراق الفرنسي والأدب العربي ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٩٧م .

- **درويش : هدى :**

v أسرار اليهود المتنصرين ، دراسة عن اليهود المارانوس ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

- **الدسوقي : فاروق :**

v الإسلام والعلم التجريبي ، ط١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

- **الدفاع : عبدالله :**

v لمحات من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤٠١هـ .

- دوزي : اينهارت وينهرت :

v المسلمون في الأندلس ، (د.ط) ، ترجمة : حسن حبشي ، الهيئة العربية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ثلاثة أجزاء .

v ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام ، ط١ ، ترجمة : كامل كيلاني ، مطبعة عيسى البابي وشركاه ، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م .

- الدوري : عبدالعزيز :

v العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، ط٣ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٧م .

- دونثيل : خوان أراندا :

v الموريسكيون في قرطبة ، خصوصيات ثقافية لأقلية مهمشة ، الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، ترجمة : صالح السنيدي ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

- دياب : حامد الشافعي :

v الكتب والمكتبات في الأندلس ، ط١ ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- دياب : محمد أحمد :

v أضواء على الاستشراق والمستشرقين ، ط١ ، دار المنار ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

- الديب : عبدالعظيم :

v المستشرقون والتاريخ ، ضمن أبحاث الندوة العلمية عن الإسلام والمستشرقين ، ط١ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

- الديداوي : محمد :

v الترجمة والتواصل دراسات تحليلية عملية لإشكالية الاصطلاح ودور المترجم ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٠م .

- **ديس : جوزيف جاي :**

v الزنديق الأعظم ، قصة وسيرة ، ترجمة : أحمد هاشم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر .

- **ديورانت : ول :**

v قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ثلاثون جزءاً .

- **ربيع : حسنين محمد :**

v دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- **الربيعي : عبدالله :**

v أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية ، ط١ ، الرياض ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

- **رزوق : محمد :**

v الأنا والآخر في رحلة الشهاب الحجري ، ضمن أعمال ندوة الرحالة العرب والمسلمون : اكتشاف الآخر المغرب منطلقاً وموئلاً ، مطبعة النجاح الجديد ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٣م .

v الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦-١٧ ، ط٣ ، مطبعة أفريقيا الشرق ، ١٩٩٨م .

- **رستم : سعد :**

v الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم ، ط١ ، الأوائل للنشر ، دمشق ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- **رمضان : أحمد :**

v الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان للطباعة .

- **ريبيرا : خوليان :**
v التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ، ط٢ ، ترجمة : الطاهر المكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤م .
- **ريسلر : جاك :**
v الحضارة العربية ، ط١ ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- **ريشنباخ : هانز :**
v نشأة الفلسفة العلمية ، ترجمة : فؤاد زكريا ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤م .
- **رينان : ارنست :**
v ابن رشد والرشدية ، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، جزأين .
- **رينو : جوزيف :**
v الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا ، في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي ، ط١ ، ترجمة : إسماعيل العربي ، دار الحداثة ، وديوان المطبوعات ، الجزائر ، ١٩٨٤م .
- **زامباور : المستشرق :**
v معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه وترجمه : زكي بل وحسن محمود وسيده إسماعيل ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .
- **الزرقاني : محمد عبدالعظيم :**
v مناهل العرفان في علوم القرآن ،(د.ط)، دار الفكر، جزءين .
- **الزركلي : خير الدين :**
v الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٢٣هـ-

٢٠٠٢م ، ثمانية أجزاء .

- **زعيمة : محمد عبدالرحمن :**

v التأثيرات اللغوية العربية في الشعر العبري الأندلسي ، ضمن أبحاث ندوة التأثيرات العربية في اللغة العبرية ، والفكر الديني والأدب العبري عبر العصور ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ٢٦-٢٧ ، ديسمبر ، ١٩٩٢م .

- **الزغيبي : أحمد عبدالله :**

v العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ٤ أجزاء .

- **زقزوق : محمود حمدي :**

v الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط١ ، مطابع الدوحة الحديثة ، ١٤٠٤هـ .

- **زكريا : زكريا هاشم :**

v فضل الحضارة الإسلامية على العالم ، (د.ط) ، دار النهضة ، القاهرة .

v المستشرقون والإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

- **الزهراني : علي :**

v الحياة العلمية في صقلية الإسلامية ، معهد البحوث العلمية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

- **زودهوف : هاينكة :**

v معذرة كولومبوس لست أول من اكتشف أمريكا ، ط١ ، ترجمة : حسين عمران ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

- **زيادة : نقولا :**

v الجغرافية والرحلات عند العرب ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ١٩٨٧م .

- **الزيادي : محمد فتح الله :**
v الاستشراق وأهدافه ووسائله ، ط١ ، ١٩٩٨م .
- **سابل : لين وستيل : فيليب :**
v ألف حدث عظيم ، ط٣ ، مازن طليمات ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٧م .
- **سارتون : جورج :**
v تاريخ العلم ، ط٢ ، ترجمة : لفيف من العلماء ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ستة أجزاء .
- **سالم : عبدالعزيز :**
v بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة ، ط١ ، دار الغرب ، بيروت ، ١٩٩٢م ، جزئين .
- **السامرائي : خليل :**
v الثغر الأعلى الأندلسي ، دراسة في أحواله السياسية ، ط.د ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م .
v دراسات في تاريخ الفكر العربي ، الموصل ، ١٩٨٦م .
v علاقة المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- **السامرائي : قاسم :**
v الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ط١ ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، البلد (بدون) ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
v الطباعة العربية في أوروبا ، (ضمن أبحاث ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر) ، ط١ ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
- **السامرائي : كمال :**
v فضل العرب في الطب العربي في أوروبا اللاتينية ، فصل من كتاب :

دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩م .

- **السامرائي : نعمان :**

v اليهود والتحالف مع الأقوياء ، ط٢ ، دار الحكمة ، لندن ، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

- **سامسو** : خوليو :

v العلوم الدقيقة في الأندلس ضمن الحضارة العربية في الأندلس .

- **سانشيز : إكسبراثيون غارثيا :**

v الزراعة في إسبانيا المسلمة ، الحضارة العربية الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٣م ، بيروت .

- **السايح** : أحمد عبدالرحيم :

v أضواء على الحضارة الإسلامية ، ط١ ، دار اللواء ، الرياض ، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م .

- **سمايلوفتش : أحمد :**

v فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، (د.ط) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

- **السباعي : مصطفى :**

v من روائع حضارتنا ، ط٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

- **السحيباني : حمد :**

v الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم عصر ملوك الطوائف في الأندلس ، أنموذجاً ، ط١ ، المنتدى الإسلامي في الرياض ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

- **سديو :**

v تاريخ العرب العام ، ط٢ ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي

الحلبي ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م .

- **سذرن : ر.و :**

v نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى ، ط١ ، ترجمة : علي فهمي خشيم ، وصلاح الدين حسن ، مراجعة : عمر الدسوقي ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

- **سزكين : فؤاد :**

v تاريخ التراث العربي ، ترجمة : عبدالله حجازي ، مطابع جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ .

v محاضرات في تاريخ العلوم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض ، ١٩٧٩م .

v نقل الفكر العربي إلى أوروبا اللاتينية ، ضمن ندوة «حلقة وصل بين الشرق والغرب» ، أكاديمية المملكة ، أكادير ، ١٩٨٥م .

- **سعيد : إدوارد :**

v الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء ، ط١ ، ترجمة : كمال أبوديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨١م .

- **سعيدان : عمر :**

v العلاقات الإسبانية الأندلسية في القرن الرابع عشر الميلادي ، وسقوط غرناطة ، ط١ ، منشورات سعيدان ، سوسة ، ٢٠٠٣م .

- **السقاف : أبكار :**

v الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين ، ط١ ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

- **سلطان : جمال :** الغارة على التراث الإسلامي ، ط١ ، مكتبة السنة ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- **السلمي : محمد :**

v منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه ، ط١ ، دار الوفاء للطباعة

والنشر ،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- **السماك : محمد :**
v الاستغلال الديني في الصراع السياسي ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .
v الصهيونية المسيحية ، ط٤ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
v عندما احتل المسلمون جبال الألب ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
v مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي ، ط١ ، دار لنفائس ، بيروت ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
- **السويسي : محمد :**
v انتقال العلوم العربية والحضارة الإسلامية إلى الغرب ، ط١ ، المؤسسة الوطنية «بيت الحكمة» ، تونس ١٩٨٩م .
- **السيوطي : خالد عبدالحليم :**
v الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس ، دار قباء للنشر ، الاسكندرية ، ٢٠٠١م .
- **سيسالم : عصام :**
v جزر الأندلس المنسية ، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- **شاتلية : ل :**
v الغارة على العالم الإسلامي ، ط٢ ، ترجمة : مساعد اليافي ، محب الدين الخطيب ، منشورات العصر الحديث ، جدة ، ١٣٨٧م .
- **شاخت وبوزورث :**
v تراث الإسلام ، ترجمة : محمد السمهوري ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، ثلاثة أجزاء .

- شايندلين : ريموند :
v اليهود في إسبانيا المسلمة ، ضمن «الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس» .
- الشحري : محمد :
v العلوم والفنون الإسلامية وأثرها في تقدم أوروبا ، ط١ ، مكتبة المتنبي ، الدمام ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
- شحلان : أحمد :
v ابن رشد والفكر العبري الوسيط ، ط١ ، مطبعة الوراقة الوطنية ، ١٩٩٩م ، مراكش ، ١٩٩٩م ، جزئين .
v التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي ، ط١ ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، ٢٠٠٦م .
v دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية ، ضمن أبحاث ندوة حلقة وصل بين الشرق والغرب ، أكاديمية المملكة المغربية ، أكادير ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .
- أبوشرب : أحمد :
v أوضاع الجالية الإسلامية بالبرتغال ، الأندلس قرون من التقلبات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- الشربيني : لطفى :
v معجم كصطلحات الطب النفسي ، مركز تعريب العلوم الصحية ، الكويت .
- شرف : عبدالعزيز :
v الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي ، مؤسسة الثقافة ، الاسكندرية ، ١٩٩٣م .
- الشريف : حامد محمد الهادي :
v أحوال غير المسلمين في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي ، ط١ ،

أمانة عمان الكبرى ، عمان ، ٢٠٠٧م .

- **بن شقرون : محمد :**

v نبذة تاريخية حول ترجمة معاني القرآن الكريم ، ضمن : «الندوة الدولية حول ترجمات معاني القرآن الكريم» ، ط١ ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ١٣٧٠هـ .

- **شلبي : أحمد :**

v المسيحية ، ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

v اليهودية ، ط١٠ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

- **شما : فهمي :**

v الترجمة علم وفن واختصاص ، عمان ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

- **شماني : توما :**

v فضل العرب في الطب على الغرب ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٩م .

- **شنوان : يونس :**

v الشعر الأندلسي وشعر التروبادور ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاء ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

- **الشوباشي : محمد مفيد :**

v رحلة الأدب العربي إلى أوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

- **الشيال : جمال الدين :**

v التاريخ الإسلامي وأثره في الفكر التاريخي الأوروبي في عصر النهضة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩م .

- **شيخاني : محمد :**

v المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم ، ضمن «الندوة العالمية حول ترجمة معاني القرآن الكريم» ، ط١ ، ١٣٩٥هـ .

- **شيخة : جمعة :**

v دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، ثلاثة أجزاء .

- **شيفل : فرديناند :**

v الحضارة الأوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة ، ط١ ، ترجمة : منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٢م .

- **صالح : هاشم :**

v الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ، ط١ ، دار الساقي ، لندن ، ١٩٩٨م .

v مدخل إلى التنوير الأوروبي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

- **الصعيدي : عبدالحكم :**

v الرحلة في الإسلام ، ط١ ، الدار العربية ، القاهرة ، ١٤١٦هـ-١٩٩٢م .

- **الصغير : محمد حسين :**

v المستشرقون والدراسات القرآنية ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- **الصلابي : علي محمد :**

v فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح ، ط١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

- **الصياد : فؤاد :**

v المغول في التاريخ ، (د.ط) دار النهضة العلمية ، بيروت .

- **طرخان : إبراهيم علي :**

v المسلمون في أوروبا العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ،

القاهرة ، ١٩٦٦م .

- **طه : عبدالواحد ذنون :**

v دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها ، ط١ ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

- **طوقان : قدري :**

v علماء العرب وما أعطوه للحضارة ، (د.ط) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

v العلوم عند العرب ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

- **الطويل : توفيق :**

v قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

v الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية ، (د.ط) ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

- **ظاظا : حسن :**

v أبحاث في الفكر اليهودي ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

v الشخصية الإسرائيلية ، ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

- **عاشور : سعيد عبدالفتاح :**

v أوروبا العصور الوسطى ، ط١٠ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

v الحركة الصليبية ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، جزأين .

v المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية ، ط٢ ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٨٢م .

v التعليم العالي في العصور الوسطى ، دراسة مقارنة بين العالمين الإسلامي والمسيحي ، ضمن كتاب «بحوث ودراسات في العصور الوسطى ، بيروت ، دار الأحد ١٩٧٧م .
- **عاشور : سعيد وسعد عبدالحميد ، وأحمد العبادي :**
v دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، (د.ط) ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- **العاني : عبدالقهار**
v الاستشراق والدراسات الإسلامية ، ط١ ، دار الفرقان للنشر ، عمان ، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م .
- **العبادي : أحمد مختار**
v دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧م .
- **عباس : إحسان**
v العرب في صقلية ، ط٢ ،دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٥م .
- **عبدالبديع : لطفي**
v الإسلام في إسبانيا ، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- **عبدالحميد : رأفت**
v الفكر السياسي الأوروبي في العصور الوسطى ، (د.ط) ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- **عبدالعليم : رجب**
v العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف ، دار الكتب الإسلامية ، القاهرة .
- **عبدالمجيد : محمد بحري**
v اليهود في الأندلس ، المكتبة الثقافية ، ١٩٧٠م .

- **عبدالمحسن : عبدالراضي محمد**

v ماذا يريد الغرب من القرآن ، ط١ ، البيان ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

- **عبده :**

v الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، دار الحداثة للنشر ، ١٩٨٨م .

- **بن عبود : محمد :**

v جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري ، ط١ ، مطبعة النور ، تطوان ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

- **العبيد : علي بن سليمان**

v ترجمة القرآن الكريم حقيقتها وحكمها ، ضمن : «بحوث الندوة ترجمة معاني القرآن الكريم ، تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف» ، المدينة المنورة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

- **عجك : بسام داود**

v الحوار الإسلامي المسيحي ، المبادئ التاريخ الموضوعات الأهداف ، ط١ ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .

- **عجيبة : أحمد علي :**

v أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي ، ط١ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

- **العدوي : إبراهيم**

v السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى ، دار المعارف ، ١٩٥٧م .

- **عرابي : رجاء عبدالحميد :**

v سفر التاريخ اليهودي ، ط١ ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- **العريني : السيد الباز**

v الدولة البيزنطية ، (د.ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

- **العريني : يوسف**

v الحياة العلمية في الأندلس في عهد الموحدين ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م .

- **عزب : خالد**

v المسلمون واكتشاف الأمريكيتين ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

- **عزيز : يوسف وآخرون**

v الترجمة الأدبية ، جامعة الموصل ، وزارة التعليم العالي ، ١٩٨١م .

- **العسري : محمد**

v الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني من ريموندس لولوس إلى يسين بلاثيوس ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ .

- **العسكر : عبدالله**

v الجدل الديني في الأندلس سمة من سمات حوار الحضارات ، ضمن ندوة الإسلام وحوار الحضارات ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- **عسيري : مريزن سعيد :**

v تعليم الطب في المشرق الإسلامي ، نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري ، مكة ، معهد البحوث العلمية ، ١٤١٢هـ /١٩٩١م .

v الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ط١ ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، ١٤٠٧هـ .

- **عطا : زبيدة :**

v اليهود في العالم العربي ، دراسة تاريخية ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

- **العقاد : عباس محمود**

v أثـر العـرب في الحـضارة الأوروبيـة ، ط٨ ، دار المعـارف المـصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

- **العقيقي : نجيب**

v المستشرقون ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ثلاثة أجزاء .

- **علي : عصام الدين محمد**

v بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة من أواخر القـرن ١هــ حتى منتصف القرن ٤هـ ، (د.ط) ، منـشأة المعـارف ، الاسـكندرية ، ١٩٨٦م .

- **علي : محمد كرد :**

v الإسلام والحضارة العربية ، دار الكتب العصرية ، ١٩٣٤م ، جزءين .

- **عليان : محمد عبدالفتاح**

v أضواء على الاستشراق ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

- **عمايرة : إسماعيل :**

v بحوث في الاستـشراق واللغـة ، ط١ ، مؤسـسة الرسـالة ، بـيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

- **عميرة : عبدالرحمن**

v الإسـلام والمـسلمون بـين أحقـاد التبـشير وضـلال الاسـتـشراق ، دار الجيل ، بيروت .

- **عنان : محمد**

v الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغـال ، دراسـة تاريخيـة أثريـة ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

v الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلـسية بـاللغتين الإسـبانية والعربيـة ، مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧٦م .

v دول الإسـلام في الأنـدلس ، ط٣ ، مكتبـة الخـانجي ، القــاهرة ،

١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

v نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط٣ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م

- **عنتابي : محمد فؤاد :**

v مدرسة طليطلة العربية وأثرها في النهضة الأوروبية ، أبحاث المؤتمر السنوي الثاني للجمعية السورية لتاريخ العلوم ، جامعة حلب ، ط١ ، ١٩٧٩م .

- **عوض : محمد :**

v الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط١ ، عين للدراسات والبحوث ، ١٩٩٥م .

- **الغامدي : صالح :**

v موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

- **غراب : أحمد**

v رؤية إسلامية للاستشراق ، ط٢ ، مطابع أضواء الرياض ، (د.ت) .

غوانج : هنري غروسي :

v علم الملاحة العربية ، ضمن الحضارة العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٨م .

- **غوتاس : ديمتري**

v الفكر اليوناني والثقافة العربية ، ط١ ، ترجمة : نقولا زيادة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

- **غوميز : مارغريتا**

v المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط١ ، تحرير : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م ،

جزآن .
- **غويتسولو : خوان :**
v في الاستشراق الإسباني ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٧م .
- **فتاح : عرفان عبدالحميد :**
v اليهودية ، عرض تاريخي ، ط١ ، دار عمار ، عمان ، ١٤١٧هـ .
- **فخري : ماجد**
v ابن رشد فيلسوف قرطبة ، ط٢، دار المشرق ، بيروت، ١٩٨٦م .
- **فروخ : عمر :**
v تاريخ العلوم عند العرب ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٤م .
v تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- **فشر :**
v تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة : محمد زيادة ، والسيد الباز العريني ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- **فهد : توفيق**
v صورة أولى عن روافد العلوم العربية ضمن كتاب أضواء عربية على أوروبا في العصور الوسطى ، ط١ ، ترجمة : عادل العوا ، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- **فوزي : فاروق عمر**
v الاستشراق والتاريخ الإسلامي ، دراسة مقارنة ، ط١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- **فوك : يوهان**
v تاريخ حركة الاستشراق أو الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا

حتى مطالع القرن العشرين ، ط١ ، ترجمة : عمر لطفي العالم ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

- **فيجا : لوبي دي :**

v نجمة إشبيلية ، ترجمة : صلاح فضل ، وزارة الإعلام ، الكويت .

- **فيرنيه : خوان**

v تراث الإسلام ، القسم الثالث ، ترجمة : حسين مؤنس ، وإحسان صديق ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

v العلوم الفيزيائية والطبيعية في الأندلس ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

v فضل الأندلس على ثقافة الغرب ، ط١ ، ترجمة : نهاد رضا ، دار إشبيلية للدراسات والنشر ، دمشق ، ١٩٩٧م .

- **قاسم : محمود الحاج**

v انتقال الطب العربي إلى الغرب معابره وتأثيره ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٩م .

- **القاضي : أحمد :**

v دعوة التقريب بين الأديان ، ط١ ، دار ابن الجوزي ، جدة ، ١٤٢٢هـ ، أربعة أجزاء .

- **قشتيليو : محمد**

v حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها ، ط١ ، تطوان ، ٢٠٠١م .

- **القطان : مناع**

v مباحث في علوم القرآن ، ط٨ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

- **قطاية : سلمان :**

v ابن النفيس ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨٤م .

- **قطب : محمد علي**

v مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس ، ط١ ، دار القلم ، ١٩٨٦م .

- **قطب : محمد**

v مذاهب فكرية معاصرة ، (د.ط) ، دار الشروق ، القاهرة ، (د.ت) .

v مغالطات : ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

v واقعنا المعاصر ، ط٣ ، مؤسسة المدينة ، جدة ، ١٤٠٨هـ .

- **القلماوي : سهير ، مكي : محمود :**

v أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية ، في الأدب ، جمع : محمد خلف الله أحمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .

- **قنواتي : شحاته :**

v تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط ، ط٢ ، مطبعة الأوراق ، بيروت ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

- **كارديكا : لوي :**

v الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون ، ط١ ، ترجمة عبدالجليل التميمي ، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، (د.ط) ، تونس .

- **كارلسون : انجمار :**

v الإسلام وأوروبا تعايش أم مجابهة ، ط١ ، ترجمة : سمير بوتاني ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

- **كاسترو : أميريكو :**

v إسبانيا في تاريخها ، ط١ ، ترجمة : علي منوفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

- **كاهن : كلود :**

v الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ط١ ، سينا للنشر ،

١٩٩٥م .

- **كب : ستانود :**

v المسلمون في تاريخ الحضارة ، ط١ ، ترجمة : محمد فتحي عثمان ، الدار السعودية ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

- **كحالة : عمر رضا :**

v العلوم البحتة في العصور الإسلامية ، ط١ ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٧٢م .

v معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، دار إحياء التراث ، بيروت .

- **كحيلة : عبادة :**

v تاريخ النصارى في الأندلس ، ط١ ، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

- **كراتشوفسكي : أغناطيوس :**

v تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ط٢ ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

- **كرافيو هو : انريكي غوزالبيس :**

v ملاحظات حول تاريخ اليهود في سبتة ، من القرن xi إلى القرن xvI ، ط١ ، تعريب : محمد الشريف ، دار أبي رقراق ، الرباط ، ٢٠٠٧م .

- **كرم : يوسف :**

v تاريخ الفلسفة الحديثة .

v تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط ، ترجمة : هلارامون ، ط١ ، دار القلم ، ١٩٨٨م .

- **كلتون :**

v عقل العصور الوسطى ، ضمن موسوعة تاريخ العالم ، (د.ط) ، نشره : السير جون هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ، (د.ت) ستة

أجزاء .
- **كولان ، ج.س :**
v الأندلس مقال في دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، ترجمة : إبراهيم خورشيد ، وآخرون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
- **كولستون ، ج ، ج :**
v العصور الوسطى في النظم والحضارة ، ط١ ، ترجمة وتعليق : جوزيف نسيم ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٣م .
- **لوبون : غوستاف :**
v حضارة العرب ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة(د.ت) .
- **لويس : برنارد :**
v تاريخ اهتمام الإنجليز بالعلوم العربية ، ط٢ ، (د.ت) .
- **ليتمان : روبرت :**
v التجربة الإغريقية ، حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي ، ط١ ، تحقيق : منير كروان ، المجلس الأعلى للثقافة ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
- **أبوليلة : محمد محمد :**
v القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ، دراسة نقدية تحليلية ، ط١ ، دار النشر للجامعات ، مصر ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .
- **مؤنس : حسين :**
v تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ط٢ ، مدريد ، ١٩٨٦م .
v تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ط٢ ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
v الحضارة دراسة في أصولها وعوامل قيامها وتدهورها ، (د.ط) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

v فجر الأندلس ، دراسات في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ، العصر الحديث ، ط١ ، ودار المنهل ، ٢٠٠٢م .

- الماجد : سعد :

v موقف المستشرقين من الصحابة رضي الله عنهم ، ط١ ، دار الفضيلة للنشر ، الرياض ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

- ماجد : عبدالمنعم :

v العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ، ١٩٦٦م .

- مانثاناريس : مانويلا :

v المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر ، ط١ ، ترجمة : جمال عبدالرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

- مايرز : يوجين :

v الفكر العربي والعالم الغربي ، ط١ ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .

مبروك : محمد إبراهيم :

v الإسلام والغرب الأمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار ، ط١ ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

- متز : آدم :

v الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط٥ ، ترجمة : محمد أبوريده ، دار الكتب العربية ، بيروت ، جزأين .

- مجموعة مؤلفين :

v المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشئون المطابع الميرية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- مجهول :

v يوميات رحلة فاسكوداجاما ، تقرير رحلة دوز سانتوس ، الهيئة

المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

- **محمد : محمود وصفي :**

v دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية ، (ط.د) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

v المعجم الوسيط : لإصدار مجمع اللغة العربية بمصر ، ط٢ ، إخراج : إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، محمد النجار ، حامد عبدالقادر ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٩م ، جزئين .

- **مدكور : إبراهيم :**

v في الفلسفة الإسلامية ، منهج وتطبيقه ، سميركو للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م ، جزأين .

- **المدني : أحمد :**

v المسلمون في جزيرة صقلية ، وجنوب إيطاليا ، الشركة الوطنية للنشر ، ١٣٦٥هـ .

- **مزروعة : محمود محمد :**

v مذاهب فكرية معاصرة ، عرض ونقد ، ط١ ، دار الرضا ، بني سويف ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- **مصطفى : شاكر :**

v التاريخ العربي والمؤرخون ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٣م .

- **المطيري : منصور زويد :**

v الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ، الدواعي والإمكان ، ط١ ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، ١٩٩٣م .

- **مظهر : جلال :**

v الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث ، (ط.د) ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

- حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- مظهر : علي :
- محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال وغيرها ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

- المغربي : محمد عبدالشافي :
- العصور الوسطى الأوروبية ، رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط١ ، دار الوفاء للطباعة ، الاسكندرية ، ٢٠٠٤م .

- المقداد : محمود :
- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٨م .

- مكتبة الملك عبدالعزيز العامة :
- الكتب العربية المطبوعة في أوروبا ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- مكيافيللي :
- كتاب الأمير ، ط١ ، ترجمة : أكرم مؤمن ، مطبعة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

- مكي : الطاهر أحمد :
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، ط٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
- الموريسكيون في الفكر التاريخي الإسباني ، ضمن ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، ط١ ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ، ثلاثة أجزاء .

- مكي : محمود :
- من تاريخ الحوار الديني في الأندلس وإعجاز القرآن في حوار جرى بمدينة مرسية ، ضمن ندوة الإسلام وحوار الحضارات ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- **الملا : أحمد علي :**

v أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

- **المنجد : صلاح الدين :**

v المستشرقون الألمان ، تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٨م .

- **منسي : عبدالعليم ، إبراهيم : عبدالله :**

v الترجمة أصولها ومبادئها وتطبيقاتها ، ط١ ، دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

- **منصور : طارق :**

v المسلمون في الفكر المسيحي ، ط١ ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م .

- **المنوني : محمد :**

v قبس من عطاء المخطوط المغربي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٩م .

- **مهران : محمد بيومي :**

v مصر والشرق الأدنى القديم«بلاد الشام» ، (د.ط) ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- **مهنا : أحمد :**

v دراسة حول ترجمة القرآن الكريم ، مطبوعات مكتبة دار الشعب ، القاهرة .

- **موريسون :** صماموئيل :

v كريستوفر كولومبوس ، المكتشف العظيم ، ترجمة : فوزي قبلاوي ، مؤسسة فودكلين ، بيروت ، ١٩٥٩م .

- **الميداني : عبدالرحمن حبنكة :**

v أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير-الاستشراق-الاستعمار ، دراسة وتحليل ، ط٦ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- **ميسنر :**

v مزيد من المفردات العربية وتصنيفها في اللغات الرومانسية - الأيبيرية ، ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ط١ ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨م .

- **ميسوم : عبدالإله :**

v تأثير الموشحات في التروبادور ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١م .

- **ابن ميلاد : الحكيم أحمد :**

v تاريخ الطب العربي التونسي ، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، تونس ، ١٤٠١هـ .

v قسطنطين الأفريقي ، أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب ، إشراف : معهد التراث العلمي العربي ، حلب ، ١٤٠٢هـ .

- **ميلي : ألدو :**

v العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، ط١ ، ترجمة : عبدالحليم النجار ، ومحمد موسى ، مراجعة : حسين فوزي ، دار القلم ، ١٣٨١هـ /١٩٦٢م .

- **ناجي : سليمان :**

v اليهود عبر التاريخ ، ط١ ، قدم له : سهيل زكار ، دار قتيبة ، بيروت ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

- **ناظيمان : رضا :**

v الترجمة ومناهجها التطبيقية بين العربية والفارسية ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

- **نخبة من العلماء :**
- الإسلام والمستشرقون ، ط١ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- **الندوي : السيد أبوالحسن علي :**
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط٦ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٦م .
- **نسيم : جوزيف :**
- أنشودة رولان ، قيمتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش ، ضمن «ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط» ، (ط.د) دار المعارف ، ١٩٨٢م .
- نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ط١ ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧١م .
- **النشار : علي :**
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ، ط٣ ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- **النظامي : خليل :**
- عهود متعددة لأفكار المستشرقين ، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون لنخبة من العلماء ، ط١ ، عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
- **نظيف : مصطفى :**
- الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه ، مطبعة نوري ، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م .
- **نعني : عبدالمجيد :**
- الإسلام في طليطلة ، ط١ ، دار لنهضة العربية ، ١٩٨٩م .
- **نلينو : كرلو :**
- علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، مكتبة الثقافة

الدينية .
- **النملة : علي إبراهيم :**
- الاستشراق في الأدبيات العربية ، ط١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
- الالتفاف على الاستشراق ، محاولة التنصل من المصطلح ، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة ، الرياض ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .
- مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين ، ط١ ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- **هارفي : ليونارد :**
- تاريخ الموريسكيين السياسي والاجتماعي والثقافي ، ضمن الحضارة العربية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- **هاسكنز : ش.هـ**
- نشأة الجامعات في العصور الوسطى ، ط١ ، ترجمة : جوزيف نسيم ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧١م .
- **هالو : روبيز :**
- استقبال الخيمياء العربية في الغرب ، (بحث ضمن موسوعة تاريخ العلوم العربية) ، إشراف : رشدي راشد ، ويجيس مورلون ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت .
- **الهلالي : سيف :**
- ثبت مراجع ترجمات القرآن الكريم الصادرة في إسبانيا ، حصيلة ستة قرون ، ضمن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ١٦-١٤٢٧/١٠/١٨هـ .
- **هورتز : أنطونيو ، بنثنت : برنارد :**

v تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون ، حياة ومأساة أقلية ، ط١ ، ترجمة : عبدالعال طه ، دار الإشراق ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

- **هونكة : زيغريد :**

v الإبل على بلاط قيصر ، ط١ ، ترجمة : حسام الشيمي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

v التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام ، حقيقة قادمة وقدر محتوم ، ط١ ، ترجمة : هاني صالح ، دار الرشيد ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

v شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون وكمال الدسوقي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

- **هويزنجان : يوهان :**

v اضمحلال العصور الوسطى ، دراسة لنماذج الحياة والفكر والفن بفرنسا والأراضي المنخفضة ، (د.ط) ، ترجمة : عبدالعزيز توفيق جاويد ، المكتبة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

- **هيك : جين :**

v الجذور العربية للرأسمالية الأوروبية ، ط١ ، ترجمة : محمود حداد ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

- **هيكل : أحمد :**

v الأدب الأندلسي من الفتح إلى السقوط ، ط١٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

- **هيلنبراند : روبرت :**

v زينة الدنيا قرطبة القروسطية مركزاً ثقافياً عالمياً ، ضمن الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إشراف : سلمى الجيوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

- **وات : مونتجمري :**

v في تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ط٢ ، ترجمة : محمد رضا المصري ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٩٨م .

v فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ط١ ، ترجمة : حسين أمين ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

- **وزان** : عدنان عبدالعزيز :

v فكر التنصير في مسرحيات شكسبير ، ط١ ، دار إشبيليا .

- **الوكيل** : **محمد السيد** :

v الأمويون بين الشرق والغرب ،ط١ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٦هـ /١٩٩٥م ، جزئين .

- **ولز** : **هـ.ج**

v معالم تاريخ الإنسانية ، ط٣ ، ترجمة : عبدالعزيز جاويد ، لجنة التأليف والترجمة للنشر ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، أربعة أجزاء .

- **الولي** : **طه** :

v الإسلام والمسلمون في ألمانيا بين الأمس واليوم ، ط١ ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .

وورقية : عبدالرزاق :

أثر الاستشراق في تشكيل الصورة النمطية للإسلام عند الغرب ، مطبعة أنفو ، فاس ، ٢٠٠٦م .

- **ويت** :

v اللغة اللاتينية وآدابها «ضمن موسوعة تاريخ العالم» ، نشرها السير جون هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية .

- **ياغي** : **إسماعيل**

v الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث .

ثالثاً : المراجع الأجنبية

ALexandrini:Patriarchrae:

- contextio gemmarum, interprete.E.Pocockio,١٦٥٨.

Burnett:charles:

- Arabic inti latin in the Middle Ages,٢٠٠٩.
- Adelard of bath conversatios with his nephew combridge university Press ٢٠١٠.

- calvert: Albert:

- seville an historical and de scriptive Account of the pearl of Andalusia ,lodon١٩٠٧.
- Toledo ,an historical and descriptive account of the city of generation,london١٩٠٧.

- cheine:Anwar:

- Muslim Spaiin the history and culture,the university of Minnesota press minneaplis,١٩٧٤.

- Daniel : Norman :

- The arabs and Mediaeval Europe,Longman London and newyork ١٩٧٥.
- Islam and the west oxford England,oneworld Publicaions١٩٩٣.

- Dunlop : D.m.

- Arab civilization to A.D. ١٥٠٠,Longman,librairie du liban,london١٩٧١.

- Grant : Edward :

- Asource Book in medieval scince,horvard university press,compridge١٩٧١.

- H.haskis:c.h :

- Renaissance of the ١٢th century meridian Books newyork,١٩٧٠.
- Studies in the history of mediaeval science,Harvard university press comperidge,١٩٢٤.

- Hitchcock : Richard :

- Mozarabs in Medieval and Early Modern spain ALdershot England ٢٠٠٧.

- Jourdain : charles :

- recherches critiques sur lage et lorigine des traductions latines davistote,cambridge,٢٠١٠.

- leclerc:L :
  - histoire de la medecine arabe Printed in u.s.a ١٨٧٦.II.
- Palencia : Gonzalez :
  - Palencia,G,el arzobispo don raimundo de Toledo,barcelana,١٩٤٢.
  - Los mozarabes de Toledo en los siglos XII y XIII,Madrid,١٩٣٠.
- pedal : Gonzalo Menendez :
  - la espana del siglo xIII, Publidisa ,Madrid,١٩٨٦.
  - Poesia arabe y Poesia Europea,Espasa calpe,١٩٤٦.
- Pirenne,Henri
  - Mohamad and charlemgne ,Translatel by Bernard miall Barnes@,noble,newyork,١٩٩٢.
- Abou Rjeily: Rana :
  - Cultural connectives,London,٢٠١١.
- steinschneider: moritez :
  - die europaischen ubersetzungen aus dem arabischen bis mittedes,١٧.JahrHunderts Akademische druck u.verlagsanstalt, Graz,١٩٥٦.
- simonef : Francisco :
  - EL cordenal ximenez de Cisneros y los manuscritos Ambigo, Garanda,١٨٨٥.
- Waxman : Merer :
  - The history of jewish literature,Bolch Rubishing newyork ,١٩٣٠.
- wiedemann : Eilhard :
  - Gesammelte schriften zur arabisch islamischen wissenschaftsgeschichte,Frankfurt,١٩٨٤.
- wustenfwld:F :
  - die Ubersetzungen arabischer Werke in das lateinische gottingen ١٨٧٧.

المجلات والدوريات

- Al-andalus :
  - sobre los traductores toledanos domingo Gundi salvoy Juan hispano manuel ,AL-andalus,VIII,١٩٤٣.
  - traducciones del arcediano domingo gundisalvo v.XII,١٩٤٧.
  - las fuentes literarias de domingo gundisalvo,V,XI.
- Al-andalus Magreb :cadiz
  - Estudios Arabes Eislamicos,Ano١٩٩٥.numero٣.
- collectanea chrisiana Orientalia :
  - Combraventa en Toledo arabes de los mozarabes de Toledo,٢٠٠٧.
- universite Ibrahim Pacha :
  - Fedeirco II E la cultura muslman, Francesco, Gabriel, ١٩٥١,vol.١.



رابعاً : الرسائل العلمية

- بوكاري : مصطفى الحاج مالك :

الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم السيرة النبوية والتاريخ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

الحازمي : زيني بن طلال :

النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق الإسلامي من منتصف القرن ٣هـ/٨م إلى ٧هـ/١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية .

- السنيدي : فهد :

حوار الحضارات ، دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الثقافة الإسلامية ، جامعة الملك سعود ، ١٤٣٠هـ .

- السلمي : إبراهيم :

تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٥هـ .

- آل محمود : مها :

جزيرة ميورقة تحت الحكم الإسلامي في الفترة (٥٢٠-٦٢٧هـ/١١٢٦-١٢٣٠م) ، السياسي والحضاري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ والحضارة ، كلية التربية للبنات - الرياض ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

- الهاجري : ناصر :

أوضاع المسلمين في بلنسية في عهد الملك الأرغوني خايمي الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

- بولعراس : خميسي :

الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجزائر ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ والآثار ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

- **محمد : أندلوسي :**

الترجمة الأدبية من العربية عند المستشرقين ، المدرسة الفرنسية أنموذجاً ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان ، ٢٠١٠م .

خامساً : الموسوعات

- موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، بإشراف : محمد سهير سرحان ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، اثنان وثلاثون جزءاً .
- موسوعة الأديان الميسرة ، ط٢ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
- الموسوعة التاريخية الجغرافية ، تأليف : مسعود الخوند .
- الموسوعة العربية العالمية ، ط٢ ، الناشر : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ثلاثين جزءاً .
- موسوعة المدن العربية والإسلامية ، يحيى شامي ، ط١ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٣م .
- موسوعة المدن العربية ، آمنة أبوحجر ، ط١ ، دار إحسان ، عمان ، ٢٠٠٢م .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط٣ ، إشراف : مانع الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، جزئين .
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، عبدالوهاب المسيري ، ط١ ، دار

الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

- موسوعة تاريخ العالم ، (د.ط) ، نشره : السير جون هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ، (د.ت) .
- موسوعة تاريخ العلوم العربية ، تأليف : مجموعة من الباحثين ، إشراف : رشدي راشد ، وريجيس مورلون ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ثلاثة أجزاء .
- موسوعة دول العالم ، مصطفى إبراهيم مصطفى ، ط١ ، دار الغد الجديد ، المنصورة ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .
- موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهود ، عبدالمنعم الحفني ، مكتبة مدبولي .

سادساً : المجلات والدوريات

- **قضايا إسلامية : سلسلة تصدر عن وزارة الأوقاف المصرية ، ١٤١٠هـ/١٩٨٦م .**

v الجذور التاريخية والجسور الحضارية ، محمد محمد أبوليلة ، العدد التاسع والستون ، ذو القعدة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

- **مجلة البيان :**

v الغرب أصل الصراع ، بحث لعامر عبدالمنعم ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ذو الحجة ، ١٤٢٨هـ-يناير ٢٠٠٧م .

v أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستنتية ، محمد الشاهد ، ع٢٢ .

- **مجلة البحوث الإسلامية :**

v انتشار ترجمات معاني القرآن الكريم في مشرق العالم ومغربه ، ع٣٠ ، ربيع الأول ، جمادى الآخر ، ١٤١١هـ .

- **مجلة التاريخ العربي ، مجلة تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة :**

v قواعد المناظرات وأخلاقياتها من خلال مداخلة محمد القيسي ومحمد الأنصاري للنصارى بالأندلس ، العدد الخامس عشر ،

صيف٢٠٠٠م .

v أضواء على أطروحة الاقتصاد المغلق ، لهنري بيرن ، محمد حمام ، العدد التاسع ، ١٩٩٩م .

v طليطلة ومدرسة المترجمين ، المدرسة الأولى للاستعراب الإسباني ، محمد القاضي ، ٢٠٠٠م .

- المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر :

v رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني ، سنة (١٥٤١م) ، تونس ، سنة(١٩٧٥م) ، ع٣ .

- مجلة التاريخ العربي :

v محمد القاضي : الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف ، ع٢٦ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

v أثر الإسلام واللغة العربية في الحياة الإسبانية .

v المستعربون في عصر ملوك الطوائف بالأندلس ، عبدالقادر جاد الرب ، ع٢٥ ، السنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .

- مجلة التجديد تصدرها الجامعة الإسلامية بماليزيا

v نظرات نقدية لمقدمة وترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، لعبدالله الخطيب ، العدد الحادي عشر .

- المجلة التاريخية المصرية :

v بعض معالم عهد شارلمان : مقال للباز العريني ، السنة ١٩٥٩م ، المجلد الثامن .

v الإمبراطور فردريك الثاني والشرق العربي ، بحث لسعيد عاشور ، مج١١ .

- مجلة تاريخ العرب والعالم :

v صقلية الإسلامية ومهد الحضارة العربية النورمانية ، بحث لجيان لويجي وبول لاند ، العدد٥٥ ، السنة ١٩٨٣م .

v تـاريخ الطباعـة بـدايتها وتطورهـا ، عـلي عبـدالله ، الـسنة الثالثـة والعشرون ، ١٤٢٤هـ .

- **التراث العربي :**

v ضوء جديد على دانتي والإسلام ، ترجمـة : موسـى الخـوري ، ع٤١ ، السنة١١ ، ١٩٩٠م-١٤١١هـ .

v مساهمة العرب في النهضة العلمية الأوروبية ، توفيق فهد ، ع٤ ، السنة الثانية .

v أهداف ترجمات القـرآن وأنماطهـا عـبر التـاريخ ، محمـود الربـداوي ، ع٩٨ ، ٢٠٠٥م .

- **مجلة التسامح :**

v تأثير الفقه الإسلامي على تكوين القانون الإنجليزي ، برهان محمد عطا الله ، ع٢٤ .

- **مجلة التعريب ، تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة :**

v الترجمة والثقافة ، لشحاذة الخوري ، العدد العاشر .

v الترجمة والبحث العلمي : بحث لفـؤاد عبـدالمطلب ، العـدد الخـامس عشر .

- **مجلة جامعة أم القرى :**

v الوجـود الإسـلامي في صـقلية في عهـد النورمـان مـا بـين التـسامح والاضطهاد ، مج١٢ ، العدد٢٠ ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

v الدور الفرنسي في الحروب الـصليبية ضـد مـسلمي الأنـدلس ، سـعد البشري ، السنة الثالثة ، ع٤ ، ١٤١١هـ .

- **مجلة جامعة دمشق :**

v اليهود في الأندلس والمغرب من خلال العصور الوسطى ، علي أحمـد ، السنة السابعة ، ع : ٥٧-٥٨ ، ١٩٩٦م .

- **مجلة جامعة الرياض :**

v كتاب وصف أفريقيا ، سامي الصقار ، مج٨ .

- **مجلة جامعة الملك عبدالعزيز :**

v أصل وتطور العمليات المصرفية التجارية الإسلامية ، عبدالقادر حسين شاشي ، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي ، جدة ، مج٢١ ، ع٢ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

- **مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية :**

v الجغرافيون والرحالة المسلمون ، مينورسكي ، ترجمة : عبدالرحمن حميدة ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ربيع الثاني ١٩٨٥م-١٤٠٥هـ ، ع٧٣ .

- **مجلة الحكمة :**

v الإسلام في إسبانيا ، علي الكتاني ، ع١٢ ، السنة الأولى .

- **مجلة دراسات أندلسية :**

v محطات في تاريخ التسامح بين الأديان في الأندلس ، إبراهيم بوتشيش ، ع٣١ ، جمادى الأولى ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

- **مجلة الدارة :**

v الحسن بن الهيثم رائد علم الضوء ، عدد تذكاري ، ع٤٣ ، السنة الثانية ، شوال ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

- **مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف الإسلامية بالمغرب :**

v ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي ، محمد المنوني ، ع٣ ، السنة العاشرة ، ١٣٨٦هـ .

v الرحالة المغاربة وأثارهم ، ع٣ ، السنة الثانية ، ١٣٧٣هـ .

v حول مدرسة المترجمين بطليطلة ، عبداللطيف الخطيب ، عدد(٧) ، السنة ٣ ، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م .

- **مجلة عالم الفكر والدراسات الإسلامية جامعة أفريقيا العالمية**

v العدالة أساس نقد الأخبار ، دراسة تأصيلية ، عبدالرحمن سراج ، كلية

الشريعة ، محرم ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

- **مجلة عالم الفكر :**

v الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، بحث لرشا الصباح ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثالث .

v الإسلام في أرض الأندلس ، أثر البيئة الأوروبية ، أحمد العبادي ، المجلد العاشر ، العدد الثاني .

- **مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة :**

v أعلام الإسلام ، علم الدين وآثاره الحضارية في أوروبا ، السيد أحمد دراج ، مج٦٣ ، ع٢ ، ٢٠٠٢م .

v مصادر طبية يونانية مفقودة حفظتها الترجمات العربية ، مصطفى لبيب عبدالغني ، مج(٦٤) ع٣ ، السنة ٢٠٠٤م .

- **مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود :**

v الجوانب الإيجابية لنشاط المستشرقين البريطانيين ، الرياض ، ١٩٨٢م ، مج٩ .

- **مجلة المؤرخ العربي :**

v دور صقلية في نقل التراث الطبي العربي إلى أوروبا ، بحث لتقي الدين الدوري ، العدد٢٩ ، ١٤٠٦هـ .

v الراهب الفرنسيسكاني ريموندلول ومحاولاته نشر النصرانية في شمال أفريقية ، لعلي عودة الغامدي ، ع ٦ ، مج ١ ، ١٩٩٨م .

- **مجلة معهد المخطوطات :**

v ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة ، مج٣ ، ج١ ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

- **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد :**

v اللغة العربية في مدينة طليطلة بعد الفتح النصراني ووثائق المستعربين ، أكناثيوفيراندو ، مج٣٠ ، ١٩٩٨م .

v الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية ، شوقي ضيف ، مج ٢٣ .

v ابن سينا وآثاره الأولى في العالم اللاتيني ، مانويل الونو : ع١ ، السنة الأولى ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .

v إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ،ع١ ، السنة الأولى ، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م .

- **مجلة العربي :**

v طليطلة مدينة الثقافة والترجمة ، سيمون الحايك ،ع٣١٥ ، ١٩٨٥م .

- **مجلة العلم الليبية :**

v الحضارة العربية وأثرها على الحضارة الأوروبية ، عبدالرحمن مرناس ، العدد٦ ، السنة ١٩٧٦م .

- **مجلة العصور :**

v أثر الدراسات الطبية في الأندلس على أوروبا ، سعد البشري ، م٥ ، ج١ ، جمادى الثاني ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

- **مجلة عين :**

v القرآن الكريم وترجمته في الغرب ، فرانسوا ديروش ، ترجمة : وليد العمري ، السنة الأولى ،ع١ ، ١٤٢٩هـ .

- **مجلة المسلم المعاصر :**

v المحرفون للكلم ، الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم ، حسن المعاريجي ،ع٤٨ ، شوال ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

- **مجلة المورد : بغداد**

v علم الحيوان عند العرب ، جليل أبوالحب ، بغداد ،ع٤ ، مج١٤ ، ١٧٨٥م .

سابعاً : المواقع الإلكترونية

http://Fedaa.alwehda.gov.sy

http:\\www.vclm.es/escueladetores/english/history

http.//www.voiceofarabic.net

http://www.altasamoh.net

http://osoldiers o.wordpress.com

http://www.islamstory.com.

http://www.qurancomplec.org

http://www.translationaword.org



فهرس الموضوعات